



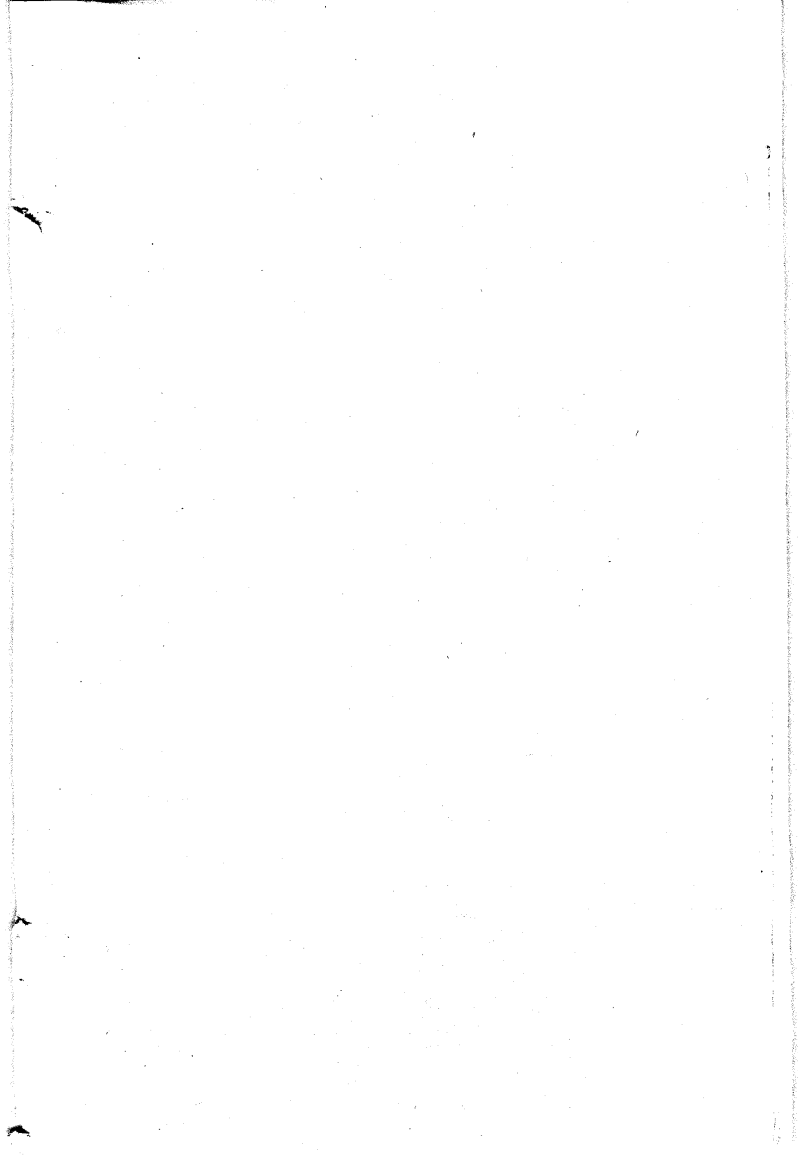
الموسوعة الفارابية  
كتاب الأساس  
المبادئ المنطقية

نشأة مفاهيم  
وظائف، فوائد  
موضوعات، مجالات - قبول، رفض  
الجزء الأول

تأليف  
الأستاذ الدكتور محمد حسين موسى محمد الفارابي  
مدرس فقه اللغة واللسان بكلية أصول الدين بالجامعة

الطبعة الأولى  
مقرون الطبع محفوظة للمؤلف

١٩٦٣/١٤٠٤ هـ  
دار الفكر العربي





إهداء

إلى ...

الأهل الذاهبي  
والغنن الطيب

الأستاذ الدكتور

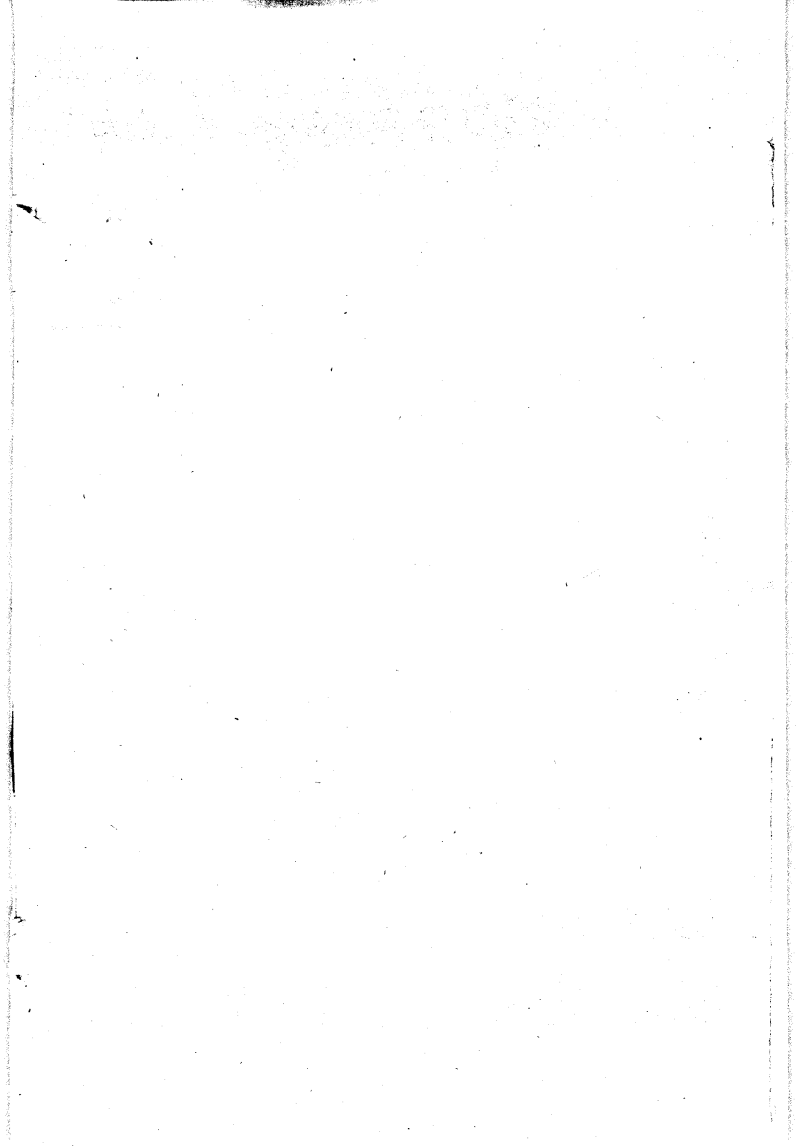
أحمد الطيب  
مفتي الديار المصرية

رسالة عن فائز في فناءه وحل

دكتور

محمدي موسى محمد الغزالي

١٩٥١ / ١٢ / ٢٨



## مُتَدَقِّمًا

الحمد لله يرفع بالإيمان<sup>(١)</sup>، والعلم أقواما، ويعلى بفضلته ومته وكرمه أفعاما<sup>(٢)</sup>، ويسقط بميزان عدله أوهاما، ويجعل المؤمنين به في الدنيا أعلى هاما، وفي الآخرة أقوم مقاماً<sup>(٣)</sup>. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ مَعَكُمْ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ جَالِدُونَ ۚ لَا يَخَزِّنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۖ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ [سورة المجادلة - الآية ١١] يقول الإمام الفخر الرازي - رحمه الله - : « لا شبهة أن العالم يقتضى لذته، من المدة مالا يتصل للمؤمن، ولذلك؛ فإنه يقتضى بالعالم في كل أفعاله، ولا يقتضى بهر العالم؛ لأنه يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات، ومحاسبة النفس ما لا يعرفه الغير، ويعلم من كيفية الخشوع والتذلل في العبادة، ما لا يعرفه، ويعرف من كيفية التوبة وأوقافها وصفاتها ما لا يعرفه غيره، ويتحفظ فيما يلزمه من الحقوق، ما لا يتحفظ منه غيره، وفي الوجود كثرة، لكنه كما تعظم مجرة أفعاله من الطاعات في درجة الثواب، فكذلك يعظم عقابه فيما يأتيه من الذنوب، لمكان عله، حتى لا يمنع في كثير من صفاته غيره، أن يكون كبيرا منه » [الإمام فخر الدين الرازي - (مفاتيح الغيب) ج ١ ص ٤٥٢]. ويقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [في الشواهد في الآخرة، والكرامة في الدنيا، ويرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم] [الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ٩ ص ٦٤٦٩]

(٢) في الحديث الشريف عن معاوية خطيبا قال: « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من برد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » [الإمام البخاري - صحيح البخاري - ١٣ باب من برد الله به خيرا يفقهه في الدين - الحديث: ٧١، وأخرجه الإمام مالك - موطأ مالك ج ٢ ص ٩٠ رقم: ١٥٩٩]

(٣) قال تعالى ﴿لننصر رسلا الذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [سورة غافر - الآية ٥١]

(٤) سورة الأنبيا - الآيات ١٠٣/١٠١. يقول الحافظ ابن كثير: « هم الذين سبقت لهم من الله السعادة وأسئلوا الأعمال الصالحة في الدنيا كما قال تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن ما لهم ونواهم ونهاتهم من العقاب وحصل لهم جزيل الثواب فقال ﴿أولئك عندهم مبعدون لا يسمعون حسيستها﴾ أي حريقها في الأحساد. وقال ابن عباس: أولئك أولياء الله يبرون على انصراف مرأهه أسرع من البرق ويبقى الكفار فيها حنينا. ﴿وهم فيما اشتبهت أنفسهم جالدين﴾ فسلمهم من المخذور والمهزوب وحصل لهم المطلوب المصوب، فلا يضرهم الفزع الأكبر ﴿فيل المراد بذلك الموت، أو النجدة في الصور، أو حين يؤمض بالعد إلى النار، وتقبل: حين تطلق النار على أهلها، وتقبل: حين يذبح الموت بين الجنة والنار، ﴿وتلقاهم الملائكة هنذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾ حيث تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون أي فأملوا ما بصركم ». [العلامة الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء المتوفى ٧٧٤هـ - تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٠٠/١٩٨ - دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ - عدد الأجزاء ٤]

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، حبيب في التأمل العلماء، وألمهم النظر في الكائنات، يستوي في ذلك الأرض والسماء، وبين أئمة أهل الحشية منه، والحب له. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، بين للناس ما نزل إليهم، وكشف بعض الحجب عن المدارك التي فاضت عليهم، وأزال عن العقول ما ترامى حولهم، حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا ضال، فعن العرياض بن سارية<sup>(٢)</sup> قال: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا، قال قد ترككم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً فإنما المؤمن كاجمل الأنف حيثما قيد انقاد»<sup>(٣)</sup>.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد الشفيع المشفع<sup>(٤)</sup>، الذسر المبلغ، النسي

(١) سورة فاطر - من الآية ٢٨. وهذه الآية الكريمة تين لنا، أن أهل العلم هم أشد الناس خشية لله تعالى، لأهمهم أكثر الناس معرفة به. «عن ابن عباس: العالم بالرحمن من عده، من لم يشرك به شيئاً، وأحل حلاله وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأبى أنه ملاقيه، وعاسبه بعمله. وعن علي بن أبي طالب: إن الفقيه حق الفقيه، من لم يفتش الناس من رحمة الله، ولم يرحض ضمير معاصي الله تعالى، ولم يؤمنهم من عذاب الله. ولم يدع القرآن سنة عنه إلى غيره، إنه لا حرج في عبادته لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها. وعن ابن مسعود قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم كثرة الحشية. وقال الحسن البصري: العالم من خشى الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما زهد الله فيه» [الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ٥ ص ٥٤٦٦، والمحقق ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ٣ ص ٥٥٤].

(٢) العرياض بن سارية السلمي يكنى أبا نجيح، والعرياض أبو أنس، من البكائيين ومن أهل الصفه سكن الشام ومات هذه سنة خمس وسبعين وقيل بل مات في سنة ابن الزبير روى عنه من الصحابة أبو رهم وأبو أمامة وروى عنه جماعة ممن تابعي أهل الشام، وهو ممن نزل فيه «ولا على الدين إذا ما أتوك لتحملهم» الآية. [راجع الاستيعاب للعلامة ابن عبد البر ج ٣ ص ١٢٣٨ رقم: ٢٠٢٦، والكاشف للعلامة حمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي ج ١٧ رقم: ٣٧٦٦، والفتاوى للعلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ج ٣ ص ٣٢١ رقم: ١٠٤٦٦، مشاهير علماء الأمصار للعلامة محمد بن حبان ج ١ ص ٥١ رقم: ٣١٠].

(٣) الإمام محمد بن يزيد بن ماجة أبو عبد الله القزويني - المولود ٢٠٧هـ - والمتوفى ٢٧٥هـ - سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٦ - الحديث رقم: ٤٣ - طبعه دار الفكر - بيروت - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وأخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥/٣٢١هـ) - المستدرک علی الصحيحین ج ١ ص ١٧٥ - الحديث ٣٣١ - طبعه دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١/١٩٩٠م الأول - تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء. وأخرجه الإمام أحمد - مسند أحمد ج ٤ ص ١٢٦ الحديث: ١٧١٨٢، والطبرانی - المعجم الكبير ج ١٠ ص ٥٧، الحديث: ٦١٩.

(٤) من أسماء النبي ﷺ الشفيع المشفع، حيث يقول الإمام ابن حجر: «وما وقع من أسمائه في القرآن بالإتصاف بالشاهد والبشر والتدبير المبين الداعي إلى الله السراج المنير وفيه أيضاً المذكر والرحمة والنعمة والهادي والشهيد والأمين والفرسل والمدبر، ومن أسمائه ﷺ المشهورة المختار والمصطفى والشفيع والشفيع والصادق الصديق» [العلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفتح العسقلاني الشافعي المولود ٧٧٣هـ - والمتوفى ٨٥٢هـ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٦ ص ٥٥٨ - دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بحسب الدين الخطيب].

الحاتم<sup>(١)</sup>، الذي أخرج الناس من ظلمات الكفر والإلحاد إلى نور الإيمان واليقين بالله رب العالمين.  
 وارض اللهم عن أهل العلم والعرفان أصحاب رسول الله الأخيار<sup>(٢)</sup>، وآل بيته الأطهار<sup>(٣)</sup>،  
 وأتباعه الذين عملوا لدار القرار، فدانست تحت أقدامهم دار البوار، واحترما يا رب العالمين مع أهل  
 الفوز والرضوان، الذين لهم شفاععة الحبيب العدنان، إنك أنت الرحيم الرحمن الحكيم المنان.

(١) حيث قال تعالى: ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾  
 [سورة الأحزاب - الآية ٤٠]. وفي السنة النبوية المظهرة الصحيحة أحاديث عن أبي هريرة عليه السلام قال: قال رسول الله  
 ﷺ: «فعلت علي الأبياء ست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب وأحلت لي الفساتين، وجعلت لي الأرض  
 مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلي الخلق كافة، وختم بي النبيون» [الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري  
 النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ) - كتاب المساجد ومواضع الصلاة صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧١ - الحديث  
 رقم: ٥٢٣] (طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى - بدون). وراجع العلامة أحمد بن  
 حنبل بن علي بن موسى أبو بكر البهقي - (٣٨٤-٤٥٨هـ - مكتبة دار الباز بمكة المكرمة - ١٤١٤/١٩٩٤م -  
 تحقيق محمد عبدالقادر عطا) - سنن البهقي الكبرى ج: ٢ ص: ٤٣٣ - باب أينما أدركك الصلاة ففعل فهو مسجداً  
 وفي ذلك دلالة على أن أصل الأرض على الظهارة ما لم تعلم خاصة الحديث رقم: ٤٠٦١. وراجع الإمام أحمد بن محمد  
 بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت - ط ١ دار كتب الفتى - مسند أحمد ج:  
 ٢ ص: ٤١١ - الحديث رقم: ٩٣٢٦. وراجع العلامة أحمد بن علي بن المنصور أبو يعنى الموصلي التميمي  
 [٣٠٧/٢١٠هـ - طبعة دار المأمون للتراث بدعشق (ط) - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م - تحقيق حسين سليم أسد] -  
 مسند أبي علي ج: ١١ ص: ٣٧٧ - الحديث رقم: ٦٤٩١ [وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الفاضلة] [الإمام البخاري صحيح  
 البخاري - باب: المبشرات - الحديث رقم: ٦٥٨٩]، وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «أبنا الناس إنه لم يبق  
 من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الفاضلة يراها المسلم أو يرى له. ثم قال: ألا إني نهيته أن أقول: رآه أو سمعته فأنسا  
 الركوع معصراً فيه الثرب وأما النسخة فاحتجوا في الدعاء فمن أن يستجاب لك» [الإمام البيهقي - حاشية  
 السدي عن الترمذي - باب تعظيم الرب في الركوع - الحديث رقم: ١٠٣٩]. وعن أبي هريرة عليه السلام عن رسول  
 الله ﷺ قال: «إني متلي وأبنا من قلبي، كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسه وأحمله إلا موضع لينة من زاوية، فمعبداً  
 الناس بطهرون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللينة؟ قال: فأنا حاتم النبيين» [صحيح البخاري  
 - الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي - باب: حاتم النبيين صلى الله عليه وسلم. - الحديث  
 رقم: ٣٣٤٢].

(٢) ففي الحديث الشريف قال ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» [العلامة: إسماعيل بن محمد العللوني  
 الخراساني (ت: ١١٦٢هـ) - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - كشف الخفاء  
 ج: ١ ص: ١٤٧ - رقم: ٣٨١ - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٥هـ - الطبعة الرابعة - تحقيق: أحمد القزويني  
 وقال العللوني: زاد السفي وأسنده الدليل. وعن ابن عباس: بلغني أصحابي بحولة النجوم في السماء بأسيدهم، فمنهم  
 اهتديتم. وقوله ﷺ: «أبنا الله في أصحابي لا تتحولهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم» [صحيح  
 ومن أحبهم يبعثني أبعدهم، ومن أذاهم فقد أذاً ومن أذاً فقد أذى الله ومن أذى الله فربنا نشت أن يسأله  
 «والعلامة الإمام: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (٢٠٩هـ/٢٧٩هـ) - إجماع الصحيح سنن الترمذي  
 ج: ٥ ص: ٦٩٦ الحديث رقم: ٣٨٦٢ (رواه عبدالله بن معقل) - طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق:  
 أحمد محمد شاكر وأخرون]

(٣) ففي الحديث الشريف: عن حابر بن عبد الله قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة يوم عرفة وهو يسر  
 على ناقته القنواء يخطب فسمعت يقول يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أحذركم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي  
 أهل بيتي» [الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٦٦٢ - ٣٢٢ باب مناقب أهل بيته  
 التي صلى الله عليه وسلم - الحديث: ٣٧٨٦، وأخرجه ابن أبي شيبة - مصنف ابن أبي شيبة ج: ٦ ص: ٣٠٩ -  
 رقم: ٣١٦٧٩، والضرائ - المعجم الأوسط ج: ٤ ص: ٢٣ رقم: ٣٥٤٢، وأحمد - مسند أحمد ج: ٣ ص: ١٧  
 رقم: ١١١٤٧]

أما بعد...

فإن الأبحاث النظرية ما تزال الدراسات حولها قائمة لم تنقطع، كما أن المباحث التجريبية هي الأخرى بجوانبها لم تتوقف على أية ناحية، في نفس الوقت فإن العقل<sup>(١)</sup> البشري مازال قائما لغايته التي خلقه الله عليها، ودرب ملكاته في استمراره للقيام بتلك الغاية المنشودة بكل ما أوتي من قوة، وما لديه من طاقة.

بيد أن التأمل الفكري الجاد، والمجهود العقلي المتواصل لا تنقطع موصولات الود بينهما، ولا تنقسم عرى الحية، أو تنأى عنها، ومن الطبيعي التفات العقل إلى العالم المشاهد مرة، وغير المشاهد تارة أخرى<sup>(٢)</sup>، باعتبار أن عين العقل لا يمكن غمض إحداها وإلا كان الأمر بعيدا عن معيار التأمل وانطلاق الفكر.

﴿يقول أحد العلماء: «إن للعقل<sup>(٣)</sup> عينين يرى بهما، تستمد إحداها نورها من شرع الله، وتستمد الثانية معارفها من العلوم التي أفاء الله لها على عباده من أهل العلم به؛ فمن غمض واحدة منهما فلا يتحقق الخير معه، ولا تقع العتبي الحسنة له»<sup>(٤)</sup>﴾.

والتأمل في العالم المشاهد الفيزيائي قد أخذ بألباب أصحابه الذين أتاحت لهم فرصة الانطلاق فيه، حتى يقوموا بكل إمكانياتهم حول دراسته والتعرف عنه؛ ولذا فهم يتنوعون بين فيزيائي متمسك

(١) يقول الرابع: «وأما العقل، أو تلك الاستمساك والاستمساك، كعقل سعي بالعقل، وعقل الدوام الطن، وعقل المرأة شعريه وعقل لسانه: كفه، ومنه قيل للحنس معقل، وجمعه معقل» [الإمام الراغب الأصفهاني - المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٢]، ويقول ابن منظور: «رجل عاقل، وهو الخاضع لرأيه وأمره، مأخوذ من عقلت المعير إذا جمعت قوائمه. وقيل: العاقل الذي يحسن نفسه، ويردها عن هوانها. أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، ومنه العقل عقلا، لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المنهايات، أي يحبس» [لسان العرب - باب اللام - مادة (عقل) ص ١١٤٥٨/٤٥٩]، وفي المعجم الوجيز: «العقل: ما يكون به التفكير والاستدلال، وتركيب التصورات والتدقيقات. ويتميز به الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل» [المعجم الوجيز ص ٤٢٩]. وبالتالي يعتبر العقل ملكة التفكير، التي يتوصل بها الإنسان إلى التمييز بين الحسن والقبح، والعاقل هو الذي يتبع الحق، ويحسن نفسه عن الباطل. [راجع الدكتور عبد الوهاب محمد - عبد الله سليم - بناء الإنسان في القرآن (رسالة دكتوراه) بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م]

(٢) يطلق لفظ الشاهد على العالم المحسوس، ويطلق عليه أيضا لفظ العالم المرنى، كما يطلق عليه العالم التسميري، كذلك يطلق على العالم غير المحسوس العالم الغائب، أو العالم الغير المحسوس، ويطلق عليه من باب التجاوز العالم الميتافيزيقي، ولأصحاب كل إطلاق وجهة عن ما أهل التخصص فيه.

(٣) أشار القرآن الكريم إلى معنى العقل بعدة ألفاظ منها: ١- العقل: وقد وردت مادة (عقل)، وما اشتق منها في القرآن الكريم تسعة وأربعين مرة، منها قوله تعالى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ (سورة الملوك الآية ١٠). وسوف أعرض لذلك في حبه إن شاء الله تعالى.

(٤) الشيخ رضوان محمد الإسنوي - نظرات في سورة الواقعة ص ١٣٥ ط ١٣٤٥هـ.

بتلايين علم الأحياء<sup>(١)</sup>، يتأمل فيه ويواصل أبحاثه في حدود قضاياه<sup>(٢)</sup>، غير ناظر إلى غيره على سبيل الغرض؛ لأنه حصر غايته في علم الأحياء، والكشف عن غوامضه، والاجتهاد في الوصول إلى نتائج مستحدثة يناظر أمر اكتشافها به<sup>(٣)</sup>، وإن اهتم بغيره مما له علاقة معه فإنما يكون ذلك الاهتمام من باب التبعية لعلم ثابت عنده، لا على سبيل الاستقلال في البحث الجديد.

ومن بين المتأملين من حصر مهمته في دراسة الأشياء والظواهر الفيزيائية، والربط بين هذه الأشياء والظواهر المدروسة بصورة قد تستحسن لدى الفيزيائي المتأمل، وقد لا تستحسن<sup>(٤)</sup>، المسهم أهما يعملان في مجال الفيزياء من حيث التأمل تارة، ومن حيث الدراسة تارة أخرى، وهو ما يؤكد أن الأبحاث الفيزيائية لم تنقطع، ولم يعرف العنم فيها الكلمة الأخيرة<sup>(٥)</sup>.

كذلك تولد عن البحث والدراسة في الأحياء علم البيولوجيا<sup>(٦)</sup>، وبدأت علوم أخرى تتولد عن بعضها حتى تولد علم المشاعر عن علم الأعصاب، وقد تناقلت الأخبار نياً تجمع ٢٤ ألف طبيب وباحث في مجال علم الأعصاب بمدينة أورلاندو. الأمريكية. لعرض خلاصة نتائج العديد من الدراسات والأبحاث التي تؤسس لظهور هذا الفرع العلمي الجديد في مجال العلوم الطبيعية المرتبطة بالإنسان، والقدرة على فهم جميع الوظائف التي تؤديها.

(١) كذلك يسمى علم الحياة. ويعرف علم الأحياء *Biology* بأنه دراسة الكائنات الحية - التي تعيش في الماء والضوء، وعلى سطح الأرض، والتي تتكيف في الشكل والحجم واللون في أساليب المعيشة، وطرق التكاثُر ووسائل الدفاع وتكيف حركات الحياة الأخرى - وتفاعلها مع بعضها البعض، ومع البيئة بوجه عام، وعلاقة ذلك بالإنسان. [راجع للدكتور أمين عرفات، وأستاذ حس السيد الخراس - كتاب الأحياء المقرر على الصف الأول الثانوي ص ٥ - مراجعة د: فاضلة سمير - مطبع - ص ٤٢١ / ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م]

(٢) ريتشارد مورارد - الفيزياء الإحيائية ص ١٥ - ترجمة إهدى النابذ ١٩٥١م.

(٣) الدكتور دوهان رونالد كس - الفيزياء من منظور فيزيائي ص ١٣ - ترجمة هاء رشدي ١٩٩١م.

(٤) الدكتور حس - دزي عبد الجواد - الفلسفة والعلم ص ٣٨٣ / ١٩٣٧م.

(٥) هذه العبارة ترد كثيراً على ألسنة البعض ممن يعملون في مجال الدراسات العلمية، من كان التواضع مهيئاً فضيلة.

(٦) البيولوجيا علم دراسة الأشياء المعقولة، التي تعطي مظهرها بأنها قد صممت لهدف معين، والفيزياء هي دراسة الأشياء البسيطة التي لا تغريها باحتياج إلى تفصيل، وكتب الفيزياء مثل السيارات والكمبيوترات نتائج أبحاثها بيولوجية هي الأعماخ البشرية. [راجع ريتشارد دو كس - الجديد في الانتعاب الطبيعي بيولوجيا ص ٣٣ / ٢١ - ترجمة دكتور مصطفى إبراهيم فهمي - الطبعة المشرقة ٢٠٠٢م]

كما كشفت ذات الأبحاث التي قدمت خلال هذا المؤتمر عن وجود دوائر عصبية لها علاقة بمشاعر الإنسان والمزاج العام له، وكشفت هذه الأبحاث أيضا عن أن هذه الدوائر العصبية تؤثر بشكل كبير على سلوك الإنسان وردود أفعاله تجاه المثيرات المختلفة<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الجانب التأملى في العالم المشاهد نشط العقل<sup>(٢)</sup> البشرى تارة، بغرض التعرف على الإله الخالق العظيم جل علاه، وتارة أخرى بغرض تقديم أدلة جديدة على وجوده تعالى وعلمه وقدرته، وفضله وعظمته، تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام<sup>(٣)</sup>، وهو شأن أهل الإيمان وأصحاب العرفان الذين أسلموا قيادهم لله جل علاه الرحيم الرحمن.

كما نشط فريق آخر من المفكرين في البحث عن العلاقات المتبادلة بين الكائنات الحية، و كينية إزالة الغموض المحيط ببعضها، والتعرف على القوانين التي تحكم هذه المنظومة الرائعة البادية في العالم الطبيعى المحسوس، وكان لأصحاب هذا الاتجاه جهودهم التي نالت بعض القبول حينها، أو الرفض مرات كثيرة<sup>(٤)</sup>.

(١) جريدة لوس أنجلوس تايمز، ومجلة واشنطن بوست نقلتا عن أخبار اليوم (الناشرة) الصفحة الثانية عمود ٨ من أسفل - ٤ رمضان ١٤٢٣ هـ / ٩ نوفمبر ٢٠٠٢ م.

(٢) العقل: عقل الشيء بعقله عقلا، أى فهمه، وهو القوة المدركة في الإنسان، وهو مظهر من مظاهر الروح - محله المنح، كما أن الإبداع خاصة من صفات الروح لأنه الفهم، والعقل به تعرف حقائق الأمور، ويفصل بين الحس والقبس، وهو قسمان: غريزي، ومكتسب. قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب.

وأيت العقل عقلين .. فعليو ومسيو  
فلا ينفع مسيو .. إذا لم يكن مسيو  
كما لا تنفع الشمس .. وضوء العين ممنسو

[ راجع في هذا الشأن الأستاذ محمد مريد وحدي - دائرة معارف القرن العشرين ج ٦ ص ١٤ ص ٥٢٢/٥٢١ طبعة دار المعارف ١٩٢٤ م.

(٣) قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا بِانْ﴾ ويبنى وجه ربك ذو الجلال والإكرام<sup>(٤)</sup> [ سورة الرحمن - الأيات ٢٦/٢٧ ] ومثل تعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام<sup>(٥)</sup>﴾ [ سورة الرحمن - الآية ٧٨ ]

(٤) والبعض يعتبر ذلك من الإعجابات التي أوقع الزمان بعينها، وهو فيما اعتقدواهم. يقر أحد الحكماء نسب لإمام أن حبيبة أنه قال:

نعيب زماننا والعيب فينا .. وما لزماننا عيب سوانا  
وليس الذنب يأكل لحم ذنوب .. ويأكل بعنينا عيانا  
وننهو في الزمان بغير ذنوب .. ولو نطق الزمان بنا هجانا

[ راجع للعلامة الشيخ عبدالمعطي بن سالم السلاوي - البهجة السنية لشرح القصيدة الزينية ص ٣٤ - المطبعة الخمدودة بالناصرة ١٣١٨ هـ. ]



على أن الذي قام بهذه الأدوار كلها هو المخ البشري، العقل الذي جعله الله تعالى قادراً على التمييز بين المتقابلات، وإدراك الفطريات من الكسبيات، والفرقة بين البهيات والاستدلاليات، كما زوده بطاقة عالية من الإمكانيات، بجانب الملكات<sup>(١)</sup> التي تمهد الطريق أمامه، وتدله على ما ينفعه في الدنيا والآخرة، إن هو مع شرع الله استقام، أو عن نزغات الشيطان غفل واستقام.

ونظراً لأن العقل هو حجة الله على عباده في قبول التكليف، وتفهم ما يعث الله له من أنوار، فقد أرسل الله المرسلين، وجعل في المكلفين النبيين مبشرين ومنذرين. قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ إِلَّا كُفْرًا كَثِيرًا ۚ لَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِالظُّلْمِ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِغَيْرِ الْمَقْصِدِ ۚ﴾<sup>(٢)</sup> وسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً<sup>(٣)</sup>.

ولأن العقل البشري عاجز عن الوصول إلى حقيقة ما في العالم الغائب وحده، أو التعرف عليه في شكل تفصيلي، فإن الله تعالى جعل هذا العالم الغيبي مما يأتي به المرسلون، مبلغين عن الله تعالى ما أمرهم به جل شأنه، فاجتمع للكانن المكلف أمران: هما أمر العقل الذي منحه الله إياه<sup>(٤)</sup>، ونور النبوة الذي جعل الله تعالى لطفاً ورحمة لعباده<sup>(٥)</sup>.

وحيث إن للعقل إمكانيات، وتحيط به ملكات؛ فإن النبوة والرسالات متى اتبع العقل السليم تعاليمها - تحفظ عليه كل هذه الإمكانيات والملكات التي خلقها الله تعالى فيه، وتسيبها لديه، حتى يصير علامة متميزة بين أقرانه؛ لأنه بشرع الله ملتزم، ومع تعاليمه جل علاه مثابر<sup>(٦)</sup>.

- (١) الملكات جمع ملكة وهي «صفة راسخة في النفس وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة سبب فعل من الأعمال ويقال لتلك الهيئة كيفية تمسكية وتسمى حالة ما دامت سريرة الزوال فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطنية الزوال تسمى ملكة وبالقيا إلى ذلك الفعل عادة وحلقاً». [راجع العلامة: بحر حقا - التعريفات - ص ٢٩٦ رقم: ١٤٧٨ ط ١ دار الكتاب العربي ١٤٠٥ هـ، ص ٢٤٠ - ط ١ دار الكتاب العربي ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م]
- (٢) سورة النساء - الآية ١٦٥. يقول الشيخ القفطان: «إن الله تعالى يرسل إلى الناس الرسل، مبشرين ومنذرين، لاستفاد فطرته من ركام الآلف والعادة، وتحرير عقولهم من أسر الأهواء والشهوات». [الشيخ مناع حليل القفطان - الحاجة إلى الرسل ص ١٩٦] والمثل «لئلا يكون للناس من عذر أو معذرة يوم القيامة، يعتذرون بها قائلين: ربنا لو أرسلت إلينا رسولا بين لنا شرائعنا، وبعلنا أحكامنا، ففهمنا عليه أن يبعث الأنبياء إلى الناس ضرورة على سبيل اللطف والفضل» [العلامة البروسوي - تنوير الأذهان في تفسير روح البیان المجلد الأول ج ٦ ص ٣٤]
- (٣) يعرف العقل بأنه «نور به جاز خلقه الله تعالى الكائن العاقل، يدرك به العلوم الضرورية والعلوم النظرية» [الشيخ محمد علي العمري - من أعم الله ص ٥٣ ط ١٣١٩ هـ] كما يعرف بأنه: «نور زود الله تعالى به الكائن الحسي حسب مستويات أفراد، تنسج به أمور حياتهم» [الأستاذ النعمان لطفى - العقل الإنسان ص ١٦] وهناك تعريفات كثيرة للعقل فارجع إلى شرح التلوي على من السليم، وكذلك حاشية الدمهوري على من السليم للأخضرى، وذكر العلامة مصطفى أحمد العقباني: «أن القلب يطلق على الحجة المعلومة وعلى العقل أيضاً» [الشيخ مصطفى بن أحمد العقباني - حاشية العقباني على شرحه لعقيدة الدرديري ص ٣ - المصنعة الحسينية المصرية ١٣٢٦ هـ]
- (٤) النبوة عندنا أهل السنة والجماعة لطف من الله تعالى ورحمة بعباده، لا وجوب عليه تعالى، ولا لزوم، ولا غم ذلك، إنما هي التفضل والطف والرحمة من الله تعالى بعباده. [راجع كتابنا: الغزاليات في النبوات ص ٢٩٥ - النبعة الثانية]
- (٥) وفي الحديث القدسي: عن ابن عباس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى أما أتقبل الصلاة ممن تواضع لها لمعطين ولم يستغل علي خلقه ولم يمت مضراً على معصيتي فقط غشاه في ذكرى وأمرهم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المساكين ذلك نوره كنور الشمس أكلاً بعرفي وأستحفظه ملائكتي أجعل له في الظلمة نوراً وفي أختهالة حلماً ومنته في خلقه كمثل الفردوس في الجنة» [راجع العلامة علي بن أبي بكر الخنسي المتوفى ٨٠٧ هـ - مجمع الروائد ومنع الفوائد ج ٢ ص ١٤٧ - باب علامة قبول الصلاة - دار الريان للتراث، وطبعة دار الكتاب العربي القاهرة، بيروت ١٤٠٧ هـ]

يبد أن بعض العقول قد يلجأ أصحابها إلى التأمل في المملوكات بعيداً عن مراقبة النقل المزل أو رقابته، وقد يمارسونه في الجانب الفيزيائي وغيره، معلنين أن العلم للعلم، والدين لدور العبادة<sup>(١)</sup>، وبالتالي يقعون في أخطاء عديدة، وبخاصة إذا اعتقدوا أن العلوم الإنسانية النظرية برهانية، أو أن نتائجها يقينية، أو أن العلوم التطبيقية قطعية في نتائجها وحينئذ تكون النهاية للأبحاث التي يقومون بها، والنتائج التي يتوقعونها، أو يتوقنون إليها.

وقد يتزايد هذا الأمر ويتنامى، حتى يعلب غيره، ويسيطر على المعتقدين فيه الاحتكام إلى أمر العقل وحده، من ثم يصبح العاقل الفطن فيهم بقرائنه صحيحة مكلوم في ليل ظليم، وربما من شدة ما صاح وكثرة ما قام به ينقطع منه الصوت، ولا يبقى معه إلا رجع الصدى، وحينئذ يجد العقلاء في واقع الحياة ما يدفعهم إلى التأمل من جديد، ويفودهم - رغماً عنهم - إلى أعمال هذا العقل مرة ثانية على ناحية مقبولة، لكن أى أعمال للعقل هذه المرة؟ مع أن العقل منحة الله لعباده؟

إنه أعمال العقل في مجهود فكري، بغرض بحث أمور وقضايا ميتافيزيقية، لم تزل حظها من الدراسة المتأنية، والتفكير العميق، كما لم يسبق له فيها أمر التجربة، ولكونها أموراً غيبية فإن السلامة في تناولها من جانب العقل وحده ليست مأمونة العواقب، كما أن التجربة فيها غير ممكنة، باعتبار أن قيد التجربة يقع فيما هو من قبيل المادة وخواصها على الناحية الفيزيقية، أما الفيزيقا فهي ممّا وراء الطبيعة عند الفلاسفة والأمور الغيبية لدى المتكلمين<sup>(٢)</sup>، وبخاصة الميتافيزيقا التأملية.

ثم إن ظهر اتجاهان ميدانها واحد هما:-

(١) الاتجاه العقلي القائم على فهم النصوص الشرعية من خلال النقل المزل نفسه، حتى صار هذا الاتجاه أقرب ما يكون إلى المأثور، وهو مأمون العواقب في أغلب مباحثه ونتائجه.

(٢) الاتجاه العقلي القائم على قدرات العقل وحده. مع الاعتقاد بأن العقل لا يخطئ أبداً، حتى وإن أخطأه فإنها لا تزيد عن كونها مجرد تباين في وجهات النظر، أو مجرد تخالف في الألفاظ المعبرة، وانتمردت اللفظية المشقولة.

وبعيداً عن الاتجاهين السالفين ظهرت اتجاهات أخرى لا تعبر عن نتائج مقبولة، بقدر ما تعبر عن إنفلاتات عقلية حنحت بأصحابها بعيداً، ثم عدت معهم على الأصول القائمة عند الذئب الضاري على الحملان الوديع<sup>(٣)</sup>، وهجمت عليها هجمة الجوارح على فريستها، فظهرت الوضعية

(١) الأستاذ التهامي محمد الخواص - العقل وغروده ص ٢٥ - ط ١٩٤٥ م.

(٢) راجع كتابنا: رياض الأنوار في الميتافيزيقا والأخلاق ص ٦ - الطبعة الثانية.

(٣) هذا مجرد تشبيه ومحاكاة استدعته ظروف العبارة فقط، وكما نقول التشبيه مع الفارق.

بأسانها المختلفة<sup>(١)</sup>، كما ظهرت الأفكار التي زعم أصحابها أحقيتها في البروز فوق سطح الأفكار المقبولة، وما هي في شيء من ذلك كالبراهمية أو مذهب الذرائع<sup>(٢)</sup>.

بات إذن القول بصحة وجود اتجاهات متباعدة في الفكر الإنساني نتائجه ومقدماته، بل أضحي ذلك أمراً متميزاً للعالم، كما ظهر وجود نوع من التباين في النتائج بين النقل المزل المعصوم، والعقل الذي اعتر بقدراته، واعتصم على مكانته المؤمن بالتحربة ونتائجها، وكذلك العقل الجانح بصاحبه إلى حيث الاندفاع والتردى بعد السقوط في المهوى حيناً والمهالك أخرى.

لكن ظهرت بعض نتائج إيجابية لبعض الخطرات العقلية، اقتربت حيناً من بعض المفاهيم المقبولة حول النقل المزل، أو تحتاج إلى بعض الإبانة حتى تسير في إنشاء نتائج النقل المزل، فكان من الضروري بروز فريق الموقفين بين النقل الصحيح والعقل السليم.

❖ **وربما يقال: هل كانت هناك ضرورة تستدعي وجود أصحاب التوفيق بين النقل والعقل، أو بين الدين والفلسفة، أو بين المنتج العقلي والنقل الشرعي؟**

**والجواب:** أن هذا الفريق لم يظهر إلا في رحاب وحماية النقل المزل، باعتبار أن أهل الإسلام هم المعنى بم القيام بهذا الدور - التوفيق بين الدين والفلسفة -، وبالتالي فقد كانت الضرورة الشرعية والعقلية والحياتية هي التي تدفع المفكر المسلم حتى يقوم بذلك الدور الهام والجسوى في نفس الوقت<sup>(٣)</sup>، وبخاصة أن أصحاب العقول الجانحة راحوا يتسورون قضايا الغيب، ويعملون على إبعادها عن مجال الاعتقاد، وطرحها في ميدان المعارف، بحجة أن ما لا يعتقد يمكن معرفته، وما يمكن معرفته ليس بلزوم الاعتقاد في صحته<sup>(٤)</sup>.

كما زعموا أن ما لا يمكن التأكد منه عن طريق التجربة لا يصح الاعتقاد بوجوده، حتى انتهى بهم الأمر إلى إنكار الغيبيات بوجه عام، والسمعيات على وجه الخصوص، فنشأ عن ذلك تيار هدام يقوم على تبني قضايا الإلحاد باسم العلم النظري تارة، وباسم العلم التجريبي أخرى<sup>(٥)</sup>.

في نفس الوقت ظهرت تيارات كلها تريد إما معاضدة تيار الانحراف، أو مقاومته ومحاولة القضاء عليه، فكثرت في المجتمع الواحد الاختلافات، وتوالت الاضطرابات، واشتدت الصراعات،

(١) هناك الوضعية المطلقة والوضعية الاجتماعية والوضعية الطبيعية والوضعية الأخلاقية، والوضعية الأدبية، والوضعية النقدية، وكلها تسميات متعددة، لكن المسمى في الواقع شيء متغارب، إن لم يكن هو ذاته.

(٢) كاختلال مع الماركسية والوجودية والعلمانية وغيرها، مما أفاض في الحديث عنه أصحاب ذلك الاتجاه أنفسهم.

(٣) الدكتور محمد عبدالمهدي الحيشي - دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٣١ ط ١٩٧٧م.

(٤) الدكتور زكريا محمد السيد سلامة - الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص ٦٥ - طبعة دار: خلدية ١٩٨١م.

(٥) راجع كتابنا: أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ص ٧١ ط ١٩٩٦م.

حتى بات المجتمع كله بين قلق لا يهدأ وعواصف لا تثنين، وكلها تدعى أن الحق معها، والباطل قريب غيها، وبذل كل فريق جهده، في إثبات صدق دعواه، وكذب أدلة الآخرين<sup>(١)</sup>.

من ثم فقد كان من الضروري إثبات المبادئ التي يقوم أمر الفلسفة العامة عليها، بحيث يكون الإلمام بتلك المبادئ ضرورة شرعية واجتماعية. بل وغنلية أيضا، بجانب كون ذلك الإلمام ضرورة أخلاقية، وذلك من شأنه أن يعين على إعادة ترتيب الأفكار، ومراجعة كل القضايا التي سبق طرحها على بساط البحث<sup>(٢)</sup>، لكن هذه المرة في موضوعية تامة، من خلال منهج علمي محدد، وهو ما يلزم له إقامة الجزئيات والحديث عنها في حدود الفلسفة العامة.

ومن نافلة القول بأن هذا الجزء من الفلسفة العامة. سيتناول الموضوعات المتعلقة ببعض القضايا الفلسفية التالية:

- ❖ الفلسفة بين النشأة والمفهوم.
- ❖ الفلسفة بين الوظائف والفوائد.
- ❖ الفلسفة بين الموضوع والمجالات.
- ❖ دراسة الفلسفة في البيئة الإسلامية.

من ثم فقد سميت هذا الكتاب باسم (الفلسفة العامة) ولا أزعج أنني أملك الوفاء بكل ما يتعلق بالفلسفة العامة في هذه المحاولة، وإنما هي حصرة أمل أن يوفقني الله تعالى إليها دراسة موضوعية، وناحية معرفية، باعتبار أن تاريخ الفلسفة تمتد نحو الماضي ضارب في القدم، كما أن اتجاهات الفلسفة والفلاسفة متنوعة نتج عنها تنوع آخر في مناهج الدراسة بجانب الموضوعات، بل ظهرت مدارس فلسفية متعددة، وأنماط فكرية متباينة. وفلسفات تأملية وأخرى نقدية، وتنوعت كل منهما، فمنها المثالية والعقلية والتحريرية، إلى غير ذلك من التسميات والمسميات، وكلها تحتاج المزيد من الدراسة.

وسوف أبذل جهدي كله في تدعيم مادة هذا الكتاب العلمية بالنصوص النقليّة الشرعية الإسلامية، حتى يعتاد طالع العلم مزج العلوم بعقيدة الخالصة بالعلوم الشرعية على ناحية الإفادة منها، وبيان أن النقل الصحيح لا يعارض نتاج تعقل السليم.

ومن المناسب القول بأن هذه المحاولة إن تعبر عن وجهة نظر مقتصدة، فإن أمكن الوفاء بالمطلوب؛ فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وإن تكن الأخرى فمن نفسي، وغلبه الهوى، وأسأل الله السر في الدنيا والآخرة: إنه نعم المولى ونعم النصير.

(١) راجع للأستاذ محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة ص ١٠٣، وكتابه: في انبثارات الفكرية ص ٤٥.

(٢) راجع كتابنا: الفلسفة (مفهومه - برامج - حقائق) فيه تفاصيل بعض هذه الأصول.

﴿١٥﴾

﴿قَالَ تَعَالَى: «رَبَّنَا لَا تَوَاضِعُنَا أَنْ نَسُبَّكَ أَوْ أَخْطَأَنَّكَ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»﴾<sup>(١)</sup>

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دكتور

محمدين موسى محمد الفزالي

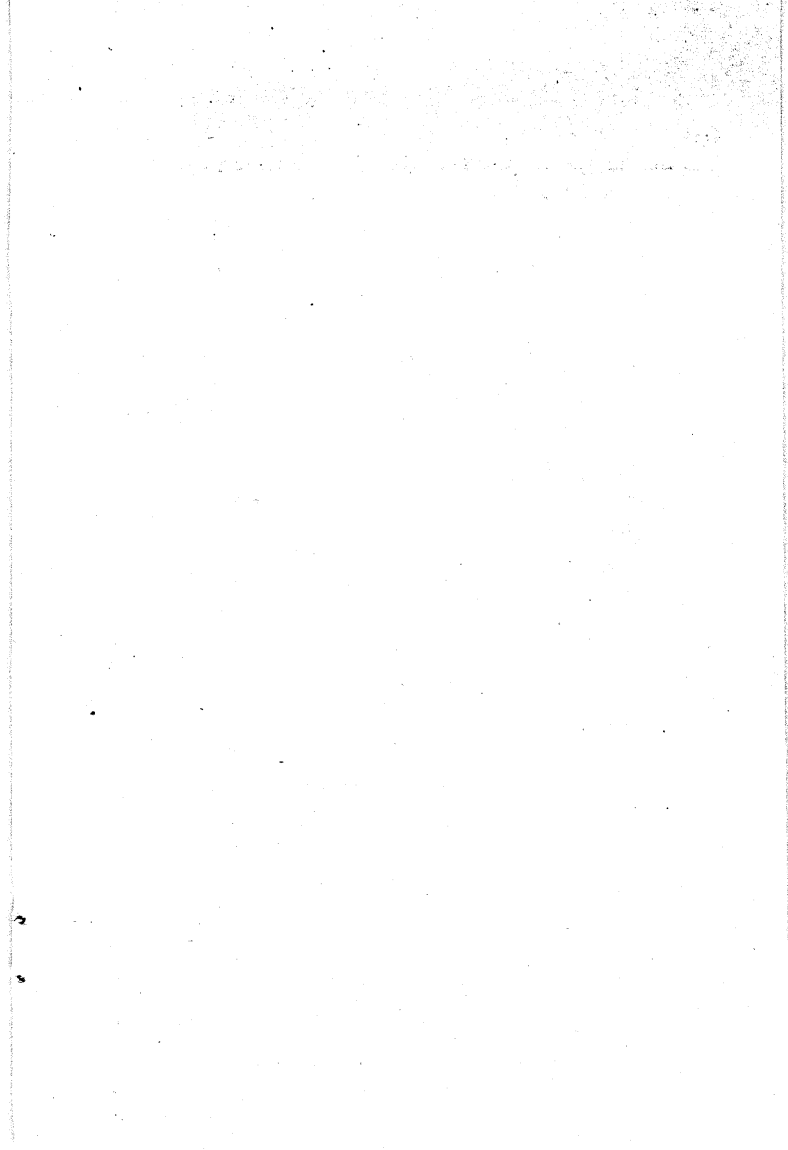
غزالة الجبلين مركز الزقازيق شرقية

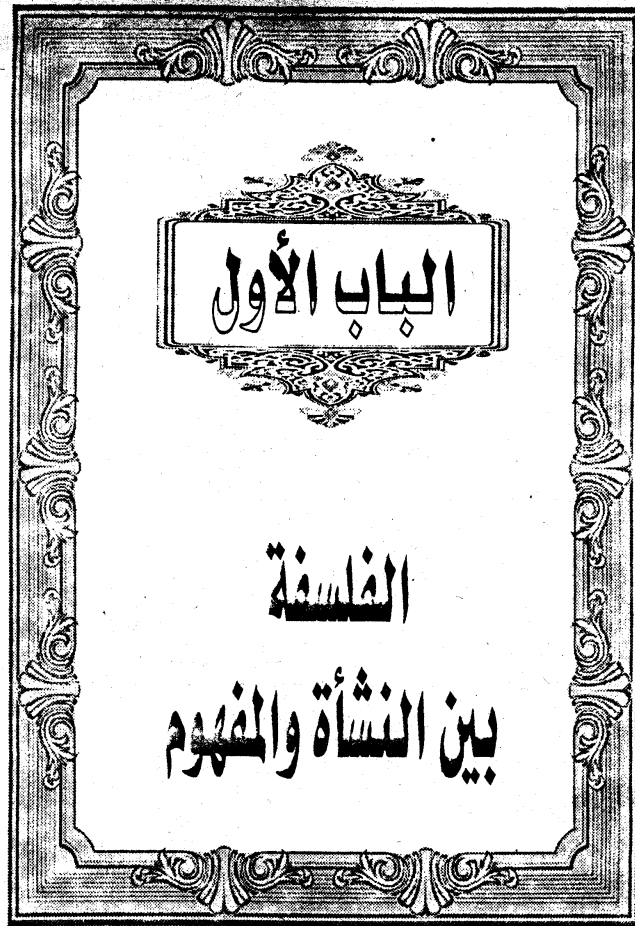
أول شهر ذي الحجة لعام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م

ت: ٠٧٥ / ٢٢٠١٠٧٥ / الزقازيق

غزالة ٢٣٧٤٣٨ / ٥٥٠

(١) سورة البقرة - من الآية ٢٨٦ .

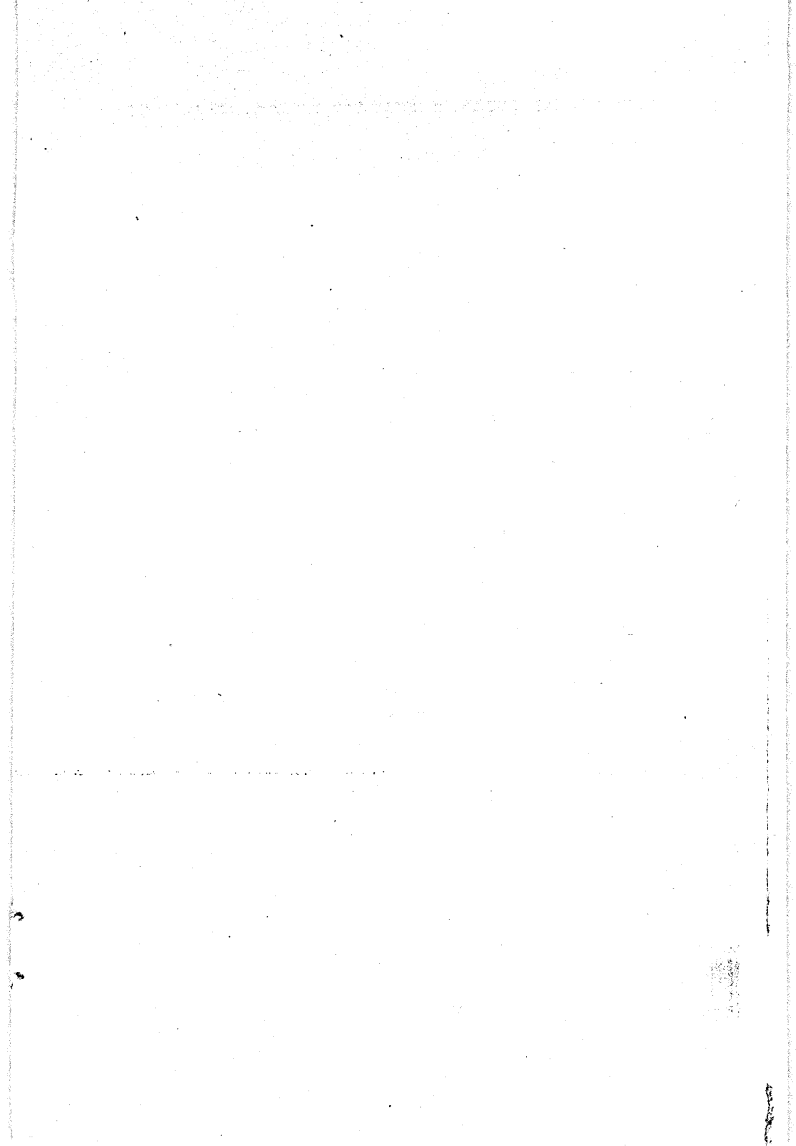




الباب الأول

الفلسفة

بين النشأة والمفهوم





من المرجح لدى الدارسين أن كل علم من العلوم أو فن من الفنون، لابد أن يكون له من تعريف يجمع أطرافه، ويفصله عن باقي العلوم على سبيل التمايز؛ لأن التعريف بيان وتفصيل، استقلال وتوضيح، وهذا التعريف يدور حول المفهوم على ناحية الأصل.

❖ **إفّن هذا هو المفهوم أولاً، ثم ما هو مفهوم الفلسفة ثانياً؟**

**❖ والجواب :** أن المفهوم عند المناطقة: هو مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى كلي<sup>(١)</sup>، ومعنى هذا أن المفهوم هو جملة الصفات والخصائص، أما الماصدق فهو الأفراد الذين تنطبق عليهم تلك الصفات والخصائص الكامنة في ذات المفهوم، كمفهوم لفظ إنسان مثلاً، فإنه ينطبق على كافة أفراد الإنسانية - ذكورها وإناثها "محمد، حازم، بدر الدين، هبة الله، نعمة الله، رحمة الله- فإنما جميعاً يمثل أفراد الماصدقات التي تنطبق عليها سمات المفهوم من لفظ الإنسان<sup>(٢)</sup>.

وبناء عليه؛ يكون مفهوم الفلسفة - من هذه الناحية - : هو مجموعة الخصائص والصفات الفنية الدقيقة، القائمة على التأمل العقلي الخالص، التي تجمع بينها كافة أنواع التفكير العقلي الحر، وتسمى به الفلسفة على ناحية المفهوم من اللفظ ذي المعنى المحدد.

❖ أما عن تعريف الفلسفة من الناحية الاصطلاحية الحديثة، على طريق الجمع والمنع، فذلك أمر يصعب السير فيه على ناحية مأمونة. **أما لماذا؟**

❖ فلأن البحث الفلسفي حلقات متواصلة لا تنقطع، وحركة مستمرة متواصلة لا تتوقف، والممارسون له يختلفون أقطابهم الفكرية، وأرصدتهم الثقافية، وبالتالي فكل من يتعرض للفلسفة بالدراسة، فإنه يعمل على تقديم تعريف لها من جانبه هو، أو من ناحية الموضوع الفلسفي الذي يتناوله، وهنا تكمن صعوبة العثور على تعريف اصطلاحى، بحيث يكون شاملاً للفلسفة في كل عصورها المختلفة، ويكون يحيطه على ناحية حديثة، حتى يكون التعريف محل اتفاق بين جميع الدارسين وفي كل العصور<sup>(٣)</sup>.

❖ كما أن من يحاول تقديم تعريف شامل للفلسفة على ناحية اصطلاحية ملتزماً بالتعريف الحديث، يكون كمن يطلب أمراً غاية الصعوبة<sup>(٤)</sup>، نظراً لأن التعريف الحديث للفلسفة ليس ممكناً، بل هو في

(١) الشيخ محمد الرئان - معطلحات المنطق القديم ص ٥٣ - ط دار شفيق ١٣٣٥ هـ.

(٢) يمكن مراجعة المفهوم والماصدق من الناحية المنطقية في كتابنا: الغزاليات في منطق التصديقات، ومن الناحية الفلسفية و كتابنا: رياض الأشراف في الميتافيزيقا والأخلاق. وليريد من التفاصيل تراجع الكتب الأصلية كتحرير القواعد المنطقية، وشرح القطب على الشمسية، وغيرها من ذات المصادر.

(٣) سوف أعرض أساس ذلك في شكل تفصيلي - إن شاء الله تعالى - حسب توفيق الله تعالى. وم ددت على الله بعبير.

(٤) الدكتور: أحمد أمين، والدكتور: دكي خيب محمود - قصة الفلسفة اليونانية ص ٦ ط ١٩٣٥ م - جنة التأليف والترجمة والنشر (تصرف في العبارة) ومال إلى هذا الرأي كثير من أهل الاختصاص.



وجود الله تعالى، وإثبات كمالاته وصفاته ذاته<sup>(١)</sup>، وكذلك بيان الفرق بينهما وبين صفات الأفعال<sup>(٢)</sup>، وذلك كله من شأنه المعاونة في بناء مجتمع مثالي متكامل.

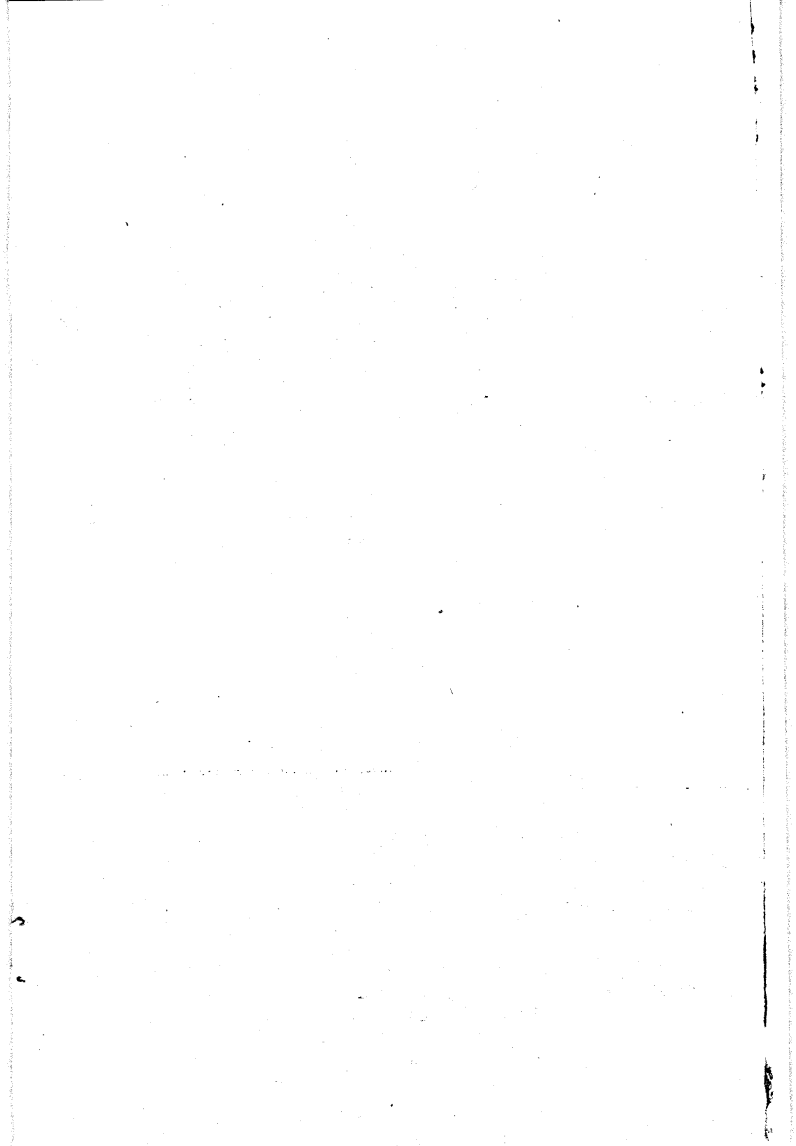
كما أن للفلسفة جملة من النوائد لا تفصل عنها، وذلك مما يسترعى الانتباه، ويدعو للفخر والإعجاب كمعرفة الحقيقة للخالق، بعد كشفها وفصلها عن المقاربات معها؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن يثقلها أن وجدها<sup>(٣)</sup>، بجانب تفصيل وسائل السعادة ومقاصدها، ثم الدفاع عن العقيدة الإلهية، واستحداث أنماط فكرية جديدة، مع المشاركة في بناء ألوان من التفكير الجاد المادف، وذلك مما سيحيي في شيء من التفصيل إن شاء الله تعالى .

وغير خاف على دارس منتصف أن هذه المباحث العقلية ليست أول من رادها أو ارتضى السير في دروبها الوعرة عن طيب خاطر، وسلامة طوية، كما أن ليست الأخير، وذلك كله مما سأفصل القول فيه - طبقاً لتوفيق الله تعالى - .

(١) كمالات الله تعالى لا تنتهي، إذ ليس كمنته شيء وهو السميع البصير، وإثبات تلك الكمالات على الناحية العقلية التأمينية بعيد الفكر المسلم الذي يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ مِنْ حَيْثُ سَبِيلُكَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ أَنْتَ الْغَافِلُ﴾ [سورة النحل - من الآية ١٢٥]

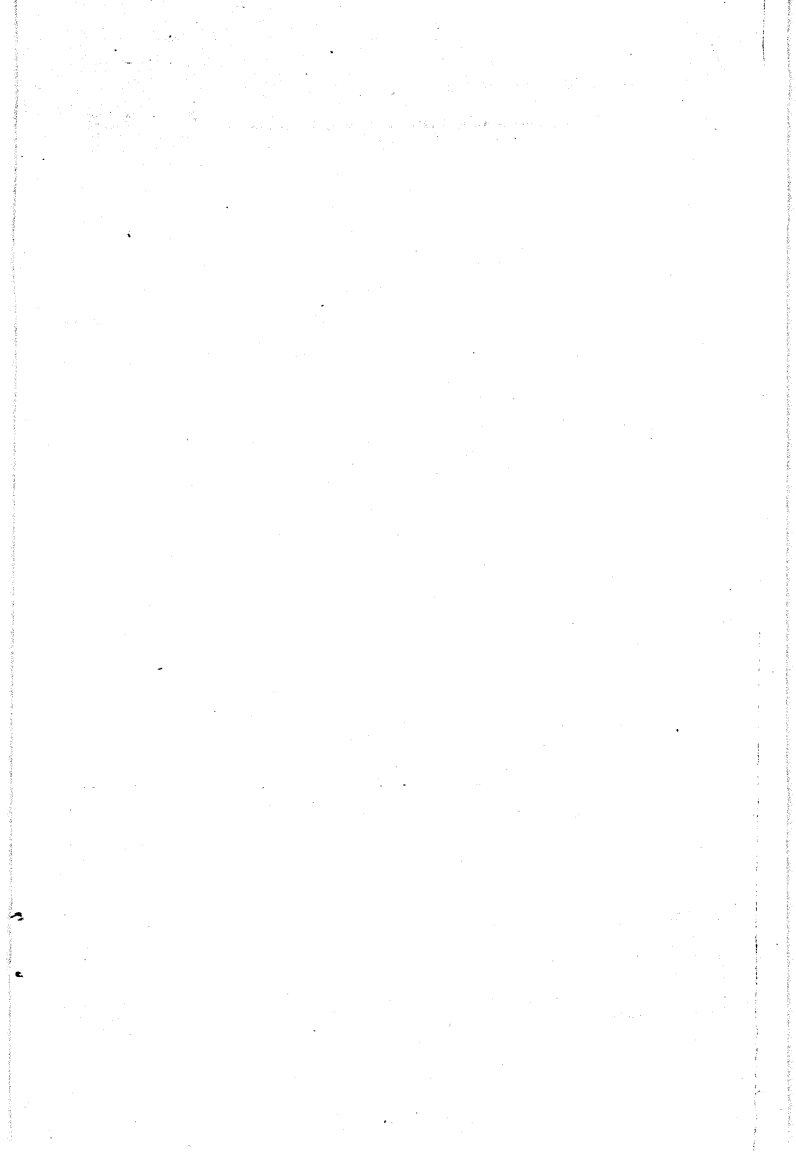
(٢) صفات الذات الإلهية ما لا يطلق اسم الصفة إلا على الله تعالى وحده، كالخالق والرازق والحي والميت، أما صفات الأفعال فهي ما يقع اسم الصفة على سبيل الاشتراك في اللفظ فقط، بين الخالق حل علاه المستغنى وبرز المحلوق اغتصاح، كالحى والسميع والبصير، مع وجود الفارق الكبير بين مفهوم لفظ الصفة من ناحية الخالق، أو من ناحية المحلوق. [راجع في هذا الشأن: حاشية المرحوم على مطالع الأنوار على طرالع الأنظار ص ٩ - المقتطفة الأخيرة، وكتابات - سير التوليد في علم التوحيد]

(٣) في الحديث الشريف عن أبي هريرة أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها». [الإمام ترمذي - سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٥١ - الحديث: ٢٦٨٧، وأخرجه الإمام ابن ماجه - سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٣٩٥ - باب الحكمة - الحديث: ٤١٦٩]



الفصل الأول

نشأة الفلسفة



لما كانت الفلسفة عملاً عقلياً حراً، فقد تنازع أصحاب العقول في تاريخ نشأتها، والأصل الذي قامت عليه، وكل حاول تأكيد وجهة نظره بما يظنه أدلة تدعم موقفه، ومن ثم فقد تنامي ذلك التنازع حتى امتد فشغل مساحات واسعة من الأفكار، كما شغل جملة من أصحاب العقول التي تبنت بعضها ورفضت البعض الآخر، حتى بات من الصعب اجتماع هذه الأطراف على قاعدة واحدة في سهولة ويسر. أما لماذا؟

فلأن كل مفكر أو مجموعة قد تبنت موقفاً تمسكت به، ولم تحاول الابتعاد - ولو قليلاً - عنه، حتى تتمكن من تأمله وإعادة النظر في الجوانب التي قام عليها، كما أن كل مجموعة منها قد تعصبت لذات الرأي، واندفعت في مقاومة الاتجاهات المضادة، حتى وصفت هذه الدفاعات بأنها المستحيلة لكل الوسائل، بغض النظر عن النتائج المترتبة على ذلك<sup>(١)</sup>.

إذن بات أمر النشأة للفلسفة فيه من الغموض، بقدر ما في الفلسفة ذاتها من غموض متعمد، فاق بخلافاته مشكلات فلسفية كانت صعبة المثال، ويعز الاقتراب من القواعد التي قامت عليها. لكن هذه الاختلافات حول النشأة يمكن إجمالها على ناحية الأصول التي قامت عليها فيما يلي:-

### الأول: أصحاب النزعة العرقية الغربية

وهم الذين يذهبون إلى أن أول بواكير الفلسفة إنما كانت إغريقية الأصل والموضوع والمنهج، بجانب النتائج، متعللين بأن الفلسفة أول أمرها كانت رهينة العقلية اليونانية، التي ابتدعت البحث الفلسفي في صورته الأولى، ووضعت في إطاره الصحيح، باعتبار أن أمة اليونان هي أقدم الأمم، التي أولع مفكروها بالبحث العقلي والتأمل الفكري، وبخاصة البحث عن العلة الأولى التي نشأت عنها الكون<sup>(٢)</sup>.

### ١- عن أدلتهم

لكن وحتى لا تكون دعواهم بغير أدلة تميمها، فقد لجأوا إلى تبريرها والدفاع عنها، معتمدين على الأدلة الآتية:-  
\* الأول: أن العقلية اليونانية عقلية مبدعة في طبيعتها وتكويناتها الفطرية، كما أن هذه العقلية ترفض التصديق بالآوهام والخرافات، كما ترفض قبول الأساطير<sup>(٣)</sup>؛ لأن طبيعتها تدفعها إلى التمسك بالبحث العملي الذي يقوم على أدلة صحيحة، بغض النظر عن قائله، وكل العالم مدين في ثقافته وحضارته للفلسفة اليونانية، التي أنتجت الحضارة اليونانية<sup>(٤)</sup>.

(١) الدكتور محمود حسن قاعود - الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ٣١ ط دار منار ١٩٧٥ م.

(٢) الدكتور فاضل محمد سليمان - الفلسفة اليونانية مذاهب ونظريات ص ١٥ ط ١٩٦١/٢ م.

(٣) الأساطير أسطورة كما قالوا أحدوتة وأحاديت. [ لسان العرب ج ٤ ص ٣٦٣ ]

(٤) المستشرق توماس يالوري - الحضارة الأوربية القديمة ص ٧٤ ط ١٩٦٧ م ترجمة هناء رمزي .

ثم يذهبون إلى أن هذا الاجتماع - في إرجاع الحضارات إلى اليونانية - تؤكد الدراسات العديدة نظرية وعملية، كما تنف له كل الأسانيد التاريخية<sup>(١)</sup>، بل إن أهل الشرق كانوا عينا على التراث الإغريقي الذي ملأوا منه بكل ما أمكنهم، وكانوا يرسلون بعثاتهم إليه ويترجمون مؤلفاتهم اليونانية إلى اللغات الأخرى؛ بغية الاستفادة منه، وما يزال الغرب حتى يومنا هذا يؤم الناس في الثقافة والحضارة، وكل أنواع الفكر الراقى<sup>(٢)</sup>.

❖ **الثاني: أن البيئة الإغريقية ذات طبيعة تعين على ممارسة التأمل العقلي والبحث العلمي في مجال الفيزياء والميتافيزيقا معا، إذ ليس من المعتول أن تقف العقلية اليونانية الناضجة في ذات البيئة المتطورة عند حد التقليد للغير، أو ابتلاع الأفكار التي يهيمس بها الآخرون، إن ذلك ليس من اليسير قبوله، كما أنه لا تدعمه الوثائق الصحيحة<sup>(٣)</sup>.**

بل على العكس من ذلك تماما، هو الذي يمكن مرده إلى العقلية والبيئة الإغريقية، إنها بيئة معطاءة على الدوام، عاشت وفيها عقليات ناضجة مع الأيام، ومن ثم فلا يمكن القول بأن الفلسفة نشأت في مكان آخر سوى بلاد اليونان، حتى لو اختلفت الموضوعات أو المناهج، وتناقلت الغايات<sup>(٤)</sup>؛ لأن العبرة بالبيئة التي أنتجت تلك العقلية، أو أن ذات العقلية قد نشأت في ذات البيئة<sup>(٥)</sup>، فأنشأت الفكر الفلسفي الراقى.

كما أن هذه البيئة كانت ذات طبيعة جغرافية تسمح بتبادل التجارة والرحلات، وقد أدى ذلك كله بنقل الثقافة اليونانية إلى كل بلدان العالم القديم، الذين كانت لديهم فرصة اقتباس الثقافة اليونانية واكتسابها من مصادرها، كما كانت لهم تطلعات في ماثلة الأمة الإغريقية حضاريا<sup>(٦)</sup>، وقد ساعدتهم ذلك على تفهم الثقافة التي أنشأها اليونان، وكانت الفلسفة عمادها الأساسي.

❖ **الثالث: أن من أبرز الشخصيات التي رسمت الخطوط العريضة للفكر الفلسفي في تاريخه الطويل لم تكن إلا يونانية، يستوى في ذلك عصر ما قبل التنسلف المنظم، أو عصر التنسلف المنظم، إلى يومنا هذا،**

(١) مارتن باول - الحضارة الغربية وأثرها في العلوم الإنسانية ص ٨٧ - ترجمة جيان مرقس ط ١، الخديعة ١٩٦١  
(٢) الدكتور حسن محمد ثروت - أوروبا والحضارة ص ٧٣، وقد نسب القول إلى المستشرق الهولندي جيمس وكتابه حضارتنا ص ٢١.

(٣) المستشرق القس بللورى - الحضارة والعالم القديم ص ٦٥ - ترجمة الأستاذ فوزى إسكندر ١٩٥٧ م.  
(٤) الدكتور حسن محمد ثروت - أوروبا والحضارة ص ٨٨، ونسب هذا القول إلى المستشرق الكندي الفونسو روتيران وكتابه الحضارة الغربية ص ٥٣.

(٥) من المؤكد أن هذا التردد لا يعثر لصالح الدعوى القائمة على أن بلاد الإغريق هم الذين أنشأوا التفكير الفلسفي، أو أقام الذين ابتدعوه، بل أنه يضمف مزاعمهم إلى أبعد حد، فهو من الأدلة المنقولة عليهم.

(٦) الدكتور سمى محمد عبد الوارث - أوروبا بين الماضي والحاضر ص ٣١ طبعة أولى ١٩٦٧ م كركوك.



أولئك الذين كانت لهم جولات تأسست عليها دولة الفلسفة في العالم كله<sup>(١)</sup>، ولم يعرف التاريخ الفكري عددا من الفلاسفة اللامعين في أي مكان من العالم، يمثل ما عرف عند بلاد الإغريق، مما يؤكد أن الفلسفة نشأت أول أمرها إغريقية.

❖ **الرابع:** أن الأبحاث الفلسفية وكذلك الموضوعات التي جرى بحثها على الناحية الميتافيزيقية ما هي إلا نتاج لجهودات ذهنية في مجالات معرفية ثابتة الأصل راسخة القدم في أنماط حياة رجال الإغريق<sup>(٢)</sup>، بحيث إذا نظر إليها ناظر فمن أول وهلة يعلن أنها يونانية المنشأ والزرعة، كما هي يونانية المنهج والنتائج، ومن المستحيل نسبة هذه المباحث لغير الفكر الإغريقي.

أضف إلى ما سبق أن المعرفة ليست وليدة العقلية التي تكتفى بالامتصاص لآراء وفضائل الآخرين، وإنما هي نتاج حقيقي لا يصدر إلا عن عقلية متطلعة وثابتة، ومن شأنها التأليف والابتكار، كما أن في طبيعتها الميل إلى الإبداع على النواحي المختلفة<sup>(٣)</sup>.

ثم إن ما في طبيعة الإنسان اليوناني خاصة، والغربي عامة، من ميل لاجتياز الصعاب، والتحليق فوق السحاب، بجانب الميل الطبيعي للترحال، وحب التجارة، والمساهمة في نقل معارف وثقافات الآخرين وتلقيحها بأصول يونانية، يجعله مبدعا على أعلى المستويات، ومن ثم فقد ساعد ذلك كله على انتشار الثقافة اليونانية في سائر بلاد العالم<sup>(٤)</sup>، وفوق ذلك فقد كانت لدى هؤلاء الأفراد تضغعات انتهت بهم إلى الاندفاع في نقل الثقافة اليونانية للأمم الأخرى، حيا في المعرفة، ورغبة في تحقيق نوع من الانتصار على تلك الأمم في الميادين المختلفة، وبخاصة في ميدان الانتصار الثقافي، الذي اندفع اليونانيون لممارسته على أوسع نطاق<sup>(٥)</sup>، ولم يتمكن أحد من مجاراتهم في هذا المسعى، أو غلبتهم في هذا المضمار.

❖ **الخامس:** إن المعيار في نسبة الفلسفة إلى مجتمع ما يأتي دائما بعد نسبتها إلى أهل اليونان. وبالتالي فالإيونانيون هم الأسبق في تقعيد الفلسفة، والأسبق أيضا في تأسيس دولة الفلسفة، ثم هم أيضا الأجدد بطرح المشكلات الفلسفية والبحث لها عن حلول صحيحة تناسب معها<sup>(٦)</sup>، وكذلك استنباط مبرهنات أخلاقية، ونتائج تحقق غايات كبيرة.

(١) الدكتور فوزي محمد الغرياني - الفلسفة اليونانية ومدارسها ص ١٥٧ طبعه أول ١٩٧١م.

(٢) أحمد توماس هير - الفلسفة الإغريقية ص ٥١ ترجمة حنان عبدالمقصود ١٩٧٣م.

(٣) الدكتور فوزي محمد الغرياني - الفلسفة اليونانية ومدارسها ص ١٥٩.

(٤) الأستاذ صبحي محمد أبو العلا - محاضرات في الثقافة العامة ص ١٦٥ طبعه أول - الدار القومية ١٩٥٧م.

(٥) الدكتور صبري محمد عبدالوهارث - أوروبا بين الماضي والحاضر ص ٥٧.

(٦) الدكتورة هبة محمد المقذوح - اختصارا في مراحلها الأولى ص ٧١ ط دار الهدى ١٩٨٦م تونس.

غير أن هنالك سببا لا يقل أهمية عن سابقه، وهو أن اليونانيين كانوا يمارسون الفلسفة من باب إشباع الرغبات، والتي منها استرداد الأرضة الفكرية السالفة، أو تحقيق بعض الأحلام التي راودت المفكر اليوناني قديما، حتى جعلته يسعى حثيثا لاكتساب أرض فكرية جديدة، تكون له عوضا عن المزايم المتلاحقة التي أوقعها باليونانيين خصومهم الأشداء في الماضي<sup>(١)</sup>، حيث كانت لهم مهارات عالية، وفروق فردية في الأعمال العسكرية، كما كانت لهم تطلعات اجتماعية على العديد من النواحي التي كان اليونانيون يهتمونها أو يفتقدونها، ومن أسطرها النواحي القتالية، متى كان القتال في ميدان متعدد الجهات، فكان سعيهم للفلسفة، لتكون بمثابة التعويض الكامل عن إصابات المفكر الآخر.

❖ **السادس: ميل اليونان إلى التعرف على الحقيقة المجردة لذات الحقيقة لا شيء آخر:** فالفلسفة بناء على ذلك خلق عبقرى أصيل، جاء لدى اليونان على غير مثال، ومن الدلالات على ذلك أن أخص ما يميز التفكير اليوناني هو التماس المعرفة لذاتها، وهذا النوع من المعرفة قد نشأ لأول مرة في ظل اليونان، كما عاش في كنفهم مدة طويلة<sup>(٢)</sup>.

وعلى فرض أن بلورا فلسفية قد ظهرت في بلدان أخرى من العالم، قبل ظهورها لدى الغرب، فلا يعني ذلك أنها فلسفة، أو أنها فكر فلسفي، إنما لا تزيد عن كونها شطحات عقلية، لا تتجاوز خيال أصحابها، أما الفلسفة اليونانية؛ فقد كانت إنتاجا منظما لا مثيل له، بل هو من السمات الجوهرية التي تميز العقلية الأوروبية<sup>(٣)</sup>.

وفوق ذلك فإن هذا الميل قد عززه في بلاد اليونان تحرر العقل من القيود التي تحسول بينه والانطلاق الفكري، كالأظمة الاجتماعية والدينية، أو الظروف الاقتصادية، التي ظلت سائدة في بلدان العالم القديم عدا اليونان، الذين كانت لهم فرص عقلية واسعة، وظروف فيها من الساحة ما غطي جنبات الحياة، ودفع المفكر إلى الإبداع واستثمار كل طاقاته البداعية، بل والانطلاق به نحو التحليق العلوي مرة، فتنشأ الميتافيزيقا وأخرى نحو العالم الأرضي، فتثبت قواعدها، ومن خلال جنبات العالم المشاهد تأتي الفيزيقا وسائر العلوم الأخرى<sup>(٤)</sup>.

(١) أ.هـ. توماس هير - الفلسفة والافتخار ص ٥٥ - ترجمة الأستاذ مرج أنس ط ١٩٥١م بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين.

(٢) الدكتور توفيق الطويل - أسس الفلسفة ص ٣٣ ط النهضة المصرية ط ٤.

(٣) إميل برهية - اتجاهات الفلسفة ص ١٨ نقلا عن الفلسفة أصدرها وعامل ستألفا للدكتور السيد محمد صبحي ص ١٧ ط ١٩٨١/١م.

(٤) الدكتور محسن السيد رزق - الفلسفة واتجاهاتها ص ١٥ ط ١٩٥٧م.

### بـ مناقشة أدلتهم

وفي تقديري: أن هذه الجوانب التي اعتمد عليها أصحاب القول بأن نشأة الفلسفة كانت أولاً في بلاد اليونان، قد قفزوا إلى النتائج من غير أن يتعرفوا القواعد الصحيحة، وبالتالي فنتائجهم ليست لها مقدمات يمكن اعتبارها موصلة إلى حقائق علمية، أو يمكن النظر إليها على أنها تفسير علمي مقبول لنشأة الفلسفة في بلاد الإغريق.

وهو ذلك لما يلي:-

\* أ. ظهور النزعة العنصرية الاستعلائية في الدعاوى التي حاولوا تبرير مواقفهم بها، وجلة من المستشرقين المتعصبين هم الذين يحاولون دعم ذات الدعاوى بجمل إنشائية شيع فيها اللغة الحرة، التي تختل الصدق والكذب بنسب متساوية، والمعروف لدى علماء الأصول أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال، فقد سقط به الاستدلال<sup>(١)</sup>، ومن ثم فإن دعاوهم سبق الأمة اليونانية أسم الأرض في إنشاء الفلسفة لا أصل له.

\* يد أن القدرات العقلية قاسم مشترك بين أفراد الإنسانية كلها، حتى قال ديكارت: «إن العقل أعدل الأشياء قسمة بين بني الإنسان»<sup>(٢)</sup>، فمحاولة إلصاق النقص العقلية بالأمة الأخرى، وإمياز الأمة اليونانية بالقدرات العقلية، ضرب من الخيال وقسمة ضيزى<sup>(٣)</sup>.

كما أن الاعتماد على ما في طبيعة بلاد الإغريق من سوامل تدفع للبحث العقلي المتمايز، إنما هو خيال غير حصص؛ لأن الله تعالى منح كل بيئة طبيعية العديد من العوامل التي تكون بمثابة أسس صحيحة، ليقام عليها التطور في أنماط الحياة، رحمة من الله تعالى ولطفاً بعباده<sup>(٤)</sup>، بدليل أنه ما من مجتمع إلا وقد حصل بينه والشعب المقيم به نوع من التآلف والتآزر الذي يحقق مصالح أفراد ذلك المجتمع، يستوى في ذلك الشرق والغرب بلا تمايز.

ثم إن دعوى تحرر العقل اليوناني من القيود الاجتماعية والسياسية والدينية، لم يكن لها وجود لدى اليونان، وإلا ما حكم على سقراط بالإعدام<sup>(٥)</sup>، فأين هي الحرية العقلية، بدليل أن التهامات

(١) الشيخ محمد عبد العظيم الكلاوي - حواشي على المحصول ص ١٧ ط ١٩٢٧ م.

(٢) الدكتور فوزي حسن رمضان - ديكارت وفلسفته ص ٤١ ط ١٩٥٧ م.

(٣) قال تعالى: ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾ [سورة النجم - الآية ٢٢] «تلك إذا قسمة ضيزى جائزة من ضارده بفسيره إذا طلعه وجار عليه» [تفسير الجلالين ج ١ ص ٧٠١] وضار في الحكم جار و ضارده حقه نفعه ونفسه. | مختار الصحاح ج ١ ص ١٦٢ مادة: ض ي ز

(٤) لأن ذلك عندنا نحن أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح من الطائفة التي قال تعالى ورحمته إذ لا تيب على الله نعتار شيء أبداً، ولا شك أن استيفاء كل بيئة الأرواح الصحيحة لأنماط الحياة، إنما يمثل دليل العناية الذي يهتم به ولاسعة الإسلام في إثبات وجود الله تعالى.

(٥) راجع كتابنا: حواطر حثينة في الفلسفة الحديثة ص ٩٨، وكتابنا: رياض الأشواق في التمايز بقا والأحلاف ص ٨١

سقراط التي لقي حتفه بها، إنما كانت تقوم على خروجه عن الخط المرسوم من الكهنة الدينيين نحو الآلهة اليونان، وإفساد الشباب، وهما همتان قامتتا على الجانب الديني والسياسي.

ومن ثم فلا يمكن القول بأن اليونان كان لديهم تفرع ديني أو سياسي، والمطاردات التي قام بها الكهنة اليونان، أو التي مارسها رجال السياسة في ملاحقة أصحاب الفكر الإبداعي، من الأدلة القوية التي تدحض دعوى سبق اليونان على غيرهم من هذه الناحية، أو أن اليونان كما يتمتع أهلها بالتمتع بالعقل من قيود الدين أو السياسة.

ج. إن حب الأساطير وحكايتها، قاسم مشترك بين كل الأمم؛ لأنها تمثل نوعاً من استحضات الجانب الخيال في العقل الإنساني على ممارسة دوره النشط في الحياة، وكانت أمة اليونان في الماضي تحتفظ بجملة من الأساطير والحرفات<sup>(١)</sup> التي يتناقلها الآثينيون على وجه خاص<sup>(٢)</sup>، ويقصونها على ناسبتهم بغرض التسلية أحياناً، وغرس الخوف أو الشجاعة فيهما حيناً آخر<sup>(٣)</sup>.

وكان لهذه الأساطير من الأثر على العقلية اليونانية، ما جعلها تنشئ أساطير جديدة، أو تستولد من جملة الأساطير المخفوظة أساطير أخرى، كالحال مع أسطورة بوكريف<sup>(٤)</sup>، وأسطورة المزد، وأسطورة معارك الآلهة<sup>(٥)</sup>، إلى غير ذلك من الأساطير التي ملأت ساحة البلدان اليونانية في الماضي،

(١) أخرافات: جمع مفردة خرافة، وكان في الماضي خرافة هذا من ساكني المدينة المورة قبل الإسلام، وكان يذهب إلى مواضع الجن فيقابلهم ويعتدي على أماكنهم ويهزأ بهم، كما يلوذ أطمعته ومياه شربهم، فلما أكثر من ذلك أصدروا حكماً عليه بالعرب لمدة عام، كانوا يرونه من الأعين الكثير، مما لا يمكن تصديقه، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة قال الصحابة من أهل المدينة يا رسول الله: إن خرافة يندبنا أحاديث عجب. فماداً نعمل لها أنصديقاً أم نكسب بها؟ قال ﷺ لا تصدقوا خرافة، حيث كان يؤذي الجن فعربته عاماً، فكانت تربيه من ألعينها ما يجسد لكيم، فلما انتهت المدة عاد خرافة إلى عقله، ولم يقل حكاية أخرافات، وفي الحديث الشريف: عن عائشة قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم تساه ذات ليلة حديثاً فقال: «رأيت منهن يا رسول الله كان الحديث حديث خرافة فقال أتدرون ما خرافة، إن خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهن دهرًا طويلًا ثم رده إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهن من الأغاييب فقال الناس حديث خرافة. [الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج ٦ ص ١٥٧ رقم: ٢٥٢٨٣، وراجع للهيتمي - مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣١٥ - باب عشرة النساء]

(٢) الذكورة مرزبة محمد السيد - الأسطورة ودورها في الإبداع الأوربي ص ٢٣ ط ١/١٩٨١ م.

(٣) الدكتور زكي محمد زكريا - فائدة الأسطورة في القدم ص ٧١ ط ١/١٩٦٢ م.

(٤) نعت أسطورة بوكريف من أكثر الأساطير اليونانية شهرة ودورها، ذلك لأنها قامت على الصراع بين الكهنة الذين احتكروا في صراعهم إلى راع صعر أوتي من العلم والحكمة ما جعلهم يتصاعون به، ويستحيون لصداعه، وكان من جراء ذلك انتهاء الصراع، وحلول السلام بين الأمة. [راجع أساطير اليونان للأستاذ حكمت الله محمد أبو نعمة ط دار حكمت بالأسنانة ١٣٢٥ هـ.

(٥) راجع للتصحيح على من محمد الكاشف - الأساطير القديمة وأخطارها ص ٤٥ ط الدار الجديدة ١٣٣٥ هـ.

(٣)

وبالتالى فمحاولة إبعاد العقلية اليونانية من حب الأساطير والخرافات، حتى تكون ميزة لهم ونقيصة بالنسبة لغيرهم، لا يمكن تصديقها أو إقامة دليل على صحتها.

❖ إن المباحث الفلسفية لا تعبر إلا عن نشاط عقلى متزايد، يشترك فيه كل أجناس الأرض، الذين يمكنهم القيام بهذا النوع من التفكير<sup>(١)</sup>، يستوى في ذلك أن يكون القائم به مصرى الجنسية أو يونانياً. المهم أن تكون لديه القدرات العقلية التى يمكنه من القيام بهذا العى العقلى، ولا عبرة بكونه يونانياً أو صينياً، بلداً أو عربياً.

أما أن يكون أهل اليونان هم الذين قعدوا للفلسفة قواعدهم، وأقاموا قوانينها، فذلك محل جدل واختلاف؛ لأن المباحث الفلسفية التى عرفها اليونان كانت تنحصر أول أمرها في بحث الوجود، أو بحث المعرفة الذى تقوم به، ولم تتحدث عن الجمال أو الحق والعدل والخير، على ناحية تنظيمية<sup>(٢)</sup>، كما لم تحاول بحث الوجود على الناحية الميتافيزيقية، وإن بحثوه على الناحية الفيزيائية في بعض الملامح المتواضعة.

لكن مسألة الأفعال الإلهية وعلاقتها بالأفعال الإنسانية، أو مسألة كون الإنسان مسيراً أو غير<sup>(٣)</sup>، فذلك كله ما لم تعرفه الفلسفة اليونانية، ولم تتحدث عنه، من ثم فلا اعتداد بالقول القائل على أن أهل اليونان هم الذين نظموا الفلسفة، وقعدوا قواعدهم، إذ لو كان ذلك هو الذى قاموا به؛ لكانت المباحث الفلسفية قد توقفت بحثها بعد انتقالها عنهم، لكن بحث هذه المسائل ظل الشغل الثابت لأهل البلدان المختلفة، حتى استوت أشهر مباحث الفلسفة على سوقها.

❖ **والذى تطمئن إليه النفس؛ أن العمل العقلى منحة من الله تعالى، وأن هذا العمل له مستويات** تجرى فيها الفروق الفردية، على العديد من النواحي، كما أن أمة اليونان متأخرة في الزمان، عن أمة المصريين القدماء، الذين امتدت حضارتهم إلى ما يزيد على خمسين ألف سنة قبل الميلاد<sup>(٤)</sup>، وكان لدى المصريين القدماء من العلوم والمعارف المنظمة، ما دفع بأهل اليونان حتى يشدوا الرحيل إلى بلاد الشرق، بغية أن يصيبوا من فلسفتهم، ويتعلموا على أيدي علمائهم في مجالات المعرفة والفنون المختلفة، والمصنفون من مستشرقى الغرب يشهدون بذلك.

(١) راجع كتابنا: التفكير الإنسان أصونه ومستوياته ص ٣٨.

(٢) الدكتور منتهى السيد أبو العلا - الفلسفة اليونانية ص ٧١.

(٣) هاتان المسألتان من الأمور التى لم يتوقف حولها الجدل داخل البيئة الإسلامية، ويبدو أنهما ستظلان كذلك لحكمة يعلمها الله جل علاه. [ راجع في ذلك كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى، وكتابنا: حبر الريد في علم التوحيد، وكتابنا: منهج السلف في إثبات وجود الله تعالى ]

(٤) الشيخ محمد زكى عبدالقادر سعد - الحضارة المصرية القديمة ص ٨٤ ط دار مراد ١٣٣٥هـ.

كما أن هذه الدعاوى القائمة على فكرة امتياز اليونان على غيرهم، إنما تعبر عن وجهة النظر الخارجة عن نطاق الموضوعية، بل إنها تفتقد أبسط الحقوق الفلسفية، حيث يشترط في دراسة للفلسفة ودارسها ألا تتعصب لرأى لم تقم عليه أدلة، كما لا يتعصب الفلاسفة أنفسهم لرأى، لم تقم عليه الأدلة الصحيحة، ولا شك أن التعصب للحسن الأرى<sup>(١)</sup> أو غيره، إنما يعبر عن عصبية بغيضة، تبعدها عن قبول أحكامها، بل وتدفع إلى التخلي عن النتائج التي يقف عندها أو يتمسك بها.

### الثاني: أصحاب النزعة الشرقية

يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن فلسفة الشرق كانت أسبق وجوداً من فلسفة اليونان، وبالتالي فلا يمكن إرجاع نشأة الفلسفة إلى بلاد اليونان، وإلا كان الأمر على غير الوجهة الصحيحة، فلا يكون صواباً، بل الحق إرجاعها إلى الشرق الأدنى مباشرة، وبخاصة الحضارة المصرية الزاهية، التي كانت هي الممثل الحقيقي للفلسفة، وإرجاع نشأة الفلسفة لأي حضارة غير المصرية القديمة أو التراث الشرقي يعتبر عملاً غير مقبول، ولهم على ذلك أدلة من أبرزها:-

#### ١- عرض أدلتهم

أولاً: ظهور الحضارة المصرية القديمة كاملة قبل أمة اليونان، بما يزيد على ثلاثين ألف سنة<sup>(٢)</sup>، حيث كان المصري القديم يماكي الآلهة أثناء حكم الأسر من ناحية الحكومات القائمة، والأنظمة النيابية والجناس التي تتعق بأنظمة الحياة المختلفة، وغيرها مما يمثل الحضارة في أرقى مظاهرها، وأكمل أشكالها<sup>(٣)</sup>، وكان اليونانيون يرسلون إلى مصر طلاب البعثات العلمية، وبخاصة مدرسة الإسكندرية، حتى ينهلوا من تلك العلوم ويقتلوا معارفهم على أيدي العلماء الأفذاذ، الذين امتلأت بهم مصر أبان حكم الفراعين<sup>(٤)</sup>.

(١) الحسن الأرى: هم قوم أغلبهم من أفريقيا، نزحوا من الشرق الأدنى إلى أوروبا، وافتسوا من عبادات وأداب ولغات الأوريين، حتى صاروا أوريين وقد تم ذلك في زمن ما قبل التاريخ، حيث تقسم إلى فرعين كبيرين الأوريين والأسبوريين لكل أمة منها نعتها الخاصة بها، التي جمعتها معها من موهبتها الأصلية. [راجع في هذا الشأن الأستاذ حرجي زين- طفات الأمم أو السلائل البشرية ص ٢٣٨ - مطبعة الهلال ١٩١٢م - الصحالة مصر، وكذلك كالتون كون - قصة الإنسان منذ ظهور الإنسان الأول إلى الحضارة البدائية وما بعدها ص ٣٧٤ - ترجمة محمد توفيق حسين - مراجعة الدكتور محمد الأمين - المكتبة الأهلية ١٩٦٥م بغداد]

(٢) الشيخ محمد زكي عبدالباقى شقير - الحضارة المصرية القديمة ص ٧٣ - ط ١٩٣١م.

(٣) راجع كتابنا: رياض الأشواق في المتأخرات والأخلاق ص ٨٧.

(٤) الدكتور صابر محمد حسين أبو علي - الفلسفة في مراحلها الأولى ص ١٣/١٩٢٤م.

فإذا بلغ بعضهم حد الإحادة والإتقان لتلك العلوم أو بعضها، رجع إلى بلاده فأعانتهم الأمة على الاستفادة من العلوم التي أمكنه الحصول عليها من الناحية العلمية أو الناحية العملية<sup>(١)</sup>، وبالتالي فقد صارت أمة اليونان أول أمرها آخذة من ثقافات غيرها، كما أنها حرصت على تزويد أبنائها بالعلوم والمعارف التي حصوها من الحضارات المجاورة، حتى يكونوا صالحين لإقامة حياة مدنية واسعة، وترتفع مستواهم المعيشية، كما تربي فيهم الاستعدادات والقوى الحسية والعقلية، إلى أن تبلغ حد الذروة<sup>(٢)</sup>.

❖ **ثانياً: ظهور العديد من القوانين التي تنظم العلاقات المتوازنة**، التي تحكم طبائع الأفراد والجماعات في شكل يمكن الرجوع إليه في جانب الثواب أو العقاب، فكان ذلك بمثابة إعلان مبكر عن سبق الحضارة الفرعونية القديمة للحضارة اليونانية، وليس من المعقول أن يسبق اليونان أمة من أمم الشرق في هذا الميدان، ودليل ذلك ظهور العديد من رجال القانون ومنشئ الدساتير وقد أقيمت على أكتافهم الحضارة المصرية القديمة، حتى بلغت الذروة<sup>(٣)</sup>.

كما أن أهل اليونان قد استمدوا أفكارهم عن الآلهة من مصر، وبخاصة ما كان يقوم به بعض الكهنة في هذا الخصوص، كما أنهم استفادوا فلسفتهم الدينية أيضاً من الفينيقيين<sup>(٤)</sup> والهندود وأهل الصين، وفوق ذلك الكلدانيين<sup>(٥)</sup> والفرس<sup>(٦)</sup>، وباقى الأمم التي كانت لهم قدم راسخة في الحضارة قبل أمة اليونان بقرون عديدة.

(١) إذن كان حرص أمة اليونان على طلب العلم واكتسابه هو السمة الغالبة، أو على الأقل هو الطبعة الثابتة، وليس معنى ذلك أنهم أسبق الأمم إليه، وإنما يمكن القول بأنهم سعوا إليه سعى الأمم الأخرى، ونظراً لمفهوم الفروق الفردية فقد أمكن لبعض الأمم السبق، بينما عجزت أمم أخرى، وانتهى الحال بهم إلى التثقف.

(٢) بيلورى - الحضارة الأوربية القديمة ص ٧٤.

(٣) الشيخ محمد زكي عبدالقادر شقير - الحضارة المصرية القديمة ص ٨١.

(٤) أفين: كلمة عبرانية معناه: قوة أو حصن. وهي اسم مدينة في سهل شارون، وكانت مدينة للكنعانيين قبل الإسرائيليين بقيادة يشوع ملكها (ش ١٢: ١٨). وقد اجتمع الفلسطينيون في هذا المكان، ليحاربوا إسرائيل في زمن عساي الكاهن ويرجع أيضاً أنهم احتضنوا كذلك هناك محاربة إسرائيل في زمن شاول الملك، ومكافأ اليوم بلدة رأس العين الخ يشة، وهي عند منبع نهر العوجة بالقرب من انشيتاتريس. [ قاموس الكتاب المقدس طبعة ١٩٩٠/٢٠٠٠ م ص ٩٦ ]

(٥) الكلدانيون: هم أحر السادة الساميين الذين حكموا بابل القديمة قبل عام ٦٠٥ ق.م، وكانوا يسكنون "كنديسا" في جنوب بابل قديماً، وكانوا هم الجنس الغلب بين سكانها، من سنة ٧٢١ حتى ٥٣٩ ق.م، وشغفوا كل المناصب الرفيعة في تلك المنطقة، وتولوا أمر السلطة والسياسة، وكان غيرهم يقوم بالأعمال الأخرى طبقاً لتقسمة سيطرة الأغلب، وقد ملأوا كل المناصب الكهنوتية في عاصمتهم عن هو كلدان، حتى صارت تلك الوظائف فاصلة عليهم، [ راجع جيمس هنري - برستيد - انتصار الحضارة - تاريخ الشرق القديم نقله إلى المصريين. دكتور: أحمد فخرى - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦ م ] وفي نفس الوقت «اعتقد شعب بابل أن هؤلاء الكهان يملكون ناصية الحكمة، ولهم معرفة سحرية، ومقدرة فائقة على العرافة، والكهانة، والتنجيم، ومعرفة الغيب» [ قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٥ ] من أشهر آلهة الكلدانيين: - الإله بعل، أو أمون، وهو إله الشمس، والإله عشتروت أو إيزيس - إله الجمال، والإله حورس أو مموز إله الحصب والنساء. [ الدكتور / محمد فؤاد المصطفى - الأدباء في كفة الميزان ص ٣٣ - دار الحرية ١٩٨٦ م ]

(٦) الدكتور حامد الفرياي - التراث الديني لدى اليونان - متابعه وروافده ص ٥٣ ط ١٩٦١ م.

❖ ثالثاً: ارتباط التفكير الديني بالتفكير الفلسفي لدى مفكرى الشرق، مما يؤكد أهم الأسبق في إبراز الفكر الفلسفي إلى عالم الأفكار الواقعية في الوقت الذى كان اليونانيون لا يعرفون سوى التفكير العقلي المجرد وحده، على أحسن تقدير، كما لا يمكنهم مزج الفكر الديني بالفكر الفلسفي<sup>(١)</sup>، لأن الفكر الديني لم يكن له من أدق صورة حقيقية في أعراف اليونان.

فإذا كان التفكير الميتافيزيقي لدى اليونان لم ينهض إلا متأخراً، بعد أن استفادوا من بعض التراث المصرى القديم، الذى كان الكهنة يقومون به في المعابد، ثم انتقل إلى اليونان بحكم التزاوج الثقافي، أفلا يدل ذلك على أن الحركة العقلية الفلسفية كانت لدى المصريين أسبق وجوداً وأبعد أثراً، وأعماق فكرياً<sup>(٢)</sup>، فأحدر بالبحث العلمى الموضوعى أن يرجع نشأة الفلسفة إلى التراث الشرقى، بدل أن يبحث لها في بلاد اليونان عن أب غير شرعى.

إذن يمكن القول بأن الحضارة اليونانية هي حضارة حديثة نسبياً، بالإضافة إلى الحضارة المصرية القديمة؛ لأن اليونانية ظهرت كحضارة ذات طابع خاص ابتداء من القرن التاسع قبل الميلاد، عام ٨٩٩/٨٠٠ ق.م. وبدأت في الازدهار في القرن السادس ٥٩٩ / ٥٠٠ ق.م. وبلغت قمة ازدهارها السياسى والاقتصادى والأدبى في القرن الخامس ٤٩٩ / ٤٠٠ ق.م.، وإن أعظم الفلاسفة اليونان، وهما أفلاطون وأرسطو ينتميان إلى القرن الرابع قبل الميلاد<sup>(٣)</sup>، لكن الحضارة المصرية القديمة أقدم من ذلك بكثير، إنها تجاوزت الثلاثين ألف سنة قبل العصور التاريخية، وكانت مباحثها عالية معبرة عنها<sup>(٤)</sup>.

ويذهب ول ديورانت إلى أن حكمة المصريين القدماء كانت مضرب المثال في بلاد اليونان، حتى إن مفكرى اليونان الأقدماء في ذلك الوقت اعتبروا أنفسهم أطفالاً وقفوا بجوار حكماء المصريين القدماء، كما يؤكد أن تعاليم حوتب في المصرية القديمة كانت ترتد إلى ثمانية وأربعين قرناً من الزمان، ومعنى هذا أنها حضارة سبقت عصر كونفوشيوس<sup>(٥)</sup> وسقراط وبوذا بثلاثة وعشرين قرناً من

(١) راجع كتابا التفكير الإنسان أصوله ومستوياته ص ١٧ وما بعدها.

(٢) الشيخ محمد زكى عبدالقادر شقير - الحضارة المصرية القديمة ص ٩٣ .

(٣) الدكتور عزت قرن - مدخل إلى الفلسفة ص ١٨ ط ١٩٨١ م.

(٤) الدكتور صبرى محمد أبو سديرة - الحضارة اليونانية ص ١٣٥ .

(٥) كونفوشيوس حكيم الصين، الذى كان يدعو إلى التسامح والصفى، والخير والإحسان إلى الفقراء، وتنعص على الضعفاء، ثم وضع مجموعة من النظم والتشريعات تتعلق بإصلاح القوانين السائدة وأنماط التعليم القائمة، وكان يهتم بتهديب الأخلاق، بغرض إيجاد مجموعة من الناس ذرى فضل. [الدكتور : صفوت حامد مبارك - مدخل للدراسة الأدبية ص ٤٠] وأنشأ كونفوشيوس بين الصينيين، أن عادة الأسلاف هي أصل العقيدة الكونفوشوسية، وموقف كونفوشيوس من جعل عادة الأسلاف موقف رسمى في الدين الكونفوشوسى، وما كان مطلب كونفوشيوس لإحساء طقوس وتقديم قرابين، تكرماً للأسلاف، لم يكن من أجل الأرواح بذلك، ولا من أجل إكرامها، أو من استندار عطشها بل حصراً؛ لأن هذه الطقوس قائمة من قديم الزمان. [سيراغى أ. نو كاريب - الأدب في تاريخ شعوب العالم - ترجمة الدكتور : أحمد م. فاضل ط ١ - ١٩٩٨ م - الأهالي للتوزيع بدمشق سوريا] ومن أحكامه : « إذا ما أراد الحاكم القيام بعمل هام، فعليه التوجه أولاً نحو أسلافه و المعبد، ليخبرهم عما ينوي القيام به، كما يجيب عليه اللجوء إلى العرافين؛ ليرى إذا ما كانت الدلائل السماوية موافقة، فإن تبين أن الأمر سيكون ميسراً عندئذ يمكن للحاكم الشروع به بثقة ». [س. غيور غيفسكى - مبادئ حياة الصين ص ١٥٨ - سان بطر سبورغ]



الزمان، وأن علم الغرب وأدابه وقوانين بلاده وفلسفاتها مدينة للتراث المصرى خاصة، وببلاد الشرق عامة<sup>(١)</sup>.

❖ رابعاً: أن الحضارة تكون دائماً هي الوليد الطبيعي للفلسفة، بل وربيه الذى لا ينزعه في ذلك النسب منازع، وقد أثبتت النقوش التي وجدت على المعابد المصرية القديمة، والزخارف التي كشفت عنها الحفريات، وأنبأت عنها الدراسات الاستطلاعية لطلاب الآثار أنها جميعاً قد أقيمت على أنماط وقوانين هندسية، وجوانب فنية ترجع كلها إلى الفكر الفلسفى<sup>(٢)</sup>، الذى برزت أضواؤه في الشرق لدى المصريين والهنود، ثم البابليين، وراحت أوروبا تقبل عليه، فتأخذ منه وتنقل عنهم كل ما يمكن لليونان الوقوف عليه<sup>(٣)</sup>.

وكان اليونانيون بخاصة هم أصحاب الطلب له، بجانب الإلحاح الشديد عليه، كما كانت لهم بالشرق اتصالات عديدة متنوعة مكنتهم من ارتضاع ألبان الثقافة الشرقية في مجال العلوم والمعارف المختلفة، كما كانت المعارف الفلسفية والرياضية هي التي حظيت بالنصيب الأول من ذلك التراث، بحيث يمكن القول بأن اليونانيين قد نقلوا عن مصر الكثير من العلوم والمعارف والحكمة التي تميز بها الحكماء والكهنة المصريون<sup>(٤)</sup>.

ولا يغرب عن ذى بال أن الحضارة تكون حيث توجد الحكمة، التي هي وضع الشيء في موضعه، والنظر فيه بما يتأدى معه إلى نتائج إيجابية، كما تكون المصلحة الصحيحة لكل عمل عقلى، بلغ حد النضج، وصارت نباتاته تؤتي ثمارها، على ناحية الوفاء باحتياجات الناس الذين لهم ولع به، ومتطلبات الحياة العامة التي تقتضى ذلك.

❖ خامساً: أن الفلسفة جعلت الحديث عن الإنسان، من ناحية مصيره أحد موضوعاتها<sup>(٥)</sup>، فتحدثت عنه من ناحية خلوده، أو عدم خلوده، وظهرت في الفكر الشرقى ملامح عديدة لهذه التساؤلات، كما تحدثت عن مرحلة ما بعد الموت على ناحية الثواب أو العقاب، والميزان الذى يقام في الآخرة، لتوزن به أعمال الناس، كما ظهرت محاكم القضاء الأخرى لدى الشرقيين<sup>(٦)</sup>، صحيح أنها لم تكن موفقة فيها إلى حد القبول لها، لكنها عبرت عن جانب من الميتافيزيقا التأملية، التي ظهرت بوادر الحديث عنها في الفلسفة المصرية القديمة، فأقامت ذات الحضارة القديمة على أساسها.

(١) الدكتور: حسن محمد فوزان - المستشرقون بين التعصب والموضوعية ص ١٢١ ط ١ دمشق ١٩٦٦م.

(٢) الدكتور السيد على سليمان - الفلسفة واحتمارة ص ٥٣ ط ١٩٧١م.

(٣) الدكتورة سامية محمد أبو عوف - الفلسفة والتراث الشرقى ص ٣٧ ط ١٩٧٨م.

(٤) الدكتور راكر محسن أمر الله - ١ لفلسفة الشرقية وأثرها على حضارة اليونان ص ٤٥ ط ١٩٥١م تونس.

(٥) الدكتور السيد على سليمان - الفلسفة والحضارة ص ٥٧ ط مكتبة السد ١٩٧١م.

(٦) الدكتورة سامية محمد أبو عوف - الفلسفة والتراث الشرقى ص ٥١ الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

● **يقول ويتز:** « إن الحضارة المصرية القديمة قامت على أكثاف فلسفة راقية، امتدت مع الزمان عبر أجيال في مصر وبلاد الشرق، قبل أن تنتقل إلى بلاد اليونان »<sup>(١)</sup>، وكان لها دوى هائل في مجالات الحياة المختلفة، مما يؤكد سبق الشرق لليونان في كل مناحي العلوم والسررات الفلسفي خاصة.

كما أن فكرة التوحيد في الآلهة قد ظهرت في الفكر المصري القديم، وقد عبرت عنها ترايسم الكهنة وأناشيدهم، كما ظهرت لدى السياسيين في قراراتهم، حتى إن إخناتون جمع قومه على توحيد الآلهة، فجعل بينهم اتحاداً أقرب ما يكون شبهها بالاتحاد الكونفدرالي، الذي يقوم فيه رؤساء القطاعات الكبيرة من رؤساء مستقلين إلى رؤساء خاصين تابعين، حيث يكونون جميعاً قيادة واحدة، ورياسة واحدة، تصبح تلك الرئاسة هي الممثل الطبيعي والاعتباري لكل هذه الاتحادات<sup>(٢)</sup>.

و لم يكن ذلك النظام من الاتحاد بين الآلهة، معروفاً عند أحد من أمم الأرض سوى أهل مصر، فدل الأمر على أن الفلسفة في الشرق اسبق منها في اليونان، وأن الحضارة المصرية القديمة كانت أحد الحضارات التي وجدت في الشرق، وقامت على أسس فلسفية، بحيث يمكن اعتبارها الممثل الحقيقي والمظهر الواضح المعبر عن امتياز الفلسفة الشرقية عن اليونانية، وسبقها أيضاً عليها.

● **يقول ويتز:** « لقد حلقت الفلسفة في مصر القديمة بأجنحة قوية، ثم تجاوزتها إلى أوروبا، حاملية معها المنهج العلمي الذي حرص فلاسفة الشرق في الماضي على إرساء قواعده »<sup>(٣)</sup>.

وكان اليونان في تعطش شديد إليه، ولهفة واضحة في الإمساك به، بل إنهم سارعوا في طلبه وتسابقوا إليه، حتى يخوضوه وحدهم، دون باقي بلاد أوروبا الأخرى.

كما أن الحركة العقنمية المنظمة ظهرت أول أمرها على ضفاف النيل، وفي بلاد الرافدين، ونظراً لاتصال أطراف الشرق ببعضها عن طريق التجارة والثقافة، فقد أمكن تنظيم بعض الرحلات التي كان روادها الأوائل يقومون بها، حتى يتعرفوا العالم المحيط بهم، سواء أكان ذلك الذي تحدثت عنه الأساطير<sup>(٤)</sup>، أم الذي تبين له صور في الذهن، لكنه يحاول التأكد منها.

(١) المستشرق ويتز - الحضارة في مراحلها الأولى ص ٧٥ ترجمة رزق صبرى ط ١٩٤٧م.

(٢) كالحال في الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة البريطانية، ودولة الإمارات العربية المسلمة، بل إن هذه الاتحادات كانت طبيعية، فرضتها الخلافة الإسلامية، أبان أن كانت البلاد الإسلامية تحكمها الخلافة الإسلامية التي سعى الاستعمار البعض لإزالتها من الوجود تماماً، وأمل أن تعود هذه الخلافة إلى ما كانت عليه، حتى تنحد كلمة المسلمين، ويتمكنوا من استرداد حقوقهم السلية، ومنها فلسطين والمسجد الأقصى الأسير.

(٣) ويتز - الحضارة في مراحلها الأولى ص ٨٤.

(٤) كالحال مع بحر الظلمات الذي تحدثت عنه بعض الدراسات على أنه أسطورة شرقية قوية.

وقد تداخلت هذه الحركة العقلية المنظمة في الواقع المعاش، فنشأ عنها العديد من التوجهات الفكرية، وبخاصة في الجوانب الإبداعية الإيجابية، وكان من جراء ذلك ظهور الفلسفة في مراحلها الأولى<sup>(١)</sup>. ثم تامت هذه البذور من خلال الجهود التي بذلت حولها، حتى صارت شجرة بافصة طيبة المنظر شبيهة المذاق، للذينة.

كما أن بلاد الشرق كانت فيها عوامل الاستقرار والتوطن حول الأنهار والزراعة بجانب الرعي، وذلك كله قد ساعد على ظهور إرهابيات<sup>(٢)</sup> فكرية عديدة، كانت مهمتها الأولى معالجة المشكلات القائمة، والبحث لها عن حلول واقعية، يمكن تعميمها في الحياة، فأدى ذلك كله إلى بروز الفلسفة في شكلها الفني<sup>(٣)</sup>.

أجل كانت هناك بعض الممارسات التعسفية من الفراعين على بعض أهل مصر أو سكانها أو النازحين إليها<sup>(٤)</sup>، لكن ذلك لم يمنع من ممارسة التفكير الفلسفي في أرقى صورة، أما في شكل علسي، يقوم به بعض من أبناء الأكابر وعليه القوم<sup>(٥)</sup>، أو تتسلل إلى حنايا الصدور في خفية أو خيفة من سلطان الفرعون<sup>(٦)</sup>، الملك، الذي كان يتولى قيادة زمام أمته.

ولا يمنع ذلك من الاعتراف بأن فرعون مصر في فترة من الفترات قد علا في الأرض وأفسد، وأنه كان يقسب أهلها شيئا يقرب بعضها منه، ويستضعف الآخر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٧)</sup>. أى علا علو طغيان وتغلب في أرض مصر، يستذل طائفة بأن ذبح أبناءهم، وترك بناتهم خوف خراب ملكه، ويثقل عليهم ويكلفهم من الأعمال ما لا يطيقون<sup>(٨)</sup>.

(١) الدكتور محمد حسن رفقى - الفلسفة القديمة ص ٧٣ ط ١٩٥١/١ م.

(٢) رهض: الرهض: أن يصيب السحر حافرا أو مسما فيذوى باطنه، الرهضة. الصحاح: و الرهضة أن يذوى بساطن حافر الدابة من ححر نطوه مثل الورقة، الإرهاض: الإنبات، والإرهاض علسي الذنب: الإصرار عليه. | لسان المعجب

ج ٧ ص ٤٣ |

(٣) راجع كتابنا/ رياض الأشواق في المتأفريق والأخلاق ص ٩٣.

(٤) الشيخ محمد أبو علي الأسود - فرعون مصر في القرآن الكريم ص ٨٣ ط ١٣٤٥ هـ.

(٥) الأستاذ ناظم خير الدين - الفلسفة المصرية القديمة ص ٧١ ط ١٩٥٧ م.

(٦) فرعون - كلمة مصرية معناه: البيت الكبير، وهو لقب من الألقاب التي كانت تطلق على ملوك مصر، وكان هذا اللقب يمثل شيئا خاصا، ومن الفراعة الذين ملكوا مصر، وأطلق عليهم هذا اللقب كثيرون، سواء أكان في العهد القديم، أم غيره، وسواء أعرفوا باسم فراعة إبراهيم، يوسف التسيح، الخروج وغيرهم، أم عرفوا بغير تلك الأسماء، ومن لقب به شيشنق، وهو أول حاكم من الأسرة الثانية والعشرين في العهد الذي "سوا" وهو الذي كان معاصرا هوشع ملسك إسرائيل ترهاقة، وهو الملك الثالث والأخير من السلالة الخامسة والعشرين سلالة الكوشية "نفر" ويسمى أيضا فرعون نفر وهو الثاني من الأسرة السادسة والعشرين وفرعون "نفرع" وهو الخلف الثاني "نفر" | راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٧/٦٧٦ |

(٧) سورة القصص - الآية ٤.

(٨) الإمام عبدالرحمن المتعالي - الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج ٣ ص ١٧٠ - المكتبة المتعالية بالجزائر ١٣٢٧ هـ.

﴿٣٨﴾ قال الحافظ ابن كثير: « إن فرعون علا في الأرض علو تكبر وتبخر وطغيان وجعل أهلها شيما أي أصنافا قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته يستضعف طائفة منهم يعني بني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانه هذا، وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال ويكدهم ليلا ونهارا في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحي نساءهم إهانة لهم واحتقارا، وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه، وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسون من قول إبراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وحري له مع جبارها ما جرى حين أخذ سارة ليتخذها جارية فصالحا الله منه ومنعه منها بقدرته وسلطانه، فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك ملك مصر على يديه فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحتز فرعون من ذلك، وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل ولن ينفع حذر من قدر لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب»<sup>(١)</sup>.

إذن هو مع علوه واستكباره لم يكن ليقضى على كل ألوان التفكير العقلي، وإنما كان همه ممارسة نوع من الفهر والاستعباد على طائفة ممن توقع إساءتهم له، وهو ما يعرف في لغة العصر باسم الحرب الوقائية، فكان بذلك الفعل إنما يمارس دورا من البنى والعلو والاستكبار، ولكنه في نفس الوقت كان متسامحا إلى أبعد حد مع الطائفة الأخرى<sup>(٢)</sup>، كما كان يقدم لطائفة الكهنة وكل فسرده منهم ألوان الاحترام على كل ناحية، وبالتالي ظهر في مصر القديمة فلاسفة كهنة، كما ولى الكهانة بعض الفلاسفة أيضا.

﴿السادس: أن أرض الشرق هي مهبط الوحي، وأرض الديانات﴾<sup>(٣)</sup>، منذ أحقاب بعيدة ضاربة في القدم التليد، إلى ما قبل التاريخ العام بآباد بعيدة، وكان كل نبي يحمل لأمته تعاليم الله تعالى إلى هذه

(١) الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج: ٣ - ص: ٣٨٠ / ٣٨١.

(٢) الدكتور سامية محمد أبو عوف - الفلسفة والتراث الشرقي ص: ٧٦.

(٣) هذا من باب التجاوز، لأن الدين عند الله تعالى واحد هو الإسلام. قال تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [سورة آل عمران - الآية ٨٥]. يقول العلامة الحافظ ابن كثير رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ أي من سلك طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين»، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" [العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم (٢/٢١٢)] فعن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد » [رواه ابن ماجة في سننه - باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقليد على من عارضه - الحديث رقم: ١٤ - وأبو داود في سننه - باب في لسرور السنة - الحديث رقم: ٤٦٠٦] والمراد بس: [في أمرنا] أي في شأننا. فالأمر واحد الأمور. أو في ما أمرنا به، فالأمر واحد الأوامر. (فهو رد) أي مردود.

الأمة، باعتبار أنها أمة التي بعث الله فيها، لكون رسالته خاصة مؤقتة<sup>(١)</sup>، وما من نبي إلا وقد علم أتمه مهنة عملية، أو حرفة دقيقة<sup>(٢)</sup>، أو أخذ بأيديهم إلى أسبابها تعليمًا وتعلمًا، حتى بلغ بهم مبلغ الإحادة والإتقان، ولم يقع شيء من ذلك لأهل اليونان؛ لأن الشرق مهبط الوحي.

(١) قال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾. [سورة فاطر - من الآية ٢٤] يقول الحافظ ابن كثير: «وما من أمة خلعت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأراح عنهم العليل، كما قال تعالى: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ (سورة الرعد - الآية ٧)، وكما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واحشروا الطاغوت﴾ (سورة النحل - من الآية ٣٦)، والآيات في هذا الشأن كثيرة، [العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ٣ ص ٥١٢]. وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قرمه لبيّن لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ (سورة إبراهيم - الآية ٤). يقول الإمام القرطبي: «قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول قبلك يا محمد" إلا بلسان قرمه وهو لغتهم، ليتوا علم أمر دينهم، ولا حجة للمعجم وغيرهم في هذه الآية؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ترجمه يفهمها لزمته الحجة» [الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٤٣٦]. وقال رسول الله ﷺ: [أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها وأرسلني الله إلى كل أمة وأسد من خلقه] [الإمام مسلم صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧٠ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - الحديث رقم: ٥٢٠، الإمام أحمد - مسند أحمد ج: ١ ص: ٢٥٠ - الحديث: ٢٢٥٦]. وقال صلى الله عليه وسلم: [والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار] [الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ١ ص: ١٣٤ - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ المثل عنه - الحديث رقم: ١٥٣].

(٢) قال تعالى على سيدنا داود عليه السلام: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحفظنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ (سورة الأنبياء - الآية ٨٠)، يعني صنعة الدروع، وكانت الدروع قلة صناعها وهو أول من سردها حلقاً، لنحفظنكم من بأسكم يعني في القتال فهل أنتم شاكرون نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعلمه ذلك من أجلكم، [الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج: ٣ ص: ١٨٨/١٨٧]. وقال تعالى: ﴿والأنا له الحديد﴾ أن أعمل سابغات و قدر في السيد وأعملوا سألها إني بما تعملون بغير (سورة سبأ - الآية ١١/١٠)، يقول العلامة الطبري: «وقوله وألهمنا له الحديد فكان في يده كالطين البلور، يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد، وكان يسويها بيده ولا يدخلها ناراً ولا يضربها بحديد، وعهدنا إليه أن أعمل سابغات وهي الترام الكوامل من الدروع، وأعمل بسا داود أنت وألهمنا صنعة الله إن ما تعملون بغير يقول حل شأؤه إن ما تعمل أنت وأتباعك ذم بغير لا يجمع علي منه شئسي وأنا مجازيتك وإياهم على جميع ذلك» [العلامة ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج: ٢٢ ص: ٦٨/٦٦]. وذلك كله من تعليم الله له، وإعاضة أسباب ذلك عليه (راجع كتابنا: المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية، فقد تعرضت فيه لبيان ذلك بشيء من التفصيل)، وإذا منح الله فلا شيء فوقه. فكانت صنعة أحد وسائل اكتساب العيش الطيب، الذي يبرز صاحبه فوق الآخرين، عندما يقع بينهم أمر الكسب الحلال، ومع ذلك فقد كان يقسم يوماً ويعطى يوماً، فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام كان يتم نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويعطى يوماً» [الإمام البخاري - صحيح البخاري ج: ١ ص: ٣٨٠ - [٧] باب من نام عند السحر الحديث رقم: ١٠٧٩، وأخرجه مسلم صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٨١٦ - الحديث: ١١٥٩].

وكل بني كاد يأتي قوم بما ينفعهم في دنياهم، ويصلح ضم أحرارهم، ولا شك أن دار الدنيا فيها جانبان؛ أحدهما العالم المشاهد، والثاني العالم غير المشاهد، كما أن الآخرة هي الأخرى عالم غير مشاهد كله، والتي متى جاء بالحدث عنهما فلا شك أن المؤمنين به سوف يذلون جهودهم لنفهم ما يُحدثهم عنه، وربما ابتلاههم به، حتى يتأكد من صدق إيمانهم، أو يصرفهم عن الوقوع في دائرة الظن والشك، وشأن هذا أن يدفع فيهم إلى استحثاث الحماس العلمي، وينطلق بهم إلى التأمل الفكري، يكن لليونان شيء من ذلك، فثبت أن الفكر الشرقي أسبق وجوداً وتنظيماً من الفكر الغربي عامة، واليوناني خاصة<sup>(١)</sup>.

أما في البعثة الخاتمة مع سيدنا محمد ﷺ، فقد جاءت آيات القرآن الكريم مدونة الناس جميعاً عن الكون كله، داعية العقول الصحيحة إلى مواصلة التأمل فيه، والاستغراق في جمال الصنعة، وحينئذ تصل إلى معرفة الخالق العظيم جل علاه، وما افترضه على عباده من تكاليف شرعية نهي مع العقيدة الإيمانية، ثم تأتي معهما القيم الأخلاقية<sup>(٢)</sup>.

(١) الدكتور سامية عماد أبو عرف - الفلسفة والتراث الشرقي ص ٤٥ .

(٢) وذلك لأن نبوة سيدنا محمد ﷺ للإسراء والجن كافة، فهي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ أنه قال: «فعلت على الأنبياء بشت: أعطيت حوامع الكلم، ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون» [الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧٠ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧١ - الحديث رقم: ٥٢٣، ورواه صحيح ابن حبان ج: ٦ ص: ٨٧ - الحديث رقم: ٢٣١٣، وسنن الترمذي ج: ٤ ص: ١٢٣ - كتاب السير كتاب مدح أئمة في الغيبة - الحديث رقم: ١٥٥٣]. وقال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ سورة الأنبياء الآية ١٠٧. أي أُنهي الله به من الحسب والمنهج والاستقبال، ورحمة للعالمين من أن يسجدوا لنسبهم، ولا يكون مشرعاً لهم إلا حالتهم، [راجع سليمان عبد الله الأشقر - زبدة التفسير من فتح القدير ص: ٣٧٤ مع تصرف بسيط في العبارة اقتضته الضرورة] وينقل العلامة المعمر الرازي: «إنه ليقين كان رحمة في الدين وفي الدنيا، أما في الدين، فلأنه يقيناً بعث الناس في جاهلية وضلالة، وأهل الكنايين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكنتهم وانقطاع تواترهم، ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله تعالى محمداً ﷺ حين لم يكن لطائف الحق سبيل إلى الفوز والثواب، فدعاهم إلى الحق وبين ضم سبيل الثواب، وشرع ضم الأحكام، وميز الحلال من الحرام، ثم إنما ينفع هذه الرحمة من كانت همته طلب الحق، فلا يركس إلى التقليد ولا إلى العناد، ولا إلى الاستكبار، وكان التوفيق قريباً له، وأما في الدنيا، فأنهم تخلصوا بسبه من كثير من السبل والفتن والخراب وبصروا ببركة دينه» [العلامة المعمر الرازي - معاني الغيب - م ١١ ج ١١ ص ٢١٩/٢٢٠]. وقد ذهب العلماء من أهل الإسلام إلى أن الإرسال أنوار، وكتبها قد ثبت أنها من عند محمد ﷺ: - النوع الأول: إرسالي تشريفي: وهو يكون للملائكة؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم مكلفون من أصل الخلق التي يكونون عليها. النوع الثاني: إرسالي تكليفي، وهو يكون للإسراء والخير؛ فإنهم مكلفون لا من أصل الفطرة، وإنما بعد إطاقتهم الأوامر والتكليفات الشرعية. [راجع في هذا الشأن نور الطلام ص ٢٥]. النوع الثالث: إرسالي تأميني من الحسب: - وهو يكون للنسب والجماعة، وقد جاء ذلك في الحديث الشريف أيضاً من ذلك: أن رسول الله ﷺ قال: «رحسوت ربي أن لا يواحد أمي بالحسب ولا بالسيف، فأجابي للأولي ولم يبق لي الثانية» [الإمام السيدي - حاشية السيدي - ص ٢٤٧ - باب الاستعاذة من الحسب في الحديث رقم: ٥٥٢٧. النوع الرابع: إرسالي رحمة: وهو يكون للحيوان، حتى لا يقع له تعذيب، وقد جاء به سيدنا محمد ﷺ: «نفوا الله في الضعيفين: المملوك والمرأة» [العلامة علاء الدين المنقي الهندي - باب الصحة مع المملوك وحقه - الحديث رقم: ٢٥٠٤ - (ابن عساكر عن ابن عمر). وذكر أيضاً في الوجوب في الحديث رقم: ١٨٨٦٤].

❖ غير أن هذا الرأي - رغم محاول إقامة على بعض الشواهد - لم يسلم من النقودات القوية حيناً والجدلية حيناً آخر. أما لماذا؟

لقد قلنا على:-

١. أن ظهور الحضارة المصرية القديمة قبل الحضارة اليونانية ليس دليلاً على سبق المصريين لليونان، أو سبق الشرق للغرب، إذ الواحد منا قد يفكر في موضوع يستغرق عليه سحابة يومه، ويقضي معه ساعات ليله، ويوفى إلى العديد من الحلول، لكنه عند التطبيق تعوزه أسبابه، فيتأخر عن التنفيذ<sup>(١)</sup>، وربما ألغاه من تفكيره، عجزاً عن تكاليف تطبيقها العملية، وقد ينجى بعده بفترة طالت أو قصرت شخص آخر، ويقع له توارد خواطر، لكن التالى يجد في نفسه القدرة على تنفيذ ما فكر فيه، فيمارس ذلك التفكير على الجانب العلى التطبيقي، ومن ثم يكون سابقاً لغيره في التنفيذ، رغم تأخره عنه في التفكير<sup>(٢)</sup>. إذن لا يكفى السبق في التنفيذ العملى حتى تقع المفاضلة على أساس منه.

٢. أن التعصب للرأى ينقصه حقه في العرض، كما ينقص من حقه في الدفاع عنه، وبالتالي صار من المكرر في القول انعقاد الرأى على أن الشرق القديم قد سبق اليونان إلى ابتداء حضارات مزدهرة، تقسوم على علوم عملية ناضجة، ودراسات دينية قيمة، فأما العلوم العملية فحسبنا الإشارة إلى أن قدماء المصريين كانوا أول من ابتدع الرياضيات والميكانيكا والكيمياء، وأنشأوا علم الفلك، مثل هذا يقال في سائر شعوب الشرق القديم، من حيث سبقتها للغرب في مجالات البحث التجريبي<sup>(٣)</sup>.

٣. أن أغلب أدلة سبق الشرق للغرب في النتاج الفلسفى، عما نراها مظاهر الحضارة التى ازدهرت في بلاد الشرق، سابقة على مثلتها في بلاد اليونان، حتى أمكن القول بأن كل مظهر حضارى فلسفى في اليونان من السهل أن نجد له مثيلاً في الحضارة والفلسفة الشرقية<sup>(٤)</sup>، وهي نتيجة قد تكون صحيحة، لكن مقدمتها لا تعين عليها، إذ أن المظهر الحضارى في العمارة لا يعبر عن تميز القوم في الثقافة، البناء الفلسفى، وإنما يعبر فقط عن تمايزهم في الجانب المادى من الحضارة، وهو مما يتعلق بالبحوث التطبيقية، بينما المفاضلة في السبق للمنهج الفلسفى، والعلوم العقلية، فتكون المفاضلة غير قائمة على أصول واحدة.

٤. أن جهل اليونان بالأمور الدينية فيه نوع من التوسع على ناحية الاستخدام اللغوى؛ لأن الشرق رغم أنه مهبط الوحى، ومحل الديانة، إلا أن أغلب أهل الشرق كان الشرك فيهم قائماً، من عبدة النجوم

(١) والواقع العلى المعانى يشهد بذلك، كما أن الفطرة والبديهة تفران بوقوعه على ناحية من النواحي.

(٢) راجع كتاب: رياض الأنوار في المتأخرين والأخلاق ص ٤٥.

(٣) الدكتور توفيق الطربيل - أسس الفلسفة ص ٢٢.

(٤) الدكتور السيد على السيد - الفلسفة والحضارة ص ٧١ ط ١٩٨١ م.

إلى عبدة الكواكب<sup>(١)</sup>، ومن عبدة النهرين<sup>(٢)</sup> إلى عبدة الظلمتين<sup>(٣)</sup>. إلى غير ذلك من أهل الإلحاد والإباحية، فكان تعدد الآلهة من العقائد الفاسدة التي اشترك فيها الشرق والغرب على السواء، بل إن نزول الوحي باستمرار على أهل الشرق من الأدلة على رغبة أهله في الابتعاد عن شبرع الله تعالى، والاستمسك بالأهواء وعبادة الآلهة الباطلة، وظل ذلك ديدنهم، حتى بعث الله سيدنا محمدا ﷺ خاتما للنبياء والمرسلين.

إذن الكفتان بينهما نوع من الترحيح والرجحان النسبي، فإذا سبق الشرق اليونان في مسيزة، فكان الكفة تعود فيسبق اليونان الشرق بما هو معتبر لديه ميزة، وبالتالي نجد الباحث ضرورة بسذل المزيد من الجهد في التوفيق بين الآراء المتصارعة، بحيث إذا انتهى إلى أن الشرق هو الأصل الذي تسرد

(١) حيث يزعمون أن مدبر هذا العالم وحائق هذه الكواكب السبعة والنجوم فهم عبدة الكواكب ولما بعث الله إبراهيم كان الناس على دين المصانية فاستدل إبراهيم عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله لا أحب الأهلين واعلم أن عبادة الأصنام أحدث من هذا الدين لأنهم كانوا يعبدون النجوم عند ظهورها ولما أرادوا أن يعبدوها عند غروبها لم يكن لهم بد من أن يصوروا الكواكب صوراً ومثلاً فصنعوا أصناماً واشتعلوا بعبادتها فظهر من ههنا عبادة الكواكب. [ راجع للعلامة محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله المولود ٥٤٤هـ - والمتوفى ٦٠٦هـ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ج: ١ ص: ٩٠ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٢هـ - تحقيق علي سامي الشار ]

(٢) عبدة شبرين هم عبدة الشمس والقمر ومذهبهم في ذلك مذهب المصانية في توجيهم إلى المياكل السماوية دون قسمر الربوبية والإلهية عليها [١] عبدة الشمس زعموا أن الشمس ملك من الملائكة وما نفس وعقل ومنها نور الكواكب وصياء العالم وتكون المخزونات السفلية وهي ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والتعظيم والدعاء وهؤلاء يسمون الدينيكية أي عباد الشمس ومن منهم أن أخذوا لها صما يده حرره على لون النار وله بيت خاص سره باسمه وروفوا عليه ضياعاً وقرباناً وله سدة وقوام فيأتون البيت ويعلمون ثلاث كرات ويأتيه أصحاب العلل والأمراض فيصومون له ويعلمون ويدعون ويستشفون به [٢] عبدة القمر زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي والأمور الخفية فيه ومنه تنبع الأشياء المكتوبة وإيصالها إلى كمالها وبريادته. وتقضاه تعرف الأزمان والساعات وهو تلو الشمس وتربها ومنها نوره وبالنظر إليها تكون زيادته ونقصانه وهؤلاء يسمون الخندريكية أي عباد القمر ومن منهم أن أخذوا له صنما على شكل عمل يبر. أربعة ويد الصم حوهر ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدوه وأن يصوموا النصف من كل شهر لا يفطروا حتى يطلع القمر ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون إليه وينظرون إلى القمر ويسألونه حوائجهم فإذا استهل الشهر علوا السطوح وأوقدوا الدخان ودعسوا عند رؤيته ورغبوا إليه ثم نزلوا عن السطوح إلى الطعام والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا إليه إلا على وجوده حسنة وفي نصف الشهر إذا فرغوا من الإفطار أخذوا في الرقص والنمب بالمعازف بين يدي الصنم والقمر. [ راجع للعلامة محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المولود ٤٧٩هـ - والمتوفى ٥٤٨هـ - الملل والنحل ج: ٢ ص: ٢٥٩/٢٥٨ - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٤هـ - تحقيق محمد سيد كيلاي ]

(٣) راجع تفاصيل هذه العبارات الباطلة في كتب الفرق كالمثل والنحل للشهرستان، واعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي والتعريف في الدين للأصفهاني، والفصل لابن حزم، والفرق للبيهقي وغيرها.



إليه نشأة الفلسفة، كانت معه أدلة صحيحة تدافع عن نفسها، وإذا انتهى إلى أن اليونان هو الذى ترد إليه النشأة الفلسفية تكون أدلته قوية.

### الفريق الثالث: أصحاب التوفيق

❖ في تقديرى أن التعصب لأى من الرأيين يعتبر خروجاً عن قواعد الفلسفة، كما يعتبر انحيازاً للفلسفة ذاتها، باعتبار أن التعصب لمشكلة من المشكلات التى لم يتم عليها دليل قطعى، يمثل نوعاً من سرعة إصدار حكم قبل الاستماع لأدلة الدعوى المقامة، واستيفاء النظر فيها، قدر الطاقة.

❖ لكن ما هى جهة التوفيق بين الرأيين المتصارعين في رد الفلسفة إلى المصدر اليونانى، أو المصدر الشرقى، هل تكون المنتج العقلى، أم الوثائق التاريخية، أم الاحتكام إلى قواعد مستحدثة تقتضيها الظروف<sup>(١)</sup>؟

❖ والجواب أن هذه الجوانب مجتمعة هى التى ستكون المعبر لقضية التوفيق بين هذه الآراء، وذلك على النحو التالى :-

### الأول: إنسانية الفكر

ذلك أن الفكر الإنسانى قاسم مشترك بين جميع أفراد البشر، وإن اختلفت درجاته لدى البعض بحكم الثقافة، أو التكوين الذهنى أو الاستعداد الوراثى والظروف البيئية، إلا أن هذا الاختلاف فى المستوى الفكرى لا يترتب عليه اختلاف فى درجاته المعرفية<sup>(٢)</sup>، كما يكون بين النابه والحاسل، وإنما هو اختلاف نسبي تفرضه بعض الفروق الفردية، والظروف المحيطة بالمفكر نفسه.

إذن لا يختلف اليونانى الغربى فى هذه المسألة عن المصرى الشرقى - الاختلاف الجوهرى - وإنما هو اختلاف نسبي، فوارقه ضئيلة جداً، وتزول هذه الفوارق بين الجماعة الواحدة؛ لأن أفرادها يتكاملون مع بعضهم، وتتلاقى قدراتهم العقلية على قاعدة نأواز أو معالجة الفروق الفردية<sup>(٣)</sup>، وهذا يؤكد اتفاق الشرق والغرب فى ذات المسألة، فأرجاع الفلسفة إلى أحدهما دون الآخر، يمثل نوعاً من القفر فوق النتائج الطبيعية إلى نتائج أخرى خيالية.

(١) تلك الأوجه كلها محتملة فى المسألة، ويمكن تغليب جانب منها على غيره، وسيتبدل لا تكون المسألة داخلية فى نطاق التوفيق بقدر ما تكون قائمة على دائرة الترجيح.

(٢) راجع كتابنا: التفلسف (مفهومه - بواعثه - خصائصه) فقد تعرضت فيه لذلك بالتفصيل.

(٣) الدكتور حسن محمد أبو شامة - القدرات العقلية والفروق الفردية ص ٤٥ ط مكتبة النهر الخالد ١٩٨٧م.

### ❖ الثاني: إنسانية المعالجة للموضوعات المطروحة ❖

من المؤكد أن أهل الشرق والغرب، لا يختلفون في القوى والطاقات الإبداعية، حد التفלות الواضح؛ لأن الفكر عملية إنسانية، كذلك المشكلات التي تعالجها الفلسفة، سواء أكان ما يتعلق بأصل الكون، أم مصيره، بدايته ونهايته، أم ما يتعلق بالمعرفة الإنسانية من ناحية المصدر والنتائج، ثم اليقين في نتائجها، أو الشك بجانب الموضوع، وكلها موضوعات إنسانية، بل إن القيم كمبحث فلسفي هو موضوع إنساني<sup>(١)</sup>.

ومادام الأمر كذلك، فإن كل معالجة تتم الموضوع من لموضوع المطروحة، لابد أن نأخذ الشكل الإنساني في التناول، وطريقة طرح المشكلة، وكذلك البحث عن حلول لها، لا يختلف إنسان الشرق عن إنسان الغرب فيها؛ لأن الله تعالى منح كل واحد قدراته العقلية، وجعلها خاصة به وحده<sup>(٢)</sup>، لكنه جل شأنه كشف عن عموم هذه المشكلة، بمعنى أن جملة المفكرين يتفقون على أن هذه القضايا الفلسفية مشكلات حقيقية، وأن العقل لابد له من ممارسة دوره فيها، حتى يتمكن من إيجاد حلول لها، وهذا لا يمنع من وجود توارد للخواطر بين اليونان الغربي والمصري الشرقي، في هذا الجانب، ولا يقع سبق لأحدهما على سبيل الإطلاق، وإنما هو سبق نسبي.

### ❖ الثالث: الاعتراف بالفروق الفردية ❖

أجل تفاوت القدرات العقلية والطاقات الإبداعية داخل أفراد الأسرة الواحدة حقيقة علمية، وهو ما يعرف بالفروق الفردية داخل الأسرة، كما أن الإنسان ذاته يشعر بأن بعضاً من قدراته يتميز في جانب إبداعى عن البعض الآخر، كتمايز ملكة الحفظ عند شخص عن ملكة الفهم في الفرد الواحد، أو تمايز سمع ملكة أذن، عن سمع ملكة الأذن الأخرى، وقس على ذلك الحال في باقي الحواس والملكات والآلهة في الفرد الواحد<sup>(٣)</sup>، وهو ما يعرف بالفروق الفردية داخل الإنسان الواحد.

(١) راجع للدكتور هاشم على عبدالكاو - إنسانية الفلسفة ص ٣٥، وللدكتور زكي محمد زكي - الجانب الإنساني في الفلسفة ص ٥١.

(٢) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرْحَمُكُمْ مِنْ يَتَرُونَ مَهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [سورة النحل - الآية ٧٨]. ويقول الإمام الفخر الرازي عند بيانه هذه الآية: «واعلم أن ذكرها ههنا تنبيه على دقة لطيفة، كأنه تعالى قال: أعطيتكم هذه الأعضاء الثلاثة مع ما فيها من هذه القوى الشريفة، لكنكم ضيغتموها، فلم تقبلوها ما سمعتموها، ولا اعتدتم بما أبصرتموها، ولا تأملتم في عاقبة ما عقلتموها، فكأنكم ضيغتم هذه النعم، وأنسدم هذه المواهب. فلهذا قال: ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ وذلك لأن شكر الله تعالى هو أن تعترف بهذه النعمة إلى وجهه رضاه، وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل، لا إلى طلب مرضاته، فأنتم ما شكرتم نعمه البتة» [الإمام الفخر الرازي - مفاتيح الغيب - ج ١ ص ٦٣٧].

(٣) الدكتور حسن محمد أبو شامة - القدرات العقلية والفروق الفردية ص ٥١.

وكذلك تظهر الفروق الفردية بين الجماعة الإنسانية، فهذه تتميز بملكة إحصائية على سبيل روايتها أو إبداعها، بينما تتميز جماعة أخرى في الأعمال المهنية كالنجارة والصناعة، بل إن الفقهاء أصحاب الفروع قد يغلب أحدهم على أقرانه، فيكون هو الشارح للمذهب أو المقعد لأركانه، وقد يغلب محدث أقرانه أيضاً، أو يغلب قوى بعض أقرانه، وهكذا يصير الاعتراف بالفروق الفردية قاعدة ضرورية.

ومن ثم فكل أمة من الأمم تتمايز عن الأخرى في جانب معرفي أو ثقافي أو تقني<sup>(١)</sup>، وقد كان المصريون القدماء متفوقين على اليونان في بحث المعارف، بينما كان اليونان متفوقين في بحث الوجود، فامتياز كل منهم عن الآخر يقابله ضعف لذات التميز في جانب آخر.

#### ❖ الرابع: اقتران النشأة بين الشرق والغرب ❖

ذلك أن الفلسفة ظهرت في اليونان، من خلال الأوقات المبكرة قبل العصور التاريخية، وفي نفس الوقت ظهرت الفلسفة في الفكر المصري القديم، وكل منهما كان تعاطاها على الناحية السببية أمكنه اصطفاها منها، من غير اختلاف في الموضوعات والغايات، وإن اختلفت من ناحية كون البحث نظرياً عند اليونان، بينما كانت لدى الشرق حكمة عملية<sup>(٢)</sup>، تمثلت في بعض المظاهر الحضارية كبناء الأهرامات، وتشيد القناطر والمعابد، وشق الطرق، وحفر الترغ.

ليس معنى هذا أن كل الموضوعات والغايات والآثار، التي بدت في الشرق هي ذاتها التي بدت في الغرب، وإنما معناه أن البحث في الموضوعات قد أدى إلى نتائج متقاربة بينهما، واختلافهما في طريقة تناول أو العرض، إنما مرجعها إلى الاختلاف في التكوين البشري، والنمط المعرفي<sup>(٣)</sup>، بدليل أن عالم الحساب الماهر به إذا اشتغل ببحث مشكلة الوجود، فإنه يتناول البحث عن حل يتناسب معها من جهة قدراته الذهنية، ذات الترتيب الرياضي التراكمي<sup>(٤)</sup>، وإذا عرضت ذات المسألة على عالم الطبيعة الماهر بها، فإنه ينشغل بالمسألة الجديدة، ويتناول البحث لها عن حلول تناسب معها من جهة قدراته العقلية ومكوناته الذهنية التي هي الرصيد الذي يستند إليه، حتى تكون الحلول المعروضة من ناحيته مقبولة.

#### ❖ الخامس: رد الملامح الخاصة بالثقافتين ❖

الإنصاف والعدل يقتضيان البحث عن الملامح الخاصة بالفلسفة اليونانية، وما قدمته للبشرية من أوجه نفع، ثم نسبته إلى العقلية اليونانية، والبحث أيضاً عن ملامح الفلسفة الشرقية الخاصة بها،

(١) راجع كتابنا: التفكير الإنسان (اصوله ومستوياته) ص ٧٥.

(٢) راجع كتابنا رياض الأنساق في المتغيرات والأحلاق ص ٩٧.

(٣) راجع للدكتور زكريا حسين محمد - البيئة ودورها في الثقافة ص ١٢١ ط ١٩٧١ م.

(٤) التركيب التراكمي أمر نمرسه طمعة العقل الإنسان الذي لا يكسب معارفه كلها في وقت واحد، وإنما يكتسبها جزئية بعد الأخرى، حتى يحصل التراكم المعرفي، راجع التقدرات العقلية، وكذلك نظرية الانفعالات.

وما قدمته للبشرية من أوجه نفع، ثم نسبة ذلك إلى العقلية الشرقية<sup>(١)</sup>، بحيث يتحقق الإنصاف، ويقف العدل شاعنا على الهام، موفور الكرامة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يقول العاقلة ابن كثير: «نصر الله عز وجل بأنه أمر المؤمنين بأداء الأمانات إلى أهلها، ثم بعد ذلك أمرهم بأن يحكموا بالعدل بين الناس، وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة؛ لأنه سبحانه وتعالى سميع لأقوال الناس بصير بأفعالهم»﴾<sup>(٣)</sup>.

إذن ليس من العدل أن يقع الجور على الفكر الشرقي، إرضاء للترعة العرقية، أو إشباعا لرغبات أصحاب الاغترار بالجنس الأري، كما ليس من العدل الجور على الفكر اليوناني<sup>(٤)</sup>، استمطارا للدعوات التي يرفعها الشرق البائس مع أكف الضراعة في وقتنا الحاضر، أو الاستهداء ببعض الأحكام التي انطلقت من أصحابها، لترفع من قدر فريق على آخر. فعن حذيفة<sup>(٥)</sup> قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تكونوا إمعة)» تقولون إن أحسن الناس أحسننا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطئوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»<sup>(٦)</sup>.

(١) راجع للدكتور محمد حسن رفقي - الفلسفة القديمة ص ١٢١.

(٢) سورة النساء - الآية ٥٨.

(٣) الإمام ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ١ ص ٤٨٩.

(٤) راجع كتابنا: الدرة النيرة في الدفاع عن السنة المطهرة - ج ١ ص ٥٧.

(٥) حذيفة بن اليمان من ثقباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو صاحب السر واسم اليمان حبل ويقال حبل بن حابر العنسي اليماني أبو عبد الله حليف الأنصار من أعيان المهاجرين. حدث عنه أبو وائل وزر بن حبيش وزيد بن وهب وربيعة بن خراش وطلحة بن زهر وتعليق بن زهدم وأبو العالقة الرباعي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومسلم بن نديسر وأبو إدريس الخولاني وقيس بن عباد وأبو البختري الطائي ونعيم بن أبي هند وهمام بن الحارث وحلق سريهم، له في الصحيحين اثنا عشر حديثا وفي البحاري ثمانية وفي مسلم سبعة عشر حديثا، شهد هو وأبوه أحدا فاستشهد أبوه بمرصد قتل بعض الصحابة عطلا ولم يعرفه، ولم يشهد بدرا وقال: ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي فأخذنا كفسل فريش فقالوا إنكم تريدون محمدا فقلنا ما نريد إلا المدينة فأخذوا العهد علينا لتصرفن إلى المدينة ولا تقاتل معه فأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال نفي بعدهم ونستعين الله عليهم، أحيى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسين حذيفة وشمار، وروى إمرة المدائن لعمر فتي عليها إلى بعد. مقتل عثمان وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة، وقد ناشده عمر أانا من المنافقين فقال لا ولا أركي أحدا بعدك، وحذيفة هو الذي نذبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب ليحس له خير العدو وعلى يده فتح الدينور عنوة ومناقبه تطول رضي الله عنه. [سير أعلام النبوة - ج ٢ ص ٣٦١ رقم: ٧٦٦]

(٦) الإمام بكسر الحفرة وتشديد الميم: الذي لا رأي له، فهو باع كل أحد على رأيه، وإعاده فيه للسلطة. ويقال فيه إسع أيضا. ولا يقال للمرأة إمعة، وهرته أصلية؛ لأنه لا يكون أملا وصفا. وقيل هو الذي يقول لكل أحد أنا مملوك. [راجع النهاية في علوم الحديث لابن الأثير - المجلد الأول - حرف الحفرة - باب الحفرة مع الميم]

(٧) الإمام الترمذي - سنن الترمذي - ج ٤ ص ٣٦٤ - ٦٣ باب ما جاء في الإحسان والعفو - رقم: ٢٠٠٧، وأخرجه اسنري - الترغيب والترهيب - ج ٣ ص ٢٣١ رقم: ٣٨١٢، وأخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن يزيد قال «قال عبد الله لا يكون أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة يا أبا عبد الرحمن قال يقول إنما أنا مع الناس إن اعتدوا اعتديت وإن ضلوا ضللت ألا يورث أحدكم نفسه على أن كثر الناس أن لا يكسر» [الطبراني - المعجم الكبير - ج ٩ ص ١٥٢ رقم: ٨٧٦٥، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء - ج ١ ص ١٣٧]

كما لا يفوتني التلميح إلى أن البعض ربما استكان في رحاب القرارات التي أصدرها بعض الكبراء، أو ارتضى السير في ركابهم، تحت ستار الأشياء التي فرضتها التبعة، ثم يكبل الاتهامات لفريق من المتصارعين، وينفس الحماض يكبل للثاق الامتيازات، من غير مراجعة للمواقف، التي قامت عليها أوجه القدح أو المدح، وهذا ليس من طبيعة المنهج العلمي ولا البحث الفلسفي.

بل إن الله تعالى قد حذر من سلوك هذا الطريق الفوضوي، أو القائم على التقليد الأعمى. قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّاىَ الْعَذَابِ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ \* وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَبْرَأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>.

❊ يقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب<sup>(٢)</sup>: «وقال التابعون: ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنتبع سبيل الحق، ونأخذ بالتوحيد الخالص، ونغتنى بكتاب الله وسنة رسله ﷺ، ثم نعود إلى موضع الحساب، فنترأ من هؤلاء الضالين كما تبرأوا منا، ونسعد بعملنا حيث هم أشقيا بأعمالهم» كذلك يو الله أعمالهم حسرات عليهم ﴿إنه كما أراهم العذاب سير بهم أعمالهم حسرات عليهم، والمراد من أراءهم ذلك أنه يظهر لهم أن أعمالهم قد كان لها أسوأ الآثار في نفوسهم، حتى جعلتها مستعبدة لغير الله، فيورثهم ذلك حسرة وشقاء، فالأعمال هي التي كونت هذه الحسرات في النفوس، لكن ذلك لا يظهر إلا في الدار الآخرة، التي تسعد فيها النفوس أو تشقى»<sup>(٣)</sup>.

❊ ويقول الشيخ سيد قطب<sup>(٤)</sup>: «ثم يدرك هؤلاء وهؤلاء أن هذا الحوار البائس لا ينفع هؤلاء ولا هؤلاء، ولا ينجي المستكرهين، ولا المستضعفين، فكل جريته وإيمته، المستكبرون عليهم وزرهم، وعليهم تبعه إضلال الآخرين وإغوائهم، والمستضعفون عليهم وزرهم، فهم مسئولون عن اتباعهم للطغاة، لا يعفيهم أنهم كانوا مستضعفين، لقد كرمهم الله بالإدراك والحرية، فعطّلوا الإدراك

(١) سورة البقرة - الآية ١٦٧.

(٢) هو عبدالكريم محمود يونس أحمد حسن الخطيب، ولد بقرية الصوامعة غرب النابغة لمركز طهطا بمدينة جرجا بمحافظة سوهاج في مايو ١٩١٠م وعمل مدرسا بوزارة المعارف العثمانية ثم سكرتيرا لوزير الأوقاف على عبدالرازق، ثم أستاذا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وبلغت مؤلفاته ٤٣ مؤلف منها التفسير القرآن للقرآن، الفقه القرآن من العالم المنظر وغير المنظر، المرأة في الإسلام، اليهود في القرآن، المهدي المنتظر ومن ينتظرونه... الخ. توفي رحمه الله في نوفمبر ١٩٨٦م. [راجع رسالتنا: عبدالكريم الخطيب وآراءه الكلامية - (رسالة ماجستير بجامعة عين شمس) ص ٣١/١٠. (وراجع عبدالكريم الخطيب والثقافة الإسلامية - الأستاذ السيد أبو ضيف المسند ص ١٤/١٢ طبعة دار الفكر العربي بمصر، ومجلة الدعوة ١١ نوفمبر ١٩٨٦م]

(٣) التفسير القرآن للقرآن - عبدالكريم الخطيب ج ٢ ص ٤١/٤٠.

(٤) هو الشهيد المرحوم سيد بن قطب المفكر الإسلامي المصري. ولد بأسبوط سنة ١٩٠٦م، وتخرج من كلية دار العلوم، ومن أشهر مؤلفاته: العدالة الاجتماعية في الإسلام، وفي ظلال القرآن، توفي سنة ١٩٦٦م.

وباعوا الحرية، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا ذيولاً، وقبلوا لأنفسهم أن يكونوا مستذلين، فاستحقوا العذاب جميعاً، وأصابهم الكمد والحسرة، وهم يرون العذاب حاضراً لهم»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً﴾ ربنا آتاهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً<sup>(٢)</sup>، فهم بذلك قد لغتوهم الكفر، إذا أطاعوهم - الكبراء والسادة - طاعة عمياء، دون نظر وتفكير فيما يقولونه لهم، فهم مستحقون العذاب مرتين؛ لأنهم أضلوا أولاً، ثم ضلوا ثانياً<sup>(٣)</sup>، فصار التقليد للأكابر دون إعمال للعقل فساد ومروق وضلال ودمار.

وقال جل ثناؤه: ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أوراهاهم لأولاهاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتاهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ وقالت أوراهاهم لأوراهاهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون<sup>(٤)</sup>. قالت أوراهاهم ضالة مشيرة إلى الرعي الأول من الهرمين، الذين أبعدوا الناس عن الإسلام: يا رب هؤلاء هم الذين أضلونا عن دينك، عذبهم عذاباً شديداً مضاعفاً، فيحييهم الله: سأضعف العذاب لكم جميعاً، لمّا إذا اتعنموهم؟ وتقول طليعة الكفر لأخر أمة كافرة وهي شامة لن يقل عذابكم عن عذابنا: فكلنا فيه متساوون<sup>(٥)</sup>.

(١) طلال القرآن - ج ٥ ص ٢٩٠.

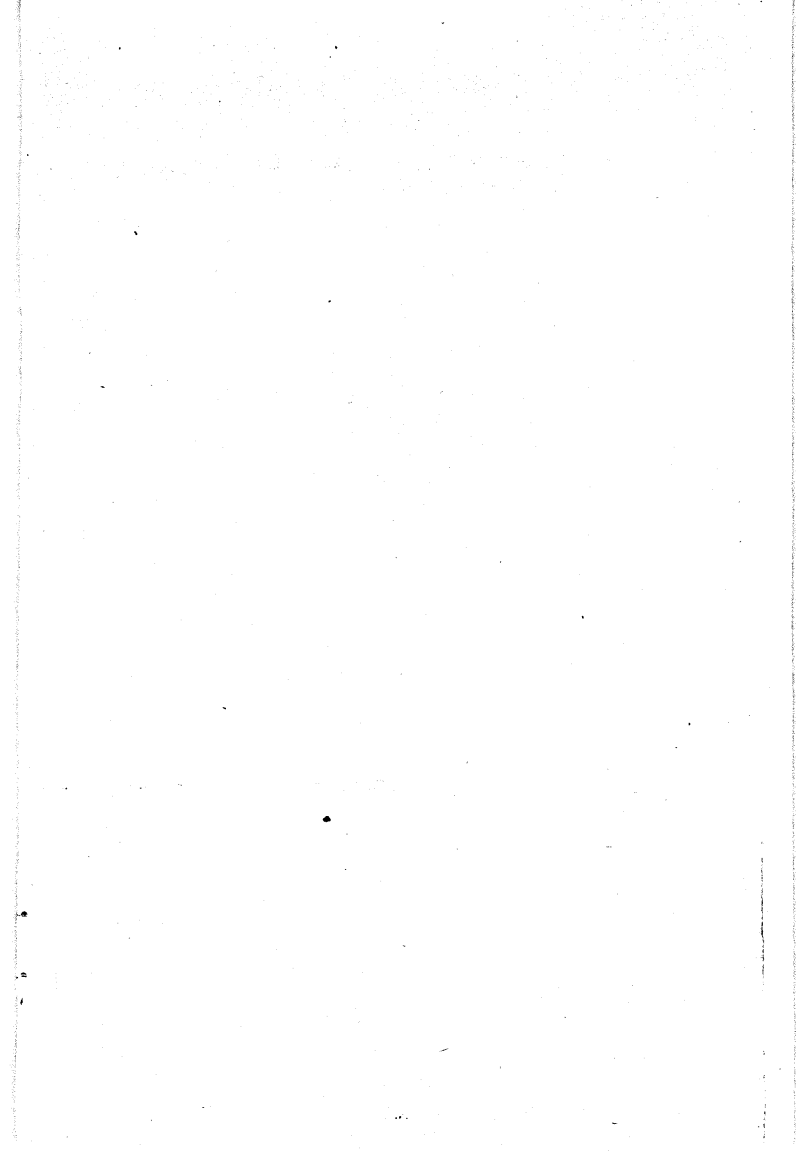
(٢) سورة الأحزاب - الآية ٦٨/٦٧. يقول العلامة الحافظ ابن كثير: «أي ربنا؛ إنا أطعنا الأمراء والكبراء، وحالفنا الرسل، واعتقدنا أن عندهم شيئاً، وأنهم على شيء، فإذا هم ليسوا على شيء، ربنا آتاهم ضعفين من العذاب أي بكبرهم وإغوائهم إيانا والصنم لعنا كبيراً» [ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ٣ ج ٦ ص ٣٠١].  
(٣) راجع في هذا الشأن للعلامة أبي السعود - تفسير أبي السعود ج ٤ ص ٣٣٤ - طبعة دار العصور للطبع والنشر ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

(٤) سورة الأعراف - الآية ٣٩/٣٨. وفي التفسير قال ابن كثير - رحمه الله - : «يقول تعالى محمداً عما يقوله هؤلاء المشركين به المشرعين عليه المكذبين بأنهم ﴿ادخلوا في أمم﴾ أي من أمثالكم وعلى صفاتكم، ﴿قد خلت من قبلكم﴾ من الأمم السالفة الكافرة، ﴿من الجن والإنس في النار﴾. وقوله: ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً﴾ أي اجتمعوا فيها كلهم ﴿فانت أوراهاهم لأولاهاهم﴾ أي أوراهاهم دحولا وهم (الأتباع) لأولاهاهم وهم (المتبعون) لأنهم أشدّ حرماً من أتباعهم فدخلوا قلبهم فيشكروهم الأتباع إلى الله يوم القيامة لأنهم هم الذين أضلّوهم عن سواء السبيل، فيقولون: ﴿ربنا هؤلاء أضلونا فآقم عذاباً ضعفاً من النار﴾ أي أضعف عليهم. ﴿قال لكل ضعف﴾ حيث فعلنا ذلك وحازبنا كلا نخسه، ﴿وقالت أوراهاهم لأوراهاهم﴾ أي قال المتبعون للأتباع: ﴿فما كان لكم علينا من فضل﴾، لقد ضللتكم كما ضللتنا، ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾، وهذه الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال عسرهم» راجع تفسير القرآن العظيم - العلامة الحافظ ابن كثير ج ٢ ص ٢٨١ - طبعة دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ.

(٥) عبد الوهيد يوسف - تفسير المؤمنين ص ١٣٢ - راجعه الدكتور مصطفى الحن.

وفي تقديرى أن مسألة نشأة الفلسفة وإرجاعها إلى أمة بعينها، يمثل نوعاً من القسوة على أولئك النفر الذين كانت لهم تطلعات فكرية، وجولات عقلية، لكنهم لم يتح لهم الانطلاق بها إلى عالم الشهرة، بل كان لبعضهم من الإلهامات الوجدانية ما يكفى لإنشاء فلسفة متكاملة، لكن انطوى بين ثنايا صفحات الزمن، رغما عنهم، أو كرها للإعلان عن كونهم مفكرين من الطراز المتميز، ولم يكونوا من أمة اليونان ولا من شعوب الشرق، وإنما كانوا ممن خلقهم الله تعالى، ويعيشون في ثنايا أممهم المهلكة مثلاً، كأتباع عاد الأولى، وقوم تبع أو الذين عاشوا على شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية قبل اكتشافها، أو كان من أولئك الرحل الذين لا تعرف لهم هوية تتحدد بها محال إقامتهم.

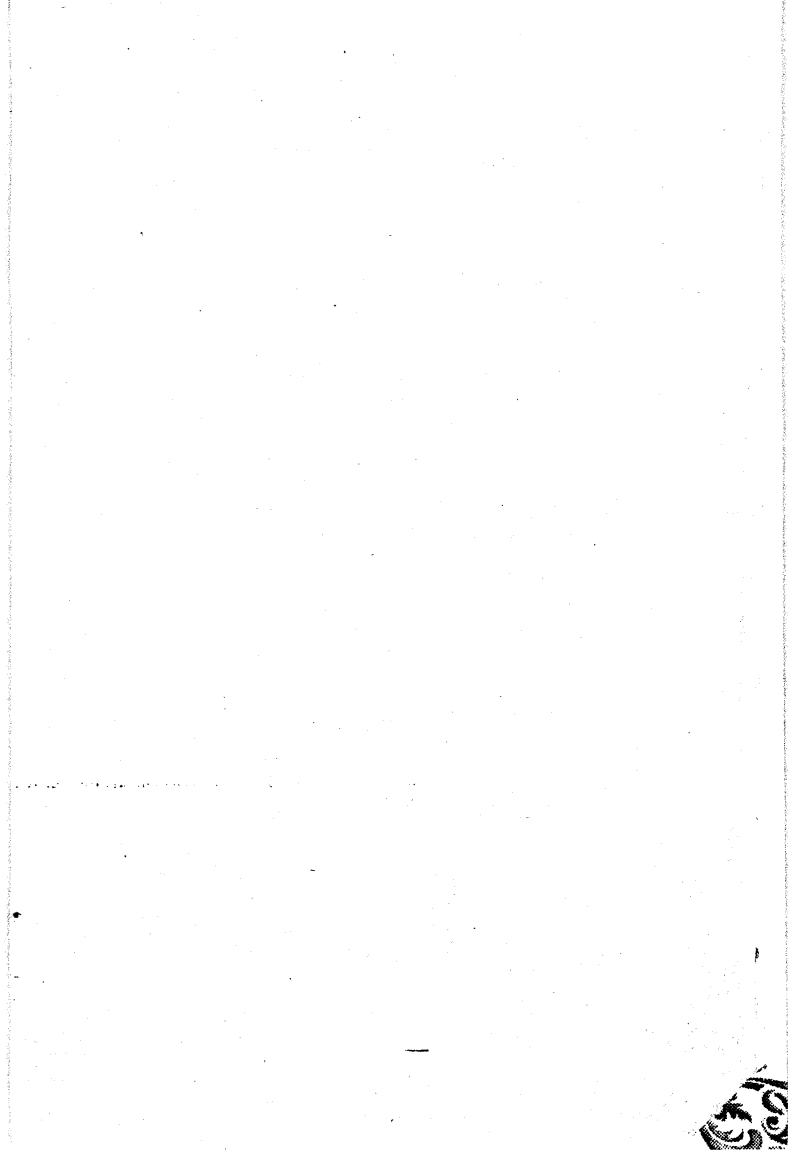
أما إذا انعكس الأمر، وتقرر أن الفيلسوف سمة طبيعية، وظاهرة إنسانية، وأن الفكر الصحيح لا يفقد من يتمسكون به أينما كانوا، وأن الموضوعات الفلسفية كقطع الذهب، يتم التعامل بها في أى مكان من بلدان العالم، أمكن القول بأن الفلسفة حركة فكرية واعية، واتجاه داخل الفرد نفسه، يدفعه إلى الإعلان عن اكتشافاته، التي أمكنه الوصول إليها، من خلال تأملاته المتواصلة في الكون، وأن هذه الحركة العقلية الواعية غير مقيدة بمكان ولا زمان، ولا أشخاص، إنما كتسمات الهواء المنطلقة في كل اتجاه، وأعابير النسيم التي تشف المرء من كل ناحية.







مفهوم الفلسفة  
في العصور المختلفة



(١) راجع كتابنا: رياض الأشراف في المبتغيات والأخلاق ص ٧٨ .  
 (٢) العاية هي التي كملت زينتها الطبيعية، لا تحتاج شيئا تزين به . [ فطر الخيط - باب الفين ] ويقول ابن منظور :  
 « العائنة من النساء التي غسيت بالزوح ؛ وقبل : الشاة المستزوجة ، وجعها غرانة » وفيه التي غسبت  
 عسها وجعنا عن الحسلي ، ونسب : في التي تغلب ، وقيل : هي التي غسبت غسبت أوبريها  
 ولم يقع عليها ساء ، وقيل : هي الشاة الغسفة ، كان لها زوج أولم يكن » [ راجع لسان العرب ج ١٥  
 ص ١٣٨ ، وتختار الصحاح ج ١ ص ٢٠٢ رقم ٢٠٢ مادة غ ن ]  
 (٣) الشيخ حمدان السيد ثابت - العلوم العقلية في البيئة الإسلامية ص ٣٧ .  
 (٤) العلامة محمد بن حسن الطهراني - العلامات والكميات ص ٢٣ .

كما أن الفلسفة تعبر عن وجهات نظر ممارسي التفلسف أنفسهم<sup>(١)</sup>، وبالتالي فهي تمثل وجهة نظر شخصية، تتعلق بالمفكر نفسه ولا تمثل قاعدة عامة كلية، تنطوي فيها جزئياتها، ولما كان كل مفكر ينسب إلى جماعة بعينها؛ فإن الأفكار التي عملاً عقله أو تتولد عنه - كتنتاج فكري - تكبون مصبوغة بما تقوم عليه تلك الجماعة.

وإذا كانت المعالم الأدبية في عصر من العصور هي المرأة الجمالية التي تنعكس عليها صورة ذلك المجتمع؛ فإن الفلسفة هي المرأة العقلية التي تعين على قراءة ما يجري داخل ذلك رهوس وعقول أفراد ذلك المجتمع، باعتبار أن كل إنسان مفكر لابد أن تكون له نظرة تأملية<sup>(٢)</sup> في ناحية من مناحي التأمل، التي تعتبر فيلسوفا من ناحيتها، أو تبجيه الفلسفة من بابها.

يبد أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، وإنما تجاوزته ليشمل الفوارق الطبيعية الكائناتية بين انتماءات أفراد الجماعة الواحدة، إذ لم يعد الفارق بينها هو المعبر عن تمايز جماعة على أخرى، وإنما هو المعبر الحقيقي عن مجتمع جماعة بخاصية بحث في مجال من المجالات العلمية<sup>(٣)</sup>، وانطلاق جماعة أخرى إلى مجال بحثي آخر قد تكون له بعض العلاقات بالجانب الأول، وقد لا تكون، وذلك مما يجعل الاتفاق على تعريف محدد للفلسفة أمراً صعباً.

كما أن مباحث الفلسفة تختلف باختلاف الاسم أو الوصف، فالفلسفة اليونانية كانت تبحث في أصل الكون، بينما الفلسفة العامة تبحث في الوجود والمعرفة والقيم، أما الفلسفة الإسلامية فإنها تبحث في طرائق الاستدلال على وجود الله تعالى<sup>(٤)</sup>، ثم أدلة وجود العالم وتناهيته، وأخيراً الإنسان وعلاقته بالله والعالم، وذلك أيضاً يجعل إمكانية تقديم تعريف حدى للفلسفة في غاية الصعوبة.

إذن تعدد الموضوعات التي تتناولها الفلسفة، وتوالي العصور الفكرية واختلافها ضعفا وقوة، وتعدد اتجاهات المفكرين بتعدد المجتمعات والانتماءات والعصور، كل ذلك يؤكد صعوبة الاتفاق على تعريف محدد للفلسفة يكون محييه على ناحية حدية، جامعاً مانعاً في نفس الوقت، ومن ثم سأحاول التقاط بعض التعريفات للفلسفة من خلال بعض العصور الفلسفية.

(١) راجع كتابنا: التفلسف ( مفهومه - بواعثه - خصائصه )

(٢) الدكتور فوزي محمد ثابت - الفلسفة اليونانية ص ١٣ ط ١٩٦١/١م.

(٣) الدكتور عبدالعظيم حسن قطب - الفلسفة ومناهج البحث ص ٤١ ط دار مراد ١٩٧٣م.

(٤) الشيخ مرسى حسن عبدالعظيم - العصور الفلسفية لدى القدماء ص ٦٥ ط ١٩٣٧/٢م.

هذا العصر هو ما يعرف باسم عصر فلسفة ما قبل الفلسفة، أو عصر التفلسف قبل الفلسفة المنظمة<sup>(١)</sup>؛ لأن كل مفكر كانت أفكاره تتحول برأسه دون أن يطلع عليها أحداً، كما كانت تمثل حركة تأملية داخل وجدانه وحده، دون أن يحاول إبرازها لأحد، حتى يرى ما إذا كانت مقبولة أم مرفوضة، فهذا يتأمل نفسه، وذلك يسعى لتأمل بعض الكائنات المحيطة به، وذلك يسعى لمعرفة مصادر غذائه وشرابه، وكيفية المحافظة عليها، بل كان كل منهم يبدل قصارى جهده في محاولاته كحالات فردية لا رابط بينها، وكل منهم تعتصم أفكاره برأسه، ولا يعمل على إبرازها، حتى يطلع عليها الآخرون، وحينئذ تعرف الفلسفة بأنها المحاولات العقلية التي يبدلها كل إنسان مفكر في حدود طاقاته والمشكلات التي تحيط به<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا النحو يمكن معالجة كل الخطرات الفلسفية التي جنحت بأصحابها ناحية التأمل العقلي، بغية البحث عن حلول لمشكلات الحياة اليومية، والمسائل التي تعترض طريق الإنسان المفكر ويعمل على تذليلها والسيطرة عليها، يستوى في ذلك إنسان الصين، أو إنسان الهند، وإنسان بابل<sup>(٣)</sup>، أو الإنسان الفرعوني القديم؛ لأنها عمليات عقلية في البحث عن حلول لمشكلات تتعلق بالإنسان يأ

كان.

(١) أ.هـ. بیتال - الفلسفة القديمة ص ٩ ترجمة حنان صبحي ١٩٥٧م.

(٢) يوهان أندرسون - ما قبل الفلسفة ص ١٧ - ترجمة: رمزي عبدالمسيح ط دار الفؤاد ١٩٤٦م.

(٣) بابل: هي إقليم من العراق تقع ما بين سبعين درجة طولاً و عرضاً، وبالنسبة لموقعها تحت خط الاستواء، تقع تحت اثنين وثلاثين درجة، ويذكر أهل التوراة أن مقام آدم عليه السلام كان ببابل، فلما قتل قابيل هابيل؛ مقت آدم قابيل، فهرب قسايل بأهله إلى الجبال (أرض بابل) فسميت ببابل يعني التفرقة. [راجع في هذا الشأن الشيخ الإمام فهد الدين أبا عبد الله باقرت بن عبد الله الحموي الرازي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٧/٣٧٠ - تحقيق دكتور فريد عبد العزيز الجندی - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج ١: ١٤١٠هـ/ ١٩٨٠م]، ويقول عنها قاسموس الكتاب المقدس: « كانت مدينة مبنية على جاني نهر الفرات، وكانت يهونها ترتفع إلى دورين أو ثلاثة أو أربعة، وشوارعها مستقيمة، ويظهر أنها كانت تقاطع في زوايا قائمة كشوارع المدن العظيمة الحديثة، كل شارع يعمل إلى النهر، محكمة بوابة نحاسية كبيرة ضخمة، وكانت تلك المدينة قد نسبت إلى نمرود من حيث البناء، بينما ينسبها غيرهم إلى مسرودوخ ولا يعرف بالضبط تاريخ تأسيسها، لكنها بلغت ذروة مجدها في القرن الثامن عشر قبل الميلاد في عصر حمورابي من الأسرة البابلية الأولى، وكذلك في القرن السادس قبل الميلاد في عصر الملك نبوخذ نصر من الأسرة الكلدانية ». [راجع قلموس الكتاب المقدس ص ١٥٢/١٥٧]

وهذا العصر لا يعرف بالتحديد بدايته، كما لا تعرف على وجه اليقين نهايته<sup>(١)</sup>، كما أن الأفكار التي أمكن تناولها فيه لم تكن على شكل منظم، وإنما كانت نجيء على ناجية عشوائية حالصة.

غير أن ذلك الإنسان - الذي وجد في عصور لما قبل التاريخ - قد تطورت معه بعض أنسلاط الحياة، فطور هو الآخر من سلوكياته بفرض مواجهتها حيناً، أو الرغبة في السيطرة عليها وإعلانه الغلبة لها حيناً آخر، فمثلاً: تطورت حياة الإنسان من الرعي إلى الزراعة في الأغلب الأعم<sup>(٢)</sup>، ومن الترحال المتواصل إلى الاستقرار المؤقت، ومن النظر في الكائنات الواقعة تحت قدميه، إلى الكائنات العليا التي كانت تمثل سقفاً له، ومناطق الرغبة أو الرهبة<sup>(٣)</sup>، كالمطر والبرق والزلازل والبراكين، وذلك استنتج تطور العلاقة بين الإنسان والمفكر والكون المحيط به.

وظل الأمر بين الإنسان والكون في حالة من الترقب والتأمل، وكان انتظار المنافع أو الهرب من المخاوف من جانب الإنسان وحده، الذي أرهقته قوى الطبيعة، فراح يناورها ويتجادل معها، وربما أمكنه التعبير عن ذلك التناحي لها، أو التجادل معها من خلال لغة معبرة مكتوبة، ظهرت على بعض الأحجار التي أمكن التعرف عليها، وفك رموزها الإشارية، وكان ذلك ديدن عقلية المفكر أبان عصر ما قبل الفلسفة المنصصة.

### ثانياً: في عصر التشكيز المنظم

وهو العصر الذي برز فيه العقل الإنساني مرتعلاً من الأرض إلى السماء، ومن السماء إلى الأرض، في صورة متبادلة بينه وبين الظواهر الطبيعية، حيث كان همه الأول التعرف لا على وجود الكائنات المحيطة به، وإنما التعرف على كيفية وجودها والغاية التي تقوم عليها، فهو لا ينظر إليها في ذاتها، وإنما ينظر في الأصول التي انطلقت منها، أو التي قامت عليها؛ ولذا تعرف الفلسفة في ذلك العصر بأنها العملية العقلية التي تبحث عن أصل الكائنات، وكيفية وجودها على نحو ما هي عليه<sup>(٤)</sup>.

(١) إذ ذهب البعض أن هذا التاريخ يعرف باسم: عصور ما قبل التاريخية، ويقدرها بمائتي ألف سنة قبل الميلاد. [راجع للدكتور محمد طاهر محمد الطويل - الحضارة القديمة ص ١٧] ويذهب آخرون إلى أن هذه العصور تمتد قرابة المليونين قبل التاريخ المثق عليه. [راجع للدكتور السيد حسن الدرملي - التاريخ القديم ص ١٣] بينما يذهب فريق ثالث إلى أن هذه العصور ضاربة في القدم، دون تحديد لها، كما أن النهاية ليست محل اتفاق بين الدارسين، ولكنهم يذكرونها على ماحية تقريبية. [راجع للدكتور صبرى عبد العظيم الكلاوى - التاريخ والحضارة ص ٣٢] ومن ثم فقد غلب عندى تفويض العلم في المسألة على وجه اليقين إلى علم الله تعالى باعتباره أن الظن لا يفيد في هذه المسائل، كما لا يمكن اعتباره قاعدة يقينية.

(٢) حيث إن ابن آدم فقط قد تعلم قابيل الزراعة، بينما تعلم هابيل الرعي، وقد أنش كل منهما المهنة التي تعلمها. [راجع في ذلك: حاشية العلامة الصاوي على الجلالين]

(٣) الأستاذ ناصر محمد أبو على - الإنسان والحضارة ص ٥٣ ط ١٩٣٧ م.

(٤) يوهان أندرسون - ما قبل الفلسفة ص ٣١.

فالتأمل هنا لا ينعكس إلى ذاته بقدر ما ينتقل ناحية الأمام والخلف، والشمال والجنوب، والوقوف، لكنه لم يعد ينظر إلى مسألة التحت أبداً؛ لأنها مرحلة سبق له أن تعرف عليها، وأبدى وجهة نظره فيها، وأمكنه الوصول ناحيتها إلى ما يشبه القناعة، بأن ما أدركه بشأنها يكفيه ولا يحتاج معه إلى زيادة.

وهذا العصر دفع بالمفكرين إلى استحداث طرائق فكرية وأنماط سلوكية جديدة، لمواجهة المشكلات المستجدة مع عدم التخلي عن الأساليب القديمة؛ لأن دورها لم ينقطع، وإن كان أفضل في ناحية الاستفادة منه<sup>(١)</sup>، فظهرت وسائل تسوية وجه التربة، حتى تصير صالحة للإنبات، واستثناس المزيد من الحيوانات البرية، والعمل على زراعة قمم بعض الجبال والاستفادة من قطرات الأمطار<sup>(٢)</sup>.

وقد صاحب ذلك ظهور طبقة من المفكرين الذين اندفع بهم التأمل العقلي المنظم، والرغبة في كشف المستور، إلى ممارسة بعض ألوان التنسك ثم التألية لبعض قوى الطبيعة، وبخاصة في الأمم أو الجماعات الذين انقطعوا عن نور البوحي، أو انقطعت عنهم تعاليمه<sup>(٣)</sup>.

لكن هؤلاء الأفراد القلائل كانت لهم أنات حائرة، وأحكام صائبة، جعلت غيرهم يتحسره إليهم، يشند لديهم سلامة التفكير، وصحة الرأي، والوقوف على النتائج الصائبة، واستخدام الأحكام المقبولة؛ فكانوا حكماء في أقوامهم، من غير أن ينسبوا إلى الحكمة، وإنما نسبت إلى فعالهم وأقوالهم ونصائحهم الحكمة<sup>(٤)</sup>، ووصفوا بها.

بيد أن هذا العصر قد امتدت آثاره، فشملت المعمورة شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، وبنات أفراد كل جيل داخل ذلك المجتمع يتحاورون فيما بينهم، ويعمل كل طرف من المتحاورين على إبراز ملكاته، وما يقع فيه الإبداع بالنسبة له، ومن ثم انغار كل فريق إلى جانب معر في بذل جهده فيه،

(١) الدكتور هان محمد الطويل - الحضارة القديمة ص ٤١، وراجع للأستاذ فهمي حسن - الإنسان والحضارة ص ٥٥ ضعة دار المختار بالعراق ١٩٤١م.

(٢) الدكتور السيد حسن الدرملي - التاريخ القديم ص ١١٢، وكذلك التاريخ والحضارة ص ٩٧ للدكتور صبرى عبد العظيم الكلاوي، وراجع فلسفة الحضارة للدكتور نازلي إسماعيل ص ٣٩ وما بعدها.

(٣) لما هو معلوم عندنا من أن الله تعالى جلت حكمته لم يترك أمة من الأمم إلا وحمل فيها النذر الذين يسهلونهم للعساق العظيم حل علاء ويهدوهم له لا سواء. قال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا حلالها نذير﴾ [سورة فاطر - من الآية ٢٤] يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : «وما من أمة حلت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم السندر وأزاح عنهم الغل، كما قال تعالى: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ [سورة الرعد - الآية ٧]، وكما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واحسبوا الطاعات﴾ [سورة النحل - من الآية ٣٦] والآيات في هذا الشأن كثيرة» [العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ٣ ص ٥١٢] وقال السيوطي: «وفي قوله ﴿وإن من أمة إلا حلالها نذير﴾ يقول كل أمة قد كان لها رسول جاءها من الله» [العلامة جلال الدين السيوطي - السندر المنثور في التفسير بالمأثور ص ٤٢٣]

(٤) لوفتان - الحكمة والفلسفة ص ٢٧ - ترجمة رزق صبحي ط ١٩٦٥م.





قبل سقراط<sup>(١)</sup> هي البحث في الأشياء من ناحية أصولها وتركيباتها، والخلال هذه التراكيب، وتحولات هذه الجوهريات والعرضيات من أنظمة مادية إلى أرقام ودلالات رياضية، كما تم بحث علاقة هذه الطبيعيات بالرياضيات عن طريق جهة أخرى غير طبيعية، وغير رياضية أيضا فأمكنهم إطلاق اسم الميتافيزيقا عليها.

ومن ثم يمكن القول بأن هذا العصر عرفت فيه الفلسفة بأن البحث في المتغير والمتغير، وإمكانية تحويل كل منهما للآخر، وربط ذلك بعلاقة رياضية عن طريق دعم ميتافيزيقي<sup>(٢)</sup>.

ثم بناء عليه؛ فقد ظهرت ثلاثة مذاهب تمثل ثلاث مدارس كلها تمارس المهام العقلية في شكل نتاج فلسفي له مقوماته الطبيعية والأساسية أيضا. هي:

#### « المدرسة الأيونية<sup>(٣)</sup> ذات الاتجاه الطبيعي »

وهم الذين هموا إلى مسائل العلم الطبيعي، وراحوا يبحثونها، ويتأملون فيها، وينظرون إلى مشكلاتها نظرة موضوعية، ثم يعملون على معالجة قضايا العلم الطبيعي في نطاق ما رسمه زعماء المدرسة الأوائل، وكان منهم:

(١) سقراط: هو واحد من أشهر فلاسفة اليونان ٣٩٩/٤٧٠ ق.م؛ ولد في أثينا من أم كانت تعمل قابلة، وأب يعمل صناعة التماثيل، وقد أحترف سقراط صناعة أبيه أول أمره؛ لكنه ما لبث أن تحول عن هذه الصناعة إلى البحث في الحكمة، والتفكير فيها في سن مبكرة، ثم أخذ يفتي عقله علميا، بهذب نفسه عمليا، وكان يعتقد أن الغاية من العلم هي العمل بفنهم بإنكار آفة المدينة والدعوة لآفة جديدة، وإفساد عقول الشباب؛ حكم عليه بالإعدام، وشرب سم الإعدام وهو راض؛ وقد مات بعد بلوغه سن السبعين - [ راجع في تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩٨/٩٢ ] وكان من تلاميذه العديدين: أفلاطون، وأرسطوبس، وإقليدس الجحاري، ولم يكتب كثيرا، وإنما كان يعتمد على أسلوب الحوارات، حيث كان يحاور الناس ويناقشهم في كل ما يتعلق بالفضيلة والأخلاق، وكان يفترض منسجحا في الحوارات صار معروفا باسمه، ودافع أمره بالنسبة إليه، كان معذره هؤلاء التلاميذ وقد أقمته الديمقراطية اليونانية بالريع عن الدين وإفساد عقول الشباب، وحكمت عليه بالإعدام. [ راجع الموسوعة الفلسفية ص ٢٤٥ ] وضع مجموعة من العلماء السوفييات والموسوعة الفلسفية ص ٢٤٤ للدكتور عبدالمعزم الحفني، وقد ذكر إن هذه المعلومات عنه تم الرجوع فيها إلى كل من مسرحية السحب لأرسطوفان والمذكرات لأكسينوفون والحوارات لأفلاطون باعتبارها المصادر التي تذكر حيلة سقراط وتشير إلى نهايته أيضا.

(٢) الدكتور عبدالعظيم حسين طاهر - الفلسفة اليونانية قبل سقراط ص ٧١ - ١٤ - المغرب ١٩٧١م.

(٣) راجع تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم ص ٩ وما بعدها، وقصة الفلسفة اليونانية للدكتور أحمد أمين ص ١٧ وما بعدها، وللدكتور عبدالعظيم حسين طاهر - الفلسفة اليونانية قبل سقراط ص ٧٢ وما بعدها مكل من هذه المصادر قدم نبذة عن هذه المدارس والمذاهب إما في صورة موجزة أو في شيء من البسط والشرح.

## ١. طاليس الأيوني (٥٤٦/٦٢٤ ق.م.):-

وهو غير أرسطو طاليس<sup>(١)</sup> وقبله بقرون عديدة، وكان بحثه وتأملاته الطبيعية تتم على الناحية النظرية، واضعاً في حسبانته الماء كمادة أولية يقيم فيها أبحاثه، فينتهي إلى أن الماء هو أصل الكائنات، وهو المادة الأولى التي صدرت عنها كل الكائنات، وإليها تعود، كما ظن أن الأرض قرص متجعد من الماء ييسج فوق لجج مائية ليس لأبعادها نهاية، باعتبار أن الحياة تدور مع الماء وجوداً وعدمًا.

ومن ثم فقد عرف الفلسفة بأنها البحث في أصل الماء للتعرف على حقيقة نشأة الكون مسن خلال التقلبات الطبيعية التي تطرأ على الماء<sup>(٢)</sup>، فأقام طاليس ثلاثة مبادئ، من وجهة نظره، ليفسر هذه النشأة والمبادئ. هي:

☆ الأولى: أن الكون الطبيعي يتألف من مادة الماء وحدها دون سواها.

☆ الثانية: أن الأرض قرص يسيح فوق الماء، أو هي قرص عظيم الحجم يغطي وجه كل الماء.

☆ الثالثة: أن كلا منهما يتبادل هويته مع الثاين تبادل الأصل والفرع<sup>(٣)</sup>.

وطاليس هذا إنما يعبر عن روح سادت أصحاب هذا الاتجاه الطبيعي الذين عكفوا على المكونات الطبيعية، يتساءلون معها، ويعيدون البحث فيها، ولا يتوقفون عن مطاردة أنفسهم الغرام

(١) أرسطو طاليس: ولد عام ٣٨٤/٣٢٢ ق.م.، بأسطاغورا إحدى المستعمرات اليونانية، وكان أبوه طبيباً للمكها. [راجع للدكتور منصور عبدالقادر القط - أرسطو وفلسفته ص ١٧] وتقع هذه المدينة على نهر إبيرو في الشمال الشرقي من شبه جزيرة خلبندية في تراقية على حدود مقدونيا، وكانت أسرته معروفة بالطب، وكان أبوه يقوم بحرس طبيب خاصاً للملك، دخل أرسطو أكاديمية أفلاطون، فتميز على أقرانه؛ فسماه أفلاطون العقل لذكائه الخارق؛ مات عام ٣٢٢ ق.م.، ويرجع المؤرخون موته إلى وجود مرض في معدته بعد أن ترك ثروة من المؤلفات العلمية - [راجع قصة الفلسفة اليونانية للأستاذ / أحمد أمين، والدكتور زكي نبيب محمود، وراجع تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كسرم] وترجم أيضاً لأرسطو طاليس بأنه أرسطو بن نيقوماخوس كان أبوه طبيباً لأبيتناسي الشان ملك مقدونيا، وهو فيلسوف وعالم موسوعي ومؤسس علم المنطق وعدد من فروع العلم المختلفة، ولد في أسطاغورا في شمال اليونان، مات أبوه في صفرو فوفد على أتيما وتعلم في الأكاديمية عشرين عاماً ثم اختاره فيليب ملك مقدونيا ليكسرون قريباً لولسده الإسكندر، وبعد أعوام قليلة عاد أرسطو إلى أتيما ليؤسس اللوقيون وبعد وفاة الإسكندر تار الأتييون على المقدونيين والمتصلين بهم، وانهموا أرسطو بالإخاد ففر إلى طالين وهو يقول: لا حاجة لي لأن أهل أتيما منحسوا فرصة أخرى للإحرام ضد الفلسفة. [راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٣٢، ونشأة الحرية في الحرية ج ٢ ص ٣٢٥ تأليف وج. ماك كالستر - ترجمة أمين مرسى فهديل]

(٢) الدكتور عبدالعظيم حسين طاهر - الفلسفة اليونانية قبل سقراط ص ٨٢.

(٣) الدكتور توفيق محمد حنتر - الفكر اليوناني لدى الطبيعيين ص ٥٢، وهو هذه النتيجة بخالف الذين ذهبوا إلى أن فلسفة طاليس يمكن اعتبارها قائمة على مبدئين هما: تألف الكون من الماء، الأرض قرص يسيح فوق ذات الماء.

في أعابيرها، بغية الظفر منها بتصيب، أو الفوز بغاية، ولكنهم لم يبلغوا غاية؛ لأن أفعالهم خرجت بهم عن نطاق التأمل في المخلوقات إلى نطاق التأمل في ذات الخالق فهلكوا.

وفي الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله»<sup>(١)</sup>؛ لأن التفكير في الخالق جل علاه مغرق في الكثر إلى أبعد مدى، وأهل الكثر جميعا ملة واحدة.

وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه «قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه وهم يتفكرون في خلق الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم تتفكرون قالوا نتفكر في الله، قال: لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله، فإن ربنا خلق ملكا قدماء في الأرض السليمة

(١) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي كتيب أبو محمد عند الأثير . روى عن النبي ﷺ كثيرا وعن عمر وأبي الدرداء ومعاذ وابن عوف وعن السدده عمرو قال أبو نعيم حدث عنه من الصحابة بن عمر وأبو أمامة والنسور والسائب بن يزيد وأبو الطفيل وعدة وآخرون . وقال ابن سعد أسلم قبل أبيه ويقال لم يكن بين مولدهما إلا اثنا عشرة سنة أخرجه البخاري عن الشعبي وحسبم يسر يوسر بأن بينهما عشرين سنة. روى البخاري والبخاري من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة ما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب . قال الواقدي مات بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ من اثنين وسبعين. الإصابة في تمييز الصحابة - (العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بسن حجر المصنفات المتوفى سنة ٨٥٢هـ) رقم: ٤٨٥٠ ص ١٩٣/١٩٧ .

(٢) الإمام الطبراني - المعجم الأوسط ج: ٦ ص ٢٥٠ - رقم: ٦٣١٩ ، وأخرجه الميثمي - مجمع الزوائد ج: ١ ص ٨١ - باب في التفكير في الله تعالى وكلام.

(٣) هو «عبد الله بن سلام بن عباد بن الإمام الحارث بن الحارث الإسرائيلي حليف الأنصار من حواري أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم» حدث عنه أبو هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن معقل... وآخرون، وهو ممن شهد فتح بيت المقدس . وعن إسلامه يقول أنس إن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه إلى المدينة فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي ما أول أشراف الساعة وما أول ما يأكل أهل الجنة ومن أسبق الولد أباه وأمه، فقال: أخبرني من حبريل أنما قال ذلك عند اليهود من الملائكة قال إما أول أشراف الساعة فتأخر من المشرق فتحتشر الناس إلى المغرب وأما أول ما يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الشبه فإذا سبق ماء الرجل نسرع إليه الولد وإذا سبق ماء المرأة نزع إليها قال أشهد أنك رسول الله . وقال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن علموا بإسلامي يحرقوني فأرسل إليهم فسلمهم عني . فأرسل إليهم فقال: أي رجل ابن سلام فيكم قالوا حبرنا وابن حبرنا وعالمنا وابن عالمنا قال أرأيتم إن أسلم تسلمون قالوا أعاده الله من ذلك قال فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا فقال يا رسول الله ألم أخبرك أنهم قوم بهت، وعسن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه عاشر عشرة في الجنة، ومات ابن سلام رضي الله عنه في سنة ثلاث وأربعين بالمدينة « [ راجع سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤١٣/٤٢٦ - رقم: ٨٤ ]

السفلى ورأسه قد جاوز السماء العليا ما بين قدميه الى ركبتيه مسيرة ستمائة عام وما بين كعبيه إلى أخمص قدميه مسيرة ستمائة عام والخالق أعظم من المخلوق»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أنه صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقبال ما جمعكم فقالوا اجتمعنا نذكر ربنا ونفكر في عظمته، فقال تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره»<sup>(٢)</sup>.

## ٢. أنكسندريس الملبى (٥٤٧/٦١١ ق.م) صاحب فكرة اللامحدود واللامتناهي :-

رغم أنه كان أحد تلاميذ طاليس الميزين، إلا أنه خالفه في أصل الفكرة التي قال بها طاليس، ورفض أن يكون الماء هو أصل الكائنات الطبيعية، وظل ينقض آراء سلفه، حتى أتى عليها، ثم انتهى إلى أن أصل الكون مادة هولامية غير معروفة من حيث هي، ولكنها معروفة من خلال تحولاتها الطبيعية، وتردداتها بين النار والطين، أو بين الحرارة والرطوبة، وبالتالي عرف الفلاسفة بأنها البحث العقلي الحر المتأق للتعرف على أصل نشأة الكون وتحولات الطبيعة ومسيرة الحياة<sup>(٣)</sup>.

ويمكن القول بأن أنكسندريس الملبى كان من أنصار القول بتعدد الأصول الطبيعية التي نشأت عنها الكون، سواء أطلق عليها اسم اللامحدود أم اللامتناهي، كما كان من أصحاب المدرسة الطبيعية التي آلت على نفسها ضرورة إيجاد حل لمشكلة خلق الكون أو نشأته<sup>(٤)</sup>، من خلال مبدئين:

### الاول : اللامتناهي المتخرج.

### الثاني : الحركة التي تحدث الاجتماع أو الافتراق في أجزاء اللامتناهي.

- (١) العلامة أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء ج: ٦ ص: ٦٧ . وعن عبدالله بن سلام رحمه الله أيضا «أنه صلى الله عليه وسلم خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالك تفكرون فقالوا تفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فاسألوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فإن هذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها أو بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما ما خلق من خلق الله لم يعضوا طرفه عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم هم قال لا يدرون خلق آدم أم لا» . [المخلوق - كشف الحفاء ج: ١ ص: ٣٧١ - رقم ١٠٠٤]
- (٢) العلامة المخلوق كشف الحفاء ج: ١ ص: ٣٧١ - رقم ١٠٠٥ . وقال: الحديث للطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعا . وفي الأثر : عن العلاء عن الحسن قال: « تفكر ساعة خير من قيام ليلة » [العلامة ابن أبي شيبه - مصنف ابن أبي شيبه ج: ٧ ص: ١٩٠ - رقم: ٣٥٢٢٣ ، وذكره أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء ج: ١ ص: ٢٠٩ عن أبي الدرداء].
- (٣) الدكتور عبدالمعظم حسين طاهر - الفلسفة اليونانية قبل سقراط ص: ٨٣ .
- (٤) راجع تفاصيل ذلك في تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم، وقصة الفلسفة اليونانية للدكتورين أحمد أمين، وزكي نجيب محمود وغيرهما مما ذكرته لذلك من مصادر.

ولكنه في الحقيقة قد أختف في الوصول إلى أصل تلك النشأة؛ لأنها متعلقة بأمر غيب لا سبيل إلى معرفته إلا عن طريق النقل المثل. قال تعالى: ﴿إِذَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَعَدِّينَ﴾ (١).

٢. أنكسيمانس الأيوني (٥٢٤/٥٨٨ ق.م) :-

كان من أكثر تلاميذ أنكسندر التفاء به ومتابعة له، ولكنه لم يكن واسع الخيال خصيه، بل كان واقعياً إلى حد كبير، حتى أنهم بأنه أقل نصيباً من أستاذه بخصوص استدراك العلم ومراجعتهم، ولكنه لم يكن اهتماماً صحيحاً، وإلا لم يكن فيلسوفاً (٢).

ذهب أنكسيمانس إلى أن أصل الكون هو الهواء من خلال عمليتين التخلخل التي تملأ أجواء الفضاء فتنشأ عنها الكائنات غير المادية، وعملية التكاثر التي تنشأ عنها الكائنات المادية، وبالتالي فالهواء عنده جوهر أول، انطلقت عنه جميع الكائنات، حيث يكون في تكافئه سبحانه، وفي تخلخله ناراً.

وبلاحظ أن أنكسيمانس الأيوني يستبدل الاجتماع بالتكاثر والافتراق بالتخلخل من حيث هما فكرتان، لكن هناك فرق بين كون الاجتماع والافتراق خواص الحركة، وبين كون التخلخل والتكاثر من خواص الهواء والماء، باعتبار أن الماء عند التخلخل يصير بخاراً، وعند التكاثر يصير ثلجاً، ثم كلاً متكاملة من الجسمية (٣).

لذا إذن هو قد تفاعل مع مبادئ:

الاول: الهواء :-

الثاني: خاصية التخلخل والتكاثر.

وبناء عليه؛ عرف الفلسفة بأنها عملية عقلية قصد بها البحث عن حلول لمشكلة أصل الكون، من حيث النشأة والاستمرار (٤)، ومن حيثيات أخرى قد تنمي على ناحية من النواحي التي تستخدم الفلسفة، وتقدم خدمة للمجتمع الذي يعيش فيه الفيلسوف نفسه.

(١) سورة الكهف - الآية ٥١. « ما أشهدت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض يقول ما أحضرهم ذلك فاستعين بهم على خلقها ولا خلق أنفسهم، ولا أشهدت بعضهم أيضاً خلق بعض منهم فاستعين به على خلقه بل تفردت بخلق جميع ذلك بغور معين ولا طهر، فكيف اتفقوا عدوهم أولياء من دون وهم خلق من خلق أمثالهم وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم وخالفهم وخالفهم وخالفني من دوني منفرداً بذلك من غير معين ولا طهر، وما كنت متخذ من لا يهدي إلى الحق ولكنه يغفل فمن تبعه نجور به عن قصد السبيل أعواناً وأمناراً » [الإمام ابن جرير الطبري - جامع البيان ج ١ ص ٢٦٣]

(٢) بار تلمي هنر - الفلسفة اليونانية في مراحلها الأولى ص ٥٧ - ترجمة صبيح رزق - ط الدار العربية ١٩٥٧م.

(٣) راسع للأستاذ يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية، وقصة الفلسفة اليونانية للدكتور أحمد أمين، وذكرى نجيب محبو.

(٤) الدكتور سامي السيد صيرة - الفلسفة اليونانية الطبيعية ص ٧٢.

على كل؛ فإن من يلاحظ تعريف الفلسفة لدى كل من فلاسفة المدرسة الأيونية، يراها تعاريف متخالفة جاءت معيرة عن وجهة نظر المفكر نفسه في المشكلة التي يتعرض لها، وذلك مما يدل على استحالة تقديم تعريف حدى للفلسفة، بحيث يكون جامعاً مانعاً.

#### «المدنية الرياضية ذات الاتجاه العقلي»

نسبت إلى زعيمها فيثاغورث المتوفى ٤٩٧ قبل الميلاد، حيث ذهب كثير من الدارسين إلى أنه الذى وضع لفظ الفلسفة موضع القبول في الأوساط العلمية، مفرقا بين الحكمة التي هي حق الألهة والفلسفة التي هي عجة الحكمة، حيث يقول: «لست حكيما، فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة، وما أنا إلا فيلسوف محب للحكمة»<sup>(١)</sup>.

ومن ثم فقد عرف فيثاغورث الفلسفة بأنها: «التفهم الكامل بأن جوهر الكون أعداد رياضية تتركز كلها في الرقم الأول منها، ثم تتحول معها في الأرقام التي تليه»<sup>(٢)</sup>.

بمعنى أن الفكر العقلي التأملى انطلق لدى فيثاغورث ومن شايعة، من منظومة الأعداد الذهنية التي ترتبط في الغالب الأعم بقدرة العقل على الخوض في المسائل الرياضية<sup>(٣)</sup>، ولذا فيمكن القول بأنه عرف الفلسفة تعريفاً مع طبيعته الرياضية، حين قرر أنها طلب المعرفة وعجة الحكمة.

كما نقل المؤرخون عنه أنه كان يقول: «الحكمة لله وحده، وإنما للإنسان أن يبد ويتبهد ليعرف، وفي استطاعته أن يكون محبا للحكمة، توافقا للمعرفة باحثا عن الحقيقة أى فيلسوفا»<sup>(٤)</sup>.

وقد سار على نهج فيثاغورث مجموعة من تلاميذه وأصدقائه الذين راقبهم فكرته الذهنية وفلسفته الرياضية، حتى صاروا ينسبون إلى الفيثاغورية، وربما نازعوا فيثاغورث نفسه في تلك النسبة،

(١) الأستاذ فوزى عبده طاهيل - دراسات في الفلسفة اليونانية ص ١٣٥ ط ١٩٤١/١م.

(٢) الدكتور صبرى السيد نبوى - محاضرات في الفكر الفيثاغورى ص ٣٢ ط ١٩٥٧/٢م.

(٣) للعقل في الإسلام مكانة عظيمة ومزلة رفيعة، وينبى أن أوضح مفهوم العقل في اللغة، فيقول الراغب: «وأصل العقل الإمساك والاستمسك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء بالطن، وعقلت المرأة شعرها وعقل لسانه: كفه، ومنه قيل للحصن معقل، وجمعه معاقل» [الفردات للراغب الأصفهان - ص ٣٤٢]. وفي لسان العرب: «رجل عاقل، وهو الجامع لرأيه وأمره، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت فوائده، وقيل: العاقل الذى يحبس نفسه، ويردها عن هواها. أخذنا من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، وسمي العقل عقلا؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المسالك، أى يخبره» [لسان العرب - باب اللام - مادة (عقل) ج ١١ ص ٤٥٨/٤٥٩]. وفي المعجم الوحي: «العقل: ما يكون به التفكير والاستدلال، وتركيب التصورات والتعديقات، ويتميز به الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحسن من الباطل» [المعجم الوحي ص ٤٢٩].

(٤) أرفولد كولي - مدخل إلى الفلسفة ص ٨ - ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى.

ومن أكثرهم شهرة سحيزون وزيلفون وكاسيمرز، الذين ذهبوا إلى أن العالم المشاهد وغير المشاهد أقرب الأشياء بعالم الأعداد<sup>(١)</sup>.

كما ذهبوا إلى أن مبادئ الأعداد هي ذاتها عناصر الموجودات التي تقوم عليها وتنطلق منها، وبالتالي فهي في حقيقتها أعداد ثابتة، وهي جوهر الكون، ومع هذا فهي أعداد رياضية<sup>(٢)</sup>، وأكدوا على أن الفلسفة هي المعرفة<sup>(٣)</sup>، وعجبة الحكمة.

ويذكر المؤرخون أن كريسيبوس قال لسولون: لقد سمعت أنك جيت كثيراً من البلدان متفلسفاً - يعني طالباً للمعرفة - كأنه في كل رحلاته لم يكن له من غرض إلا المعرفة وطلبها، وتذكر رواية تاريخية أخرى: أن قارون قال لسولون المشرع: سمعت أن رغبتك في المعرفة قد حملتك على أن تطوف بكثير من البلدان متفلسفاً<sup>(٤)</sup>، فالتفلسف عنده يراد به طلب العلم أو التماس المعرفة غير ما غرض آخر يدفعه إلى ما يقوم به.

ومن ثم؟ فهم يميزوا عن المدرسة الأيونية ذات السرعة الطبيعية بأنهم حولوا اتجاه الفلسفة من الفيزياء<sup>(٥)</sup> - وهي التفكير المادى - إلى التفكير الغير مادى - وأعني به التفكير التأملي والانطلاقي نحو عالم ما وراء الطبيعة - واشتركوا معهم في أن الفلسفة هي طلب المعرفة وعجبة الحكمة، وكان ذلك ديدن بلاد اليونان حتى القرن السادس قبل الميلاد.

(١) المشاهدة ليست كاملة، وإنما معناه أن العالم بكل ما فيه من موجودات فيها الكثير من الشائش الظاهري، إلا أنها ترجع إلى أصل واحد، كما ترجع الأعداد كلها إلى رقم (١) فهو الأصل الذي جاء بعده رقم (٢) وهكذا ....  
(٢) الدكتور صبحي محمد سلامة شعب - أثر الفيتاغورية على الفلسفة اليونانية ص ١٣٧ - طبعة الدار الجديدة ١٩٦١م.  
(٣) المعرفة في اللغة: ما وضع ليدل على شيء بعينه وهي المضمرات والإعلام والمبهجمات وما عرف بالسلام والمنساف إلى أحدهما والمعرفة في الاصطلاح: إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بتجمل بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعلم دون العارف. [ المرحان - التعريفات ج ١ ص ٢٨٣ رقم: ١٤١٣ ] والمعرف في المنطق هو ما يستلزم من تصوره اكتساب تصور الشيء بكنهه أو بامتيازته عن كل ما عداه فيتناول التعريف الحد الناقص والرسم فإن تصوره لا يستلزم تصور حقيقة الشيء بل امتيازته عن جميع الأغيار فقله ما يستلزم تصوره يخرج التصديقات وقوله اكتساب يخرج الملزوم بالنسبة إلى لوازمه البينة. [ المرحان - التعريفات ج ١ ص ٢٨٣ رقم: ١٤١٢ ] والعرفان عند الصوفية كالمعرفة إدراك الشيء بتفكيره فهو أحص من العلم ويقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكيره وينشأ المعرفة الإنكار والعلم الجهل والعرف المختص بمعرفة الله ومعرفة ملكوته وحسن معاملته تعالى. [ المناوي - التعاريف ج ١ ص ٥١١ ].

(٤) الدكتور توفيق الطويل - أسس الفلسفة ص ٧ ص ٤٦.  
(٥) الفيزياء: علم يبحث في خواص الأجساد الطبيعية، ويعرف بعلم الطبيعة عند العرب، كما يعرف الفيزياء لدى الغرب في المقابلة بالميتافيزيقا التي تعني القضايا اللاهوتية في جانبها التأملية، وقد تطلق على ما يطلق عليه أنه علم الطبيعة باعتبار الميتافيزيقا القديمة، ونحن نرفض اعتبارها ميتافيزيقا قديمة، ويعتمد عليها وحدها في اعتقاده؛ لأن ما يقول ذلك ينسهي إلى إنكار وجود الله تعالى.

وهم الذين صاحوا بأعلى صوت، قائلين: إن الكون في حقيقته الأولى هو ذات الوجود الثابت والتغير معا، فالصورة التي تكون عليها الأشياء لا تعتبر حقيقة ثابتة؛ لأنها قابلة للتحويل. من صورة إلى أخرى، ومن حال إلى آخر. أما الحال الدائمة التي لا يقع عليها التبدل أو التغير، فهي الوجود ولا نزاع فيه والواقع يشهد بذلك التغير لا محالة.

وقد جاء على متن تلك المدرسة أربعة نالهم الشهرة، وتنازعوا بعد الصيت، وتدفقوا مع المدرسة الإيلية تدفق التيار الجارف، المندفع من أعلى بالاتجاه الآخر. وهم:

١- **أكزيتوفان**<sup>(٢)</sup>: وهو الذي نادى بأفكار تلك المدرسة، ثم دعا إليها بازلا كل وقت وما يمتلك في هذا السبيل، وقد عرف الفلسفة بأنها: الباحث في المبادئ الأولى<sup>(٣)</sup>، على الناحية الطبيعية، دون إقامة اعتبار لأي شيء آخر.

٢- **بارمينيدس الإيلي**: ولد في إيليا وتلمذ على يد أكسانوفان، وكان بارمينيدس هو الرأس الحقيقي للمدرسة الإيلية، حيث إنه الواضع لأسس المذهب، وكانت الفلسفة عنده هي الاتجاه بالعقل بعيدا عن العالم المادي، حيث يدرك المبادئ الأولى للكون والحياة<sup>(٤)</sup>، ثم الارتداد بهذه المبادئ حتى تتحقق وحدة الوجود، وكان شاغله الأساسي اكتشاف الوسائل والأسباب التي توصله إلى الحقيقة الكامنة وراء هذه المظاهر الطبيعية، والوجود عنده قديم؛ لامتناع حدوثه من اللاوجود، والوجود الذي يقصده هو الوجود العقلي الخالص.

٣- **زيفون**: ولد في إيليا حوالي ٤٩٠ ق.م ومات حوالي ٤٢٠ ق.م، تلمذ على يد بارمينيدس، وهو أحد أعمدة المدرسة الإيلية، وهو المحامي البارغ، والمتابع الماهر والمفتد لحجج الخصوم، المثبت

(١) مدينة إيليا من المدن المستحدثة، حيث بناها الأيونيون الهاربون من وجه التغير الفرسى، وكان بناؤهم ذا على الشاطئ الغربى من إيطاليا الجنوبية، وقد انتقلت إليها الحركة العقلية التي كانت منتشرة في أيونيا قبل الزحف الفرسى عليها، وقد ازدهرت فيها المعارف والعلم العقلية ازدهارا كبيرا، حتى راحت تضارع في ثقافتها وحضارتها أيان تلك الفترة العاصمة الفرعونية القديمة. [ راجع للأستاذ: نعمت الله حكيم الرحمن - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٨٣ ط السدار العشماينة ١٣١٥هـ ]

(٢) ولد أكسانوفان في مدينة كولوقون من أعمال أيونيا القريبة من مدينة أفسوس بآسيا الصغرى حوالي ٥٧٠ ق.م، اضطر لمغادرة موطنه هاربا من غزو الفرس، وارتحل إلى بلدان اليونان ومدها، حتى بلغ صقلية، ثم انتقل إلى إيطاليا الجنوبية، وأخيرا استقر به المقام في إيليا، وكان حكيما متميزا، وشاعرا مرمزا، كما كان عزيز النفس، لكنه كان ناقدا منحمسا، وناثرا مندفعيا يتدفق حماسا. [ الدكتور: عبدالعظيم حسن الشورى - المدرسة الإيلانية وأثرها في الفلسفة اليونانية ص ٧٥ ط ١٩٥١م ]

(٣) الدكتورة: ليلى محمد فاروق - محاضرات في الفلسفة اليونانية ص ٧٧ ط ١٩٨١م.

(٤) الأستاذ: نعمت الله حكيم - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٨٥.



لقواعد المدرسة، المدافع الحقيقي عنها بما كان يملك من حجج قوية وقدرة لغوية فائقة، وإمكانات عقلية تتجاوزها الحدود<sup>(١)</sup>.

✻ **م. مليسوس:** وهو الفيلسوف الأصلي للمدرسة الإيلية، والمقنن للمذهب، والمعدل لكل خطوات السير فيه، فهو المهندس الحقيقي لكل من المدرسة الإيلية والمذهب الميتافيزيقي آنذا<sup>(٢)</sup>.

✻ **وفي تقديرى:** أن طلب المعرفة وعبة الحكمة في هذه الفترة كان هو التعريف السائد للفلسفة، أو التعريف الذى تلتقى حواله تعاريف الفلسفة حتى عصر سقراط الذى عاش نهاية القرن الخامس ومطلع الرابع قبل الميلاد ٤٦٩/٣٩٩ ق.م، وإن رمت تعريفاً إجمالياً للفلسفة عندهم في هذه الفترة فيمكن القول بأنها: البحث النظرى في العالم، وتعليل ظواهر الكون في حدود طلب المعرفة وعبة الحكمة<sup>(٣)</sup>.

إذن كان اليونان قبل سقراط يحاولون بحث الظواهر الكونية، لمعرفة كونها أصل الكون أم لا، لكن أى تلك الظواهر الكونية هى التى كانت محل بحث الفكر لفلاسفة اليونان، وتنازع فيها عقولهم، وتصارعت أراؤهم، وبخاصة أن هناك فروقا كثيرة بين الظاهرة الجوية والظاهرة الفلكية<sup>(٤)</sup>، والظاهرة الكونية، بل وغيرها من الظواهر التى تشترك معها في اسم الظاهرة<sup>(٥)</sup>، وتختلف عنها في أبعادها وحتيقتها<sup>(٦)</sup>.

والجواب: أن التوسع في استخدام لفظ الظاهرة بهذا الشكل لم يكن معروفا لدى القدماء بالمعنى الذى نعرفه نحن الآن، حين تطلق لفظ الظاهرة، وإنما كان لفظ الظاهرة عندهم ينطبق على ما

(١) الدكتور: ليلي محمد فاروق - عناصر في الفلسفة اليونانية ص ٨٢.

(٢) جوهان ترومان - الفلسفة الإيلية وأثرها على الميتافيزيقا اليونانية ص ٥٢ - ترجمة صبحي حسن.

(٣) الدكتور: عوض الله جاد حجازي، والدكتور: محمد السيد نعيم - في تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٢ ط ٢ دار الطباعة اعمدية بالقاهرة.

(٤) علم الفلك: يعرف بأنه علم يبحث فيه عن الأجرام العلوية وأحوالها (راجع المعجم الوجيز ص ٤٨١).

(٥) يذهب علماء النفس والمعنون بالتحليل النفسى في تعريف الظاهرة عندهم بأنها «أمر عارض لا يمكن أن يستمر، وإنما يزول إذا زال سببه، باعتباره نزوعاً نحو شيء ما دافع للمداونية» (جان بلاث و ج ب نونتا ليس - ترجمة الدكتور / مصطفى حجازي - المعجم العام لمصطلحات علم النفس والتحليل النفسى ص ٣٢٢ - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ط أول ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) كما يعرفها علماء الفيزياء بأنها «كل ما يبحث فيه العلم من الخفى من التحريية أو على المعطيات التحريية المباشرة من جهة ما هى مشتملة على المدرك» [دكتور/ جميل صليبا - المعجم الفلسفى ج ٢ من الطاء إلى الياء ص ٣٠ - مطبعة دار الكتب - بيروت عام ١٩٨٢م] إذن يمكن القول: بأن الظاهرة هى التى لم تكن موحدة ثم وجدت في المحسوسات والمقوليات سواء بسواء، أو أنها التى كانت موحدة ثم عدت سواء أثرت في الغير أم لم تؤثر فيه، وإنما انحصر أمرها في ذاتها.

(٦) الدكتور حسنين السيد أبو قرن - الفلسفة اليونانية ورجالها ص ٥٣ ط ١٩٥٣م.

يتعلق بالموجود المادى وحده غالبا، ويمثل في ذات الوقت ظاهرة كونية فحسب، وكانت الأسئلة التي ترد على تفسيرات هذه الظواهر الكونية لدى اليونانيين القدماء تقوم على هذه العناصر:

- [أ] من أين نشأ هذا الكون وما مصيره؟<sup>(١)</sup>
- [ب] ما هي أسباب الظواهر البادية فيه من الصلابة واللينة والكثافة، أو التخلخل والنعومة أو الخشونة، والكثرة أو القلة.
- [ج] ظواهر البرق والرعد والمطر وغيرها من الظواهر الكونية والأسباب التي تؤدي إليها.
- [د] لماذا تشتد الحرارة في فصول بعينها، بينما تشتد البرودة في الفصول الأخرى، أو تلتأني كل منهما في بعض الأوقات، أو تدمر في بعض الأوقات دون الأخرى؟<sup>(٢)</sup>
- [هـ] ما مصير الظواهر المبنية في الكون فرادى وجماعات ؟
- [و] ما هي الغاية من وجود هذا الكون، وإلى أين يسير ؟
- [ز] هل خلف هذا العالم عوالم أخرى، وهل بعد هذا الكون أكوان أخرى مماثلة له، وهل توجد عوالم أخرى غير هذا العالم الذي نعيش فيه، بل وما مصير هذه العوالم على فرض وجودها وإذا لم توجد فما المانع من ذلك الوجود؟<sup>(٣)</sup>

وكانت هذا الأسئلة وأمثالها مما يقصد به فهم الكون والتعرف على أسرارها، بجانب محاولة تفهم ظواهره التي سبغت تعريف الفلاسفة لدى اليونانيين القدماء، بل واستمرت غالبية عنى تفكيرهم فترة زمنية ممتدة، حتى صار تعريف الفلسفة الغالب أبان تلك الفترة: بأنها البحث النظري في العالم، ومحاولة تعثيل ظواهر الكون من الناحية النظرية، ولا يخلو هذا العمل من كونه طلبا للمعرفة، كملا لا يخرج عن كونه محبة الحكمة، على ما مال إليه تعريف الفلسفة في العصر اليوناني على وجه العموم، ولدى القدماء منهم على وجه الخصوص.

- (١) لأن البحث في حقيقة الكون غير البحث في كيفية نشأته، أو بداية نشأته، وهي في صميمها أسئلة ميتافيزيقية، لكنها لما ارتبطت بالأجزاء المادية من هذا العالم فقد صارت مباحة فيزيقية.
- (٢) الدكتور: محمد صبرى الفهران - الجغرافيا الطبيعية ص ٤٣ ط ١٩٦١م.
- (٣) ذلك التساؤل مما يغلب على بعض الأفهام، وقد يكون لديها بعض أسباب القبول أو الرفض.

## \* ١- سقراط :

نشأ سقراط بين أب ينحت التماثيل، ليتكسب من وراثتها ما يخفظ عليه أوده، وأم مارست مهنة القابلة حتى تساهم في نفقات الأسرة، وكان سقراط صاحب عقلية متميزة، ولأنه الوليد الوحيد للأسرة، فقد حرصت أسرته على تنمية تلك القدرات، وقد كان لها ما أرادت، فاعتلى هذا الوليد سلم المعارف السائدة، وأمكنه أن يبرز على أقرانه، بل وأن يبرز الجميع من كانت تمثلهم ساحات أثينا على الخصوص واليونان على وجه العموم<sup>(١)</sup>.

ولما تقدمت به سنة نحو شرح الشباب، كانت قدراته العقلية هي الأخرى آخذة في الصعود، حتى بلغت النضج الذي مكّنه من أن يلعب دورا بارزا في الحياة العقلية اليونانية آنذا، منطلقا من أثينا

(١) ولد سقراط في أثينا حوالي ٤٧٠ ق.م، وكان من أسرة متوسطة الحال، ولكنه كان صاحب قدرات عقلية متميزة، مكّنه من الانخراط في المدارس العلمية التي كانت سائدة في بلاد اليونان آنذا، إذ كان تلميذا في مدرسة أرسيلوس الذي حلف أنكساغوراس في قيادة المدرسة بأثينا، وكان معجبا ببعض آراء أنكساغوراس إلى حد كبير، ومنها القول بأن العقل هو علة النظام والقانون في العالم، وقد دعاه ذلك الإعجاب إلى التحلي عن الأبحاث الكونية التي كان يجدها، والانشاء إلى البحث في الإنسان، والكثير من المعلومات التي يتناقلها المورخون عن حياته، أغلبها من نسج الخيال، وخاصة ما يتعلق بزواجه من امرأة سليطة اللسان حافة الطبع، أو شعاعته في حصار بوتنديا ٤٣١/٤٣٠ ق.م، لكن المتفق عليه هو أن سقراط كان متميزا في قدراته العقلية، كما كان معتدا بنفسه إلى حد كبير، وأمثاله تقع لهم العداوات، ويكثر أعدائهم، كما تكال الاتهامات لهم، سواء ما يتعلق منها بالعقائد أم ما يتعلق بالعادات السائدة في المجتمع، ولما قوة التانون، أم ما يتعلق بأمن البلاد واستقرارها.

وسقراط قد وقع له ذلك كله فاقم بأنه ينكر الاعتقاد في الآلهة الشعبية، كما يدعو لإنكار العقائد والعادات الثابتة، وكذلك أقم بأنه يلحق إفساد عقول الشباب، ودفعهم للخروج على أسرهم والقيم الثابتة، وكان منهج سقراط في التهمك والتوليد من عوامل الغضب عليه، حتى كان خصومه هم قضاته وجلادوه الذين قرروا تنفيذه للمحاكمة، وسارعوا بالحكم عليه بالإعدام عن طريق تخرع السهم، فمات به عام ٣٩٩ ق.م.

ويذهب البعض إلى أن بعض تلاميذه وفروا له فرصة الهرب من حكم الإعدام، وكان في إمكانهم إنقاذ ذلك، ولكنه أبى الفرار، إذ كيف يقول الناس عنه بعد موته، أن يقولون أن صاحب الفضيلة والداعي لما ينحلي عنها، فكان ذلك الاعتداد بالفس هو الذي مكن الأعداء من القضاء عليه، وسواء أكانت دوافعهم شخصية أم دوافع عامة، فإن الذي لا خلاف عليه هو أن سقراط كان يعلم الفضيلة، ويدعو إليها، كما أخرج الشباب من دائرة الفكر السوفسطائي العقيم إلى دائرة التفكير العلمي المنظم، ومن دائرة التحيط والشكوك إلى دائرة الوقوف على شواطئ اليقين. [ راجع للدكتور حسنين السيد أبو فرن- الفلسفة اليونانية ورحالها الأوائل ص ٨٣ ط ١٩٧١ م، وراجع للدكتور: رمزي السيوس - خطوط الفلسفة اليونانية ص ١١٥ ط أول ١٩٧٦ م، وللدكتور محمد السيد أحمد شعاعته - فلاسفة الإغريق بين العمق الفلسفي والبساطة العقلية ص ٣١٦/٣١٧ ط ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

(٢) الدكتور صبري محسن زينهم - سقراط فيلسوف اليونان ص ١٧ ط ١٩٧٧ م.

وما حولها، غير عابئ باعتراضات من هم أسن منه من رجال السوفسطائية، ولا تحذيرات الخصم الذين راحوا يتكاثرون حوله، ويعملون على صرف الناس عنه.

لن اصطنع سقراط لنفسه منهجاً عقلياً في الحوان يقوم على جانبين. هما:

❖ **التهكم من الأفكار السائدة**، التي يدعو إليها السوفسطائية ومن يقف معهم؛ لأنها - من وجهة نظره - غير قابلة للتطبيق، كما أنها تهدم القيم الراقية، ولا تدعمها أدلة، ثم هي في مجملها تعمل معاول هدفها في أعناقها، ومثلها يجب التخلي عنه؛ لأن النقص تأتيها من كل جانب، وكل يستغل في تهكمه منها طريقة اصطناع الجهل، وبالتالي يلجأ إلى إلقاء الأسئلة المتوالية على من يعتنق تلك الأفكار، حتى يشعر من نفسه بأنها غير صحيحة<sup>(١)</sup>.

وذلك ألزمه مقابلة الناس في الأماكن المختلفة، يستوى في ذلك الأندية والمدارس والشوارع والأسواق؛ لأن العبرة عنده هي الوصول إلى الرؤوس التي تعمل تلك الأفكار، والغاية لديه هي إخلاء هذه الرؤوس من ذات الأفكار السوداء، التي لا تعمل إلا الخرافات ولا تنقل إلا الأوهام.

❖ **بد التوليد** - حيث يقتنص من إجابات محدثيه الفاسدة بعض النقاط الإيجابية، ثم يقوم بترتيبها على ناحية فنية ثم يعيد طرحها عليهم مرة ثانية، من باب إعادة العقل اكتشاف نفسه، فهو في التهكم يخلص للعقل من أفكاره الخاطئة، وفي التوليد يضع العقل على عتبات الأفكار الصحيحة؛ لأن المعارف عنده قائمة في المدركات العقلية التي تضم بين جنباتها المعارف الكلية.

وبالتالي فقد عرف الفلاسفة بأنها البحث المتواصل في المعرفة الصحيحة، وطرائق اكتسابها، وكيفية الاستفادة منها على الناحية العملية والعلمية<sup>(٢)</sup>، ولأن المعارف الصحيحة لديه هي القائمة القدرات العقلية، وتمكنها من اصطياد المعارف الكلية، فقد أمكنه انتزاع العقل من البحث في أصل الكون إلى البحث في معارف الإنسان، وبالتالي وصف بأنه الذي أنزل البحث الفلسفي من السماء إلى الأرض، حيث أمكنه إعادة الإنسان إلى أفعال نفسه، والحكم عليها بأنها خيرة، أو شريرة، من خلال القدرات العقلية والقوانين الفكرية<sup>(٣)</sup>، التي لا يقع فيها التنازع بين أصحاب الفكر المنضبط.

(١) الدكتور: تحسانين السيد أبو قرن - الفلسفة اليونانية ورجالها الأوائل ص ١١٢ ط ١ / ١٩٧١م.

(٢) الدكتور: حسن محمد الجبيلي - سقراط وفلسفته ص ٤٣ ط ٢ / ١٩٦٧م.

(٣) الدكتور: مرسى البيسون - عطرات الفلسفة اليونانية ص ١١٧ ط ٢ / ١٩٥٦م ط الدار البيضاء.

يعدّه أغلب المؤرخين من أعظم فلاسفة اليونان، وأفضل تلاميذ سقراط، عن الرياضيات والفلسفة، كما عني بالجدل<sup>(٢)</sup>، وأنشأ أكاديمية عرفت باسم أكاديمية أفلاطون، وأطلق عليها اسم الأكاديموس، وهو أستاذ أرسطو، عرف الفلسفة بأنها كسب أو تحصيل المعرفة، أو هي معرفة الأمور الأزلية، ومعرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه<sup>(٣)</sup>، وطبقا لهذا التعريف فقد شملت الفلسفة علومها ثلاثة هي :-

- ☆ ل. الجدل.
- ☆ بد العلم الطبيعي.
- ☆ ج. علم الأخلاق.

وجعل علم الجدل شاملاً للنظر في العلم<sup>(٤)</sup> الإنسان، ومسائل ما وراء الطبيعة، التي تتعلق

(١) أفلاطون : أحد فلاسفة اليونان قبل الميلاد ، ولد حوالي (٤٢٧ ق.م) في أثينا ، وقد تتلمذ عليه أرسطو ، واستفاد غيره الكثير من أفلاطون نفسه . وهو غير ديلاطون المصري الاسكدران صاحب الأفلاطونية الحديثة ، الذي ولد عام ٢٠٥ م بأسبوط ، ثم رحل إلى سوريا والعراق وروما ، حتى استقل بها ومات ٢٧٠ م - [ راجع في تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتورين / عوض الله حمادى ، محمد السيد نعيم ص ٢٠٥/٢٠٨ ] .

(٢) الجدل : طريقة في المناقشة والاستدلال سورها الفلاسفة بصور مختلفة ، وهو عند منطقة المسلمين "قباس مؤلف من مشهورات أو مسلمات ، واشتهر بأجلد السوفسطائيون من اليونان والمعتزلة من المسلمين . [ راجع المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - ج ١ ص ١١٦ - ط ١٩٨٥/٣ م ] ويعرف العلامة الجرجاني : الجدل بأنه دفع المرء حجة عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو بنفسه نه تصحيح كلامه ، وهو الخصومة في الحقيقة والجدل عبارة عن مسراه بتعليل باطلها المذاهب وتقريرها . [ راجع في هذا الشأن للعلامة السيد الشريف الجرجاني - التعريفات ص ٦٦ ، وكذلك الإفصاح في فقه اللغة - الأستاذ عبدالفتاح القصيرى ، والأستاذ حسين يوسف موسى ج ١ ص ٢٤٤ ط ٢ ملزم الطبع والنشر - دار الفكر العربي - مطبعة المدنى بالقاهرة ]

(٣) الدكتور صلاح عبدالعليم إبراهيم - دراسات في الفلسفة ص ٢٢ طعة المدن ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(٤) ينقسم العلم إلى قسمين :

الأول : العلم التقني وهو علم الله تعالى القائم بذاته حل شأنه ، وهو صفة أزلية قديمة بها انكشاف جميع المعلومات ، فهو علم إحاطة وانكشاف ، ومن ثم لا يشبهه شيء من علوم غيره ؛ لأنه المنفرد به حل شأنه .

الثاني : العلم الحادث : وهو يتنوع إلى ١ - الديهي وهو ما لا يحتاج إلى تقدم مقدمة كالعلم بوجود الإنسان نفسه ، وأن الكل أعظم من الجزء ، وأن الأب مر له ابن إلى غير ذلك مما هو بدهي ، وبني بذلك لتسببه إلى البدهة . ٢ - العسوري : وهو ما لا يحتاج فيه إلى تقدم مقدمة كالعلم بالخراس الخمس على سبيل القطع . ٣ - الاستدلال : وهو الذي يحتاج إلى تقدم مقدمة كالعلم بثبوت الصانع وحدوث العالم ، وما كان من هذا القبيل . [ راجع التعريفات ١٣٦ ] وأرجعه البعض إلى نوعين : الأول :- الديهي وهو الذي لا يحتاج إلى بدل مجهود عقلي ، ولا يحتاج إلى نظر وكسب . والثاني الكسبي وهو الذي يحصل بالأسباب التي تباشر بتجارب النظر والاستدلال على ما ذهب إليه المناطقة . [ راجع في ذلك الشأن كتابا : الفزاليات في منطق التصورات أثناء الحديث عن أقسام العلم باعتبار الديهي والكسبي ] .

بالوجود ككل والمفولات الأولى<sup>(١)</sup>، على حين يشمل العلم الطبيعي علوم الطبيعة، والفلسفة الطبيعية، وعلم النفس. أما علم الأخلاق فهو العلم الذي يبحث في السلوك الإنساني<sup>(٢)</sup>.

ولأن أفلاطون درس الرياضة<sup>(٣)</sup> والفلك، كما درس الموسيقى والبيان، والجدل والأخلاق؛ فإنه درس السياسة<sup>(٤)</sup> والجغرافيا والتاريخ، بل والطب والتنجيم، فكان موسوعة علمية متحركة مكنته هذه العلوم كلها من خلط التعاريف السابقة وهضمها، ثم استخراج عصارها في ثوب مشبع بالمعرفة، ومن اعتزازه بهذه العلوم كان يوصي تلاميذه ومريديه بدراسة الفلسفة والرياضيات والهندسة<sup>(٥)</sup>.

(١) المفولات الأولى هي أحد أقسام المفولات، فالمفولات قسمان: [١] المفولات الأولى: وهي ما يكون بازائها موجود في الخارج نحو طبيعة الحيوان والإنسان فإنهما يمتلان على موجود حارسي كقولنا زيد إنسان وـسرس حيوان. [٢] المفولات الثانية ما لا يكون بازائها شيء فيه كالنوع والجنس والفعل فإنها لا تحمل على شيء من الموجودات الخارجية. [العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي المازني: ٩٥٢ والمتوفى ١٠٣١هـ - التوفيق على مهمات التتليف ج ١ ص ٦٦٦/٦٦٧ - دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق - ١٤١٠هـ الطبعة الأولى - تحقيق د. محمد رضوان الداية].

(٢) الدكتور: يحيى هوبدي - مقدمة في الفلسفة العامة ص ٣٣ (بتصرف يسير).

(٣) دراسة الكميات العددية والعلاقات بينها، والكميات الفراغية والعلاقات بينها، وكذلك تعميم هذه الكميات تعريفها بدقة على أساس خصائص معينة أيضاً، لاستنتاج العلاقات الكائنة بين الكميات نفسها، وبين علاقات سبق الاختصاوع عليها، والمروء الرياضية الابتدائية بالنسبة للكميات العددية هي الحساب، أما بالنسبة للكميات الفراغية فهي الهندسة الفراغية، أما علم الخير فيعتبر تعميماً للحساب. [راجع الموسوعة العربية الميسرة - ج ١ ص ٩٠٥ - دار النهضة - ليلنا بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م].

(٤) السياسة هي: «من التعامل مع الآخرين لصالح الفرد والجماعة، سواء أكان ذلك في محيط الجماعات القليلة، أم في محيط الدول والجماعات الكبيرة». [الدكتور عبدالحمد منتصر - السياسة بين اللغة والمفهوم ص ٥ - دار الرفاء طبعة أولى ١٩٦٧م] وتعرف أيضاً بأنها: «العلم الوحيد الذي يند الأظمة الحالية لها فيه بحالاً» [أرسطو طالس - السياسة ص ٨ - ترجمة الدكتور أحمد لطفي السيد] كما تعرف بأنها: «وسيلة تحصيل الحق، ونهية الأخطاء، وتحذير الأخطار، سواء أكان ذلك بين الأفراد، أم الأمم». [الأستاذ بياني بيسر الله لطفى - سياسة - ط ١٩٦٣م ص ١٧] وقد يذهب البعض إلى أن السياسة هي الدبلوماسية، واضعين في الاعتبار أن الدبلوماسية مصطلح حديث، ينسب السياسة مصطلح قديم، ولما كانت الدبلوماسية هي: «القدرة على إظهار الحلول الجديدة للمشكلات الصعبة فقد اعتبرها البعض مرادفة للسياسة» [دكتور فؤاد محمد ناصر - ما الدبلوماسية - طعة كركوك بالجمهورية العراقية ١٩٥٣م ص ١٣] لذا فإن السياسة والدبلوماسية معاً يتأثران لأداء خدمة بعينها. ويذهب البعض إلى أن السياسة مأخوذة من الأصل اللغوي "سأى" ومعناه غاد أمة أو رعية بخصوص حوت بحرى القسانون إلى مسا يداد مناسباً لها. [الأستاذ: توفيق محمد أبو حمزة - السياسة فن وعلم - طعة فاس بالمغرب ١٩٦٢م ص ٦٣]

(٥) هندس مجارى الفنى والأبنية هندسة قدرها ورسم أشكالها والهندسة - الحد والقياس المهندس مقدر مجارى الفنى وحيث تغير والأبنية، وصاحب علم الهندسة [راجع في هذا الشأن للمعلم بطرس السنان - قطر المحيط ج ٢ ص ٢٣١٦]

وكانت له عبارة قد كتبها على مدخل الأكاديمية كعنوان عليها تقول عبارته: « لا يدخل علينا من لم يكن رياضيا »<sup>(١)</sup>.

غير أن تعريفه للفلسفة يلاحظ عليه الخلط المقصود بين ماهية الفلسفة - أى تعريفها - ، وبين المهمة التى تناط بالفلسفة، وهى البحث عن طبيعة الموجودات على ما هى عليه، دون نظير إلى اعتبار آخر، ويبدو أن هذا الخلط كان السمة البارزة التى توجت هام هذا العصر الفكرية، كما تسيطر على سائر الأفكار التى تقدم هذا النوع من البحث العقلى المتميز، بجانب أن أفلاطون نفسه كان ينظر إلى الفلسفة من ناحية موضوعها - أى من ناحية العناصر التى تتألف منها<sup>(٢)</sup> - وهو ما يمكن قبول تعريفه للفلسفة على تلك الناحية.

### ● ٣- أرسطو طاليس الاسماشوى - المعلم الأول - (٣٨٤/٣٢٢ ق.م) :-

عقلية تغت بالمعارف، وتمت بين أحضان العلوم المختلفة، ولما اكتملت معارفه برعاية أفلاطون له، وصح القول فيه بأنه قد توافرت لديه كل عوامل النجاح العلمى، وأنه قد أعد إعدادا علميا ليكون قائد علميا، بدل أن يكون قائدا عسكريا<sup>(٣)</sup>، وقد أبلى فى هذا الجانب بلاء كبيرا.

ولكن صح ما نقله المؤرخون عن أرسطو، من أنه كان جامعة متنقلة، أو دائرة معارف عمولة على كنفين؛ فإن تعريفه للفلسفة قد عمر عنه حيث عرفها بأنها: البحث عن الوجود بما هو موجود، وسمائها الفلسفة الأولى، فميزا لها عن الفلسفة الثانية، التى هى عنده العلم الطبيعى، وسمائها أيضا بالحكمة؛ لأنها تبحث فى العلل الأولى<sup>(٤)</sup>.

ويذكر الكثيرون من الدارسين أن أرسطو قد شغل نفسه بالفلسفة، من حيث التسمية والموضوعات، كما شغل نفسه بما من ناحية الوظائف والغايات، واستدلوا على ذلك بأنه أحيانا يطلق عليها اسم الحكمة، وأحيانا أخرى يطلق عليها اسم العلم الإلهى. وأحيانا ثالثة يطلق عليها اسم العلم المتعلق بقضايا ميتافيزيقية<sup>(٥)</sup>، إلى غير ذلك من التسميات، وكان لكل تسمية منها مدلول خاص عنده، لكن كثرة أسمائها لا تدل على أنه كان واقفا من معالجته الكاملة للمشكلة التى يتناولها، بقدر ما يعطى انطبعا أكثر من التردد فى الحكم الدقيق على موضوعاتها، وكذلك الأسماء التى تعبر عنها، فضلا عن التعريفات التى تقف لها وحدها على وجه الخصوص.

(١) الأستاذ يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦٣ طبعة دار القلم - بيروت، ونسبت هذه العبارة أيضا إلى فيثاغورث. [ راجع للدكتور زكى محمد فرج - الفلسفة الفيثاغورية ص ١٥ ]  
(٢) أرفولد كوليه - المدخل إلى الفلسفة ص ٩ - ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى - طعة خنة التأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٥٥ م.

(٣) ميتزكوندرسيه - أرسطو حكيم اليونان ص ١٣ - ترجمة وفاء خيرى ط دمشق ١٩٦٧ م.

(٤) الدكتور: توفيق الطويل - أسس الفلسفة ص ٤٧ ط دار النهضة المصرية.

(٥) ميتزكوندرسيه - أرسطو حكيم اليونان ص ٦٥ - ترجمة وفاء خيرى .

وأرسطو يجعل في حسابه باعنا للاسم الذي يطلقه على الفلسفة، يعلل به من جانبه بفرض التأكيد على ذلك الإطلاق، فحين أطلق عليها العلم الإلهي، إنما قصد بذلك الإطلاق أهم المباحث التي يدور حولها الجدل، وهي الموجود الأول، أو علة الوجود الأول<sup>(١)</sup>، أما حين أطلق عليها اسم الحكمة، فقد كانت عاقبته من ذلك الإطلاق أن يحصر موضوعاتها في دائرة ما بعد الطبيعة، بحيث يكون لفظ الحكمة أو الفلسفة في مقابلة لفظ العلم الطبيعي<sup>(٢)</sup>.

بيد أن النظرة التأملية توقف الدارس على أن لفظ الفلسفة عند أرسطو كان مساويا للفظ العلم، بحيث يتساويان معا في الوقوف على شاطئ واحد، وتكون الكفتان متساويتين بسين لفظ الحكمة أو الفلسفة، أو هي والعلم، أما حين أطلق عليها لفظ العلم المتعلق بقضايا ميتافيزيقية، فقد كان مقصده البحث المتعال عن الطبيعة والعلم معا<sup>(٣)</sup>.

ثم بناء عليه فقد أمكن لأرسطو أن يقسم الفلسفة إلى قسمين، كما يقسم العلم أيضا إليهما تماما بتمام:

☆ الأول: الفلسفة النظرية: وهي التي تتمثل في الطبيعيات والرياضيات والإلهيات.

☆ الثاني: الفلسفة العملية: وهي التي تتمثل في الأخلاق والسياسة والاقتصاد.

ومن هذه القسمة للفلسفة يتضح أن أرسطو قد تجاوز الخطوط التي رسمها السابقون عليه من مفكرى اليونان، كما يكشف النقاب عن فكر أرسطو، وملامح فلسفته، لكن تبقى نقطة مهمة، وهي مكان الميتافيزيقا من فكر أرسطو وفلسفته، أهي ضمن المباحث النظرية للفلسفة، أم من المباحث العملية، وإذا كانت فمن أي غصن من أغصان الفلسفة تنبع الميتافيزيقا؟

والجواب: أن الميتافيزيقا عند تحديد المعنى الفني الدقيق، ينصرف إلى ما بعد الطبيعة وحده، أو ينصرف إلى المبادئ اللاهوتية على وجه اليقين<sup>(٤)</sup>، ومن ثم يصح القول بأن أرسطو قد أقدم على تعريف الفلسفة بعدة تعريفات، بعضها يتسع جدا حتى ينصب على مفهومها العام الشامل لكل العلوم، وبعضها يضيق جدا، حتى لا يحتمل سوى المفهوم الضيق، الذي يتعلق باللاهوت وحده، دون اعتبار لشيء آخر سواه.

ويبدو لي أن أرسطو قد أسعد من ظروف عصره، وأنه منى واجهته قوى أكبر من إمكانياته، فإنه كان ينصرف فيها من خلال لغة نحيء معها اللولبية، بحيث لا تقع عليه الإدانة التي تعقبها الملركة، كالحال مع سقراط، ونفس الشيء اصطنعه في تعريفه للفلسفة، فتارة يجعله تعريفا عاما، بحيث يشمل

(١) الدكتور: فاضل محسن السيد الذكي - دراسات في الفلسفة الأرسطية ص ١٣٧ طبعة الدار القومية ١٩٥٧م.

(٢) الدكتور: فورية السعيد النهامي - أرسطو وفلسفته ص ٩٥ ط ٢ كركوك ١٩٦٣م.

(٣) وهو بهذا يفتح بابا جديدا للبحث الميتافيزيقي في الجوانب المختلفة، كما ينص عالم الشهادة بنصيب وافر من الدراسات العلمية والميتافيزيقية أيضا.

(٤) يراجع في ذلك معالجتنا للعلاقة بين الميتافيزيقيا والفلسفة، حيث عرضت ما أعاني الله تعالى على بيانه.



العلوم النظرية والعملية، وتارة يجعله ضيقاً، بحيث يقتصر على ما بعد الطبيعة، ويقصد بها حيث لا الميتافيزيقا التأملية<sup>(١)</sup>.

كما يغلب على ظني أن هذا التعريف الأرسطي للفلسفة قد كتب له بعض البقاء فترة من الزمن، امتدت حتى نهاية العصر الإغريقي، وتسلل إلى ما بعده بقليل، ثم طار ذكره لدى الدارسين للفلسفة حتى يومنا هذا، ولا يعرف بالضبط أو على وجه اليقين السبب القوي الذي كسان يقف خلف هذه التعريفات الأرسطية، حتى نالت لونا من العصمة للأفكار بين أهل اليونان، بدليل أنه لم يخرج أحد عليها، أو يفكر حتى في مجرد إعلان خروجه عليها، أو رفضه لها<sup>(٢)</sup>، بل على العكس من ذلك تماماً تلمح في مفردات الناقلين، تمسكاً بها، كما تغالبك كثرة المرددن لها، أو المترددين عليها، الذين لا هم لهم إلا التمسك بها، مع تأكيدهم صحة الانتساب إليها.

ومع أن أرسطو لم يكن مسيحياً، إذ أنه ولد ومات قبل المسيحية، إلا أن الكنيسة المسيحية اعتنقت أفكار أرسطو، حتى صورته على أنه قديس مسيحي، وتمسكت بأرائه، واعتبرتها المذهب الرسمي للكنيسة، وأقامت على ذلك الحال منذ العصر المدرسي حتى يومنا الراهن، وترتب على ذلك ظهور آثار لها خطرها، الذي لا ينكر في تاريخ النزاع بين الدين المسيحي والفلسفة<sup>(٣)</sup>، التي أنتجتها العقيدة اليونانية، ونقلها ذات العقل<sup>(٤)</sup> اليوناني إلى البيئات الأخرى من خلال رواقد عديدة.

(١) راجع كتابنا: رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق ص ١٠٧.

(٢) ميتزغوندرسيه - أرسطو حكيماً اليونان ص ٧٢ - ترجمة وفاء حيرى.

(٣) الدكتور توفيق الطويل - قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ١٠١ ط ٣ دار النهضة العربية ١٩٧٩م.

(٤) أشار القرآن الكريم إلى معنى العقل بعدة ألفاظ منها: ١- العقل: وقد وردت مادة (عقل) وما اشتق منها في القرآن الكريم تسعة وأربعين مرة، منها قوله تعالى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ (الملئك/١). قال ابن عباس عتق: «لو كنا نسمع الهدى أو نعقله، أو لو كنا نسمع مع من يعي ويفكر، أو نعقل عقل من سمع، وننظر» [الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٦٦٩١]. ٢- الفؤاد: وقد وردت مادة (فؤاد) في القرآن الكريم تسلات عشرة مرة، منها قوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (البحل/٧٨). قال ابن كثير: «والأفئدة هي العقول التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها» [تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٧٩]. ٣- البهي: وقد وردت هذه المادة (بهي) مرتين في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهي﴾ (طه/٥٤). قال الفحستر الرازي: «أي لأهل العقول، والأقرب أن للنهاية مزية على العقل، والنهي لا يقال إلا فيما له عقل وانتهى به عن القناص» [مفاتيح الغيب ج ١٩ ص ٦٧]. ٤- الحمر: وقد وردت مادة (حمر) وما اشتق منها في التفسير الكريم إحدى وعشرين مرة، منها قوله تعالى: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ (الصحر - الآية ٥). قال الإمام الرازي «الحجر: العقل سمي به لأنه يمنع عن الوقوع فيما لا ينبغي، كما سمي عقلاً ونهياً؛ لأنه يعقل ويمنع، وحماة من الإحصاء وهو الضبط. قال الفراء: والعرب تقول: إنه لذي حجر إذا كان قاهراً لنفسه، ضابطاً لها، كأنه أخذ من قوهم: حشرت على الرجل. وعلى هذا سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبح من الحجر، وهو المنع من الشيء بالتصديق فيه» [مفاتيح الغيب ج ١٦ ص ٣٩٢]. ٥- اللب: ورد تعبير أولي الآيات في القرآن الكريم ست عشرة مرة منها: قوله تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار﴾ [آل عمران - الآية ١٩٠]. قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿لآيات لأولي الأبصار﴾ أي الذين يستمعون عقولهم في تأمل الدلائل» [الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ١٥٥٢]. ٦- القلب: وقد وردت مادة (قلب) وما اشتق منها في القرآن الكريم ثمان وستين مرة، منها قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [سورة ق - الآية ٣٧]. قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿لمن كان له قلب﴾ أي عقل يتدبر به» [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ٦١٩٣]. [ولمزيد من التفاصيل راجع للدكتور عبد الوهاب محمد عبد الله سليم - بناء الإنسان في القرآن الكريم - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة بالقازيق ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م]

### ١٠٠ في العصور الوسطى (١)

سلف التقاط بعض التعاريف للفلسفة في عصر ما قبل الفلسفة، كما تعرضت لذكر بعض التعريفات في العصر اليوناني، سواء عصر ما قبل سقراط، أم ما جاء بعده؛ ولأن المقصود ليس هو حصر المدارس أو التعريفات والمذاهب<sup>(١)</sup> الفلسفية، فقد غلب عندى أن ما ذكرت فيه كفاية، لكن لما كنت قد اتبعت اقتناص جمع من التعاريف للفلسفة على مدى العصور الفلسفية، فقد ألزمني ذلك مساهمة ذات الانجاء من العصور الوسطى، حتى العصر الحاضر.

#### ١٠١ مفهوم العصور الوسطى

والعصور الوسطى تعرف بأنها الفترة الزمنية التي غلبت على سماء الحرية والفكر في أوروبا، فجعلتها في ظلام من سحابات الجهل<sup>(٢)</sup> أو أغلال العبودية التي فرضها رجال اللاهوت المسيحي على الخصوص، وكانت محاكم التفتيش<sup>(٣)</sup>، تغل كل الأفكار، وتقيد كل العقول، حتى فشا بين الناس الجهل، وانتشر الظلم، وعم الظلام.

لجختلف دارسو الفلسفة والمؤرخون في مفهوم العصور الوسطى على أقوال:-  
١٠٢ الأول: القائلون بالتحديد الزماني :

(١) تقع فلسفة العصور الوسطى في عهدين؛ أولهما: العصر الكنسي، ويذهب الكثيرون إلى أن الفلسفة ليس لها في هذا العصر من الشأن إلا القليل. ثانيهما: العصر المدرسي: وهو يبدأ من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر وقت قيام النهضة الأوربية. [ راجع للدكتور نصر خليل جمعة - العصور الوسطى وفلسفتها ص ١٥٧ ]

(٢) المذاهب : مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة متناقة . [ راجع المعجم الوحي - باب الميم ص ٢٤٧ - مجمع اللغة العربية ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ] ويقول العلامة الخرجاني : « المذهب الكلامي هو أن يورد حجة للمطلوب على طريق أهل الكلام بأن يورد ملازمة ويستنتج عين المطلوب أو ينقض السلازم أو يورد قرينة من القرائن الافتراضية لاستنتاج المطلوب مثاله قوله تعالى لو كان فيهما آفة إلا الله ففسدتا (سورة الأنبياء الآية ٢٢) أي الفساد منتف فكذاك الإلهية منتفية وقوله تعالى أيضاً فلما أفل قال لا أحب الآفلين (سورة الإنعام الآية ٧٦) أي الكوكب أفل وروي ليس بأفل ينتج من الثاني الكوكب ليس بري » [ التعريفات ج ١ ص ٢٦٥ - باب الميم - رقم: ١٣٢١ ]

(٣) الجهل هو : « اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه... والجهل البسيط : هو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً والجهل المركب : هو عبارة عن اعتقاد حازم غير مطابق للواقع. [ الخرجاني - التعريفات ص ١٠٨ ] .

(٤) محاكم التفتيش كان قضائهم من القسوس والذين انغلغوا فكرياً، وكان المنفذون للأحكام هم الشماسية والقمامسة الذين كانوا أكثر انغلاقاً وقررة، أما البطارقة والكرادلة فكانوا بمثابة الموجه لكل من القضاة ومنفذي الأحكام. [ راجع في هذا الشأن للدكتور حمدي محمد السعيد - أوروبا والعصور الوسطى ص ١٨٣ ]

(٧٧)

حيث يذهبون إلى أن العصور الوسطى فكرة تطلق على فترة من الزمان تبلغ قرابة الألف عام، تبدأ بسقوط الدولة الرومانية الغربية عام ٤٧٦ على يد الجرمان الأشداء، وتنتهي بسقوط الدولة الرومانية الشرقية عام ١٤٥٣ على يد المهاجمين الأتراك<sup>(١)</sup>.

كما يطلق لفظ العصور الوسطى على عصور الظلام في أوروبا، أو هي الفترة الزمانية الفاصلة بين العصر اليوناني والعصر الإسلامي، ويطلق عليها عصور الجهل أيضا، كما يطلق على بعضها عصر آباء الكنيسة، وعصر الآباء المدرسين، ولكل منها ملامح عديدة، ولها أخطار كبيرة على العقيدة<sup>(٢)</sup> والقيم والأخلاق، بل وعلى الفلسفة أيضا<sup>(٣)</sup>.

#### ❖ الثاني: المقاتلون بالتعديد الإحداثي:-

وهم يذهبون إلى أن العصور الوسطى ابتدأت من انقراض الإمبراطورية الرومانية في القرن السادس الميلادي، وتنتهي عند الإصلاح الديني الذي طالب به أحرار الفكر في أوروبا ابتداء من القرن الخامس عشر<sup>(٤)</sup>، سواء أكان دعاة الإصلاح من أوروبا أم من بلاد الشرق.

- (١) الدكتور حمدي محمد السعيد - أوروبا والعصور الوسطى ص ١٩٢.
- (٢) تعرف العقيدة في الاصطلاح بأنها هي « الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولا، وقبل كل شيء، إيمانا لا يرفى إليه شك. ولا تؤثر فيه شبهة » [ الإمام: الأكبر شيخ الإسلام / محمد شلتوت - الإسلام عقيدة وشريعة ص ٩ - دار الشروق - الطبعة السادسة عشر ١٩٩٠م ]. وتعرف أيضا بأنها هي « مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بللمعقل والنسج والنظر يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثق عليها صدره، حازما بعصمتها، قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يفسح أو يكون. وذلك مثل اعتقاد الإنسان بوجود خالقه » [ الشيخ أبو بكر الخزازي - عقيدة المؤمن ص ٢ - مكتبة الكليات الأزهرية - الطبعة الأولى ١٩٧٧م ]. أو « هي ما يؤمن به الإنسان ويعرفه مهما بعدت به تلك المعرفة أو ذلك الإيمان عن الحقيقة والواقع » [ الدكتور / محمد بصرار - العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والجماعة ص ١٤ - ط الثالثة - مكتبة الأجلو انقريه ١٩٧٢م ]. وتعرف أيضا بأنها « التصديق بالشيء والخزم به دون شك أو ريب، فهي معنى الإيمان، يقال: أعتقد في كذا أي أؤمن به وأصدق، سواء أكان حقا أو باطلا » [ الشيخ / سيد سليلق - العقائد الإسلامية ص ١٠ - الطبعة الثالثة - دار التراث العربي - الناشر دار الكتب الحديثة ]. كما تعرف بأنها: « هي رباط معنوي يربط المسلم بربه، وهو رباط لا تخله أزمة مادية، ولا اضطهاد بشري » [ الشيخ / محمد الغزالي - عقيدة المسلم ص ٥ - دار الدعوة - النسخة الثالثة ١٤١١هـ ]. أو « هي هذا المبدأ الذي يتمسك به صاحبه ويؤمن بمواثبه دون الاستناد إلى دليل » [ الدكتور / غني عبدالحليم محمد - مع العقيدة والحركة والمنهج، في خير أمة أخرجت للناس ص ٣٠ - دار الوفاء - ط الأولى ١٩٩٢م ]. وتعرف بأنها « العقيدة هي الإيمان الحازم بالله تعالى، وما يجب له من التوحيد والصناعة » [ الدكتور / ناصر عبدالكريم العقيل - يحمل أصول أهل السنة في العقيدة ص ١٩٩٢م ]، أو هي « الإيمان بحقيقة معينة إيمانا قاطعا لا يشك الشك أو الجدل، أو هي ما يؤمن به الإنسان ويراد عن اقتناع قلبي أكبر. والعقيدة الدينية هي ما يؤمن به معتقده من أفكار وآراء وتصورات معينة تتعبد بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما تتنسق بالحياة الدنيا والآخرة » [ الدكتور / عبدالمعز عبيد - العقيدة الإسلامية والأيدولوجيات المعاصرة ص ١٢ - الطبعة الثانية ]. هذا التعريف مما أميل إليه، لأن الظاهر التاريخي قد دلت عليه، ولا أحد مناهضة في الانطلاق منه أو الانتهاء إليه.
- (٣) هذا التعريف مما أميل إليه، لأن الظاهر التاريخي قد دلت عليه، ولا أحد مناهضة في الانطلاق منه أو الانتهاء إليه.
- (٤) الدكتور: حان السيد حيران - العصور الوسطى وولسعتها ص ١٣٤ ط ١٩٧١/٢.

## \* الثالث: القانون بالتعدد التقليدي.

وهم الذين يذهبون إلى أن العصور الوسطى هي الفترة التي انطلق فيها الفكر الأوربي، وانقطع التفكير الفلسفي ابتداء من مطلع القرن التاسع، حتى نهايات القرن الرابع عشر، ومطلع القرن الخامس عشر الميلادي<sup>(١)</sup>.

وهي كلها إطلاقات عنى ما أصبحا على جهة من الجهات، لكن هناك من يقرر أن جذور القرون الوسطى ظهرت في الدولة الرومانية منذ القرن الأول للمسيح<sup>(٢)</sup>، كما أن هذه القرون لم تنته بسقوط القسطنطينية<sup>(٣)</sup> «<sup>(٤)</sup>».

(١) الدكتور يوسف محمد يوسف - العصور الوسطى ص ٤٥ .

(٢) المسيح: هو عيسى ابن مريم بنت عمران، ولدته أمه بإذن الله من غير أب في بلدة بيت لحم قرب بيت المقدس، أرسل الله تعالى عيسى القليل رسولا إلى بني إسرائيل وأمرهم على الإنجيل، فدعاهم إلى الرجوع لأحكام التوراة المسيحية، وعدم التلاعب بها، وبشرهم بقرب ظهور حاتم الأنبياء محمد ﷺ، فأمن به قلة سموا بالحواريين، وكفر أكثر اليهود، وحفدوا عليه لتبشير بني آخر الزمان، من غير بني إسرائيل، فأنكروا نبوته وأنعموا أمه بالفاحشة، وتأمروا عليه، فأغرو به الحاكم الرومان يولطس البيط لقتله وصلبه، فألقى الله شبهه على يهوذا الأسخريوطي الذي دهم على مكانه، فسلبوه، ورفع الله عيسى إلى السماء، ذكرت القصة في القرآن الكريم ٣٥ مرة منها ١٦ مرة نسب إلى أمه. [ راجع للعلامة الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية - ٢م ص ٦٨، الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٨١، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٦٥ ].

(٣) قسطنطينية ويقال قسطنطينية بإسقاط باء النسب، كانت رومية دار ملك الروم وكان لها منهم تسعة عشر ملكا ونسزل بعمورية منهم ملكان وعمورية دون الخليج وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلا وملك بعدها ملكان آخران برومية ثم ملك أيضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى برنطة وبين عليها سورا وسمها قسطنطينية وهي دار ملكهم إلى اليوم واتمها إستانبول وهي دار ملك الروم بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح. عمرها ملك من ملوك السورم يقال له قسطنطين سميت باسمه، وذا خليج من البحر يطيف بها من وجنين مما يلي الشرق والشمال وحانباها الغربي والجنوبي في البر وتملك سورها الكبير أحد وعشرون ذراعا وتملك القنصل مما يلي البحر خمسة بينها وبين البحر فرجة نحو خمسين ذراعا وذكر أن حيا أبوابا كثيرة نحو مائة باب منها باب الذهب وهو حديد محمو بالذهب، وقال بطليموس في كتاب الملحة مدينة قسطنطينية طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة وعرضها ثلاث وأربعون درجة وهي في الإقليم السادس طالعها السرطان ولها شركة في النسر الواقع ثلاث درج في منبر الكفة والردف أيضا سبع درج ولها في رأس الغول عرضه كله وهي مدينة الحكمة لها تسع عشرة درجة من الخيل بيت عاقبتها تسع درج من المبران قال وليست هذه المدينة كسائر المدن لأن لها شركة في كواكب الشمال ومن ههنا صارت دار ملك وقيل طولها تسع وخمسون درجة ونصف وثلاث وعرضها خمس وأربعون درجة، ومن المنابر المعينة منارة قسطنطينية لأنها منارة موقنة بالرمصاص والحديد والبصرم وهي في الميدان إذا هبت عليها الرياح أمثلتها شرقا وغربا وحنوبا وشمالا من أصل كرسياها ويدخل الناس الخرف والجوز في خلل بنائها فتطعمه. [ العلامة باقرت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله المرقى ٦٢٦هـ - معجم البلدان ج ٤ ص ٣٤٧/٣٤٨ - دار الفكر - بيروت - (بدون تاريخ وتحقيق) ، وراجع الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ج ٤ ص ٣٩٥ - تحقيق فريد عبدالعزيز الجندى ]

(٤) سلامة موسى - ما هي النهضة ص ١١ - ط دار المستقبل بالقاهرة، وراجع للدكتور: مراد وهبة - قصة الفلسفة ص ٣٥ ط دار الثقافة.

وربما صارت ملامح هذه الفترة غير واضحة المعالم - من الناحية الفلسفية - بحيث يمكن القول بأن العصور الوسطى فكرة ليست لها موضوعات محددة، غير أن هذا القول لا يقع في دائرة الصواب، أو لا ينال هذا القول الثقة التي تدفع لقبوله. أما لماذا؟

فلأن العصور الوسطى في نظري، مصطلح قد يقصد به في الفلسفة ما بين الإنتاج الذهني الحر في العالم الذي كانت تمارسه الفلسفة اليونانية، والوحي الإلهي الذي جاء به النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ، ومن أبرز ملامح العصور الوسطى ظهور العديد من المدارس والاتجاهات، بل والتيارات الفكرية الدينية في غير الإسلام المتخالفة على الدوام.

فمن المدارس التي ظهرت أبان تلك الفترة مدرسة الإسكندرية التي لم تكن تظهر إلى الوجود، حتى كشفت بنورها العلمي مدارس أثينا، وانتزعت منها راية العلم والفلسفة، واستمرت تستزعم الحركة الفكرية زهاء ثمانية قرون ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد، وعند انشائها حتى القرن الخامس بعد الميلاد<sup>(١)</sup>.

كما ظهرت الفيشاغورية الجديدة كمذهب رياضي عقلي، حاول التوفيق بين الأديان التي انطلقت من عقول أصحابها، أو التي جاء بها الوحي من قبل، ولكنها تركزت بعد ذلك في عمليات تطهير ذاتي، أو نقاء خارجي، أو شفافية تحتاج المزيد من التركيز.

كذلك تبلورت الأفلوطينية الحديثة التي أقامها أفلوطين المصري<sup>(٢)</sup>، الذي كان له دور كبير في نقل الكثير من المعارف الفلسفية الجديدة، إلى البيئة المصرية التي صارت مستعدة لتقبل هذه الأفكار، وبخاصة بعد أن صار لأفلوطين الكثير من الأتباع والمريدين، والكثرة من الأفكار التي تنقل منسوبة إليه، وكلها تنحى على ناحية من النواحي الفلسفية الخالصة.

إذن أمكن تعريف الفلسفة بأنها المواءمة بين متطلبات العقل في حدود ما تسمح به الموروثات<sup>(٣)</sup>، باعتبار أن ذلك من مطروحات الفكر الفلسفي، على أن يكون الموروث المراد من التعريف هو ما يتعلق بالموضوع، لا ما يتعلق بغير الفلسفة لوجود الفرق بين المفهومين.

غير أن بعض التعريفات للفلسفة قد انطلقت من الغاية الفلسفية، لا من ناحية الموضوع، كالتعريف القائل بأن الفلسفة عمل عقلي غايته التعرف على حقائق الأشياء، والوصول إلى معرفة مدنها من علائق<sup>(٤)</sup>، فصار ذلك التعريف للفلسفة متساويا مع تعريف التفلسف، حتى لكان التفلسف والفلسفة شيء واحد، وهو من نتائج الحركة الفكرية في العصور الوسطى.

(١) الدكتور: أحمد مواد الأهران - المدارس الفلسفية ص ٨٤.

(٢) هو أفلوطين المصري رائد الأفلوطينية الحديثة، ولد في أسبوط الوسطى ٢٠٥/٢٧٠ م.

(٣) الدكتور: رمضان حسن توفيق - الفلسفة اليونانية ص ٩٢ ط ١/١٩٥١ م.

(٤) الدكتورة: فوزية مرسى الشيخ - دراسات في فلسفة العصور الوسطى ص ١٧٧ ط ١/١٩٩١ م.

ومن المؤكد أن الحركة العقلية أبان العصور الوسطى في أوروبا قد وقعت بين كل من:

١- لسلطان الكنيسة التي تسمكت بأراء أرسطو اليوناني، ولم تقم لغيرها اعتبار لأي فكر آخر، بل اعتبرت أفكار أرسطو هي الدين الذي يجب اعتقاده، والتمسك به والدفاع عنه، كما أنها لم تسمح لأحد بالخروج عليه، ومن ثمرأ وخرج عليه، تكون عقوبته الإعدام.

٢- سلطة الآباء الرسولين الذين لهم وحدهم حق تفهم الكتاب المقدس<sup>(١)</sup>، ويسمح لهم وحدهم بالحديث عنه، وتقديم التفسيرات له، وكلما كان لدى هؤلاء الآباء من ثقافة<sup>(٢)</sup>؛ فإنه لا بد أن تصطبغ بها الحركة العقلية، وتجري في التعاريف الفلسفية على ذات الناحية التي تقف عندها التفسيرات اللاهوتية<sup>(٣)</sup>.

٣- الانفلاتات العقلية الخافتة التي أمكن لأصحابها التعبير عن بعضها في شكل من الأشكال وكان التعبير عنها أهم أسباب القضاء على بعض أصحاب تلك العقليات، كالحال مع برونسو<sup>(٤)</sup>،

(١) يتكون الكتاب المقدس من: أ- العهد القديم هو مجموعة من الأسفار المعتمدة عند اليهود، وتبلغ تسعة وثلاثين سفرًا، وتنقسم إلى أربعة أقسام: أ- كتب موسى أو الأسفار الخمسة. ب- الأنبياء وعددها خمسة أسفار. ج- كتب الحكماء أو الأسفار التاريخية وعددها اثني عشر سفرًا. د- أسفار الأنبياء وعددها تسعة عشر سفرًا. [دكتور: محمد إبراهيم الجبرشي - دراسات عن اليهودية ص ٤٤/٤٣ د.ت] ب- العهد الجديد: هو مجموعة من الأسفار الخاصة بالنصارى، التي يقسّمونها إلى جانب أسفار العهد القديم، ويعتقدون أن تلك الأسفار موحى بها لأصحابها من الله سبحانه لا بألفاظها، ويتكون العهد الجديد من تسعة وعشرين سفرًا أغلب النصارى. [الأستاذ عبدالرؤف المولد - مناهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى - دراسة علمية من خلال جهود ابن تيمية - الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - ط ١٩٩٥/٢ م].

(٢) تفق الشيء تفقا وثقافا وتقوية. حذفه. ورجل تفق: حاذق فهم، وأتقوه، ويقال: تفق الشيء، وهو سرعة التعلم؛ وتفقت الشيء، حذفته، وتفقت إذا طُفرت به. قال الله تعالى: فإما تلقفتم في السحر. وتقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا فطنا، فهو تنق [لسان العرب ج ٩ ص ١٩]، والتقف الحديق إدراك الشيء، وفعله ومنه فرخم رجل ثقيف أي حاذق في إدراك الشيء، وفعله وعنه استعير الثقافة ويقال تفقت كذا أي ادركت بيمرك لجدق في النظر ثم تجوز به فاستعمل في الإدراك وإن لم يكن معه ثقافة نحو: قال تعالى ﴿واقتلوهم حيث تقفتموهم﴾ (سورة البقرة ١٩١). [العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي المولد ٩٥٢ هـ والمتوفى ١٠٣١ هـ - التوقيف على مهمات التعاريف - ج ١ ص ٢٢١ - دار الفكر بيروت، دمشق ١٤١٠ هـ - ط ١ - عدد الأجزاء ١ - تحقيق: د. محمد رضوان الداية]

(٣) الدكتور: خالد السيد حيران - العصور الوسطى وفلسفتها ص ١٤٧.

(٤) برونو: ذلك الراهب أدى دورا في دراسة علم الفلك، انتحى جانباً في صومعة يتعامل مع علم الفلك، وبدون أبحاثه في سرية تامة، وحذر من أن تعمل أخباره رجال الدين، لكن ما طنه خافيا لم يلبس أن بلغ إلى رؤسائه مما كان مسهم إلا أن هددوه بالإنزال أشد العقاب به، وفر من وطنه إيطاليا إلى بلد آخر يضمن فيه السلامة، ويضمن على ممارسة أبحاثه، ورغم أنه في بلد آخر، إلا أن الكنيسة أصدرت أحكامها عليه واعتبرته عدوها الأول، ومن ثم ظلت تطارده برحاضا من كل ناحية، حتى تم القبض عليه وأودع السجن مدة ثمان سنوات، فلما لم يرجع عن رأيه قررت الكنيسة إعدامه، وفي صباح الثاني عشر من يناير ١٦٠٠م تم تنفيذ حكم الإعدام فيه حرقا. [راجع للدكتور حسن محمد مرسى: أحرار الفكر الإنسان ص ١٤٥]

وجاليليو<sup>(١)</sup>، وكوبرنيكوس<sup>(٢)</sup> وغيرهم.

من ثم يمكن القول بأن فلسفة العصر الوسيط كانت تمثل نوعاً من أنواع الامتداد الفكري لفلسفة الإغريق، مع تعديل بسيط، ودليل ذلك أنها اعتبرت تعريفات أرسطو للفلسفة قاعدة دينية فكرية معاً، وقد استمرت في إرسال أصواتها الخافتة حتى فترات طوال<sup>(٣)</sup>، لكن لم يكتب لها النجاح الكامل.

#### تعريفات الفلسفة في ظل الإسلام

الإسلام دين الله رب العالمين، فيه صلاح الدنيا والدين، بلغ به كل الأنبياء، ونادى به ودعا إليه جميع المرسلين، من لدن سيدنا آدم عليه السلام، وكان كل نبي يأتي بشريعة خاصة تناسب ذات المكلفين، وظل ذلك الأمر قائماً إلى أن جاء خاتم النبيين - رحمة الله للعالمين - سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذا الإسلام الدين الإلهي العام، الشامل، جاءت به النصوص المذلة من قبل الله جل علاه، وكان كل نبي يأتي قومه ميلعاً عن الله تعالىهم إليهم، يأخذ بأيديهم، كما يأخذ بعقولهم، إلى ما فيه صلاح عقيدتهم، وسلامة عبادتهم، وصحة أخلاقهم، وكمال آدابهم، وتعليم الصناعات والحرف

(١) جاليليو: أقام على دراسة الأحرام السماوية والعالم الطبيعي، من سدم وبخرات، حتى اكتشف مجموعة الكواكب، ومن ثم غضب رجال الكنيسة عليه، وأصدروا أمراً كهريسياً بأن تتم محاكمة جاليليو في روما عشاء بلقي مصر سابقه، وبعد أن عذب فترة تراجع عن الآراء التي كان ينادي بها، وأعلن ذلك أمام جمع كبير من رجال الكنيسة، ولكن ذلك لم يشفع له، ولم يتم الإفراج عنه، وإنما ظل سجيناً لا يعرف الحرية، ولا يتحدث معه أحد حتى مات سنة ١٦٤٢م، ويقال: إنه مات مسموماً بيد رجال الكنيسة. [راجع للدكتور بخيري حسن صفوت - محاكم التفتيش ورجال العلم ص ١٩٥، وتاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم]

(٢) كوبرنيكوس: عاش داخل الكنيسة احتيالا على رعاها؛ لأنهم كانوا يرمون البحث العلمي، الذي يعتقدون أنه يعارض تعاليم الكتاب المقدس، حتى يستطع دراسة العلوم؛ لأن التعليم كان مقصوراً على طبقة الكهنة، وقد تفرغ لدراسة علم الفلك، حتى توصل إلى أن الأرض كروية، وأن حركة النجوم التي نراها من فوق الأرض هي حركة ظاهرية، يمكن تفسيرها بدوران الأرض حول محورها مرة كل يوم، ورغم أنه توصل إلى هذه الفكرة في شبابه، إلا أنه حشنى من الإعلان عنها خوفاً من رجال الكنيسة، ثم أعلن عنها قبيل وفاته، وظلت الكنيسة تطارد كنيته وتصادرها، ومات في علم ١٥٤٣م. [الدكتور أحمد عبدالحال - الإسلام والفكر المنحرف ص ١٠٤ - دار الفسدى للطباعة - الطبعة الأولى ١٩٨٣م، وراجع تاريخ الفلسفة الحديثة].

(٣) تراجع كتابنا: رياض الأشواق في المتأخرين والأخلاق ص ١٠٨.

(٤) سورة التوبة - من الآية ٣. يقول العلامة الرازي: «والمعنى أن الله تعالى أكمل الدين فلا يحتاج الناس إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حيل ولا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصديق لا كذب فيه ولا خلاف» (الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الرازي - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير - ص ٥٦٣ - ط ١ دار الفد العربي بالقاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

الضرورة، والمهن الحياتية التي تقودهم إلى الاستفادة من أنماط الحياة المختلفة على ناحية علمية أحياناً وعملية أخرى، لطفاً من الله تعالى ورحمة بعباده.

فلما بعث الله النبي الخاتم سيدنا محمداً ﷺ جعل رسالته عامة خاتمة قائمة إلى يسوم الدين، وجاء ضمان تلك الرسالة الخاتمة في كتاب منزل خالد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد هو القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، وجعل السنة النبوية المظهرة الصحيحة مع القرآن الكريم توضيح مبهماً، أو تفصيل مجملاً، أو تطلق مقيداً، أو تستقل بنحكم شرعي، ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة<sup>(٢)</sup> عن رسول الله ﷺ قال: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا علي الخوض»<sup>(٣)</sup>. وقوله صلى الله عليه وسلم: «تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

(١) وفي الحديث الشريف: عن الحارث الأعور قال «مررت في المسجد فإذا الناس يفرقون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد حاضوا في الأحاديث قال وقد فعلوها قلت نعم قال أما إن قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إنما ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نيا ما كان قبلكم وحر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا يزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عمارته هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرأنا عجباً يهدي إلى الرشد من قال به صدق ومن عمل به أحر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم». الإمام الترمذي - سنن الترمذي ج ٥ ص ١٧٢ - [١٤] باب ما جاء في فضل القرآن - الحديث: ٢٩٠٦، وأخرجه الدارمي - سنن الدارمي ج ٢ ص ٥٢٦ - الحديث: ٣٣٣١، مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ ص ١٢٥ - الحديث: ٣٠٠٧. وعن معاذ بن جبل قال «ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً الفتن فمظنها وشدها فقتل علي بن أبي طالب يا رسول الله فما المخرج منها فقال كتاب الله فيه حديث ما قبلكم ونيا ما بعدكم ومصل ما بينكم من تركه من جبار قصمه الله ومن تبع الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لما سمعته الجن قالت إنا سمعنا قرأنا عجباً هو الذي لا تخطئ به الألسن ولا تخلفه كثرة الرد». العلامة الطهراني - المعجم الكبير ج ٢٠ ص ٨٤ رقم: ١٦٠.

(٢) هو أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشري بن طريف بن عتاب بن أبي صعصع بن منة بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن مهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب الدوسي. وعن أبي هريرة قال: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن وكنيت أبا هريرة لأنني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي أبو هريرة. وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً. قال البخاري روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم وكان أحفظ من روى الحديث في عصره. وقد عاش أبو هريرة ثمانياً وسبعين سنة، وكانت وفاته بنفسه بالعقيق سنة ٥٧ هـ فحمل إلى المدينة. [راجع الإصابة لابن حجر القسم الأول] من ذكر له حجة، وبيان ذلك... رقم: ١٠٦٧٤ - ٤٤٤/٤٢٦.

(٣) الأحكام - المستدرك على الصحيحين ج ١ ص ١٧٢ - الحديث: ٣١٩. وأخرجه العلامة جلال الدين السيوطي - الجامع الصغير - باب: حرف التاء - الحديث رقم: ٣٢٨٢، وراجع الشيخ محمد حسين عبدالوارث - من أنوار السنة ص ٥٧ ط أول ١٩٥٤م - الدار القومية.

(٤) الإمام الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥/٣٢١ هـ) - المستدرك على الصحيحين - طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م/١٤١١ - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. ج ١ ص ١٧١ - الحديث رقم: ٣١٨، وراجع سنن البيهقي الكبرى ج: ١٠ ص: ١١٤ - الحديث رقم: ٢٠١٢٣.



وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «تركتم فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به. كتاب الله. وأنتم تسألون عني. فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت»<sup>(١)</sup>.

وعن المقداد<sup>(٢)</sup> عن رسول الله ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل يثنى شعبانا على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه إلا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروهم فإن لم يقروهم فليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) الإمام مسلم - صحيح الإمام مسلم - باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث رقم: ١٤٧ - (١٢١٨) من رواية حاتم بن إسماعيل المدني عن جعفر بن محمد، عن أبيه. وأخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني [٢٠٧هـ/٢٧٥هـ] (ابن ماجه) في سنن ابن باحة (طبعة دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) - باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم - الحديث رقم: ٣٠٧٤

(٢) المقداد بن معد بكرب بن عمرو بن يزيد بن معدي كرب أبو كريمة وقيل أبو يحيى الكندي نزل حمص روى عن النبي وعن خالد بن الوليد ومعاذ بن جبل وأبي أيوب الأنصاري وجماعة وعنه أنه يثنى وابن أبي صالح بن يحيى وحسالد بن معدان وحبيب بن عبيد ويحيى بن جابر الطائي والشعبي وشريح بن عبيد وعبد الرحمن بن أبي عوف وأحمد بن محمد بن مسرة الحضرمي ورواه بن سعد المقراني وأبو عامر الموزني ومحمد بن زياد الأحمدي وأخرون ذكره بن سعد في الطبقة الرابعة من أهل الشام وقال مات سنة سبع وخمسين وهو بن إحدى وتسعين سنة. [راجع: تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٥٥ - رقم: ٥٠٧، ومشاهير علماء الأمصار ج ١ ص ٥٣ - رقم: ٣٦٥، والتفقات ج ٣ ص ٣٩٥ - رقم: ١٣٠٠، والإصابة ج ٦ ص ٢٠٤ - رقم: ٨١٩٠]

(٣) الإمام أبو داود - سنن أبي داود - باب في لزوم السنة - الحديث رقم: ٤٦٠٤، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج ٤ ص ١٣٠ - الحديث: ١٧٢١٣، وأخرجه البيهقي - سنن البيهقي الكبرى ج ٩ ص ٣٣٢ - الحديث: ١٩٢٥٣، والدارقطني - سنن الدارقطني ج ٤ ص ٢٨٧ - الحديث: ٥٩، وعن جابر بن عبد الله قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة يوم عرفة وهو على ناقته القمراء يخطب فسمعت يقول: يا أيها الناس إني تركت فيكم من إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» [سنن الترمذي (وشرح العلل) - مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. في الحديث رقم: ٣٨٧٤، وروى الترمذي أيضا من نفس الباب في الحديث رقم: ٣٨٧٦ - عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدها أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يسردا على الحصر فانظروا كيف تخلفوني فيهما» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقوله ﷺ: «إني أوتيت الكتاب وما يعدله يوشك شعبان على أريكته أن يقول يميني وبينكم هذا الكتاب فما كان فيه من حلال أحلناه وما كان فيه من حرام حرّمناه ألا وإنه ليس كذلك»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾<sup>(٢)</sup>. وبين سبحانه وتعالى أن حجة الرسول الخاتم سيدنا محمد من حجة الله قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾<sup>(٣)</sup>.

• يقول العلامة ابن كثير<sup>(٤)</sup>: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى حجة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى تتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع

(١) العلامة ابن حبان - صحيح ابن حبان ج ١ ص ١٨٨ - ذكر الخبر المرفوع بأن سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم كلها عن الله لا من تلقاء نفسه الحديث: ١٢. وقال صاحب عون المعبود: «أوتيت الكتاب أي القرآن وما يعدله أي الوحي الباطن عم الشئ أو تأويل الوحي الظاهر وبيانه بتعميم وتفصيل وزيادة ونقص أو أحكاما ومواعظ وأمثالا لمثل القرآن في وجوب العمل أو في المنع، قال البيهقي هذا الحديث يثبت وجوب أحدهما أنه أوتي من الوحي الباطن غير المنقول مثل ما أوتي من الظاهر المنقول والثاني أن معناه أنه أوتي الكتاب وحيا يتلى وأوتي مثله من البيان أي أذن له أن يسبغ ما في الكتاب فيعم ويخص وأن يزيد عليه فيشرح ما ليس في الكتاب له ذكر فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المنقول من القرآن ألا يوشك قال الخطابي يندر بذلك مخالفة السنن التي سبها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له ذكر في القرآن على ما ذهب إليه الخوارج والرافضة من الفرق الضالة فلم تعفوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي صنعت بيان الكتاب فتحيروا وسوا انتهى وحل شعبان هو كتابة عن النبوة وسوء انهم الناشئ عن الشيع أو عن الحنابلة اللازمة للشعب والغرور بانهم أخذوا على أريكته أي سريره المزين بالخلل والأثواب وأراد ههنا الغشقة أصحاب الترفه والدعة الذين لزمو البيوت ولم يظفروا العلم من مظانه فأحلوه أي اعتقدوه حلالا فحرموه أي اعتقدوه حراما واحتجوا به ألا لا يدل لكم بيان لنفسه الذي ثبت بالنسبة وليس له ذكر في القرآن» [عون المعبود ج ١ ص ٢٣١/٢٣٢].

(٢) سورة الخضر - الآية ٧.

(٣) سورة آل عمران - الآية ٣١.

(٤) ابن كثير: هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى ٧٠٥هـ وتنبه في ٧٧٤هـ، وهو غير الإمام عبدالله بن كثير بن عبدالمطلب القرشي المكي ٤٥٥هـ/١٢هـ، إمام انفرادي في مكة، أخذ عن أبي أيوب الأنصاري، وأبو من ماله، وأخذ القراءة عرضا عن عبدالله بن مسعود، وكان فصيحاً مفوهاً وصاحب وقار وسكينة، روى عنه أحمد النري، والإمام قتيل. [راجع العلامة ابن الجزري - النشر في القراءات العشر ج ١ ص ١١٣] ومن أشهر مؤلفات ابن كثير المحدث تفسير القرآن العظيم، وابتداه ونهاية. توفي سنة ٧٧٤هـ. [الطبقات للدارودي ج ١/١١١].

أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد]<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله حيث يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب، وقال الحسن البصري<sup>(٢)</sup> وغيره من السلف زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، وعن عائشة رضي الله عنها قالت [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل الدين إلا الحب في الله، والبغض في الله، قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني]<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم أي باتباعكم الرسول صلى الله عليه وسلم يحصل لكم هذا من بركة سفارته<sup>(٤)</sup>.

وقد اجتهد علماء أهل الإسلام في تفهم النصوص النقلية - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة - وكانت لهم اجتهادات كثيرة، وقد نشأت من تلك الاجتهادات علوم بعضها يتعلق بالعقيدة الإسلامية، كعلم التوحيد، وبعضها متعلق بالجوانب التشريعية كالفقه وأصوله،

(١) الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المولود في ٢٠٦ هـ والمتوفى في ٢٦١ هـ) - صحيح مسلم - ج: ٣ - ص: ١٣٤٣ - باب نفى الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور - الحديث: ١٧١٨ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - عدد الأجزاء ٥ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ورواه البخاري - ج ٢ ص ٦٥٣، ج ٦ ص ٢٦٧٥، وراجع مسند أبو غرانة ١ ج ٤ ص ١٧١، وسنن الدار فطين ج ٤ ص ٢٢٧، ومسند الاسماء أحمد ج ٦ ص ١٤٩، ج ٦ ص ١٨٠، ج ٦ ص ٢٥٦، والترغيب والترهيب ج ١ ص ٤٤، تحفة الأخوذ ج ٥ ص ٢٣٥.

(٢) هو «الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام أبو سعيد مولد زيد بن ثابت، وقيل غير ذلك وأبو بهار من سبي ميسان أعتقه الربيع بنت النضر ولد الحسن زمن عمر وسمع عثمان وشهد الدار بن أربع عشرة سنة وروى عن عمر بن الخطاب عن أبي موسى وابن عباس وحذوب، وروى عنه بن عون ويونس، وكان كثير الشأن رفيع الذكر رأساً في العلم والعمل مات في رجب سنة عشرة ومائة وقد قارب التسعين» [راجع العلامة حمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي المولود ٦٧٣ هـ، المتوفى ٧٤٨ هـ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة - ج ١ ص ٣٢٢ رقم: ١٠٢٢ - دار الثقافة للنقاغة الإسلامية، مؤسسة علم - جدة - ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٦ م - الطبعة الأولى - تحقيق محمد عرومة، غريب التهذيب ج ١ ص ١٦٠ رقم: ١٢٢٧، جامع التحصيل ج ١ ص ١٦٢ رقم: ١٣٥، سمر أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٦٣ رقم: ٢٢٣، الطبقات للداودي ج ١ ص ١٥٠].

(٣) العلامة البيهقي - سنن البيهقي الكبرى ج ١٠ ص ٢٢٣ - رقم: ٢٠٨٥٨ - يلفظ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله أي عرى الإسلام أوثق قال قلت الله ورسول الله أعلم قال الولاية في الله الحب في الله والبغض في الله»، وقال الشافعي رحمه الله ولو خص امرؤ قومه بأخيه ما لم يعمل على غيرهم ما ليس يخل له فيه صلة ليست بعصية فقل امرؤ إلا وفيه محبوب ومكروه، والحديث أخرجه أبو بكر بن أبي شبة - مصنف ابن أبي شبة ج ٦ ص ١٧٠ - رقم: ٣٠٤٢٠، ج ٧ ص ٨٠ رقم: ٣٤٣٣٨.

(٤) العلامة إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء المتوفى ٧٧٤ هـ - تفسير القرآن العظيم - ج: ١ ص: ٣٥٩ - دار الفكر - بيروت ١٤٠١ هـ - عدد الأجزاء ٤.

وبعضها يتعنق بالجوانب اللغوية أو البلاغة، أو الفقهية والعلمية في القرآن الكريم، وهي علوم القرآن والتفسير والبلاغة، وغيرها من العلوم التي تحفظ نصوص السنة النبوية المطهرة الصحيحة، وتعرف برجالها وأحكام ذلك كله، وهو ما عرف باسم الدراية والرواية، أو السند والمتن، مما برع فيه مفكرو أهل الإسلام، وسميت هذه الاجتهادات باسم كل علم يميز بموضوعه ومسائله ومنهج الدراسة فيه.

كما اجتهد مفكرو الإسلام في تفهم النصوص العقلية على ناحية أخرى تغلب عليها النزعة العقلية التأملية حيناً<sup>(١)</sup>، والوجدانية حيناً آخر<sup>(٢)</sup>، وبعضها يتعلق بالعالم الذي نعيش فيه كصفة غالبية<sup>(٣)</sup>، وبعضها يتعلق بالعالم الذي أبلغنا الشرع الشريف ومنه ما يتعلق بحقيقة اليوم الآخر ابتداء من العرّوخ حتى يوم العرض على الملك العلام العيبي<sup>(٤)</sup>، واستقرار أهل النعيم في الجنة، واستقرار أهل العذاب في النار، وبقاء أهل الأعراف كل في مكانه.

بيد أن أصحاب الاتجاه العقلي الخالص من أهل الإسلام قد غلب على بعضهم إطلاق اسم الحكماء عليهم تارة أو فلاسفة الإسلام تارة أخرى، وحيث قد انتهى الأمر بهم إلى هذا الهدف، فلن التماس تعريف للحكمة عندهم يكون أمراً قائماً على ناحية مقبولة، وقد عرفت مباحثهم باسم الحكمة أو الفلسفة الإسلامية، فميزا لها عن الأبحاث التي قام بها اليونان، أو التي قام بها الهنود ومفكرو الصين، أو أهل بابل والمصريون القدماء، فضلاً عن مفكري آشور، وتميزا لأبحاثهم عن كسل من الفلسفة اليونانية والمسيحية، والفلسفات التي انطلقت من أصحاب العبث ودعاة اللامعقول، فيما بعد كالشيعية والوضعية وغيرها من الفلسفات الإلحادية<sup>(٥)</sup>.

وحيث تعدد حكماء المسلمين بتعدد النزعات، وأماكن الإقامة أو الهجرة، أو بالنظر إلى المشرق الإسلامي ومغربه، فقد تعددت التعريفات التي انطلقت منهم، معبرة عن تلك الموجات المتلاحقة من التفكير.

(١) نشأ عن هذه النزعة التأملية علم العقيدة أو علم الكلام وغيرها مما يتعلق بأدلة إثبات وجود الله تعالى، ومعرفة مسأله تعالى من جلال وكمال، وما يتعلق بالنبوات والرسالات واليوم الآخر.

(٢) نشأ عن هذه النزعة كل من علم التصوف وعلم الأخلاق أو علم السلوك وما ينجم على ذلك الجانب.

(٣) كعلوم الأحياء والطبيعة والفلك وغيرها من العلوم التي تخدم ذلك الجانب.

(٤) يشترك في الحديث عن ذلك الجانب الأخرى أغلب العلوم الإسلامية، وكل جاء على ناحية من النواحي التي عني بها أو اهتم بدراستها أصحاب التخصص أنفسهم.

(٥) راجع كتابنا أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ص ٢١٨ أثناء الحديث عن المذهب الوجودي.

من ثم نألتقط بعض من تلك التعريفات على النحو التالي:

#### ١- الكندي فيلسوف العرب<sup>(١)</sup>

لا شك أن الكندي كان فيلسوف العرب الأول بلا منازع، أو أنه كان عقلية ناضجة متميزة، مكنته من دراسة ثقافة عصره وهضمها، ثم استخراج عصاراتها، وكان عالماً بالرياضة على وجه الخصوص، كما كان معزى النزعة الاستدلالية، جمع العديد من تعريفات الفلسفة بعضها راجع إلى الموضوعات التي تعالجها، وبعضها الآخر قائم على مناهجها، وبعض ثالثاً في رحاب الغاية منها، والمهدف الذي تسعى إليه، والبعض الآخر قد استفاد من الممارسة الفنية لهذا النوع من التفكير العقلي.

☆ من هذه التعريفات:-

«أما علم الأشياء الأبدية الكلية إنباتها ومائيتها وعلنها بقدر طاقة الإنسان<sup>(٢)</sup>، وهو تعريف يركز على الجانب المعرفي دون الجانب الاعتقادي؛ لأن المفكر المسلم لا يأخذ عقيدته إلا من النقل المثل، وبالتالي فهو يفارق - على سبيل التمايز - بين المنتج العقلي والتنزيل الإلهي، وأعني به النقل الصحيح من قبل الله تعالى في القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح.

كما عرفها بأنها: التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان<sup>(٣)</sup>، وهو تعريف يركز على الجانب العملي، وبالذات ما يتعلق بالناحية الخلقية؛ لأن التشبه بالفعل الإلهي يراد به الالتزام في الأفعال كلها بما أمر به الله تعالى على سبيل التمسك والممارسة به، والانتفاء عما هي الله تعالى عنه على سبيل الانصراف بالكلية.

كذلك عرفها بأنها مباشرة التفكير العقلي بأقصى طاقاته في الملوكوت كنه؛ بغية الاستدلال<sup>(٤)</sup> على خالقه، وإدراك العالائق القائمة بين أصول الأشياء<sup>(٥)</sup>.

(١) الكندي: «هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن محمد، شعث بن قيس الكندي من قبيلة كندة العربية الأصلية؛ التي يمتد أمرها في إخمالية والإسلام؛ إذ أن نسه يمتد في الماضي، حتى يصل إلى يعرب بن قحطان من العرب القدامى، وكان أجداده ملوكاً لذات القبيلة، عرف بأنه فيلسوف العرب، وأول فلاسفة الإسلام، وكان متبحراً في فنون الحكمة، وسائر العلوم، وكثير من الصناعات والمعارف؛ ولد في ١٨٥هـ، وتوفي ٢٥٧هـ». [راجع الفهرست لابن النديم ص ٢٥٥، وحكماء المشرق للدكتور سامي نصر ص ٢٥، والكندي فيلسوف العرب للدكتور مصطفى عبدالرازق]

(٢) الدكتور صبحي محمد راشد - الكندي فيلسوف العرب ص ٥٣ ص دار الفؤاد ١٩٧٧م.

(٣) الدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفي في الإسلام ص ٢٢٣.

(٤) الاستدلال تقرير الدليل لآيات المدلول فإن كان من: «أمر على المؤتمر سمي استدلالاً إيجابياً أو عكسه سمي نياً والاستدلال طلب دبر الشيء». [التعاريف ج ١ ص ٥٦]

(٥) الدكتور حسين مرسى محمود ثروت - دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٣٢ ط أول ١٩٦٥م.

وهو تعريف - إن صحت نسبه إلى الكندي - يجمع بين الفلسفة والفلسف، كما ينصب آخره على موضوع الحكمة الإسلامية؛ لأنها التي تعني بالاستدلال على وجود الخالق العظيم جل علاه وعلاقته بالعالم والإنسان، ومن ثم يكون تعريفاً يصلح إطلاقه على الفلسفة الإسلامية وحدها.

وفي تقديرى: أن الكندي قدم تعريفات عديدة بعضها على سبيل الحكاية عند أصحاب تلك الزعات، باعتباره كان متقناً للفلسفة اليونانية والهندية، كما كان متمكناً من الفلسفة الفارسية، ذلك كله جعله يذكر بعض التعاريف على أنها من مكررات أصحابها، ثم في النهاية ذكر التعريف الذى ارتضاه، ممثلاً للحكمة الإسلامية، طبقاً لما يساير منهجه العلمى واتجاهه العقدى، وهى سمته بتميزها بمفكر الإسلام رحم الله الجميع.

#### ٢. الفارابى<sup>(١)</sup> المعلم الثانى (٢٥٩/٢٣٩هـ) :-

عاش قرابة الثمانين عاماً قضاهما ما بين قرية وسيج التي ولد بها من أعمال فاراب ودمشق التي وافته المنية بها، زهد حياة الترف، وليالى القصور، وآثر العزلة الاجتماعية بعد أن رأى من أحوال الناس مالا يستقيم مع القيم الشرعية، ومن فهو قد ولد بوسيج، ثم ارتحل من فاراب إلى بغداد فدرس المنطق، ثم ارتحل إلى حران، فالتقى بعثمانها، ثم إلى دمشق ومصر وحلب، واستقر به المقام أغلب الوقت في مجلس سيف الدولة الحمداني، وأخيراً عزف عن ذلك كله فلم يعد يرى إلا عند مجتمعه مله أو منتبك رياض، وظل على ذلك حتى نفى الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

عرف الفلسفة بأهمها: العلم بحقائق الموجودات، ومعرفة أصولها التي قامت عليها<sup>(٣)</sup>، وهو تعريف قريب الشبه في صورته بما نقل عن فلاسفة اليونان، وبالتالي فيمكن اعتباره من التعاريف التي قصد بها الحكاية، أو عرض الأفكار التي يتمسك بها أصحابها، أو من باب الثقافة العامة التى هي قاسم مشترك، لا من باب الاعتقاد الذى يمثل حقيقة دينية.

(١) الفارابى : « هو أبو نصر محمد بن محمد بن فرحان بن أوزلج ، ونسب لفاراب إحدى الولايات الفارسية القريبة من الحدود التركية ؛ كان أبوه فاراب ، وأمه تركية ، وقد ولد عالماً في ٢٥٩هـ ، شغل أبوه منصباً قيادياً في الجيش التركى ، وحسب إليه السفر والترحال . وادّعى أنه على شأنته ؛ غير أنه تميز بقدرات عقلية أوسع ، مكنته من التعرف على تقامه عصره في شتى جوانبها . وأما ما يشارك فيها بكل قوة ، ويترك آثاراً متعددة في كتاباته النواحي المعرفية ، وبخاصة العقلية ، بجانب الروحية ، وعرف - المعلم الثانى - توفى عام ٣٣٩هـ ؛ بعد أن ترك رصيدها ضخماً من العلوم والمعارف . » [ راجع في ذلك وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ، والتفكير الفلسفى في الإسلام للدكتور عبدالحليم محمود ، والفلسفة الإسلامية للدكتور إبراهيم مدكور ، والمجانب الإلهى للدكتور محمد البهى ] .

(٢) راجع في ترجمته طبقات الأمم للقاضى صاعد ، والفهرست لابن النديم ، وأخبار العلماء للقفطى ، ووفيات الأعيان لابن خلكان .

(٣) الدكتور حسين مرسى محمد ثروت - دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ١٥٧ .

كما عرفها بأنها: العلم بالموجودات بما هي موجودة<sup>(١)</sup>، أو هي العلم بالموجودات، من حيث هي موجودة<sup>(٢)</sup>، ويدل أن هذين التعريفين قد تردداً منسوبين إلى أرسطو، مما أوحى للبعض بالتماس مفكرى الإسلام بأنهم مجرد نقلة، أو مترجمين للفكر اليوناني باللغة العربية، وهو اتهام باطل، وزعم خاطئ، حتى لو كانت هناك بعض المشاهدات بين هذين التعريفين، وما نسب لأرسطو؛ لأن الدعوى التي لا تقوم على دليل صحيح تعتبر اتهاماً باطلاً.

### ٣. الشيخ الرئيس ابن سينا<sup>(٣)</sup> (٢٧٠/٤٢٨هـ - ٤٢٧/١٠٣٧م):

نشأ في عصر عوج بالفن السياسية، وتضطرب فيه الاتجاهات العلمية، وتنازع فيه الآراء الفقهية، بجانب خلافات الأمراء الذين حاول كل منهم التقرب إلى العلماء ومجالسهم، بل ويستعملهم كمستشارين له في أمورهم، ويعتزون بهم لإشباع تلك الرغبة في نفوسهم، فكان لذلك أثره السلبي على الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية.

تناول ابن سينا الفلسفة على أنها الحكمة، ثم عرفها بأنها: استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية<sup>(٤)</sup>، وهذا التناول الذي قام به الشيخ الرئيس ينصرف إلى الحكمة في المفهوم الإسلامي؛ لأنه نظر إليها بمنظور خاص، إنه منظور المسلم، الذي تنف مع عقيدته الدينية، حتى توجهه إلى الحقيقة التي يبحث عنها<sup>(٥)</sup>، والغاية التي ينشدها، أو يسعى إليها. وهو أمر محمود للمفكر المسلم، ويدفع عن الشيخ الرئيس الاتهام التبعية للفكر اليوناني، أو الاتهام في عقيدته الدينية.

(١) الدكتور توفيق الطويل - أسس الفلسفة ص ٤٩.

(٢) الدكتور جبري محمد ضيع - الفلسفة الإسلامية في المشرق ص ١٥٥ ط ١٩٦٥م.

(٣) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا ولد في قرية أفشنة قربها من بخارى سنة ٣٧٠هـ طبقاً لما انتهت إليه رواية ابن خلكان، بينما يذهب ابن أبي أصيبعة إلى أنها عام ٣٧٥هـ وتوفى عام ٤٢٨هـ، وكان أبوه من أهل بلخ، ثم انتقل إلى بخارى، ثم سكن بقرية خرمين، منحه الله القدرة على اكتساب المعارف والعلوم، بل كان قرى القرى كلها، كما يقول هو عن نفسه. برأفاده وتفوق على الأكبر منه، فكانت له تصانيف كثيرة في سائر العلوم العلمية والأدبية والموسيقية، وكان فيها متمكناً، كما كان صوفاً رافياً، وضيئاً متميزاً، وموسيقياً وأخيراً، مات مريضاً، ودفن بمسجدها، وقبر تحت السور من جانب القبلة، وبذهب البعض إلى أن وفاته نقلت إلى أصفهان، ودفن بها في موضع على باب كوتكين، والله تعالى أعلم. [راجع لابن أبي أصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ٣٤٢، وكذلك مقدمة الإشارات والنبيهات - القسم الأول ص ٢٥٤ - تحقيق المرحوم الدكتور سليمان دينا] ولطالبا المريد الرجوع لترجمته في وفات الأعيان ج ٢ ص ١٦٠، والفهرست لابن النديم، وأخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، وطبقات الأسماء للقاضي صاعد الأندلسي.

(٤) الشيخ الرئيس ابن سينا - تسع رسائل في الحكمة والطب ج ٢ ط ٢ دار العرب للبستان - بيروت.

(٥) الدكتور فردي محمد زكي - محاضرات في الفقه الإسلامية ص ٥٣ ط الدار القومية ١٩٤٦م.

ويذهب الدكتور الطويل إلى أن ابن سينا، اعتبر تعريف الفلسفة نوعاً من التماس العلم بطبيعة الموجودات، بما هي كذلك عن طريق النظر العقلي<sup>(١)</sup>، وبالتالي فقد انقسمت الفلسفة عند ابن سينا بناء على ذلك إلى قسمين:-

#### ❖ القسم الأول: الحكمة النظرية :-

وهي أنواع ثلاثة :-

❖ النوع الأول: العلم الطبيعي، وهو الذي يبحث في الأمور التي تتعلق وجودها وحدودها بالمادة الجسمانية والحركة كالأجرام السماوية والعناصر الأربعة، وما يتكون منها<sup>(٢)</sup>، ويعتبر ابن سينا هذا النوع من الحكمة النظرية العلم الأسفل؛ لأنه يقوم عليه العلم الأوسط، أو أنه الذي يجهد للعلم الأعلى.

❖ النوع الثاني: العلم الرياضي:- وهو العلم الذي يبحث في الأمور التي تتعلق وجودها - لا حدودها - بالمادة والحركة، مثل العدد وخواصه، ومثل التربيع والتدوير والكروية، وهو العلم الأوسط من علوم الفلسفة النظرية، ولا يقوم ذلك العلم منفرداً، وإنما لابد أن يسبقه العلم الطبيعي.

❖ النوع الثالث: العلم الإلهي:- وهو العلم الذي يبحث في الأمور التي لا تقتصر إلى المادة والحركة، لا في وجودها ولا في حدودها، وهذه الأمور إما من الذات، مثل ذات الأحد الحق رب العالمين، وإما من الصفات مثل الوحدة والكرة والعلّة<sup>(٣)</sup>... الخ.

#### ❖ القسم الثاني: الحكمة العملية:-

وهي أنواع ثلاثة :-

❖ النوع الأول الحكمة المدنية: وهي التي تقود الإنسان إلى التماس طرث التعاون بين الناس في مصالح أبدانهم ومعاشهم، واستمرار حياتهم.

❖ النوع الثاني: الحكمة المنزلية: وهي التي تنظم المصالح المشتركة بين الأسرة الواحدة في المنزل الواحد، والأولاد والآباء.

❖ النوع الثالث: الحكمة الغيائية: وهي التي تقود إلى تعليم الفضائل، واجتناب الرذائل، فيقف للأخرى متعلماً مبنياً، بينما يقف من الثانية - الرذائل - موقف المناهض لها، الراض لأحكامها، حتى إنه يعمل على تجنبها فتزكو نفسه<sup>(٤)</sup>.

(١) الدكتور توماس الطويل - أسس الفلسفة ص ٤٩ .

(٢) الشيخ الرئيس ابن سينا - تسع رسائل في الحكمة والطبيعات ص ٣٠٢ .

(٣) الدكتور صلاح إبراهيم - دراسات في الفلسفة ص ٢٨ .

(٤) راجع الإحياء عند ابن سينا ص ٤٢ ، وكتابنا المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية.



إذن يمكن القول بأن تعريف الفلاسفة الأوائل من أهل الإسلام في المشرق الإسلامي كالكندي والفارابي وابن سينا قد انصب على جانب واحد هو الفلسفة أو الحكمة الإسلامية، ثم انسحب في بعض الأحيان إلى الفلسفة بمعناها العام، بيد أنه لما كان ارتباط هذه الدراسة معنية بالنقاط بعض التعاريف، فمن الأوفق التماس نوع من التعاريف في العصر الحديث والمعاصر معا.

❖ لكن تبقى نقطة هامة، وهي ألا يمكن القول بأن الفكر الفلسفي الإسلامي قد نقل أو ترجم من التراث اليوناني أو غيره؟

❖ والجواب أن هذه المزايم غير صحيحة، وينص عن ذلك الأسباب الآتية:-

❖ السبب الأول: أن التعاريف التي حكاها الفارابي تركز على مفاهيم تختلف في طبيعتها المفاهيم التي جرت في ربوس مفكرى اليونان، لما سبق القول به، من أن المفكر المسلم حين استفاد بالفكر الآخر فإنما اقتصر في تلك الاستفادة على مجرد استخدام الألفاظ، والتي تمثل مصطلحات عند أصحابها، حيث عمد إليها، ثم أفرغها من مضامينها، عند أصحابها من اليونان أو غيرهم، ثم عبأها بالمضامين الإسلامية التي هي تراثه الأصيل<sup>(١)</sup>.

❖ الثاني: أن أرسطو ومن معه من فلاسفة اليونان، أو من فلاسفة الصين والهند أو بابل وآشور، أو غيرهم ممن يطلق عليهم مصطلح فلاسفة - إن صح التعبير - فقد شغلوا أنفسهم بنوع من العلم، ونمط من أنماط المعرفة، ألا وهو العلم أو المعرفة، التي لا علاقة لها بهداية الدين، أو تعاليمه. أمّا لماذا؟

فلأن أيا منهم لم يكن مسلماً، كما أن أياهم لم يكن قد استفاد شيئاً من نور الوحي الإلهي، وبالتالي فكل معارفهم بعيدة تماماً عن هذا الهدى الإلهي، فمن أين لهم أن يتحدثوا عن معارف إلهية لا علم لهم بها.

أما الفارابي؛ فالحال يختلف معه إنه مفكر مسلم، شأنه شأن مفكرى المسلمين، الذين كان الهدى السماوى هو مرشدهم وهاديهم، وآية ذلك أن الفارابي قرر أن العلم المعتبر عنده هو العلم البدي. يشتهر المجردات ببراين يقينية<sup>(٢)</sup>، طبقاً لما تمثله الفارابي نفسه في فكره؛ وتنبهت به أعماقه من النصوص الشرعية الإسلامية، ولم يعرف ذلك النوع من العلم، لا من سبق أرسطو، ولا من لحقه.

❖ كما أن المعرفة اليقينية لا بد لها من:-

أ- صحة المصدر الذى تقوم عليه وصدقه .

ب- سلامة قضاياها وعدم تناقضها.

(١) راجع ما سبقت كتابته بهذا الخصوص في ذات الكتاب، وراجع أيضاً مقالات في أصالة الفكر المسلم للدكتورة فريفة حسين محمود.

(٢) الإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق - تمهيد لتاريخ الفلسفة ص ٥١ .

ج- اضطرادها وعدم تسلل أوجه الضعف إليها.

د- موافقة هذه المعرفة للفظ النقية، والعقول السليمة والطباع الصحيحة والنوايا المستقيمة<sup>(١)</sup>، والنقل المثل الذي يتميز بذلك كله، والمفكر المسلم يلتزم به ولا يتزحزح عنه.

إذن اختلاف فكر أرسطو عن فكر الفارابي، إنما هو اختلاف حقيقي يبلغ حد التباين، ويزيد عليه<sup>(٢)</sup>، بدليل أن من يحاول تطبيق هذه القواعد على مفهوم العلم لدى الفارابي وعند أرسطو، أو يعقد نوعاً من المقارنة بينهما في المسألة؛ فسوف يرى أنهما لا يشتركان إلا في مجرد استعمال لفظ العلم<sup>(٣)</sup>، وهذا الاشتراك لا يفيد أبداً أن أهل الإسلام قد استفادوا موضوعاتهم العلمية من غير الإسلام، لما هو معروف من أن الاشتراك في التسمية لا يفيد الاشتراك في المعنى.

كما أن مجرد الاشتراك في لفظ الاسم لا يعطى معنى التطابق التام في المفاهيم، باعتبار أن المفاهيم متخالفة في طبيعتها وموضوعاتها، وإن كانت متوافقة في الألفاظ المستعملة لها المنطوق بها<sup>(٤)</sup>، وبالتالي فلا يتصور أن يكون الكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة<sup>(٥)</sup>،

(١) برامج كتابنا: رياض الأشواق في المبتاعين والأخلاق ص ١١٠.

(٢) الدكتور عمن صالح فاروق - قضية المفاهيم والمصطلحات ص ١١.

(٣) الدكتور صبرى محمد أبو هاشم - العلم عند العرب ص ٤٥ ط أول ١٩٧٣م بالمغرب.

(٤) الدكتور عمن صالح فاروق - قضية المفاهيم والمصطلحات ص ١٣ ط ١ دار الإنتاج بالعراق ١٩٥١م.

(٥) هو أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن باجة، وابن الصائغ التحيى الأندلسى السرقسطى. ولقد في هجرات القرن الخامس الهجرى أو أواخر القرن الحادى عشر الميلادى بمدينة سرقسطة. توفى عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م. [راجع الأستاذة / زينب محمد عيسى شاكر - ابن باجة وأراؤه الفلسفية - رسالة ماجستير - مخطوطة بجامعة عين شمس ١٩٧٦م]، ومن مؤلفاته (١) تدبير المتوحد : الذى يعتبره المؤرخون أهم مؤلفاته الكاملة على الإطلاق. (٢) الغاية الإنسانية : وهو قريب جدا من المؤلفات الفنية في عالم الأخلاق ، مضاعفا إليه تصورات الرجل حول الغاية من الفعل الإنسانى ، والغاية الحقيقية من وجود الإنسان نفسه والغاية من علم الإنسان وإمكانية الاستفادة منه والقرب إلى الله تعالى (الدكتور / وفاء عبدالمعز الأحمر - موقف ابن باجة الأندلسى من الغاية الإنسانية ص ٧٣ ط أول الدار البيضاء سنة ١٩٧٩م). (٣) الوقوف على العقل الفعال ، وهو كتاب مسنن ترجم إلى اللغة النعبية وغيرها من اللغات اللاتينية ، وفيه أحاديث مستفيضة وأثناء فلسفى إسلامى خالص متعلق بمفاهيم تخالف ما كان عليه اليونان كثير المحالفة. (الأستاذ / رؤف عبدالكريم - مؤلفات ابن باجة بين النبوة والاستقلال ص ١٢١). (٤) رسالة الوداع : (٥) قول ينثر رسالة الوداع ، (٦) اتصال العقل بالإنسان ، (٧) رسالة في النفس . (٨) كلام في البرهان ، (٩) مجموعة في الفلسفة العقلية والطبيب أيضا ، وعنها ما أشار إليه بعض الدارسين من أنها كانت تمثل اتجاهات ابن باجة في مراحلها العلمية المتقدمة التى كانت تعرض عليها ، وأرجح أنها النتائج العقلية والتجريبية التى توصل إليها في العلوم والمعارف التى تعرض إليها ، ولذا فمن المناسب اعتبارها نتائج له ، في المبتاعين والتأملية والممارسات العملية (الدكتور الحاج زابير بن السماوى . إبداعات فلاسفة المغرب الطبية ص ١٨٥ - ط الدار البيضاء . (١٠) فصول في السياسة المدنية ، (١١) رسائل في المنطق ، ويذكر أنها توجد في مكتبة الأسكوريال بحضرة ، وأنه كتبها بخط يده ، وأنه أمضاها بسوم ٤ شوال ٥١٢هـ (الدكتور سليمان سليمان حميس - بداية الفلسفة الإسلامية في المغرب ونهايتها في المشرق ص ٣٤).

وابن طفيل<sup>(١)</sup> وابن رشد<sup>(٢)</sup>، وغيرهم من مفكرى أهل الإسلام، مجرد نقلة أو مسترجعين للتراث اليوناني، وإنما كان لديهم من الحيلة وعناصر الابتكار، ما جعلهم حكماء على لغة أهل الإسلام، فلاسفة على سبيل الاستقلال، بل ميزهم عن غيرهم ممن يشتركون معهم في الحقل الفكري، أو في بعض الموضوعات المتداولة بين المفكرين معرفيا.

**الخلاصة:** إن إمكانية التعرف على الموجودات بما هي عليه موجودة، تمثل نقطة معرفية متميزة، قد تتجاوز مفاهيمها ما يتعلق بالغيبيات، وهنا ممكن الخطر، بالنسبة للفكر الغير إسلامي، أما عند الفكر المسلم، فإن هذه المعرفة تتقف عند حدود الغيبيات لا تتجاوزها<sup>(٣)</sup>، حتى وإن تصور العقل قدرته على التحليق في سمائها، أو السباحة بين جداولها الخرخارة<sup>(٤)</sup>، وأثارها الجميلة.

أضف إلى ما سبق أن بحث الموجودات بما هي عليه لدى الفكر اليوناني، إنما يكون منصبا على القدرات العقلية، وبالتالي سوف يركز أهل اليونان على معرفة ما يطاق بالعقل وحده؛ لأنه

(١) ابن طفيل : « هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طيسل القيسي ، ولد في غرناطة في أوائل القرن السادس ، وتكون من العلوم العقلية والإسلامية ، وكانت له اتجاهات عديدة قام بها خدمة لدين الإسلام ، وللعلم والمباحث العقلية . وكانت له علاقة - من باحه ، وهو من أهم العلامات الفكرية المتميزة في الفكر الإسلامي بالأندلس والمغرب » - [ رابع المعجب في تلخيص أخبار العرب للمراكشي ، وروايات الخانات للنويساري ، ونفع الطيب من غنم الأندلس الرطيب للعلامة أحمد بن محمد المقرئ ] .

(٢) ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الترطفي . ولد سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م . فيسوف من أهل قرطبة، صنف نحو خمسين كتابا منها : ( التفسير، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تضافات التباين، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مناهج الأدلة ) . كان دعت الأخلاق حسن الرأي، ويلقب بابن رشد الحفيد . تميز له عن جده أبي الوليد محمد بن أحمد اشرف سنة ٥٢٠هـ . توفي ابن رشد الحفيد سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م . [ رابع الأعلام للزركلي ٣١٨/٥ ، وراجع كتابنا: أوراق منسية في النصوص الفلسفية ص ٨٧/٧١ ]

(٣) لأن الغيب عندنا نحن المسلمين ثبت الإيمان به على ما جاء به النقل المؤل من غير محاولة اختراق لشيء من حواجزه، وفي الحديث الشريف عن أبي تعلقة الخشني أن النبي ﷺ قال: « إن الله حد حدودا فلا تعدوها ، وقرر لكم فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وتترك أشياء في غير نسيان رحمة لكم فاقبلوها ولا تيمثروا عنها » [ العلامة الخاكد - المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ١٢٩ - الحديث رقم: ٧١١٤ ، وراجع للإمام الشوكاني - مع الفقيهين ج ٢ ص ١٢٠ ] . وروى العلامة الشافعي اخذني في كرم العمال - الباب الثاني: في الاعتصام بالكتاب والسنة - الحديث رقم: ١٦٥٦ - « عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تقربوها (تعدوها) وحرم محارم فلا تنهكوها، وسكت عن كثير من غير نسيان رحمة فلا تكلفوها، رحمة من الله فاقبلوها، ألا إن العذر غيره وشره، ضره ونفعه إلى الله، ليس إلى العبد تقربوش ولا مشية » .

(٤) حرر : السخري: صوت السماء والرييح والعقاب إذا حفت؛ قال اللسي: حرير العقاب حفيفه، وأما في السماء فلا يقال إلا حريرة، و السحرارة: عين السماء السجارية. سميت حرارة لسخري مائها، وهو صوتها. وعين حرارة، و حر السماء الأرض حرا. و السخرخرة: سرعة السخري في القفص ونسجوها. [ ابن منظور - لسان العرب ج ٤ ص ٢٣٤ ، وراجع للعلامة الرازي - مختار الصحاح ج ١ ص ٧٢ ] .

الحاكم في المسألة والقاضي أيضاً، أما بحثها عند مفكرى المسلمين، فإنما يكون متعلقاً بمحاولة تفهيم النصوص الناقلة لها، دون التعرض لحقائقها التي لا طاقة للعقل فيها، باعتبارها أمورا غيبية جاءت في نصوص الشرع على سبيل الإجمال<sup>(١)</sup>، والعقل يبحث دلائل التعرف على ذلك.

بيد أن العقل المسلم في تناوله لتلك الموضوعات، إنما يحاول الموائمة بين نصوص الشرع والمنتجات العقلية، وهو ما يعرف باسم التوفيق بين النقل والعقل، أو بين الدين والفلسفة، أو بين نصوص الشرع وانطلاقات الفكر، ولا يوجد شيء من ذلك لدى مفكرى اليونان أو الهند، فضلاً عن مفكرى بابل وأشور، إنما سمى المفكر المسلم، بل وإحدى خصائصه المميزة عن كل المفكرين الآخرين.

☆ الرابع :- أن فلسفة كل عصر إنما تتعامل مع العلم الذى يسود طبيعة وروح ذلك العصر، فسأى تعبير في طبيعة العلم يتبعه رد فعل في الفلسفة<sup>(٢)</sup>، وبالدبيحة يدرك أن العصر الذى ظهر فيه التفكير العقلي لدى اليونان، وتبدت فيه جلاليل الفلسفة اليونانية، ليس هو العصر الذى ظهرت وثمرت فيه الحكمة الإسلامية، فضلاً عن نمائها وازدهارها، سواء أكان في الزمان أم في المكان والموضوعات، بجانب الوسائل والغايات.

كما أن اتجاهات الفلسفة اليونانية من بحثها عن المادة التي نشأ منها الكون، وانطلاق فلاسفة اليونان القدامى نحوها، سواء في الماء أم الهواء أم في التراب أم النار، أم في الاسطقصات الأربعة تنعصر أصدق تعبير عن روح الفلسفة اليونانية في مراحلها الأولى<sup>(٣)</sup>.

وفوق ذلك فإن هذه الفلسفة التي ظهرت في بلاد اليونان قد لجأت إلى أنماط معرفية كانت تتسع أحياناً فتشمل الكون أو الوجود كله، وتضييق أحياناً أخرى، فلا تعبر إلا عن توجهات معرفية توشك أن تتلاشى.

أما الحكمة الإسلامية فقد كانت على العكس من ذلك تماماً، إنما فلسفة منضبطة تسعى لتقديم الأدلة على وجود الله تعالى، في جانب الإلهيات، ولكنها في جانب المعرفة<sup>(٤)</sup> تقود إلى كل من المعرفة الحسية، وتكشف عن الحكم فيها، وتبين أنها يقينية متى تعلقت بالمعجزات؛ لأن جهة تفهيم

(١) الدكتور عبداللطيف صلاح لطف الله - القضاء الإيمانية ص ١٥٧ ط ١٩٥٦/٢م.

(٢) جيمس جيز - الميراث والفلسفة ص ١٤.

(٣) راجع في ذلك للدكتور هان السيد خليل - الفلسفة اليونانية وقضاياها ص ١٤٣ ط أول - الدار الحديثة براكش ١٩٧٦م.

(٤) المعارف متعددة بتعدد المصادر، كما هي متعددة باعتبار الوسائل والنتائج، فمنها المعرفة الحسية، ومنها المعرفة العقلية، ومنها المعرفة الإلهامية، ومنها المعرفة الدنيوية، ومنها المعرفة العقلية. [ راجع للدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفي في الإسلام ص ٧٧، وكتابتها: اندخل لدراسة الحكمة الإسلامية، وكتابتها المعرفة عند ابن رشد ص ٧٨ ]

المعجزات هي القلب<sup>(١)</sup>، والمعرفة العقلية متى كانت قائمة على أسس صحيحة، والمعرفة الإلهامية التي تجيء من لدن أنفصال الله جل شأنه. قال تعالى: ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناها من لدنا علماً﴾ قال له موسى<sup>(٢)</sup> هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً<sup>(٣)</sup>.

ثم المعرفة الوحيية أو العقلية، وهي أصدق المعارف وأكثرها اتساعاً وعمقاً، وذلك كله مما تمايز به العقلية الإسلامية، ويدل على نضج الفكر المسلم، كما يدل على سعة مداركه، أما في مجال القيم فإنها لدى المسلم منضبطة بأحكام الشرع، وبالتالي فإن الفلسفة الإسلامية لم تتأثر بالفلسفات الأخرى، كما اتضح أن فلاسفة الإسلام ليسوا نقلة لتراث أحد، كما أنهم ليسوا مقلدين لأي فكر آخر، باعتبار أن طبيعة العقلية الإسلامية تلائم الجاد، والتواصل المستمر.

#### ١٩٩ تعريف الفلسفة في العصر الحديث

درج الباحثون في تاريخ الفلسفة بوجه عام على تقسيمه باعتبارات مختلفة إلى عصور، وبالتالي فعصر الفلسفة الحديثة هو الذي يبدأ من بواكير ظهور الثورة الصناعية في أوروبا، بحيث يحل

(١) راجع كتابنا: الغزاليات في النبوات ص ٢١٨ وما بعدها.

(٢) موسى : هو موسى بن عمران بن فاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام وأرسله إلى فرعون مصر مفتاح (مرتاج) ابن رعمسيس (رمسيس) الثانى وراعى فراغة الأسرة التاسعة عشرة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد لإخراج قومه بني إسرائيل، ولم تأت بعد شريعة موسى إلا شريعة محمد ﷺ وبينهما شبه كبير في حياتهما ودعوتهما وإلهادهما من قومهما، وشريعتهما وقد وردت قصة موسى في مواضع كثيرة من سور القرآن الكريم، وورد اسمه في ١٣٦ مرة تقريبا، توفي في آخر سنوات النبي في صحراء سيناء، وبعد موت أخيه هارون عليهما السلام، ودفن في أرض مواب جنوب الأردن وكان عمره ١٢٠ سنة. [ العلامة الحافظ ابن كثير - البداية والنهاية ص ٩٣٠، وقصص الأنبياء للنجاح ١ ص ٢٠٢ ] وهو صاحب رسالة إلهية تمثل شريعة خاصة لبني إسرائيل وحدهم. قال تعالى: ﴿وإذا قلنا موسى لقمه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون أنني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الماجنين ﴾ سورة الصف - الآية ٥.

(٣) سورة الكهف - الآيات ٦٥/٦٦ . يقول الإمام الفخر الرازي: «إن هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعاً من الأدب واللفظ عندما أراد أن يتعلم من الخضر، حيث إنه جعل نفسه تبعاً له؛ لأنه قال: (هل أتبعك)، واستأذن في إثبات هذه التبعية، فكانه قال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك؟ وهذه مبالغة عظيمة في التواضع، وفوقه تعالى: ﴿على أن تعلمن﴾، وهذا إقرار له على نفسه بالجهل، وعلى أستاذه بالعلم، وقوله: ﴿مما علمت﴾ وصيغة من للتبعية، فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضاً مشعر بالتواضع، كأنه يقول: لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزائك، كما يطلب الفقير من الغني أن يهديه جزءاً من أجزائه ماله». [ العلامة الفخر الرازي - مفاتيح الغيب - ج ١٠ ص ٦٥٣/٦٥٤ بتصرف ]

مكانيًا محل العصر الوسيط، وتكون نهايته مع نهايات القرن العشرين<sup>(١)</sup>؛ لأن القرن الحادي والعشرين يطلق عليه مصطلح العصر الحاضر.

والفلسفة العامة في العصر الحديث كانت تسعى لاكتساب أرض فكرية جديدة، بغية التطورات العلمية، حتى تعوض الخسائر التي لحقت بها من جراء النتائج السلبية المفروضة من العصور الوسطى، التي علت الأصوات فيها، تطالب بالفصل بين الدين والدولة، كما نادى بفصل الفلسفة عن الحياة العامة تارة، أو فصلها عن العلوم الأخرى تارة أخرى؛ ولذا عرفت بأنها الانبعاث العقلي نحو بحث الكائنات والعلاقات بينها، بغية الانتقال من الوضع الحالي إلى آخر متميز<sup>(٢)</sup>، أو من وضع تلبت إلى آخر متحرك، يحقق طفرة في مجال العلوم المختلفة<sup>(٣)</sup>، وبالتالي فالفلسفة صارت عملية عقلية، تقوم على نوع من التحول المستمر والتطور المتلاحق.

كما تعرف بأنها البحث الجاد عن الموروثات في الميتافيزيقا والفيزياء على السواء<sup>(٤)</sup>، وهو تعريف فيه الكثير من القفزات والاستقاطات الفكرية، ولكنه استنتاج لعقلية ظن أصحابها بأنفسهم تفوقا على غيرهم، ودفعهم إلى إعلان التمرد عليهم، بل وعلى كل من يخالفهم الرأي، باعتبار أنهم وحدهم الذين أحرزوا تفوقا تاما، وبخاصة في الفلسفة، رغم ما لا قوة من معارضة<sup>(٥)</sup> دفعت بهم إلى إعلان المعارضة لكل ما هو قائم، دون نظر إلى ما فيه من أفكار، بعضها قد يكون مقبولا على ناحية من النواحي، أو مرفوضا على ذات الناحية أو ناحية أخرى.

لكن تعاريف الفلسفة الحديثة اختلفت من قرن إلى آخر، ومن مدرسة أو مذهب إلى غيره، ففلاسفة القرن السادس عشر كانت لهم تعريفات عن الفلسفة الحديثة، اختلفت كثيرا أو قليلا عن التي أنشأها فلاسفة القرن السابع عشر، وكذلك الحال مع الذي جاءوا من بعدهم، سواء القرن الثامن عشر أو التاسع عشر، وهذه الاختلافات راجعة إلى اختلافات الزمان المتلاحق وتطورات، والمشكلات التي طرحت نفسها على المفكر وطالبته بتقديم حلول لذات المشكلات.

في نفس الوقت اختلفت تعاريف الفلسفة باختلاف المناهج التي اصطنعها أصحابها لأنفسهم أثناء سيرهم في تلك الدراسات، كالحال مع العقليين والتجريبيين والحسيين والحدسيين والمثاليين، إذ

(١) وقد يقصد باصطلاح العصر الحديث الفترة الواقعة ما بين القرن الخامس عشر حتى نهاية التاسع عشر، ويقصد به أحيانا الفترة الزمانية الواقعة بين القرن السابع عشر حتى العشرين، ولكل وجهة، وهي كلها تعبر عن نوع من الاهتمام المتزايد بالحركة العقلية في غضون تلك الفترة.

(٢) هارني باتيلير - ملاحظات على الفلسفة الحديثة ص ١٣ - ترجمة بسري محسن ط ١٩٦١ م.

(٣) الدكتور فوزي محمد زاهر - دراسات في الفلسفة الحديثة ص ٣٧ - طعة دار مراد ١٩٧٣ م.

(٤) الدكتور جمال محمد خليل - الفلسفة الحديثة مذاهب وفنائها ص ١٥ ط أول ١٩٨٧ م.

(٥) فرانكلين - ل - باومر - الفكر الأوربي الحديث - الاتصال والتغير في الأفكار - القرن السابع عشر ص ٤٤ - ترجمة د: أحمد حمدي محمود - الهيئة المصرية ١٩٨٧ م.

كان العقليون يرون أن العقل هو الأداة الوحيدة للمعرفة، أنه ملكة سامية، بعيدة عن كل تجربة حسية، وهو الذي يجعلنا على صلة مباشرة بالمطلق وهو فطري لدى جميع الناس<sup>(١)</sup>، وهو المعول عليه وحده، من ثم فإن تعريفهم للفلسفة سوف يترد إلى هذه الأصول العقلية.

أما التجريبيون؛ فقد ذهبوا إلى أن العقل باطن في التجربة، وسموها التجربة المعقولة، فالعقل عندهم يكون مستقلاً وحده بإدراك المعارف، ولا تكون التجربة كافية وحدها بتلك الغايات، وإنما لابد من تآزر كل منهما مع الآخر، أما عند تقرير الغلبة أو السيطرة، فإنها تكون للعقل الذي يتجادل مع الطبيعة، حتى يتمكن من السيطرة عليها تماماً، مستخدماً في سبيل ذلك ما ينشره عليها من صور وقوالب، فيلغنها في طبيائها لها، بحيث لا يستطيع أى جزء من التجربة أن يخرج عن هذه القوالب<sup>(٢)</sup> التي صنعها العقل نفسه.

من ثم اختلفت تعاريف الفلسفة في العصر الحديث، اختلافاً قليلاً وبعدياً أيضاً، أو بعبارة أخرى: ذهب البعض إلى وجود معارف قبلية فطرية ثابتة في العقل، تمثل المبادئ الأولية له، مهمتها الربط بين الأفكار السابقة كلها، ثم استنباط كل القضايا من خلالها استنباطاً عقلياً لا واقعياً، استنباطاً يقوم على المفاهيم الرياضية لا على النواعد التجريبية، ولكن لا مانع من الاهتمام بالتاريخ والطابع التاريخي لكل نشاط بشري<sup>(٣)</sup>.

#### «عوامل تطور تعريف الفلسفة في العصر الحديث»

ثم إن حدث تطور سريع متلاحق لتعريفات الفلسفة في العصر الحديث، ومرجع ذلك عندى للعوامل الآتية :-

#### «الأول: تكاثف السلطة السياسية مع قسوة السلطان الكنسي في أوروبا»

ذلك أن الكثيرين نادوا بضرورة الخضوع لتعاليم السلطان، مهما كان جائراً، والالتزام بقوانين وقرارات السلطة السياسية - مهما كانت جائرة أو غير واقعية - مادامت السلطة الكنسية قد أعلنت قبولها على الناحية الدينية، كما نادى هؤلاء بضرورة الخضوع لتعاليم رجال اللاهوت الكنسي، وإن لم يكن لها وجود بالأناجيل مادام آباء الكنيسة قد أقرروا بهذا، أو سمحوا بتلك<sup>(٤)</sup>، حتى وقع الناس بين نارين لا يستطيعون الهرب منهما، ولا الانفلات عن أحدهما، نار السلطة السياسية، ونار السلطة الكنسية.

وقد أدى ذلك إلى تزايد الضغوط على الحركة الفكرية والمفكرين الأحرار، كما تكاثرت أحكام الاتهام بالكفر والخروج عن الأنظمة السياسية، حتى بات المفكر الحر يعيش في قلق لا يهدأ؛

(١) الدكتور محمد غلاب - المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٦٥ - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م.

(٢) الدكتور يحيى هريدي - أضواء على الفلسفة المعاصرة ص ٤٢ - مكتبة القاهرة الحديثة .

(٣) برتراند راسل - حكمة الغرب ج ٢ ص ١٧٥ - ترجمة الدكتور غزاد زكريا - سلسلة عالم المعرفة بالكويت - العدد ٧٢ .

(٤) الدكتور محمد السيد الفاكي - اتجاهات الفلسفة في العصور الوسطى ص ٥٣ ط دار مختار ١٩٣٥ م.

لأنه قد يخالف بأفكاره بعض القوانين التي أمضتها السلطة السياسية، إذ كان همها الأول تثبيت أقدامها في قيادة البلاد، حتى لو أدى ذلك إلى تقييد حرية الأفراد للملك، وتنصيبه عليهم، كأنه ظل الله في الأرض<sup>(١)</sup>، وبالتالي لجأ البعض إلى استحداث ما يسمى بالعقد الاجتماعي أو التعاقد الاجتماعي.

ومن المؤكد أنه كلما كثرت القيود على حركة الفكر؛ أمكن وضع الأغلال الفكرية على العقول ذاتها، وذلك يحد من الإنتاج العلمي والفكري، كما يؤدي إلى تناقض الإدراك الواعي، حتى لو تزايدت المعارف في الرؤوس، فإن إمكانية الاستفادة منها، أو التعبير عنها تحتاج حرية فكرية، تسمح بذلك الإعلان، فإذا خالف الإعلان عنها ما تنادى به الكنيسة - من تعاليم لا أساس لها<sup>(٢)</sup>، أو تفرضه القوانين الجائرة التي وضعتها السلطة الحاكمة - فإن هذا الفكر الحر سوف يصطدم بها، وهذا تقع المشكلات التي يكون ضحاياها هم المفكرون الأحرار وحدهم.

من ثم لجأ كل مفكر إلى الحفاء، بغية ممارسة التفكير العقلي الحر، لإشباع ما يتواري بين حناياه، أو يعتدل بفؤاده، وحيث يلجأ إلى تقديم تعريفات للفلسفة، على ناحية ترضى السلطة الحاكمة والسلطان الكنسي، وفي نفس الوقت تحاول هذه التعريفات إشباع رغباته الداخلية، وذلك مما يجعلها متكاثرة إلى حد كبير، قد يظهر التناقض الشديد بينها<sup>(٣)</sup>، أو الاختلاف الذي لا يمكن إحداث نوع من التوافق معه.

#### الثنائي: ضيق المفكرين الأحرار بالسلطان الكنسي:-

من المؤكد أن المفكرين الأحرار في أوروبا لم يرق لهم ما يعانى منه الآباء الكهنسيون من تزمّت سلوكي، وانغلاق فكري، حتى ضاقت بهم صدور الأحرار من المفكرين، وبالتالي رفضوا الانصياع للسلطان الذي زعمته الكنيسة لرجائها، وبخاصة بعدما صارت الأحكام التي يصدرها القسيس والبطاركة أو القمامصة والشماسة تمثل سيوفاً مسلطة على رقاب المفكرين الأحرار<sup>(٤)</sup>، وكواييس تطارد أحكام العلماء في اليقظة والنمام.

وبلغ من قسوة هذه الأحكام أنها لا تقبل أي لون من ألوان الاعتذار: بل أن مسن حسابول الخروج على تلك القواعد الكنسية، هالت عليه أحكام الكفر والمهرطقة، وبخاصة بعدما اعتبرت الكنيسة أن القضايا التي يصدرها اللاهوتيون هي ذاتها قضايا الإيمان المسيحي، التي لا تقبل نظر العقل

(١) راجع كتابنا: خواطر حديثة في الفلسفة الحديثة أثناء الحديث عن نوماس هوبز، وراجع للأستاذ يوسف كرم - تاريخ الفلسفة الحديثة، وللدكتور محمد فوزي حسين - الفلسفة والكنيسة ص ٧٧.

(٢) الدكتور صبرى عبدالحق النعمى - الفلسفة بين الدين والعلم ص ١٥٧ - ط ٢ الدار الجديدة - تونس ١٩٦٤م.

(٣) راجع كتابنا: قضايا حبيسة في الفلسفة الحديثة ص ٨٧.

(٤) الدكتور سليم السيد أبو سلامة - الفلسفة والكنيسة والمصور الوسطى ص ١٤٧ ط أولى ١٩٤٧م.



فيها<sup>(١)</sup>، مع أنها لا تدعمها أدلة علمية أو دينية مقبولة، كما لا تقوم في أصولها على نقل صحيح النسبة إلى الله تعالى<sup>(٢)</sup>، ولا واقع مستقيم يمكن للعقل أن يستريح في راحته.

كما أن السلطان الكنسي حول آراء القائمين عليه إلى أحكام واجبة النفاذ في مواجهة الآخرين، كأنها صدرت بها أحكام القضاء، التي لا تخضع للمناقشة، كما لا تقبل الاستئناف أو النقض، وكان هذا السلطان ممتد حتى شغل كافة الجوانب الحياتية في أوروبا، فامتلات ساحات الفكر فيها قسوة وعنفاء، وبرزت محاكم تفتيش النوايا والضمائر، مما حدا بالمفكر الحر إلى إهداء نفسه، أو العمل تحت ستار في ظاهرة إرضاء السلطان الجائر، أو يتوارى خلف عبارات شغافة، تحمل احتراماً زائفاً لرجال الدين المسيحي، الذين اعتصم بعضهم بالجهل<sup>(٣)</sup>، والتحفوا أنواعاً من الضلّ، وافتروا أطياناً من الخيال، لم تزل من أرض الواقع موقفاً واحداً صحيحاً.

إذن المفكر الحر الذي يريد التفلسف في تلك الآونة؛ عليه أن يكون يقظاً لولبي. بحيث يتعامل مع العبارات التي تصدر عنه تعاملًا خاصاً، وأبسط حدود التعامل هو أن يغلف عباراته الفلسفية ومباحثه الميتافيزيقية في أثواب زائفة من عبارات المدح والثناء، لم يقصد بها ما تحتويه مباشرة من معان، وإنما قصد بها خداع من قبلت فيه أو جاءت بحقه<sup>(٤)</sup>.

ومن معال ذلك أن ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشهير، حين حشى على نفسه سطوة رجال الكنيسة والسلطان الكنسي، أهدى مقدمة كتابه التأملات لعلماء الدين المسيحي. الذين كلن بغضه ضم من أبرز عوامل ثورته العلمية عليهم<sup>(٥)</sup>، لكنه عير عن هذه الثورة في ثنايا ذات التأملات، ولم يكشفها الكهنة أو رجال اللاهوت في المسيحية، كما لم يتمكن من التعرف عليها رجال السلطة السياسية هم الآخرون، أو عرفوها لكنهم لم يفكروا في التعرض له؛ لأنه سبق إلى تقديم الإهداء، كأنه اعتذار متقدم، أو اعتراف كهنوتي على فعل سوف يقدم عليه صاحبه.

### ١٠ الثالث: رغبة التخلص من الموروث البالي:-

لاشك أن الموروث البالي يمثل عقبة في سبيل أي تقدم علمي، وبخاصة إذا كان الموروث بنعم سلطان كبير، ودعم واسع من السلطة الدينية والسلطة السياسية، فإذا علمنا أن المفاهيم والآراء التي تركها أرسطو اعتبرت لدى اليونان ورجال المسيحية تراثاً فكرياً، يجب التمسك به، والحفاظ عليه.

- (١) يعترف كانت بهذه المسألة فيقول: إن العقيدة المسيحية كأفراض الدواء مرة المذاق، من مسمعت. [راجع للدكتور رفقي زاهر - أعلام الفلسفة الحديثة]
- (٢) الدكتور سليم السيد أبو سلامة - الفلسفة والكنيسة والعصور الوسطى ص ١٥٣ ط أول ١٩٤٧م.
- (٣) أ.ب. هابتم - الصراع بين الكنيسة والمفكرين الأحرار ص ٤٣ - ترجمة وفاء فخرى .
- (٤) الدكتور سليم السيد أبو سلامة - الفلسفة والكنيسة والعصور الوسطى ص ١٦٧ ط أول ١٩٤٧م.
- (٥) ذلك واضح لمن ضابط بين إهدائه كتابه التأملات في الفلسفة الحديثة، وبين مباحث الكتاب نفسه، وكذلك الحال مع كتابه مقال في المنهج.

وإذاعته حيناً بعد الآخر<sup>(١)</sup>، مع أن به جملاً عديدة من الأخطاء، ومع هذا تمسكت به القيادة الأوربية في العصور الوسطى.

بل إن رجال الدين المسيحي تخطو ذلك كله، واعتبروه جزءاً من التراث الديني المسيحي، بغض النظر عن كونه تراثاً صحيحاً، أو تراثاً يحمل بعض الصحة أو بعض الفساد، المهم أنه مادام قد قال به أرسطو، فيجب التمسك به، حتى نال القبول من كل ناحية، كما حظي بأنه قول معصوم من ناحية الكنيسة، بحيث لم يعد لأرسطو إلا يبرد الفكر<sup>(٢)</sup>، وكان للكنيسة دور التقنين الديني لهذا التراث الأرسطي اليوناني.

من جراء ذلك انطلقت تورات المفكرين الأحرار في كل مكان من أوروبا على هذه الأوساط المتردية، وباتت نيران الثورة تظهر في شكل نقدي، يكون خفيفاً حيناً، أو عنيفاً في حين آخر، وكذلك ذلك كله منصبا على الأفكار الأرسطية وحدها أول الأمر، ثم اشتد النقد عنفاً وضراوة، وبخاصة بعد أن بدأت بواكير المنهج التحريبي تأخذ في الانطلاق على يد روجر بيكون، ثم فرنسيس بيكون مسر بعد، الذي وصل به درجة اليقين النسبي في العلوم الطبيعية<sup>(٣)</sup>.

وراحت أنماط المنهج التحريبي تعدو حلف بعينها، وتفقر قفراً مثلاً حقاً، وباتت ثماره الذاكية تعطى نتائج كانت في الماضي أنسبه بالأحلام. وما هي إلا أيام قلائل، حتى بلغ درجة مسن اليقين النسبي الذي تفرضه المناهج التحريبية في العلوم الطبيعية<sup>(٤)</sup>، وكان لذلك أثره في زعزعة الثقة الدينية، وسحبها من رجال اللاهوت المسيحي.

إذن تحقق على أيدي الكثير من المفكرين انطلاقات رائعة في هذا المجال، وبخاصة بعد أن رفع بيكون الراية عالية، ومهد أرضية النقد، وعبد طريق مهاجمة الموروث التي تمسك به الكنيسة. فلما مات ترك ذلك النقد أمانة في عنق زميل له هو ديكارت الفرنسي، الذي انتصب المنهج العقلي عنده على قوائم ثابتة، فراح يبعث به من رقاد الأموات بعض الأفكار، حتى ملعت دنيا الأحياء، ومنما أن وصل به غايته إلا كان الأمر قد وقف عند استخراج المنهج الرياضي، الذي يصلح للبحث في الفلسفة العامة، والميتافيزيقا على وجه السواء<sup>(٥)</sup>، كما أن ناحية المنهج العقلي لا تعارض غاية المنهج الرياضي في الفلسفة، وإنما يوازر كل مهما الآخر، فكان ذلك من الدوائمي التي حركت الفسوس، حتى تبلغ غايتها، وتشتمل الثورة على الموروث البالي أنا بعد آخر، مما عجل بظهور الأفكار الجديدة، والتخلص من الأفكار الفاسدة الموروثة البالية.

(١) الدكتور: حسن محمد زعرب - اليونان وثقافتهم القديمة ص ٢٧١ ط ٢/١٩٥٧م.

(٢) الأستاذ فوزي رزق - أرسطو والديانة المسيحية ص ١٣٧ ط الدار العربية بدمشق ١٩٤٦م.

(٣) الدكتور عمر السيد - عبدالظاهر - الفلسفة الحديثة ص ٣٢ نشر وتوزيع المطبعة الجديدة ١٩٦٧م.

(٤) الأستاذ صفوت مسيحي عبدالعظيم - المنهج التحريبي رأثره في النهضة الحديثة ص ١٣٥ ط أولى ١٩٨١م.

(٥) الدكتورة بنية محمد جاد - المنهج العلمي ص ٤١ - الطعة الأولى - دار الوفاء ١٩٩٧م.

### ٢- عوامل انعدام التعريف الحدي للفلسفة

(٢) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع لكل من المدخل إلى الفلسفة لأفولد كوله، ومناهج الفلسفة لول دهر انت، ومبادئ الفلسفة لرابو بورت، وكذلك أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل، وتاريخ الفلسفة الحديثة للأستاذ يوسف كرم.

في العالم للمشاهد مثلا؛ لكان تعريفها تابعا لهذا الموضوع على الأقل، ويكون تعريفا بالموضوع<sup>(١)</sup>، غير أنها لم تقف عند موضوع واحد بحدته طوال تاريخها الفكري الطويل، وإنما تسالط العديد من الموضوعات، كما تقلبت معها في الأوجه المختلفة.

كذلك فإن العقليات المختلفة التي برزت، ناحية هذا النوع من التفكير، كانت مختلفة في طبيعتها، التي تتعاطى الفلسفة باختلاف الغايات والتركيبية الثقافية، بجانب التراكمات الفنية والذهنية، بجانب القدرات العقلية، في نفس الوقت فإن المجتمع الذي نشأ فيه الفكر هو الآخر قد أثر في النمط الذي يمارسه الفكر، باعتبار أن الإنسان ابن بيئته، وريب مجتمعه، وحفيد موروثاته.

فإذا كان المجتمع مغلقا؛ فإن المباحث الفلسفية تطرق أبوابه على استحياء، وو شيء من اللوية مع المداراة، واصطناع الكثير من الأقنعة المختلفة في مظاهرها؛ بغية النفاذ إلى ذلك المجتمع، وبالتالي يأتي دور العصر الذي وجد فيه ذلك الفكر، حيث تمر به المباحث الفلسفية في خفاء<sup>(٢)</sup>.

من ثم؛ فإن تقلب الفلسفة موضوعات مختلفة، وتقلب المفكرين عوامل اجتماعية متباينة يعطى الباحث فرصة القول بأن تعريف الفلسفة العامة لم يثبت على حال واحد منذ بداية التاريخ الفكري حتى اليوم، بل كان ذلك أحد الأسباب الرئيسية في انعدام وجود تعريف واحد حدى للفلسفة العامة.

بيد أن التأمل العقلي والتاريخ الفكري، قد أنبأ بأن اختلاف العصور الفلسفية، كان هو الآخر مواكبا لاختلاف الموضوعات التي تتناولها الفلسفة، وظل ذلك ديدنها منذ البدايات الأولى حتى يومنا هذا، مع استمرار عملية الزحف المستمر لكل منهما<sup>(٣)</sup>، وذلك مما جعل الفلسفة تصطبغ بسمه العصر الذي كانت تمر به، وكان للتأثير الفكري في كل هذه العصور لون خاص تميزت به الفلسفة، وانعكس على تعريفاتها.

في نفس الوقت؛ فإن أصحاب العملية العقلية، وهم الفلاسفة أخذت كانت لهم اتجاهات مختلفة، ونزعات متنوعة، باعتبار البيئة التي نشأ فيها كل منهم، وزمنا نزعات توارثت على غير هدف واحد، واندفعت في طرائقها، فلم تنل شيئا من الاستقرار، وفوق ذلك كانت تحيط بهم تيارات وميول فكرية، اقتبست من العوامل المحيطة بهم، ثم تأثرت هذه العوامل بالفلاسفة، باعتبار أن الإنسان الإيجابي هو الذي يؤثر في المحيطين به ويتأثر بهم، أما السلبي فإنه يتأثر ولا يؤثر<sup>(٤)</sup>.

(١) الدكتور: حسن محمد صبرى - الفلسفة ومشكلاتها ص ١٣ ط ١٩٥٧م.

(٢) الأستاذ: فخرى السيد طلعت - دراسات في الفلسفة ص ٢٥ ط ١٩٥١م.

(٣) الدكتور: محمد سلامة عبدالواحد - الفلسفة العامة وقضاياها ومشكلاتها ص ١٩.

(٤) الدكتور: عبدالحق عبدالعظيم طه - دراسات في الميتافيزيقا ص ١٧ ط دار الأمل ١٩٧٧م.

كما أن بعض الفلاسفة كللت خيط هم ظروف بعضها نفسى قائم على سلامة هذا الجانب، وبعضها قائم على الظروف المعيشية والأنظمة الاجتماعية، أو الأزمات الفكرية والاضغوط السياسية والاتجاهات العاطفية، وهذه كلها بلا شك إن فرضت نفسها على الفكر؛ فإن توجهاته ستكون إلى ناحية بعينها، وبالتالي ينطوى على نفسه، فيقدم للفلسفة تعريفا يتناسب مع تطلعاته هو<sup>(١)</sup> وتركيته الذهنية والاجتماعية والنفسية أيضا.

فإذا تأكد أن الإنسان اجتماعي بطبعه، يتأثر بما يجري في المجتمع الذي يعيش بداخله، وتتأثر نفسه نزعاته الفكرية وهموم نفسه الداخلية، فيتأثر بالثقافة المحيطة به، أدركنا أن ذلك كله ربما كان له دخل كبير، أو تأثير واضح على الفيلسوف، سواء في تناول الموضوع الفكري، أم في طريقة العرض، أم في النتائج التي يترفعها، والتعريفات التي تصدر عنه للفلسفة ذاتها، أو المباحث التي عكس على دراستها، وجعلتها في مواجهة مع قدراته العقلية<sup>(٢)</sup>.

❖ لكن ربما يقال: لماذا لم نتحدث عن أسباب انعدام وجود تعريف واحد حدى للفلسفة العامة؟ أو عبارة أخرى: ما هي العوامل والأسباب التي جعلت تعريفات الفلسفة متعددة إلى حد التباين والاختلاف من أول أمرها حتى اليوم، وإلى ما بعد ذلك، بل سيظل ذلك ديدنا على الدوام رضى الناس أم كرهوا؟

❖ والجواب: أن هذه الأسباب تدافع فيما بينها: ويمكن إجمالها فيما يأتي:-

#### ❖ طبيعة الفلسفة الذاتية والعرضية:-

لننسنة لها طبيعتها المميزة لها عن غيرها من العلوم، فهي متخالفة مع غيرها من العلوم العقلية، وفي نفس الوقت فإن من طبيعة الفلسفة الذاتية الانطلاق في الملوكوت من خلال التأملات المتواصلة، دون أن تكون هناك أغلال أو قيود تقفل من حركة القائمين بها.

وإذا كان هناك العديد من العلوم لها جنس وفصل، بحيث يمكن تعريفها به تعريفا حديدا، أو تقريبا على ناحية الجمع والمنع في الأولى، والإفادة التامة في الثانية، فإن الفلسفة على العكس من ذلك، إنه لا جنس لها معها، ولا فصل يميزها، سوى لفظ العلم<sup>(٣)</sup>، كما أن الفلسفة عند المنكرين لها لا تفرح عن كونها إرهابات فكرية لم تقبل لها شيء من التوفيق، ولو كانت الفلسفة عندهم علما خاصا؛ لكانت في ذات الوقت أحد أفراد العلم على وجه العموم.

إذن تبدو الصعوبة قائمة في ذات الفلسفة، وبخاصة من نظر إليها من جانب المعرفة - الاستمولوجيا - باعتبار أنها علم إنسانى أو طبيعى أو مثبولوجى، وقد أدى ذلك كله إلى عدم تحديد

(١) الدكتور: هدى محمد عبد الجواد - الفيلسوف الوجودى (دراسة موضوعية) ص ١٢ ط ١٩٦٥ م.

(٢) وهذا الاستنتاج أراد مقبولا من ناحية أن التاريخ الفكرى العام لا يرمعه، وإنما يريده.

(٣) الدكتور: حسن محمد صبرى - الفلسفة ومشكلاتها ص ٤٩ ط ٢ دار الوفاء ١٩٤٤ م.

الموضوع تعديدا تاما جامعا مانعا، بجانب انعدام وجود الجنس والفصل المميز معها، وبالتالي فلم يعد هناك أدنى شك في أن هذه التراكبات الفكرية تمثل صعوبات مستحقة في إمكانية تعريف الفلسفة بالتعريفات الحديثة الدائمة<sup>(١)</sup>.

أضف إلى ما سبق أن طبيعة الفلسفة جعلتها داخلية في نطاق الجهود الذهنية والمهابة الاعتبارية بجانب تعدد المفاهيم الذهنية، وذلك مما جعل تعاريف الفلسفة غاية في الصعوبة؛ لأن كل تعريف يصدر عن فريق أو طائفة لم يسلم من وجوه الطعن عليه، بل لم يسلم من محاولة إستبدال غيره به، وإيجاد تعريفات بديلة تغني عنه.

ولما كانت الذاتيات للفلسفة لا بد من مقارنة كل عرضياتها، أو بعضها لها، فقد كان من الضروري الإلماح إلى أن من عرضيات الفلسفة استخدام مناهج تقليدية في دراسة الموضوعات الفلسفية، وتناول المشكلات والقضايا الميتافيزيقية<sup>(٢)</sup>، وكذلك الاستعاضة عن بعض تلك المناهج بأخرى تكون ذات أهمية تبادلية، تتعلق بالجوانب الميتافيزيقية من ناحية الكشف عنها، أو الاستدلال عليها، وهي أيضا لم تسلم من الاعتراضات الكثيرة التي توجهت إليها.

إذن الفلسفة في تعريفاتها لا تخرج عن نطاق العصر الذي يؤرخ لها فيه، وهذه العصور كلما أمكن بحثها؛ أنتجت حب المعرفة وطلبا أو محبة الحكمة والسعي إليها، بل لا تخرج عن كونها محبة الحكمة ورغبة في التماس الحقيقة لذاتها<sup>(٣)</sup>.

وفي تقديري: أن هناك صعوبات تكتنف الفلسفة من حيث دراستها وموضوعاتها، وبالتالي فقد تحولت تلك الصعوبات الموضوعية إلى صعوبات ذاتية وأخرى عرضية، ولابد من التغلب عليها أولا، حتى تتمكن الفلسفة من التحليق في دنيا المعارف، بثقة وعمق، وتغطي المساحات الفكرية بأرصدة ثقافية، وكلها لا تعين على تقديم تعريف للفلسفة على ناحية حديثة، باعتبار ذاتيات الفلسفة هي موضوعاتها الخاصة.

كما أن عرضيات الفلسفة العامة، وأعني بها العصور التاريخية للفلسفة لا يمكنها تقديم تعريف للفلسفة بتسم بطبيعة الدوام، على أساس أن كل عصر منها له قضايا ومشكلاته الخاصة، فإذا أمكن تقديم تعريف للفلسفة في عصر منها، ثم جاء الذي بعده بمشكلات وقضايا جديدة؛ فإن التعاريف السالفة لا تعدوا أن تكون بضاعة انتهت صلاحيتها أو أفكارا غلب عليها التقادم<sup>(٤)</sup>، ومثلها لا تنهض معه تعريفات للفلسفة بحيث تكون ثابتة أو دائمة، فضلا عن أن تكون حديثة.

(١) الدكتور: عبدالحال عبدالمعظم ظهير - دراسات في الميثافيزيقا ص ٦٣ ط الدار الحديثة بدمشق ١٩٢٧م.

(٢) الأستاذ رمزي السيد طلعت - دراسات في الفلسفة ص ٤٢ ط أول - دار الهداية بترنس ١٩٦٥م.

(٣) الدكتور: توفيق انتويل - أسس الفلسفة ص ٤٤ ط دار النهضة المصرية

(٤) وحسب لا يكون لتلك الأفكار أو التعاريف أي شيء من الأهمية، بل على العكس من ذلك، ربما كان الإلماع والسيان والأفكار التي لا تدعمها أرصدة ثابتة تكون ساقطة بمرور الزمن.

أضف إلى ما سلف عناية كل فيلسوف بجانب معرفة، وكذلك وسيلة معرفية، ومناهج يوائم فيها بين الجانب المعرفي والأداة أو الوسيلة المعرفية وكل فيلسوف يمثل مدرسة أو مذهباً خاصاً ثم يتبعه آخرون، فتكون منهم مدرسة أو من ينسب إليهم مذهب<sup>(١)</sup>، فإذا قدم فيلسوف تعريفاً، ثم جاء من بعده في ذات المدرسة أو المذهب. وأقاموا تعريفاتهم للفلسفة، فإنها تكون في الغالب غير متوافقة مع الأصل الذي قامت عليه المدرسة أو المذهب، وذلك مما يجعل بناء تعريف واحد حدى للفلسفة غاية في الصعوبة.

#### ٢. تعدد الموضوعات الفلسفية

ذلك أن الموضوعات التي تبحثها الفلسفة متعددة من حيث هي... كما أنها متعددة في غاياتها والأغراض، وكذلك تعدد من حيث تناول بالبحث والدرس، والمناهج التي تعالج مسائل الفلسفة، بدليل أن موضوعات الفلسفة كانت تضيق في بعض الأحيان، وتوسع في بعضها الآخر، فعند ضبط موضوعاتها تمثل في بحث الطبيعة عند فريق أو الوجود عند فريق آخر<sup>(٢)</sup>، وقد تختص بالقيم وحدها، كما قد تقف عند حد دراسة الإنسان والمبدأ والمصير، أما عند اتساعها فإنها تشمل موضوعات كثيرة كلية ومعارف إجمالية، إلمية كانت هذه المعارف أم طبيعية أم إنسانية.

أو كانت هذه المعارف من قبيل المعاني الكلية والأفكار المجردة، بدليل أن هناك أربع نظريات في المعاني الكلية تقف على دراستها أربع مدارس فلسفية:-

#### ١. الأولى: المدرسة الأرسطية صاحبة النظرية التصورية:-

وهي التي تميل إلى الحكم على المعنى الكلي<sup>(٣)</sup>، بأنه تصور ذهني، لا يتجاوز العقل السدى يتمثلها، فإنسان مثلاً فكرة لها وجود في ذهن الإنسان، لكنها تكون منفصلة عن وجود المفردات الجزئية، ويصير الفرد الواحد من أفراد الناس بمقدار ما تتمثل فيه تلك الفكرة المجردة، فقوام التصور<sup>(٤)</sup> الذهني المجرد عند أصحاب تلك النظرية هو الصفات الجوهرية المشتركة، التي تجعل الفرد المتعين المتخصص عضواً في نوعه فقط.

(١) الدكتور: حسن محمد صبرى - تفلسفة ومشكلاتها ص ٦٧.

(٢) الدكتور صبرى على حسن التروى - الفلسفة موضوعات ومشكلات ص ٥٣ ط ١٩٥٧م.

(٣) ذهب الفلاسفة إلى أن الكليات موجودة في الأذهان لا في الأعيان وتنفصلوا بذلك وحدها في الأذهان بالعقل، أما وحدها في الأعيان فهو وجود بالقوة، حسب تصور ابن رشد. [ راجع نقاش التفاهات لابن رشد ص ٢٠٦ ]

(٤) التصور حصول صورة الشيء في العقل وإدراكه للماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات. [ العلامة السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني - المولود ٧٤٠هـ والمتوفى ٨١٦هـ - التعريفات ج ١ ص ٨٣ باب النساء رقم: ٣٧٧ - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ١ - تحقيق إبراهيم الأبياري ]

### ❖ الثانية: المدرسة الأفلاطونية صاحبة نظرية الشينية أو الواقعية:-

وهي التي تميل إلى الحكم على المعنى بأنه حقيقة كانت في العالم الخارجي، وليس تصورا ذهنيا كالأفراد الجزئية سواء بسواء<sup>(١)</sup>، والفرق بينها وبين الأفراد أن المعاني الكلية أو الأفكار المجردة أو المثل أو العقولات الخارجية، قائمة في عالم عقلي غير هذا العالم الفيزيقي، الذي هو في الواقع عالم اجترابات المتعبرة.

### ❖ الثالثة: المدرسة الاسمية صاحبة النظرية الكمونية:-

وتميل هذه المدرسة إلى الحكم على المعنى الكلي بأنه كائن كامن في دلالة اللفظ الكلي على مسيئاته الجزئية، دون أن يكون لذلك المعنى وجود خارجي منفصل، أو جود في التصور الذهني<sup>(٢)</sup>، إن وجوده في الشيء بالقوة من غير إعطاء تصورات ذهنية محددة له.

### ❖ الرابعة: المدرسة البراجماتية صاحب النظرية النفعية السلوكية:-

وهي التي تميل إلى الحكم على المعنى الكلي بأنه طريق السلوك، إزاء طائفة معينة من مفردات، فإذا تشابه رد انفعال السروكي إزاء شيتين؛ كان هذان الشيتان يتسميان إلى نوع واحد؛ فالتحريد هنا ليس لنفسات الأشياء، ولكنه لطريقة السلوك<sup>(٣)</sup>، وذلك كله يؤدي إلى عدم وقوف الفلسفة على تعريف حدى واحد.

### ٢٩٩. اختلاف انصهر الفلسفية:

سلف القول بأن طبيعة الفلسفة تحكم بإقامة العديد من التعاريف لها، وكذلك تعدد موضوعات الفلسفة يلزم هو الآخر بضرورة بناء أكثر من تعريف لـ كل فيلسوف يتناول موضوعا من موضوعاتها بالمعالجة؛ بغية استخراج نتائج تقدم فائدة، أو عدة فوائد للمجتمع الذي يعيش فيه؛ بيد أن انصهر الفلسفية هي الأخرى مختلفة، وذلك الاختلاف يفرض تقديم العديد من التعاريف للفلسفة، ولا يسمح لدارس حتى يحتفظ بتعريف واحد<sup>(٤)</sup>، أو يحكم بأنه الذي يجب اتباعه أثناء دراسة الفلسفة، فضلا عن الإعلان بأن هذا التعريف هو الصحيح على الدوام، أو هو الغالب بصفة مستمرة؛ مما لماد؟

### ١٠٠. فلان انصهر الفلسفية كانت تقسم من الناحية التاريخية إلى :

- (١) الدكتور: موزي السيد دقدق - المنطق الحديث ومشكلات الدراسة ص ١٢٤ ط أولى ١٩٥٧م.
- (٢) الدكتور: علي رضوان نصار - المنطق الحديث ص ٥٧، وقد أفاض في هذه المصطلحات وبيان الفسوف بينها أنتمة الإسلام الأعلام كالفارابي وابن سينا وابن رشد وابن تيمية، الذي حاول دراسة هذه المشكلات على أنها مصطلحات، وبذل فيها جهودا كبيرة، وكذلك سبقه إليها الإمام الغزالي في معيار العلم والميزان والتسطير، وكذلك فعل السروكي، بل إن علماء أهل الإسلام في دراساتهم الأصولية قد حققوا نتائج إيجابية عالية في هذا المجال .
- (٣) جون دبري - المنطق نظرية البحث ص ٣١ - مقدمة الدكتور زكي نجيب محمود.
- (٤) الدكتور: حسن محمد صبري - الفلسفة ومشكلاته ص ٧٧ ط ١٩٧١/٣.



☆ **عصر فلسفة ما قبل الفلسفة:** وله سماته الخاصة به<sup>(١)</sup>، باعتبار أن كل مفكر أو فيلسوف، إنما كان يشغل نفسه بالقضية التي يلمسها هو، ولا يعلن عنها لغيره لا من حيث هي قضية، ولا باعتبار النتائج، وإنما كان يكتفى بأن يتحدث بها نفسه من حيث الدراسة، كما يكتفى بالاستفادة من نتائجها باعتبار النتائج، ومثله لا يمكنه تقديم تعريف للفلسفة يكون مقبولا لدى الجميع.

☆ **بمعصر التفكير المنظم:** ويعتبر به العصر الذي بدأت فيه الأفكار الفلسفية مطلقة من رهوس أصحابها في لغة مشتركة، تجرى فيها التساؤلات المشتركة والإجابات المقصودة<sup>(٢)</sup>، ومحاولة الاستفادة من هذه النتائج على ناحية عامة، أو في محيط أكبر، بحيث تسقط فيه الفردية، وتظهر الجماعة الإنسانية في صورة من صورها، وهذا القسم يتنوع زمنيا إلى:

- (١) عصر الفلاسفة الطبيعيين الأولين في اليونان.
- (٢) عصر الشكوك من السوفسطائيين وغيرهم.
- (٣) عصر الفلاسفة الطبيعيين المتأخرين.
- (٤) عصر سقراط ومن تلاه.
- (٥) عصر فلسفة آباء الكنيسة - الفلسفة المسيحية والمسيحية المفلسفة.
- (٦) عصور الفلسفة الإسلامية، وهي ممتدة حتى الآن، لأن النصوص الحاملة لها مازالت قائمة؛ إذ أن نصوص النقل المثل أبدية عامة متولة من عند رب العالمين.
- (٧) عصر الفلسفة الحديثة في أوروبا، من روجر بيكون حتى نهايات القرن التاسع عشر.
- (٨) عصر الفلسفة المعاصرة، وهو يبدأ من القرن العشرين، حتى يومنا هذا.

من ثم؛ فإن العصور الفلسفية مختلفة بالأزمنة، وهذا الاختلاف يؤكد وجود استقلال كل عصر منها عن غيره، كما يكشف عن وجود العديد من التعريفات الفلسفية، باعتبار أن كل عصر كانت له سمته المميزة، التي تصور الحالة الفكرية، وترسم ملامح الانطلاق نحو المستقبل<sup>(٣)</sup>، في بطيء، حيناً، أو انطلاق سريع في حين آخر، وكان التقدم العلمي هو السمة الغالبة على باقي السمات، حيث قد فرد العلم أجنحته في العصور الحديثة، ابتداء من القرن السابع عشر، وتوالى خطواته

- (١) هذه السمات لا يمكن أن تفصل عن طبيعة الفلسفة، بل الغالب أن الأجنحة التي كانت تطير بها الفلسفة في عصر ما قبل الفلسفة، إنما كانت أجنحة كثيرة ممتدة في عقل كل مفكر على حده.
- (٢) الأستاذ رمزي السيد طلعت - دراسات في الفلسفة ص ٥٥ ط ١٩٧٧م.
- (٣) الدكتور: محمد سلامة عبدالوهاب - الفلسفة العامة قضاياها ومشكلاتها ص ٧٣. وليس المراد باختلاف العصور الفلسفية اختلاف المفاهيم والمذركات، وإنما المراد أن طبيعة كل عصر زمن، تصاحبها ظروف فكرية، بعضها مستندع، فاما، وبعضها مستمد في بعض أصوله من الماضي، ثم أضاف إليها المشكلات الحاضرة، التي تحتاج حلولاً على ناحية من النواحي.

التقدمية، بسرعة متزايدة، في إيقاع متعدد يدعو إلى الدهشة<sup>(١)</sup>، فقد أبان ذلك عن طبيعة كل عصر وحاجاته إلى تقدم العديد من التعاريف الفلسفية، لا الالتزام بتعريف واحد؛ لأن ذلك سيكون أمراً صعباً أو مستحيلاً.

#### ٤. النزعة العاطفية والعقلية التي تقود الفيلسوف

كل مفكر له طبيعته العقلية، وتكويناته الذهنية، وأرصده الثقافية، وحيث قد عرفت أن موضوعات الفلسفة متعددة، وعصورها مختلفة؛ فإن النزعة العقلية لدى كل فيلسوف أو مفكر هي الأخرى، تختلف في عمقها أو تسطحها عن الآخر، كما تختلف باعتبار العموم والخصوص، وبالتالي فإن نزعة الفلاسفة العقلية لم تكن واحدة، وإنما كانت تمثل اتجاهات مختلفة. أما لماذا؟

فلأن كل مفكر أو فيلسوف إنما أتته إلى أصول قائمة في ذهنه، واتسحى بها نحو قواعد الأصلية، التي عاشت معه سنوات عمره التي قطعها، فتكونت خلالها ثقافته العلمية، وشببت عن الطوق نزعة العقلية، فإذا أتته إلى الفلسفة وحاول تقديم تعريف لها، فلا شك أن ثقافته العلمية ونزعة الفكرية سيكون لهما أكبر الأثر في التعريف الذي يؤلفه، والاتجاه الذي ينشده<sup>(٢)</sup>.

وكل فيلسوف له طبيعته الخاصة في طرح المشكلات التي يجدها أمامه مفروضة من ناحيته أو يفرضها الواقع عليه، أو تناول القضايا التي هو بصدددها، إذ من المعروف أنه كلما جاء مفكر أو فيلسوف مغاير بثقافته من سبق؛ فإنه ربما طمس التعاريف التي سبقت في ميدان الفلسفة<sup>(٣)</sup>، وربما غلى عن بعضها، ثم عدل فيها بما يتناسب مع آرائه وطموحاته العلمية.

بيد أنه متى استقر على شاطئ الفلسفة؛ فإنه يلجأ إلى تقديم تعريف لها، يكون مغايراً لتعاريف السابقين عليه، أو متوازناً مع بعض التعاريف التي يراها مقبولة عنده، طبقاً للمعطيات التي تعيش بداخله، وهكذا دواليك كلما ظهر فيلسوف بثقافته، أو مفكر بتكويناته الذهنية فإنه يقدم للفلسفة تعريفاً يتفق مع ذات الثقافة والمعطيات.

كما أن هذه الثقافات الفكرية متنوعة بين نظرية وعملية، سلوكية وتجريبية، وهذا النوع هو ذات التأثير الذي يمل اتجاهات فلسفية، قد تتوافق مع بعضها، وقد تتخالف. ولكنها جميعها توجهات نحو الفلسفة، وفي ذات الوقت يكون طابعها الاختلاف في التكوينات الذهنية والمعطيات الفكرية، والأصول الاعتقادية في بعض الأحيان<sup>(٤)</sup>، ومثل ذلك لا يمكن من تقديم تعريف للفلسفة يكون جامعاً مانعاً، أو تعريفاً حديداً منطقياً.

(١) لويس دي برويه - الفيزياء والميكروفيزياء ص ١٢٥.

(٢) الدكتور: حسن محمد صبرى - الفلسفة ومشكلاتها ص ٢٣ ط ١٩٨١م.

(٣) الدكتورة: هدى محمد عبد الجواد - الفيلسوف الوجودي ص ٢٧ ط ١٩٦٧م.

(٤) الدكتور: محمد سلامة عبدالوارث - الفلسفة العامة وقضاياها ومشكلاتها ص ٢٥ ط ١٩٥٧م.

وربما نطلب دليلا على ذلك فأحيلك إلى تعريفات الفلسفة في عصورها المختلفة، وسوف تجد ذلك في شكل بارز، كما أذكر أن هيراقليطس (٥٣٥/٤٧٥ ق.م) صاحب مذهب التحول والسيرورة<sup>(١)</sup> الذي كان يؤمن بأن انسجام العالم يرجع إلى قانون غير مرتضى يسمى اللوغوس، ومهمته إيجاد التوازن والسلام بين قوى العالم المتضادة التي يتهدد بعضها بالتدمير والهلاك<sup>(٢)</sup>.

كما كان يعتقد أن النار هي المادة الأولى التي تكون منها العالم، وهي مبدأ الكل، والكل صادر عنها وعائد إليها بالضرورة، وهي العنصر الأول، وهي الإله الأعظم، الذي لا يبنى ولا تهدم قوته، وهي روح الحياة في كل حي، ومنشأ الحركة الفعلية في كل متحرك، ومصدر الاستعداد للحياة في كل جامد، وهي فوق ذلك منتشرة في جميع جزئيات الكائن الحي، وهي التي تنبض القلب، وتحرك الدم في مجاريه<sup>(٣)</sup>، فهل يكون تعريفه للفلسفة مخالفا لتلك التكوينات الذهنية والاعتقادات الدينية، أم سيكون متوافقا معها، أظن أنك سوف توافقني على أنه لن يخرج في تعريفه للفلسفة عن تلك الثقافة وذلك الاعتقاد، وهو الذي أعنيه بمفهوم النزعة التي تقود الفيلسوف، حيث كان يعرف الفلسفة بأنها النظر في أصل الكون، وكيفية صدور هذه الكائنات عنه<sup>(٤)</sup>، من غير إحالة إلى شيء آخر.

كما أن أرسطو كان يعرف الفلسفة بأنها العلم الباحث عن الموجودات بما هو موجود، بمعنى أن ذلك العلم يعنى المميزات الكلية للنظام الضروري. وهو الذي يكون دائما على ما هو عليه، ويمكن معرفته معرفة ثابتة على هذا المنحى<sup>(٥)</sup>.

ونلت بما يؤيد أن أرسطو كان يعبر عن وجهة نظره، لا وجهة نظر أخرى، كما كان يمثل اتجاهها فلسفيا قام في ذهنه على التراكمية التنافية والتوجهات الاعتقادية والأصول المعرفية، وبه يتأكد القول السائر بأن النزعة العقلية والعاطفية للفيلسوف تؤثر في بنائه، كما تؤثر في تعريفه للفلسفة.

بدليل أن أرسطو كان يسميها الفلسفة الأولى باعتبارها باحثة عن الموجود، بما هو موجود، بينما كان يميل إلى أن الفلسفة الثانية: هي التي تمثل العلم الطبيعي، وقد سار خلفه غيره من اعتقادات نفس الآراء، أو كانت ثقافته في حدود نفس الأفكار، بينما كان فيثاغورس يعرف الفلسفة بأنها

(١) صير: صار الأمر إلى كذا يصير صيرا ومصيرا و صيرورة و صيره إليه وأصاره، و الصيرورة مصدر صير يصير، و الصمير: الصمير الذي يصير إليه الصمير، و الصير: الجماعة. و الصير: السماء يحضره الناس. [ العلامة ابن منظور - لسان العرب ج ٤ ص ٤٧٧ ].

(٢) أميل بريهيه - الآراء الدينية والفلسفية لفيلسوف ص ١٢٥ - ترجمة د: محمد يوسف موسى - ط الخليل.

(٣) الدكتور محمد غلاب - الفلسفة الإغريقية ص ٧٢.

(٤) الدكتور على منسى السعيد - فلاسفة اليونان المتقدمين ص ١٧١ ط دار الأقبى ١٩٦١م.

(٥) ١ - ٢ طيلر - المعلم الأول - أرسطو، منسخته ص ٢٦.

البحث عن طبيعة الأشياء<sup>(١)</sup>، وليس في طبيعتها، والفرق بين طبيعتها وفي طبيعتها كبير على الناحية الفنية.

ثم إن الفيلسوف أو المفكر ما هو إلا إنسان غير معصوم، تكونت ثقافته من خلال الأودية التي أمكنه ارتيادها، والأفكار التي وقف عليها، فحين يقرر ذلك الفيلسوف إصدار رأيه في مسألة ما؛ فإنه حتى إن أمكنه التخلص من الإعلان عن هذه الأفكار التي استقاها من مجتمعه ولم يختبر صحتها، إلا أنها تضغط عليه من الداخل طالما كانت لها صورة ذهنية أو وجود في عقله<sup>(٢)</sup>، وذلك يؤثر على تعريفه للفلسفة بشكل طبيعي.

أضف إلى ما سبق أن بعض الفلاسفة أو المفكرين، يمكنهم التخلص من هيمنة الموروثات الفكرية، ولكنهم في الغالب الأعم يعجزون عن دفعها بالنسبة لمواطنهم؛ لأن سلطان العقل يمكنه بسهولة التخلص من الأفكار الفاسدة، بتلايل من العناء، أما العاطفة فمن الصعب التخلص من هيمنتها على المشاعر والقلب، وذلك مما يؤثر على النتائج العقلية في تعريفه للفلسفة.

وقد أفاض الشعراء، في بيان سلطان العاطفة على القلب والعقل معا، حتى إن الواحد منهم ربما غلب سلطان العقل جانباً، وأفسح لسلطان العاطفة كل المساحة. كما فعل قيس وليلى، وكثير وعزه، وجميل وبشيرة، وغيرهم. من ذلك قول قيس:

أمر على الديار ديار ليلي . أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفتني قبلي . ولكن حب من سكن الديار<sup>(٣)</sup>

فهو قد أعلن أنه منح عاطفته كل المساحة الفكرية، بل والعقلية أيضاً. حتى كأنه صار مسلوب العقل والقدرة والإرادة في مواجهة محبوبته، وأنه قد منح محبوبته الحق في التربع على عرش قواه كلها، وأنه يبحث عنها في كل مكان، حتى وإن غابت عن ديارها؛ فإنه لا يتصور خلو الديار من صورها؛ ولذا فهو يسارع إلى ذات الديار يقبل الجدار الذي يلاقيه، لا حياً في الجدار الأصم؛ وإنما تعبيراً عن الحب الذي يكنه لليلي ساكنة الديار. وكانت خطابات نيتشه فيلسوف القوة والضعف السرية المشتعلة الفائرة نحو كوزما زوجة صديقه فا دير الموسيقى نفسه من الأدلة على ذلك أيضاً<sup>(٤)</sup>.

وبناء عليه؛ فإن العاطفة يكون لها دور كبير في التعريفات أو المفاهيم والمصطلحات التي يقوم بها المفكر، وإن أمكنه السيطرة عليها في بعض الأوقات، إلا أنه لا يتمكن من إلغائها تماماً، وذلك ممد

(١) الدكتور توفيق الطويل - أسس الفلسفة ص ٤٥ .

(٢) راجع كتابنا: الحثيث في النطق الحديث ص ٤١٥ .

(٣) راجع كتابنا: حماد الاقتصاد في الاعتقاد - الأعمال الإلهية ج ٣ ص ٣١٧ وهذه الأبيات منقولة عن الاقتصاد في الاعتقاد لإمام الغزالي - القطب الثالث.

(٤) الدكتور عبدالعظيم السيد الجبيلي - دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص ١٧٥ .

(١١١)

يؤثر على النتائج العقلية لذات الفكر، ويجعله يراجع قراراته فيما انتهى إليه سلفاً<sup>(١)</sup>، وقد نطّل عتسى ذلك زمناً طويلاً، وربما استغرق ما بقي له من عمر، مما ينتهي إلى القول بأن النزعة العاطفية أو العقلية بالنسبة للفيلسوف لها دور في انعدام التحاكم إلى تعريف حدى واحد دائم للفلسفة العامة، أو حتى نوع من أنواع الفلسفة.

#### ٤٤ - الظروف المحيطة بالفكر نفسه:

أجل الإنسان ابن بيئته، يتأثر بها ويؤثر فيها، وكل إنسان مهما كان مستواه العقلي تؤثر فيه العوامل التي تحيط به، سواء أكانت هذه العوامل المحيطة بالفكر نفسية أم سياسية أم اقتصادية وثقافية، بل لا أعالي إذا قلت: إن الفكر يتأثر بالنواحي الاجتماعية والأدبية والخلقية، كما يتأثر بالتيسرات الفكرية والفنية، كما يتأثر بالاتجاهات العقائدية أيضاً، وكل العوامل المحيطة به تؤثر فيه، مدامت قريبة منه، ولها علاقة به<sup>(٢)</sup>.

ذلك أن الأساطير التي سادت مجتمع اليونان قديماً، بما فيه من قصص تحمل الرحسية حيناً، أو تعلن عن الرمزية حيناً آخر، كان لها دور كبير في تكوين ثقافة فلاسفة اليونان في هذه الفترة؛ لأنهم لم يتمكنوا من إفراغ حصيلتهم الذهنية كلها على الأرض، وإنما أفرغوا منها ما أمكنهم القيام به فقط، وهو الذي يتعارض مع الأسس المنطقية التي كان لها وجود واقعي<sup>(٣)</sup>.

أما ما تم إفراغه فهو ما لم يعتمد على الأسس المنطقية، أو الذي لا توجد له أرضية صلبة من الأفكار الصحيحة المقبولة، ونظراً لتكاثر هذه الاتجاهات في اليونان فقد اتضح التفكير الفلسفي لدى اليونان خلال تلك المرحلة ناحية أخرى، هي البحث عن تفسير واقعي لسر هذا الكون ومعرفة العناصر المكونة له، وإدراك قواه المختلفة، وعلاقتها بالإنسان نفسه<sup>(٤)</sup>.

إذا كيف يكون الإنسان ابن البيئة التي ولد فيها، وتقول بين أنثائها، واكتسب ثقافته مما يدور فيها، ونعم أو شقى بالأنظمة السياسية القائمة بها، ثم يأتي ذلك اليوم الذي ينسلخ من هذه العوامل جميعها، حتى يكون كأن لم يكن قد وجد بها - رغم أنه مازال مقيماً بها - ثم يقدم صورة ذهنية أو أفكاراً فلسفية، أو يعطى تعريفاً للفلسفة، إن ذلك لا يكون إلا في عام الخيال، أو إذا نقسل ذلك الفكر من ذات البيئة إلى أخرى تخالفها في طبيعة العوامل، لا في ذاتها، ثم يقضى شطراً كبيراً من

(١) هذا مما يمارسه أصحاب الفكر الناصح؛ لأن الواحد منهم يراجع معلوماته آناً بعد آخر، وكل ما سبق له القول به مسن أفكار كان يظنها صحيحة، فلما بان له أن هناك أفضل منها عدل فيها ولم يتمسك بها، بل تخلى عنها نظراً لما فيها من أخطاء.

(٢) الدكتور: محمد صبحي خير الله - دراسات في الفلسفة المعاصرة ص ٣٧ ط دار مراد ١٩٦٧م.

(٣) الدكتور: محمد سلامة عب الوارث - الفلسفة العامة فنيهاها ومشكلاتها ص ٦٣ ط الدار المصرية ١٩٥٧م.

(٤) الدكتور: محمود عبدالرازق شفتن وآخر - تاريخ التربية ص ٣٨.

عمره في البيئة الجديدة<sup>(١)</sup>، وبالتالي فإنه إن أمكنه تقدم تعريف للفلسفة فلن يخرج عن طبيعة البيئة الجديدة، التي صارت له بمثابة القاعدة الاجتماعية الأولى البديلة لذات الفكرة.

كما أن الظروف السياسية المضطربة هي الأخرى تؤثر على المفكر؛ لأنه كلما خلا المجتمع من الغطاء السياسي الأمن، حلت بدلا منه أغشية قلق، يجرى فيها الخوف على استقلال البلاد وحرية أهلها، بدليل أن الظروف السياسية إذا اختلت قواعدها الصحيحة في بلد من البلدان، أو انحازت الأصول المتفق عليها؛ فإن العنف السياسي يكون هو السائد بما يخلفه من قتل ودمار وتخريب ديار، وإتلاف ممتلكات، إلى غير ذلك من أوجه العنف<sup>(٢)</sup>.

وقد أثبتت الأخبار أن العنف السياسي إذا حل في بلد ما؛ فإن أهله يتحولون من الأمان إلى الفزع، ومن الأمن إلى الخوف، ومن النشاط التجاري إلى الكساد، وتاريخ الاغتيالات السياسية في مصرنا الحبيبة مازالت دماؤه قانية، والأخبار التي كتبت بها لم تحف، ومثل هذه الظروف لا تعطى المفكر الحرية الكاملة للتعبير عن رأيه في صراحة ووضوح، ولا تسمح لأفكاره بالانطلاق إلا بعد تردد قد يطول أو يستغرق الشطر الأكبر من عمر ذلك المفكر، ومثله لا يعين على تقدم تعريف محدد للفلسفة.

ولا يخفى أن دور الظروف الاجتماعية من غمايز الطبقات، وانتشار البطالة، وتعميم عملة ذلك البلد، وتباين النظرات الاجتماعية في كل أمر يباشره المفكر كالزواج والطلاق، وما يتعلق بشئون الأسرة يؤثر ذلك كله في المفكر؛ لأن الفهم سيكون تفكيره منصبا على محاولة إيجاد حلول لمشكلته هو أولا، ثم الخروج منها إلى المشكلات الأكبر<sup>(٣)</sup>، باعتبار أنه فاقد أسباب الحياة ومثله لا تنتظر منه أن يكون فيلسوفا.

كما أن البخيل صاحب التراء الفاحش، والجاه العريض لا يشعر بالأمان، إذ كيف يكون أمنا وحوله ذئاب مفترسة تصارع الوحوش، وتقاتل في سبيل البقاء، وحتمًا ستخلع عن نفسها هذه اللفافة الرقيقة من الحياة، وتبادل الطبيعة، حتى تبادلها قسوة بقسوة، وعنف بعنف، وأول من يقع معه العنف؛ ونجوى له القسوة هو صاحب التراء الفاحش والجاه العريض، الذي يحل على خلق الله بما أفاء عليه به مولاه<sup>(٤)</sup>، وحينئذ لن يتمكن من التفكير الصحيح وهو على يقين من أن

(١) كالحال مع المفكر الشرقي الذي يكون له أبناء يقضون شظرا كبيرا من أعمارهم داخل مجتمعه، بما فيه من قيم، عرسيل محيطة، ثم ينتقل هم إلى الغرب، فتفتح لهم عوامل جديدة تحيط بهم، فإذا طهر بينهم فيلسوف في المستقبل، فإن البيئة الجديدة هي التي يكون لها الدور الجديد في مكوناته الذهنية، متى كان منفتحاً عليهم من أول مراحل انتقاله إلى أوربا، ودليل ذلك بعض المستشرقين وبعض المستعربين على السواء.

(٢) الدكتور: هاشم محمد عيد - الخلفية السياسية للعمل الاجتماعي ص ٧١ - طبعة دار مراد ١٩٧١م.

(٣) الدكتور: هاشم محمد عبد الجواد - الفيلسوف الوجودي ص ٥٣.

(٤) الدكتور: هاشم محمد عيد - الخلفية السياسية للعمل الاجتماعي ص ٨٣.

جحافل<sup>(١)</sup> إهرومين تنجعه نغمه، تريد سلبه ما يتمتع به، حتى لو أدى ذلك إلى القضاء عليه، ومثله لا يكون قادراً على التفكير العقلي السليم، كما لا يتمكن من إصدار تعريف للفلسفة يكون كافياً على ناحية حديثة، حتى لو عمل بالفلسفة طيلة عمره<sup>(٢)</sup>.

أما الظروف الثقافية والعوامل الاعتقادية؛ فلها تؤثر في ذات المفكر بطريقة أو أخرى؛ لأن العقل الإنسان بطبيعته كلما مر بمعتقدات تسلبت إليه خفية أو جهارا، واستقر الكثير منها في ذاته اللاواعية فدعمت كيائها، وأضحت كل فكرة جديدة لا تمتشي معها إعلانا بالحاجة إلى إعادة النظر في هذه المعتقدات<sup>(٣)</sup>، التي لم يبق دليل على صحتها، كالحال مع البوذية<sup>(٤)</sup> والكونفوشيوسية<sup>(٥)</sup> والبرهية<sup>(٦)</sup>، وغيرها من الديانات التي لها أصول كتابية، ثم قام أصحابها بتبديل ذلك كله إلى ديانات صنعتها أيديهم كالمسيحية الحالية واليهودية السياسية وكلها عوامل تؤثر في الفيلسوف على نحو من

(١) السخف: السخيش الكثير، ولا يكون ذلك حشيشي يكون فيه سخيل ورجل جفيل: سيد عظيم القسدا؛ و جحافل السخيل: أفرافها. و جحفلة الدابة: ما تناول به القلف، وقيل: السخفلة من السخيل والسخيم والسخيم والبعال والسحافة ملة الشفة من الإنسان والسخيف للبعير. [كتاب العرب ج ١١ ص ١٠٢]

(٢) لاشك أن هذه العوامل عند استماعها تمثل قرارات متعددة واتجاهات متضادة، تؤكد كلها أن الفلسفة ليس بالإسكان تقدم تعريف حدي لها يكون واحدا على مدى الأيام.

(٣) الدكتور توفيق الطويل - قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ٣٥ - دار النهضة العربية ط ١٩٧٩ م.

(٤) وحدير بالذكر أن مؤسس البوذية اسمه الحقيقي هو "سورانا أوجوناما"، عاش ما بين أعصر ٥٦٦/٤٨٦ ق. م. Goutama Siddhartha، ابن حاكم ساكاس، ولهذا يسمى حكيم ساكاس، ولد بساقيم نيسال في القسم الشمالي من الهند الوسطى، وهي تنوع إلى :-

أ- بوذية شر: وهي مدرسة الأرض الظاهرة الحقة، وهي إحدى المدارس البوذية في اليابان.

ب- البوذية المستترة: وهي تمثل تطورا هاما في بوذية الهند والبلاد المجاورة، لا سيما التبت، وتستخدم لغة مغلقة في الرمزية -دكتور/ إمام عبدالفتاح - إمام - معجم ديانات وأساطير العالم - (جلد ١ ص ٢٢٤، مجلد ٢ ص ٢٤٦ / ٢٩٩) مكتبة مديول - ٦ شارع طلعت حرب / القاهرة: ١٩٩٥.

(٥) ترجع هذه الديانة إلى كونفوشيوس الذي أشاع بين الصينيين، أن عبادة الأسلاف هي أصل العقيدة الكونفوشيوسية، وموقف كونفوشيوس من جعل عبادة الأسلاف موقف ربحي في الدين الكونفوشيوس، وما كان مطلب كونفوشيوس لإجراء طقوس وتقديم قربان، تكريما للأسلاف، لم يكن من أجل الأرواح بذاتها، ولا من أجل إكرامها، أو من استئثار عظمها بل حصرا؛ لأن هذه الطقوس قائمة من قديم الزمان [سيراخي. أ. توكاريف - الأديان في تاريخ شعوب العالم - ترجمة الدكتور: أحمد م. فاضل ط ١٩٩٨ م - الأناجيل للتوزيع بدمشق سوريا]

(٦) البرهية ديانة الهند القديمة، وهي مستوحاة من كتب الفيدا وقد استمدت اسمها من أهمية براهما، برهمنة قوة عليا، كما استمدته من وضع طيف البراهمة (الكهنة في الهندوسية) في آن معا، ويذهب البعض إلى أن جماعة براهما حركة وثنية داخل الهندوسية، تشبه الروستانية، تأسست في كلكتا عام ١٨٢٨، لا تفرق سلطة الفيسدا، ولا تؤمن بتجسيد الإله، البرهمي: في السنسكريتية مالك براهما أعلى طبقة اجتماعية في هندوسية، وهي طبقة الكهنة، وبرجع وضعهم الرهباني تقسيم الفيدا للسكان إلى أربع طوائف مغلقة. والشروح الملحقه بالفيدا أقدم الكتب المقدسة في الهندوسية، وهي تفسر معنى الفيدا على نحو ما تستخدم الطقوس والقربان، والمضمون الرمزي لأعمال الكهنة. وكلمة براهمانا قد تعني إما أقوال البرهمي، أو شرح معنى الكلمات المقدسة. وبراهمانا تناسلي: إله فردى السحر السبق محسك بالكون في الهندوسية. [حفرى بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب - سلسلة عالم المعرفة رقم ١٧٣ / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م - ترجمة الدكتور/ إمام عبدالفتاح إمام]

الأفهام، وقد تلحظه إلى تقدم بعض التنازلات الفكرية في سبيل الظفر بمحتوى كان يعلق عليه بعض الآمال الفكرية الأخرى، وهو ما يعرف باسم التنازلات المتقابلة<sup>(١)</sup>.

ولا يبعين عن دارس أن الظروف الاقتصادية قد تدفع الفيلسوف إلى إجراء تعديل في بعض الأفكار التي قرر دراستها على ناحية من النواحي، وبخاصة إذا كانت تلك الظروف قاسية تنال لقمة العيش، وأقراص الدواء أو تضغط على المسكن الأمن، بدليل أن أنبا زوقليس اليوناني تنازل عن كتبه من أفكاره بعد ما بلغه أن الآلهة ترفض اعتماده على المبادئ الثلاثة في تفسير نشأة الكون، حيث كان يقول بأنما الماء والهواء والنار، ثم أضاف إليها العنصر الرابع، وهو التراب، حتى لا تضطر الآلهة الغضبي إلى امتصاص الماء وهلاك النبات<sup>(٢)</sup>.

ثم ونظراً لأن هذه الضغوط كانت تمارس عليه من خارج إمكانياته، فقد أرجع تلافى هذه العناصر الأربعة أو تفرقها إلى قوتين رمزيتين هما:-

أ- قوة الخية التي تجمع وتضم المتشابهات إلى بعضها.

ب- الكراهية التي تقوم بعملية فصل المتشابهات، وإعادتها إلى طبيعتها من التفرقة.

وكلما كانت الاتجاهات الفكرية خاضعة للظروف الاقتصادية، فإن إمكانية التعويل على النتائج أو التعديل فيها تكون ضئيلة إذا قورنت بغيرها من الظروف التي تكون الحياة فيها رحيبة، وظروف المعيشة معها رغيدة، والحرية الفكرية والسياسية تمدان التنفس الواسع والمرتع الخصب، والجو الأمن، وبالتالي فإن الحرية الفكرية تنتج أنماطاً جديدة من الاتجاهات العقلية التي تتدافع فيها الفلسفة كأنها تمر جار، أو غطاء فكري يظل المباحث العقلية، بحيث تكون معبرة عن ثقافة المفكر واتجاهاته الطبيعية.

والذي أنتهى إليه هو أن الظروف المحيطة بالفيلسوف، لها دور كبير في تكوين فلسفته، كما أنها تكون أحد العوامل أو الأسباب، التي تحول بينه وبين إصدار تعريف حدى لفلسفته على ناحية الجمع والمنع.

(١) يجرى هذا المصطلح في عرف الساسة غالباً، وبخاصة عندما يرفض الاشتباكات العسكرية بين الجيوش أو إحلاء المستعمر عن بلد من البلدان التي ترفع على ثرواتها وحاول امتصاص كل حبرها، كما يجرى في اصطلاح رجال الاقتصاد عند إجراء بعض التسويات المتعلقة بالمدفوعات أو القروض، ويستخدم في الفلسفة للتعبير عن حالة الأسس التي نلزم الفيلسوف عند معجزة عن ممارسة فلسفته في شكل علمي وبطريق أمس. [راجع كتابنا: ربابر الأنواع في الميتافيزيقيا والأخلاق ص ٩٨].

(٢) هانزيس - شيرنوط وطبعة الآفة اليونان ص ١١٢ - ترجمة صابر صابر جلال - العراق ١٩٤١ م.



# الباب الثاني

الفلسفة

بين الوظائف والفوائد



(٥) الأستاذ عبدالحق بن محمد حامد - الفلسفة والوقائع المعاش في ٥٧ ط / ١٤٦١هـ .  
 (٦) هذا ما لا يتصور انفسه الشريف؛ إلا أن الواقعة تعتبر مسلمة عليه من الحديث الشريف: عن أبي هريرة قال : «حماهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا ولا تحزنوا وأبصروا إلى دناءاتكم» وأرى مع بعضكم علي شيء وبعض كبروا بعد ذلك إنما إمامنا المسلم ليس المسلم لا يظلم ولا يخذل ولا يخون فتقوى هاهنا وسيمر إلى صدره ثلاث مرات حبس امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام فاحتراموه وماله وعرضه (الإمام مسلم - صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٨٢ - باب غريم محرم دخلته واختارته وماله وعرضه وماله - حديث رقم: ٥٣٥٤ ، الإمام أحمد مسند أحمد ج ٢ ص ٢٧٧ - الحديث رقم: ١٧٧١٠) وعن أبي هريرة قال «لا تسول أهل بيتي علي شيئا وعليه وسلم المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يكذب به ولا ينقض له عهود ولا يفتنونه ولا يغشونه ولا يفرقه بين أهله ولا يفتنونه بها حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» (الإمام الترمذي - سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٢٥ - باب ما جاء في شقاق المسلمين على المسلم حديث رقم: ١٩٢٧ ، ورواه أحمد مسند أحمد ج ٣ ص ٤٩١ الحديث رقم: ١٦٠٦٣ ) ، وروي في إمامة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كل المسلم على المسلم حرام فاحتراموه وماله وعرضه» (الإمام ابن ماجه - سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٤٨ - الحديث رقم: ٢٣٣٢ )

في نفس الوقت كان للتعيشة الشعورية، بالعداء لأصحاب الفكر الحر أثرها البالغ على آراء المفكرين، وعلى طريقة معالجة القضايا التي انخرطوا في مشكلاتها، وامتد هذا العداء حتى شمل الفقهاء، كما شمل المورخين، ورجال الصوفية، وباقي المتدينين، بحيث لم يفلت من هذه الأحكام القاسية أحد، بل تحولت البيئة الإسلامية أقرب شيها بميدان القتال، الذي ترابط فيه جيوش مختلفة الاتجاهات، وكل يستبق للقضاء على الآخرين.

وبالنظر إلى الآراء التي انطلقت، تبحر وظائف الفلسفة وفوائدها، تراها في الأغلب الأعم إنما تعبر عن توجهات خاصة، كما تمثل نوعاً من تصفيات مواقف، وحسابات لم يكن لها وجود، في الزمن المعاصر، وبالتالي؛ فهي توجهات شخصية، استعمل أصحابها في طريقهم لغة الدين<sup>(١)</sup>، كما أعلنوا عن عداوتهم للفلسفة والفلاسفة، زاعمين أن موقفهم هذا، إنما تدفعهم إليه الرغبة الدينية، والرغبة في الدفاع عن الشريعة الإسلامية.

وقد التزم أهل الحكمة القول: بأن النجاح هو أن تحول المعرفة التي تحصلها، إلى قوة دافعة للتحول الإيجابي، لكن المعرفة شيء والعمل شيء آخر، ومن ثم يجب علينا أن نأخذ بالأسباب، حتى يكون لنا دور في مجريات الأمور من حولنا، ولكن مما يدعو للأسف أن غالبية الناس لا يتحركون، خوفاً من عواقب ما يقومون به من أفعال<sup>(٢)</sup>، ومن ثم كان الأول بأهل التراجع أن يتناولوا قضاياهم في شيء من التروى والتؤدة، وأن تكون لديهم المرونة الشديدة، مع التأني والموضوعية، فذلك خير للبحث العلمي على كل ناحية، كما أن الانفعال والعصبية، أو الثورة والعنف، لا تولد عندهما إلا مثلهما، وهل تنتج شجرة الخنظل إلا من جنسها، أما شجرة التفاح، فإنها تتساقط من حولها الروائح الطيبة، ومن ثمارها تولد الصحة بجانب الطعم اللذيذ.

لكن يقال إلى أن بعض الأحكام القاسية، كانت فيها تصفيات لحسابات، ما كان لها أن تقوم بين المفكرين، وبعض النظر عن الجو الذي تكهرب، وظهرت فيه ذات الأفكار التي جعلت أجواء القضاء تلبدت بالغيوم، واكتفرت بقضاياها سماء الفكر، التي كان لها بعض الظهور والبيك، في نفس الوقت فإن هذه العقول قد انفجرت أرحامها، بقضايا حامت حولها الشهات<sup>(٣)</sup>.

● يقول جون كولر: ينهم الفلاسفة في بعض الأحيان بأنهم يعيشون في أبراج عالية، وأنهم لا يركزون إلا على التفرعات والتجريدات المنطقية، متجاهلين الاهتمامات الكبرى المتعلقة بالحياة، وعندما يحدث ذلك، فإن الفلسفة تفقد الكثير من أهميتها، وتكف عن خدمة الشخص العادي في تساميل وجوده دليل هذا العالم، وتفشل في توفير المواد التي تسمى إليها الحاجة في بناء صرح فلسفة الحياة،

(١) الأستاذ عبدالحق سعد حامد - الفلسفة والواقع المعاش ص ٦١ ط ١/١٩٦١م.

(٢) وكلمة الوازع الدين في؛ قرئت الرغبة في الانفلات، وازدادت شهرة النفوس في الوقوع في المجالات الشرعية والقيم الأخلاقية، ومن كانت ذلك شأنه فلا شك أنه قد برأت منه ذمة الله وذمة رسوله.

(٣) راجع كتابا: في التيارات الفكرية ص ٢٤٧، وكتابا رياض الأشواق في المبتغيات والأخلاق ص ١٤٠.

بالنسبة للشخص، ونحن في الغرب معادون إلى حد كبير على النظر إلى الفلسفة، باعتبارها شيئاً مستقلاً عن الحياة، مفرقاً في التجريد، وفي الطابع الأكاديمي بالنسبة للشخص العادي<sup>(١)</sup>.

يبد أن المعركة لم تقف عند حد الانطلاق بالقضايا الشائكة، وإنما أوغلت هذه العقول في الخلافات، أو جيبست عن النور تلك الآراء، وسواء أكانت تلك الأسباب دينية أم شخصية أم سياسية أم اجتماعية، فإن الأمر الذي بات مؤكداً، هو أن أمر الحل والحرمة، والقبول والرد، ضيعت فيه أموال، وانتهكت حرمان، واستهلكت طاقات، كان الأحرى أن تدخر للدفاع عن العقيدة الإسلامية، ونشر الدعوة الإسلامية، بل كان الأولى ترشيد هذه الآراء، حتى تبين الرشد، وتحقق مصالح الأمة الإسلامية، التي جعلها الله تعالى أمة وسطاً، وخير أمة أخرجت للناس<sup>(٢)</sup>.

(١) جون كوتر - الفكر الشرقي القديم ص ٢٠. ترجمة كامل يوسف حسين - مراجعة إمام عبدالفتاح إمام - سلسلة علم المعرفة رقم ١٩٩ يوليو ١٩٩٥ م.

(٢) قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دِينَكُمْ سُلُوكاً يُغْنِيكُمْ عَنْ الْمَنَاجَاتِ وَالذِّكْرِ الْقَائِمِ وَالْأَمْرِ بِالْعَمَلِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ بِالْآخِرَةِ﴾ [سورة آل عمران - الآية ١٦٠] ويقول الحافظ ابن كثير: «إن هذه الأمة المحمدية هي خير الأمم، فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس، عن أبي هريرة ع. قال: خير الناس للناس تأتواهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام، والمعنى أنهم خير الأمم وأتبع الناس للناس ولهذا قال تأتواهم بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالله. [الإمام البخاري - صحيح قال البخاري - رقم: ٤٥٥٧] وعن دة بنت أبي قتبات [قام رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يا رسول الله أتى الناس خير قال خير الناس أقرابهم وأقربهم بالمعروف والمأثم عن المنكر وأوصلهم للرحم] [الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد - الحديث: ١٣٧٢ والساني في سنة كبرى - الحديث: ١١٠٧٢ والحاكم في المستدرک - الحديث: ٢٢٩٤] والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه وخير قرونهم الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم كما قال في الآية الأخرى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً أي خياراً لتكونوا شهداء على الناس. ففي الحديث الشريف عن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتت تومث سبعين أمة أتت خبزها وأكرمها على الله عز وجل وهو حديث مشهور وقد حقه الترمذي بسروى من حديث معاذ بن جبل وأبو سعيد خرو. [الإمام الترمذي - سنن الترمذي - الحديث: ٣٠٠١ وأبو ماجة - سنن أبي ماجة - الحديث: ٤٢٨٧، والحاكم في المستدرک - الحديث: ٤٨٤، والإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد - الحديث: ٤٤٤٧] وإنما حازت هذه الآية نصب النبي إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل فالنعم على منبأه وسيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيره مقامه». [الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ١ ص ٣٩٢. وذكر الإمام ابن كثير في معنى الآية إن الله تعالى يقول يا عيسى إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يجرون حمدوا أو شكروا وإن أصابهم ما يكفروا احتسبوا وصبروا ولا جلم ولا علم قال يا رب كيف هذا لهم ولا حبل ولا علم فأعطيتهم من حلمي: علمي، فمن أي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزادت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً فقال أبو بكر رضي الله عنه فزادني أن ذلك أت على أهل القرى ومعيصت من حافات البوادي. [الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد - الحديث رقم: ١٦] وعن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ربي أعطاني سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر يا رسول الله فيلا استزادته فقال استزادته فأعطاني مع كل ألف سبعين ألفاً قال عمر فيلا استزادته قال قد استزادته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً فقال عمر فيلا استزادته قال قد استزادته فأعطاني. [الإمام أحمد - المسند - الحديث: ١١٩٧] وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلنا يا رسول الله ما هو قال نصرت بالرب وأعصيت أماني الأرض وحببت أحمد وجعل الزراب لي طهوراً وجعلت أمي خير الأمم. [الإمام البيهقي - سنن البيهقي الكبرى ج ١ ص ٢١٣ - الحديث: ٩٦٥، مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ ص ٢٠٤ - الحديث: ٣١٦٤٧، مسند أحمد ج ١ ص ٩٨ - الحديث: ٧٦٣، ج ١ ص ١٥٨ - الحديث: ١٣٦١].



الفصل الأول

وظيفة الفلسفة





### ١. التصنيف الدقيق للعلوم والمعارف

من المعلوم لدى الدارسين أن كل فن من الفنون له موضوعه الخاص، وسماته التي تميزها، ومنهجها وفائدتها، يقرر هيدجر أن الموجود الذي ينبغي علينا إخضاعه للتحليل هو نحن أنفسنا<sup>(١)</sup>، لكن ما هو العلم الذي يفصل بين المقابلات، ويوضح الفروق بين التماثلات، ويكشف عن مناحي الاختلاف، ويبين عن ملامح الاتفاق، هل يمكن أن يكون ذلك هو علم الفيزياء مثلا، أو علم الفلك، أو علم النحو<sup>(٢)</sup>، أو علم القانون؟ إن هذه العلوم هي الأخرى بحاجة إلى من يضبط إيقاع كل منها، ويجعله منفردا بصفاته الخاصة.

❖ هل يمكن أن يكون هذا المميز هو علم المنطق الكلاسيكي<sup>(٣)</sup>؟ أو علم المنطق اللفظي؟ أو علم المنطق الرياضي؟ أو علم المنطق الأصولي أم غيرها من فروع علم المنطق؟

❖ الجواب: أن هذه العلوم كلها لا يمكنها القيام بهذا الدور؛ لأن علم المنطق الكلاسيكي موضوعه هو التفكير الإنساني على وجه العموم، مع بيان سليم الفكر من فاسده، أو صحيحة من سقيمة على ناحية تتعلق بصورة الفكر ومادته.

(١) جان بول سارتر - نظرية في الإمكانيات ص ٣٥ - ترجمة د: سامي محمود علي، ودكتور: عبدالسلام التناشي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م.

(٢) النحو هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها، وقيل النحو علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعرال، وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده. [ راجع التعريفات للرحسان ج ١ ص ٣٠٨ باب النون - رقم: ١٥٤١ - تحقيق إبراهيم الإبراهيم، وراجع لأستاذ مصطفى غلابي - جامع الدروس العربية ص ٩ - مراجعة الدكتور عبدالمعزم خفاجه ]

(٣) هو المنطق الذي وضع أرسطو أصوله وقواعده وعرفه اليونان ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد، ويسمى المنطق الاستنباطي؛ لأن نتائجه مستنبطة من مقدماته، من روعيت الشروط التي لابد منها، حتى تصح النتائج، يسمى المنطق اليوناني؛ لأنه منذ وضعه اليونان ورتبوا قواعده، عرف بهم ولم يتغير بالحدف، ولكن أضيف إليه الشكل الرابع وبعض الحدود، ويسمى المنطق الأرسطي نسبة إلى واضعه أرسطو اليوناني، وهو المنظم لقواعده، ويسمى المنطق القديم؛ لأنه وضع منذ الماضي القديم، والتزم مشكلات بعينها ويقال عليه منطق قديم في مقابلة المنطق النحوي الحديث، ويسمى المنطق الشكلي؛ لأنه يتهم بالأشكال التي يكون الحد الأوسط موجودا فيها، كما يسمى المنطق الصوري؛ لأنه لا يعني في قضاياها مطابقة الواقع الخارجي، إنما يركز على مطابقة القضايا لكل من المادة والصورة. [ راجع كتابنا: الغزاليات في منطق التصورات ص ٤٢/٣٩ ط الخامسة ]

كما أن علم المنطق الرمزي يعني بالرموز والأرقام الرياضية، والدلالات الأولية، والانطلاق من هذه المبادئ إلى النتائج المترتبة عليها دون غيرها، فهو علم خاص لا يمكن تطبيقه في مجالات العلوم المختلفة<sup>(١)</sup>، وكذلك الحال مع المنطق الرياضي.

أما المنطق الأصولي الذي أنشأه علماء الإسلام، على سبيل الاستقلال فهو علم يعني بوضع الأصول والقواعد الكلية التي يمكن تطبيقها على جزئيات صغيرة، هي الفقه المذهبي، ولذلك فالعلاقة بين الفقه وأصول الفقه إنما هي علاقة الكل بالجزء.

إذن لا يقوم بتصنيف العلوم، وبيان الفروق بينها إلا الفلسفة بمعناها الفني الدقيق، وهو الحكمة على سبيل الامتنال لها ممارسة، والقيام بما تفرضه سلوكا، والتماس جوانب المعارف التي تقوم على أسس صحيحة<sup>(٢)</sup>.

بل انتهت الدراسات العلمية، إلى أن الفلسفة هي القاسم المشترك بين العلوم، وعلى أساس هذا الاعتبار، أمكن وضع الفلسفة والفلاسفة في تصنيفين، كل واحد منها يمثل مجموعة مستقلة على الناحية المكانية:-

❖ الأولى: مجموعة الغرب.

❖ الثانية: مجموعة الشرق<sup>(٣)</sup>.

وهذا التصنيف المكاني، إن لم يكن دقيقا، إلا أنه كشف عن وجه يبين ملمحا من ملامح الفلسفة، أدى في النهاية إلى القول بأن من وظائف الفلسفة التصنيف الفني الدقيق للعلوم والمعارف، بل كان لذلك التصنيف أثره البالغ في تطور الحركة الفكرية والنهضة العلمية.

❖ ففي الغرب ظهرت مجموعات الفلاسفة المتبشرين، حتى ليذكر أن:

❖ روجر بيكون كان أول من حمل مشعل الحضارة في بلاده، غير أنه لم يقدر له الظفر بكل ما كان يعمل في صدره، أو يعبر عن كل ما حملته جوارحه، حتى يحقق لبلاده الخير الذي خلق بين طبقاته، وحاول اختراق الغيوم التي حجبَت الرؤية عن عيون الآخرين<sup>(٤)</sup>.

(١) الدكتور محمود محمد الطيبان - المنطق الرمزي ص ٥٧ - طبعة دار المعرفة ١٩٨٧م.

(٢) الدكتور عبدالمعظم محمد السيد النبلاوي - الفلسفة ومناهج البحث ص ١٧١ ط ١٩٥٧م.

(٣) أ.ب هاتلي - الفلسفة والعلوم الحديثة ص ٩٥ - ترجمة مصرية حلف الله.

(٤) راجع كتابنا: خواطر حثينة في الفلسفة الحديثة ص ٢٥٧.

● كما أن فرنسيس بيكون<sup>(١)</sup> هو الآخر قد خلق في ميدان التجربة العلمية، وكان بوجه لو أمكنه الفوز بتحريرك ساكن الفكر، والانفلات من قيود السلطة الكهنوتية، ومع أنه لم تكن أخلاقه على قدر بحثه الفلسفي، إلا أن الذي يمكن التنبيه إليه هو أن الرجل استطاع توجيه أفكاره لتصنيف العلوم والمعارف من جهة، وتقديم خدمة علمية لصالح المجتمع الذي يعيش فيه والمجتمع الإنساني من ناحية ثانية، وكانت ذلك وجهة نظره على الأقل.

● أما عمانونيل كانط الألماني<sup>(٢)</sup> فقد أحدث ضجة هائلة في هذا الميدان، إذ أمكنه أن يقدم مشروع السلام الدائم<sup>(٣)</sup>، كما استطاع القيام بدور فعال في تصنيف العلوم التي يعتقد أنها القاعدة العامة الكلية، التي تنوع عنها العلوم الأخرى، أو تقوم على هدى منها المعارف المتنوعة، كما قاد الحركة التنويرية في ألمانيا خاصة، وأوروبا بشكل عام، وكان له أثر كبير في بناء الحضارة الأوروبية كما كان له دوره البارز في مجال تصنيف العلوم<sup>(٤)</sup>.

● كما كان رينيه ديكارت الفيلسوف الفرنسي شعلة من الثقافة واختراق الحواجز التي تقول بين العلم والتجريب كالخرافات والأوهام، أو ما يحجب العلوم والمعارف عن المستفيدين منها، وقد ذكرنا ذلك في المنهج الشككي التي سار فيه مسيرة كل من الإمام الغزالي<sup>(٥)</sup> ومن قبله الإمام الحاشي شيخ

(١) فرنسيس بيكون: فيلسوف إنجليزي عاش بين أعوام ١٥٦١/١٦٠٦م، وهو من أشهر الأعلام والمفكرين الإنجليز في القرن السادس والسابع عشر، وهو في ذات الوقت من أعلام الإنشاء التجريبي. [راجع يوسف كرم: الفلسفة الحديثة] ولد في مدينة لندن في شهر يناير ١٥٦١، وكان والده يقول بيكون حاملًا لأختام الملكة إليزابيث الأولى في عمر بعد أزهى عصور التاريخ البريطاني، فبرزت مواهب بيكون وازدهرت عقله وبان نبوغه، ولما بلغ الثانية عشر مرسى عمر التحق بجامعة كمبردج، وبعد ثلاث سنوات من الدراسة تركها. [دكتور محمود زفروق - دراسات في الفلسفة الحديثة ص ٣٧ دار الطباعة المحمدية ١٩٨٥م] وفي سن السادسة عشر رحل لفرنسا، واشتغل في السفارة الإنجليزية بباريس، وبعد وفاة والده عام ١٥٧٩ درس القانون وانتظم في سلك المحاماة، ثم انتخب عضواً بمجلس النواب، وعينه الملكة مستشاراً فوق العادة للنجاح، وغادر برجل أحسن إليه هو أسكس، وساعد الملك المستبد حاك الأول في استبداده، فلبس لأعلى المناصب القضائية حتى صار الوزير الأول ١٦١٨، وفيكونت أوف سانت أليان ١٦٢١، وانقسم في هذا العام بالرشوة والاحتلاس، وحكم عليه بالسجن وغرامه، وبفعل رعاية الملك لم يسجن سوى أربعة أيام، ولم يؤد الفرامة، وتوفي بعدها بخمس أعوام بعد إصابته ببوله برد. ومن مؤلفاته: في قيمة العلوم ونموها، الأورجانون الجديد، وأطلانتس الجديدة. [الأستاذ يوسف كرم - تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٤٥/٤٤، ودكتور محمود زفروق - دراسات في الفلسفة الحديثة ص ٤١/٣٩]

(٢) عمانونيل كانط: ألمان الجنسية عاش ما بين ٢٢ إبريل ١٧٢٤/١٢ فبراير ١٨٠٤.

(٣) راجع لكائنات - مشروع السلام الدائم، وهو مترجم عن الألمانية ومطبوع في مصر باللغة العربية ز

(٤) الدكتور فوزي محمد صقر - الفلسفة الألمانية ص ١٣٧ ط ١٩٦٧م.

(٥) هو الإمام زين الدين حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الأشعري ولد عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وقد امتد عمره حتى عام ٥٠٥هـ وله من الألقاب الكثير منها [حجة الإسلام، زين الدين، الغزالي، الفقيه الشافعي، وحيد عصره، شيخ الإسلام، شيخ العارفين، عالم العلماء، وارث الأنبياء، حصة الدهور والأعوام، تاج المهتدين، سراج المنهجين، سيد المحققين، مقتدى الأمة، مبين الحيل والمخارم، زين الله والدين] وكتبه الإمام أبو حامد الغزالي، وهناك العديد من الكتب التي لم تنتشر إشتهار الأولى وهي: [أبو عكاز، أبو مغفل] وفي مسقط رأسه روايات منها: [الأول: أنه ولد في مدينة طوس إحدى أعمال خراسان، بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ولهذا نسبة - والثانية: أنه ولد في قرية غزالة التابعة لمدينة طوس ولهذا نسبة وكتبته [راجع كشف الظنون لحاشي خليفة ج ١ ص ٢٣، ٢٦، معجم البلدان ج ١ ص ٧١].

الصوفية، بل وقد سبقهم في مجال تصنيف العلوم جمهرة المفكرين المسلمين<sup>(١)</sup>، وكان لهم في ذلك المجال أوجه الامتياز المتعددة.

وعلى أيدي هؤلاء قامت نخبة فكرية أساسها التفكير العقلي الحر، والرغبة في إيجاد حلول لمشكلات المجتمع، وكانت الفلسفة هي المادة الأولى التي سرت في جسد أوروبا، فأحدثت به هذا التقدم المائل، ولم ينكر أحد منهم أثر الفلسفة في خدمة المجتمع الإنساني، وفي مجال تصنيف العلوم.

ومما يؤكد أن هذا التصنيف الدقيق للعلوم وليد الفلسفة، قيام المجتمع العلمي في نابلي على أيدي تليزو ٥٨٨، وكان هذا المجتمع قد أقيم للدراسات التجريبية، وكذلك إنشاء علم وظائف الأعضاء الفسيولوجيا على يد فيساليوس ٢٥٦٤ الذي أعلن مرارا أنه مدين لعلم أبسن النفيس<sup>(٢)</sup>، حيث ترجم لابن النفيس تشريح القانون، وسماه شرح تشريح القانون، وكانت هذه الترجمة إلى اللغة الأوربية تمثل فتحا في مجال العلوم التجريبية<sup>(٣)</sup>، بجانب توثيق الدراسات في مجال التصنيف الفني الدقيق للعلوم الإنسانية كلها على اختلاف تنوعاتها.

(١) ومن أراد المزيد طه مراجعة مناهج البحث عند مفكرى المسلمين للدكتور النشار، ومناهج البحث العلمي عند مفكرى الإسلام للدكتور فضل الله آدم.

(٢) هو علاء الدين بن أبو الحسن علي بن أبي الحرم بن النفيس القرشي الدمشقي، وبلغ بالدمشقي مولده بدمشق، ولقب بالمعري لقضائه الشطر الأكبر من حياته بالقاهرة، ولد رحمه الله بسوريا عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م، ثم رحل للقاهرة عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م، وتوفي بها عام ٦٨٤هـ/١٢٨٨م. درس ابن النفيس علوم اللغة والفقه والحديث في مدينة حمص، ثم رحل لدمشق والتحق بالبيمارستان النوري (مستشفى تعليمي كبير بدمشق) حيث تلقى تعليمه الطبي هناك، ولم يكف بهذا المستشفى، بل أكب على كتب ابن سينا وأبقراط وجالينوس وديسقوريدس، وحفظ كتاب القانون لابن سينا، واهتم أيضا بدراسة الفلسفة والمنطق وعلم البيان، وتوسع في دراسة الفقه وعلم التشريع، حتى أصبح أستاذا لفقه الشافعية في المدرسة المسروقية بالقاهرة إلى جانب كونه أستاذا في الطب، ومن أنجازاته الطبية كشف الدورة الدموية الصغرى (الدورة الدموية الرئوية Pulmonary Circulation) التي ينتقل فيها الدم من القلب للرئتين لتحليله من تان أكسيد الكربون، وتزويده بالأكسجين، ودون ذلك في كتابه (شرح تشريح ابن سينا)، واهتم أيضا بالتشريع، وترك ابن النفيس لشعب مصر صرحا طبيا عظيما هو البيمارستان المنصوري والذي أشرف على بنائه في عصر السلطان المنصور قلاوون. وألف ابن النفيس في السيرة وعلم الحديث وأصول النفع والنحو، والفلسفة والمنطق، وحسنة مؤلفاته الطبية أربعة عشر مؤلفا، من أهمها: شرح تشريح القانون، والموجز في الطب، وموسوعة الشامل في الطب، وكتاب المختار من الأغذية، شرح لكتاب الأدوية لأبقراط، تفسير العلل وأسباب الأمراض، المسهد في الكحل. [راجع للأستاذ: محمد غريب حودة - عبقرية علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب - ص ٢٤١/٢٣٨ - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة]

(٣) الدكتور توفيق الطويل - أسس الفلسفة ص ١٢٢/١٢٣ طبعة دار النهضة.

كذلك استطاع ولیم هاروی<sup>(١)</sup> تقديم إضافات في مجال التعرف على الدورة الدموية، وبخاصة بعد معرفته بكتب ابن النفیس<sup>(٢)</sup>، وقيامه بترجمتها إلى اللغة الأوربية، وكان ابن النفیس هذا هو أول من اكتشف الدورة الدموية، وإليه ينسب الفضل في معرفتها وتقنين الحديث عنها<sup>(٣)</sup>، والاهتمام بها والكتابة فيها على النواحي المختلفة.

﴿أما في المشرق - وهو التصنيف الثاني - فإن الحوة بين الفلاسفة من ناحية، وبسطاء القوم من ناحية ليست واسعة؛ لأن هؤلاء البسطاء لم يكن لديهم من الوقت ما ينفقونه في تناول مثل هذه الموضوعات، التي لا حيلة لهم فيها، ولا طاقة لهم في دراستها.

كما أن الفلاسفة الشرقيين يستمرون في التواصل عن كتب مع الحياة عائدتين إلى محك التجربة الإنسانية، لاختبار نظرياتهم، علما بأن الناس العاديين يمتدحون اهتمامهم إلى ما يتجاوز حياتهم العادية، ويكافحون لرؤية الوضع الصحيح لوجودهم وفهمه، من خلال المفاهيم الفلسفية التي يتركها لهم الفلاسفة<sup>(٤)</sup>.

إذن وجود الفلسفة والفلاسفة والحكمة والحكماء ضرورة اجتماعية وثقافية وعلمية، كما أن تصنيف العلوم والمعارف يعتبر أحد وظائف الفلسفة على الناحية الفنية<sup>(٥)</sup>.

لن يبد أن ما يجب الالتفات إليه هو أن الفلسفة في الشرق ارتبطت بما يلي :-

(١) التعلق الشديد بالدين.

(١) ويليام هاروي William Harvey طبيب إنجليزي عاش في الفترة من ١٥٧٨/١٦٥٧م، وصف في كتاب له الدورة الدموية العامة (وما فيها الدورة الدموية الصغرى) دون أن ينسب إلى أية مصادر عربية نقل عنها معيوماته، وكان هاروي هذا قد درس الطب بجامعة بادوا Padua University الشهيرة بمدينة البندقية (فينسيا) الإيطالية، وكان من بسين الذين درسوا الطب في تلك الجامعة - قبل عصر هاروي - طبيب أسبان درس الطب العربي الأندلسي، وقد ترك هذا الطبيب وأخته ميجيل سرفينو (١٥٦٣/١٥١١م) مؤلفاته بهذه الجامعة وتناول فيها الدورة الدموية الصغرى وأمورا أخرى كان ابن النفيس قد تناولاها في مؤلفاته، وأطلع عليها هاروي واكتشف الدورة الدموية العام. [ راجع للأستاذ: محمد خريز - حوزة - عابرة علماء الحضارة العربية والإسلامية في العلوم الطبيعية والطب - ص ٢٤٠ - دار الطائفة المحمدية بالقاهرة ]

(٢) ابن النفيس (ت: ٦٨٧هـ/١٢٨٨م) وهو أول من اكتشف الدورة الدموية - فلما جاء ولیم هاروي بعد ذلك، عمد إلى مؤلفات ابن النفيس فترجمها، ثم أضاف إليها المتعلقات والشروح، وتمرور الزمن تجاهل الغرب دور ابن النفيس كمكتشف أصلي للدورة الدموية، وعرفوا ذلك الاكتشاف بولیم هاروي، على أنه من ملامح الفكر الغربي، وما هو إلا من الأدلة على مرضي الفكر والحقد الذي يمارسه الغرب ضد العرب عامة والمسلمين خاصة.

(٣) الدكتور رمزي محسن الفيض - أعلام الفكر العربي ص ٧٧ ط ١٩٦١م - دار كركوك بالعراق.

(٤) حول كوتر - الفكر الشرقي القديم ص ٢١، إذن عدم اتساع الحوة يرجع إلى تفهم فلاسفة الشرق لواجبهم، واندماج الناس العاديين معهم. واحتلاطهم بهم، وهذا مما يؤكد أن الفلسفة تسعى لإصلاح العيوب والمشكلات الاجتماعية.

(٥) راجع كتابنا: رياض الأشراف في الميتافيزيقا والأخلاق ص ٩٣.

(٢) الاغراط الطبيعي في الحياة العامة.

(٣) اعتبار الفلسفة هي الميزان الدقيق الذي توزن به النظريات المختلفة، والمعارف المتنوعة.

(٤) اعتبار الفلسفة الوسيط الجيد الذي يربط بين المجتمع وقضاياها، ويبحث عن حلول لمشكلاته، ويضع المخطط المنضبط، ويقعد المناهج التي يمكن أن تتحرك في اتجاهات مختلفة<sup>(١)</sup>، عتقة للمجتمع أقصى النافع وللأفراد أعلى درجات معرفية وللعلوم أفضل الطرق، للتعرف عليها واكتسابها، والفرقة بينها والمعارف المختلفة.

على أن مما تجدر الإشارة إليه هو أن التصنيف الفني للعلوم والمعارف يستلزم الحكمة، أو على الأقل يحتاج حكماء يقومون بذلك الدور، وهم لا يتوفرون، إلا إذا كانت تربيتهم الفكرية قد تمت في نطاق معين، تقوم فيه قواعد التأمل العقلي مقامها، حتى تمهد لمعرفة حقائق الأشياء وأصلها والعلاقات التي تربط بينها، وذلك يعتبر من وظائف الفلسفة والدور الذي يجب أن يلعبه الفلاسفة أيضا.

## ٢. تقديم خدمات عامة للمجتمع

ذلك أن المفكر هو الذي ينظر إلى مشكلات مجتمعه، الواحدة تلو الأخرى، من خلال نظرية واعية مستمرة، ثم يتعامل معها من خلال عقلية ناضجة ترى المثالب، ثم تعمل على تحويلها إلى سابق، وتوفق بين المشكلات وطرائق التعامل معها، كما تعمل على إيجاد حلول عملية واقعية لها؛ لأن الفلاسفة هم من صفوف المجتمع على الساحة الفكرية<sup>(٢)</sup>، وهم لا يعيشون منعزلين عن هموم المجتمع الذي يوجدون فيه، وإنما تختلط أفكارهم وأوهامهم وأحلامهم بقضايا المجتمع وطرائق الوصول إلى حلول حاسمة لها.

وكان ظن البعض في الماضي أن الفلسفة عتبت والفلاسفة يعيشون في وهم؛ لأنه لا وظيفة للفلسفة، كما لا فائدة من الفلاسفة، بل الهم هؤلاء - كلا من الفلسفة والفلاسفة - التهامات في غير موضعها، ومنها أن الفلاسفة يعيشون في حالة انعزال عن المجتمع وقضاياها<sup>(٣)</sup>، وأنهم أصحاب أسرار عاجية وأفكار سحرية<sup>(٤)</sup>، ومن كان ذلك شأنه فهو المنعزل عن المجتمع بأفكاره وأوهامه وأحلامه، ثم انتهوا إلى إصدار حكم قاس، رأوه يجسم الصراع بينهم والفلسفة قام هذا الحكم القاسي على أن

(١) الدكتور: رمزي محمد جمعة - المدخل للفلسفة ص ٧٧، وكذلك الدكتور وصفي محمد السيد - دراسات في الفلسفة ص ٨١.

(٢) الدكتور مرسى محمد شرابة - الفلسفة والمجتمع نظرة واقعية ص ٧٣ ط ١٩٦٥م.

(٣) الأستاذ: فوزي محمد الكاتب - الفكر الإنسان ومشكلاته ص ٤٥ ط ١٩٤٦م.

(٤) الأستاذ: صهي محمد إسكندر - الفلسفة القديمة ص ٥٧ ط ١٩٣٧م.

الفلسفة لا وظيفة لها<sup>(١)</sup>، وبالتالي فيجب إلغاؤها لبعدها عن حياة الناس، وواقع المجتمع فضلا عن بحثها لمشكلاته، ومحاولة إيجاد حلول علمية لها وقضاياها.

غير أن هذه المزاعم والظنون يمكن أن يصدق بعضها على الفلسفات الكافرة، التي تبحث عن الله، والفلاسفة الذين حبسوا أنفسهم في ذات الانجهايات، لا يبرحونها ولا ينصرفون عنها إلى غير هذا لكن هذا الحكم ليس قانونا علميا ينطبق على الفلسفة والفلاسفة، على اختلاف الانجهايات، وفي كل الأحوال، وإنما غاية أن يقع توافق بينه وبعض الفلسفات الإلحادية، مع بعض مدعى التفلسف، في حين ما، ودخل مجتمع بعينه، ويجب استبعاد حكماء الإسلام وحكمتهم من ذلك كله. أما لماذا؟

فالن الناظر للاتجاه العقلي في الماضي السحيق، نجد أن فلاسفة المصريين القدماء، كانت لهم ارتباطات بالمجتمع وقضاياها على غاية الوفاق<sup>(٢)</sup>، بل فيها المثانة مع الصلابة، ودليل ذلك الأهرامات التي مازالت شامخة، رغم مضي آلاف السنين على إنشائها، بما تحتويه من عجائب هندسية، ودقائق فنية وخدمة اجتماعية، كما أن ألوان الحضارة التي ازدهرت مع قدماء المصريين تؤكد كل هذا أن الفلسفة عندهم كانت ممتزجة بالمجتمع وقضاياها، كما كانت تبحث عن حلول علمية لمشاكله، وصياغة جديدة لقضاياها<sup>(٣)</sup>، بحيث تكون متوافقة مع الواقع العلمي الحياتي.

وكذلك الحال في كل من الهند وبلاد الصين، فضلا عن حضارة بلاد الرافدين، التي كانت تضارع حضارة المصريين القدماء - في كافة الأنشطة والمجالات - بل وتعمل على مناقشتها ومحاولة إحراز نوع من التقدم عليها والسبق لها، ولم يكن هناك من موجه إليها إلا الفلسفة ذاتها.

كما أن بلاد اليونان في القرن السادس قبل الميلاد كانت حضارتها قائمة على عقول الفلاسفة أنفسهم<sup>(٤)</sup>، وتناح البحث العقلي الحر، إذ كان طاليس المليطي على اتصال دائم وثيق، بخارجيات المجتمع في عصره، حتى إن فلسفته هي الأخرى قامت لخدمة مصالح قومه، وكان هو أحد الحكماء السبعة في عصره، وكان يؤخذ رأيه في سياسة المدينة، وقد خدمت اختراعاته الفلكية الفلاحين، الذين ارتبطوا بالزراعة، ويقال: إنه وضع تقويمًا فلكيًا، بعد أقدم ما عرف من نوعه، بين فيه أوجه القمر، وحركة الاعتدالين، والتنبيؤ بحالة الطقس<sup>(٥)</sup>.

(١) هذه الاتهامات نقيض في الغالب الأعم من خصوم الفلسفة، ومثاهم لا يقل لهم قول، لما هو معروف من أن شهادة العدو تمثل فدا، طأ كانت تحمل الإدانة.

(٢) توماس هيرز - الفلسفات القديمة ص ٩٧ - الطبعة الأولى - ترجمة هناء خوري ١٩٦١م.

(٣) راسع كتابنا: قضايا حبيسة في الفلسفة الحديثة ص ٦٥ وما بعدها.

(٤) دليل ذلك: أن تاريخ الفكر الإنساني لم يتعرض لذكر أحد من شادوا تلك الحضارة، سوى الفلاسفة الذين أقاموا بناءها أو حلوا مشاعل الحضارة فيها.

(٥) الدكتور أحمد فؤاد الأهران - المدارس الفلسفية ص ٩٨ - الدار المصرية للتأليف والترجمة - يوليو ١٩٦٥ م.

أما في جانب الفلسفة الإسلامية، فقد أسرع بتقديم أوجه استدلال جديدة على وجود الله تعالى، وقامت بالدفاع عن العقيدة الإسلامية في مواجهة دعاة العلم، الذين احتكموا إلى قضايا العلم النظري حيناً، وحتكموا إلى نتائج العلم التجريبي حيناً آخر، كالحال في الجهود التي بذلها الكندي فيلسوف العرب، وجهود الفارابي المعلم الثاني، وجهودات الشيخ الرئيس ابن سينا، وبخاصة تلك التي فصلها في كتابه الإشارات والتنبيهات<sup>(١)</sup>.

بالتالي فالفلسفة كانت ومازالت خادمة لكل ظروف المجتمع في جانب العلاقات الاجتماعية تارة، وفي جانب العلاقات العلمية أخرى، وفي جوانب الثقافة والحضارة والمدنية تارة ثالثة، ولم تكن الفلسفة بعيدة عن المجتمع ومصالحه، أو منعزلة عنه أو طوت على نفسها أبواب النسيان، أو تسربت في عباءات الاستكانة والأمان الكاذبة، كما ظن البعض بما أو أقاموا على أكثافها الشبهات الكثيرة، بغرض النيل منها، أو صرف عشاقها عنها.

#### ❖ وربما تسأني عن دليل لهذا الاتجاه الفكري؟

**❖ والجواب:** أن العلماء ظلوا يستسخون الخلايا والجينات البشرية والحيوانية على المستوى الجزئى والخلوى طيلة عقود عديدة، وبرر هذا الاستنساخ علمياً بأنه يوفر للأبحاث كميات أكبر من الجينات والخلايا المتطابقة، حيث تكون كل خلية أو جزئ في تطابق مع الآخرين<sup>(٢)</sup>، وقد تنامي ذلك الاتجاه العلمي، حتى صار في الوقت الراهن أحد المصادر الهامة في توفير الغذاء والدواء للذين يعيشون على البسيطة.

إذن كانت الفلسفة - وما تزال - قائمة في خدمة المجتمع، وتعمل لصالح قضاياها، ولم تكن أبداً بعيدة عنه، أو منعزلة بأفكارها، منطوية على نفسها - كما ظن البعض بها<sup>(٣)</sup> - بل إن تقدم العلوم والمعارف في تلك الفترة المترامية، لمو من أكثر الأدلة على أن الفلسفة هي القاسم المشترك بين كل العلوم، وهي الدافع والمحرك للفكر في كل العصور.

في نفس الوقت فإن خدمة المجتمع لا تقف عند حد التعرف على نوعية المشكلات، أو الوقوف على ماهياتها، وإلا كان الفعل الذي تقوم به ناقصاً، وإنما لابد لها من مواجهة ذات

(١) راجع في هذا الشأن: النمط الرابع في الوجود علة من الإشارات والتنبيهات، وخاصة التحقيق الذي به حاشية العلامة الطوسي، عرض ابن سينا لشبهات الحسين، ثم نقدها، وبيان فسادها، وبعدها انتهى إلى الاستدلال على وجود الله تعالى وسائر صفاته من الجلال والجمال والكمال والإكرام.

(٢) مارتاس نسوم، كاس شاستين - استنساخ الإنسان الحفائي والأوهام ص ٣١ - ترجمة د: مصطفى إبراهيم فهمي - الهيئة المصرية ٢٠٠٢ م.

(٣) يجب عدم الالتفات إلى ما يدل به الخصوم، باعتبار أن الحكم الحقم تنتهي دائماً مشكلاته عند مفرزاته النفسية، بغض النظر عن نوع الانتماء، الذي يعلنه أو يحاول المنفى في طريقه، وفي الأمثال: إذا كان الحقم حكماً عليك، فلن يقبل منك الشهود.



المشكلات، والبحث عن حلول عملية واقعية لكل مشكلة تطرأ، وما تركه حكماء الإسلام من أظهر الشواهد على ما يتم بحته والوقوف عليه<sup>(١)</sup>.

يبد أن الاستقلال الهولامي أو الانعزال الفكري، قد يكون له وجود ما في بعض فلسفة الغرب، التي انطوت على ما يلهاها به الرهبان، أو تنفوه به القسس والكهان، أو فلسفة التحليل والتركيب، أو الفلسفة التي تتعقد آمال أصحابها على مجرد الرموز والعلاقات، دون أن تنحصر في المجتمع أو تفكر في معالجة قضاياها من خلال مشكلات الوقت الحاضر.

أما في الماضي، فقد كان فلاسفة الغرب، يحاولون الاختلاط والاندماج في المجتمع الإسلامي بمشكلاته ومسائله، اندفاعاً من ذلك الحماس الذي يغلب عليهم، إذن لم يكونوا بمعزل عن المجتمعات التي يعيشون فيها، كما لم يتوهموا وجود مشكلات زائفة، بغية استهلاك الوقت فيها، أو بتغميسها في قضايا المجتمع على الناحية النظرية، دون أن يشغلوا أنفسهم بالواقع الذي يجب التعامل معه<sup>(٢)</sup>، وإنما كانوا يتعاملون مع القضايا والمشكلات العلمية الحقيقية، بغرض التعرف على حلول بحيث يكون لها من القوة والصلابة ما يدفع إلى التمسك بها، ودليل ذلك النهضة التي عرفت في أوروبا بهذا الاسم<sup>(٣)</sup>.

ليس معنى ذلك أن فلاسفة الشرق، قد غلبهم شيء من الوجدان المعبأ بسروح تصديق القصص والحكايات، وإنما معناه أن فلاسفة المشرق كانوا يمثلون اتجاهين يتلاقيان حيناً، فيأخذ القوى الموثق بيد الضعيف المتأرجح، حتى شاطئ البحر، أما إذا تخلف الضعيف، فإن المأساة تقع، والكارثة تفل. والاتجاهان هما:-

- الأول: اتجاه حكماء الإسلام.

- الثاني: اتجاه المنفلتين من القيود.

❦ أما الأول: فأصحابه يلتزمون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويجهدون أنفسهم في تفهم النقل المتزل، والعمل على الاستفادة منه بأقصى طاقة ممكنة، فهم يتوجهون إليه بكلياتهم وجزئياتهم، بعقولهم وقلوبهم؛ ولذا يتشابه الإيمان عندهم مع المعرفة<sup>(٤)</sup>، ويختلط ميدان الاعتقاد بميدان المعرفة،

(١) الأستاذ: صالح محمد صبيح - فلاسفة الإسلام ص ٦١ ط ١٩٤٧م.

(٢) الدكتور محسن محمد داود - الفلسفة وقضايا المجتمع ص ٧٣ ط ١٩٥١م.

(٣) عرف باسم عصر النهضة الحديثة في أوروبا، وقد شمل هذا العصر القرنين الخامس عشر، والسادس عشر مسير الميلاد، وكان ثورة على السلطان الكهنوتي في الكنيسة وإحياء لفلسفة العلم الطبيعي، وكان له أثره البالغ على أوروبا التي استيقظت من نومها الطويل وسبيلها انعميق، متجاوزة كل ذلك الضباب، الذي حلفته العصور الوسطى، ولم يكن لأوروبا أن تنهض إلا بأنوار الإسلام، وحرية الفكر التي خلقت فوق عقول الناهيين من الأوربيين.

(٤) الدكتور عبدالعليم بن محمود الطرأسي - الإيمان والمعرفة ص ٧٧ ط ١٩٦١م فكانه قصد بالعبارة أن يكون الإيمان قلباً من ناحية الاعتقاد، معرباً من ناحية الاستدلال عليه، أو إقامة الأدلة بالنسبة له.

فينتج بينهما التكامل من كل ناحية، وحينئذ يتوج الاعتقاد الصحيح مفرد السراسر في المعارف والعلوم.

وأصحاب هذا الاتجاه يتقبلون مناحي الحياة المختلفة، لا غاية تقودهم إلى شيء ما خسارت نطاق قضايا ما تفرضه النصوص الشرعية، فهم في مأمن من الانفلات الفكري، كما هم في جنة من هزات الشيطان<sup>(١)</sup>. ووساوس النفس وارتدادات الأهواء<sup>(٢)</sup>.

❦ أما أصحاب الاتجاه الثاني - أصحاب الانفلات من القيود الشرعية - فهم ينظرون إلى الحياة نظرات فيها التباين من كل ناحية، قضايا وهموم المجتمع بالنسبة لهم عقوبات مقنعة، لا قضايا للعلم والاحتشاد

(١) وكان رسول الله ﷺ يستعبد بالله من ذلك. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اعْزُذْ بِكَ مِنْ هَذِهِ الشَّيَاطِينِ﴾ [سورة المؤمنون - الآية ٩٧] وهذا أمر من الله تعالى لبيته أن يستعبد من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الخيل ولا يتقادون بالمعروف، حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ومنه «[الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ٢ ص ٢٥٥]

(٢) قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ \* وَلَوْ شَاءَ لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمَهُ أَحَدًا إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَهُ فَدَعَاهُ فَجَاءَهُ فَكَلَّمَهُ الْقَلْبُ أَنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَيْتَ أَوْ تَنْتَرِكْ يَلْهَيْتَ ذَلِكَ مِثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾. يقول الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : «عن مسروق عن عبد الله بن مسعود عهده في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ هو رجل من بني إسرائيل يقتل له بلعام بن باعورا، وسب هذا الكلام إلى ابن عباس، وإلى ابن جرير الطبري وغيرهم ممن نسب سب نزول الآية إلى بلعام بن يعور وكان أمر هذا الرجل على دعوات مستجابات؛ لأنه كان يدعو باسم الله الأعظم، فدعا على نبي الله موسى ومن معه بعد إغرائه، فسلخه الله مما كان عليه قال تعالى: ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ أي من العاكفين الخائزين البائسين «[العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣١٠/٣١٠ - بتصرف يسير]» وقد ورد في معنى هذه الآية حديث (حديثه بن البهان) رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «إن مما أخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رؤيت وجهه عليه وكان ردائه الإسلام، اعتراه إلى ما شاء الله، انسلخ منه ويندو وراء ظهره، وسعى على حماره بالسيف، ورماء بالشرك» قال: قلت يا نبي الله أيها أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال: «بل الرامي» «[العلامة ابن حبان - صحيح ابن حبان ج ١ ص ٢٨١ - ذكر ما كان يتحجب به صلى الله عليه وسلم عن أمته عندئذ لما شاف الحديث رقم ١٠٠٠ - الحديث - ذكره ابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٣١٣ وقيل: إسناده جيد وعزاه إلى الحافظ أبي يعلى الموصلي. وجاء في كثر العمال - لئلا يمتنع المتقاضي اهتدي - ٢ - الحديث رقم: ٢٨٨٢ - «قرأ القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فأنشده بضاعة فاستحرمه الملوك واستمال به الناس، ورجل قسراً القرآن فأقام حروفه وضع حدوده كثر هؤلاء من قراء القرآن لا كثرهم الله تعالى، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء الفسيان على داء قلبه، فأسهر به ليله وأطمأ به هماره وقاموا في مساجدهم وحسبوا به تحت براسهم فهؤلاء يدفع الله بهم البلاء، ويرى من الأعداء ويحل غيث السماء فرائد هؤلاء من القراء أعز من الكهنة الأحرار» [وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمَهُ أَحَدًا إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَهُ﴾، أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناها إياها، ﴿وَلَنُكَلِّمَهُ أَحَدًا إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي مال إلى رتبة الحياة الدنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها ونعيمها، وغرته كما غرت غيره من غير أولى البصائر والنهى. «[العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣١٠/٣١١ - بتصرف يسير]

واقعة، وبالتالي فانشغالهم بقضايا المجتمع، وإيجاد حلول لها تعتبر من الأمور التابعة لغيرها<sup>(١)</sup>، والممول عليه عند هو اعتبار إثمائه حكماء الإسلام ولا عبرة بالانتماءات الأخرى، التي قد تكون القيادة فيها مردها لعوامل نفسية، أو مواقف شخصية، غلبت على غيرها من الناحية الموضوعية.

فإذا نظرنا إلى النقل للقول، ألقينا العديد من النصوص الشرعية، تدفع الفرد العاقل إلى ضرورة تقديم خدمات عامة للمجتمع الإنسان ككل، مستخدمة أسلوب الترغيب تارة، والترهيب أخرى، أو مستخدمة تبسيط الحقائق الإيمانية، وتقريبها من الأفهام إلى الحد الذي تستوى فيه، بين مدركتي الخامل والناهب، بين فهم الذكي ومحاولات القبي، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك<sup>(٣)</sup> قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسلة فليفرسها»<sup>(٤)</sup>.

ولاشك أن تقدم خدمات عامة للمجتمع الإنسان، يفتح أبواب المشاركة في الأعمال، والتشارك في الأجور والعوائد، فيتع التبادل العلمي<sup>(٥)</sup>، والمهاري بين الناس موقع البذل التقدي، كما يقع بينهم أمر تبادل المنافع على ناحية لا غنى لهم عنها من وسائل جلب المصالح أو دفع المفاسد أو

(١) الدكتور عبد العظيم محمود الطوانسي - الإيمان والمعرفة ص ٨١.  
(٢) سورة البقرة آية ١٦٨، ويقول الخازن في تفسير قوله تعالى: ﴿... كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...﴾: «أي لا تسلكوا سبله، وقيل معناه: لا تأكلوا به، ولا تتبعوا آثاره وزلاته، وقيل حس السذور والمعاصى، وقيل هي الخفريات من الذنوب» [تفسير الخازن ج ١ ص ١٠٣].

(٣) أنس بن مالك بن النضر بن شمعون بن زيد بن حنبل بن حرام بن حنبل بن عامر بن غنم بن عدي بن النجاشي أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد الكثيرين من الرواية عنه صح عنه أنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر سنين وأن أمه أم سلمة أتت به النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم فقالت له هذا أنس علام يخدمك فقبله وأن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا حمزة بقله كان يجتنبها ومازحه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ياذا الأديين. ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم وكان له بستان يعمل الفاكهة في السنة مرتين وكان فيه ريحان ونجى منه ريح المسك وكانت إقامته بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم شهد الفتح ثم فطر البصرة ومات بها قال علي بن أبي حمزة كان آخر الصحابة موتاً بالبصرة. وعن أنس قال: جاءت بي أم سلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنسا علام فقالت يا رسول الله أنس أدع الله له فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة قال قد رأيت اثنين وأنا أرجو الثالثة وقال جعفر أيضاً عن ثابت كنت مع أنس فحماه فبهزأته فقال يا أبا حمزة عطشت أرضنا قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البصرة وصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب تنشق قال ثم مطرت حتى ملأت كل شيء فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال أنظر أين بلغت السماء فنظر فلم تعد أرضه إلا بسمراً وذلك في الصيف. ومنقب أنس وفضائله كثيرة جداً. [راجع الإصابة لابن حجر المصنوع، رقم: ٢٧٧ - ص ١٢٨/١٢٧].

(٤) الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج ٣ ص ١٨٣ رقم: ١٢٩٢٥، وأخرجه المصنف - مجمع الزوائد ج ٤ ص ٦٣.

(٥) الأستاذ هاشم محمد عبده هاشم - الإيمان والعمل ص ١٩٥٧/٢٢٠م والتبادل العملي هنا هو ما يطلق عليه الفلاسفة المعاصرة على أساس أن يقوم كل فرد أو جماعة بأداء نوع من الأعمال، ثم يأتي فرد أو جماعة أخرى فتقوم بعمل آخر، وهكذا، فالدفع للزراعة والصناع للبناء والتجارة للتجارة، والخازن للمحبر، والمالك للحياكة فكل منهما يمارض الآخر في صناعة من الصناعات، أو حرفة من الحرف، أما مفهوم المعاوضة فيقوم على تبادل المنافع بأعراض مالية أو عينية. [لمزيد من التفاصيل راجع المواقف للإمام الإيجي، وكتابنا: الغزاليات في النبوات أثناء الحديث عن فوائد بعة الرسل اصطلاحاً].

اختصار أداء المنافع في أوقات قليلة، مع تحقيقها مصالح همة كثيرة، يعتز من وظائف الفلسفة بالمعنى الحرقي والفني معا.

كما لا يقتصر دور الفلسفة على مجرد تقديم خدمات عامة للمجتمع، وإنما يتعدى ذلك الطور حتى يضع تصورات مستجدة لمشكلات قائمة أو متوقعة على سبيل الحدس والتخمين، ودليل ذلك أن كبلر قد حفزته المباحث الفلسفية على إثبات مركزية الأرض، كما انطلقت به نحو تحقيقه دوافع فلسفية لاهوتية، حين رام كبلر وضع الجرم السماوي الذي يقابل الله في العالم المادي، ويرمز إليه وهو الشمس، في وسط العالم المحسوس؛ لأنه كان مصدر كل نور وحياة، والمقام الوحيد اللائق بالله<sup>(١)</sup>، من وجهة نظر كبلر، أما عندنا نحن المسلمين، فأن الله تعالى مزمع عن ذلك كله.

ورغم أنها تصورات غير مقبولة - من جانبنا - إلا أنها فتحت الباب لبحث المسألة على ناحية مستجدة، من خلال التصورات التي قدمها كنوع من ممارسة الدور في القيام بأعمال خدمية لصالح المجتمع الإنساني عامة.

## ٢- إعداد قادة متجدي الفكر

ما من مجموعة إلا ونحتاج قائدا يتولى الرئاسة فيهم، فإما أن تكون الجماعة هي التي دفعت به إلى مركز القيادة، أو هي التي مهدت له، حتى يقوم بذلك الدور، أو يكون هو الذي استغل ظروف المحيطين به، فنصب نفسه قائدا عليهم، فاستجابوا له وارتضوه قائدا فيهم<sup>(٢)</sup>، وقد يقتصب أحاد الناس مركز القيادة، ويدفع العامة إلى إعلان تمسكهم به، وانخراطهم تحت قيادته، وقد يكون ذلك القائد غير مهيب لشيء من القيادة نفسيا وثقافيا وعلميا، بل وأخلاقيا، وبالتالي فإن ذلك القائد تكون سلبياته كثيرة، وأضراره خطيرة.

أما الفلسفة فمن طبيعتها البحث عن مصالح المجتمع، والتعرف على مشكلاته، ثم معالجتها، لكن ذلك يحتاج إعداد القائمين عليه، على ناحية فنية ترتبط بمصالح المجتمع، حتى لا يكونوا وسائل تدمير له، أو للذين يعيشون فيه، ولما كان القائد لا يولد قائدا، وإنما يتدرب على القيادة، فإن الحكماء كان من منهجهم الفكري توظيف الفلسفة، حتى تقوم هي بوضع برنامج وخطة عمل، ومنهج فني يكون بمثابة البوتقة التي ينضجر في أعماقها من سيكون قائدا<sup>(٣)</sup>.

(١) أرثر لفيجوي - سلسلة الوجود الكبري - محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي ص ٢٤ - ترجمة الدكتور ماجد فحيري - دار الكاتب العربي - بيروت ١٩٨٤ م.

(٢) الدكتور فوزية محمد الأنور - القيادة ومستورها ص ٧٥ ط ١٩٧٧ م، وراجع للدكتور فتحي حمري عبد الوهاب - الفروع الفرعية وفن القيادة ص ١٤٢.

(٣) الدكتور: السيد محمد الحسين - الفلسفة والقيادة الناجحة ص ١١٣ ط دار منار ١٩٥٥ م.

والفلسفة لا تسقط على الناس من برج عال، وإنما تتسلل إليهم رويدا رويدا، بحيث تغتاطب منافعها مشاعر الناس وقلوبهم، من خلال التأملات المتواصلة التي تتعاون في رسم الخطوط المنهجية العريضة لتنمية القدرات العقلية والفروق الفردية، والانطلاق بدوافع القيادة في كثير من الأشخاص، ثم عقد دورات تدريبية، يقوم بها المتأمل ذاته، تعقبها امتحانات واختبارات ذاتية أيضا، تنتهي بالإعلان عن امتياز أصحاب قدرات عقلية متميزة هم القادة الذين يتم إعدادهم للانطلاق بالأسسة، نحو أهداف المجتمع، بغرض العمل على تحقيقها من الناحية الفكرية<sup>(١)</sup>.

إذن الفلسفة هي التي تعد القادة والمفكرين، الذين يناط بهم تقدم الأمم ورفق المجتمعات، وبناء عليه يمكن اعتبار الفلسفة هي التي هيأت لنفسها مكانا بارزا في إعداد القادة، بل صارت هي مركز القيادة الفكرية، وهي بذلك تتنزع من الناس إقرارا شغويا، واعترافا كتابيا بعجزهم عن الانفصال من الفلسفة، أو التصرف في قضاياهم بعيدا عنها، وإنما لابد لهم من إحالة هذه المشكلات إلى الفلسفة والفلاسفة، إلى الحكمة والحكماء الذين يملكون ناصية التوجيه الفكري<sup>(٢)</sup>، كما يمكنهم رسم خطوط عريضة لبناء المجتمعات الفاضلة، أو المدن واليوتوبيا المثالية، ويعملون على إيجاد أنظمة متميزة تسير خطوات الزمان، أو تعدو سابقة عليها، تكون من أبرز المهام الموكلة إليها، نظرياً المجتمع كله، والعمل على الارتقاء به من كافة النواحي.

ومن المؤكد أن من وظائف الفلسفة الهداية الفكرية والإرشاد العلمي، والسعي لمصالح المجتمع، وبالتالي فهي تقوم بدور القيادة الفكرية التي تأخذ بيد الأمة إلى الأمام<sup>(٣)</sup>، وتمنعها من التقهقر أو الانحرام، وتقذرها من ركاب الأحلام ورجام الأوهام وتجعلها تعيش الحقائق فترفض قبول الأوهام.

أجل من وظيفة الفلسفة إعداد قادة، لكن لا يكفي قصرها على مجرد الإعداد للقادة، وإنما لابد من أن يكون هؤلاء القادة متجددي الفكر، وإلا فما قيمة قيادة تنعم بالكسل وتخلد إلى الراحة، رصيدها ما تركه الأجداد، ومفخرتها ما آل إليهم عن غيرهم، ولم يكن لهم فيه أدنى نصيب، ومن ثم فإن من وظائف الفلسفة إعداد قادة متجددي الفكر، متحرري الإرادة، فيهم بعد النظر، يناسب التواضع الطبيعي<sup>(٤)</sup>، الغياض بالتقدير والاحترام.

(١) الدكتور: فوزية محمد الأنور - القيادة ومستوياتها ص ٨١ .

(٢) الدكتور: السيد محمد الحسين - الفلسفة والقيادة الناجحة ص ١٤٧ .

(٣) الدكتور : أحمد فؤاد الأهران - المدارس الفلسفية ص ١١ .

(٤) هناك تواضع طبيعي أخلاقي يدفع إليه الدين الإسلامي وتصوره الحكمة، وطبيعته السرك امتياز، وهناك تواضع حكمة، يدفع إليه المكر، وادعاء الاستحياء، وتصوره المفردات الجوفاء، ويكشف عنه التعامل الحاد ، السدى بمصحه، ويجعل صاحبه في عداد المحاذين، وقد أنشأت قصيدة في هذا الشأن بعنوان (مكمكم لله) [ راجع كتابنا: دعوة مظلوم ونفثة مهموم - الديوان الثالث عشر ]

ولا تعجب إذا أدركت أن تصدر القيادة الفكرية والزعامة الاجتماعية التي حازتها الفلسفة والفلاسفة كانا من أسباب بغض الفلسفة والفلاسفة معاً، وبخاصة إذا وقع البغض والحسد من جانب أولئك الذين فعدت بهم ظروفهم الحياتية، عن مسابقة الفلسفة في ذبوعها والفلاسفة في بعد الصيبت وانتشار الخير، حيث لم يتألوا ذلك الشرف، ولم يبلغوا في الناس الشأوا الذي كم تمنوه - أو تطلعوها إليه - أو أشير إليهم بأنهم الموسومون به، فلما لم تدرك الفلسفة جيبها إليهم، ولم ينلهم أمره، اتهموا الفلسفة بالجمود، والفلاسفة بالانزعال<sup>(١)</sup>، أو غيرها من الاتهامات، التي رفضتها الفلسفة والفلاسفة معاً.

ومن المؤكد أن محي الفلسفة يعشقونها، ويفرقون في بنائها حتى الأنوف، وهذه المكانة العالية التي للفلسفة في صدورهم، جعلتها تقف على قمة العلوم، كما أدركوا أن هذه المرتبة العالية للفلاسفة بين المفكرين والعلماء تفوق كل خيال، وبالتالي فهم يعتبرونها - الفلسفة والفلاسفة - العناصر المثالية في كل مجتمع، حتى يغلوهم في عقولهم موقع الصدارة والافتداء، وحينئذ يستقر في نفوس الناشئين والراغبين في البحث والمعرفة، حب الاقتداء هؤلاء الفلاسفة، الذين وقفوا أنفسهم للبحث والتنقيب عن الحقيقة، ووهبوا حياتهم لتعليم الناس مبادئهم، ويعرفوهم بأدق آرائهم، مهما لاقوا من الأذى والإهانة، فننهج طريقهم، ونسير على هديهم<sup>(٢)</sup>.

يبد أن البحث العلمي الموضوعي ينظر إلى الفريقين - فريق حصوم الفلسفة وفريق المحبين لها - نظرة محايدة، فيها شيء كبير من الموضوعية، فيرى أن كليهما قد جانيه الصواب في بعض الرأي، وظاهرة الصواب في البعض الآخر؛ لأن كل فريق منهما قد بحث عن جانب وركز عليه أما قدحا فيه، أو مدحا له، متناسيا باقي الجواب عن قصد، أو سقطت منه بحسن نية، وبالتالي فككل حكم من هذه الأحكام يقبل الاستئناف والنقض، وسائر أنواع دعاوى إبطال الأحكام.

والناظر في التاريخ الفكري العام للإنسانية جمعاء، يراه قد طفق متحدثاً عن الريادة الفكرية للفلاسفة، والسبق الفني للفلسفة، كما حدثت عن تضحياتهم الكبيرة التي بذلوها<sup>(٣)</sup>، فمنهم من أغرق، ومنهم من أحرق<sup>(٤)</sup>. ومنهم من تفرغ النسم مكرها، ومنهم من طغى جسمه بالفار، واشتعلت فيه النيران، حتى ظهرت في سماء المدينة التي ينجم بها، ومع هذا كانوا أعلاما في أوقامهم، قادة في أئمتهم،

(١) الدكتور السيد محمد الحسين - الفلسفة والقيادة الناحية ص ١٥٢، وراجع للدكتور محمد غلاب - نظرية المعرفة عند معكرى المسلمين أثناء حديثه عن دواع بغض الإمام الغزالي للفلاسفة، واستشهد الدكتور غلاب بتصوير الإمام ابن العربي لتسمية الإمام الغزالي.

(٢) الدكتور عوض الله جاد حجازي، والدكتور محمد السيد نعيم - في تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٤ ط ٢.

(٣) الدكتور: وفاء محمد طهران - الفلسفة بين الحقيقة والخيال ص ٧٧ ط أول ١٩٦٥م.

(٤) الإحراق إيقاع نار ذات لب في الشيء ومنه استعير أحرقت لومه إذا بالغ في أذاه بلوم، وقيل: الإحراق ذهاب مسورة الشيء وروحه ذهابا بإصابة قاصف لطيف يشيع في كلبته فيغنيه. [التعاريف ج ١ ص ٤٠]

علماء في فكرهم، رواد له في المجال الفلسفي لمن يحيطون بهم، ويكفى أن تقرأ في تاريخ الفلسفة عن جبهة المشائين، الذين انتعلوا وجه الأرض، وتدققوا خلف معلمهم رغبة في العلم، وحرصاً عليه وحبا له، وكان فيهم أبناء النبلاء، وبينهم رجال المال والأثرياء<sup>(١)</sup>، بل كان فيهم الذين تدقق الحياة معهم أחרاراً، ولكنهم فضلوا انتعال الأرض، والتعلق بمعلمهم إلى أقصى مدى.

إذن تجديد الفكر يعتبر ضرورة، حتى يواكب روح العصر، الذي تعيش فيه تعاليم ذلك الفيلسوف، إذ ليس من المعقول أن تظل الأفكار ثابتة جامدة في مكانها لا تتغير، مع أن الزمان حركة مستمرة متغيرة لا تتوقف<sup>(٢)</sup>، بل ثبات الأفكار على حالة واحدة، يعتبر من الأدلة على عقم العقول مادامت الأفكار الثابتة من صنع البشر، والمعروف أن كل عصر تأتي إفرزاته الفكرية في حساب يواكب العصر الذي يعيشه، فإذا انتهى العصر القائم، صارت الأفكار مستهلكة غير صالحة للبقاء، كما أنها لا تفيد جديداً، ولا تقدم صورة لمواقف تصلح أرصدة مستقبلية.

❖ مثال ذلك: كان حكماء الصين يعتقدون في غيبيات صنعتها خيالهم، لا دليل عليها من الناحية الشرعية، ومع هذا طوروا في تلك العقائد، من حيث التناول لها تارة، والعرض أخرى، ثم حدث تطور آخر فيه، تم الاستغناء والتنازل عن بعض الأساطير المرفقة في الخيال، والإمساك ببعض الذي يمكن أن تقف له بعض الشواهد، أو بعض الآثار، وذلك يمثل نوعاً من التجديد السريع للفكر، الذي كان عليه أن يسير المجتمع، ويتغير عليه تقدمه<sup>(٣)</sup>.

وكان اليونانيون القدماء يعتقدون بوجود جملة من الآلهة المتعددة، تسكن فوق السحاب، وعلى قمم جبل الأولمب في اليونان، وكان كل إله مختص بنوع من الظواهر الكونية، فالشمس وشرورها، ومسيرها نحو المغرب من فعل الإله أبولو، وهطول المطر من فعل الإله جوبيتر، وهناك آلهة للحب والجمال والحكمة والحرب، وهذه الآلهة لا تتورع عن الشر والحسد والغيرة والصراع على ملذات الحياة، وظل هذا الفكر الأسطوري فترة من الزمان<sup>(٤)</sup>، محل قبول أو تردد.

وكان البابليون هم الآخرون يعتقدون بوجود جملة من الآلهة - من أشهرها: الإله عموز<sup>(٥)</sup>،

(١) الدكتور: محمود حسين الليلى - تاريخ الفلسفة ج ٢ ص ٧٣ - طبعة الدار المنصورة ١٩٧١م.

(٢) ليونانيين - الزمان حركة متدفقة ص ٥٧ - ترجمة رمضان سعد - ط ١٩٥١/٢م بالكويت.

(٣) الدكتور: رفاء محمد طهران - الفلسفة الحقيقية والخيال ص ٩١ ط ١٩٥٧م.

(٤) الأستاذ: أنور الجندي - الإسلام والفلسفات القديمة ص ٥١ ط دار الاعتصام.

(٥) الإله عموز عند البابليين، كانوا يعدونه إله الأرض السفلى، وكانوا يتصورون أنه يموت سنوياً، ثم يعود للحياة مع السنة الجديدة، وكان البابليون يختفون به في إطار طقوس داعة، فيزاول فيها الرجال والنساء الدعارة، وكان اليهود يفعلون كل ذلك في عبادة عموز داخل هيكل أورشليم نفسه. [ رابع ول ديورانت - قصة الحضارة ١٢ ص ٢٢١/٢٢٩ ]

والإله عشتروت<sup>(١)</sup> - الذين ينتقلون من مكان إلى آخر، ويجلسون ويقومون، بل كان هؤلاء الآلهة يشاركون أفراد المجتمع في كل مكان، وهم في ذات الوقت يحلون في بعض الأفراد، ويتحدون جالاً الآخر، وقد يحلون ويتحدون بغيرهم على أنهاء شئ<sup>(٢)</sup>.

لكن هذه الأفكار لم تقف جامدة أو تؤدي على هيئة ثابتة، وإنما راح البابليون المستحدثون يعيدون النظر فيه، حتى جعلوا هذه الآلهة المتعددة تتحد فيما بينها، ويصير العدل أبرزها، والقسط والجبران نوابا عنه، ورغم أنها عقائد وثنية<sup>(٣)</sup>، إلا أنها أثبتت حركة الفكر المتحددة التي يقوم بها الفلسفة كوظيفة من وظائفها.

❖ إذن يمكن القول بأن الفكر لا يمكن أن يظل جامداً، وإنما لابد له من الحركة المنطلقة على سبيل الإطراد. أما لماذا؟

❖ فلأن العقل يرفض أن يكون العالم محلاً لتزاغ الآلهة، مهما كانت ثقة الناس في الأساطير التي ترسم سطوة هذه الآلهة، أو تحكى عن سلطانهم، بدليل أن كل جيل يأتي من بعده فيعمل على مراجعة ذات الأفكار، ثم ينقض منها ما يراه غير قادر على الدفاع نفسه.

كما أن أرسطو نفسه لم يصدق أسطورة الآلهة المتعددة، التي يقع بينها التنازع، ولكنه اعتقد في إله واحد يكون معبراً عن هذه الآلهة المتعددة، وسماه المحرك الأول، ووصفه بأنه ثابت لا يتحرك،

(١) الإله عشتروت: هو إله السماوات وإله القمر، وأما زوجة الإله مموز، وهي أخته في نفس الوقت، وكان النساء يراولسون الدعارة في جيكليا بئلا، ويطرزن حيمينت غارا، وقد أدخلت عبادتها في بني إسرائيل في بداية عهد الانقسام، كما طلبوا بعدوها في كل مراحل تاريخهم القديم. [ راجع في هذا الشأن: دكتور جوستاف لوبون - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٦٧، وراجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢٨ ]

(٢) ما يكل هير - آفة البابليين القدماء ص ١٥٢ - ترجمة خالد عبدالعظيم - ١٩٥٧/٣ م، ولا تحت أدق تقدير لفكرة تعدد الآلهة، التي كان بعض القدماء يلحون إليها، لأن الفطرة السليمة والعقل يستقيم بقرآن بأ، الله واحد. لا شريك له، وأن هذه العقيدة هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها. قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ سورة البقرة - الآية ١٣٠ ]. يقول العلامة الطبري: « يقول الله تعالى ذكره فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته وهسي الدين حنيفاً يقول مستقيماً لدينه وطاعته فطرة الله التي فطر الناس عليها يقول صفة الله التي خلق الناس عليها، وقال ابن زيد في قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها قال الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعاً بقرون بذلك وقرأوا أحسن وبلغ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال فهذا قول الله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين بعد. وقوله لا تبدل خلق الله يقول لا تعير لدين الله أي لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل » [ العلامة الطبري - جامع البيان ج ٢١ ص ٤٢/٤٠ ]

(٣) الدكتور محمد السيد عبدالله - العقائد الوثنية ص ١٧٣ ط ١٩٥٧ م.



وإنما العالم هو الذى يتحرك لشوّه، ويندفع إليه فى حركة شوق وانجذاب، كما وصفه بأنه عقل خالص، ومرة أخرى يسمه بأنه عقل محض<sup>(١)</sup>.

ومع أن أرسطو لم يصب الحقيقة، بل كان فى الضلال واقعا، إلا أنه رفض فكرة الآلهة المتعددة، وانتقل إلى فكرة الإله الواحد، وإن أخفق فى التعرف عليه، أو الوصول إليه، لكنه بذل جهدا فكريا، قصد به تحرير الفكر من الأساطير المعبودة، وانتقل به من ميدان إلى آخر، فكان ذلك بمثابة نوع من التجديد للأفكار المطروحة، ورغبة فى التحلى عن الأساطير التى لا دليل عليها.

ومن المؤكد أن التجديد الفكرى يمثل نوعا من أنواع الدعم العقلى للقيم تارة والأخلاق أخرى، ويدفع إلى التأمل المتواصل فى الحياة المعاصرة وأنماطها المختلفة، التى قد تهددها الأخطار على نحو لم يسبق له مثيل<sup>(٢)</sup>، إن هى استمرت على ذلك اللون من التفكير الجاد، والأساطير التى اتخذها الناقلون لها، ولم يبذلوا جهودا فى التعرف على الحقيقة.

ربما يظن البعض أن تجديد الفكر يقصد به الثورة على النصوص الدينية، أو الرموز أو القواعد الدينية، ولكن هذا أمر غير وارد على الإطلاق من جانبى على الأقل. أما لماذا؟

فلأن هناك فارقا جوهريا بين الدين والفكر، لا يمكن تجاوزهما، أو الاقتراب منه، فضلا عن القفز فوقه، إذ الدين الإسلامى يقوم على النقل المتزل، وهو نص إلهى مقدس معصوم، لا غنى الزيادة عليه أو النقصان منه، كما لا يقبل التحريف<sup>(٣)</sup> أو الإضافة ولا التعديل؛ لأنه هكذا أنزله الله رب العالمين، وسيظل إلى أن يرث الله العالمين، وذلك مما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة.

﴿فمن القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾<sup>(٤)</sup>﴾.

(١) الدكتور رمضان حسن السريطى - الفلسفة اليونانية ص ١٢٥

(٢) الدكتور محمود رجب - الميثاقية عند الفلاسفة المعاصرين ص ٢١٢ ط ٣ دار المعارف مصر ١٩٨٧ م.

(٣) حرف كل شيء طرفه وشفره وحده و الحرف واحد حروف ينتهي وقوله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ قالوا على وجه واحد وهو أن يعبد على السراء دون الضراء وحرف محارف بفتح الحاء أى عبادة محروم وهو ضد المبارك وقد حورف كسب فلان إذا شدد عليه فى معاشه كأنه ميل برزقه عنه وفى حديث من مسعود رضى الله عنه موت المؤمن عرق اخين ببقى عليه النقية من الذنوب فيحارف بها عند الموت أى يشدد عليه لتمحصر عنه دنوبه و الحرف بوزن القفل حب الرشاد ومنه قيل شيء حريف بالكسر والتشديد للذي يلدغ اللسان بخرافته وكذلك بعض الحرفاء أيضا الاسم من قولك رجل محارف أى متقوس الحظ لا ينسى له مال وكذا الحرف بالضم الحسرى وسبب

وتحريف القلم قطه محرما ويقال انحرف عنه وتحرف واحروف أى ما و - -

مادة: ح ر ف

(٤) سورة الحجر - الآية ٩

❶ يقول الإمام القرطبي<sup>(١)</sup>: « قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ يعني القرآن وإنا له لحافظون من أن يزداد فيه أو ينقص منه قال قتادة<sup>(٢)</sup>: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلاً أو تنقص منه حقاً فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظاً وقال في غيره بما استحفظوا فوكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا<sup>(٣)</sup>، وقيل: ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ أي أحمد صلى الله عليه وسلم من أن يتسول علينا أو نتقول عليه أو ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ من أن يكاد أو يقتل نظيره والله يعصمك من الناس<sup>(٤)</sup>.

❷ ويقول الإمام الفخر الرازي<sup>(٥)</sup>: « إنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ، فإنه لا كتاب إلا

(١) الإمام القرطبي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الحزرجي الأندلسي القرطبي، استقر آخر حياته في مدينة الميناء أعمالها، وتوفى ودفن بها ليلة التاسع من شوال سنة ٦٧١هـ. [راجع في هذا الشأن - الجملع لأحكام القرآن للقرطبي - ج ١ ص ٨/٧ - دار الفد العربي ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م - ط ١، وطبقات المفسرين للسدادوي ج ٢ ص ٦٩]

(٢) هو قتادة بن دعامة بن عريز السديس البصري، من الثقات الإتيان، كان حجة في الحديث مأمراً، توفى سنة يئضع عشرة ومائة. [راجع لهذب التهذيب ج ٨ ص ٣١٥، وتقريب التهذيب ج ٢ ص ١٢٣]

(٣) ينكى أنه كان للمأمون مجلس يدخل فيه حملة الناس - بمجلس المأمون - فدخل رجل يهودي حسن التوب حسن الوجه طيب الرائحة قال فحكلم فأحسن الكلام والعبارة قال فلما تقرض المجلس دعاه المأمون فقال له إسرائيل قال نعم قال له أسلم حتى أقبل بك وأضغ ووعده فقال دني ودين أبائي وانصرف قال فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً قال فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فلما تقرض المجلس دعاه المأمون وقال ألت صاحبنا بالأس قال له بلى قال فما كان سبب إسلامك قال انصرفت من حضرت فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط، فعملت إلى السورة فكشيت ثلاث نسخ فزوت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشترت مني وعملت إلى الإنجيل فكشيت ثلاث نسخ فزوت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشترت مني وعملت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزوت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصمحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها طم يشتروها فعملت أن هذا كتاب مغرور فكأن هذا سبب إسلامي .... ومصدق هذا في كتاب الله ﷻ في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل بما استحفظوا من كتاب الله فعمل حفظه إليهم فضاء وقال ﷻ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فحفظه الله ﷻ علينا فلم ينقص. [الجملع لأحكام القرآن - ج ١ ص ٦]

(٤) العلامة القرطبي - الجملع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٠/٥. وخن يجوز أن يكون موضعه رفعا بالابتداء. ونزلنا الحشر والمحملة خبر إن ويجوز أن يكون خن تأكيداً لاسم إن في موضع نصب ولا تكون فاصلة لأن الذي بعدها ليس بمعرفة وإنما هو جملة والمحمل تكون نمونا للكرات فحكمها حكم الكرات. [نفس المصدر]

(٥) الفخر الرازي هو صاحب التفسير والتصانيف ويعرف بابن خطيب الري، اسمه محمد بن عمر بن الحسين بسن علي القرشي النخعي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار، له نحو من مائتي مصنف منها التفسير الحافل والمطالب العالية والمساح الشرفية والأربعين وله أصول الفقه والمغصول وغيره وصف ترجمة الشافعي في مجلد مفيد. ولد رحمه الله في رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسائة. وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم وبيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى، وقد وقع بينه وبين الكرامية في صولات، وكان يفتنهم ويغضونه وبالعون في الخط عليه وبالع هو أيضاً في ذمهم، وقيل لهم وضعا عليه من سقاء سما فمات ففجراً بموته. وكانت وفاته بمدينة هراة يوم عيد الأضحى المبارك في ذي الحجة سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، ولا كلام في فضله ولا فيما كان يعاطاه. [راجع البداية والنهاية لابن كثير - ترجمة الفخر الرازي - ٣٧٧/١٠. وراجع الإمام فخر الدين الرازي - حياته وآثاره - للدكتور علي محمد حسن العمادي - المجلس الأعلى للثغون الإسلامية ص ٥٠٦ سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م - مؤسسة دار التحرير للنشر والطبع، وراجع طبقات الشافعية للعلامة السبكي - ج ٥ ص ٤٠]

وقد دخله التصحيف<sup>(١)</sup> والتحريف<sup>(٢)</sup> والتغيير، أما في الكثير منه أو القليل، وبقاء هذا الكتاب الكريم مصوناً عن جميع جهات التحريف، مع أن دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات.

وأكبر الأدلة على صدق الآية الكريمة في أنه منزل من الله تعالى، وأنه باق إلى ما شاء الله في علمه، وأيضاً أخبر الله تعالى عن بقاءه محفوظاً عن التغيير والتحريف<sup>(٣)</sup>، وانتضى الآن ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان والقرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالى له، والحمد لله، فكان هذا إختباراً عن الغيب، وكان ذلك أيضاً معجزة قاهرة.

﴿ومن السنة النبوية المطهرة قال صلى الله عليه وسلم: «ترك فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ»﴾<sup>(٤)</sup>، وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»<sup>(٥)</sup>. وقوله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(٦)</sup>.

﴿ومن السنة النبوية المطهرة الصحيحة أيضاً كلام الله بعماء؛ لأن اللفظ من عند رسول الله ﷺ الذي عصمه الله تعالى. قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ إن هو إلا وحي يوحى \* علمه شديد القوى﴾<sup>(٧)</sup>.

أما الفكر الإنسان فأمره مختلف، لا هو مقدس، ولا هو من عند الله تعالى، ولا هو معصوم، إنما يقبل الريادة والنقصان والإضافة والتعديل، لكنه يمثل حركة في الذهن لفهم العقول والتعبير

(١) التصحيف : معناه كتابة الكلمة أو قرأتها على غير صحتها . [ المنعم الوجيز ص ٣٦ ]

(٢) التحريف : معناه إمالة الكلام وتغييره وصرفه عن معانيه . [ المنعم الوجيز ص ١٤٥ ]

(٣) الإمام فخر الدين الرازي - مفاتيح الغيب ٩م ج ١١ ص ٣٩٠.

(٤) الإمام الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥/٣٢١هـ) - المستدرک علی الصحيحین - طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٤١١/١٩٩٠م الأولى - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ج ١ ص ١٧١ - الحديث رقم: ٣١٨، وراجع سنن البيهقي الكبرى ج: ١٠ ص: ١١٤ - الحديث رقم: ٢٠١٢٣ ]

(٥) راجع كبر العمال لشمس الدين - الباب الثاني في الاعتماد بالكتاب والسنة - الحديث رقم: ٨٨٠. وهذا جزء من حديث طويل، وإجماعنا نحن أهل الإسلام على أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة هما النقل المدلول من عند الله تعالى - وهما معا مصدر واحد في التشريع الإسلامي - فمن كفر بواحد وأمن بالآخر فهو كافر بما معاً؛ لأنهما جزءان لشيء واحد. [ راجع في هذا الشأن كتابنا: الدرة الثيرة في الدفاع عن السنة النبوية المطهرة ج ١ ص ٥٧ ط ١٩٩١م ].

(٦) الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله النيباني المولود في ١٦٤هـ والمتوفى في ٢٤١هـ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ج: ٤ ص: ١٣٠ - الحديث: ١٧٢١٣ - مؤسسة قرطبة - مصر .

(٧) سورة النجم - الآيات ٥/٣ .

عنها بالفاظ مكتوبة أو منطوقة، أو وسائل إيضاح فردية أو جماعية، إلى غير ذلك من الوسائل التي تنقل الفكر من صورته الذهنية إلى صورة من الصور الأخرى.

وهذا الفكر الإنسان قابل للتعديل والحذف والإضافة والقبول والإنكار؛ لأنه فكر بشري، وإنتاج ذهن ومطروح موضوعي معرفي، وهو في كل حالاته أمر نسي لا مكان فيه للحكم عليه بأنه مطلق، أو القول بأنه ينتج الحقائق الثابتة، والقواعد الكلية، باستثناء علم الرياضة في جانبه من الكم المنفصل، وبخاصة علم الحساب، وعلم الجبر؛ لأن الدلائل عليهما برهانية، ولا يمكن على البرهان، إن الله تعالى طلب من أصحاب الدعاوى إقامة البرهان الذي بأيديهم عليها.

﴿قال تعالى: ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هتفوا بهانكم إن كنتم صادقين﴾<sup>(١)</sup>﴾.

﴿يقول العلامة الطبري: «يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون أيها القوم خير أم الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، فينشئه من غير أصل، ويتدعه ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهينته قبل أن يفنيه، والذي يرزقكم من السماء والأرض فيزل من هذه الغيث، وينبت من هذه البسات لأقواتكم وأقوات أنعامكم، أإله مع الله سوى الله يفعل ذلك، وإن زعموا أن إلها غير الله يفعل ذلك أو شيئا منه، فقل لهم يا محمد: هاتوا بهانكم، أي حجتكم على أن شيئا سوى الله يفعل ذلك إن كنتم صادقين في دعواكم»<sup>(٢)</sup>﴾.

﴿ويقول العلامة القرطبي: «فكان هؤلاء كانوا يقولون انه الخالق الرازق، فألزمهم الإعادة، أي إذا قدر على الابتداء، فمن ضرورته القدرة على الإعادة، وهو أهون عليه، ﴿أإله مع الله﴾ يخلق ويرزق ويبدئ ويعيد ﴿قل هاتوا بهانكم﴾ أي حجتكم إن لي شريكا أو حجتكم في أنه صنع أحد شيئا من هذه الأشياء غير الله ﴿إن كنتم صادقين﴾ ثم تأتي الآيات بعد ذلك بتوجيه الاستهزاء هؤلاء المكذبين بالبعث على سبيل الاستفهام»<sup>(٣)</sup>﴾.

ولما كانت الفلسفة في نظر البعض من الدارسين هي: «معرفة النتائج من أسبابها والأسباب من نتائجها...، أو هي دراسة الموضوعات بالفكر، وبالتالي فإن تحديد الفكر الإنساني على العديد من النواحي، يعتبر من وظائف الفلسفة<sup>(٤)</sup>»، وإن رمت دليلا على أن تحديد الفكر هو واحد من

(١) سورة النمل - الآية ٦٤.

(٢) العلامة الطبري - جامع البيان ج ٢٠ ص ٥.

(٣) العلامة القرطبي - الجامع لأحكام الأحكام القرآن م ٧ ص ٥١٠٩. وراجع تفسير الطبري ج ٢ ص ٥.

(٤) جيمس جير - الفيزياء والفلسفة ص ٣٢، نسب التعريف الأول لخبر ١٥٨٨/١٦٧٩ م، بينما نسب التعريف الثاني للفيلسوف هيجل - ترجمة جعفر رجب.

وظائف الفلسفة، فانظر إلى المدارس الفلسفية من نقدية أو تأملية، ومن مثالية أو عقلية، ومن وجودية إلى براجمانية.

ناهيك بالحديث عن الفلسفة الإسلامية في المشرق والمغرب، التي قدمت العديد من الأدلة على وجود الله تعالى، كما زحفت إلى المسائل الخلافية، فقدمت وجهات نظر كان لها الكثير من القبول، كالحال مع مسألة القضاء والقدر، ومسألة خلق العالم، ومسألة إثبات المعاد الجسماني والروحاني<sup>(١)</sup>، وكلها كانت الفلسفة الإسلامية فيها سبابة لتحديد الفكر، وتحويله من ظواهر سلبية إلى نتائج غاية في الإيجابية.

وإن عدت إلى الوراء وبمعت وجهك شطر البحث ناحية الفلسفة الشرقية القديمة، والإغريقية في الماضي السحيق، أو المصرية لدى الفراعين، فسترى أنها جميعاً قد ساهمت في بناء الفكر وتجديده، باعتبار أن كل لاحق يعدل في السابق ما يرى تعديله ضرورياً، أو يحذف ما تكون الحاجة في حذفه أو تنحيته ضرورة لخدمة على العديد من النواحي التي تمثل روح التفكير العقلي الحر.

وليس الفكر الإنسان الذي تحده الفلسفة منحصر في معنى معين، أو موضوع محدد، إنسه ينساب في المعارف الإنسانية كلها، أخلاقاً ومعرفة، قيماً وعلوم؛ لأن الفلسفة لا تعرف موضوعاً تقف عنده، بحيث تعالجه وحده، وإنما تتناول كل ما يمكن للعقل تصوره على ناحية من النواحي، وهي في عالم الشهادة أكثر حركة وأسرع<sup>(٢)</sup>.

❖ **يقول بيري:** ليس هناك من سبب يدعو لأن تتطابق المبادئ العلمية على موضوع معين، وإن كان علم الفيزياء قد قاد الطريق في تطوير الطريقة العلمية وتحسينها، وفي التطبيقات التقنية، فإن هذا لا يعطيه الحق في التفرد بمملكة العلم<sup>(٣)</sup>، التي تقوم على الحركة الذهنية الدائمة، التي تنتهي غالباً بتجديد الفكر على ناحية من النواحي الرائعة.

❖ **ويقرر هيلموت بانفهر:** أن الفلسفة ما لم تحدد الفكر، فلا تكون فلسفة، باعتبار أن الحياة حركة مستمرة في امتداد واحد مع الزمان لا تنقطع، ولا يمكن الارتداد بها للخلف ولا النبات في الموقع الواحد، وكلما جاءت النتائج الفلسفية معيرة عن روح العصر الذي نعيشه؛ فإنها تختبئ العديد من الأنصار، وتفقد الكثير من الخصوم<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع على سبيل المثال لفيلسوف قرطبة أبي الوليد بن رشد - فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال، ولهافت التهافت، و منهاج الأدلة، ولابن سينا: رسالة أضحوية في أمر المعاد.

(٢) الأستاذ: ناظم محمد القبيع - الحركة الفكرية وتطورها المستمرة ص ٧٧، وهو يتحدث عن الحركة الفكرية كأنها تملك الانفعال التام عن الإنسان المفكر، وليس الحال كذلك، بل هناك ارتباط تام بين المفكر والحركة الفكرية على ناحية من النواحي.

(٣) رالف بارتون بيري - إنسانية الإنسان ص ٢٠ - ترجمة سلمى الحفراء - دار مكتبة المعارف - بيروت ١٩٦٦م.

(٤) هيلموت بانفهر - الفلسفة والإنسان المعاصر ص ٧٣ ترجمة هناء صبرى ط ١٩٦٥م.

### ❖ إذن من المؤكد ضرورة القول بأن الفلسفة ..

- [أ] تمهد العقل والمجتمع لظهور قيادات فكرية جديدة متميزة.  
 [ب] تعين على ظهور كواكب فكرية تواكب روح العصر.  
 [ج] تنولى زمام القيادة الفكرية.  
 [د] تدفع إلى تجديد الفكر الإنسانى على الدوام، من خلال تنقيح الأفكار وتنقيتها، فمما كان صوابا على سبيل الرهان، أمكن التمسك به، وما كان قابلا للترجح والرجحان، تظل حركة الترحيح فيه قائمة<sup>(١)</sup>، وكلما أمكن الوقوف على قضايا برهانية، أمكن التصديق بها واستعمالها.

❖ وقد يتساءل المرء قائلا: إن الجانب الإيجابي في الفلسفة، لا يمثلها كلها على الناحية النظرية، يفقد ما يمثل الجانب العملى وحده، وفرق بين الفلسفة في جانبها النظرى، الذى هو محل الحما، وبين الفلسفة في جانبها العملى، الذى هو محل قبول، وهذه التفرقة تحتاج مراجعة، حتى لا يتم الحكم على الفكر من خلال جانب واحد بالإدانة له قدحا، أو التزكية مدحا؟

❖ والجواب: أن العمل هو الذى يمثل الصورة الصحيحة للتطبيق الفكرى، كما أن العمل هو فاعلية ما للفكر من وجود حقيقى، بيد أنه ليس فاعلية ترقى إلى إيجابية التفكير فحسب، حيث في العمل يوجه تفكيرنا دائما نحو إنتاج نتيجة ما، بله الفكر الصادق نفسه<sup>(٢)</sup>، حتى هذه النتيجة المؤكدة - ضرورة وجود علاقة بين الفكر والعمل - لم تسلم من الضغط عليها، رغم أنها في الواقع تمثل ضرورة فلسفية في الانبعاث إليها على الدوام.

كما أن العمل على إبراز قيادة فكرية واعية، إنما هو من وظيفة الفلسفة، التى تعمل على تطوير التفكير، وهذه الوظيفة تمثل دورا مهما نتج عنه لدى الشرقيين من الفلاسفة ما يلي:-

#### ❖ د. رفض العزلة الفكرية:

لأن الفكر الشرقى تحكمه طبيعة رقيقة، كما تحكمه روابط اجتماعية، وقيم دينية، وهو بين هذه الروابط والقيم يمر شوطه الحياتى كله، بل هي حلقة متجانسة، تمثل تكاملا من كل ناحية، وازدواجية تفرضها ضرورة الفكر، التى هي نواة العمل، ولا يمكن فصل أى منها عن الآخر<sup>(٣)</sup>، وإلا فقد كل منهما فاعليته، وانتهت مسأله وضاعت أسسه.

❖ بد التوافق التام بين ميادين الفلسفة: معروف أن للفلسفة ميادين ونظرات، ومناهج وموضوعات كنظرية الوجود، ونظرية المعرفة والقيم، ونظرية الفن والنظام السياسى والسلوك الإنسانى، وغير

(١) تلك الجوانب أراها قائمة في الفلسفة، فإن أمكن لغيري اقتناص غيرها، فكلنا نحمد الله على التوفيق، ونسأله السداد.

(٢) أ.أ. ميلر - المعلم الأول أرسطو ص ١٣١ - ترجمة محمد زكى حسن - مكتبة الخافى .

(٣) الدكتور: عيسى حسن جميل - الفلسفة والحركة الفكرية ص ٥١ ط ١٩٧٧م.

ذلك من النظريات المستحدثة والكلاسيكية والجوانب التي تخص الفلسفة وحدها<sup>(١)</sup>، كمبادئ ونظريات، والشرق لا يفصل بينها جميعا وبين الحياة العامة، إنما يعمل على دمج هذه النظريات، وخلطها بأنماط الحياة العامة، بحيث يقع بينها التكامل، بغية تقديم غرض واحد هو خدمة المجتمع الإنساني كله.

#### ج. أهميتها الحقيقية للحياة:

كثير من الفلاسفة ربما انحازوا إلى أن التفكير العقلي ليست له ضرورة حقيقية، وإنما هي حدود متوهمة، باعتبار أن الفكر الإنساني حلقات تتكامل بعضها مع البعض الآخر، من ثم فإن الفكر الشرقي يؤكد على أنه يجب حمل الفلسفة حمل الجد البالغ حد التمكن من غير تمادون أو مهادة؛ لأن الفلسفة في الشرق ليست أمرا مجردا، متسما بالطابع الأكاديمي، أو لا تربطه كبير صلة بالحياة اليومية، وإنما ينظر إليها باعتبارها المشروع الأكثر أهمية وجذرية للحياة<sup>(٢)</sup> العامة التي يتشارك فيها أفراد المجتمع الإنساني كله، والفلسفة بهذا تؤدي دورا هاما في بسط قضايا المجتمع ومعالجتها بصورة أكثر رقيًا، وأعلى تقدما.

لكن من المهم القول بأن تجديد الفكر المراد هنا، إنما هو نوع من التوسع في استعمال معنى العلم وتوظيفه في شكل جديد، من خلال طرح جديد لمفهومه، بحيث يقع التكامل بين العلم والطبيعة الفيزيائية من ناحية، والطبيعة البشرية من ناحية أخرى، حتى يتجاوز العلم حدود التخصص البيئي، فيشمل أنواعا عديدة من المعارف يطلق عليها جميعا اسم علم<sup>(٣)</sup>.

وسواء أقبل هذا الرأي أم رفض، وسواء أتم التعديل فيه، أم ترك على ما هو عليه، فإن الذي لا يمكن الانفلات منه هو أن عملية التجديد للفكر لا تنقطع، وإلا انقطع الفكر نفسه، كما أنها عملية عقلية ووظيفة فلسفية، وعمل من أعمالها التأملية والنقدية أيضا، وإن اختلفت المفاهيم بالنسبة لأصحاب الاتجاه النقدي عن مفاهيم أصحاب الاتجاه التأملية.

#### ٤. دراسة النظم الاجتماعية وتأثيرها بالمذاهب الفلسفية

لكن مجتمع من المجتمعات الإنسانية مناهج وموضوعات، بل ونظم اجتماعية، تحتاج تحليلًا فنيا دقيقًا، وتقديم حلول أفضل لكل مشكلة من مشكلاتها، ولا يكون ذلك إلا بمعايشة النظم الاجتماعية معايشة تامة؛ لأن النظر إلى النظم الاجتماعية يستلزم دراستها على ناحية تفصيلية،

(١) هذا التمييز يعتبر ضرورة عقلية، وينسجم في أغلب الأحيان بالنظرية المتأنية، كما أن أحكامه تكون فيها المرونة والدقة، وذلك من ضرورات البحث العلمي.

(٢) جون كولر - الفكر الشرقي القديم ص ٢١ ط ١٩٦٧ م.

(٣) الدكتور: حمدي حسن جميل - الفلسفة والحركة الفكرية ص ٦٢.

والتعامل معها في حدود الظروف المحيطة بها<sup>(١)</sup>، ومن ثم فقد ذهب الكثيرون من الدارسين إلى أن من وظائف الفلسفة معايشة النظم الاجتماعية معايشة تامة، ثم تحليل تلك النظم وبيان حاجة المجتمع إلى هذه النظم من عدمه.

وبقدر ما تؤديه تلك النظم من فوائد، بقدر ما يمكن المحافظة عليها، أما ما لا فائدة من ورائه فيجب على العقل الذكي الفرار منه والتخلي عنه، بل والمطالبة بإلغائه متى أمكن، ولا يكون ذلك صحيحاً إلا بمراقبة النظم القائمة على سبيل الاستقلال الواحدة تلو الأخرى، أو الواحدة بعيداً عن باقي الأنظمة<sup>(٢)</sup>، ثم تحليل كل واحدة منها على سبيل الاستقلال، ثم ربط هذه النظم مع بعضها في سلسلة واحدة، تؤدي في النهاية إلى الأغراض المنشودة بها.

فمثلاً: ظاهرة العنوسة في النساء، والعزوبة في الرجال مثالان لظاهرة اجتماعية غير طبيعية؛ لأن الله تعالى خلق الناس ذكراً وإناثاً<sup>(٣)</sup>، وجعل بينهما المودة والرحمة<sup>(٤)</sup>، وكلما انتشرت العنوسة

(١) الدكتور وفاء السيد عبدالحق - الفلسفة الاجتماعية ص ٧٧ ط ٢ دار السند ١٩٦٧م.

(٢) الدكتور: عبدالمعطي عبدالباقى رزق الله - الفلسفة والعلم ص ٨٥ ط ١ مكتبة رزق الله ١٩٥٣م.

(٣) بل إن الخلق الروحي ثابت في كل الكائنات مخلوقة. قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الذاريات - الآية ٤٩]

(٤) قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. [سورة الروم - الآية ٢١] «حيث أحل الله تعالى التزوج ببعض النساء دون بعض، مراعاة لمصالح ترجع في الكثير منها إلى فتح الباب لإنشاء علاقات لم تكن موجودة، و توثيق علاقات ضعيفة، أو الإبقاء على روابط وثيقة توجعها العلاقة الزوجية، وما فيها من تبادل الحقوق والواجبات إلى التمتع والتغطية». [الدكتور على حسب الله - أصول التشريع الإسلامي ص ٤٢٦ - الطبعة الخامسة - دار المعارف - بمصر ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م] ومن ثم؛ نظمت الشريعة الإسلامية إقامة تلك العلاقات على أسس سليمة وقوية، تبتدئ بالخطبة التي هي وعد سابق بنكاح لاحق. [الدكتور محمد عبدالواحد عبدالهادي - مقاصد الشريعة الإسلامية ص ١٢٩ سنة ١٩٥٧م] ثم عقد النكاح الذي يقوم على الإيجاب والقبول طبقاً لقاعدة العقود الشرعية، ولما كان عقد النكاح في الإسلام تترتب عليه حقوق لكل من الطرفين، وتقوم عليه واجبات كل منهما نحو الآخر، فقد اعتبره الإسلام هو النكاح، وجعل له ضوابط يقوم عليها هي: ١- الزوج. ٢- نروجة. ٣- الولي. ٤- شاهدي عدل. وفي الحديث الشريف «عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل». [الطبراني - المعجم الأوسط ج: ٩ ص: ١١٧ الحديث رقم: ٩٢٩١، والمهيني - مجمع الزوائد ج: ٤ ص: ٢٨٧/٢٨٩ وأخرج الترمذي - سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٠٧ - باب ما جاء لا نكاح إلا بولي حديث رقم: ١١٠١ عن أبي موسى قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي» وذكره الدارمي - سنن الدارمي ج: ٢ ص: ١٨٤ - ١١ باب النهي عن النكاح بغير ولي حديث رقم: ٢١٨٢ وفي سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ٥٦ - باب ما أبيح له من النكاح بغير ولي وبغير شاهدين استدلالاً بنواز الموهوبة حديث رقم: ١٣١٣٧ «عن أبي سعيد قال: لا نكاح إلا بولي وشهود ومهر إلا ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم»]



والعزوبية؛ كثرت المفسدات الأخلاقية، وظهرت الاضطرابات النفسية، ووقع الخلل الاجتماعي<sup>(١)</sup>، والفيلسوف من مهامه الأساسية تقديم حلول لمشكلات المجتمع الذي يعيش فيه، وبالتالي فالفلسفة تقوم بدور فعال حين تلجأ إلى بحث هذه الظاهرة، والتعرف على أسبابها، ثم محاولة تقديم الحلول الممكنة لها، والحكيم المسلم هو الذي تقوم حلوله لهذه المشكلات على الأحكام الشرعية.

وكذلك الأنظمة السياسية إذ تنقل الآثار أن النظام السياسي الذي كان سائداً في المدن الأيونية أيام طاليس، هو التفرق والوحدات السياسية الصغيرة الكاتونات، وكانت هذه المدن والمستعمرات مستقلة من الناحية السياسية والإدارية، وكانت تؤلف فيما بينها عالماً واحداً هو العالم اليوناني، الذي تجمع بين أجزائه وحدة الجنس واللغة والدين، فكانوا جميعاً يعبدون - سزوس - وينحون إلى هيكله الأكبر في أولبيا بالمورة، كما كانوا يذهبون إلى دلفي في سفح جبل برنيس يستترلون وحى أبولون، ويعنون القرابين والنذور لهذه الآلهة<sup>(٢)</sup>.

ولأن هذه الأنظمة السياسية الضعيفة كانت أحياناً تعجز عن مقاومة الأعداء، كما هي عاجزة عن الدفاع الذاتي، فقد طمع فيها الفرنسيون، وصار الخطر الفرنسي يهدد هذه المدن بسين الحين والآخر، ولم تبلغ الجراحة بأحد سكانها، حتى يطالب بالوحدة بينها في مواجهة الخطر الذي يهدد الجميع، بل إن هذا الخطر الداهم صار مشكلة مستفحلة، يصعب الوقوف في وجهها<sup>(٣)</sup>، كما يصعب التزام الصمت حيالها.

لكن طاليس المليطي لم يطق صبراً على هذه المشكلات الاجتماعية، وبخاصة المتمثلة في العدو المتربص، والشعب المستكين المتخاذل، فقام بتحليل تلك الظاهرة، ثم صاح في الناس مطالباً بالاتحاد فيما بينهم، حتى يتمكنوا من مواجهة ذلك الخطر الذي ينتظر وقوعه، والاستعداد له على كل ناحية ممكنة<sup>(٤)</sup>، وبالتالي هب الأيونيون ليأخذوا صيحة طاليس مأخذ الجد، ويستجيبوا لندائاته المتكررة، فتوحّدوا أمام الخطر الفرنسي، الذي لم يتمكن من الاستيلاء على ديارهم، أو إلحاق هزيمة بهم بعد ذلك<sup>(٥)</sup>، وهكذا استطاعت الفلسفة أن توقظ في الناس الشجاعة، وتبعث بداخلهم روح الأمل في الانتصار، بل أمكن لها أن تدلف إلى نفوس هؤلاء جميعاً، فتزيح عنها ما علق بها من تراب الانكسار، أو غبار اليأس، وتحقق للأيونيين ما لم يكن له عندهم من حسيان.

(١) هارث نورهان - العزوبية والخلل الاجتماعي ص ١٢٧ - ترجمة ناهد فتحي .

(٢) الدكتور: محمود عبدالرازق شفتق ، والدكتور منير عطاء الله سليمان - تاريخ التربة ص ١٥ طعة دار النهضة العربية ١٩٦٨م.

(٣) الأستاذ رمزي محمد وصفي - الاستعمار قديماً وحديثاً ص ١٥٧ .

(٤) الدكتور منصور عبدالعظيم كامل - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٨٥ ط دار هدى ١٩٧٥م.

(٥) الدكتور : عبدالعاطي عبدالباقي رزق الله - الفلسفة والعلم ص ٨٨ الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

وإذا انتقلنا إلى المدرسة الطاليسية ككل، فإننا نرى رجالها قد هبوا لمحاربة الجهل؛ لأنه مريض اجتماعي، كان قد انتشر في بلاد اليونان، وكان من الضروري إنشاء مدرسة علمية، تحتم بقواعده العلم ونظرياته، كما تحتم بالنظر في الطبيعة، حتى أثرت مباحث هذه المدرسة ثمرتين: الأولى: محاربة الجهل، والثانية: انتشار العلم، فأثرت مباحث هذه المدرسة ما كان أصلا في ترقية المجتمع<sup>(١)</sup>.

ولا يختلف النظام الثقافي عن النظام السياسي، ودليل ذلك أن مفكرى أوروبا في العصور الوسطى، لما رأوا ما تعيشه أوروبا من ظلام فكري، وضغط ثقافي وسقوط في أعماق الجهل الذي فرضته الكنيسة، وباشره رجالها تحت اسم اللاهوت تارة، وتحت ستار المحافظة على الدين المسيحي أخرى، هرع هؤلاء إلى وجدانات الناس، بطرقون أبوابها على كل ناحية، ويذلون جهودا جساما، لإقناع عامة الناس بأن الدين الكنسي عدو العلم، كما أن رجال الكنيسة ليسوا سوى مجموعة من المتنفعين، الذين ساندتهم الظروف، فحملوا لواء العلم اللاهوتي<sup>(٢)</sup>.

غير أن هذا النظام الثقافي المتدق المفروض من قبل قيادات لاهوتية، كان هو الآخر أحد العوامل التي أجهت الثورة على النظام الكهنوتي، وأشعلت في الناس مزيدا من الحماس، لإحداث تغيرات جذرية في البرنامج الثقافي، والخطط التي كانت تعد سلفا، حتى تؤدي نفس النتائج، التي يسعى رجال اللاهوت إليها، فكانت الصرخات الثواليا التي قام بها الفلاسفة، هي التي أُنشئت بمقول الناس جانبا، حتى أفهمتهم الصواب، ودلتهم على طريق الوصول إليه<sup>(٣)</sup>، وما كان ذلك إلا من وفائت الفلسفة.

ولم ينف الأمر عند مجرد تحليل النظام السياسي، أو الثقافي والاجتماعي، وإنما تخطى ذلك لينسب المقاتلة بالتححرر والمساواة بين الناس، والتخلي عن نظام السادة والعبدة، الأقنان والأتباع، حيث كان اليونان يمارسون ذلك النظام الغريب، فكانت مهمة الأرقاء العمل الشاق، والسعي الدؤوب، وممارسة المهنة التي لا تصلح لمنوسطي الحال<sup>(٤)</sup>.

أما الأحرار يلقبون أنفسهم بالأسياء، وعملهم التأمل الفكري والنظر العقلي على أوسع نطاق من كان ذلك ممكنا، أما إذا لم يكن لديهم الملكات<sup>(٥)</sup> العقلية التي تعينهم على ممارسة ذلك

(١) أندكتور: أحمد فواد الأهواني - المدارس المنسية ص ١١/١٠.

(٢) ليلاود كاسيل - اللاهوت والعصور المظلمة ص ٧٥ ترجمة لطفي عبدالباق ط ١٩٥٧/٢ م روسيا.

(٣) لا أقصد أن الفلسفة نعت عن تعاليم الدين الإسلامي، فهذا لم يقل خاطري أبدا، وإنما أقول: إن تعاليم الفلسفة مبادئ متوافقة مع الأصول الشرعية، فلها حق نتائج إيجابية، لا من حيث ذاتها، وإنما باعتبار موافقة ما تدعوا إليه للتفكير الشرعية.

(٤) الدكتور: صبرى محسن صادق - تاريخ الفكر اليونان ص ١١٧ - ط ثانية ١٩٥٥ م.

(٥) ملكات جمع ملكة وهي « صفة راسخة في النفس تجعل لها هيئة سبب فسر من الأفعال ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية وتسمى حالة ما دامت سرعة الزوال فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتسمى ملكة وبالتعبير إلى ذلك الفعل عادة وحلقا ». [ راجع للعلامة الجرحاق - التعريفات ج ١ ص ٢٩٩ رقم: ١٤٧٨ ط ١ دار الكتاب العربي ١٤٠٥ هـ، ص ٢٤٠ - ط دار الكتاب العربي ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م ]

فإنهم يكتفون بوصفهم بالأسياء والتنادى بينهم بالأحرار، من غير مراعاة لشيء آخر، وقد استفحلت تلك الظاهرة، حتى جعلت المجتمع ينقسم إلى طبقتين متصارعتين:-

**الطبقة الأولى: طبقة الأسياء:** الذين يرون أحقيتهم في ممارسة السيطرة والسلطان على كل شيء مما حولهم، بغض النظر عن توافر الإمكانيات لممارسة ذلك النوع من السيطرة<sup>(١)</sup>، وهم في ذات الوقت يرون أن الحياة حق لهم وحدهم، أما الآخرون فلما أن يكونوا خدما على القسر قائمين، أو أرقاء في لخب العنصرية مكتوبين.

**الطبقة الثانية: طبقة الأرقاء:** الذين يرون حقوقهم الأولية مهضومة، ونفوسهم محطمة، وإمكاناتهم منهارة، وحرمانهم متعمدة، يتولى التصرف فيهم بكل أنواعه من نصب نفسه سيذا على غيره<sup>(٢)</sup>، مع أنه لا توجد لديه الملكات التي تعينه على القيام بأعباء ما يدعيه لنفسه.

من ثم بات الصراع الطبيعي حتميا، ولا ينهض مجتمع يتصارع أفراداه، أو في لبناته الأولى وهن واضح، أو بين الأسس الأولى تنازع لم ينقطع، وخلافات لا يرجح لأصحابه الانسحاق فيما بينهم، أو التنازل عن هذه المواجس التي تختبئ فيها الجمرات تحت الرماد.

من ثم، فقد وقف المفكرون الأحرار على هذه العلل، وتعرفوا على ذات الأمراض فأمكنهم تصنيفها إلى مستويات، ثم تحليل هذه العناصر، والدفع بها إلى ميدان بعيد، وقد كان ساكس من أكثر الناس جرأة، ومطالبة بإلغاء ذلك النظام الطبقي، ومعارفته، حتى أمكن القضاء عليه.

يستوى في ذلك أفلاطون ابن الثراء والمال، سليل العراقة والنبالة، الذي تنازل عن ثروته الكبيرة، وهجر موطنه، تاركاً حياة الترف والرفاهية؛ بغية العيش بين أحضان الحياة الفكرية المأدبة، قانعا بقليل يأتيه<sup>(٣)</sup> مع أفلوطين الحمال الذي عمل أجيرا بالقطعة، وظل يمارس تلك المهنة، حتى وافد أجله، رغم أنه كان فيلسوفا متميزا، ومفكرا من النوع الجاد.

إن هموم المجتمع قد شغلت عقلية كل منهما، وتحليل النظم الاجتماعية كان السلوى بالنسبة لمشاعرها، وكان البحث عن حلول واقعية لهذه المشكلات من أبرز المعالم الوجدانية، التي حركت مناحي التأمل لدى كل منهما، مما مهد لحياة راقية، فيها الكثير من الواقعية والحفاظة على ما ترفى به المجتمعات، وحتى تقفز للأمام في خطا ثابتة وثابة.

كما لم يكن النظام الاقتصادي هو الآخر بعيدا عن فكر الفلاسفة، أو عقول المفكرين، وإنما كانت الاتجاهات إليه متواصلة، طبقا لمعطيات العصر، فيذكر أصحاب السير: أن مليطس كان معظمهم من البحارة والتجار الذين يخرجون بسفنهم إلى البحر، يطوفون بمعظم ثغور البحر الأبيض

(١) راجع ليلموت أدنر - أوربا في العصور الوسطى ص ١٥٩ - ترجمة هدى محمد لطفي .

(٢) الدكتور: صبرى عمن صادق - تاريخ الفكر اليوناني ص ١٢٥ .

(٣) الدكتور: متولى السيد بسرى - الفلسفة اليونانية ص ١٨٢ ط دار المهدي تركيا ١٩٤٧م.

التوسط للتجارة<sup>(١)</sup>، ولم يكن لديهم تقوم بضبط لهم منازل القمر، وحركة المد والجزر، فكانوا يتكفلون الأموال الكبيرة المرفقة، وفي ذات الوقت لم يكن العائد المادي من تلك التجارة مجزياً<sup>(٢)</sup>، فصار ذلك أحد المشكلات، التي ترهق المجتمع على الناحية الاقتصادية.

من ثم فكر طاليس - ومن جاء بعده، الذين تخرجوا في مدرسته - في ضرورة معالجة هذه الظاهرة، ومواجهتها بكل ما لديهم من ثقافة وفكر، حتى انتهى بهم الأمر إلى وضع تقويم فلكي متميز، يعد من أقدم ما عرف في نوعه، بين فيه أوجه القمر<sup>(٣)</sup>، على النحو الذي أفاد منه التجار وراكبو البحر، وتمثلت فيه حلول عملية لمشكلات اقتصادية.

إذن يمكن القول: بأن الفلسفة قدمت خدمات عظيمة للمجتمع الإنساني في الناحية الاقتصادية، كما قدمت ذات الخدمات العظيمة في النواحي الاجتماعية والثقافية، بل كل الأنظمة والحياة الاجتماعية على هذا المنوال سارت، وتم تقدم حلول مناسبة لها<sup>(٤)</sup>.

وكما أن أنظمة الحياة مختلفة، فإنما تحتاج إلى ما يربط بين هذه الأنظمة ويوجه أمرها نحو ما فيه الخير العام، وبالمبحث الفني تبين أن من وظائف الفلسفة وقوف النظريات الفلسفية خلف الحركات التحررية الاجتماعية من ابتدائها وتطوراتها، إلى أبعد مدى خلال الحوادث التاريخية نفسها، بحيث يعتبر ذلك مصدراً موثقاً لتأثير الحركات الاجتماعية والعلمية بالمذاهب الفلسفية، ونظرياتها المختلفة<sup>(٥)</sup>.

أجل صار من المؤكد القول: بأن الفلسفة قد وفقت وراءها ونهضت بعبد التوجيه المستنير الذي أدى إلى إيقاظ شعلة الإدراك والمتابعة لها، حتى بلغت أوجها حينها نضج الإدراك، وتفتح الوعي في كثير من الشعوب التي طالبت بالتحرر على كل ناحية، وبهذا كان للفلسفة - إلى جانب وظيفتها الأكاديمية العلية في تفسير طبيعة العالم وحقيقة الإنسان - وظيفة التوجيه المستنير إلى عالم أفضل وحياة أكرم وأسعد<sup>(٦)</sup>.

**١٠) وفي تقديري:** أن الفلسفة من أبرز صفاتها التأثير المباشر وغير المباشر على كل الحركات الاجتماعية والسياسية، بل والثقافية والعلمية أيضاً، وكان ذلك كأنه يغذى الجنب الحضاري ويدفعه إلى التماس مع الاستنارة، بحيث يمكن القول: إنه بغير الفلسفة أو الحكمة في الأمم غير الإسلامية لا تكون حضارة، كما أن هذه الحضارة هي أحد المعبر عن الفلسفة.

(١) الدكتور منصور عبدالعظيم كامل - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٩١ ط الدار الجديدة ١٩٧٥ م.

(٢) الدكتور فوزي محمد شعان - الاتجاهات الفلسفية ص ٤٣ - طعة دار التوفيق ١٩٧٥ م.

(٣) الدكتور أحمد مواد الاهواني - المذاهب الفلسفية ص ٩.

(٤) الدكتور فوزي محمد شعان - الاتجاهات الفلسفية ص ٤٧ ط دار مراد ١٩٤٥ م.

(٥) الدكتور فوزي محمد شعان - الاتجاهات الفلسفية ص ٥٧.

(٦) الدكتور توفيق الطويل - مدخل إلى الفلسفة ص ١٣.

ثم ومن ثم يمكن الانتهاء إلى أن من وظائف الفلسفة ما يلي:-

- [أ] تغيير العالم نحو الأفضل دائما.
  - [ب] تحرير الإنسان من الظلم والظغيان.
  - [ج] إبعاد شبح التهاون والحرمان.
  - [د] تحرير العقل والعاطفة من سلطان الخرافة والأوهام.
  - [هـ] إلغاء سيطرة العواطف الساذجة، والأساطير الكاذبة على العقل.
  - [و] الترقى المتواصل بالإنسانية إلى درجة من الكمال المتميز.
  - [ز] بناء نظرة سليمة للوجود بشكل خاص، وللحياة الإنسانية بوجه عام.
  - [ح] إذا هدمت الفلسفة فلا يكون إلا من باب تنقيتها من الأوهام والخرافات والأساطير والقيم الباطلة، وذلك لبناء حقائق يقرها العلم، وإقامة قيم نبيلة، أصبح مما المخدم، وأسلم مما أزيل<sup>(١)</sup>.
- وهذا مما يؤكد أن العلاقة بين العلم والفلسفة وثيقة في التحاور المهادف حينا، والاختلاط المتبادل حينا آخر، ومن ثم فلا يمكن استغراب وجود كثير من الفلاسفة في زمرة علماء الفيزياء في نفس الوقت منذ بداية التاريخ المدون حتى نهاية القرن السابع عشر، فالأسماء الرنانة في الفلسفة اليونانية وغيرها مثل طاليس وأبيقور وهيراقليطس وأرسطو وديكارت، وليتزر كانت أسماء كبيرة في العلم، كما هي كبيرة في الفلسفة<sup>(٢)</sup>، وما ذلك إلا لأن معمل الفيلسوف هو معه الذي يعرف به طرائق اكتساب المعرفة التي تمهد له في بلوغ درجات أعلى من سابقتها في العلوم والمعارف.

### ٥. معرفة النفس البشرية والعالم الذي تعيش فيه

النفس البشرية بئر عميق من حيث هي نفس، ومن حيث هي أسرار تحاول العقل السليم التعرف عليها، والإلمام بها، ومن ثم فهو يتساءل: هل هي نفس واحدة، أم أنفس مختلفة، وهل بعضها يخلد وبعضها يموت، وهل هي الروح أم شيء آخر غيرها؟ وذلك يقتضى سر اغوارها، والعمل على كشف خفاياها، والتغلغل في حناياها، والانطلاق نحو أعماقها، والسير بها في طريق التأمل العقلي إلى أبعد مدى، حتى تخرج المرء من تلك الجولة ومعه حصيلة لا بأس بها عن النفس البشرية.

والنفس الإنسانية متى أدركها المفكر؛ فإن السعادة التي يبلغها تقوده إليها، رغبة ذاتية غائبة رسم أهداف عميقة<sup>(٣)</sup>، وإيجاد مثل عليا لا تتوقف على كونه مشاعل مضيق تنير له طريق الحياة

(١) راجع كتابنا: رياض الأشواق في الميثافيزيقا والأخلاق ص ٥٣ وما بعدها.

(٢) جيمس جيز - الفيزياء والفلسفة ص ٣٣.

(٣) الشيخ محمد عبد العظيم العيشاوي - أسرار النفس الإنسانية ص ٥٧ ط ١٩٥١م.

فحسب، وإنما تسمو به إلى ما هو أعلى من هذا وأكثر، وفوق ذلك فإن معرفة النفس الإنسانية على وجه تفصيلي يعين العقل على تجاوز العديد من الخطوط، ويقفز به إلى ما فوق العالم المشاهد.

والبحث في أغوار النفس الإنسانية يعين على تفهمها، والوقوف على علاقتها بالبدن والروح، بل وعلاقتها بأنفس وأرواح الآخرين، وأثر ذلك كله على الأخلاق، وارتباطه كله بالنفس، وتأثر هذه النفس بالأخلاق على وجه الحضور<sup>(١)</sup>، بغية إزاحة الأوهام والخرافات، واستبعاد الأساطير من طريق بستمولوجيا - المعرفة - حتى تتجرد من المؤثرات الخارجية، فتبدو هذه النفس متعاقبة مع القيم، متأزرة مع الأخلاق النبيلة، بحيث تتلاقى كلها في ثوب عرس واحد، يحمله أشهب يذنيها من القبول المتزايد، والاحترام المتواصل، كما يبعد بها عن نزوات النفس وسقطات الأخلاق<sup>(٢)</sup>، وذلك حسين ياعاد بينها والإسفاف، كما يصرفها عن الكبر والغرور، ولا يسلمها للحقد أو الأثرة، أو يقودها للأناية والحسد.

ومن المؤكد أن علم الرياضة أو الفيزياء، بل وسائر العلوم لا يمكنها الوقوف على حقيقة النفس الإنسانية؛ لأنها ليست من موضوعاتها، كما أن حقيقة النفس الإنسانية لا يتمكن منها علم

(١) الأستاذ: عبد البصير حسن العسراوي - النفس والروح في الفكر الإسلامي ص ٧١ ط دار الهدى ١٩٥٣ م.  
(٢) وكلما كانت الهمة عالية، والنفس بالشرع قائمة؛ فلها تنطلق في حرية تامة، حتى ترتقي من الأمانة إلى اللوامة، ثم إلى المظمنة، بحيث يخاطبها ربنا بقوله تعالى: ﴿يا أيها النفس المطمئنة﴾ ارجعي إلى ربك راضية مرضية \* فادخلي فسي عبادي \* وادخلي جنتي. [سورة الفجر - الآيات ٣٠/٢٧] قال العلامة ابن عاشور: «والمظمنة: اسم فاعل من اطمأن، إذا كان هادئاً غير مضطرب ولا مزعج، فيجوز أن يكون من سكون النفس بالتصديق، لما جاء به القرآن الكريم دون تردد ولا اضطراب بال، فيكون شاء على هذه النفس، ويتجوز أن يكون من هدوء النفس بدون خوف ولا فتنة في الآخرة». [العلامة الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - ج ٣٠ ص ٣٤٢] وذكر الإمام القرطبي: «إن النفس المطمئنة: هي الساکة الموقفة، التي أقيمت أن الله رها؛ فأحييت لذلك، قال ابن عباس: وأى النفس المطمئنة بمرور الله، وعنه المومة، وقال الحسن: المومة الموقفة، وعن مجاهد أيضاً الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أحاطها لم يكن ليمسها، وما أصابها لم يكن ليحتنها. وقال مقاتل: الأمانة من عذاب الله، ﴿يا أيها النفس المطمئنة﴾، وقيل: السقي عملت على يقين بما وعد الله في كتابه.. وقال ابن عطاء: العارفة التي لا تصير عنها طرفة عين. وقيل: المظمنة بذكر الله تعالى. بيانه: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [سورة الرعد - الآية ٢٨] وقيل المظمنة بالإيمان المصدقة بالبعث والنواب. وقال ابن زيد: المظمنة؛ لأنها بشرت بالجنة عند الموت، وعند البعث، ويسمى الجمع. [الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ١٠ ص ٧١٤٨] وقال الإمام ابن القيم: «تسمى النفس بالنفس المطمئنة باعتبار طمأنيتها إلى رها بعبوديته وعجنه، والإجابة إليه، والترك كل عليه، والرضا به، والسكون إليه، فإن حمة عجنه وحرفه ورجائه منها قطع النظر عن عجنه غيره ورجائه، فيستغنى بعجنه عن حب سائر ما سواه، فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده، تجمع عليه وترد قلبه الشارد إليه، حتى كأنه جالس بين يديه، يسمع به ويعصر به، ويتحرك به ويطلش به، فتسرى تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتفرد إليه، ولا يمكن حصول الطمأنينة إلا بالله وبذكره، وهو كلامه الذي أنزله الله على رسوله، كما قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾». [العلامة ابن القيم - الروح ص ٢٩٢]

المنطق، باعتبار أن موضوع المنطق هو التفكير الإنساني ومعرفة صحيحة من فاسده، وغشه من سيئته<sup>(١)</sup>، وبالتالي فمعرفة النفس لا تكون من موضوعات المنطق، إذن هذه المحاولة إنما تكون من وظائف الفلسفة، التي تعنى بالبحث عن معرفة حقيقة النفس البشرية وأنواعها.

بيد أن معرفة النفس البشرية تسوق إلى إدراك الوجود كله - الأنطولوجيا - والتعرف عليه كنظرية بغية معرفة أرجاء العالم الذي نعيش فيه ما هو؟ من أين ابتدأ؟ إلى أين يسير؟ ما هي نهايته؟ وما هي المبادئ والأسس التي يقوم عليها أو تنظم شئونه بما من السببية والنسبية، ثم الحتمية بالضرورة، وهل لها وجودات فعلية أم تصورات ذهنية مجردة<sup>(٢)</sup>، ثم ما هي الغايات التي يهدف إليها هذا العالم، أو القواعد التي يمكن الاحتكام إليها في التعامل معه، وحين التعرف عليه.

وليس هذا في العالم المشاهد وحده - وإن كان هو المعنى - وإنما لابد من انضمام معرفتنا بالعالم الغائب إلى العالم المشاهد، بحيث يمكن الوصول إلى مرحلة من الاطمئنان في المعارف، وتزداد صلتنا به، كما نوثق معارفنا عن موجوداته على ناحية مأمونة، وحيث يمكن من التعرف على موقتنا من هذا الوجود، بل ونحدد مكاننا عليه<sup>(٣)</sup>.

وكم من فيلسوف وجد في هذه التأملات الغنية غذاءه الروحي، وسلوى قلبه، وسعادة في حياته<sup>(٤)</sup>، حتى جعلته يدرك العالم الذي يعيش فيه، وصلة هذا العالم بالنفس والروح من جهة، والعقل والوجدان تبعاً لذات الجهة، ثم معرفة العالم الغائب والمشاهد في حدود ما يحقق المعارف الجيدة، ويهيئ للعديد من الثقافة المستجدة، وما طريق ذلك إلا الفلسفة، فبان أن ذلك من وظائفها لا محالة

❖ **يقول الشيخ الديبawy:** « إن معرفة حقيقة النفس يضيء على العقل المهابة و الفخار، ويرسل للفؤاد إرسالا من الطمأنينة والهدوء، تندفع به إلى تخطي العديد من الحواجز، وتزريق جملة من الأسرار<sup>(٥)</sup>، التي صنعتها الخيالات وتحكمها الأساطير، وتبكيها الخرافات والأوهام.

❖ **وفي تقديري:** أن علاج نوبات الذعر والقلق، بجانب عبور الخوف، وبرنامج الحياة الإنجابية للخروج من المأزق تصنعه الفلسفة<sup>(٦)</sup>، التي ترسم الخطط، حتى تتمكن النفس من تجاوز أزمارها، طبقاً للفطرة التي خلق الله تعالى الإنسان عليها، وجعل ذات النفس تقوم بما على الكمال والتمام، متى كانت صالحة لذلك، على منهج الشرع قائمة.

(١) الدكتور: حسن السيد زكريا - المنطق القديم ص ٥٣ ط ١٩٥٧م.

(٢) هذه الأسئلة مما يرد على الحائط، وتناول العقل البحث لها عن إجابات تكون كافية، أو على الأقل تكون واقية، وذلك مما يترك العقل ويعقل التأمل.

(٣) راجع كتابنا: رياض الأشواق في المتنازعات والأخلاق ص ٩١.

(٤) الدكتور: توفيق الطويل - مدخل إلى الفلسفة ص ١٦.

(٥) الشيخ محمد أحمد الديبawy - الروح وأثارها الكونية ص ٩٧ ط ١٩٣١م.

(٦) جين وروبرت هاسلي - بولين نيف - كيف تتعلمين من القلق ص ١٦ - ترجمة د: سهير محفوظ.

❶ يقول أبو بكر بن باجة : « الفطرة الفائقة للمعدة لقبول الكمال الإنسان هي المعدة لقبول العقل الإنسان، ثم لقبول عقل إلهي وهو عقل مستفاد من الله عز وجل لا يدرك، وهي الفطرة التي تعلم الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والسعادة التي هي بقاء لا فناء معه، وسرور لا كدورات معه، والعلم إن يرى ببصيرة نفسه، التي هي موهبة من الله عز وجل الموجودات طبقاً لكمال وجودها، فالذين يبلغون الكمال الإنسان هم الذين يعلمون الله عز وجل ومخلوقاته، ومسا هذا العلم صورة لهم، وذلك هو الكمال العقلي » (١).

وقد تميز بالكمال العقلي كل الأنبياء، ثم نبيء بعدهم الأولياء، كما تميز بهذا النسب من الكمال العقلي الخفاء من العرب، الذين حلقت نفوسهم فوق السحاب، فتأملوا الملكوت العلوي، ومنحهم الله صفاء يعلوهم عن عبادة الأصنام والأوثان، من ذلك ما نقل عن زيد بن عمرو (٢) الذي اعتزل عبادة الأوثان، وامتنع عن أكل ما ذبح باسمها، وكثيراً ما أنكر على قريش ذبحها على غير اسم الله قائلًا: يا معشر قريش أفرسل الله قطر السماء، وبنيت بقل الأرض، ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحونها لغيره (٣)، إن العقل الصحيح يرفض ذلك السلوك غير السوي.

(١) الدين العلوي - رسائل فلسفية لأبي بكر بن باجة نفصوص فلسفية غير منشورة من ١٧٥ طعة دار الثقافة - بيروت - دار النشر المغربية - الدار البيضاء - المغرب .

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل العدوي بن عم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ووالد سعيد بن زيد أحد العشرة روى عنه ولسده سعيد وزيد بن حارثة وعامر بن ربيعة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأسماء بنت أبي بكر ، لم يدرك البعثة، وكان يحسو عبادة الأوثان ورحل في طلب دين إبراهيم إلى الشام وغيرها قالت أسماء بنت أبي بكر لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش والذي نفسي بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غداً، وكان يخشى المودة يقول للرحل إذا أراد أن يقتل ابنه لا تقتلها فأنا أكثيك مؤنتها وكان يقول اللهم لو أني أعلم أحب الرجود إليك لعبدتك به ولكي لا أعلم ثم بسعد على راحلته، وكان يعيب على قريش ذبائحهم لغير الله، وعن ابن عمر قال: حشر زيد بن عمرو يطلب الدين فلقى عالماً من علماء اليهود فسأله عن دينهم فقال إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله فقال لا أفر إلا من غضب الله، وفيه أنهم اتفقوا على أن الدين الحق دين إبراهيم ورجع فمات قبل أن يبعث النبي، وعن أسامة بن زيد بن حارثة قال خرجت مع رسول الله وهو مرد في فتي زيد بن عمرو فقال له يا زيد ما لي أرى قومك أبغضوك قال خرجت ابني هذا الدين فذكر الحديث وفيه أن بعضهم قال له إن النبي السدي تطلبه قد ظهر ببلادك فرجع وأتزل على النبي بعده فقال النبي أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده، وعن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد عن أبيه عن جده أن زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل خرجا يلتزمان الدين حتى انتهيا إلى راحسب بالموصل فذكر الحديث وفيه قال ابنه يحيى سعيداً للنبي كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له قال نعم فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده، وعن عامر بن ربيعة عن زيد بن عمرو أنه كان يقول أنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل ثم من ولد عبد المطلب ولا أراي أدركه وأنا الآن به وأصدق وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة ورايته فافترأ من السلام الحديث وفيه فرد عليه السلام وترحم عليه وقال قد رأيته في الجنة يسحب ذبولا قال سعيد توفي أبي وقريش تبني الكعبة، وعن هشام بن عروة قال بلغنا أن زيد بن عمرو كان بالشام فله عرج النبي فأقبل يريد فقتله أهل مسعدة موضع بالشام.

[ تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٦٣ رقم: ٧٧٣ ]

(٣) الدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ١٤ - مكتبة الأنجلو ١٩٥٥ م.



إذن من وظائف الفلسفة تصير النفس الإنسانية بذاتها، وتعريفها بحقيقتها، وربط ذلك بالعالم الذي تعيش فيه، بحيث يؤدي في النهاية إلى الانتقال من المحسوسات إلى العقولات، ومن معارف العالم المشاهد إلى محاولة تفهم بعض أسرار العالم غير المشاهد، ومن ثم فن ينكر وظائف الفلسفة، إنما يبعد البدهيات، وينكر الضروريات، ومثله لا يلتفت إلى قوله.

### ٦- التوفيق بين النقل المنزل والمنتج العقلي<sup>(١)</sup>

من المعلوم أن النبوات السالفة، كانت تحي معها معجزات تصدق التي في دعواها، إنه مبلغ عن الله، بحيث تكون هي الرهان الذي تقوم عليه حجته وتنصب به دعوته<sup>(٢)</sup>، ولما كانت معجزات الأشياء السابقتين حسية، فقد كانت الكذب التي تنزل عليها، وصفا لتلك المعجزات في الغالب الأعم، حيث تعرضها وتحكيها من البداية حتى النهاية، ولأنها كانت نبوات مؤقتة في زمان بعينه، وخاصة لشعب أو جماعة بذاتها، فإذا انتهت نبوة التي انقضت معجزته، بناء على أن الوصف ينقضي بانقضاء الموصوف<sup>(٣)</sup>.

فلما بعث الله سيدنا محمدا خاتما للأنبيا والمرسلين، وجعل نبوته خاتمة للنبوات والرسالات، جاءت معجزته وصفية وعقلية وحسية ومعنوية أيضا<sup>(٤)</sup>، بل إن القرآن الكريم هو المعجزة الباقية الكاملة على كل ناحية، نصوصه مقدسة، دائمة باقية إلى يوم الدين، فيه الشفاء لكل ما في صدور أهل الإيمان. قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾<sup>(٥)</sup>.

✽ يقول الإمام القرطبي «اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين:

✽ أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وإزالة الريب، وكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى<sup>(٦)</sup>.

(١) هذا من وظائف الفلسفة الإسلامية وحدها؛ لأن حكماء الإسلام هم الذين يؤمنون بالنقل المنزل، أما غيرهم فلا علاقة لهم به، كما أن من اشتغلوا بالفلسف من اليونان أو غيرهم في الماضي لم يكن لديهم علم بالنقل المنزل، كما أن من اشتغلوا به من اتباع المسيحية واليهودية قد طعنوا في النقول التي بأيديهم، وأعلنوا انقضاءهم عنها، حتى حاربوها وكشفوا عن بعض من أوجه غريبها.

(٢) الدكتور محمد السيد فتح الله - القرآن المعجزة الخالدة ص ٧١ ط أول ١٩٧٦م.

(٣) راجع للشيخ محمد متولى الشعراوي - معجزة القرآن ج ١ ص ٧٨.

(٤) الدكتور: فوزي مصباح نصار - القرآن الكريم المعجزة الكامنة ص ٨٣ طبعة دار الفهدى ١٩٥٧م.

(٥) سورة الإسراء - الآية ٨٢.

(٦) وهو تأويل مبهج انتهى بالنقل المنزل نحو أهداف المتعدد في أغراضه، وذلك من سمات إعجاز القرآن الكريم.

☆ الثاني: شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ وغوّه<sup>(١)</sup>.

فمن أبي سعيد الخدري<sup>(٢)</sup> قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ثلاثين راكبا، فزلنا على قوم من العرب فسألناهم أن يضيئوا فأبوا. قال فليدع سيد الحي فأتوا فقالوا: فيكم أحد يرقى من العتوب؟ قال: قلت أنا نعم. ولكن لا أفعل حتى تعطونا. فقالوا: نعطيكم ثلاثين شاة. قال: ففكرت عليه: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ سبع مرات فقرأ. فبعث إلينا بالزبل وبعث إلينا بالشاة فاكلنا الطعام أنسا وأصبحنا وأبوا أن يأكلوا من الغنم، حتى أتينا رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر، فقال: (وما يدريك أنها رقية؟) قلت: يا رسول الله شيء ألقى في روعي. قال: (كلوا وأطعمونا من الغنم) [٣].

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: [إن النبي ﷺ كان ينفض على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما نفل كنت أنفض عليه من، وأمسح بيد نفسه ليركها] [٤].  
وعنها - رضي الله عنها - أيضا: [أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه المعوذتين ونفل أو نفث] [٥].

❖ ويقول الإمام الزركشي: «إن أولى ما أعملت فيه القرائح، وعلقت به الأفكار الواويع، الفحص عن أسرار التزويل، والكشف عن حقائق التأويل، التي تقوم به المعالم، وتثبت الدعائم فهو العنصة الواويع، والنعمة الباقية والحجة البالغة، والدلالة الدافعة، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل عن

(١) تفسير القرطبي - ج ٦ ص ٣٩٣٢/٣٩٣٣.

(٢) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن نعلبة بن الأبرج وهو حذرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري مشهور بكينته استعمر بأحد واستشهد أبوه ما وغزا هو ما بعدها روى عن النبي ﷺ الكثير وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر ومحمود بن كليل وأبو أمامة بن سهل وأبو الطفيل ومن كبار التابعين بن المسيب وأبو عثمان السدي وطارق بن شهاب وعبيد بن عمير ومن بعدهم عطاء وعياض بن عبد الله بن أبي سرح وبشر بن سعيد ومجاهد... وآخرون وهو مكثر من الحديث. وكان من أفقه أحداث الصحابة ومن أفاضل الصحابة، وحفظ حديثا كثيرا وروى الحديث من طريق عبد الله بن عيسى بن سهل بن سعد عن أبيه عن حذرة قال بسأعت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأبو ذر وعبيدة بن الصامت ومحمد بن مسلمة وأبو سعيد الخدري وسادس على ألا تأخذنا في الله لومة لائم فاستقال السادس وقبل مات سنة أربع وسبعين. راجع الإصابة لابن حجر - في: ذكر من رآه سعد ساكن العين. في الفصل: ٣١٩٨ [ص: ٧٨]

(٣) الحديث أخرجه الدارقطني في سننه ج ٣ ص ٦٤، وهو عند البخاري - كتاب الطب - باب الرقى بفاتحة الكتاب بلفظ: «خذوا واضربوا لي بسهم» حديث رقم ٥٧٣٦.

(٤) أخرجه البخاري - كتاب الطب - باب الرقى بالقرآن والمعوذات. حديث رقم: ٥٧٣٥.

(٥) أخرجه البخاري - كتاب المغازي - باب مرض النبي ﷺ ووفاته ز حديث رقم ٤٤٣٩، وأخرجه مسلم - كتاب السلام - باب استحباب رقية المريض ج ١٤ ص ١٨٢.

ولا يُحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همه إليه، وقس فكراً وعزماً عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، واصطفاه للتذكير به وتذكره، فهو يرتع في رياض، ويكرع<sup>(١)</sup> منه حياض<sup>(٢)</sup>.

والقرآن الكريم هو حبل الله المتين والذكر الحكيم، ففي الحديث الشريف عن الحارث الأعور<sup>(٣)</sup> قال: «مررت في المسجد فإذا الناس يخرقون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث قال وقد فعلوها قلت نعم قال أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حين قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»<sup>(٤)</sup>.

ولا شك أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة قد تعرضا للحديث عن قضايا تتعلق بالعالم المشاهد، والعالم الغيبي، حديثا مستفيضا في بعض الجوانب، أو مقتصدا في بعض الأخرى، طبقا لما يستلزمه المعروض نفسه، أو تطبيقه العقول التي تبذل جهودها في التعرف عليه،

(١) كرع في الماء أو الإناء كرعاً، كرعاً - تناوله بغيره من موضعه، والحياض: جمع حوض وهو مجتمع الماء، ومنه - حوض البحر وحوض النهر - المعجم الوحي ج ١ ص ٥٣١، ١٨٧.

(٢) الإمام الزركشي - البرهان في علوم القرآن - ج ١ ص ٣ طبعة المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - تحقيق أبو الفضل إبراهيم. والإمام الزركشي هو محمد بن هاد بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله بدر الدين. عالم بعلوم الشريعة والأصول، تركي الأصل، مصري النول، والوفاء. له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها: لفظة المعالين، البحر المحيظ (في أصول الفقه، ولد سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، وتوفي سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م). [راجع الإعلام للزركلي ج ٦ ص ٦٠]

(٣) الحارث الأعور وهو بن عبد الله. يقال بن عبد الله أبو زهر الممداني الحارثي الكوفي روى عن علي وعبد الله بن مسعود روى عنه عبد الله بن مرة وأبو إسحاق والضحاك بن مزاحم. [المرجح والتعديل ج ٣ ص ٧٨ رقم ٣٠٣]

(٤) الإمام الترمذي - سنن الترمذي ج ٥ ص ١٧٢ - [١٤] باب ما جاء في فضل القرآن - الحديث: ٣٣٣١، مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ ص ١٢٥ - الحديث: ٣٠٠٧. والدارمي - سنن الدارمي ج ٢ ص ٥٢٦ - الحديث: ٣٣٣١، مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ ص ١٢٥ - الحديث: ٣٠٠٧. وعن معاذ بن جبل قال «ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً الفتن فخطبها وشدها فقال علي بن أبي طالب يا رسول الله فما المخرج منها فقال كتاب الله فيه حديث ما قبلكم ونبا ما بعدكم وفصل ما بينكم من تركه من جبار قصمه الله ومن نتج الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لم ينته الجن قالت إنا سمعنا قرآنا عجبا هو الذي لا تخلق به الألسن ولا تخلقه كثرة الرد». [العلامة الطبراني - المعجم الكبير ج ٢٠ ص ٨٤ رقم: ١٦٠]

كالجذيت عن اندماج السماوات والأرض، ثم انفصال كل منها عن الأخرى، مع ارتباطهما معا في رباط كوني واحد محكم، إلى أن يأذن الله تعالى.

﴿من ذلك قوله تعالى: ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾﴾<sup>(١)</sup>.

فالآية الكريمة لفت الأنظار إلى التأمل في حقيقة كونية ثابتة، هي أن السماوات والأرض متساوية في الأعداد<sup>(٢)</sup>، متجانسة في الأصول، كانتا رتقا من مادة واحدة، في كتلة واحدة، ثم حدث لكل منها تعريف من الاستقلال ففتقناهما، وهي حقيقة واضحة للعيان، فالأرض مفروشة تحتها، والسماوات سقف محفوظ بظلماتها. قال تعالى ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ وجعلنا في الأرض رواسي أن تمد بهم وجعلنا فيها فجاجا سيلاً لعلمهم بهتدون\* وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون﴾<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن المنتج العقلي قد بلغ رشده، حتى يعرف تلك الحقيقة الثابتة، بل كان يصدر بعض الأحكام التي أمكنه الوقوف عليها، ويظنها أصحابها يقينية، مع أنها قد تأتي مخالفة لظواهر النقل المتزل، وبالتالي فلا بد من عملية عقلية يتم بها إزالة ذلك التخالف، من غير طعن على النقل الصحيح، أو قفز فوق النتائج الصحيحة للعقل السليم، وهو ما عرف في الفكر الإسلامي بقضية التوفيق بين النقل والعقل، أو بين الدين والفلسفة<sup>(٤)</sup>.

إذن من وظائف الفلسفة الإسلامية وحدها التوفيق بين النقل والعقل، أو بين الدين والفلسفة ولذا فقد تولى القيام به حكماء الإسلام كالكندي فيلسوف العرب، والفارابي المعلم الثاني، والشيخ الرئيس ابن سينا وغيرهم في المشرق الإسلامي، وابن باجة وابن طفيل، وابن رشد وغيرهم في المغرب

(١) سورة الأنبياء - الآية ٣٠. يقول صاحبها تفسيرا لخلالين: «أو لم يعلم الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا سدا ممتعا مسدودة ففتقناهما جعلنا السماء سماء والأرض سماء أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأطرقت وفتق الأرض أن كانت لا تبت فأثبت وجعلنا من الماء النازل من السماء والنابع من الأرض كل شيء حي من نبات وغيره أي فأنشأ سبب حياته أفلا يؤمنون بتوحيدي» [تفسير الحلالين ج ١ ص ٤٢٣]

(٢) قال تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله عن كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ [سورة الطلاق - الآية ١٢]

(٣) سورة الأنبياء - الآيات ٣٠/٣٢.

(٤) يدل بعض مفكرى المسلمين في هذه القضية بمجهودات كثيرة، بل إن بعضهم عرف بها. [راجع للشيخ حسين بن محمد الأنصاري - قضية التوفيق بين الدين والفلسفة ص ١٣٥ وما بعدها، والدكتور محمد البهي - الجانب الإلهي من التفكير الفلسفي]

الإسلامي<sup>(١)</sup>، وقد تأثر بهم جمع غير قليل من الفلاسفة الذين جاءوا بعدهم وحملوا مشاعل الحضارة للإنسانية.

❖ **وبما تسألني: لماذا كان التوفيق بين النقل والعقل من عمل مفكرى الإسلام وحدهم؟**

❖ **والجواب:** أن المفكر المسلم وحده الذى يعرف النقل المتزل الصحيح، ثم دائم التأمل في نصوص النقل المتزل، وفي ذات الوقت دائم التأمل في الكون المنظور، حتى إنه من كثرة تأملاته، أمكنه الوقوف على حقيقة هامة هي أن هناك قضايا تناولتها النصوص الدينية، وتناولتها الفلسفة، لكن وجدت هناك فروق في تناولها، وقد « ينتهي إلى وجود نوع من التخالف في العرض والتنازع، أو الأحكام المترتبة، وهو على يقين من صحة النتائج العقلية، كما هو على كل اليقين في صدق وصحة النصوص الدينية، وبالتالي فقد رأى أن من الواجب عليه إيجاد نوع من التقارب بين ما جاء في النقل المتزل، وما انتهى إليه العقل الصحيح<sup>(٢)</sup> ».

فكان له في ذلك الجانب مجهود آخر أثبت استقلال المفكر المسلم عن غيره، كما أبان عن عقلية واعية متميزة، تجعل من أولى واجباتها الدينية والعلمية إثبات أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، وإنما يتعاونان<sup>(٣)</sup>، وقد قام المفكرون المسلمون بذلك الدور خدمة للنقل والعقل معاً، بل إن بعضهم جعل تلك القضية من الأولويات التي لا يجوز تأخيرها، ولشدة ولع البعض بها، فقد جعل عنوان مؤلفاته أو بعضها تحت ذات الموضوع<sup>(٤)</sup>.

❖ **يقول الشيخ الفكهاني:** « لقد كانت جهود الفلاسفة المسلمين قائمة على تأمل النقل المتزل وحده أول الأمر، ثم محاولة استخراج الظواهر الكونية من الظواهر العقلية، باعتبار أن القرآن الكريم هو الكتاب المقروء، والكون هو الكتاب المنظور، وكان ذلك هو شاغلهم الأكبر أول الأمر أيضاً، غير أنهم أضافوا إلى ذلك محاولة جديدة، تقوم على التوفيق بين نصوص النقل ومجهودات العقل، أو بين الوحي<sup>(٥)</sup> الإعلامي والوحي الإلهامي<sup>(٦)</sup> ».

(١) راجع كتابنا: ملامح الحكمة الإسلامية في المغرب، وكتابنا ابن باجة مفكراً.

(٢) راجع قواعد ذلك في المطالب العالية للإمام الرازي ج ٧ ص ٨ تحقيق د: أحمد حجازي السقا.

(٣) وقد نبه إلى ذلك الإمام محمد عبده في كتابه رسالة التوحيد، حيث ذكر هذه الملاحظة، بين ملاحظها في عبارة وحيدة، تحمل البلاغة على العديد من الوحي.

(٤) من ذلك ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه/ درة تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول.

(٥) وردة مادة الكلمة في القرآن الكريم ثمان وسبعين مرة. [ راجع للاستاذ محمد فؤاد عبدالباقى - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - باب الواو ص ٧٤٦/٧٤٧ .

(٦) الشيخ منصور بن محمد الفكهاني - بين الدين والفلسفة ص ٣٥ - ط الأستاذة.

باعتبار أن الوحي الإلهامي هو الذي نجيء به ملك الوحي سيدنا جبريل الأمين على قلب كل نبي من الأنبياء أو رسول من المرسلين، أما الوحي الإلهامي فهو ما يلقيه الله تعالى للمخلوقات مباشرة، سواء أكان ذلك المخلوق إنساناً، كالحال مع أم موسى كليم الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذًا وَجَعَلْنَا لَهَا فَيْئَةً فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١).

أم كان ذلك المخلوق الموحى إليها حيواناً أو حشرة. لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٢).

أم كان المخلوق جماداً لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الْيَوْمَ مَا قُرَاءَ يَوْمَ الْأَوَّلِ﴾ (٤).

هذا بخلاف الوحي، بمعنى تزيين الباطل، الذي تقوم به الشياطين مع أوليائهم، الذين يرضخون لهم، ويسقطون تحت أعتابهم. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ

(١) قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ [سورة طه - الآية ٣٨]

(٢) البية: البحر. [المعجم الوجيز ص ٦٨٧]

(٣) سورة القصص - الآية ٧. يقول العلامة الفخر الرازي: «إذا حقق أن يتعرف جنود فرعون عليه، أو بنالوه، فيقع له منهم سوء، فأرضعه، حتى الشبع، ثم اتخذ حلية تضمن عدم غرقه ثم إلقاؤه في البية دفعا إلى قرب من حريان الماء، ولا تخاف عليه الغرق، فإن الله سوف ينجي منه، ويرده إليك، وسيكون نبياً كريماً...» وقوله ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ دلالة على إرضاعه، فإذا خافت عليه أن يسمع به أحد من الجنان فألقيه في البية، والله هو الحافظ له، حتى يعيل إلى المكان الذي أراده له. [الإمام الفخر الرازي - مفاتيح الغيب - مكتبة الإيمان ط ١ ج ٢٣ ص ٢٤٩] وبهذا العناء إلى أن في الآية أمرين، ولحين، وشارحين: أما الأمران فهما: ١- إرضاعه عليه السلام حتى الشبع. ٢- إلقاؤه في البية. أما الشيطان فهما: ١- عدم الخوف عليه. ٢- عدم الحزن عليه. أما البشارتان فهما: ١- إرجاعه إلى أمه. ٢- جعله نبياً.

(٤) سورة النحل آية ٦٨. يقول العلماء: «قبل أن يستعمل الإنسان النحل، كانت تربيته بره، وعندما فكر الإنسان في استغلاله، اتخذ مساكن التربة مشابهة بقدر الإمكان للمساكن الطبيعية، وكان النحل يسكن أو كساره في الفحوصات الموحدة بين الصخور، وفي جذوع الأشجار المجوفة، وكثيراً ما بنى وما زال بنى أقراصه الشمعية في العراء، متخذاً الأماكن التي يسهل حمايتها من العوامل الطبيعية، ويتوالد فيها ويغزل العسل، وكان يتحصل على العسل من مثل هذه الأماكن، بعد طرد النحل، أو إهلاكه كلياً أحياناً». [نحل العسل - عبدالحللى وفا ص ٥٧ ط دار الفهد العربي]، وفي قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِبَالِ وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾. يقول العلامة البضاوي: «ذكر نعرف التبعية (مسن) لأنها لا تبني في كل جبل، وكل شجر، وكل ما يعرض من كرم أو سقف، ولا في كل مكان منها، وإنما تسعى ما تبنيه لتتصل فيه بينا تشبهها ببناء الإنسان، لما فيه من حسن المنفعة، وهي القسمة التي لا يقسوى عليها حذافى المهندسين بالآلات معينة» [تفسير البضاوي ص ٢٦٩]

(٥) سورة فصلت الآية ١٢

(٦) سورة الزلزال الآية ٥

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَلَهُمْ مَا يَفْتَرُونَ<sup>(٢)</sup>﴾.

والذي تطمئن إليه النفس أن مفكرى المسلمين كانوا يهتفون من أعماقهم طربا بالنقل المنزل خياله، واحتراما لتعاليمه، وأنهم كانوا سباقين في كل المحاولات التي قاموا بها، حتى يخدموا النقل المنزل، ويلغوه للناس تارة، كما يملغون معانيه وأحكامه، وفوق ذلك فهم يعملون بكل طاقاتهم العقلية والفكرية، حتى يوفقوا بين الدين والفلسفة، أو بين العقل والنقل، بحيث تبرز أوجه للناس إعجاز جديدة، تضاف إلى الأخرى، التي تمكن من الإعلان عنها علماء التفسير وعلماء العقيدة أو علماء الحديث والسير.

كما أنهم قد نظروا إلى موضوعات الفلسفة نظرة فيها الكثير من الروية والتأني، بجانب العناية والاهتمام، وأيقنوا أن من وظائفها التوفيق المستمر بين الدين والفلسفة، وتقديم خدمات علمية على جانب عقلي فكري<sup>(٣)</sup>، وقد حققوا في ذلك أعلى درجات النجاح، كما أيقنوا أن خدمة النقل المنزل بقيء مع التأمل العقلي أيضا.

#### ٧- إقامة الأدلة المستجدة على وجود الله تعالى وصفاته<sup>(٤)</sup>

عنى الإسلام بإقامة الأدلة المتنوعة على وجود الله تعالى، كل في مجال تخصصه، منها الأدلة النظرية، ومنها الأدلة العلمية، وبعضهم أقام أدلة على النقل المنزل وحده، وهم أصحاب الأدلة التقليدية، وبعضهم أقام أدلة على القضايا اللفظية المتعلقة بأوجه الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وهكذا تعددت الاتجاهات الإسلامية في إقامة الأدلة على العقيدة الإسلامية.

بيد أن الفلسفة العامة، قد شغلت نفسها بقضايا وأمور تتعلق بالفلسفة العامة كموضوعات لها وسائل متعلقة بها، أما الحكمة أو الفلسفة الإسلامية التي هي عمل المسلمين العقلي، فقد كان من

(١) سورة الأنعام - من الآية ١٢١ . ويقول الإمام القرطبي: «آيات الأنعام نزلت بسبب أناس أنابوا إلى الله، فقالوا: يا رسول الله إنا نأكل ما نقتل، ولا نأكل مما قتل الله، فقلت: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾»، بل وصل الأمر إلى أكثر من هذا، قال عطاء: «هذه الآيات أمر بذكر اسم الله، على الشراب والذبح وكل مطعوم» [تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٥٩٣]

(٢) سورة الأنعام - الآية ١١٢ .

(٣) راجع كتابنا: رياض الأشراف في التمايز بين الأخلاق ص ٥٤ وما بعدها.

(٤) ربما يقال: إن هذا دور علم الكلام، فما هي الريادة التي جاءت بها الفلسفة الإسلامية، وذلك ما سـوف أعرضه في صفحات مقلات من هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى - .

وظائفها الحقيقية إقامة الأدلة الجديدة على وجود الله تعالى على الناحية العلمية والنظرية معاً<sup>(١)</sup>، بجانب التمسك بأهداب النقل الملز، ومحاولة التفهم الجيد لأهدافه وغاياته ومرامي، والدفاع عن ذلك كله بالعديد من الطرائق الصحيحة.

وإذا كانت الفلسفات السابقة قد ضلت سبيلها في الوصول إلى الله تعالى؛ لأنها اعتبرت غائبا، وراحت تبحث عنه - مع أنه أظهر من كل شيء، بل إن ظهور كل الأشياء منه - جل علاه - وهذا التصرف غير اللائق من الفلسفات القديمة في جانب الله تعالى هو الذي جعلنا نبغضها من أجله ونفر منها بسببه؛ لأن الله تعالى لم يغب أبدا، حتى نبحت عنه، وهي لذلك فلسفة كافرة<sup>(٢)</sup>، لا صحة لها ولا ثبات لقضاياها أو مسائلها.

أما الفلسفة الإسلامية، فقد قامت الأدلة على وجود الله تعالى، إنما تعتقد في وجود الله تعالى وسائر صفاته التي أخبر بها، والفلاسفة المسلمون يقومون بالاستدلال على وجود الله تعالى، لا بالبحث عن الله تعالى، والفرق بين المفهومين كبير<sup>(٣)</sup>.

❖ **ربما يقال:** إن علم الكلام يقدم الأدلة على وجود الله تعالى، والفلسفة الإسلامية تقدم ذات الأدلة على وجود الله تعالى، فهل هما شيء واحد<sup>(٤)</sup>؟

❏ **والجواب:** أن أدلة أغلب المتكلمين حول إثبات القضية تقوم على:

❖ **١- دليل الحدوث:**

أ- حدوث الجواهر . ب- حدوث الأعراض .

❖ **٢- دليل الإمكان:**

أ- إمكان الجواهر . ب- إمكان الأعراض .

❏ **أما الفلسفة الإسلامية فإنها تقدم أدلة عديدة تقوم على:**

أ- دليل الخلق .

ب- دليل الاختراع .

د- دليل الخلق المباشر .

(١) راجع للشيخ محمد محمد أبو مرسى - الإسلام والفلسفة ص ٣٧ ط أول ١٩٤٦ م .

(٢) الدكتور: صبرى مرسى الجعار - الفلسفة وأخطاؤها ص ٧٣ ط ٢ / ١٩٧٥ م .

(٣) راجع كتابنا: قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ص ٤٥ حيث تناولت صور هذا الفرق، وأكدت على أن الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام في الإسلام يهدفان إلى غاية واحدة، ويسعيان لإقامة الأدلة المتعددة على إثبات العقيدة الإسلامية والدفاع عنها، ولكن مناهجها مختلفة.

(٤) الدكتور: عبدالعزيز حسن النذل - بين الفلسفة وعلم الكلام ص ١٣٧ .



❖ يقول فيلسوف قوطية: الطريقة التي نبه الكتاب العزيز عليها، ودعا الكل من بالها، إذا استقرئ الكتاب العزيز، وجدت تنحصر في جنسين:

❖ أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجله، ولنسم هذه دليل العناية.

❖ الطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء والموجودات، مثل اختراع الحياة في الجسد والإدراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه دليل الاختراع<sup>(١)</sup>.

كما أن علم الكلام يتدبّر قضاياها من مقدمات عقلية غالباً، وأن صيغت في عبارات منطقية فلا تبعدها ذات الصياغة عن النصوص القائمة عليها، أما الفلسفة الإسلامية فإن قضاياها عقلية سواء أ جاءت صياغتها على لغة المنطق النظري أم المنطق التجريبي، أم جاءت سافرة على لغتها الفلسفية. مما فيها من غموض أو صعوبة.

ومن الشواهد الدقيقة على هذا الفرق الكبير بين استدلالات المتكلمين وبراهين الفلاسفة فكرة الخلاء الممتد، التي ذهب المتكلمون القدماء إلى أنها فكرة واقعية جديرة بالتقدير والاهتمام<sup>(٢)</sup>، بينما ذهب المحدثون إلى أنها من صنائع أفكار الفلاسفة، الذين كان مهمهم الأول الانطلاق نحو المعرفة بأقصى سرعة، و من أوسع طريق<sup>(٣)</sup>، باعتبار أن الفكر الذي يلتزم به الفيلسوف ما هو نتاج تأمل، لا يجمد على موضوع الفلسفة وقضاياها<sup>(٤)</sup>.

كما أن فكرة اللاهوتي التي عاشت في أحضان الفكر اليوناني قديماً، حيث ولدت فيه، ثم تربت صغيرة تبحث عن الماهية الفكرية فترة طويلة من الزمان، ثم انتقلت هذه الفكرة الفلسفية إلى

(١) ابن رشد - مناهج الأدلة في عقائد الملة مع مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ص ١٥٠ مكتبة الأنجلو المصرية، ثم بنسول فهذان الدليلان هما دليلان للشرع. أما أن الآيات المشية على الأدلة المنصية إلى وجود الله تعالى في الكتاب العزيز، فهي منحصرة في هذين الجنتين من الأدلة، وذلك بين من تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى. وذلك أن الآيات التي في الكتاب العزيز في هذا المعنى إذا تجمعت وجدت على ثلاثة أنواع: إما آيات تضمن التنبيه على دلالة العناية، وإما آيات تضمن التنبيه على دلالة الاختراع، وإما آيات تجمع الأمرين الدلالة جميعاً. [ المنصور نسخة ص ١٥٢ ]

(٢) الدكتور: سامي لطف الله يعقوب - القضايا الكلامية والفلسفية ص ١٢٢ .

(٣) الدكتور يوسف زكي عوض الله زكي - الفلسفة نظريات ومذاهب ج ٢ ص ١٧٥ طعة أولى ١٩٥١ م.

(٤) الدكتور أحمد عبده حموده الحمل - مفهوم الفكر المادي ص ١٠٦ بحث مسئل من حولة كلية أصول الدين بالفساهرة - العدد الثاني عشر ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

الفكر الرياضى مع بعض التعديل فيها، وظلت تلازمه مع الرغبة في استمرار التعديل الذى يجب أن تكون فيما بعد فكرة أكثر نضجا وأقرب إلى البرهان<sup>(١)</sup>.

فلما نظر إليها المفكرون المسلمون، ورأوا أنها لا تتألف النصوص الشرعية، بل على العكس نوبدها وتدافع عنها مع المحافظة عليها انطلقوا إليها، غير أن فلاسفة الإسلام قد تلفقوا فكرة اللاهائى ثم استعملوها لإثبات ثمانية المخال والزمان والحركة أولا، واستطاعوا القيام بدور متميز في التعامل معها من جديد<sup>(٢)</sup>، وكان الفينسوف الكندى أول من مهد لذلك الطريق على الناحية الرياضية.

غير أن المتكلمين هم الآخرون قد أخذوا فكرة اللاهائى، ثم انتهوا إلى ضرورة القول بعدم اللاهائى العددي والطبيعي، وكذلك الحساب. كما أثبتوا أن الأرقام ما هي إلا مفاهيم ذهنية منحصرة. بعية الانتهاء إلى أنه ما من شيء إلا وهو متناه سواء على ناحية الحقيقة الواقعية أم على ناحية المفاهيم الذهنية، أما اللاهائى المطلق من كل ناحية فهو الله سبحانه وتعالى، وكان ذلك التطور العقلي أحد مميزات الفكر الكلامي<sup>(٣)</sup>.

كما أن المفكر المسلم لم أعاد النظر في فكرة اللاهائى، انتهى إلى أنها مجرد فكرة عقلية متناهية بفسه. ثم استخدمها لإثبات وجود الله تعالى وتفرده ل علاه بالوحدانية، وسائر صفات الجلال والإكمال والجمال والإكرام، بل وأزنيته وبديته جل علاه، فكانه استفاد بها من ناحية إثبات الذات الإلهية، كما استفاد بها من ناحية إثبات الصفات الإلهية.

إذن يمكن القول بأن الحكمة الإسلامية أو الفلسفة، يمكنها أن تلعب دورا هاما في إثبات وجود الله تعالى، وتقدم أدلة جديدة في هذا المجال. تسائر الزمان على كل ناحية، ولا تنوقف عند مجرد الاتجاهات العقلية في مرحلة من المراحل، وإنما تتعداها جميعا، كما أن معكرى الإسلام كانوا حكماء على كل جانب ولجوه، وكل ناحية انطلقوا منها، فالإمام الرازى المتكلم الأشعرى، يتقدم نموذجاً متميزاً في باب الاستدلال على وجود الله تعالى على الناحية الفلسفية، حيث يقرر أن خلق الله تعالى للأرضين على الماء لحو من أكثر الأدلة دقة، وأوفاهها في إثبات وجود الله تعالى وقدرته؛ لأن من بين على الأرض فقد ساعدت الأرض الصلصة على إمساك ما بناه. أم من بين على الماء فهو وحده الذى يمسك ذلك البناء ويبقيه<sup>(٤)</sup>.

(١) والملاحظ أن فكرة اللاهائى المتأخرية طلت تجرى في الفلسفات القديمة ومن سار في ركبها، حتى القرن الثامن عشر، وهي تمثل نوعاً من الإنكار بوجود الله تعالى كمدأ عقلي مجرد يعزل به أمر وجود الكون فقط، لا كمعبر له من صفات

أحلام وأحسان والكمال ما جاء في العقيدة الإلهية المذلة. [أرنر لصحوى - سلسلة الوجود الكبرى ص ٤٩ وما بعدها]

(٢) راجع كتابنا: التفكير الإنسان أصوله ومستوياته ص ٨٥، وكذلك كتابنا: حبر الريد في علم التوحيد ص ١١٥.

(٣) الشيخ نور الدين محمد نصر الله - الحركة العقلية الإسلامية ص ٩٧ ط دار حكمت ١٩٥٧ م.

(٤) الإمام الفخر الرازى - مفتاح الغيب ج ١٢ ص ٣٥.

ويقرر الشيخ الديناري: أن الرازي تنازعه الفلسفة وعلم الكلام، ولا يمكن حسبانته مع الفلاسفة وحدهم، بل هو في منظومة الفلاسفة أدخل بالضرورة، ولا يقلل ذلك من دفاع الأشاعرة<sup>(١)</sup> عنه كمتكلم أشعري، وعدم إعلان الفلاسفة أنه أحدهم؛ لأن العبرة بالمطروحات الفكرية، وهي بالنسبة لفكر الرازي تجعله في قمة المعبرين عن الفلسفة<sup>(٢)</sup>.

وبعيدا عن ما قرره الشيخ الديناري، فإن القضايا الفكرية والمجهودات العقلية التي ينهض لها الإمام الرازي، وجاء تناوله لها في تفسيره، أو في مؤلفاته الكلامية، أو في مؤلفاته الفلسفية هي التي تشهد بأنه كان فيلسوفا مبدعا، فقد كان مفكرا من أبرع المفكرين المسلمين، وأكثرهم حرصا على ممارسة التفكير العقلي بأوسع معانيه<sup>(٣)</sup>، وكان في كل خطواته يقدم الأدلة المتعددة على إثبات العقيدة الإسلامية والدفاع عنها، ويفتح الباب على مصراعيه للبحث العقلي، كأنه يرد على النشأين بأن الإسلام يرفض التفكير العقلي الحر، وردوده كلها جاءت على الناحية العلمية، فيما يحتاج إليها، والنظرية فيما يكون إليها أدخل، فكان بحق من أكثر المفكرين سبقا لاستخدام العلم التجريبي العملي في باب الاستدلال على العقيدة الإلهية والدفاع عنها<sup>(٤)</sup>، وكان في ذلك منهجا يميز به الإمام الفخر الرازي.

من ثم فلا تعجب عندما نقرأ لفيلسوف قرطبة الذي قرر أن معرفة الله تعالى تأتي عن طريق النظر العقلي والتأمل الفكري، كما نجيء عن طريق النقل المقول، حيث يذكر أن النظر في كتب القدماء واجب بالشرح، إذ كان مغزاها في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه، وأن من لم يحن عن النظر فيها من كان أهلا للنظر فيها، وهو الذي جمع أمرين: أحدهما زكاء الفطرة<sup>(٥)</sup>،

(١) هو لقب يطلق على أصحاب الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري التوفيق في ٣٣٠هـ، والذي قدم بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي وتلقاه بآب سريخ، وذكر ابن خلكان أنه كان يجلس في حلقة الشيخ أبي إسحاق المروزي وقد كان الأشعري معتزليا أول أمره، وتلمذ على يد شيوخهم أبي علي الجبائي، وأقام على الاعتزال حتى سن الأربعين، فتاب منه بالضرورة فوق المنبر، ثم أظهر فضائل المعتزلة وقيادتهم، وذلك بالأدلة والبراهين، مدافعا عن عقائد السنة، فانتشر المذهب الأشعري في العراق ثم في مصر وسوريا وبلاد المغرب العربي وأخيرا اعتنقه الشهابيون، فانتشر في آسيا الوسطى، ولزيم الإمام الأشعري من الكتب الموحدة وغيره وحكي عن ابن حزم أنه قال للأشعري حجة وحسون تصبغا وذكر أن معله كان في كل سنة سبعة عشر ألف درهم وأنه كان من أكثر الناس دعابة وأنه ولد سنة سبعين ومائتين، ومات في سنة بعض وثلاثين وثلاثمائة. [الأستاذان: عبد الأمير علي مهني وعلى خريص - جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص ٢٣/٢٠ (بتصرف) - المركز الثقافي العربي - بيروت سنة ١٩٩٢ م].

(٢) الشيخ عبد العظيم منصور الديناري - دراسات في الفكر الإسلامي ص ١٩٥ طبعة دار نصرت بالأسطانة ١٣١٥هـ، وراجع الرازي وإحكامه القرآنية للدكتور عبد الحميد سلامة.

(٣) الشيخ نور الدين محمد الأباوسي - الفخر الرازي وفلسفته ص ١٢٥ طبعة الدار القومية ١٣١٥هـ.

(٤) الشيخ حسن محمد السيد - دراسات في الفكر الإسلامي ص ١٢١ ط أول ١٣٣٥هـ.

(٥) الذكاء الفطري ملكة يخلقها الله تعالى في العبد تمكنه من التحليل والتركيب والتمييز والاختيار، كما تعينه على التكيف إزاء المواقف المختلفة. [الدكتورة هان لطفى مصطفى - الذكاء والقدرات العقلية ص ١٧٣ ط ١٩٧١ م]

والثاني العدالة الشرعية والفضيلة العلمية والخلقية<sup>(١)</sup>، فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس إلى معرفة الله، وهو باب النظر المودى إلى معرفته حق المعرفة، وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وفيلسوف قرطبة يتفق مع غيره من مفكرى المسلمين في أن من وظائف الفلسفة إقامة الأدلة المتعددة على وجود الله تعالى على وجه الخصوص، والعقيدة الإسلامية على وجه العموم، بجانب الدفاع عن تلك العقيدة الإلهية، ويرجع هذا الرأي: أن الفلسفة معناها الحكمة، وهى حجة المتأمل على وفق أحكام الشرع، دليل ذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾<sup>(٣)</sup> أى «قولا يوافق العقل والشرع»<sup>(٤)</sup>.

❖ وربما تتساءل قائلنا: أين الدليل على أن الفلسفة تقيم الأدلة على وجود الله تعالى من كلام الفلاسفة أنفسهم؟

❖ والجواب: أن الكندي قدم ثلاثة أدلة لإثبات وجود الله تعالى :

❖ الأول: دليل الحركة العائدة:

ذلك أنه لما كان الكندي متكلماً معتزلياً، وفيلسوفاً ورياضياً وعالمًا من النوع المتميز، فقد قرر أنه ما من شيء في الكون إلا وهو متحرك، باعتبار ما من الاعتبارات المختلفة، وهذه الحركة دليل حدوث المتحرك نفسه، وكل متحرك يحدث لا محالة، يحدث الحركة، وبالتالي يستحيل أن يوجد الحدث نفسه، كما أن كل حركة متناهية تنتهى أجزاء الزمان الواقعة فيه، ومادامت أجزاء الزمان متناهية فإنها تكون حادثة.

يقول: يمتنع أن يكون جرم لم يزل، فالجرم إذن يحدث اضطراباً، والمحدث مُحْدَثُ الحدث، إذ الحدث والمحدث من المضاف، فالكل مُحْدَثُ اضطراباً عن ليس<sup>(٥)</sup>.

(١) يقصد بالعدالة الشرعية ملكة مكتسبة تقوم على التزام القواعد التي جاء الشرع الشريف حفظاً لها، وقياماً بها حتى تنصهر خلقاً كريماً لصاحبها بقوده إلى الخير، ويصرفه عن الشر. [ راجع للشيخ حسن حكمت الله - الأخلاق الإسلامية ص ٧٧ وما بعدها ]

(٢) أبو الوليد بن رشد - فيلسوف قرطبة - فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ص ٢٩ تحقيق د: محمد عمارة - دار المعارف بالقاهرة.

(٣) سورة لقمان - الآية ١٢

(٤) العلامة الفيروز آبادي - بصائر ذوي التمييز إلى لطائف الكتاب العزيز - باب الحاء.

(٥) العلامة الكندي - رسائل الكندي الفلسفية ص ٢٠٧ تحقيق الدكتور محمد عبدالحادي أبو ريدة، وراجع للدكتور أحمد فؤاد الأهران - الكندي فيلسوف العرب.

يذهب الكندي إلى أن العالم المشاهد المحسوس تدوا فيه الموجودات متكاثرة، ولا يعقل أن تكون هذه الكثرة من غير وحدة تقوم فيها، أو ترجع إليها، والحال في المحسوسات كالحال فيما يليق بها، أن هذه الموجودات مشتركة في الكثرة نفس اشتراكها في الوحدة، ولا يمكن أن يكون ذلك كصداقة محضة، وإنما لابد أن تكون عن علّة هي خارج هذه الموجودات المشتركة المتوحدة ضروريّة<sup>(٢)</sup>. أما لماذا؟

فلأنه لو كانت العلة من داخل الموجودات في كثرها، أو في وحدتها لاستمر تسلسل العلل والمعلولات إلى ما لا نهاية، والتاعدة السابقة قررت أنه لا يمكن أن يكون وجود شيء به الفعل بالنهاية، وبالتالي فلا بد أن يكون مرجع اشتراكهما في الوحدة والكثرة هو علة أخرى غير ذات الوحدة، وبالذات، لا غير ذات الموجودات المخلوقات كلها وهو الله سبحانه وتعالى؛ لأنه أرفع مقاصد وأشرفها جميعاً.

إذن فليست علة اشتراك الكثرة والوحدة مع الأشياء الكثيرة الواحدة في جنس، ولا شبه، ولا  
مشاركة، بل هي علة كونها وثباتها أعلى وأشرف وأقدم منها<sup>(4)</sup>، وهو الله سبحانه وتعالى، وقد  
استفاد ابن سينا هذا الدليل لكنه صاغه على طريقة أخرى تكشف عن عقلية ناضجة، فيها الكثير من

(١) الْكَفَرَةُ: ضد الثقة والكثرة بالكسر لغة ردية وقد كُتِرَ بكسر الكاف الضمة كَثَرَةً فهو كَثِرٌ وقوم كثير وهم كَثيرون وأَكْثَرُ الرجل كثير ماله وكانوا يَفْكَرُونَهُمْ من باب نصرأ عليهم بالكثرة واستَكْثَرُ من الشيء أَكْثَرَ منه والكَثْرُ بالكسر بالضم المال الكثير يقال فلان ولا كثر ويقال الحمد لله على القليل والكثير والقل والكثير بالضم والكسر والتكثيرُ التَكْثِيرُ بالكسر والتكثيرُ من العباد الكثير المحير والكثرة من الخفة والكثير مفتحتين جمار النحل وقيل بالكسر

(٢) المؤخذة: الانتقاد، قال أبو العباس يَحْمِلُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ مُتَعَدِّيًا، وَالْوَأْدُ أَوَّلُ الْعَدَدِ وَالْجَمْعُ وَخُذْنًا وَ  
أَخْذًا كِتَابَ وَشَانَ وَرَاعَ وَرُعِيَانًا، وَتَوَخَّضَ بِرَأْيِهِ تَعَدَّى بِهِ وَفَلَانٌ وَأَخَذَ ذَهْرَهُ لَا يَنْظُرُ لَهُ وَفَلَانٌ وَاحِدٌ لَهُ. [عُتَار  
الصمعا - ج ١ ص ٢٩٦]

(٣) الضرورة المرددة هنا الضرورة العقلية، فالضرورة مشتقة من الضرر وهو التآكل مما لا مدفع له. ان التعريفات ج ١ ص ١٨٠ رقم ٨٩٦. والضرورة العقلية التي تحكم فيها بضرة ثورت المحمول للضرورة أو بضرة سلبه عنه ما دامت ذات الموضوع موجودة أما التي تحكم فيها بضرة الثبوت فضرورية مضمرة نحو كل إنسان حيوان فالضرورة عند الحكم بها بضرة ثورت الخيرية للإنسان في جميع أوقاف وجوده وأما التي تحكم بها بضرة الضرورة فالمضمرة ضرورة سلبية نحو لا شيء من الإنسان خبير بالضرورة فإن الحكم بها بضرة سلبه عن الإنسان في جميع الأوقات فالضرورة ما تاملت إجابة إليه في حد الضرورة. ان التعريفات ج ١ ص ١٨٠ رقم ٨٩٧؛

(٤) أبو يعقوب الكندي - رسائل الكندي الفلسفية ص ١٤٣ بتصرف يسير اقتضت ظروف العبارة.

الحكمة، مع القدرة على هضم الأفكار، ثم إخراجها في شكل جديد، فهي فيها الجدة العلمية والطرافة البحثية معا.

#### ❖ الدليل الثالث: تدبير العالم والعناية به..

يقرر الكندي أن العالم حادث، وأن أجزائه فيها الكثرة والوحدة، وبالتالي فلا بد من مدبر لهذا العالم، حتى تكون عنايته به بالغة معه الغاية العظمى التي بها صلاحه<sup>(١)</sup>، وهذا المدبر لا يكون من جنس العالم، إنما لابد أن يكون متعاليا عنه، يملك كل صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام، وهو في ذات الوقت يرى كل المخلوقات ولا يراه واحد منها على حقيقته، إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله تعالى.

كما يذكر الكندي أن العالم المرئي المشاهد، لا يمكن أن يكون تدبيره، إلا بعالم لا يرى، والعالم الذي لا يرى لا يمكن أن يكون معلوما، إلا بما يوجد في هذا العالم من التدبير والآثار الدالة عليه<sup>(٢)</sup>، وذلك المدبر العظيم هو الله سبحانه وتعالى.

إذن من وظائف الفلسفة الإسلامية إبراز العقيدة الإلهية، ثم عرضها بالطرائق المختلفة، والصور المتعددة، ثم الدفاع عنها بكل طريقة يمكن من خلالها مخاطبة العقل الصحيح، وتحريك الفكر المستنير، والاتجاه بالضمير الحي اليقظ إلى حيث يرى النور بدل الظلمة، والسعادة بدل الشقاوة، ولا يكون ذلك إلا في رحابة الإيمان والاستمتاع بعبادة القرآن، والمتابعة مع الالتزام لسنة النبي العدنان سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(١) استفاد جوتفريد لينتز دليل الكثرة والوحدة من مفكرى المسلمين، وتمامه المونادولوجيا، ويعنى به العالم المتكون من أصغر جزئية، والعلاقة التي تربط بين هذه الجزئيات المونادات. [راجع للينتز - المونادولوجيا - ترجمة الدكتور عبدالغفار مكاوي]

(٢) أبو يعقوب الكندي - رسائل الكندي الفلسفية ص ١٤٤ .



# فوائد الفلسفة





قد يظن البعض أن وظيفة الفلسفة هي نفسها فائدة الفلسفة، ولكن اللغة تؤكد وجود تمايز لفظ وظيفية ولفظ فائدة، بل تقوم الأدلة المتوالية على أن الوظيفة غير الفائدة، ولا مانع من وجود علاقة ما بينهما، أو ترتب إحداها على الأخرى، باعتبار أن الفائدة هي ما يستفاد من علم أو عمل أو مال وغيره على ناحية معينة، أو نواح متعددة<sup>(١)</sup>، أما الوظيفة فهي ما يقدر من عمل أو طعام أو رزق، أو غير ذلك في زمن معين<sup>(٢)</sup>، وبالتالي فكل منهما غير الأخرى على الناحية اللغوية.

وربما زعم زاعم، أو ادعى مدع أن الفلسفة لا فائدة لها من ناحية الدراسة، أو الاشتغال والتكسب، ولكن هذا الزعم غير مقبول؛ لأنه لو لم تكن للفلسفة فوائد، ما انشغل بها هذا الجمع الكبير من المفكرين، الذين يمثلون جماعة كبيرة في التاريخ الفكري، ولهم نتائج متميزة فيه، بل لو لم تكن لها فائدة ما سعى إليها أولئك الأفاضل الذين امتلأت بهم ساحات الفكر، ولما عملوا في سبيل ذلك صنوفا شتى، وألوانا متعددة من العذاب كانت تصل ببعضهم إلى حد التضحية بنفسه<sup>(٣)</sup>، وهل بعد التضحية بالنفس دليل على حب الفلسفة وعشقها<sup>(٤)</sup>.

ولو لم يكن لها من الفوائد ما يغطي كل جوانب المعاناة ويزيد، لكان لهم الاشتغال بعلوم أخرى، لتحقيق لهم بها الفائدة، ويعد من خلال ممارستها النفع أو تباعد بينهم والأحكام الفاسية، والعقوبات التي لا قبل لواحد من غير الفلاسفة في احتمالها، إلا أن تكون الموازنة بين ما يعانى وما يشعر به من لذة تكون لصالح التأمل العقلي، والبحث الفلسفي.

ومن ثم فقد كانت فوائد الفلسفة هي التي تدفع بعضهم إلى احتمال المكاراة، حتى إنهم ارتضوا لأنفسهم تحمل عي ذلك كله في مقابل التعبير عن آرائهم بحرية، وانطلاقهم في جنبات التفكير العقلي المتميز، وشرف الانتساب لجماعة الفكر المحادف<sup>(٥)</sup>، والذي يسعى لتقديم خدمات علمية وأخلاقية، علمية ونظرية، وتصحيح الأفكار الخاطئة، والأخذ بالعقلاء حتى يتمكنوا من التعرف على ما للخالق العظيم من الجلال والمهابة<sup>(٦)</sup>.

**ثم وبالتالي فيمكن اعتبار دراسة الفلسفة والاشتغال بها تأتي معه فوائد عديدة منها:**

- (١) العلامة الرازي - أساس البلاغة - باب الغاء ص ٤٣٥ والقاموس المحيط باب الدال - فصول النساء ج ٢ ص ٢١٥، والمعجم الوجيز باب التاء ص ٤٨٣.
- (٢) المعجم الوجيز - باب الواو ص ٦٧٤.
- (٣) كالحال مع سقراط الذي تفرع السم في رباطه جائز، وكان يستطيع الإفلات من الحكم الذي صدر عليه عن الطريق الذي دبره له بعض تلاميذه. [ راجع ما سبقت كتابته في هذا الشأن من ذات الكتاب ]
- (٤) الدكتور فوزي محمد البويري - سقراط وفلسفته ص ١٧٧ ط ١٩٨١ م.
- (٥) الدكتورة وفاء محمد الأعصر - أرسطر فيلسوف اليونان ص ٨٧ ط ١٩٧٣ م.
- (٦) هذه من فوائد الفلسفة أو الحكمة الإسلامية، لأنها التي تسعى لمعرفة الله تعالى، وإقامة الأدلة على تلك المعرفة، ثم الدفوع عنها بالعديد من الأدلة. [ راجع كتابنا: المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية ص ٣١٥ ]

### ١. معرفة الحقيقة لذاتها

أجل معرفة الحقيقة أمر مهم لكل ذى عقل، لكن أية حقيقة تلك التي يحاول العقل معرفتها. إنها معرفة حقيقة الذات العاقلة، حتى يقف على حقائق ذلك الوجود، ومن ثم يمكنه الوصول إلى حقيقة الحقائق وأصل الأصول، وهو الله رب العالمين من باب دلالة الأثر على المؤثر<sup>(١)</sup>.

فإذا أمكن للعقل القيام بهذا الدور على ناحية معرفية، ثم تمكنت هذه المعرفة من عقله وقلبه، صارت عقيدة إيمانية يلزمه الإيمان بها، والخضوع لأحكامها، وبالتالي يقوده ذلك البحث إلى معرفة ما عليه من الواجبات، وما يلزمه في الحلال والحرام، وهو ما ينصرف به إلى رقى سلم الدرجات الأخلاقية، حتى يرقى أعلاها ويتربع على قمته.

لأن الحقيقة لها وجهة واحدة، فإذا أمكن للعقل معرفة حقيقة الوجود، أيقن أنه مخلوق، وأن له خالقاً بالضرورة، وأن هذا الخالق العظيم له من صفات الجلال والجمال ما يحاول المخلوق الراقى التشبه بشيء من أخلاق الله، وفي الأثر: « تشبهوا بأخلاق الله »<sup>(٢)</sup>.

كما أن من عرف حقيقة هذا الوجود من أين ابتداءً، وإلى أين يسير، وما الغاية من ذات الوجود، فقد صار حكيماً، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة الحكيمة<sup>(٣)</sup> ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها »<sup>(٤)</sup>.

(١) وردت مادة الكلمة ح ق ي في القرآن الكريم حوالى ثمانين ومائتين مرة. [ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٢١٢/٢٠٨ ]

(٢) هذا الدليل مما يتسمك به كل من المتكلمين والدالسة المسلمين، وإن كان بعضهم يستخدم في التعبير عنه صياغة أخرى، أو يستخدمه على طريقته هو، وهو من أقوى الأدلة في باب إثبات العقيدة الإسلامية على الناحية العملية. بل ذهب البعض إلى أنها أقوى من دلالة المؤثر على أثره.

(٣) فعن سعيد بن عثمان الخياط قال سمعت ذا النون يقول معاشره العارف كمعاشره الله جملتك وتسلم عنك تخلفك بأخلاق الله الجميلة قال وسمعت ذا النون يقول لا تنف من عبادة من لا يجيك إلا معصوما ووال من صحك ووافقك سلس ما تحب وتخالفك فيما تكره فإنما يصحب هواه ومن صحب هواه فإنما هو طالب راحة الدنيا. [ حلية الأولياء ج ٩ ص ٣٧٦ ]

(٤) الحكمة: هي استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصرف بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية، وأما صياغة نظر يستفيد منها الإنسان بتحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه وما عليه الواجب لنشره بذلك نفسه، وتستكمل وتعتبر عالماً معقولا مضاهيا للعالم الموجود، وتستعد للسعادة في الدنيا والتقوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية. [ راجع كتاب تسع رسائل في الحكمة والطبيعات للشيخ الرئيس ابن سينا ص ٣٠٢ ]، كما عرفها ابن مسكويه بأنه وضع الشيء في موضعه، كما أنها فضيلة النفس الناطقة المعيزة. [ تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٣٦ ].

(٥) الإمام الترمذي - سنن الترمذي ج ٥: ص ٥١ - الحديث: ٢٦٨٧، وأخرجه الإمام ابن ماجة - سنن ابن ماجة ج ٢: ص ١٣٩٥ - باب الحكمة - الحديث: ٤١٦٩.

❖ **وربما يقال:** إن مفكرى اليونان قديما كانوا يبحثون عن الحقيقة، وأنهم بذلوا في سبيل معرفتها الكثير، فهم حاولوا معرفة الكون وما فيه، ومعرفة المبدأ الذى صدر عنه، والمصير الذى ينتهى إليه وقد كانت هذه الأسئلة تمثل بعض مجهودات مفكرى المسلمين في هذه الناحية، فهل كانوا فلاسفة، أم كانت تلك التساؤلات إشارات على طريق الفلسف؟

❖ **والجواب:** أن هذه الأفكار شغلت عقول المصريين القدماء، كما شغلت رعبس أهل بابل والصين والإغريق أيضا<sup>(١)</sup>، وكان أرسطو اليونانى يفكر في ذات الأسئلة، واعتبر وصوله إلى إجابات محددة حولها هو غاية الفلسفة القائمة على اللذة العقلية، حيث ذهب أن اللذة العقلية هي المعرفة لذات المعرفة، بغض النظر عن تعلق المعرفة بفائدة عملية أو فائدة نظرية<sup>(٢)</sup>، كما اعتبر الفلسفة أفضل العلوم، لكونها تأتى الفائدة فيها أعلى من غيرها، حيث يقرر أن العلوم الأخرى - غير الفلسفة - قد تكون أكثر ضرورة من الناحية النفعية، ولكن لا يوجد علم أكثر فضلا من الفلسفة<sup>(٣)</sup>.

❖ **ويقر دسيتاى** «أن البحث عن الحقيقة كان شاغل القدماء، ولكنهم ربما أخفق بعضهم في طرائق الوصول إليها، أو أخفق آخرون في استعمال الوسائل الموصلة إليها، أو وقع الإخفاق لدى من يحاولون جمع النتائج التى جاءت بعد المجهودات الذهنية الكبيرة أثناء محاولة الوصول إلى الحقيقة تعرفا عليها أو استعمالا لها»<sup>(٤)</sup>.

والحقيقة من حيث هي أمر قد يكون غامضا يحتاج نوع لإيضاح، أو غائبا يحتاج بعض استحضار، أو شغلتا يحتاج من يفصل بينه وبين غيره من الأمور المتناظرة، أو الأمور المختلطة المتشابكة، ولا يقوم بذلك الدور إلا من كملت قدراته العقلية، واتسعت قدراته العلمية، ووطن نفسه على السير في دروب البحث العلمى التأملى في تودة، تقوده رغبة أكيدة في كشف الحقيقة لذاتها، والتعرف غنيها من كل ناحية<sup>(٥)</sup>، ولا يقوم بذلك إلا الفيلسوف، فكان ذلك من فوائد الفلسفة.

**ثم إذن هناك ثلاث عمليات ترتبط كل منها بالأغرييات ارتباطا وثيقا.**

(١) الدكتور: عادل محمد حسن الأشوح - التراث الفلسفى ص ١١٢، وراجع للدكتور: سهام مصطفى - التراث الفلسفى القديم ص ٥٧ ط ١٩٨٥ م.

(٢) الدكتور: وهام مصطفى الأعصر - أرسطو فيلسوف اليونان ص ٩٥ ط ١٩٧١ م.

(٣) الدكتور محمد غلاب - الفلسفة الإغريقية ص ١٨.

(٤) ستانلى بيرمر - الفلسفة موضوعات ونتائج ص ١٩٥ - ترجمة هناء فخرى ١٩٦١ م.

(٥) ليس من السهل الإدعاء بأن علما من العلوم غير الفلسفة يمكنه القيام بهذا الدور، وإلا طرب أصحاب الإدعاء بإقامة الدليل، وليس من إمكاناتهم ذلك، إلا إذا استعملت الطرائق الخدلية السوفسطائية، وهى لا تفنى عن البحث العلمى شيئا. كما أن هذا الجدال منهى عنه شرعا، فمى الحديث الشريف عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». [العلامة الطبرانى - المعجم الأوسط ج ٥ ص ٦٨ رقم: ٤٦٩٣]

وكل من هذه العمليات لا تنفصل عن الأخرى، من حيث الغاية التي تناط بها، وإن كانت كل واحدة منها تنفصل أثناء الوصول إليها، باعتبار الوسائل، لما هو معلوم من أن الكشف عن الحقيقة يحتاج منها متميزاً، يقوم على التأمل الدقيق، والتركيز الشديد، والعناية بكل ما يسيطر بالظاهرة موضع التأمل، أو النظرية موضع الدراسة؛ لأن إغفال أى واحد من هذه العناصر يجعل الكشف عن الحقيقة ينجى متأخراً، وربما صار الكشف عنها المرة تلو الأخرى شبه مستحيل، ولا يمكن منه حتى يفصل المعنومات المتشابهة، التي قد يقع بينها نوع من التقارب الشديد<sup>(١)</sup>، مع أن كل معلومة منها تستقل بنفسها من حيث الحقيقة التي تعتصم بدخلها، ومن أمكن بلوغ تلك المسألة فقد صار القائم بها فيلسوفاً تؤدي فلسفته فائدة علمية وعملية معا في وقت واحد.

أما معرفة الحقيقة بعد الكشف عنها، فهي الأخرى تحتاج منها متميزاً يقوم على التكامل بين أجزائه من ناحية، والتعاون التام مع منهج الكشف عن الحقيقة من جهة أخرى.

● **يقول تيرى:** «إن عملية الكشف عن الحقيقة تتمثل فيها المناهج المتعددة، إذ ليس من السهل الوصول إلى الحقيقة، وإنما ذلك أمر صعب للغاية، ولا يتمكن منه إلا أفراد قليلون، عرفوا المنهج الفنية، وأمكنهم استعمالها، كل على الناحية التي يصلح لها»<sup>(٢)</sup>.

● **ويقدر الدكتور فضل الله آدم:** «أن عملية الكشف عن الحقيقة تمضي في مسالك صعبة، حيث يأتي فيها التباين أحيانا، باعتبار أن الحقيقة قد تكون متعلقة بفكرة معينة، أو قاعدة أخلاقية، أو منظومة وجدانية، أو ظاهرة كونية، وذلك كله بغرض ضرورة الاحتياج لمناهج متعددة تكشف عن الحقيقة، بحيث تجعلها بينة من حيث ذاتها، لا من حيث العلائق المرتبطة بها»<sup>(٣)</sup>.

على أن أميل إلى أنه لما كانت فوائد الفلسفة عملية تارة ونظرية أخرى، والحقيقة هي الأخرى تتنوع بتنوع الموضوعات التي ينبغي الوصول إليها، من ثم فإن الوسائل التي نجعلنا ببلغها لابد أن تكون هي الأخرى معينة على ذلك، ولا تكون معرقله عنه، وحينئذ يقع التعدد فيها بتعدد الموضوعات تارة، واختلاف إمكانيات الباحثين عنها تارة أخرى.

(١) والواقع المعاش يشهد بذلك، فالتشابه اللفظي قائم، فمثلا البر والبر والبر أمر يحتاج معرفة أيها المراد من اللفظ السدى يختص جملة من المعاني بجملة اللفظ في أحضانها، وكذلك التشابه في الحقائق الذاتية كالحال بين النفس والروح، ومعرفة كل منهما على الحقيقة المستقلة، مع أنها قد تشابهان في بعض المظاهر، وبالتالي هذه المعلومات والحقائق قد يقع بينها التشابه والتقارب، ويكون الفعل بينهما جميعا ضرورة علمية، وهو من مهام الفلسفة وفائدة من فوائدها.

(٢) وليم تيرى - المناهج الفلسفية ص ١٧٧ - ترجمة عزاد نصار ط أم درمان ١٩٦٦م.

(٣) الدكتور فضل الله آدم - الفلسفة والمناهج الحديثة ص ١٣٥ ط الخرطوم ١٩٥٧م.

وغاية الفلسفة تبسّر أمور الكشف عن الحقيقة من خلال اصطلاح المناهج المناسبة لكل جزئية على حدة، وتنمية المواهب، وتعزيز الملكات، بحيث يمكن لها اقتناص الوصول إلى الحقيقة في سهولة ويسر، فمعرفة الخالق جل علاه وهو حقيقة الحقائق يمكن الوصول إليها عن طريق الفطرة النقية، كما يمكن الوصول إليها عن طريق دليل العناية، أو دليل الخلق المستمر، أو دليل الاختراع التي أمسك بها الفلاسفة<sup>(١)</sup>، أو دليل الحدوث، أو دليل الإمكان التي أمسك بها غالبية المتكلمين<sup>(٢)</sup>.

كما أن معرفة حقيقة الكون يمكن الوصول إليها عن طريق دليل التناهي الحقيقي أو الفرضي في الأعداد أو الموجودات، حيث يؤكد ضرورة أن يكون الكون مخلوقاً له زمان ابتداء فيه، وله غاية قدرها خالفة العظيم جل علاه، وله غاية تقع حتماً متى أراد الله تعالى ذلك. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ \* إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَعَنْ غَايَةِ الْكَوْنِ الْحَالِ، وَاسْتِدْلاله بكون آخر، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدِلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿يَقُولُ الْعَلَامَةُ الطُّيْرُ: «يَوْمَ تَبْدِلُ الْأَرْضَ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا الْيَوْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرَهَا وَكَذَلِكَ السَّمَاوَاتِ الْيَوْمَ تَبْدِلُ غَيْرَهَا كَمَا قَالَ جَل ثناؤه، لكن نوعية الأرض المبدلة مما يفوض علم ذلك إلى الله تعالى. أما لماذا؟

فلأنه جائز أن تكون المبدلة أرضاً أخرى من فضاء، وجائز أن تكون ناراً، وجائز أن تكون خبزاً وجائز أن تكون غير ذلك، ولا يحير في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي كل ذلك يمكن أن يكون فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التزويل، وبروزوا على سبيل الظهور

(١) راجع الكشف عن مناهج الأدلة، وفصيل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لأبي الوليد بن رشد.

(٢) راجع لإمام الأئمة -المواقف، ولإمام السعد التنفازان - شرح المقاصد، وأغلب المؤلفات الكلامية تركز عليها.

(٣) سورة فاطر - الآية ١٥. يقول العلامة الطيّر: «يقول تعالى ذكره إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ رِبْكُمْ؛ لَأَنَّهُ أَنْشَأَكُمْ مِنْ غَيْرِ مَا حَاجَ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ يَقُولُ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ سَوَاقِمَ بِطِيعَتِهِ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ لَأَمْرِهِ وَيَنْتَهِي عَنْهُمْ عَمَّا هَاهُمْ عَنْهُ، قَالَ فَتَادَةُ قَوْلِهِ: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ أَيُّهَا النَّاسُ رِبْكُمْ، وَقَوْلُهُ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ يَقُولُ وَمَا إِذْهَابُكُمْ وَالْإِتِّبَانُ بِخَلْقِ سَوَاقِمَ عَلَى اللَّهِ بِشَدِيدٍ بَلْ ذَلِكَ عَلَيْهِ يَسِيرٌ سَهْلٌ يَقُولُ فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ». [العلامة الطيّر - جامع البیان ج ٢٢ ص ١٢٧] وهذا نداء للناس بأنهم هم الفقراء المحتاجون إلى فضله وإحسانه، وهو الغني الذي لا يحتاج إليهم المغمود في إحسانه إليهم، المستحق بأنعامه عليهم، أن يحمدهم إن ينشأ - لا إنشاءكم أعداداً - يذهبكم ويخلق من بعدكم من بعده، ولا يشرك به شيئاً وما ذلك على الله بمتنع أو بعيد. [العلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن - تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ج ٣ ص ٥٢٣ - طبعة المطبعة الخيرية ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م]

(٤) سورة إبراهيم - الآية ٤٨.

الله المنفرد بالربوبية الذي يقهر كل شيء فيغلبه ويصرفه لما يشاء كيف يشاء فيحيي خلقه إذا شاء ويميتهم إذا شاء لا يغلبه شيء ولا يقهره أن يخرجهم من قبورهم أحياء لموقف القيامة»<sup>(١)</sup>.

وعن أم المؤمنين عائشة<sup>(٢)</sup> - رضي الله عنها - قالت سألت رسول الله عن قول الله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض قلت يا رسول الله إذا بدلت الأرض غير الأرض أين يكون الناس قال على الصراط<sup>(٣)</sup>. وعن عبدالله بن مسعود<sup>(٤)</sup> قال: «قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى يوم تبدل

(١) العلامة محمد بن حريز بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر المولود في ٢٢٤هـ، والمتوفى في ٣١٠هـ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن المشهور بتفسير الطبري ج ١٣ ص ٢٥٤ - دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ - (بتصرف بسيم).

(٢) السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها أم المؤمنين (زوج رسول الله ﷺ). «أبوها: عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التميمي (أبو بكر الصديق بن أبي قحافة) - خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمهها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكناينة. ولدت: بعد ثمانين وأربع سنين أو خمس في الصحيح عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت ست سنين وبني وأنا بنت تسع وقبض وأنا بنت ثمان عشرة سنة، وكانت تكنى أم عبدالله، حيث كانها بابن أختها أسماء عبدالله بن الزبير، وكانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسر الناس رأيا في العامة. ففي الصحيح عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وقال الزهري لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أعقل. وهي من زوجاته ﷺ في الجنة لما ورد بالسنة النبوية، فمن مرسل مسلم الطبري قال: قال: رسول الله ﷺ عائشة زوجتي في الجنة، وعن أبي محمد مولى الغفاريين أن عائشة فسالت يا رسول الله من أزواجك في الجنة قال أنت منهن. وروى عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ الكثير الطيب وروى أيضا عن أبيها وعن عمر وفاطمة وسعد بن أبي وقاص وأسيد بن حضير وخدمة بنت وهب وحمزة بنت عمرو وروى عنها من الصحابة عمر وابنه عبدالله وأبو هريرة وأبو موسى، وآخرون كثيرون. وماتت - رحمه الله - سنة ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة حلت من رمضان بعد الأكثر، وقيل سنة سبع ذكره علي بن المديني عن بن عيينة عن هشام بن عروة وحدث بالقبع» (راجع الإصابة في تمييز الصحابة - (العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ) - الجزء الثامن - كتاب النساء - لعين الملهة. القسم الأول [من ذكرها صحبة، وبيان ذلك]. رقم ١١٤٥٧ ص ١١/١٧).

(٣) الإمام مسلم - صحيح مسلم ج ٤ ص ٢١٥ - باب في البيت والنشور وصفة الأرض يوم القيامة - رقم: ٢٧٩٠.

(٤) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شيخ بن فار بن مخزوم بن ضاحلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل المخزومي أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة وكان أبوه حالف عبدالحارث بن زهرة أمه أم عبدالله بنت ود بن سبابة أسلمت فأصبحت أحد السابقين الأولين أسلم قديما وهاجر المحررين وشهد بدرا والمشاهد بعدها ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعله وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكثير وعن عمر وسعد بن معاذ وروى عنه أبناء عبد الرحمن وأبو عبيدة وابن أخيه عبدالله بن عتبة وأمهاته وبسب التقية ومن الصحابة العبادلة أبو موسى وأبو رافع وأبو شريح وأبو سعيد وحابر وأبو حنيفة وأبو أمامة وأبو الطفيل ومن التابعين علقمة وأبو الأسود ومسروق وأنس بن حنيفة وشريح القاضي وآخرون، وأما النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين الزبير وبعد الهجرة بينه وبين سعد بن معاذ وقال له في أول الإسلام إنك لعلام معلم. وهو أول من جهر بالقرآن محمدا، وقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يقرأ القرآن غضا كما نزل فليقرأ على قرأته من أم عبد. ومن أحياه بعد النبي صلى الله عليه وسلم أنه شهد فتح الشام وسيره عمر إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم. وعن وفاته: قال البخاري مات قبل قتل عمر وقال أبو نعيم وعمره مات بالمدينة سنة اثنين وثلاثين وقيل مات سنة ثلاث وقيل مات بالكوفة والأول أثبت. (راجع الإصابة في تمييز الصحابة - (العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ) - الفصل رقم: ٤٩٥٧ ص ٢٣٣/٢٣٥ (باختصار).

الأرض غير الأرض قال هي أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل فيها خطيئة»<sup>(١)</sup>.

❖ ويقول الشيخ الصابوني: «إن الله يتقم من أعدائه يوم الجزاء، يوم تبدل هذه الأرض أرضاً أخرى، وتبدل السماوات سماوات أخرى، قال ابن مسعود: تبدل الأرض بأرض العضة نقيسة، لم يسفك فيها دم، ولم يعمل عليها خطيئة، ويرتدون لله الواحد القهار، أي خرجت الخلائق جميعاً من قبورهم. ومنوا أمام أحكم الحاكمين، لا يستترهم ساتر، ولا يقيهم واق، وليسوا في دورهم ولا في قبورهم، وإنما في أرض المحشر أمام الواحد القهار»<sup>(٢)</sup>.

في نفس الوقت فإن معرفة حقيقة التكاليف الشرعية أمر غاية في اليسر بناء على أن هذه التكاليف ترتب عليها مصالح للعباد أنفسهم، ومنافع تتعلق بهم وحدهم، بعضها عملي يمكن معرفته كله، وبعضها قلبي يمكن بلوغ بعضه، وبعضها الآخر تعبدى. يقول المؤمن بالله إلى صحيح الاختلاف؛ لأنه إيمان بالغيب الذي شرعه الله تعالى. قال تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ الذين يؤمنون بالغيب ويطيعون الصلاة وما رزقناهم ينفقون \* والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون \* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون»<sup>(٣)</sup>.

ولا يغربن عن دارس منصف أن للفلسفة فوائد عملية، وأخرى علمية، وثالثة أخلاقية، وأهلاً في جانب معرفة الحقيقة لذاتها بعد الكشف عنها بمجد العقل والوجدان لتلقى معارف جديدة، والدفاع عنها بجرية، كما تجعل المؤمن بالله تعالى يرضى بما قسمه الله<sup>(٤)</sup>، ويحتفى في حبه ككلها حتى

(١) العلامة أبو سعيد الخميني بن كليب الشاشي المؤلف المتوفى ١٣٣٥هـ - المسند للشاشي ج: ٢ ص: ١٢٢ - الحديث رقم: ٦٦٩ - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٤١٠هـ - الطبعة الأولى - تحقيق د. محمّد الرحمن زين الله.

(٢) الأستاذ محمد علي الصابوني - حكمة التفاسير - المجلد الثاني ص: ١١٢ - دار رشيد سوريا - حلب ١٣٩٩هـ.

(٣) سورة البقرة - الآيات ٥/٢. يقول صاحب التحليل: «هذا الكتاب الذي يقرؤه محمد لا ريب، لا شك فيه أنه من عند الله هاد للمتقين الصائرين إلى تقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاقتنائهم بذلك النار. الذين يؤمنون بمصدقين ما نطق به من البعث والحياة والدار الآخرة وينفقون بالهدى ما أنزل إليهم من رزقناهم على سبيل العطايا. ينفقون في صاعقة الله. والذين يؤمنون بما أنزل إليك أن القرآن وما أنزل من قبلك أي التوراة والإنجيل وغيرهما وبالأخرة هم يوقنون يعلمون أولئك الموصوفون بما ذكر على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون الفائزون بالجنة الناجون من النار» - تفسير التحليل ج: ١ ص: ٤/٣

(٤) وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عن هؤلاء الكلمات فيعمل بها أو يعيها من يعمل بها قال أبو هريرة فقلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد حساً وقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما نسيب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» | الإمام الترمذي - سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٥٥١ - باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس رقم: ٢٣٠٥، والضرابي - المعجم الأوسط ج: ٧ ص: ١٢٥ رقم: ٧٠٥٤، وأحمد - مسند أحمد ج: ٢ ص: ٣١٠ رقم: ٨٠٨١

تلك الناحية، إذ متى أدرك العاقل أن الأمور تجري بمقاديرها<sup>(١)</sup>، وأن العمل في المتاحة ضرورة شرعية، فإنه يفوض الأمر إلى الله فيما جرت به المقادير، ثم يمارس عمله بكل طاقة ممكنة توازره نفسه القوية في إيمانها بالله تعالى، وتوجهه النصوص الشرعية. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسَيْرِ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُودُونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ومن ثم فإن معرفة الحقيقة والكشف عنها لذاتها، يعتبر فائدة من فوائد الفلسفة.

## ٢. بلوغ السعادة<sup>(٣)</sup>

من شأن أي عمل عقلي مفيد أن يعد الضرر عن صاحبه أولاً، وعن غيره ثانياً، وتلك أولى مهمات النظر العقلي، ولا يختلف في ذلك عاقل، وإبعاد الضرر في حد ذاته يريح المرء نفسه، وتجعله يشعر بأنه في مأمن من الأخطار التي تهدد به، أو تحاول فرض سلطانها عليه، وبالتالي يشعر المرء بشيء يغمر نفسه، ويفجر داخله طاقات الرضا، حتى يضفي على نفسه صفات البطولة تارة، والقدرة على مجابهة الأخطار أخرى، وهو ما يعرف بالسعادة<sup>(٤)</sup>.

أما إذا تعلق العمل العقلي بعد دفع المضرة بتحصيل منفعة ما لذات المتأمل، أو الخيطين به، فإنه سيقع له نوع من الفخر بنفسه؛ لأنه تمكن من تحقيق المصالح، كما يقع له السرور بنظر للنساء

(١) وفي الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرضه على الماء» [الإمام مسلم - صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٤٤ رقم: ٢٦٥٣ وأخرجه الحاكم - المستدرک علی الصحیحین ج ١ ص ٤٥ رقم: ٥]

(٢) سورة التوبة - الآية ١٠٥.

(٣) وردت مادة الكلمة من ع د في القرآن الكريم مرتين الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْ شَاءَ وَسَعِدَ﴾ [سورة هود الآية ١٠٥]. والثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مُحْذَرٍ﴾ [سورة هود الآية ١٠٨]. وهذه الآية فيها شيء من التفصيل، لما أحل في الآية التي قبلها، حيث تحدثت عن بعض نعيم أهل الجنة. وأهم في الجنة خالدون فيها، بنعمون مما تفضل أهل الله عليهم به، عطاء من عنده حل علاه، مستمرا لا ينقطع، والآيات معاً في سورة واحدة من سور القرآن الكريم، وليس بينهما فاصل كبير أو انشلاخ، وقد جاءت في بيان أهل السعادة ومكانتهم، من حيث النعيم، وأهل السفاوة وبيان مكانتهم في العذاب المقيم. [الشيخ عبد السافي عمرد سليمان - نظرات في القمص القرآن ص ١٣٥] وذلك يكشف لنا شيئاً من العلاقة المتشيرة، بين الفكر الإسلامي والنصوص الإسلامية، التي تحدثت عن الآخرة، وما فيها من نعيم أو عذاب، مما لا يعرف اليونان أو غيرهم شيئاً عنه.

(٤) الشيخ محمد السيد الدهيش - القرآن والعمل ط ١٣٦٥هـ.



الناس عليه<sup>(١)</sup>، وفوق ذلك فإنه يتشبه بأهداب البحث العلمي، بقية المزيد من المدح والثناء، أو ما فيه المنافع على ناحية من النواحي، وهو أيضا معنى السعادة<sup>(٢)</sup>.

❖ لكن بلوغ السعادة أو تحقق الوصول إليها، هل تكفى فيه النوايا الحسنة والتأملات العقلية المجردة، أم لا بد فيه من ممارسة ذلك كله، على ناحية عملية تكون هي المقياس الحقيقي للأفكار النظرية؟

**الجواب:** أن متابعة الحركة الفكرية كشفت عن غمك أهل الإغريق القدماء بجعل الفلسفة منحصرة في بعض القيم الأخلاقية، فلما جاء أرسطو أكد على حصر الفلسفة في الأخلاق العلمية، والاتجاه بغاية الفلسفة نحو الحياة العملية، معتبرا الجانب النظري قائما في الوجدان، أما تحقيق السعادة فإنه لا يكون إلا بفعل ما هو مبعّد عن الشقاوة وأسبابها، ومقرب إلى السعادة وأسبابها<sup>(٣)</sup>.

كالتقويم الأخلاقية المتوازنة، والزهد في اللذات إلى حد كبير، مع ممارسة أنواع التقشف والجرمان، حتى لا يقع المرء تحت وطأة الحاجة، أو الخضوع لقوانين الظروف، والتخلي عن مطامع النفس، مهما كانت ضرورية، والإلحاح على الشهوات، حتى لا تعبر عن نفسها في شكل من الأشكال التي تفرز الشقاوة، وتبعد عن السعادة<sup>(٤)</sup>.

كما أن مفهوم السعادة قد اختلف لدى المصريين القدماء، اختلافه عند أهل بابل والصين، بل أن تحقيق السعادة - رغم أنه هدف - قد باعد بين الكثيرين من الأمم، واختلفت وسائل التعبير عنه اختلافهم في مفهومه أيضا، وما ذلك إلا لتمسك كل فريق بالمفاهيم التي توارثها دون أن يقف على حقائقها أو يتعرف على أصولها.

أما الفيلسوف المسلم الحكيم فإنه ينحى هذه المفاهيم جانبا، ثم ينظر للسعادة على أنها قطعة عامة، يشترك فيها الناس جميعا، وإن اختلفت درجات اشتراكهم فيها أو إحساسهم بها، إنه ينظر إلى السعادة من حيث هي، ثم يبحث كيفية الوصول إليها، بحيث يكون المرء سعيدا في نفسه سعيدا في مجتمعه ومع الآخرين<sup>(٥)</sup>.

لأن ممارسة التقشف والحرمان على ناحية كبيرة، بغرض تعذيب النفس إلى الحد الذي قد يبلغ لها درجة الإزهاق، كان سمة غالبية على حياة الأبيقوريين والرواقيين وحدهم؛ لأن الرواقيين كانوا

(١) وهذا التواء أو المدح قد يكون مقبولا بين الناس، وعند الله من كانت غاية الفاعل هي رضوان الله تعالى، أما إذا كانت غايته إرضاء الناس فقط، فإن عمله يكون مقبولا بين الناس غير مقبول عند الله، ومن ثم فلا يلوح به.

(٢) الشيخ محمد السيد الدهيش - القرآن والعمل ص ٣٧.

(٣) الدكتور صابر عمن الشيخ - محاضرات في الأخلاق ص ٥٧ - ط مكتبة النصر ١٩٦١م.

(٤) الدكتور رمضان حسن السريطي - الفلسفة اليونانية ص ١٧٣ ط الدار الجديدة الثالثة ١٩٥٧م.

(٥) الدكتور أحمد حسن عبدالمعظم - الفلسفة والأخلاق ص ٦ الطبعة الثانية ١٩٧١م.

يتصورون أن فائدة الفلسفة هي السعي لحياة السعادة، باستعمال العقل وحده، واعتبروا الأخلاق هي وحدها فائدة الفلسفة وغايتها، أما علم الطبيعة والمنطق، فلما خدم يوصلان إلى تلك الفائدة<sup>(١)</sup>، فأزاحوا من طريقهم بعض القواعد التي كان من الواجب التمسك بها.

أما الأبيقوريون فقد كانت سعادتهم في احتمال الآلام، وإسكاف النفس عن الشكوى وإظهار التأم، والانتلاق بذيوخ الصبف وشهرة الاحتمال إلى آء التحلىق فى عالم واسع، ففضاض مسن الحىال، وكان الواحد منهم يذل قصارى جهده، فى ذلك الشأن؛ بغبة نبل السعافه، أو أن ىتحقق له أكفر قءر منها على أقل تقءفر<sup>(١)</sup>

وكان أرسطو يقول: «إن السعادة الحقيقية هي نشاط الروح، من خلال الفضيلة الكاملة، ونحن نتواجد من خلال الحياة والعمل، وأكثر بقاء من الحياة طبيعة العمل»<sup>(٧)</sup>.

يبد أن تحقيق السعادة للفرد والجماعة، في الفكر الإسلامي لا تكون إلا في الرضا بالأقسام<sup>(٤)</sup>، والتسليم بما جرى به الأقدار، والإذعان الحقيقي مع الاعتقاد الصحيح بأن ما أَرَادَهُ اللهُ كائن لا محالة<sup>(٥)</sup>، ففي الحديث القدسي: يقول رب العزة جل شأنه فيما يرويه رسول الله: عبدي أنت تريد وأنا أريد ولن يكون إلا ما أريد.

وفي السنة البوية المطهرة ما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقعة أهداه له رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث في شهر رجب فحلفه ثم سار في مليا ثم التفت فقال يا غلام قلت ليك يا رسول الله قال: احفظ الله وحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء؛ يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كاتب، ولو جهد الناس أن ينفعوا لم يقضه الله لك، لم يقدروا عليه، ولو جهد الناس أن

(١) راجع كتابنا: رياض الأشواق في المبتاهير بقا والأخلاق ص ٥٩ .

(٢) الدكتور فتحى محمد سليم - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٩٢ ط ١٩٧٥م، والدكتور نظمي محمد نظير - في تلويح الفلسفة اليونانية ص ٧٣.

(١) فريدريك روزنتال - التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١٥٠ - تقديم وتعليق الدكتور عبدالله حسن المسلمي - الناشر مكتبة سعيد رأفت ١٩٩٣م.

(٤) وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذني هذه الكليبات فيمفلن على ما أعلم من قبله أو يهرطها فقلت يا رسول الله فأخذني بعد عسا وقال إن أغراب تكسن أعبد الناس وأمرى بعملك أن لا تكن أغرابي وإن أحسن إلى جاراتك كن موافقاً للناس ما لم يغرب نفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تقلب القلب » [الإمام الترمذی - سنن الترمذی ج ٤ ص ٥١ - مستدرک ح ٢ من اتقى الغضب هجر أعبد الناس رقم : ٢٣٠ ، والطبرانی - المعجم الأوسط ج ١ ص ١٢٥ رقم : ٧٠٥٨ ، وأحمد - مسند ج ٢ ص ٣١ رقم : ٨٠٨١ ]

(د) ففي الحديث القدسي عن أبي هند الدارقي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى من لم يرض بقضائي ويحصر على بلاني فليكنس ربا سواي. [ المعجم الكبير ج ٢٢ ص ٣٢٠ رقم : ٨٠٧ ]

يضروك بما لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا، وأعلم أن مع الصبر النصر، وأعلم أن مع الكرب الفرج، وأعلم أن مع العسر اليسر»<sup>(١)</sup>.

كما أن سعادة المؤمن في دار الدنيا لا تتحقق بعد الاعتقاد الصحيح في الله رب العالمين، إلا بالالتزام الكامل بما شرع الله تعالى من قيام بالتكاليف على وجه صحيح، وقيام بالأخلاق الإسلامية على نحو متكامل، واعتقاد بالقيم النبيلة إلى أبعد حد، ونبد الأمراض الاجتماعية ومنها الكبر، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿٩﴾ يقول الحافظ ابن كثير<sup>(٤)</sup>: «يقول تعالى أمرا خلقه بتقواه وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنها لهم على قدرته التي خلقهم لها من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام، وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام، حيث خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم فاستيقظ فراها فأعجبته فأنس إليها وأنست إليه.

وقال ابن عباس<sup>(٥)</sup>: قال خلقت المرأة من الرجل فجعلت محمتهما في الرجل، وخلق الرجل

- (١) العلامة الحاكم - المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٦٢٣ رقم: ٦٣٠٣  
(٢) سورة الاحزاب - الآية ١٣. وقال صاحب الجلالين: «يأبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى هما آدم وحواء وجعلناكم شعوبا جمع شعب، وهو أعلى طبقات السب وقبائل هي دون الشعوب وبعدها العمار ثم البطون ثم الأنحاذ ثم القبائل أجراها لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا لتفاحروا بعلو النسب وإنما الفخر بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم بعبادكم» [تفسير الجلالين ج ١ ص ٦٨٧]  
(٣) سورة النساء - الآية ١.  
(٤) ابن كثير: هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي من أشهر مؤلفاته تفسير القرآن العظيم. والبداية والنهاية. تولى سنة ٧٧٤هـ. (الطبقات للداودي ج ١/١١١).  
(٥) عماد الدين بن عباس بن عبدالمطلب، الترخيب الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم كنيته أبو العباس مات النبي صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن عباس قد استوفى ثلاث عشرة ودخل في أربع عشرة وكان يفسر حديثه وكان يكنى أبا العباس، وكان قد قرأ انحرهم علي عهده صلى الله عليه وسلم دعاه له المصطفى صلى الله عليه وسلم بالفقه في دين الله وعلم تلاوين كتابه وكان يخرى لا يعرف. مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن ثنتين وسبعين سنة. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن معاذ، وعن عمر وميمونة وأم الفضل بنت الحارث وأبي هريرة والصبغ بن جثامة وزيد بن أرقم في الصحيح وأما عبدالله بن الزبير أسماء... وروى عنه أبو حمزة وأبو زميل وسعيد بن جبير وروى عنه وأبو العالية الربيعي ومجاهد وعطاء بن رباح وأبو عثمان النهدي وأبو المنذر الكلابي وطاوس وسليمان بن يسار وكريب وأبو الشعثاء حنبل بن زيد وابنه علي وعمر بن عمرو بن عطاء... [راجع العلامة أحمد بن علي بن محبوب الأصبهاني أبو بكر المولود ٣٤٧هـ والمتوفى ٤٢٠هـ - رجال صحيح مسلم ج ١ ص ٢٢٩ - رقم: ٧٣١ - دار المعرفة - بيروت]

الأرض فعملت لعمته<sup>(١)</sup> في الأرض فاحبسوا نساءكم. وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تَسْأَلُونَ بِهِ  
والأرحام﴾ أي واتقوا الله بطاعتكم إياه

قال الحسن<sup>(٢)</sup>: الذي تسألون به أي كما يقال أسألك بالله وبالرحم، وقال الضحاك<sup>(٣)</sup>:  
واتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بربوها وصلوها، وقال  
بجاهد<sup>(٤)</sup> وغيره: قوله ﴿إن الله كان عنكم رقيباً﴾ أي هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم كما  
قال والله على كل شيء شهيد<sup>(٥)</sup>، ومن ثم فإن مراقبة العبد لمولاه هي القيام بالطاعة، التي فرضها عليه  
حل علاء.

وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة «عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن الله  
حل وعلا قال الكبرياء ردتني والعظمة إزارني، فمن نازعني في واحدة منهما قذفته في النار، ومن  
اقترب إلي شبرا اقتربت منه ذراعاً، ومن اقترب مني ذراعاً اقتربت منه باعاً، ومن جاءني بعشي جنته  
أهروول، ومن جاءني يهرول جنته أسعى، ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في مـ

(١) انهمه بلوح الصفة في الشيء، وقد نهى بكنا عمة فهو مفهوم أي موع به وفي الحديث منهومان لا يشبعان مفهوم  
بالمال ومنهمو بالعلم والنهم بفتحين إغراء الشهوة في الطعام وقد نهى من باب طرب ونهم الإبل زجرها وصاح بها  
لتحد في سيرها وباه قطع ونهما أيضاً. [ العلامة الرازي - مختار الصحاح ج ١ ص ٢٨٤ ].

(٢) هو «الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام أبو سعيد مولى زيد بن ثابت وقيل مولى جميل بن صفحة خالصة فقيهة وقيل  
غير ذلك وأبوه يسار من سبي ميسان أعنته الربيع بنت الحر ولد الحسن زمن عمر وسمع عثمان وشهد الدار بن أرسع  
عشرة سنة وروى عن عمران بن حصين وأبي مرسى وابن عباس وجندب وعنه بن عون ويونس وأبى كان كثير الشبان  
رفع الذكر رأساً في العلم والعمل مات في رجب سنة عشرة ومائة وقد قارب التسعين » [ راجع العلامة حمد بن أحمد  
ببر عبد الله الذهبي الدمشقي المولود ٦٧٣هـ، المتوفى ٧٤٨هـ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة -  
ج ١ ص ٣٢٢ رقم: ١٠٢٢ - دار الفيلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م - الطبعة الأولى  
- عدد الأجزاء ٢ - تحقيق محمد عوامة. تقريب التهذيب ج ١ ص ١٦٠ رقم: ١٢٢٧، جامع التفتيش ج ١ ص ١٦٢  
رقم: ١٣٥، سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٦٣ رقم: ٢٢٣، الطبقات للدواوي ج ١ ص ١٥٠ ].

(٣) الضحاك: هو الضحاك بن مزاحم الخراساني أبو محمد، وقيل: أبو القاسم صاحب التفسير وكان من أوعية العلم  
وهو صدوق في نفسه وثقة أحد بن حنبل ويحيى بن معين. توفي سنة ١٠٢هـ. وقيل ١٠٥هـ. وقيل: ١٠٨هـ.  
(سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٤٨١).

(٤) بجاهد: هو بجاهد بن جبر مولى السائب بن أبي السائب المحرومي. مات ساجدا سنة ١٠٣هـ. راجع سير أعلام  
النبلاء - ج ٤ ص ٤٤٩.

(٥) العلامة الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء المتوفى ٧٧٤هـ - تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٤٩ -  
دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ - عدد الأجزاء ٤.

ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب»<sup>(١)</sup>.

وعن فضالة بن عبيد<sup>(٢)</sup> عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيا، وأمة أو عبد أبى من سيده فمات، وامرأة غابعت زوجها وقد كفها أمر الدنيا فترجعت بعذر وثلاثة لا يسأل عنهم رجل نازع الله رداءه فـ في رداءه الكبرياء وإزاره العز ورجل كان في شك من أمر الله، والقنوط من رحمة الله»<sup>(٣)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله<sup>(٤)</sup> قال «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أواسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، اللهم أبلغت؟ قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال أي يوم هذا قالوا: يوم حرام، ثم قال: أي شهر هذا، قللوا: شهر حرام ثم قال: أي بلد هذا قالوا: بلد حرام قال فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم فقال ولا أدري قال وأعراضكم أم لا كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أبلغت قالوا بلغ

(١) ابن حبان - صحيح ابن حبان ج ٢ ص ٣٥ - ذكر في الإخبار بأن من تقرب إلى الله قدر شر أو ذراع بالطاعة كسلت الرسائل والمغفرة أقرب منه بإح - رقم: ٣٢٨. وأخرجه ابن حبان بلفظ عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما ينكح عن ربه جل وعلا الكبرياء رداً والعظمة إزاراً فمن نازعني واحدا منهما قدفت في النار» [صحيح ابن حبان ج ١٢ ص ٤٨٦ - ٦ باب التواضع والكبر والعجب - ذكر الإخبار عما يجب على المسرة من لزوم التواضع وترك الكبر على عباد الله رقم: ٥٦٧١، «الحاكم - المستدرک علی الصحيحین ج ١ ص ١٢٩ رقم: ٢٠٣، وابن ماجة - سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٩٧ رقم: ١٦ باب البراءة من الكبر والتواضع الحديث: ٤١٧٤، والطبرانی - المعجم الأوسط ج ٩ ص ١٠٣ رقم: ٩٢٥٣، وأحمد - مسند أحمد ج ٢ ص ٢٤٨ رقم: ٧٣٧٦]

(٢) فضالة بن عبيد وهو عبيد بن نافع بن كلفة الأنصاري من الأوس من بني عمرو بن عوف نزل الشام له صحيفة نزل دمشق وبني ما دارا، وولي القضاء بدمشق بعد أبي الدرداء، مات ما في ولاية معاوية بن أبي سفيان وكان معاوية فيمن حمل سريره، وله عقب، روى عنه أبو علي عمرو بن مالك الجني وحسن الصنعاني وميسرة مولى فضالة وأبوه علي الحمداي ثمامة بن شفي وعبد الله بن عبيد بن عمرو. [راجع الثقات ج ٣ ص ٣٣٠ رقم: ١٠٧٨، وأخرج والتعديل ج ٧ ص ٧٧ رقم: ٤٣٣، ومشاهير علماء الأمصار ج ١ ص ٥٢ رقم: ٣٣٩]

(٣) الحافظ نور الدين الهيثمي - مجمع الزوائد ج ١ ص ١٠٥.

(٤) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد وهو أحد المكثريين عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحيفة وفي الصحيح عنه أنه كان مع من شهد العقبة. روى مسلم من طريق عن أبي الزبير أنه سمع جابراً يقول غسرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة قال جابر لم أشهد بدراً ولا أحداً من بني فلان قتل لم أتخلف، وعن جابر قال استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمل خمساً وعشرين مرة أخرجه أحمد وغيره عن أبي الزبير عنه. وقال قتادة قال كان آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتاً بالمدينة جابر، حيث سنة أربع وسبعين، ويقال: إنه عاش أربعاً وتسعين سنة. راجع الإصابة لابن حجر - الجهم بعدها الألف... في الفعل: ١٠٢٧ (ص: ٤٣٤).

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليبلغ الشاهد الغائب<sup>(١)</sup>. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بقوى الله»<sup>(٢)</sup>.

أضف إلى ما سبق؛ أن سعادة المؤمن لا تكون إلا في إسعاد إخوانه من أهل الإيمان؛ لأنه عضو في جماعة متكاملة، يربط بينها جميعا الإيمان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(٤)</sup>.

وقد بذل مفكرو المسلمين جهودا كبيرة في الحديث عن السعادة من ناحية المفهوم والأقسام والأنواع التي تكون بعضها في الدنيا، والبعض الآخر في الآخرة، بل قدم أغلبهم نظريات متكاملة في السعادة<sup>(٥)</sup>، وإن كان يربطها بالأخلاق أحيانا، أو يربطها بالعمل أحيانا أخرى، إلا أنها في مجملها تنكشف عن عبقرية متميزة، وانطلاقات فكرية فيها الجدة مع الأصالة والطراقة، وهو ديدن الحكماء من أهل الإسلام، وأحد السمات البارزة التي تتميز بها الحكمة أو الفلسفة الإسلامية.

وجدير بالذكر القول بأن كل مفكر يصح أن يوصف بأنه فيلسوف قد داعيته خيالات السعادة على ناحية من النواحي، وحاول تحقيقها في عالمه الخاص على أقل تقدير، ثم انطلق منه إلى العالم الأوسع مكانا، والأكثر رحابة، يستوى في ذلك أن يكون بحثه من خلال الحياة العملية، التي

(١) راجع: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) - مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٤١١ الحديث: ٢٣٥٣٦ - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى - دار كتب الفقه، والعلامة عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد (٥٨١هـ/٦٥٦هـ) - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ج ٣ ص ٣٧٥ الحديث: ٤٤٩٤ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ - الطبعة الأولى - تحقيق إبراهيم بنس الدين، والعلامة أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) - حلية الأولياء ج ٣ ص ١٠٠ - طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ - الطبعة الرابعة، والمخطوط نور الدين علي بن أبي بكر الميمني - مجمع الروائد ومجمع الفوائد ج ٣ ص ٢٦٦، ج ٣ ص ٢٧٢ بتحرير المحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر - - طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ، الموافق ١٩٩٢م. (٢) الشيخ إسماعيل محمد العلول (ت: ١١٦٢هـ) - كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ج ٢ ص ٤٣٣ رقم: ٢٨٤٧ - مكتبة الغزالي - دمشق. وأخرج العلول في نفس الصفحة بلفظ الناس كأسنان المشط. وقال: أخرجه الديلمي عن سهل بن سعد زاد وأما يتناصرون بالعاني فلا تصح أحدا لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له. (٣) سورة المحررات - الآية ١٠.

(٤) الإمام البخاري - صحيح البخاري ج ١ ص ١٤ - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه - رقم: ١٣، والترمذي - سنن الترمذي ج ٤ ص ٦٦٧ رقم: ٢٥١٥، والنسائي - سنن النسائي (المتن) ج ٨ ص ١٢٥ - باب علامة المؤمن - رقم: ٥٠٣٩، وابن ماجة - سنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٦ - رقم: ٦٦.

(٥) حيث فعل ذلك كل من الثوري وابن سينا وابن باجة، وابن طفيل وابن جماعة، وكثير غيرهم، بل كان الصوفية هم الآخرون ممن شاركوا في إقامة نظريات متعددة حول فكرة السعادة، فضلا عن علماء الأخلاق كإمام مسكويه والفسرالي وغيرهم من مفكري أهل الإسلام.

تجرى فيها الأعمال والإنشاءات<sup>(١)</sup>، أو من خلال الحياة العلمية التي تجرى فيها قنوات الفكر متمثلة بالتأملات، حافلة جنباتها بكل ما من شأنه أن يثير في الناس المزيد من طلب السعادة، أو الرغبة في تحصيلها، وذلك من فوائد الفلسفة لا محالة.

### ٣. ربط التفكير النظري بالحياة العملية

توهم البعض أن الفلسفة بحث عقلي نظري وكفى، لا علاقة له بالحياة العملية، بمعنى أن الأفكار الفلسفية لا تقبل الدخول إلى ميدان التطبيق العملي، حتى توسع خصوم الفلسفة في هذه النتيجة، ومن ثم رموا الفلسفة بأنها لا تنتج أفكاراً عملية، وضاعف من هذه الخصومات أن الفلاسفة أنفسهم لم يفكروا في الرد على تلك التوهمات، فكان من نتيجة ذلك أن صارت تلك الاتهامات مادة خصبة نبت فيها الأفكار العدائية<sup>(٢)</sup>، وظلت تعيش في جنباتها التبعة اللاشعورية على الفلسفة والفلاسفة.

بيد أن تاريخ الفكر الفلسفي قد كشف النقاب عن أن البحث العقلي الفلسفي بطبيعته ميل للناحية التطبيقية التي تعتر غاية بعيدة يقوم عليها. يقول الدكتور توفيق الطويل: « غاية الفلسفة المباشرة هي كشف الحقائق، وغايتها البعيدة هي الإفادة من هذه الحقائق في دنيا العمل على ناحية مأمونة »<sup>(٣)</sup>.

وإذا أدركنا الوجهة ناحية الخلف أو رجعنا إلى الوراء، أطلعتنا الأيام على أن زعماء الفكر الفلسفي كانت نتائج أبحاثهم لا تقبل إلا إذا أسكن الاحتكام فيها إلى نتائج ما يعقبها عند التطبيق، حتى إن مبتلي أفلاطون قد حاول تصويرها كأنها واقع عملي، فلما لم يتمكن من ذلك هوجمت مثله، وانطوت معالمها، وما بقي لها إلا الذكرى بعد الأثر<sup>(٤)</sup>.

● وأرسطو حين قرر الاحتكام إلى النتائج الفكرية، لم يكن يقصد الاحتكام إلى التجربة العملية، وإنما كان يهدف إلى تحويل الأنماط الفكرية إلى شجرة وارفة الظلال، تمتد تحت جداول الماء الخرخارة، فتروى عطاش الأفكار على الجانب العملي، بحيث ينظر المفكر إلى نتائج فكرة، فيراها قد أثمرت

(١) الدكتور فوزي محمد حسن - الأخلاق عند فلاسفة الإسلام ص ١٩٥ - طعة أول - دار الثقافة - بيروت ١٩٥١م.

(٢) الدكتور: حامد المتولي رضوان - الفلسفة بين الحسوم والأنصار ص ٧٣، وهذه النتيجة قد تكون مقبولة بعض الشيء، لكنها لا تدعمها بعض الإنشاهات الأخرى كتموض الفكر الفلسفي، وتعال الفلاسفة أنفسهم .

(٣) الدكتور: توفيق الطويل - أسس الفلسفة ص ١٠٦ وهو بهذا يؤكد على أن السعي للحياة العملية سمة تميز بها الفلسفة عن باقي العلوم الأخرى.

(٤) الدكتور: عمن السيد تعيلب - الفلسفة اليونانية ص ١٤٥ ط دار المغرب الجديدة - مراكش ١٩٦٧م.

طبا وهندسة، وكيمياء، وفيزياء، وأثبت فلكا ورياضة؛ لأنها تدفع إلى ذلك كله، وتسوق إليه سوقا مباشرا على الدوام.

وهذا الاتجاه قد غلب على أصحاب الفكر الفلسفي في العصر الحديث، باعتباره جامعا بين عدة فوائد، وبخاصة أنها تقود إلى كشف الحقيقة ومعرفتها لذاتها، ثم تدفع ذلك الانطلاق نحو السعادة، بغية تحقيقها على الناحية الواقعية عملية كانت أو نظرية<sup>(١)</sup>.

ثم إن البحث الفلسفي يلتزم بالممارسة، وضبط العلاقات القائمة بين الفكر الماسحوي والواقع العملي، الذي يسبق التأمل العقلي، بحيث يكون هو موضوع النظر العقلي، ثم يتأخر عنه، حتى يكون هو الناتج والغاية، وبالتالي فلا يمكن القول بأن الفكر الفلسفي خارج نطاق التجربة أو التطبيق العملي، وإنما لابد من القول بأن التفكير العقلي الفلسفي يواكب السعادة<sup>(٢)</sup>، حتى يكون هو الرباط القوي الذي تتلاقى أنسجته وتتلاحم خلاياه مع الحياة العملية لتحقيق السعادة المشروعة على النحو الأكمل.

بل إن بعض الفلاسفة قد ذهب إلى أن الميتافيزيقا النقدية مجالها الحقيقي هو التطبيق العملي، حتى أطلقوا عليها اسم الفلسفة التجريبية، كما ألحوا إلى أن هذه الفلسفة النقدية هي المعبر الأصيل عن اتجاهات الفلسفة بوجه عام، أو هي النموذج الأمثل للتفكير العقلي الحر، وانطباقه مع الحياة العملية<sup>(٣)</sup>، فإذا لم يقع التطبيق العملي، فإن الأفكار تكون غير مقبولة.

● **ويقرر اشتبايبك أن الفلسفة النقدية التي هي جزء من الميتافيزيقا بوجه عام، جذير بما الإعلان عن كونها الممثل الحقيقي للفلسفة؛ لأنها هي التي تطابق بين العلم والعمل، أو بين الفكر والواقع المعاش، وهي فوق ذلك الرباط الوثيق بين الأفكار النظرية والحقائق العملية<sup>(٤)</sup>.**

● **كما يذهب أريشتيناخ في نفس التمرة، حيث يقرر أن الوضعية قد خطت بالفلسفة النقدية خطوات واسعة، حين أعلنت عن فلسفتها النقدية، وأبانت عن ملامح اختلاطها بالحياة العملية التي تدفع عجلة الحياة إلى الأمام، وعمهد للناس طرائق الحياة في أشكال مختلفة، كلها تؤدي في النهاية إلى موافقة التفكير العقلي النظري للحياة العملية<sup>(٥)</sup>، وبنائها عليه، حتى تتحقق المصالح العليا للنسرد والجماعة.**

(١) الأستاذ: نصر محمد السيد صبرى - الفلسفة والأخلاق ص ٩٥ ط ١/١٩٦١م.

(٢) الشيخ عبدالفتاح حسن المصعدي - السعادة الإنسانية ص ٥٧ ط دار هدى ١٩٨٥م.

(٣) الدكتور: عبدالرازى محمد الأنور - الفلسفة النظرية والعملية ج ٢ ص ٣٣ ط ٢ كركوك ١٩٤١م.

(٤) جون اشتبايبك - الفلسفة النقدية والعملية ص ٨٣ ترجمة ناصر محمد ط الدار الأهلية ١٩٥٧م.

(٥) أريشتيناخ - الفلسفة الوضعية ص ١١٥ - طبعة أولى - ترجمة حنان صبرى ١٩٦٣م.



وبعيدا عن اتجاهات الفلسفة الوضعية؛ فإن الفكر التأملى هو الذى قسّد إلى الحضارة في جانبها التفانى والمدنى، ولما كان الجانب التفانى هو المثل للجانب النظرى من الحضارة؛ فإن المدنى هو المعبر الحقيقى، بل هو الجانب العملى التطبيقى لذات الحضارة، ومثل ذلك الانعاش مما يتسبب إلى ضرورة اختياره أحد الفوائد الفلسفية لا محالة<sup>(١)</sup>.

أما الذى يمكن الانطلاق منه، فهو أن التأمل العقلى كالتأمل الذى يخلق في الفضاء مخسرا، ثم يلجأ للبحث عن وكر يأويه ليلا، ويذل جهده في بلوغ تلك الغاية قبيل غروب الشمس، فهو إن خلق غمارا، إلا أنه يحتاج المأوى الآمن ليلا، وإن حاول الطير ليلا تغرر جناحه، وضاعت أحلامه، وتبددت أمانيه.

لكن وكأنى بقيس العامرى في منولوجه النفس أو حوارها الداخلى يترنم قائلا:

كأن القلب ليلسة قبل يفت .. سدى بيللى العامرية أو يبراج  
قطعات عزها شسرك فيساتت .. تعانجه وقد علق الجناح

فوق ذلك؛ فإن الواقع العملى يقع فيه التطور على الدوام، ولا يقع التطور على ذات الواقع الحياتى، وإنما لابد من عقلية مفكرة تقوم بهذه العملية، حتى تنتقل بالواقع الحياتى من صورة بدائية إلى صورة أرقى من الأولى، ثم يستمر التطور، حتى يبلغ أعلى درجات الرقى، وأقوم طاقات الإبداع، وهذه العقلية المفكرة هي الممثل الحقيقى للفكر الفلسفى في صورة من صور المعرفة<sup>(٢)</sup>.

إذن المحاولات التى يقوم بها العقل النظرى التأملى في المجتمع وتطوره، ينتج عنها انطلاقات اجتماعية، وأخرى ثورية، وثالثة اقتصادية، ورابعة سياسية، وهكذا تتعدد نتائج الانطلاقات الفكرية لتعبر هذه النتائج كلها عن علوم متحدة في بعض جزئياتها، وتكون هذه العلوم بمثابة القرار الكاشف للحكم القضائى، أو الممثل الحقيقى للأفكار على الناحية العملية.

❖ يقول الشيخ الدينى: أن ارتباط الحياة العملية بالفكر النظرى ليس صحيحا وإنما لابد فيه من ارتباط هذه النتائج الفكرية النظرية بالحياة المعاشة، أو الواقع العملى، وإلا كانت الفلسفة عيشا لا طائل من ورائه. أو نختار سراب<sup>(٣)</sup>، لا يوجد فيه ماء، والله تعالى قد ضرب هذا المثل للعالمين الكافرين. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَاءَ حِسَابِهِ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٤)</sup>. وقوله سبحانه:

(١) وفي تقديرى أن من يكر ذلك إنما يلجأ إلى المكابرة والجدل أو تصفية الحسابات، أو الإنصاح عن طبيعة المعلومات التى يعتقدونها، لا التى تدل لها النصوص الصحيحة، أو يشهد لها الواقع العملى.

(٢) الأستاذ محسن عبد الحميد رزق - الفلسفة الإسلامية وفنائها ص ١٨٧ ط ١٩٦٥م.

(٣) الشيخ: أحمد عبد الحميد الديبرى - قضية الفلسفة من منظور إسلامى ص ٦٥ طعة دار حكمت الله ١٣١٥هـ.

(٤) سورة النور - الآية ٣٩.

﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾<sup>(١)</sup>.

ونفس الفكرة يرددها العلامة الدمشقي، حيث يقرر ان التفكير العقلي الخالص يمثل حركة عقلية ناضجة، ولكن الحكم على هذه الحركة بالصحة أو الخطأ مرده إلى الناحية العملية، فإما أن تسير في اتجاه التطبيق العملي على الناحية الصحيحة، وإما أن تسير في اتجاه معاكس لا يقع على الناحية العملية موقع القول<sup>(٢)</sup>، وهذا كله مما يفسر لنا إصرار الفلاسفة على أن ارتباط الفلسفة بالناحية العملية أمر لا جدال فيه، وأن معال هذا الارتباط بادية في أرجاء الكون لا تفارقه، فكان ذلك من فوائد الفلسفة.

### المساهمة في استحداث أنماط (٢) فكرية جديدة

لم تقف فوائد دراسة الفلسفة عند كشف الحقيقة لذاتها، والوصول إلى تحقيق السعادة، وارتباط التفكير النظري بالحياة العملية، وإنما تعدى ذلك إلى المساهمة في التعرف على أنساق<sup>(٣)</sup> فكرية جديدة، واستحداث أنماط عقلية تندمج فيها الأفكار بالواقع، ويقع التطابق بين النظر والعمل، ثم استيلاء عناصر فكرية جديدة، تكون بمثابة الوليد أو الحفيد للأفكار الأصلية التي قامت عليها أو انطلقت منها<sup>(٤)</sup>.

لأن طبيعة البحث العقلي لا تفارقه، إذ هو على الدوام يمارس مهامه في أرجاء الكون المختلفة، يستوى في ذلك العالم المشاهد الواقع تحت الحس والتجربة، أو العالم الروحاني الذي لا تمارس فيه التجربة، أو العالم الذي أخير به النقل المتزل، ويسعى العقل جاهدا في بلسورة الفكسة المقدمة إليه عنه، بحيث تظهر في صورة تكون أقرب إلى الوثائق المعمول بها من النظريات المجردة<sup>(٥)</sup>.

والعقل حين يخوض هذه الغمار، إنما يسلك مسالك متعددة، ولأن الحاجة أم الاختراع، فالعقل ذاته يجد في سبيل استحداث أنماط أو طرائق أو أساليب فكرية تساهم معه في تقديم حلول

(١) سورة إبراهيم - الآية ١٨ .

(٢) العلامة نور الدين صبحي الدمشقي - الفلسفة بين الحقيقة والخيال ص ٩٣ ط ٢ الدار الإسلامية ١٣٣٧هـ.

(٣) النمط هو الطريقة أو الأسلوب، كما يطلق على الجماعة من الناس الذين أمرهم واحد، ويطلق كذلك على الطراز من الشيء والفنم والنوع. [ لويس مغلوب - المحدث في اللغة والأعلام والأدب - باب اللون ]

(٤) انسق: ما كان على نظام واحد من كل شيء. يقال: جاء القوم نسقا، وزرعت الأشجار نسقا. [ العلامة الرغشسرى - أساس البلاغة - باب اللون والسين وما يتألفهما ]

(٥) راجع كتابنا: التفكير الإنسان أصوله ومستوياته ص ٨١ .

(٦) راجع كتابنا: التيارات الفكرية ص ٢٢٥ .

للمشكلات التي تعترض طريقه في الوصول للحقيقة، أو تمثل بالنسبة له بعض الموقفات التي تقف في سبيل بلوغ تلك الغاية<sup>(١)</sup>.

فإذا كانت الأنماط الفكرية في الماضي قد انحصرت في نوعين هما النظري والعملي، إلا أننا في العصر الحديث نخطت ذلك كله، فصار النظري أنواعا، والعمل أنواعا، بل صار كل نوع منهما - يمثل مجموعة تجارب فكرية، وإنجازات علمية، وتقع في بعضها التحرة، كما يقع في البحث الآخر الخدس العقلي.

ثم ومن ثم انقسمت العلوم إلى:

- أ- نظرية صرفه.
- ب- عملية صرفه.
- ج- سلوكية<sup>(٢)</sup>.

ثم وربما ارتباط ذلك بالبحث في الأفعال الإنسانية أيضا، حيث انقسمت إلى:

- أ- أفعال اضطرابية كلها.
- ب- أفعال اختيارية كلها.
- ج- أفعال تجمع بين الاضطراب والاختيار<sup>(٣)</sup>.

ثم وكان من جراء ذلك أن انقسم الحكم على الأفعال بأنها:

- أ- إما خيرة كلها.
- ب- إما شرية كلها.
- ج- إما جامعة بين الخيرة والشرية.

ولما كان كل علم من العلوم أو فعل من الأفعال، وحكم من الأحكام يحتاج طرائق للبحث فيه، ونتائج يتوقف عليها؛ فإن الفلسفة هي التي تمهد لذلك كله على سبيل المساهمة الإيجابية، هي أنما تتولد عنها حركة عاقلة، تنتهي إلى استحداث طرائق على درجة عالية من الأهمية عند النظر في أنماط الفكر وأنظمته، وكما أن فكرة الأنسا بأنواعها<sup>(٤)</sup>، فقد اجتاحت مناهج لدراساتها، فبين فكرة

(١) راجع كتابنا: التفلسف (مفهومه - بواعثه - خصائصه) فقد تعرضت فيه لتحليل بعض هذه المظاهر.

(٢) هذا التقسيم غير التصنيف الذي قد يتجه إليه بعض أصحاب البحث في المناهج.

(٣) راجع للزميلة ستر عبد الرحمن عبده - الفعل الإنسان بين المتكلمين والأخلاق والفلاسفة.

(٤) هناك الأنا الذاتي والأنا الآخر، والأنا الأعلى، وكان واحدة منها تقوم على دراستها مباحث، هذا. [ راجع للدكتورة هادي خمر - الأنا والأنا الآخر ص ٤٧ وما بعدها - طبعة دار باهر كركوك ١٩٨٧ م ] والأنا الشخصي : هي الوحدة الدنيا... التي تولد الفرد، أو هي تجربة الفرد لنفسه، أو تصوره الكلي لذاته. [ راجع: أسعد رزق - مرسوعة علم النفس ص ٤٧ - مراجعة الدكتور عبدالله عبد الدائم ] . أما الأنا الأعلى : فهو اصطلاح يستخدمه علماء التحليل النفسي بحارة لفرويد للدلالة على تكوين يحدث في العقل الباطن، يقوم بوظيفة الضمير بالنسبة لكل من الأنا الواعية وعشرون الدوافع والبواعث اللاواعية، التي تتم في معظمها طبيعة جنسية يتكون الأنا الأعلى من تجارب مفكرة تفرد بكل رئيس إلى علاقات الولد بالآبوين، وهو الذي يقترن به الأخلاق الاجتماعية، ويتخذ أفكارنا وأفعالنا جامعا بين الوعى واللاوعي. [ راجع الدكتور سعدون رزق - مرسوعة علم النفس ص ٤٧ - مراجعة الدكتور عبدالسلام - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط ١٩٧٩ م ]

المو<sup>(١)</sup> هي الأخرى صارت بحاجة إلى أنظمة منهجية، تتوافر عليها لدراستها وتقدم الفائدة المرجوة منها، وكان ذلك من الفوائد التي عكفت عليها الفلسفة إبانة لها وتفصيلا.

ويذكر المؤلفون أن الحضارة ظهرت في أرض مصر منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ، وأنه قد وجدت آثار العصر الحجري الأول، الذي يرجع إلى اثنين وأربعين ألف عام قبل العصور التاريخية، في جبل القربة غرب النيل من ناحية الأقصر، وكذلك في صحراء العباسية من شمال القاهرة<sup>(٢)</sup>، وكان الإنسان في تلك العصور القارية يستخدم الحجر الصوان في صنع الأدوات التي يستخدمها في الصيد والدفاع عن نفسه، وفي هذا العصر كانت تنتشر الحضارة<sup>(٣)</sup> ما قبل التاريخية في أفريقيا والشرق الأدنى، وجنوب غرب أوروبا حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وكان إنسان العصر الحجري يعيش في الكهوف، وتحت الصخور، ويعتمد في غذائه على الفئس والصيد، بجانب الزراعة والرعي<sup>(٤)</sup>، وكان ذلك كله يحتاج عقلية متمكنة، تستطيع إيجاد أنماط فكرية، يكون بإمكانها الموازنة بين ظروف العصر وحاجيات الكائن الحي، ولم يكن ذلك الدور يقوم به أحد سوى المفكرين الذين عشقوا الحكمة، وانطلقوا في طريقها إلى أبعد مدى.

بيد أن دور الفلسفة لم يتوقف عند مجرد المساهمة في إيجاد أنظمة وأنماط فكرية جديدة على ناحية نظرية، وإنما تغطي ذلك كله إلى المجال التطبيقي النقدي، فصارت الفلسفة الإسلامية جديرة بإطلاق صيغة التأمل العقلي والتجربة العملية على مباحثها من الناحية الفنية.

كما أن الفلسفة عند تحليلها للنظم الفكرية وروابط الحياة الاجتماعية ومظاهرها، فإنها تنظر إليها نظرة واقعية، ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع المعاش نفسه، بحيث تعمل على تلبية احتياجات أفرادها، والموازنة بين الإمكانيات والمتطلبات<sup>(٥)</sup>، وذلك مما يسترعى الانتباه، كما يستلزم ضرورة البحث عن طرائق جديدة أيضا، يمكن أن تواجه المشكلات المستجدة، وهو مما يساعد على إيجاد أنماط فكرية جديدة، سواء تعلقت بطرق مواجهة المشكلات، أم تعلقت بالحللول المباشرة لها، باعتبار أن الفلسفة هي البحث عن الحقيقة، والسعي إلى تحقيق الخير والجمال<sup>(٦)</sup>.

(١) تعتبر فكرة المو رد فعل موقفي لفكرة الأنا، ولذلك يعتبرها البعض من النظريات التي نحيء بين الفعل المنفرد، والفعل المتكس. [ راجع لتتري بارين - الأنا والمو (دراسة سيكولوجية) ص ٤٧ - ترجمة يوسف مرقص ].

(٢) وموقعها الحالي في محافظة الشرقية، ما بين بليس وأبو حماد والملاك، وهي مشهورة بآثارها وبرك العيد وتربية الخيول العربية الأصيلة.

(٣) تعرف الحضارة بعدة تعريفات منها : « ألقا ذلك النمط من الحياة المستقرة، الذي يقتضى فنونا من العيش والعلم والصناعة وإدارة شئون الحياة والحكم وتوطيد حياة الدعة وأسباب الرفاهية. [ الأستاذ توفيق محمد سيع - فهم حضارة في القرآن الكريم - عالم ما قبل القرآن ج ١ ص ٢٢ ط دار المنار بالقاهرة ].

(٤) الدكتور: نازلي إسماعيل حسين - فلسفة الحضارة ص ١٨ طبعة سعيد رأفت .

(٥) الدكتور فوزي السيد البنان - الفلسفة والمجتمع ص ٤٧ طبعة دار منشور ١٩٥٤ م.

(٦) الدكتور نازلي إسماعيل حسين - فلسفة الحضارة ص ٣ .

ولعل أفلاطون<sup>(١)</sup> اليوناني كان من أكثر أهل اليونان بعد سقراط حرصا على التوسع العلمي في إيجاد أنماط فكرية جديدة، حتى إذا جاء أرسطو من بعده، أضاف إلى ما تركه أفلاطون الكثير الذي نسب إليه استقلالا، فكل منهما أدى واجبه الفلسفي على الناحية التي أمكنه القيام بها.

أما عند فلاسفة المسلمين فقد كانت الفلسفة الإسلامية من أوسع العلوم بحثا عن الطرائق والأخطاف الفكرية الجديدة، يستوى ذلك بحثها في أمور الدنيا كلها؛ لأنها قائمة على النقل المنزل، كما أنها فتحت أفقا للتأمل الفكري في الملوكوت كله، من خلال التأمل المتواصل في النقل المنزل، فكانت الفلسفة الإسلامية هي المتعمرة بهذا الجانب على الناحية التوفيقية أيضا.

➤ **الدفاع عن العقيدة الإلهية** ➤

ما من شك في أن الفلسفة الإسلامية تقوم بدور فعال في الدفاع عن العقيدة الإلهية، مسرّحاً تقريرها على ناحية عقلية، وإزاحة الشبهات من طريق الإيمان بهذه العقيدة الإلهية؛ لأن الغاية التي تقصد إليها في تعميم الفلسفة هي معرفة الحقائق سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>، وذلك يستلزم الدفاع عنها بكل ما لدى المفكر المسلم من قوة، أو أدنى سبب من الأسباب.

وقد ظهرت هذه الفائدة لدى فلاسفة الإسلام، الذين كان إيمانهم بالله والوحى الإلهى السماوى هو الدافع<sup>(١)</sup> لهم على ممارسة ذلك، كما كانت تقتهم بالعتل ومذاهبهم الفكرية من

- (١) هو الفلاطون بن أرسطو وكريستوس، من أعظم فلاسفة اليونان، ومن أفضل تلاميذ سقراط، وهو أعزاد أرسطو. ولد في أثينا عام ٤٢٧ ق.م. ومات عام ٣٢٧ ق.م. كان من أسرة أشرافية، عاش على التزهد، فعمله درس تعليم، واغتنى بالرياضيات، فعمله درس فقه سقراط الزم، حتى حُكم على سقراط بالاعدام، وبعد ذلك أحرقه إلى حاله إلى لا تزال كشيرة، رغم أن أثينا مرة أخرى. وأنشأ لها معبدًا عرف بالأكاديمية، له مؤلفات عديدة، فزادت الكثير، وله ثلاثون معاصرة فلسفية، من أهمها: أرميسوس والسفساطي، وفيتاتوس، والجوهري، وفيدون، فيثاغورس. (راجع الموسوعة الفلسفية المتخصصة - ترجمة فؤاد كامل ص ٥٤٩، والموسوعة الفلسفية - ترجمة لجنة من العلماء السوريين ص ٥٤٠)
- (٢) الدكتور: عبد العظيم عبد الحفيظ - دراسات في الفكر الإسلامي ص ٦٦ طبعة المؤسسة العامة ١٩٧٧.
- (٣) الداعي: القلق هو: القوة الدافعة - التي تلتقي إلى غاية معينة، مستخدمة الأسباب المألوفة بحركة فكرية - تستفيد الإزاحة، سواء لإشباعها أو لإفهامها، ويعرف في الاصطلاح بأنه: «ما يقوده به الحقيق حين حجبته عنه الحماض الشريفي» (المعجم / بطرس أنيسيت - مائة تعريف ص ٢٨٠) فهو عبارة عن مطلب - والداعي هو الشيء (٧٠٤) وطبيعة الإنسان (١٨٨٢) - مصفة (المعجم / بطرس أنيسيت - مائة تعريف ص ٢٨٠) ويعرفه عالم النفس بأنه: «شئ من عامل داخلي، يستثير سلوك الإنسان، ويوجهه، ويختلج به الفكر» (الدوراد ج. - مروج - الدوافع والأمعالي ص ١٨٢ - الطبعة الأولى - دار الشروق ١٩٨٠ ص ١٩٨٨)، «... بحيث لا يوجد أحد الدافع - ما من أحد الفكر الكامل، والدافع - الأمثل بكل سيطرة للدلالة، على فكرة مستحسنة، لكي نوضح بها، شأن الكائن الحي، فيوقف في تغويز وتغذية، على إحصاء الكائن الحي، وتعرّفه أو تعريجه لمعطيات معينة، وذلك لأن الكائن يمتد في ظهوره على الطائفة المختزلة بأخص، وهو الذي يوجهها» (الدكتور / عبد العظيم فيسي - الدوافع النفسية ص ٣٩ - الطبعة الثانية - مكتبة مصر - دار مصر للنشاعة ١٩٦٠)، «... في نفس الإنسان: ١- الغريزة، ٢- الدافع، ٣- الوعي» (الدوافع التي تحكم في الإنسان - وبوليف مسرودا ص ١٩٨٠ ص ١٩٨٨)، «... بحيث لا يوجد أحد الأمعالي، وأول أمثلتها في مراحل المرحمة - الدافع هو المكسبة» هي عكس الدوافع الفطرية ص ٦١ - الدوافع مردودا هي، بل يكسبها بعد ولادته من خلال التفاعل مع الزم للإنسان، وهي تنوع في نوع حركاتها، وبمؤلفات التي يتغير بها، وطبيعة كل مرحلة عمرية كما في: (راجع لمحاته لإعلاء معطس - دوى / عبد العظيم القديم ومبرور الزمان الكريم منها - ص ١٢٣ حاشية ١٩٢٣هـ - ٢٠٠١ م)

البواعث عليه أيضاً، وفعلاً استطاع فلاسفة الإسلام استخدام المصطلح الفلسفي بمعناه الذي عند غيرهم، ثم أفرغوه من المحتوى المرفوض<sup>(١)</sup>، ووضعوا بداخله مضموناً آخر شرعياً، يتفق مع ما تحذف إليه النصوص الإسلامية.

وكان مفكرو الإسلام هم الذين أقاموا هذه الفائدة، كما كان لهم فيها باع طويل، وقدم تانية، وفوق ذلك فإنها قد أبانت عن مناطق الضعف في الفكر الغير إسلامي، مما حدا بالكثيرين ممس بتأويلونه إلى التفكير في الانصراف عنه والاتحاد ناحية الفكر الإسلامي، باعتبار أن الدين الإسلامي هو الوحيد الذي سلمت خصوصه، مما أصاب مصادر الآخرين من تحريف<sup>(٢)</sup> بالزيادة أو النقصان أو التبديل<sup>(٣)</sup>، وذلك مما جعل أن مفكر غير مسلم يشعر بالإحباط، إذ كيف يدافع عن عقيدة لم تسلم

(١) راجع كتابنا: رياض الأشراف في التنبؤات والأحلاق ص ٥٩ وما بعدها.

(٢) يعرف التحريف في الاصطلاح بعدة تعريفات منها: أنه الخروج عن حادة الطريق، أو إخراج الوحي والشرعية عما جاءت به، إما تشديداً وهو قليل، وإما بكتمان بعض وتناسيه، وإما بالتأويل البعيد. [الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - تفسير التحرير والتنوير ج ١ ص ٥٤٦ - ط ١ - الخليل ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م] كما يعرف بأنه إمالة الشيء عن وضعه، وذلك إما أن يكون في اللفظ، أو في المعنى، إلا أن حمله على تغيير لفظ أول من حمله على تغيير المعنى: لأن كلام الله تعالى إذا كان باقياً على حقيقته، وغيره تأويله، فإنما يكونون مغيرين لمعناه، لا لنفس الكلام المسعور، فإن أمكن أن يعمل على ذلك كما روى ابن عباس من أنهم زافوا فيه ونقصوا فهو أول، وإن لم يكن ذلك فيجب أن يعمل على تغيير تأويله، وإن كان التبديل تائيداً، وإنما تمتع ذلك إذا ظهر كلام الله متواتراً كظهور القرآن الكريم. [الإمام النجاشي - مناقب العيب (التفسير الكبير) - ج ١ ص ٣٣٩ - ط ١ المطبعة العامة ١٣٠٨ هـ، وراجع للإمام السطري - جامع البيان في تأويل آيات القرآن م ١ ص ٢٩٢/٢٩٣ - دار الجليل - بيروت ط ١٩٥٤ م] والتحريف هو الانحراف بالأصول من الوجهة الصحيحة إلى غيرها، وهو: الكذب السابقة على دين الإسلام قسمان: - القسم الأول: التحريف اللفظي: ويعرف بأنه وضع لفظ أو مجموعة من الألفاظ مكان أخرى، على طريق التبديل أو الزيادة أو النقصان، والمنقصود به تبيين الألفاظ أو زيادتها أو نقصانها. [شيخ رجب الله الحدي - إظهار الحق ج ٢ ص ٤٢٧ تحقيق: دكتور محمد أحمد مكنو] وأنواعه ثلاثة: هي: النوع الأول: التحريف بالزيادة عن الكتب المؤلفة بإضافة أجزاء إليها ككتابها هؤلاء المزيقون، حتى تنبع لهم بعض الممارسات غير المشروعة. النوع الثاني: التحريف المنطقي بالنقصان من تلك الكتب بخذف بعضها، كما في أعمال المشركين إلى هذه المصادر النوع الثالث: تحريف بالتدليس المنقضي، وهو من: ١ - قصد تكبير التحريف في الألفاظ. وقد يكون في قسمين موضوعات وتأخير أخرى. وقد يكون بتدليس المعاني حتى يقع الإضلال. القسم الثاني: التحريف المعنوي، وهو أنواع ثلاثة كالتحال مع التحريف اللفظي. [راجع لمناحت عمر عبدالقادر - جهود الشيخ رجب الله الحدي في الدين والعقائد - رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الأسيرية - جامعة الرقازيق ٢٠٠١ م بإشرافنا]

(٣) يعرف بأنه الإبدال والإحفاء والكتمان/ وذلك من الذين حرروا لخلام الله وأحكامه في كتبهم عن الأوصاف التي وضعها الله فيها على حسب أهوائهم، إما بإبدال كلمة بكلمة، وإما بإحفاء ما في كتابهم وكتمانها. يقول يهود غير مسلم أرسلوهم لاستفتاء الرسول في أمر الزنايين، إن أفتاكم محمد بهذا الحكم وهو التحميم والجلد فحسدوه وأقبلوه، وإن أفتاكم بغيره فاحذروا أن تقتلوه. [الأستاذ محمود محمد حمزة وآخرون - تفسير القرآن الكريم - م ٢ ص ٤٩ طبعة دار المعارف ١٩٨٢ م].

له النصوص التي تنقلها، ولم يتفق عليها أصلا الداعون لها، بل أغم الذين أعلنوا عدم سلامتها من كل ناحية.

❖ **وربما يقال:** إن أصحاب كل عقيدة يدافعون عنها، فلماذا تمسكت بأهل الفكر الإسلامي، ولم تذكر دفاع أو موقف غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى؟

❗ **والجواب:** أن هناك فروقا عديدة تنتهي كلها إلى أن الذي يدافع عن العقيدة الإلهية هم أهل الإسلام فقط. أما لماذا؟ فلما يلي:

❗ **أولا:** أنه لا توجد أديان أو ديانات أخرى صحيحة، إنما الدين الصحيح الوحيد هو دين الإسلام، ديس رب العالمين الذي شرعه الله تعالى، ونادى به كل الأنبياء والمرسلين. وهو دين السلام، أما غيره فهي مقترحات تتعلق بأصحابها. قال تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾<sup>(١)</sup>.

قال العلامة الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « من سلك طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين »، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »<sup>(٢)</sup>.

❗ **ثانيا:** أن أصحاب هذه الديانات المزعومة، إنما يدافعون عنها من باب المعرفة، لا من باب الاعتقاد، وبالتالي فالمعرفة تنقص وتزبد، ويحدث لها النسيان والتذكر، وتقع من الدافعين عنها موضوع القول لا مصادرها والرفض لبعض آخر، وكذلك الحال مع نتائجها، وبالتالي فالدفاع عنها يكون غالباً دفاعاً مؤقتاً، من باب الغلبة للدليل أو الجدل<sup>(٣)</sup>، وذلك لا يمثل عقيدة تقود صاحبها للتسلسل بها، بقدر ما يعبر عن جانب معرفي، لا علاقة له بالاعتقاد أبداً.

(١) سورة آل عمران - الآية ٨٥.

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم (٢/٢١٢). والحديث رواه ابن ماجة في سننه - باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعظيم على من عارضه - الحديث رقم: ١٤ - وأبو داود في سننه - باب في لزوم السنة - الحديث رقم: ٤٦٠٦ - بلفظ « عن القاسم بن محمد، عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد) » والمراد به: (في أمرنا) أي في شأننا. فالأمر واحد الأمور. أو في مسأ أمرنا به، فالأمر واحد الأمور. (فهو رد) أي مردود على صاحبه غير مقبول عند الله تعالى [

(٣) وسؤسفر أنه أن البعض ممن ينتسبون للعلم أو يزعمون الانتساب إليه يمارسون الجدل المنهي عنه شرعاً، بكل ما لديهم من صاف، أو أوتوا من قوة، أو أمكنهم من حيلة فهم يندفعون إليه بفرض الجدل واللجاج، وآخر أهم لا يراعون قواعد الجدل، كما لا يحسنون السير في الآراء الذي ربما أخذهم إلى طريق النجاة، وقد لمي الرسول ﷺ عن ممارسة ذلك، فهي الحديث الشريف عن أنس بن مالك قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال مهلاً يا أمه محمد إنما هلك من كان قبلكم بهذا أخذوا آراء لقله حيرة ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري ذروا المراء فإن المنافري قد تمت خسارته ذروا المراء فكذلك إنما أن لا تزال تماري ذروا المراء فإن المنافري لا أنفع له يوم القيامة ذروا المراء فأنما زعيم ثلاث آيات في الجسبة في رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ذروا المراء فإن أول ما تمان عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء وشرب الخمر ذروا المراء فإن الشيطان قد ينس أن بعد ولكنه قد رضي منكهم بالتحريض وهو المراء ذروا المراء فإن بسني إسرائيل افترقا على إحدى وسبعين مرقعة والنصارى على ثنتين وسبعين مرقعة كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم قالوا يا رسول الله ومن لم يكفر أحداً من أهل التوحيد بذهب غير له ثم قال إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً قالوا يا رسول الله ومن كفر الغريباء فقال الذين يصلحون إذا فسد الناس ولا يمارون في دين الله ولا يكفرون أحداً من أهل التوحيد بذهب. [ الإمام الطبراني - المعجم الكبير ج ٨ ص ١٥٢ رقم: ٧٦٥٩ ]

❖ ثالثاً: إن مفكرى الإسلام يتمسكون بالعقيدة الإلهية التي جاء بها النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ؛ لأنها العقيدة الوحيدة الصحيحة، التي تعبر عن دين الإسلام، وينقلها لكل العالمين مصدر ثابت أصيل هو النقل المنزل - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة - فدفاع أهل الإسلام إنما هو دفاع عن عقيدة قلبية عقلية إيمانية ومعرفية معاً، وبالتالي فهم يصطبغون لها الوسائل الدفاعية بقدر ما يتساح لهم.

❖ رابعاً: أن العقيدة الإلهية عندنا - نحن المسلمين - لا تطالب الناس بإغماض عيون عقولهم، أو قلوبهم وإنما تدفعهم إلى فتحها عن آخرها، وبذل الجهود في التأمل العقلي، ثم تقدم البراهين على كسل ما يدعون أو يدعون إليه. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

❖ وربما يقال أيضاً: إن من وظائف الفلسفة الإسلامية الاستدلال على العقيدة الإلهية، وذلك يستلزم الدفاع عنها، فكيف يكون الدفاع عن العقيدة الإلهية فائدة من فوائد الفلسفة، ألا يمثل ذلك قبلم الشيء الواحد - وهو الدفاع عن العقيدة - مقامين: أحدهما في وظيفة الفلسفة، وثانيهما: في فوائد الفلسفة؟

❖ والجواب: أن وظائف الفلسفة غير فوائدها، والتقارب في المفاهيم لا يعطى لأحد الحق في دعمها معاً؛ لأن اللغة حاكم على أن لفظ الوظيفة غير لفظ الفائدة، وبالتالي فكل منهما غير الأخرى، على ناحية اللغة، ولا منازعة في ذلك، على اعتبار أن الألفاظ أثواب المعاني التي لا ترى إلا من خلالها<sup>(٢)</sup>.

كما أن مفكرى الإسلام حينما كانوا يتحدثون عن وظائف الفلسفة على العموم، فقد اضطروا لإضافة بعض فوائد الفلسفة الإسلامية إليها هناك، من باب أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، ومن ثم فهم قد عرضوا من وظائف الفلسفة والحكمة الإسلامية، الاستدلال على وجود الله تعالى من حيث طرائق الاستدلال، وأدلتها التي يلجأون إليها على سبيل الغرض الاسمي، عرضاً لها، وشرحاً لقواعدها، وبياناً لمصادرها، أما إندفاع عنها فكان يأتي هناك عرضاً، أو على سبيل زيادة الشرح والتوضيح، لكنها في فوائد الفلسفة أظهرت الدفاع عن العقيدة كغرض أصيل من أغراضها، وفائدة من فوائدها، لا يمكن التخلي عنها، أو تجاوز مناطق الإمساك بها<sup>(٣)</sup>، وتلك فائدة عظمى متى قيسَت بغيرها على ناحية فنية.

(١) سورة النمل - الآية ٦٤.

(٢) راجع في ذلك الشأن: المعاجم العربية لثري أن مادة و ط ف غير مادة ف ي د، كما أن مدلولات كل منهما تتخالف مع الأخرى، ومن ثم فلا يمكن القول بأن الوظيفة هي الفائدة، ولا العكس.

(٣) ولا شك أن هذا الفارق الجوهرى يمثل طبيعة كاشفة ثابتة، لكل من الوظيفة والفائدة، كما يمثل فرقاً دقيقاً بين عرض الفكرة وطرائق الدفاع عنها.



﴿١﴾ يقول الشيخ الإنطاكي: إن كل عملية عقلية قام بها مفكرو الإسلام، بغرض الدفاع عن العقيدة الإسلامية، تدخل في النطاق الطبيعي لفوائد الفلسفة، كما أن كل عملية عقلية من هذا القبيل بغرض بسط العقيدة الإلهية على سبيل الشرح لها أو التعريف الواسع بها، إنما تدخل في النطاق الطبيعي لوظائف الفلسفة<sup>(١)</sup>، ومن ثم فكل وظائف الفلسفة غير فوائد الفلسفة، وعلى الخصوص الحكمة أو الفلسفة الإسلامية.

كما أن المفكر المسلم عند الاستدلال على العقيدة الإلهية يسلك أ، لا مسالك العرض لأحياء العقيدة، مع التماس طرائق الاستدلال لكل جزء منها على حدة، وهو ما يعرف بمنهج التحليل<sup>(٢)</sup>، ثم يأخذ في الاستدلال عليها جميعاً في وقت واحد، وهو المعروف بمنهج التركيب<sup>(٣)</sup>، ولا شك أن في ممارسة المنهجين معاً مهمة شاقة بالنسبة للمفكر المسلم، الذي يبذل قصارى جهده، حتى يصل بالعقيدة إلى مفاهيم الناس، الذين يختلفون في مداركهم ومعارفهم ومستوياتهم الفكرية.

أما حين الدفاع عنها، فإنه يلجأ إلى وسائل الهجوم التي يتمسك بها الخصوص، ثم يتسلح بها حتى يكشف لهم عن أوجه الفساد فيها، فإذا أبان لهم أوجه ضعفها، فإنهم حتماً سيتخلون عنها كلاً أو بعضاً، فإذا وقع لهم التخلي عنها كلية، فقد أصاب هدفه، وإن أمكنه أزاحتهم عن بعضها، فقد أصاب هدفه أيضاً<sup>(٤)</sup>؛ لأن الذي يتشكك في جزء من عقيدته يقع حتماً شكه منها كلها، ومثله يكون من السهل عليه عرض العقيدة الإلهية من تحديد، فرمما فتح الله عليه وأنضم لفريق حزب الله المؤمنين به.

﴿٢﴾ قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ

(١) الشيخ محمد بن نصر الله الإنطاكي - الروح والنفس والعقيدة عند المسلمين ص ٥٧ طبعة دار حكمت الله بالأستانة ١٣١٥هـ.

(٢) ومن مظاهر ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَرَى اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الحشر - الآية ٢٢] ولا شك أن ذكر هذه الأسماء على سبيل العد كل اسم على حدة، إنما يمثل طبيعة منهج التحليل.

(٣) وقد جاء ذلك في القرآن الكريم مثاله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف - الآية ١٨٠]

(٤) وقد عرض القرآن الكريم صورة عملية لهذا الجانب في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ؟﴾ [سورة يونس - الآية ٣١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمْعَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِبَادُكُمْ لَعَلَىٰ هَدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. [سورة سبأ - الآية ٢٤]

وَيُخَلِّفُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٩٦﴾

ورعما انطمست مع بصره الكافر بالله المؤمن بالحب أو الطاغوت بصيرته، فاختار كلبسة إلى حرب الشيطان. قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٩٦).

ولا شك أن معرفة الله تعالى والدفاع عن العقيدة الإسلامية، وتثبيتها في النفوس والتأكد عليها يعتبر من أعظم فوائد الفلسفة، إن لم يكن أعظمها على الإطلاق.

وفي تقديرى: أن عرض العقيدة الإلهية من باب الاستدلال عليها، يكون من وظيفة الفلسفة الإسلامية، ومن طبيعة الفكر المسلم، وأما الدفاع عن هذه العقيدة، فإنما هو من صميم فوائد الفلسفة الإسلامية، كما أن المصادر الإسلامية قد أبانت المنهجين، ففي المنهج الأول إشارات قرآنية، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَيِّنَاتِ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٩٧).

﴿وقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾﴾ (١٩٨).

﴿وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾﴾

(١) سورة المجادلة - الآية ٢٢. « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون على سبيل المصادفة من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم بل يفصلونهم بالسوء ويتسائلونهم على الإتيان كما: وقع جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ثلثت ندىم لا يوادونهم حسب است في فقههم الإنسان وأبدهم بروح بنور منه تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم بقطاعه ورضوا عنه بنواه أولئك حزب الله ينتهون أمره ويتيسرون معه ألا إن حزب الله هم المفلحون العاصرون ». [ تفسير الجلالين ج ١ ص ٧٢٩ ]

(٢) سورة المجادلة - الآية ١٩. يقول العلامة الطبري: « يعني تعالى ذكره بقوله استحوذ عليهم الشيطان علب عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان يعني جنده وأتباعه ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون يقول ألا إن جد الشيطان وأتباعه هم المالكون المصرون في صفقتهم ». [ الطبري - جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٥ ]

(٣) سورة العنكبوت - الآية ٤٦.

(٤) سورة آل عمران الآية ٦٤.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(١)</sup>.

وفي المصحح الثاني إشارات قرآنية أيضا، منها قوله تعالى قال تعالى: «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى: «إِن قَاتَلْتُمُ فَاتُّلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ»<sup>(٣)</sup>.

### ١- تعينة المصطلحات الفلسفية بنصوص شرعية

أجل استطاع مفكرو المسلمين التعامل مع الأفكار الموجودة على الساحة الفكرية، واقتناض أفضلها، ثم فحصه على الناحية الشرعية، فلما بان لهم أن بعض هذه الأفكار يصعب استخدامه والتعامل معه في البيئة الإسلامية بنفس المفاهيم التي تصاحبه في البيئات الأخرى قام أهل الإسلام بتفريغ ذلك اللفظ المصطلح عليه من مفهومه عند الوثنيين، وأصحاب الاعتقادات الفاسدة، بحيث صار هذا المصطلح كالزجاجة التي خصصت للتعبئة بالخير، ثم قام صاحبها بإفراغ ما فيها من حمر على الأرض، كما قام بفلسفها وتطهيرها على كل ناحية، فلما طابت له، اخترن فيها غسل التحلل ليستخدمه متى شاء في الدواء أو الصحة العامة أو الغذاء.

(١) سورة التوبة الآية ٦. يقول الإمام القرطبي: «تدل الآية الكريمة على أن، من يأتي إلى دار الإسلام من المشركين، لهم أحكام الإسلام، وأوامر الله عز وجل ونواهيه، وحب علينا أن نعطيه الأمان، لنتمكن من ذلك، فسان قبل الإسلام، فهذا هو المراد، وإن أبي، يجرم قتله، ويجب علينا رده إلى أمانه، وهو المكان الذي يأمن فيه على نفسه». [الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن الكريم للعلامة القرطبي ٣٠٠٣/٤]، ويقول العلامة الزحاج: «المسئ إن طلب منك أحد من المشركين - أن تخبره من القتل، إلى أن يسمع كلام الله فأخبره». [العلامة الزحاج - معان القرآن وإغراه ٤٣١/٢ - شرح وتحقيق الدكتور: عبد الجليل عيده خني - الطبعة الثانية - دار الحديث - القاهرة ١٤٦٨هـ/١٩٩٧م] ويقول العلامة الفخر الرازي: «إن هذه الآية تدل على أن التقليد غير كاف في الدين، وأنه لابد من النظر والاستدلال، وذلك لأنه لو كان التقليد كافيا - لوجب أن لا يجهل هذا الكافر، بل يقال له: إما أن تؤمن، وإما أن تقتلك، فلما لم يقل له ذلك، بل أمهلناه، وأزلنا الحرف عنه، ووجب علينا أن نبلغه مأثمه، علمنا أن ذلك إما كان لأجل أن التقليد في الدين غير كاف، بل لابد من المحجة والدليل، فأهلناه وأخبرناه، ليحصل له مهلة النظر والاستدلال». [مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للفخر الرازي) ٥٧٧/٧ - طبعة دار الفد العري] ويقول الإسلام الشريين: «ولا نجيب إجابة من طلب الأمان إلا إذا طلبه لسماح كلام الله، فتجب قطعا» [الإمام الخطيب الشريين - معنى المحتاج للإمام الخطيب الشريين ٢٣٧/٤]

(٢) سورة التوبة - الآية ٣٦.

(٣) سورة البقرة - من الآية ١٩١.

(٤) يعرف المصطلح على الناحية الفنية بأنه اتفاق جماعة أو قوم على صيغ على استعمال لفظ بعينه في علم بعينه للدلالة على معنى بذاته، وتسمى الاصطلاح الخاص. [الشيخ أحمد بن سعيد الكلزي - اللغة والمصطلحات ص ٢٣ - طبعة دار توفيق ١٣١٩هـ]

٣ مثال ذلك: مصطلح الحرك الأول الذي نظر إليه اليونان على أنه الذي حرك العالم من العدم إلى الوجود، ثم تركه واحتفى وظل العالم المتحرك يبحث عن محركه الأول في حركة جذب وشوق لا ينقطعان، ومن أثر الحركة الأولى مازال العالم العنصري يتحرك متجذبا في شوق مستمر<sup>(١)</sup>، دون أن يكون له خالق عظيم.

ومع أنها أفكار نمت في رحاب العقلية اليونانية، وعمسك بها أهل اليونان فترة من الزمان، إلا أنها لم تسبب الحقيقة، وإنما غابت عنها بسائط العقيدة، باعتبار أن الحرك الأول عندهم الذي حرك العالم من العدم إلى الوجود، لا يمكن أن يتفتى، حتى يبحث العالم عنه؛ لأن الذي حرك العالم لا بد له أن يتصف بالقدرة العظيمة، والإرادة المتسعة، والعلم الذي لا يبدت<sup>(٢)</sup>، ومن كان ذلك شأنه، فلا بد له من صفات الكمال والجلال والإكرام، وبالتالي فهو وحده الذي يتولى العالم على كل ناحية وجودا أو عدما خلقا جديدا وخلقنا مستمرا.

إذن مصطلح الحرك الأول أخذه الفيلسوف المسلم، ثم بذل مجهودا فكريا للتعرف عليه، من ناحية القوم الذين استخدموه، فلما تبين له أنهم قصدوا به الخالق العظيم جل علاه، لم يترك ذات المصطلح، وإنما أسرع بالحديث عنه ذاتا وصفات وأفعالا<sup>(٣)</sup>، ولأن الحرك الأول ليس اسما من أسماء الله الحسنى؛ لأنها توقيفية، فقد نعت هذا المصطلح بالنعوت التي لا تنطبق من حيث الحقيقة، إلا على الله تعالى، وكأنه بذلك يريد أن يقول لهم: إن الحرك الأول في مفهومكم هو الله عز وجل عندنا، وقد ألزمتكم به؛ لأنكم الذين تحدثتم عنه، وهكذا حقق المفكر المسلم فائدة جديدة في دفاعه عن العقيدة الإلهية.

٣ مثال آخر: مصطلح الجوهر الفرد<sup>(٤)</sup> ساد هذا المصطلح لدى اليونان والصينيين، ثم انتقل إلى أهل بابل في العصور القديمة، وكانوا يعنون به أول الأمر، الذي لا يجد بصفة من الصفات. يتساوى مع الحرك الأول من ناحية سبقه لكل ما عداه، واستقلاله عن كل الكائنات إلى حد التفرد عنها، فلما وقف المفكر المسلم على مصطلح الجوهر الفرد عندهم، وجد أنه يمثل صورة مادية بخسة، باعتبار أنه الذي لا يقبل الانقسام إلى أجزاء، لكن له صورة مادية يمكن التعبير عنها بالكيفية لا

(١) الدكتور: محمد أحمد الزاغوف - الفلسفة اليونانية ص ١٣٧ ب ٢/١٩٧١ م.

(٢) الأستاذ: رمزي حسن رزق - العقيدة الإسلامية ومناهجها ص ١٧٣ ط مكتبة الحادي ملوى - ١٩٨٧ م.

(٣) أنطون هيرمانس - الديتورج اليونان ص ٥٢ ترجمة هناء فاضل - طبعة بيروت ١٩٦١ م.

(٤) يعرف الجوهر العام بأنه ما يقوم بذاته، وينقسم باعتبار المادة إلى جوهر مادي وآخر غير مادي، كما ينقسم باعتبار الخلول إلى جوهر حال وآخر حال منه، كذلك ينقسم باعتبار الانقسام وعدمه إلى جوهر منقسم وآخر غير منقسم، والمنقسم إلى أجزاء، وقد أكثر علماء أهل الإسلام من ذكر هذه التفصيلات، فليرجع إليها طالعيا في الكتب الفلسفية كالإشارات والتبهمات، والكتب الكلامية كالمواقف للإمام المعتمد الإنبى والمقاصد للسعد التفتازاني، والطوال والمطالع للبيضاوي والأصفهاني.

بالكمية والمقدار، ثم وقف المفكر المسلم ذاته على مفهوم الجوهر في الفكر المسيحي، فوجد أن دعاة المسيحية يصفون إلههم بأنه جوهر<sup>(١)</sup>.

ولما كان الجوهر لا يفارق أعراضه، إلا في الذهن، ولفظ الجوهر عند إطلاقه على الله تعالى بمس جانب التنزيهات، بجانب أنه ليس من أسمائه الحسن، فقد لجأ المفكر المسلم إلى الجوهر ككل، فقدم دراسة واسعة حوله، شملت تعريفه، وبيان ماهيته، ثم أقسامه وأنواع كل قسم، وأحسوا انتهى إلى أن الجوهر يمكن أن يكون فكرة ذهنية، كالخال مع الجوهر المجرد، أو صورة حيالية كالجوهر المتولد بين أم بشرية وصورة إلهية، كما يقول دعاة المسيحية على عيسى ابن مريم رسول الله<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم استطاع تفتيت لفظ الجوهر، ثم تعبته بما يخدم القضية الأصلية، بناء على أن كل جوهر لا يتفصل عن عرض من أعراضه ضرورة، وما لا يتفصل عن أعراضه يكون محتاجاً إليها، وكل محتاج لأعراضه لا يكون مستغنياً، ومن ثم لا يصح الجوهر أن يكون إلهان كما لا يصح وصف الإله بأنه جوهر على أية ناحية.

٢ مثال ثالث: الفيض والصدور<sup>(٣)</sup> وهما نظريتان شغلنا الفكر الإغريقي ردحا طويلا من الزمان، وكان الغرض منها إيجاد حلول لمشكلة كيفية وجود الكثرة في الموجودات عن الإله الواحد جل علاه، ولما لم يكن لدى اليونان من سعة الأفق ما يسمح لهم بتصور وجود إله واحد قادر، فقد عمدوا إلى تصورات مادية، حاولوا من خلالها إيجاد حلول لمشكلات ميتافيزيقية، مثل كيفية وجود الكثرة عن القلة، فنتج عن ذلك القول بنظرية الفيض تارة والصدور أخرى، زاعمين في الأول أن العالم فاض عن الله فيضان النور عن الشمس والضوء عن مصدره، كما زعموا أن العالم صدر عن الله صدور الفعل عن علته التامة، من غير قصد إلى ذلك الفعل

غير أن المفكر المسلم أمسك هذه المصطلحات، ثم أفرغها من مضامينها تماماً، ثم استخدمها كصعوبات ذكرية فقط نشأ عن استعمالها نظرية الخلق المستمر التي تبناها الفارابي وابن سينا، ثم أعلى بناءها أبو الوليد بن رشد، مقدما حلولاً مقبولة للمشكلة التي أثارها دعاة الفكر اليوناني<sup>(٤)</sup>.

مما سلف بيانه اتضح أن للفلسفة فوائدها، وأن فوائدها غير وظائفها، كما اتضح أن دراسة الفلسفة الإسلامية أمر ضروري، وبالتالي فإن التنفير من دراستها لا يقوم على أسباب موضوعية، كما أنه إذا كان الماضي قد طغت الخلافات فيه على بعض الرؤى، فحجبت البصيرة عن الانطلاق،

(١) الفس إلهاس مفار - إلهان أو قضايها للمسيحية ص ٧١ والقس صموئيل مشرفي - الإلهيات ص ٤٨.

(٢) الفس حرجس - عمالمكت - المسح الإله ص ٤ ط الكيسة الكاثوليكية بيروت.

(٣) راجع تفاصيل ذلك في كتاب مشكلة الألوهية للدكتور غلاب، وإحاطة الإلهي للدكتور محمد البيه، وما قبل الفلسفة في ترماس - ترجمة هاء، مصرى - ط دمشق ١٩٦٤م.

(٤) راجع للدكتور عمود قاسم - نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوين ص ٢٣١ ط ٢ الأندلس.

حق سارخ أصحاب تلك الرؤى إلى إصدار احكام بأن الفلسفة لا فائدة من وراثتها، فإبان دراسة الفلسفة في العصر الحديث والمعاصر قد صارت ضرورية لما لها من فوائد سلف ذكر بعضها

كما أنها تمثل صورة عقلية ونظما من أنماط التفكير العقلي الحر، الذي لا تكس تجاهله أو إهماله. بل تبث البحث في سلال المسائل من الأهمية الماضية والتفتيق بعناية عن تلك الأفكار التي توارثت تحت ضغط محكم التنقيص، أو خوف آراء العامة، أو حكم الغوغائية، وإبراز حماها. والتركيز على ما بها من جوانب إيجابية تؤدي في شمسها خدمات متميزة للإنسانية جمعاء.

# الباب الثالث

الفلسفة

بين الموضوع والمجالات





(٢٠٢)

ما من شك في أن الفلسفة قد سبق التفاضل بعض التعاريف الفنية لها في بعض العصور الفلسفية، على النحو الذي سلف، حتى جاءت النتيجة العلمية قاضية بأن الفلسفة متعددة بتعدد المواطن، من يونانية إلى مصرية، ومن بابلية إلى آشورية، وكذلك هي متعددة باعتبار الظروف التي أحاطت بها.

كما بان أن تعريفاتها هي الأخرى متعددة بتعدد العصور الفلسفية بين الطبيعيين الأولين في اليونان إلى العصر الحاضر، وكذلك بتعدد باعتبار العقول المفكرة، وذلك يحتاج الحديث عن موضوع الفلسفة ومبادئها، بجانب تقديم نماذج من تصنيف العلوم وعلاقة الفلسفة بالجماليات المختلفة، كقضايا العلاقة بين الميتافيزيقا والفلسفة، ثم دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي بالفلسفة، سيكون ذلك فيما يلي:





موضوع الفلسفة  
ومبادئها وتصنيفات العلوم



لكل علم من العلوم أو فن من الفنون موضوعه الخاص به، بحيث تتم دراسته في إطاره، كمد أن معالجة مسأله تكون من خلاله، لكن في حدود المنهج المرسوم، والخطة الموضوعية؛ بغية الوصول إلى الأهداف المنشودة من ذات العلم<sup>(١)</sup>، والغايات التي يتطلبها البحث العلمي، والنتائج التي تُتسبىء معه، والآمال التي تعلق عليه.

والفلسفة علم يميز بالعموم والشمول، أو بعبارة أخرى تتميز الفلسفة عن غيرها من العلوم بأنها ذات أبعاد كثيرة تتجاوز حدود العلوم الأخرى، كما أنها تبيء في أنماط مختلفة بعضها يمثل عمل الفيلسوف، وبعضها يمثل الجزئيات الفلسفية المبحوثة<sup>(٢)</sup>، وهو ما يعبر عنه بالميدان الفلسفي.

### ١- موضوع الفلسفة

الدارس للفلسفة يلاحظ أنها كانت في بعض العصور تسع فتشمل كل العلوم، بحيث تكون موضوعات العلوم المختلفة هي موضوعات الفلسفة<sup>(٣)</sup>، أو بعبارة أخرى تكون كل العلوم هي ذاتها موضوع الفلسفة، بحيث إذا قلت ما هو موضوع الفلسفة؟ كان الجواب: أن موضوع الفلسفة هو كل العلوم.

نعم قد يبيء موضوعها في جانب معرفي واحد يقف عند الأخلاق، أو الطبيعة، أو يستخلص لنفسه نظرية الوجود وحدها أو المنطق على حدة، وهو ما يعرف باسم اختلاف موضوع الفلسفة باختلاف طرائق التصنيف للعلوم<sup>(٤)</sup>.

لكن وذلك مما يدفع إلى ضرورة بيانه والتحديث عنه على النحو التالي:

### ١- عموم البحث في المبادئ الكلية

وهو شمول موضوع الفلسفة البحث في المبادئ الكلية، التي تمثل كل العلوم والفنون السائدة في ذات العصر، والتي تمهد للعصور المستقبلية على جانب معرفي متميز، وكان ذلك سمة الفلسفة المصرية القديمة، حيث كان الكهنة<sup>(٥)</sup> الدينيون يمثلون طبقة من طبقات الفلاسفة، كما كان

(١) أ.هـ. تانيهم - المنهج العلمي ص ١٣ - ترجمة حنان فمري - الطبعة الثانية - مكتبة رزق ١٩٦٧ م.

(٢) الدكتور موزي حسن رزق - مدخل إلى الفلسفة ص ٩/١٩٦٠ م.

(٣) الدكتورة فاطمة محمد التوي - دراسات فلسفية ص ١٢ ط ١/١٩٧٨ م.

(٤) راجع لفرديريك روزنتال - التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ٤٩ وما بعدها.

(٥) لا شك أن البحث في المبادئ الكلية يعبر عن أهم موضوعات الفلسفة، وأكثرها عموماً واتساعاً.

(٦) الكاهن هو حاد من دين، وفي اصطلاح الكتاب المقدس هو الشخص المعصى لتقديم الذبائح، وكان كل الأفراد قبل النظام الموسوي يقدمون الذبائح كنوع من الكهنوت، ثم اختصر اختيارهم في كل ذكر من ذرية هارون، بشرط أن لا يكون فيه عيب أو تشويه جسدي، وكانت واحبات الكهنة تقدم الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنتوية، وكانوا يقدمون في الاحتفالات والتطهير، وكانوا يطلقون الصوت في الأبرياء المقدسة، ويعملون تبايرت العهد، ويقضون في دعاوى الغيرة، ويقدمون المال للاقتداء، ويفسرون الساموس للشعب. [قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١/٧٩٤]

المهندسون والعلماء هم الآخرون يمثلون طبقة من طبقات الفلاسفة، بل كان علماء القانون والأخلاق هم الآخرون يمثلون طبقة متساوية مع الطبقات الأخرى في وصفهم بأنهم فلاسفة<sup>(١)</sup>.

وعرفت الفلسفة عندهم بأنها المعرفة العقلية أو المعرفة العلمية بالمعنى الأعم، إنها أم العلوم، أو علم العلوم، وكان ديكارت يقول: «الفلسفة أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزيقا، والفروع التي تخرج منها هي كل العلوم»<sup>(٢)</sup>.

وكان الإغريق الأوائل ينظرون إلى الفلسفة أيضا على أنها أم العلوم، فلم يسمحوا لأنفسهم بفصل أي موضوع معرفي عن الفلسفة، وبالتالي فكانت الفلسفة عندهم تظم شئ أطراف المعرفة، حتى الطب نفسه كان من عمل الفيلسوف<sup>(٣)</sup>، فانتساع موضوع الفلسفة في تلك العصور كان سمة الفلسفة لدى المصريين القدماء، كما كان عند اليونان سواء بسواء.

بل إن الصينيين هم الآخرون كانوا يعتبرون الفلسفة عملا عقليا على الناحية النظرية والعملية، بحيث يغطي كافة أرجاء المعارف الإنسانية، بحيث صار كل من يتفرد في علم من العلوم يسمى فيلسوفا، بالعلم الذي تفرد به ويميز فيه<sup>(٤)</sup>، فاجتمعت الفلسفة فيهم على ناحية من النواحي.

وكما كان الإغريق والمصريون ينظرون إلى موضوع الفلسفة نظرة العموم، فقد أقام تلك النظرة فلاسفة الهند أيضا، وكذلك البابليون، الذين لم ينظروا إلى موضوع الفلسفة إلا نظرة كلية شاملة لكل من الموضوع والمنهج والغايات<sup>(٥)</sup>، بحيث يمكن القول بأن موضوع الفلسفة في هذه الآونة كان متمثلا في العلوم الإنسانية كلها من غير تفصيل أو تمايز.

### ٢- الخصوص: البحث في مبدأ بعينه

وهو اختصاص موضوع الفلسفة بالبحث في مبدأ واحد كلي، كالحال مع الأوائل من اليونان الذين بحثوا نشأة الكون، وأصل تلك النشأة، هل هو الماء، أم التراب، أم الهواء، أم النار؟ ولا شك أن كل واحد منها كان يمثل مبدأ يتم بحثه على أنه موضوع معرفي مستقل، واقع تحت ميكروسكوب البحث الفلسفي<sup>(٦)</sup>.

وكان هذا التخصص الموضوعي بمثابة الركيزة الأولى، التي قام عليها البحث في انقسام الفلسفة إلى عملية ونظرية، حيث ذهب أرسطو إلى أن موضوع الفلسفة النظرية هو المبادئ المجردة

(١) المستشرق حزن كالمان - المختارة المصرية القديمة ص ٤٥ - ترجمة وفاء صبرى ١٩٨٢م.

(٢) الدكتور فوزي حسن رزق - مدخل إلى الفلسفة ص ١٧ ط ١٩٥٧م دمشق.

(٣) الدكتور عزت قرق - مدخل إلى الفلسفة ص ١٤ ط ١٩٨١م.

(٤) أرنولد هان - المختارة الشرقية - بلاد الصين ص ٢١٣ ط ١٩٤٧م - ترجمة سامي نصر.

(٥) أ.هـ. تانتهوم - المنهج العلمي ص ٥١.

(٦) الدكتور لطفي محمد عديلة - الفلسفة اليونانية ص ٤٥ ط ١٩٧١م.

عن المادة: الله، العقل، العالم، وكل واحد منها قد نشأ عنه علم بأكمله هي العلم الإلهي، وعلم النفس والعلم الطبيعي، ولها أساس مشترك هو علم الوجود<sup>(١)</sup>.

كما أكد على أن موضوع الفلسفة العملية هو أفراد المجتمع في إدارة أنفسهم<sup>(٢)</sup>. وهي الأمور المتعلقة بما له علائق بالمادة، وقد نشأ عن كل واحد منها علم بأكمله فظهر علم الأ-لاق، وعلم الاقتصاد وعلم السياسة، باعتبار أن موضوعها الأصلي هو الفرد والأسرة والمجتمع<sup>(٣)</sup>.

وكلها تنطلق من أساس مشترك هو الفلسفة العملية بالمعنى العام، ومن ثم تميزت الفلسفة في مراحلها بالتنظيم الفني، مع الاتساق؛ لأنها تقوم على مبادئ مشتركة، يحكمها العقل البرهاني، أو الاستدلالي والحدسي أيضاً<sup>(٤)</sup>، ويحكمها النقل المزل عندنا نحن المسلمين.

لكن هذا الخصوص للموضوع لم يكن على وتيرة واحدة، أو حال ثابتة في كل العصور الفلسفية، أو سمة كل المدارس والمذاهب الفلسفية، وإنما كان الموضوع يتنوع حيناً خلف الأخلاق مثلاً، فتظهر الفلسفة الأخلاقية، أو ينحى مع علم الطبيعة، فتظهر الفلسفة الطبيعية، وأما إذا كان الموضوع خاصاً بالقضايا المكونة للعلم الإلهي، فإنها تعرف باسم الفلسفة الإلهية<sup>(٥)</sup>. وكلما كان الموضوع الفلسفي متعلقاً بشيء واحد على سبيل الخصوص، فإن الفلسفة هي الأخرى تكون خاصة في الموضوع على الأقل.

أجل انطلقت الفلسفة تبحث موضوعات عديدة، وكل جزئية من أى موضوع مطروح للدراسة، فإنه متى صار بإمكانها الابتعاد عن الأخرى، فإنها تسارع إلى الاستقلال والإسكاف بهذا الغرض، وإطلاق اسم من الأسماء عليه، ومن ثم تعددت الفلسفات بتعدد موضوعاتها المختلفة<sup>(٦)</sup>.

❖ **ربما يقال:** إن الخصوص في الموضوع الفلسفي ليس جذرياً بأن تفرد له الصفحات؛ لأن المبادئ الكلية التي تسعى إليها الفلسفة لا يمكن اعتبارها ذات خصوصية، فكيف يمكن الجمع بين عسومية المبادئ الكلية، وخصوصية الموضوع المعرفي<sup>(٧)</sup>.

❖ **والجواب:** أن الخصوص في الموضوع الفلسفي، إنما هو باعتبار الدراسة والتناول، وكل تخصص في الدراسة لا يمثل نوعاً من الخروج على القواعد العامة، أو المبادئ الكلية<sup>(٨)</sup>؛ لأن العقول البشرية

(١) الدكتور عرت فرن - مدخل إلى الفلسفة ص ١٤ ط ١٩٨١ م.

(٢) الدكتور حسن محمد فاضل - دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٤٥ ط ١٩٧١ م.

(٣) الدكتور لطفي محمد عديلة - الفلسفة اليونانية ص ٥٢.

(٤) الدكتور صبحي رزق - الفلسفة والأخلاق ص ٧٧.

(٥) الأستاذ صبري حسنين صابر - ميادين الفلسفة ص ١١٧ ط دار المعرفة ١٩٧٥ م.

(٦) الدكتور حسن محمد فاضل - دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٥١ ط أول الفار الجديدة ١٩٧٨ م.

(٧) هذا التساؤل مما يمكن إيراد، وهو ينحى دائماً على سبيل الاستبعاد حيناً، وعلى سبيل التركيب التنازلية أحياناً أخرى.

(٨) الدكتور: فوزي محمد عبدالمعطي - اتجاهات الفلسفة القديمة والمعاصرة ص ١٢١ ط ١٩٦٢ م.

فيها من التصور الكثير، وليس - بإمكانها مهما اتسعت مداركها - أن تتناول المبادئ الكلية كلها بالدراسة على ناحية فيها العموم المطلق<sup>(١)</sup>.

كما أن عمومية المبادئ الكلية لا تمثل فاصلاً بين موضوعات الدراسة، التي تتأوى إليها الفلسفة، وبين ميادين الفلسفة التي تمثل طبيعة مستقلة في كل المبادئ العامة والميادين الفلسفية<sup>(٢)</sup>.

أضف إلى ما سبق أن خصوص الموضوع في الفلسفة لا يعتبر تقسيماً للمبادئ الفلسفية، بحيث يصير كل مدأ منها جزيرة منعزلة، وإنما هو تقسيم التكامل الذي يؤدي في النهاية إلى إعادة صياغة الموضوعات الفلسفية على ناحية أكثر دقة، وأوفى بنحنا، وذلك من سمات الباحث الفلسفية.

### ٤. تبادل المواقف بين المبادئ والجزيئات

من المعلوم أن كل موضوع معرّف يفيد العموم، فإنه يستقل به، بحيث يكون وصفاً له أو اسماً قائماً عليه، وكذلك كل موضوع يفيد الخصوص، فإنه يرتبط به ارتباطاً وثيقاً، باعتبار أن العموم أو الخصوص الموضوعي، إنما يمثل اتجاهاً معرفياً، غير أن بعض المبادئ قد تتحول عند الدراسة إلى جزئيات مبحوثة، أو واقعة في ميدان البحث الفلسفي على ناحية تدريجية<sup>(٣)</sup>، تنتهي إلى الإسكاب بعض الجزئيات، بغية الوصول إلى قاعدة عامة كلية من ناحية الاستدلال عليها<sup>(٤)</sup>، أو ترتبها لخدمة المجتمع الإنساني، أو بعض أجزاء منه.

بمعنى أننا إذا بحثنا الوجود كمبدأ كلي، أو نظرية تمثل الجوانب الفلسفية مجتمعة. فلا بد من تقسيم الدراسة فيه إلى نواح وجوانب عديدة:

#### الناحية الأولى: الآراء في نشأة

وقد جاءت في دراسات متعددة، وأشكال متباينة، حتى انتهت كلها إلى عدة قواعد صلت فيما بعد بمثلة لجملة الآراء الفلسفية، في تفسير الوجود، من حيث طبيعته. وهي:

١. الوجود الواحدى: وهو الذى يقوم على أن مادة الوجود هي مادة أو مدأ واحد، كلشي سواء أكان هو المادة أم الروح. وقد بدأت باقي الموجودات عنه، فهو النكس وهي الجزئيات حركية به<sup>(٥)</sup>.

(١) وهذا مما تشهد به العقول الصحيحة؛ لأن العقول ليس بإمكانها استيعاب كل العلوم المترتبة في انساني على وجه تكامل، وإنما لابد من التخصيص، حتى يتحقق الإنجاز.

(٢) راجع في ذلك كتابنا: رياض الأشواق في المناهج والأخلاق ص ٨١.

(٣) راجع للدكتور تينة محمد حاد - المنهج العلمي ص ١٧ وما بعدها، وكذلك طريق الفيلسوف ص ٥٥ ليقولاً بردبانيف (٤) ويقوم هذا الدور أصول الفقه عندنا عن المسلمين، كما يقوم به المنطق الكلاسيكي الذي يعتمد على الخلل اللغوية والترامها القواعد المنطقية، والمنطق التحريبي الاستقرائي، الذي يقوم أصحابه على ناحية تنتهي إلى نتائج وقواعد كلية عامة، يمكن تطبيقها على الحالات الخيرية.

(٥) راجع تفعيلات ذلك في أسس الفلسفة للدكتور: توفيق الضويل، ونظرات في الفلسفة للدكتور هاشم عبدالمعطي، وكتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي، وكلها تناولت المدارس الفلسفية التي تمسكت بهذا التقسيم.



❖ **بداية الوجود الاثني عشرية:** وهو الذى يقوم على أن مادة الوجود الأولى مكونة من مادة وروح معاً، وكل منهما لها طبيعة مستقلة، لكنها تتكامل فيما بينها على سبيل التنازلات الطبيعية، أو التنازلات الذاتية، وطبقاً لقدرة عليا<sup>(١)</sup>.

❖ **جاء الوجود المتعدد:** وهو الذى يقوم على أن أصل الكون المادة والروح والعقل الفعال، أو العقل الكلى السارى فى الكون<sup>(٢)</sup>.

#### ❖ **الناحية الثانية: الآراء المتعلقة بحقيقة الوجود**

ويعتبرون بها ما يتعلق بالوجود، لا من حيث الكلى والجزئى، أو المفرد والمتعدد، وإنما باعتبار آخر، بخلاف لما سبق تماماً، إنما تبحث الآراء المتعلقة بحقيقة الوجود من ناحية الأبدية والأزلية وغيرهما.

❖ **وذلك يبيىء فيما يلى:**

❖ **أ. الأبدية:** هل هو قائم فى المستقبل لا يزول، ولا يتغير، باعتبار أن الأبد هو ما لا نهاية له فى المستقبل، أم أن الأبد هو المكث الطويل فقط، وعلى أى منهما فقد كان بحث الوجود مرتبطاً بكل منهما على ناحية من النواحي، التى انشغلت بها المباحث الفلسفية<sup>(٣)</sup>.

❖ **ب. الأزلية:** هل هو قدم فى الماضى بقدّم علته، أم بقدّم عناصره، أم بقدّم الزمان، أم القدم الذاتى، باعتبار أن الأزلى هو القدم الماضى، ومن ثم تعددت المباحث الفلسفية فى تناول الوجود، باعتبار القدم والحدوث<sup>(٤)</sup>، وكانت لهم فى ذلك صولات وجولات كثر فيها الجدل، وتعددت الأحكام على ما هو معروض فى الكتب الفلسفية على ناحية تفصيلية.

❖ **ج. العمر الافتراضى (البداية والنهاية):** - وهى مدة عمر الكون، هل هى مليار سنة، أم أكثر أم أقل، وهى كلها افتراضات غير صحيحة، لكنها دلت على أن الكون أو الوجود كان هو شغل

(١) الدكتور صبرى حسن منصور - الفلسفة الطبيعية ص ٧١ طبعة دار الثقافة ١٩٦٥ م.

(٢) الدكتور حسن محمد فاضل - دراسات فى الفلسفة اليونانية ص ٧١.

(٣) راجع تفاصيل ذلك فى ميادين الفلسفة للأستاذ صبرى حسين صابر ص ٣٥ وما بعدها.

(٤) تعتبر مسألة قدم العالم أو حدوثه من المسائل التى أثارت الجدل داخل البيئة الإسلامية، حتى انتهت إلى إصدار أحكام الكفر على بعض من علماء أهل الإسلام، وهم ما فسدوا بالقدم مشاركة البارى فى خلقه أو صفاته، وإنما كانت لهم أبعاد فى المسألة قائمة على تفهم النقل المثل، ومحاولة التوفيق بين المنتج العقلى والنص النقلى، وقد عرضت لشيء من ذلك بالتفصيل. [ راجع كتابنا: أوراق منسية فى النصوص الفلسفية، للدكتور رفقى زاهر - قضية التكفير عند الإمام الغزالى، والدكتور عبدالمعزم شعبان: قضية البحث، والدكتور صلاح عبدالعليم إبراهيم - الإنسان بداية ونهاية، والأخيرتين رسائل للدكتوراه بجامعة الأزهر - أصول الدين بالقاهرة ]

الفلاسفة الأصليين<sup>(١)</sup> بقية الوصول فيه إلى حل. قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَعِذَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن كل ناحية مما مر ذكره يمكن إرجاعها إلى جانب بنى، وهو المراد بالتنظيم في تناول المبادئ الكلية، كما هو المعنى بالدراسة عندما يقال: إن الجوانب الجزئية تتبادل المواضع في الدراسة مع المبادئ الكلية، ولكل من هذه الموضوعات أنصار لهم أدلة، وعصوم لهم العديد من الاعتراضات، لست في مجال ذكرها أو الحديث عنها الآن.

### الناحية الثالثة: الوجود بما هو موجود

وهذه الناحية تتعلق لا بكون الوجود مفرداً أو مركباً، ولا بكون الوجود أبدياً أو أزلياً، إنما تختلف عن ذلك، حيث نبني في:

❖ **أ. ناحية الكائنات المتوافقة:** - ويقصد بها توافق العوالم القائمة في المفاهيم، والمبادئ الكلية كالحياتية والحيوانية والجمادية والإنسانية، فإن كل مجموعة منها متوافقة مع أفرادها، لا تخرج عنها، فالبنيات له سماته الخاصة، وكذلك الحال مع عالم الحيوان والجماد والإنسان أيضاً<sup>(٣)</sup>.

❖ **ب. ناحية الكائنات المتباينة:** ويقصد بها تداخل العناصر في الوجود من غير اختلاط، فالبنيات يقوم برعايته الإنسان، وكل ما كان من الكائنات المتباينة، يبحث فيه عن العلاقات التي تربط بين

(١) هذه مجرد افتراضات خيالية غير صحيحة، ولزبد من التفاصيل راسع كذا: أبا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي (٢) سورة الكهف - الآية ٥١. ما أشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم قبل الضمير عائد على إبليس وذريته أي لم أشأورهم في خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم بل خلقتهم على ما أردت وقيل ما أشهدت إبليس وذريته خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم أي أنفس المشركون فكيف اتخذوهم أولياء من دوني وقيل الكائنة في قوله: ما أشهدهم ترجع إلى المشركون وإلى الناس بالجملة فتتضمن الآية الرد على طوائف الموحدين وأهل الطوائف والمتحكمين من الأطباء وسواهم من كل من ينحرف في هذه الأشياء، وقال ابن عطية: إن العرض المنفرد أولاً بالآية هم إبليس وذريته وهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة وعلى الكهان والعرب والمعتنقين للحنن حين يقولون أعنود بعز هذا الرادي إذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بإبليس وذريته وهم أضلوا الجميع فهم المراد الأول بالضلن وتندرج هذه الطوائف في معاهم، ولا خلق أنفسهم رد على الطائفتين حيث زعموا أن الطائفتين هي الفاعلة في النفوس وقرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بالنون والألف على التعظيم الباقون بالناء بدليل قوله ما كنت متخذ يعني ما استعنتهم على خلق السموات والأرض ولا شأورهم وما كنت متخذ المضللين يعني الشياطين وقيل الكفار عصداً أي أعواناً يقال اعتصدت بغلان إذا استعنت به وتقويت والأصل فيه عصد اليد ثم يوضع موضع العون لأن اليد قوامها المعصدة يقال اعتصده وعاضده على كذا أعانه وأعزه ومنه قوله سنشد عندك بأعنيك أي سنعينك بأعنيك ولفظ العصد على حه المثل والله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى عون أحد وعصر المضللين بالذكر لزيادة الدم والتوبيخ. [ تفسير القرطبي ج: ١١ ص: ٢/١ ]

(٣) الدكتور: فوزي التروى زكريا - الفلسفة والمنطق ص ١٥٧ طبعة أولى ١٩٥١م.

مكوناتها الأصلية<sup>(١)</sup> فقط، وهو طبيعة التفلسف الذي يوقف مفهومه على معرفة حقائق الأشياء، من غير اعتبار لشيء آخر.

❖ **جـ ناحية الكائنات المشاركة:** - يقصد بها تداخل الكائنات للتوافق والتباينة في بعضها، عن طريق الاختداء تارة، كالحال مع الإنسان الذي يتغذى على بعض من لحوم الحيوانات والنبات<sup>(٢)</sup>، ويستفيد من إخماد في لباسه وفراشه، فالفلسفة تبحث هذه الجوانب على ناحية فنية.

❖ **د ناحية الكائنات التي تفرز صورها العلوم المستعددة،** وتقوم به الهندسة الوراثية في جانب منه الآن، كالإنسان الآلي والهندسة البيوكيميائية، والمستجدات العلمية الحديثة<sup>(٣)</sup>، من شبكة المعلومات

(١) الدكتور صبرى حسن منصور - الفلسفة الطبيعية ص ٩٨ ط ١٩٨٣ م.

(٢) التناسخ هو : « عبارة عن تعلق الروح بالبدن، بعد المفارقة حيث تنتقل من بدنها الأول إلى بدن آخر، من غير خنسل زمان بين التعلقين للتمتع الذاتي بين الروح والجسد » [العلامة عبدالقاهر الجرجاني - التعريفات ص ٦١]، وعلى هذا فالتناسخية هم الذين يقرولون بانتقال الأرواح وتبدلها على الأبدان، بحيث تتوارد على البدن الواحد عددة أرواح، فإن كانت السعادة هي الغاية - فإن الروح تتعلق بالبدن رفياً، وإن كانت الأخرى ؛ انقلبت دونها، فتعلقت بنسج حيوان مقبول أو مردوف، حسب إمكانيات الروح وما عملته [راجع كتابنا: الغزاليات في النبوات ص ٤٤٩] ويسرى العلامة البغدادي أن التناسخية أصناف أربعة. وكلها يجمعها مذنب واحد، فيقول « السائلون بالتناسخ أصناف: مصنف من الفلاسفة. ومصنف من الشُّعْبَةِ، وهذان الصنفان كانا قبل دولة الإسلام، وصفان آخران ظهوراً في دولة الإسلام: أحدهما من جملة القدرية، والآخر من جملة الرافضة العالية » [الإمام البغدادي - الفرق بين الفرق ص ٢٠٣]، وهذا فإن العلامة البغدادي قد ذكر أهم ليسوا قرماً بعينه، ولا طائفة بذاتها، وإنما هو فكر يلتف حوله من تساعلوا معه، واستراحوا في أحضانه، وكمن من يعتنق نفس الأفكار بوصف بأنه تناسخي، بنحكم الاعتقاد والذكر الغالب [راجع كتابنا: الغزاليات في النبوات ص ٤٤٩] ومن أنواع : التناسخ الروحي ومعناه: « أن الأرواح يتمكّن تبادل الأحساد، فإذا كانت الروح طيبة، وهي في جسم حيوان، أمكنها الترقى، حتى تعمل إلى الخلد الذي تكون به روحاً لإنسان أعلى من الحيوان، وتظهر هكذا ترقى كلما كانت صالحة. أما إذا كانت روحاً غير طيبة، وهي في جسد إنسان، فإنها لا تبقى فيه، بل تنزل عنه إلى روح حيوان، كالكلب أو الخنزير، وهكذا فإنها تظل تترقى، وتخطّ طائفاً كانت في أمسى الحشر والنفس... » [العلامة بنسهرستان - نقح ونتمل ج ١ ص ١٦٣ - تحقيق الأستاذ عبدالعزيم محمد الوكيل ط ١٤٢٥ هـ]. « وهذا التناسخ باطل شرعاً، لأن الله تعالى خلق بكل جسد روحاً يتعلّق بها، وتدبره، فإذا خرجت الروح وفقت الوفاة، وتحققت الثواب والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الشأن أكثر من أن تحصى، وكلها دالة على أن السروح لكل جسم حشر به وحده... » [العلامة السعد التتازاني - شرح لمصاحد ج ٥ ص ٨٨ - تحقيق الدكتور عبدالحسين حمزة] كما أن هناك نوعاً آخر من التناسخ، ألا وهو التناسخ الجسدي، ومعناه « أن أحساداً تمت في الماضي من إنسان أو حيوان أو نبات، ثم جدت خا هذا الدن يمتد، وهو الموت والبي. ثم يعود مرة أخرى إلى مادة التراب، التي كانت الأصل الأول. وحينئذ تخطط المادة الترابية، إلى صفت على أصلها مع المادة الترابية، التي تحولت من تراب إلى إنسان، ثم عادت إلى التراب مرة أخرى. وهذا التناسخ الجسدي أمر ضيق، جعله الله تعالى في الكائنات الحية، ولا يتناق أبدأ مع البعث القائم على الأجزاء الأصلية لكل إنسان والشرع التبريع لم يكره، بل ربما طواهروه توبده ونه إليه... » [العلامة الشهيرستان - الملئ والنحل ج ٢ ص ٢٢٥]

(٣) راجع كتابنا : أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ص ٢١ وما بعدها.

المختلفة، وما كان في مجال البحث العلمي، سواء أكان في مجال البيولوجيا وعلم الأحياء، أم كان في مجال الصناعة، وقد نبه مع الكائنات المتخلقة من عناصر أولية في عالم النبات، أو الحيوان، وهو ما يعرف باسم الاستنساخ أو التهجين الوراثي<sup>(١)</sup>.

إذن موضوع الفلسفة لم يقف عند حال واحدة، وإنما كان يتسع فيشمل كل الموضوعات التي يمكن للعقل أن يسير فيها، ويتناول التعرف عليها، دون قيود عليه، يستوى في ذلك أن يكون الموضوع متعلقا بالموجودات القائمة في عالم الشهادة، أم القائمة في عالم الغيب، ومن ثم يكون الموضوع متسعا، متى كانت العوامل المحيطة بالفيلسوف تسمح بذلك.

وقد يضيق الموضوع إلى أبعد حد، بحيث لا يكون الاشتغال إلا بجانب معرفي واحد، يضيق إلى أبعد مدى، يكون الفلسفة هي الداعية إليه، كما تكون هو ذاته المقصود بعمل الفيلسوف دون سواه، متى فرضت على الفلسفة والفلاسفة القيود، إذن المرجع في تناول الفلسفة موضوعا بعينه أو موضوعات متسعة، إنما هو العوامل المحيطة بالفيلسوف، سواء أكانت سياسية أم دينية، وسواء أكانت طبيعية أم قائمة في ذات الموضوعات المتناولة ذاتها<sup>(٢)</sup>.

ويمكن القول بأن موضوع الفلسفة ارتبط في أغلب الأحيان بتصنيف العلوم على وجه العموم، حيث إن العلوم الفلسفية أربعة أنواع<sup>(٣)</sup> باعتبار التصنيف.

★ الأول: العلوم التربوية في الرياضيات، وتتكون من:

- ١- الحساب. ٢- الهندسة. ٣- الفلك. ٤- الموسيقى<sup>(٤)</sup>.

★ الثاني: العلوم المنطقية، تتكون من:-

- ١- فن الشعر. ٢- فن الريطوريقا - الخطابة. ٣- فن المقالة والمناقشة. ٤- فن التحليل وهي الشرح والتفسير. ٥- فن السفسطة - أسلوب الحديث.

★ الثالث: العلوم الطبيعية، وتتكون من:-

- ١- الأسس المادية للموضوع والشكل والزمن والمسافة والحركة. ٢- السماء والأرض. ٣- الكون والفساد. ٤- الظواهر الكونية. ٥- علم المعارف. ٦- علم النبات. ٧- علم الحيوان.

(١) الدكتور محسن محمد أبو هدية - الاستنساخ البشري ص ١٣ ط الدار الحديثة ١٩٩٨م.

(٢) راجع كتابا: التفلسف مفهمه ودوافعه وخصائمه، فقد ذكرت هذه المسائل هناك بالتفصيل.

(٣) فردريك روزنتال - التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١١١.

(٤) وكل علم من هذه العلوم له أصول تتم دراسته من خلالها وقواعد يقوم عليها، ويتحكم إليه عند دراستها، وبالتسالي فحينما يقال: إن موضوع الفلسفة يضيق، فالمقصود انضغاره في إطار علم بعينه.

- ١- التعريف بالخالق.
  - ٢- الكائنات الروحية.
  - ٣- موضوعات تتعلق بالروح الكونية والفردية. ٤- الهداية النبوية. ٥- البحث<sup>(١)</sup>.
- وتتضمن الفلسفة معرفة الموضوعات جميعاً هي عليه، وفق تحديدها، ابتداءً من الأجناس العليا، وحتى الخصائص الفردية، وكذلك معرفة الأشياء القدسية - الميتافيزيقا<sup>(٢)</sup>.
- ❖ **لكن ربما يقال:** هل هناك عوامل هي التي تفرض على الفلسفة الانحصار داخل إطار موضوع بعينه لا تتخطاه، أو هي التي تدفعها إلى احتياز كل العقبات، فتشمل كل العلوم على سبيل البحث والتوجيه، أم أن ذلك طبيعة الفلسفة ذاتها، وبعبارة أخرى: يمكن أن يتساءل المرء: هل الانكماشات التي تواجه الفلسفة في موضوعها تكون من طبيعتها الذاتية، أم ناشئة عن عوامل أخرى خارجية تكون لها السيطرة عليها.
- ❖ **والجواب:** أن الفيلسوف مرتبط بالعديد من العوامل الخارجية والذاتية، كما أن البواعث على التفكير هي الأخرى، قد تنشط في جانب حيناً، بينما تختفي أو تتلاشى في جانب حيناً آخر<sup>(٣)</sup>، وكلما كان الفيلسوف متمكناً من قدراته الذاتية، وقى تألف مع العوامل الخارجية، ولديه رغبة في الانطلاق نحو المراقى والتحليق في العوالم؛ فإن موضوع الفلسفة يتسع إلى حد كبير.
- أما إذا عاندته الظروف الطبيعية، وعجز عن قهرها، أو خاصته العوامل الخارجية، ولم يتمكن من إزاحة عوائقها، أو كانت قدراته العقلية بحاجة إلى المزيد من العناية، والأكثر من الرعاية، أو كانت تشهد المزيد من الثقافة والبحث العلمي، فإن موضوع البحث الفلسفي بالنسبة له سيكون في أضيق دائرة، طبقاً لما يتناسب مع الظروف الخاصة والإمكانات الذاتية<sup>(٤)</sup>.
- على أن هناك أمراً مهماً، يجب الالتفات إليه، وهو أن خصوصية الموضوع في الفلسفة أو عمومها، لا تخرج عن كونها إطاراً فنياً من الأطر التي تهتم بها الفلسفة من ناحية الدراسة فقط، إذ ليس من اليسر على المفكر إزاحة جزء من ثقافته الصحيحة، أو إعدادها عن ميدان الاحتكاك المباشر

(١) فردريك روزنتال - التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١١٤.

(٢) وبالتالي فإن الميتافيزيقا لا تكون مساوية للفلسفة، وإنما هي جزء منها؛ لأنها داخلية فيها من ناحية، كما أنها تتعلق بمباحث هي نوع من العلوم التي تشملها الفلسفة من ناحية أخرى.

(٣) الدكتور فوزي محمد ثابت - الفيلسوف والفلسفة ص ٥٧ طبعه أول ١٩٨٨ م.

(٤) طالما كان الفيلسوف متأثراً بالعوامل المحيطة به، فمن الطبيعي أن يرتد ذلك إلى ثقافته، ومنها الفلسفة، بل أفسا تكون أكثر تأثراً بالظروف المحيطة بالفيلسوف. [ راجع في ذلك للدكتور صبحي محمد حسن - الفيلسوف والفلسفة ص ٣٥ ط أول ١٩٨١ م.

والتجربة الواقعية<sup>(١)</sup>، والاختبار المتواصل لها، بقية الاطمئنان على صحتها، واستمرار المحافظة على سلامتها، وإنما لابد له من ابتلاء جزء من ثقافته عن طريق الشك فيها، أو اختبار صحة معلوماته.

في نفس الوقت فلا يكون المرء مفكراً عميقاً، أو فيلسوفاً متكاملًا، إلا إذا انشغل تفكيره بالعالم المشاهد والغائب معاً، ونظر للمشكلات المعرفية نظرة كلية في المفاهيم، متخصصة في تناول؛ لأنه لو لم يكن صاحب تفكير عميق، لم يكن فيلسوفاً متكاملًا<sup>(٢)</sup>، ومن شأن كل مفكر أن يرتب أفكاره بطريقة عملية، كما يصوغها في قوالب فنية، تناسب طبيعة الموضوع الذي يبحثه، كما يستخدم الوسائل التي تعينه على إبداء نتائج صحيحة، أو تقوده إلى اكتشاف حلول واقعية للمشكلات التي تغص مضجعه، وتفرغ أمه.

يبد أنى أنه إلى حقيقة هامة - من وجهة نظري - وهي أن اختلاف كل مفكر أو جملة من المفكرين في طريقة تناول موضوع من الموضوعات، لا يعنى أنها اختلافات في الموضوع المطروح، بحيث تعدد الموضوعات الفلسفية بتعدد المفكرين والفلاسفة؛ لأن تعدد الوسائل وطرائق البحث، لا يلزم معه تعدد في الموضوعات على ناحية من النواحي.

### بـد ميادين الفلسفة

يذهب الكثيرون من الدارسين إلى أن موضوع الفلسفة هو الذي يمهّد ليدانها، ومن ثم فكل موضوع فلسفي، إما هو علامة كاشفة عن ميدان فلسفي متميز، بينما يذهب آخرون إلى أن موضوعات الفلسفة تغاير ميادينها، مغايرة تؤكد استقلال كل منهما - الميادين والموضوعات - عن الآخر، باعتبارات مختلفة، ويستدل أصحاب كل رأى بأدلة.

ونظراً لهذه الاختلافات في المنظور من ناحية الموضوعات والميادين، فقد رأيت أن عملية التوفيق بينهما ممكنة، باعتبار أن بعضها داخل في نطاق عمومية الميادين، بينما يمكن حمل الثاني على خصوصيتها، وهناك مجمل للإراء في المسألة:

### الأول: أصحاب عموم الميادين

يرى أصحاب هذا الاتجاه، أن للفلسفة العامة ميادين عامة، تقوم عليها المباحث الفلسفية، يمكن تسميتها بالنظريات الفلسفية الأساسية حيناً، أو العامة حيناً آخر، وهي:

- (١) راجع كتابنا: خواطر حثية في الفلسفة الحديثة ص ٧١ ط ٢.
- (٢) الدكتور فوزي محمد ثابت - الفيلسوف والفلسفة ص ٧٢ ط ٢ / ١٩٦٣ م.

وهي التي تبحث في الوجود من حيث هو، كما تبحث في طبيعة الوجود، باعتبار المادة، وما وراء المادة<sup>(١)</sup>، وما يلحق بكل منهما من الثبات أو التغير، وبأى بعد أى منهما على سبيل التفسير والتوضيح، سواء باعتبار القدم أم باعتبار الحدوث، وسواء باعتبار النقل والمشيئة، أم باعتبار القدرة والعمل الإلهي<sup>(٢)</sup>.

وتعتبر نظرية الوجود من أسبق المشكلات الفلسفية وجوداً، وأكثرها جدلاً، وأشدّها أثرًا؛ لأنها التي حركت العقل الإنساني في كل اتجاه، ودفعته إلى بحثها في نوع من السرعة المتأنية حيناً، أو المتدفقة في بعض الأحيان<sup>(٣)</sup>، وما تزال هذه المشكلة تطل برأسها في أفكار كل من الماديين الأوليين والطبيعيين المتأخرين، بل إنها تجاوزت بلاد اليونان إلى بابل والصين والهند، وكانت سابقة عليهم في مصر أبان حكم ما قبل الأسر، وهو ما يمثل حقبة زمنية، امتدت قرابة أربعة عشر ألف قرن من الزمان<sup>(٤)</sup>، وما تزال أصداء البحث في هذه النظرية تتوالى، ويبدو أنها ستظل مادام البحث الفلسفي لم ينقطع، كما لم يقنع الفلاسفة بما حصل عندهم من نتائج.

وهي التي تبحث في المعارف والعلوم الإنسانية، من حيث البدهة والاكتساب، من ناحية اليقين أو الظن، وقد احتاج ذلك بحث مصدر المعرفة، بغية التعرف على ما إذا كان هو الحواس الخمس الظاهرة: ١- السمع. ٢- البصر. ٣- الشم. ٤- الذوق. ٥- اللمس، وتسمى المعرفة الحسية. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) راجع كتابنا: قضايا حية في الفلسفة الحديثة ص ٩٨ ط الرابعة ٢٠٠١م.

(٢) الدكتور صبرى حسن سالم - الفلسفة والميتافيزيقا ص ٥٣ ط ١/١٩٧٧م.

(٣) راجع كتابنا: رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق ص ٩٣.

(٤) الدكتور يوسف محمد ثروت - الفلسفة العامة ص ٥٣ ط المشهد ١٩٧٨م.

(٥) يقول الحافظ بن كثير - رحمه الله - : « والأفئدة هي العقول التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها ». [ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٧٩ ] ويقول الشيخ الألوسي: « في تقديم السمع والبصر على الأفئدة المشار بها إلى العقل، لتقديم الظاهر على الباطن، أو لأن لها مدخلاً في إدراكه والجملة، بل هما من خدمه، والخدم تقدم بين يدي السادة، وكثير من السنن أمر بتقديمها على فروض العبادات ». [ روح المعاني للألوسي - ج ١ ص ٢٠٢ - طبعة دار الفكر، والألوسي هو شهاب الدين السيد محمود أفندي الألوسي. ولد سنة ١٢١٧هـ في جانب الكرخ من بغداد، كان محدثاً ومفسراً وأصولياً فقيهاً، اشتغل بالتدريس والتأليف، وترات المذهب الحنفي. تولى سنة ١٢٧٠هـ. (التفسير والمفسرون) ط الذهبي ج ١ ص ٣٥٢ - دار الكتب الحديثة معب - الطبعة الثانية ]

(٦) سورة الحل - الآية ٧٨.

ويقول الإمام الفخر الرازي عند بيانه لهذه الآية : « واعلم أن ذكرها هنا تنبيهاً على دققة لطيفة، كأنه تعالى قال: أعطيتكم هذه الإعطاءات الثلاثة مع ما فيها من هذه القوى الشريفة، لكنكم ضيعتموها، فلم تقبلوها ما سمعتموه، ولا اعتبرتم بما أبصرتموه، ولا تأملتم في عاقبة ما عقلتموه، فكانكم ضيعتم هذه النعم، وأفسدتم هذه المواهب. فلهذا قال: ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ وذلك لأن شكر الله تعالى هو أن تُصرف هذه النعمة إلى وجه رضاه، وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل، لا إلى طلب مرضاته، فأنتم ما شكرتم نعمه البتة »<sup>(١)</sup>.

أم كان المصدر هو القدرات العقلية المتميزة، وتسمى المعرفة العقلية، وجاء حديث القرآن الكريم عنها في آيات عديدة، من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله تعالى : ﴿ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

أم كان المصدر هو الإلهام الإلهي، والعلم اللدني<sup>(٥)</sup>، الذي ينمي الإنسان المؤمن التقى الصالح كنوع من الإلهام، وتسمى المعرفة الإلهامية أو اللدنية لقوله تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آمِنًا وَرَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ قال له موسى هل أتيتك على أن تعلمن مني ما علمت رشداً<sup>(٦)</sup>.

﴿ يقول الإمام الفخر الرازي : « إن هذه الآيات تدل على أن موسى عليه السلام راعى أنواعاً من الأدب والالطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر، حيث إنه جعل نفسه تبعاً له؛ لأنه قال : (هل أتبعك)، واستأذن في إثبات هذه التبعية، فكانه قال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعاً لك؟ وهذه مبالغة عظيمة في التواضع، وقوله تعالى : ﴿ على أن تعلمني ﴾ إقرار له على نفسه بالجهل، وعلى أستاذه بالعلم، وقوله : ﴿ بما علمت ﴾ وصيغة من للتبعية، فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضاً مشعر بالتواضع، كأنه يقول: لا أطلب منك أن تعلمني مساوياً في العلم لك، بل أطلب

(١) الإمام الفخر الرازي - معاني الغيب - ج ١ ص ١٥٧

(٢) سورة طه - الآية ٥٤. قال الإمام الفخر الرازي - رحمه الله - : « أي لأهل العقول، والأقرب أن للهي مرة على العقل، والهي لا يقال إلا حين له عقل وانتهى به عن الفانيات » [معاني الغيب - للعلامة المعمر السرازي - ج ١ ص ٦٧]

(٣) سورة البقرة - الآية ١٦٤.

(٤) سورة الروم - الآية ٢٢.

(٥) العلم اللدني : ويسمى أيضاً العلم الوهي؛ لأنه يأتي للإنسان بعد اكتمال عقله من غير أسباب تباشير، ولا وسائل تفصيل، وربما هو المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٨٢. (راجع في هذا الشأن: التعريفات للعلامة المرجحان ص ١٣٦).

(٦) سورة الكهف - الآيات ٦٤/٦٦.



منك أن تعطيت جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أحياء ماله»<sup>(١)</sup>. على سبيل الترفيق به، والإحسان له.

أم كان المصدر هو النقل المثل من قبل الله تعالى - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة - وهي المعرفة الوحيدة أو الثقلية<sup>(٢)</sup>.

كما أنها تبحث حدود ما ينبغي معرفته، وما لا يجب البحث فيه، وكيفية التفرقة بين كل منهما، وما إذا كان المبحوث عنه مما هو مسكوت عنه من قبل الله تعالى، منتهى عن البحث فيه، أم

(١) العلامة الفخر الرازي - معاني العيب - ج ١ ص ٦٥٢/٦٥٣ بتصرف . وفي السنة النبوية الصحيحة عن رسول الله قال: «بينما موسى عليه السلام، في قومه يذكرهم بأيام الله. (وأيام الله تعالاه وبلاؤه). إذ قال في نفسه: ما أعلم في الأرض رجلاً حراً أو أعلم مني. قال فأوحى الله إليه. إن أعلم بالخير منه. أو عند من هو. إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك. قال: يا رب! فدلتني عليه. قال فقيل له: تزود حوتاً ماخلاً. فإنه حيث تفقد الحوت. قال فاطلق هو وفاء حتى انتهيا إلى الصحرة. فعني عليه. فاطلق وترك فناء. فاضطرب الحوت في الماء. فجعل لا يلتصق عليه. صار مثل الكرة. قال فقال فناء: ألا أخفق بني الله فأخبره؟ قال فتسلى. فلما تجاوزا قال لفناء: أتأخذنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً (سورة الكهف - من الآية ٦٢) قال ولم يخبرهم نصيب حتى تجاوزا. قال فتذكر قال: أريت إذ أربأ إلى الصحرة فإني نسيت الحوت. وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. واتخذ سبيله في البحر عجباً. قال ذلك ما كنا نعي فارتدنا على آثارهما قصصاً (١). فأراه مكان الحوت. قال: ههنا وصف لي. قال فذهب يلتصق فإذا هو بالحوت مسجى ثوباً. مستلقياً على الفناء. أو قال على حلالة الفناء. قال: السلام عليكم. فكشف الثوب عن وجهه قال: وعليكم السلام. من أنست؟ قال: موسى. قال: ومن موسى؟ قال: موسى بن إسرائيل. قال: عني ما جاء بك؟ قال: جئت لتعلمي مني ما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به حيراً شيء أمرت به أن أفعله إذا رأيت لم تصبر قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً قال فإني اتبعني فلا تنسائي عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً فاطلقتا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال انتحى عليها قال له موسى عليه السلام أخرفتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمبراً قال لم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً فاطلقتا حتى إذا لقيسا غلماً صابراً يعلو قال فاطلقتا إلى أحدهم يادي الرأي فقتله فدفعه عندهما موسى عليه السلام ذبرة منكراً قال أقتلت نفسك إنا كيه بعير نفسي لقد جئت شيئا نكراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا المكان رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عمل لأمرى المحب ولكنه أخذته من صاحبه ذميمة قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصبحني قد بلغت من لدي عذراً ولو صبر لأمرى المحب قال وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه رحمة الله علينا وعلى أبي كذا رحمة الله علينا فاطلقتا حتى إذا أتيا أهل قرية لثما فظافا في الغالسي استطمعا أهلها فأبوا أن يخبروها فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لأخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك وأخذ بثروته قال سأيتك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر إلى آخر الآية فإذا جاء السفينة يسخرها وحدها منحرفة فتجاوزها فاصلحوها بخشية وأما الغلام فمطعم يوم طبع كافراً وكان أبواه قد عطفوا عليه فلما أنه أدرك أوهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلناهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً وأما الجدار فكان لفلان يقيم في المدينة وكان خشيته إلى آخر الآية». [الإمام مسلم - صحيح مسلم - باب من فضائل الخضر. عليه السلام. في الحديث رقم: ١٧٢ - (٢٣٨٠)، ١٧٠ - (٢٣٨٠) - ج ٤ ص ١٨٥/١٨٥]

(٢) والمعرفة الثقلية هي مصدر المعرفة الوحيد اليقيني؛ لأنها تنزل من الله تعالى المصدق لها حل علاه.

هو ممكن، ويقع التحاور فيه والبحث عنه، ففي الحديث الشريف عن أبي ثعلبة الخشني<sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ قال: «إن الله حد حدودا فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء في غير نسيان رحمة لكم فأقبلوها ولا تبخلوا عنها»<sup>(٢)</sup>. وعنه ﷺ: «إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء غير نسيان رحمة لكم فلا تبخلوا عنها»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي الدرداء<sup>(٤)</sup> عن النبي قال «إن الله عز وجل افترض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها. وسكت عن كثير من غير نسيان، فلا تكلفوها رحمة لكم فأقبلوها»<sup>(٥)</sup>. وعنه صلى

(١) أثر ثعلبة الخشني صحابي مشهور معروف بكنيته واختلف في اسمه اختلافا كثيرا. وسكن أبو ثعلبة الشام وقيل حمص روى عنه أبو إدريس الخولاني وأبو أمية الشعباني وأبو أسماء الرحبي وسعيد بن المسيب وحبيب بن نسير وأبو قلابنة ومكحول وأحرون ومنهم من لم يدركه قال بن البرقي تبعاً لابن الكلبي كان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له بسهمه في حبر وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه فأسلموا وأخرج بن سعد بسد له إلى محسن بن وهب قال قدم أسير ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى حبر فأسلم وخرج معه فشهدا ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من قومه فأسلموا ونزلوا عليه قال أبو الحسن بن جميع بلغني أنه كان أقدم إسلاماً من أبي هريرة وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقاتل بمسكين مع أحد الفريقين ومات في أول خدمة معاوية كذا قال والمعروف خلافة وقال أبو علي الخولاني كان يزل دارها وأخرج بن عساكر في ترجمته من طريق محفوظ بن علقمة عن ابن عائذ قال قال نائبة بن تميم ما رأينا أصدق حديثاً من أبي ثعلبة لقد صدقنا حديثه في أفيه الأوردية قال علي وكان لا يأتي عليه ليلة إلا خرج يمشي إلى الأسماء فينظر كيف هي ثم يرجع فيسجد وعن أبي البراءة قال قال أبو ثعلبة إني لأرجو الله ألا يخفى كماً أراكم شفقون عند الموت قال فبينما هو يصلي في حرف الليل قضى وهو ساجد فرأت ابنته في النوم أن أباه قد مات فاستيقظت فزعة فنادت أين أبي فقيل لها في مصلاة فنادته فلم يجيبها فأتته فوجدته ساجداً فأبته فحركته فسقط ميتاً قال أبو عبيد وابن سعد وحليفة بن حياط وهارون الجمال وأبو حسان الزبدي مات سنة خمس وسبعين. راجع الإصابة لابن حجر العسقلاني - القسم الأول [من ذكر له صحبة، وبيان ذلك]. التلخيص: ٩٦٥٨ ص ٥٨/٦٠.

(٢) الإمام الشوكاني - فتح القدیر ج ٢ ص ١٢٠.

(٣) تسمية النبي ص - كثير بعد - باب الثاني: في الاعتصام بالكتاب والسنة - الحديث رقم ٩٨٠٠ - وتسمية العلامة أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء وطفات الأصفياء - ج ١ ص ١٧٢ - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) أبو الدرداء: هو الصحابي الخليل، غرير أبو الدرداء مشهور بكنيته واسمه جميعاً واختلف في اسمه فقبيل هو عاصم وميمر. أسلم يوم بدر وشهد أحدًا وأُتِيَ فيها قال صفوان بن عدي: روى عن شريح بن عبيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد نعم الفارس غرير وقال هو حكيم أمي. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن ثابت وعائشة وأبي أمامة وعصالة بن عبيد روى عنه ابنه بلال وزوجته أم الدرداء وأبو إدريس الخولاني. وسويد بن غفلة وحبيب بن نعيم وزيد بن وهب وعلقمة بن قيس وأحرون قال أبو شهر عن سعيد بن عبد العزيز مات أسير الدرداء وكعب الأبحار لستين بقية من خلافة عثمان وقال الواقدي وجماعة مات سنة اثنين وثلاثين وقال بن عبد الله إنه مات بعد صغين والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات في خلافة عثمان. راجع الإصابة لابن حجر - الفهرست بعد الوار. رقم: ٦١٢١

(٥) العلامة المتقي الحنفي في كثر العمال - الباب الثاني: في الاعتصام بالكتاب والسنة - الحديث رقم: ٩٨١

الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تقربوها (تعدوها) وحرم محارم فلا تنهكوها، وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تكلفوها، رحمة من الله فاقبلوها، ألا إن القدر خير من شره، ضره ونفعه إلى الله، ليس إلى العبد تفويض ولا مشيئة»<sup>(١)</sup>.

أم كانت المعرفة متعلقة بما هو أمر الله عز وجل بتجيب البحث فيه، لعدم قدرة العقول على بلوغ شيء منه لقوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

❦ يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله - «إن معرفتنا بالروح تدخل بنا في نطاق ما استأثر الله بحكمه، حيث يقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>(٣)</sup>، يعني من المتعلقات الخصوصية لله. فإن إرادة الخالق ﷻ أن تكون بنا حياة تتلحم الروح بالبدن، فتكون الحياصة...، فلا تقي المادة بلا روح، ولا تظهر الروح إلا في المادة. وحين تلتقي السروح بالمادة؛ توجد النفس»<sup>(٤)</sup>.

في نفس الوقت فإن جوانب المعرفة لا تتوقف عند مجرد المصدر والموضوع، وإنما تتجاوز ذلك إلى البحث في كونها ممكنة أم مستحيلة، وكذلك يقينية أم ظلية، وفوق ذلك فإن الفوائد المترتبة عليها قد ضارعت المصدر والموضوع في اجتذاب الدارسين إليها، ومحاولة كشف أسرارها، وإزالة جوانب الغموض عنها<sup>(٥)</sup>.

(١) العلامة المثنى الهندى في كبر العمال - الباب الثاني: في الاعتماد بالكتاب والسنة - الحديث رقم: ١٦٥٦ - عسن أبى الدرداء .

(٢) سورة الإسراء - الآية ٨٥ . يزعم حكماء اليونان أن الروح أقرب إلى عنصر النور، وأن النفس أقرب إلى عنصر الهواء والتراب. والروح أرفع من النفس في درجات الوجود، ودرجات الحياة عند أكثر حكماء اليونان، فمنهم من ينسب النفس إلى الكائنات العضوية جميعاً، ومنها كل نبات ينمو ويولد، ويوصف ببعض صفات الأحياء، فمعنى النفس عندهم على هذه الصفة مرادف لمعنى الحركة الخيرية، أو معنى القوة التي تجعل أعضاء الجسم الحي مخالفة للأجسام المادية في قابلية النمو والتوليد. [الأستاذ عباس محمود العقاد - الإنسان في القرآن - ص ٢٧]

(٣) سورة الإسراء - الآية ٨٥ .

(٤) كتاب: النفس في القرآن ص ٦/٥ لأصحاب الفتاوى، والشيخ محمد الغزالي، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور جمال ماضى أبو العزيم - الطبعة الثانية - طبعة دار فهد للتراث والترجمة والنشر (بمصر) . وهذا الموضوع تحت عنوان (ما هي النفس؟ هل هي الروح؟ أم هما مختلفتان؟) :

(٥) راجع للدكتور محمد غلاب - نظرية المعرفة عند مفكرى المسلمين، فقد تناول هذه المصادر مع التفصيل الذى يحتاجه الدراسات التى يقع فيها التخصص الفلسفى.

وهي التي تعنى بالقيم الإيجابية والسلبية، كالصدق والكذب والخير والشر، والسعادة والشقاء، والجمال والقبح، والعدل والظلم<sup>(١)</sup>، أو بعبارة أخرى هي التي تكون موضوعاتها الفضائل أو الرذائل، وهي حين تبحث الفضائل، إنما تتخذها صورة للممارسة التي يجب أن تتسود المجتمع الإنسان كله، وحين تبحث الرذائل، فإنما تدفع أصحاب العقول الصحيحة بعيداً عن ممارستها وتبعدها عن ساحة القبول، حتى تحقق للمجتمع الإنسان الحل منها، أو الابتعاد عنها<sup>(٢)</sup>.

من ثم ظهرت المدارس الأخلاقية الخردة، كالحال مع أصحاب الأخلاق النظرية<sup>(٣)</sup>، كما أظهرت الحياة الروحية التي تدفع إلى ممارسة الجانب العملي في صياغته النظرية، أو بعبارة أخرى تحويل الجانب النظري الإيجابي في القيم إلى دافع عملي يحقق مصالح الإنسان.

### ١١ الثاني: أصحاب خموسية الميادين

وهم الذين يذهبون إلى أن للفلسفة العامة ميادين خاصة تقوم عليها جزئيات المباحث الفلسفية<sup>(٤)</sup>، إذ العبرة عندهم بالجزئيات المبحوثة، أو القابلة للبحث بغض النظر عن التسمية، وبالتل يمكن تسمية هذه المباحث باسم العناوين أو الموضوعات التي تبحثها دون تحديد لاسم معين، أو موضوع بذاته؛ لأنها ميادين معينة ينتج عنها البحوث حين يريد تأسيس علم من العلوم أو يضع مبادئ له<sup>(٥)</sup>، أو يسارع ببناء جملة من القواعد الصحيحة، بغرض إقامة علم عليها، كالحال مع فلسفة العلوم التطبيقية، وفلسفة العلوم الرياضية، وفلسفة العلوم النظرية، حيث تسمى كل مجموعة منها باسم موضوعاتها، ثم يُعزل كل واحد من أفراد تلك المجموعة، ويطلق عليه اسم مستقل، بحيث يكون داخل إطار المجموعة الأم<sup>(٦)</sup>.

من ذلك أيضاً الأصول الفلسفية للعلوم العربية، فيكون عندنا فلسفة علم النحو. وفلسفة علم الصرف<sup>(٧)</sup>، وفلسفة علم البلاغة، وفلسفة علم الأدب، وهي كلها ترتد إلى المجموعة الأم<sup>(٨)</sup>، والأصول الفلسفية للعلوم الشرعية، فيكون لدينا فلسفة الفقه العام، وفلسفة أصول الفقه، وفلسفة

- (١) الدكتور شوقي السيد حسن - نظرية القيم - دراسة حالية ص ٣١ ط دار توفيق بالقاهرة ١٩٦٨م.  
(٢) هذه العنايات التي تسمى إليها عملية البحث في نظرية القيم.  
(٣) راجع للدكتور حسن نصار - الأخلاق النظرية والعقلية (دراسة مقارنة) ص ٨٢ ط ١٨٥٧م.  
(٤) الدكتور: يوسف محمد ثروت - الفلسفة العامة ص ٦١ ط مكتب المدى ١٩٨٦م.  
(٥) الدكتور حسن نصار - الأخلاق النظرية والعملية دراسة مقارنة ص ٨٢ ط المكتبة المصرية الجديدة ١٩٨١م.  
(٦) الدكتور يوسف محمد ثروت - الفلسفة العامة ص ٧٤ المطبعة الحديثة ١٩٥٥م.  
(٧) الصرف علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعرال. وفي اللغة الدفع والرد وفي الشريعة بيع الأمان بعضها ببعض. [التعريفات للرحمان ج ١ ص ١٧٤ - باب الصاد - رقم: ٨٦٤] وقال صاحب التعريف: الصرف بالفتح رد الشيء من حالة إلى أخرى أو إبداله بغيره وتصرف الرياح صرفها من حال إلى حال ومنه تصرف الكلام والدراهم والصرف اللين إذا سكنت رغوته كأنه صرفت الرغوة عنه والصرف شرعاً بيع الأمان بعضها ببعض والصرف بالكسر صبح أجرة خالص ثم قيل لكل خالص من غيره صرف كأنه صرف عنه ما يشوبه وفي المصباح الصرف الذائب السذي لم يمزج ويقال لكل خالص من شوائب الكدر صرف لأنه صرف عن الخلط. [العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي المولود ٩٥٢هـ والتميز ١٠٣١هـ - التوقيف على مهمات التعاريف ج ١ ص ٤٥٤ باب الصاد فصل الراد -].  
(٨) الدكتور فؤاد أبو ذكري - الفلسفة دراساته ونظرياته ص ٥٧ ط ١٩٨١/٣ م ١٩٨١/٣م.

الفلسفة للعلوم الشرعية، فيكون لدينا فلسفة الفقه العام، وفلسفة أصول الفقه، وفلسفة الفقه المذهبي وكلها ترتد إلى الأصول الأولى، وهي الأصول للعلوم الشرعية، وكذلك الحال مع الأصول الفلسفية للعلوم العقلية، فيكون لدينا فلسفة المنطق، وفلسفة علم الكلام، وفلسفة الرياضيات، وقس على ذلك سائر الأنماط المعرفية، كما يمكن إدخال علم السياسة والاقتصاد وعلم الأخلاق في مجموعة من المجموعات الأم، التي تكون بمثابة المجموع الذي تأوي إليه رموس هذه العلوم.

وفي تقديرى: أن أصحاب القول الثاني يمكن ضمهم إلى أصحاب القول الأول؛ لأن الأولين إنما يبحثون الكليات، بينما الآخرون يبحثون الجزئيات<sup>(١)</sup>، كما أن أصحاب المبادئ العامة يتجهون إلى مبادئ العميم في المبادئ وهم بذلك يقدمون حصراً في المبادئ الفلسفية، أما الآخرون فيأهم يمثلون جانباً من جوانب مباشرة العقل والافتقار مع القواعد المعسول بها، أو التي سبق وضعها بدليل أن بعض هذه النصوص قد اعتبر مدخلاً لبعض العلوم الأخرى، كالحال مع المنطق ومناهج البحث، فإنها اعتبرت مقدمة البحث في كل العلوم<sup>(٢)</sup>.

#### ٣- نماذج من تصنيف العلوم

لما لم تكن العلوم قد استقرت فوائدها أبان عصور بعض فترات التاريخ، فقد كان النظر فيها يعتمد بشكل أو آخر على وجهة النظر الذاتية، دون انتقادات نشر آخر. تحكمه الظروف أو غلبته القواعد، حتى إذا استقرت العلوم بدأت اتجاهات البحث في العلوم تصنيفاً ومناهج تأخذ طريقها إلى الواقع العملي<sup>(٣)</sup>، بحيث يكون من الممكن استخدامها، والتعامل معها على ناحية متكاملة.

يبد أنه قد درج الدارسون على تصنيف العلوم من ناحية موضوعاتها، أو من ناحية غاياتها<sup>(٤)</sup>، أو تاريخ إنشائها غير أن البعض ربما انحاز لتصنيف منها، واعتبره الأساس، ثم أهمل باقي التصنيفات مع أنها في الغالب الأعم لا تمثل سوى وجهة نظر غلبت على أصحابها، وقد ينحاز بعض آخر إلى تصنيف بدليل للذي قبله، ويتبع الانحياز له هو الآخر، ومن ثم فيجدر الإلتحاح إلى بعض نماذج من تصنيف العلوم مع بيان الأساس الذي قام عليه، وضرورة التنويه إلى أن تصنيف العلوم على الناحية الفنية الخالصة كان من عمل مفكرى المسلمين وحدهم، إذ لم يسبقهم إليه سابق، بل كان الجميع من بعدهم يسير على خطاهم، سواء أكان في تصنيف العلوم أم في تصنيف مناهج البحث.

(١) راجع كتابا: الغايات في منطق التصديقات ص ٢٧٨ وما بعدها.

(٢) الدكتور على عبدالحمد عزلان - اشترى بالنسبة ص ٤٧ ط ١٩٨٧م.

(٣) هذا مما تشهد به آباء الماضى والحاضر، وبعله أهل الاختصاص من غير المتخصصين، أو أصحاب الزعات التي يميل إلى الظن على الآخرين.

(٤) الغايات جمع غايه، والغايه هي ما لأجله وجود الشيء. [ المرجعان - التعريفات - ١ ص ٢٠٧ - باب المير - رقم: ١٠٣٥ ]

### التصنيف الأول باعتبار الموضوعات

لم تكن مسألة تصنيف العلوم قد عرفت، حتى إذا نظمت المعارف والعلوم، وثبتت أقسامها، بات أمر النظر في موضوعاتها من الضرورات التي لا غنى عنها<sup>(١)</sup>، ونظرا لأن بعض هذه الموضوعات قد تتداخل مع البعض الآخر، فقد كان من الضروري أيضا فصل الموضوعات عن بعضها بطريقه علمية خالصته، من خلال منهج البحث الذي يغلب استخدامه في ذلك الفن دون سواه، وهو ما يعرف باسم تمايز العلوم بتمايز موضوعاتها.

فمثلا تمايز الفقه بمعناه الفني<sup>(٢)</sup> عن أصول الفقه بأن الثابت يضع القواعد الكلية التي يمكن تطبيقها على الجزئيات، بينما كان الأول هو الميدان الذي تطبق فيه قواعد أصول الفقه، أو بمعنى آخر صار الفقه المذهبي - الفروع - هو الموضوع الذي تطبق فيه قواعد أصول الفقه<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الحال في العلوم العربية كلها: من نحو، وصرف، وبلاغة، وأدب، قد أمكن تصنيفها على أنها علوم لغة عربية؛ لأن موضوعاتها تفصلها عن العلوم الشرعية كالفقه وأصوله والحديث الشريف والتوحيد، بل إن العلوم العقلية هي الأخرى كالتوحيد والمنطق والفلسفة، قد صارت متميزة بموضوعاته تمايزا كبيرا<sup>(٤)</sup>.

بيد أن هذا التصنيف قد لوحظ فيه اقتراب بعض الموضوعات من بعضها الآخر، إلى حد التداخل في بعض الظواهر التي تلحق بالمقدمات، أو تنبع مع النتائج، كالحال في علم الميكانيكا، إذ أن فرعيه - الديناميكا والاستاتيكا - يتقاربان في الموضوع، وإن اختلفا في صيغة كل منهما وتناججه، على أساس أن الديناميكا علم الحركة المنتظمة، بينما الاستاتيكا علم الانتظام والنبات معا<sup>(٥)</sup>.

وكذلك تقارب علم أصول الفقه من علم المنطق الصوري في بعض الطرائق والمنهاج، أو الموضوعات والغايات، وإن اختلفا في أن علم أصول الفقه يمكن تطبيقه على الفقه المذهبي في كسل الحالات، بينما لا يمكن تطبيق المنطق في الواقع الخارجي؛ باعتبار أن المنطق علم يبحث في صحيح التفكير الإنساني من فاسده، ولا علاقة له بالأحكام الشرعية، التي هي الغاية والغرض في إنشاء المنطق الأصولي<sup>(٦)</sup>.

(١) الدكتور: فوزية حسن صلاح - مناهج البحث النظري ص ١٣ ط دار فواز ١٩٨٧م.

(٢) عرف الفقه بأنه العلم بالأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية. [ الشيخ محمد أبو زهرة - أصول الفقه ص ٢١، وراجع مواقع الرحمن شرح مسلم الشرح ج ٣ ص ٣٥ ]

(٣) الشيخ محمد السيد أبو عاقلة - أصول الفقه ص ١٥ ط الدار العلمية ١٩٣١م.

(٤) الدكتور سام السيد أبو عطوة - مناهج البحث ص ٢١.

(٥) أ.ب. ناتيهوم - الفيزياء والكون ص ٥١ - ترجمة صابر السيد أبو جمعة.

(٦) راجع كتابا: الخليل في المنطق الحديث ص ٩٧.

### التصنيف الثاني باعتبار الوسائل<sup>(١)</sup>

وهو يقوم على أن كل علم يتخذ لنفسه وسائل ينفرد بها عن غيره، فمن العلوم ما كانت وسيلته التأمل العقلي المنطقي فقط على الناحية النظرية، ومنها ما كانت وسيلته الجدل المهادف، وما كانت وسيلته كثرة التعرض للدهيات، والخضوع للتدريب الفكري الشاق على اكتساب المهارات، بحيث يمكن اللجوء إليها واستخدامها في الضروريات والمسلّمات معاً<sup>(٢)</sup>.

فالعلم الطبيعي مثلاً إنما تكون وسائل البحث فيه هي القوانين الطبيعية، أما علم المنطق فوسائل البحث فيه النوانين العقلية<sup>(٣)</sup>، وبالتالي فتمايز هذا التصنيف إنما يقوم على الوسائل. لكن هذا التصنيف قد لوحظ فيه إمكانية استخدام وسيلة بعينها في عدد من العلوم، بحيث يقع الخلط بينها على صورة أو أخرى، فالحساب مثلاً يستخدم القوانين العقلية، والمنطق يستخدم القوانين العقلية، ولكن المنطق ليس هو الحساب، وكذلك الحال مع كل العلوم، التي يسعى الإنسان لتحصيلها والضرب فيها بسهم.

### التصنيف الثالث باعتبار اللغة<sup>(٤)</sup>

وهو يقوم على أن ما كتب بلغة من اللغات، فإن هذه اللغة تعتبر هي الأصل الذي قام عليه، كما تعتبر اللغة هي المصنف الطبيعي له، والتصنيف الحقيقي للعلوم المختلفة، مادامت مدونة وخرجت نطاق الشفهي، فالمؤلفات باللغة العربية توضع في قسم ما صنف بالعربية، وما صنف بالفارسية يوضع في قسم ما صنف بالفارسية، وقس على ذلك سائر العلوم والفنون، بحيث تعدد التقسيمات بتعدد اللغات واللهجات<sup>(٥)</sup>.

إذن مرجع هذا التصنيف ليس للموضوعات، أو الوسائل، كالحال مع سابقة، وإنما هو قائم على أسس اللغة، فالمؤلفات المدونة بالعربية توضع في قسمها، وهكذا يكون الحال مع كل العلوم في كل اللغات، وحيث تعدد التصنيف بتعدد اللغات لا محالة، ومن ثم تكثر إلى حد كبير.

وقد لوحظ أن هذا التصنيف غير جامع ولا مانع، لكنه معمول به في بعض المكاتب العلمية، التي تقسم العلوم الموجودة فيها إلى مخطوطات ومطبوعات، كما تقسمها إلى ما هو مكتوب باللغة العربية، وما هو مكتوب باللغات الأخرى<sup>(٦)</sup>.

(١) الرسالة ما يتقرب به إلى العمر ذكره الراغب وقال أبو البقاء الوسائل جمع وسيلة وهي ما يتوصل به إلى التحصيل. [المنار - التعريف ج ١ ص ٧٢٦]

(٢) راجع للدكتورة فوزية حسن صلاح - مناهج البحث النظري ص ٢٥، وهذا الاتجاه يغلب غيره في بعض أنواع مسن الدراسات المعاصرة.

(٣) الدكتور سالم السيد أبو عطوة - مناهج البحث ص ٢٣.

(٤) راجع كتابنا: الخبيث في المنطق أحدث ص ٣١٧.

(٥) الأستاذ جمال عبده عبد العظيم - طريقة تصنيف المكاتب العلمية ص ٢٥ أطروحة علمية ١٩٨٧م.

وكان أهل الإسلام ينظرون إلى العلوم نظرة مقسمة، إما إلى عربية أو أجنبية، فما كان من العربية فهو مباحث على ناحيتها، ولا بد من العناية به على تلك الناحية أيضاً<sup>(١)</sup>، فظهرت العلوم العربية شاملة كل المعارف التي دونت بالعربية، أو كانت وليدة البيئة العربية، بينما ما كتب بغيرها كان محسوباً في عداد العلوم الأجنبية<sup>(٢)</sup>.

لكن اللغة هي الأخرى قد لا تكون جامعة لكل ما كتب باللسان العربي، ولا مانعة من دخول غير العربي إلى العربية، كما يستبعد هذا التقسيم القائم على اللغة ما تم ترجمته من العربية إلى غيرها، بينما يجعل ما ترجم إلى العربية مصنفاً على أنه عربي، مع أنه لم يزد عن كونه معلومات ومفاهيم لاتينية، استخدمت في التعبير عنها اللغة العربية.

#### الرابع: باعتبار النظري والعملي

وهذا التصنيف قد روعي فيه الالتفات إلى العلوم الداخلة في نطاق التصنيف، فما كان منها عملياً، وضع في تصنيف ثابت، أطلق عليه اسم التصنيف العملي، وما كان منها واقعاً في نطاق التأمل العقلي، والبحث النظري الخالص أطلق عليه اسم التصنيف النظري، وبالتالي فالنوع الرابع تنح عنه تنوعان، باعتبارين مختلفين<sup>(٣)</sup>.

فمثلاً العلوم السلوكية وما يخضع للتجربة - بأنواعها المختلفة - يمكن أن يدخل في نطاق التصنيف العملي، وكل ما جاءت موضوعاته أو نتائجه والوسائل على ناحية عملية، فإن انضمامه إلى تلك المجموعة أو ذات التصنيف يعتبر ضرورة علمية<sup>(٤)</sup>، كما أن العلوم النظرية كالتاريخ والسير، فإنها تصنف على أنها علوم نظرية، وكذلك الحال مع القصص، أما الفلك والجغرافيا فإنها علوم عملية تجريبية.

لقد قسم العرب العلوم إلى :-

- أ- علوم عربية .
- ب- علوم أجنبية .

لقد جعلوا كل واحد منها يجرى في أنواعه:

أ- علوم نظرية كالرياضيات والعلوم الطبيعية والميتافيزيقا.

(١) الدكتور فوزي محمد قنديل - دور العرب والمسلمين في بناء الحضارة ص ٨٣ ط ١/١٩٨١م.

(٢) مردريك روزنتال - التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١١٥ .

(٣) راسع كتابنا : الحديث في المنطق الحديث ص ٣١٨ .

(٤) الدكتور وفاء ثابت - مناهج البحث في العلوم ص ٤٧ ط ١/١٩٩٥م.



ب- علوم عملية كالأخلاق والاقتصاد والسياسة<sup>(١)</sup>.

وكان لأهل الإسلام فضل السبق في هذه التقسيمات، وإقامة ذات التصنيفات، فالخوارزمي<sup>(٢)</sup> يؤلف في تصنيف العلوم كتاباً جامعاً، أطلق عليه اسم مفتاح العلوم<sup>(٣)</sup>، وكذلك فعل الفارابي، حين ألف كتابه إحصاء العلوم، حيث يقول: نقصد في هذا الكتاب أن نخصي العلوم المعروفة بوجه عام، واحداً واحداً، وأن نقدم مسحا شاملاً لكل علم على حده، وأن نشير كذلك إلى التقسيمات الفرعية الممكنة، وأن نقدم مسحا شاملاً لكل فرع<sup>(٤)</sup>، إذن أهل الإسلام هم الذين صنعوا العلم على طريقة علمية استفاد بها من جاء بعدهم، أو من نقلت إليه ثقافتهم.

## الخامس: باعتبار الديني والدنيوي

هناك تصنيف فني للعلوم قام به بعض من أهل الإسلام، لكنه جاء على الناحية الدينية، فمما كان من العلوم التي تقدم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، اعتبرت علومها دينية كالتفسير وعلوم القرآن وعلم القراءات، وكذلك علوم الحديث دراية ورواية أو سندا ومثلاً، وكذا علم الفقه والأصول والتوحيد والتصوف<sup>(٥)</sup>، وما كان من علوم العربية التي جاءت بها الإشارات في النقل المنزل، اعتبرت علومها دينية<sup>(٦)</sup>، أما ما كان من قبيل العلوم التي تمهد للحياة، وتعين على الرفاهية، وتنوع الصناعات المختصة، والتعرف على الحضاب والجبال وأنواع التربة، وعلم الجغرافيا والتاريخ وغيرها من العلوم النظرية أو العملية، لكنها لا تقوم على أسس دينية، فقد اعتبرت كلها من العلوم الغير دينية.

(١) ذهب فردريك روزنتال إلى أن هذا التقسيم قد أحده الإسلاميون عن أرسطو ومدرسته، وهو بهذا يرجع بعمله على إنقاض المسلمين حفرتهم، ويدل على تعصبه الحسني، وهو ما كان الأول به أن ينعد عنه، إذ الأحكام غير الموضوعية لا يلتفت إليها، وراجع له التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١٠٥.

(٢) إخوان رزمي واسمه محمد بن موسى وأصله من خوارزم وكان منقطعاً إلى خزائن الحكمة للمأمون، وهو من أصحاب علوم الهيئة وكان الناس قبل الرصد بعده يعولون على زيجيه الأول والثاني ويعرفان بالسند هند وله من الكتب كتاب الزيج نسخين أول وثاني كتاب الرحامة كتاب العمل بالاسطرلابات كتاب عمل الاسطرلاب كتاب التاريخ سند بن علي اليهودي ويكنى أبا الطيب كان أولاً يهودياً وأسلم على يد المأمون وكان منحه له وهو الذي بنى المكتبة السنية في طهر باب الشماسة في حريم دار معز الدولة وعمل في جملة الراصدين بل كان على الارصاد كلها وله من الكتب كتاب المنفصلات والمنوسطات كتاب القواطع نسخين كتاب الحساب الهندي كتاب الجمع والتفريق كتاب الجبر والمقابلة. [ راجع الفهرست لابن النديم ج ١ ص ٣٨٣ ]

(٣) طبع الكتاب القاهرة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م والخوارزمي ممن لهم اهتماما كبيرة وولع متزايد بالمصطلحات العلمية، حيث كان له فضل السبق فيها.

(٤) أبو نصر الفارابي - إحصاء العلوم ص ٢ وما بعدها - تحقيق د: عثمان أمين ط القاهرة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

(٥) وهي كلها علوم داخل البيئة الإسلامية قام بها مفكرون مسلمون لخدمة النقل المنزل.

(٦) الدكتور: وفاء ثابت - مناهج البحث في العلوم ص ٥٢ ط ١٩٥٧م.

على أن الفارابي قدم تصنيفاً للعلوم في مجموعات خمسة هي :

١- الأولى : مجموعة العلوم اللغوية، ولها تنوعات فرعية<sup>(١)</sup>.

٢- الثانية : مجموعة العلوم المنطقية، ولها تنوعات فرعية.

٣- الثالثة : مجموعة العلوم الرياضية : الحساب، الهندسة، المثلث الرياضي وهو المثلث المترين بالنسب.

النسب، والموسيقى، وتقنية حمل الأثقال والميكانيكا.

٤- الرابعة : مجموعة العلوم الطبيعية والميتافيزيقا، ولكل منها تنوعات فرعية.

٥- الخامسة : مجموعة العلوم السياسية والتشريع والتأمل الديني ولكل منها تنوعات<sup>(٢)</sup>.

وكان لأصحاب رسائل أحوال الصفا العديد من الإضافات والتنوعات، بعضها جاء معبراً عن زمر من المعارف البسيطة، وبعضها الآخر جاء معبراً عن فروع أو مسائل جزئية من العلوم، لكنها أطلق عليها اسم الجزئية المحوطة، أو الموضوعات للبحث انتهى<sup>(٣)</sup>.

ومن المؤكد أن الفلسفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم تصنيف العلوم، بل إن الفلسفة الإسلامية هي التي قادت المفكرين إلى إبراز هذه التصنيفات الفنية للعلوم المتعددة على الواحي المختلفة، كما كانوا يعتبرون الفلسفة صنعة؛ لأنها تقوم على الجانب العملي، كما كانوا يعتبرونها علماً برأسه على أساس أن العلم المراد هو المعرفة النظرية، التي يتم الحصول عليها من خلال الملاحظة المجردة، والتأمل الخالص، ومن ثم فتد تلاقى عندهم الجانبان - العلمي والنظري - في الفلسفة.

كما أن العلوم كلها تقع في هذا التعاون على ناحية من الواحي، فعلم الطب يحتاج علم اللغة، ليكون وسيلة التعبير عن المباحث الطبية، وكل علم متأخر يأخذ عن المتقدم شيئاً ما، أو تحقق له به بعض الفوائد، لكن يحمل العلوم يأخذ من الفلسفة الأولى<sup>(٤)</sup>، فالعلم الطبيعي والفلك مثلاً كل منهما يهتم بدراسة الكون، لكن العلم الطبيعي يدرس جوهر الموضوع، أما عالم الفلك، فإثماً يهتم بأغراضه، وبالتالي فالذي يدرس جوهر أحد الموضوعات إنما يقدم لدارس علم آخر مبادئ هذا العلم، وهكذا يتعلم الفلكي من العالم الطبيعي، أن حركة الكواكب لا بد وأن تكون دائرية<sup>(٥)</sup>، وذلك مما يؤكد أن العلوم كلها لا تتأزر فيما بينها بتقديم خدمات علمية.

ولكن الفلسفة بينها جميعاً تقف كالأم الرؤم أو المرافف احباب، فهي تختص كل العلوم على ناحية من الشمول لموضوعاتها ومعارفها، من اعتبرت أمماً للعلوم، أو تختص عميقة تبحث على الناحية الفنية، منى اعتبرت ممتدة لمجموعة من العلوم ذات الطبيعة الخاصة المتميزة.

(١) يدخل فيها النحو والصرف والبلاغة والأدب، وعلم القراءة والكتابة والشعر والنثر.

(٢) راجع تفاصيل ذلك في إحصاء العلوم للفارابي.

(٣) الدكتور هاشم محمد صبيح - أحوال الصفا ودورهم في مناهج البحث ص ٥١ ط ١٩٦٥ م.

(٤) فردريك روزنتال - التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١٢٠.

(٥) راجع التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١٣١/١٠٤.



علاقة الفلسفة  
بغيرها من المجالات بوجه عام :



نشطت الفلسفة - التأملية - نشاطاً ملحوظاً في عصورها المختلفة، لكنها كانت في العصر الإسلامي أكثر نشاطاً، وأوسع نطاقاً، وأشمل موضوعات<sup>(١)</sup>، فهي قد استوفت جوانب الإدراك الحسي والمعارف الناتجة عنها، كما احتوت العلوم التي قامت على أنماط معرفية عقلية. وفي نفس الوقت فقد فرضت حمايتها أو صايتها الطبيعية على العلوم العقلية المجردة، التي تقوم على الفكر وحده، وترتبط به دون سواه<sup>(٢)</sup>.

أجل ظهرت التراكمات العديدة للموضوعات التي شغلت مال العلماء قديماً وحديثاً، كما أنها استغرقت تأملات المفكرين بصفة عامة والفلاسفة بصفة خاصة، فلما تمايزت هذه التراكمات عن بعضها بالأسماء والمفاهيم والموضوعات، أمكن التعبير عن كل مجموعة منها بإطلاق اسم من الفنون أو علم من العلوم عليها<sup>(٣)</sup>.

من ثم ظهرت العلوم المتعددة في العالم الطبيعي وغير الطبيعي<sup>(٤)</sup>، كما ظهرت البحوث المتميزة في العالم المشاهد أولاً، لكن ذلك لم يمنع من البحث في العالم غير المشاهد ثانياً، وأن يطلق على تلك المباحث اسم الميتافيزيقا، أو المباحث في العوالم الغيبية<sup>(٥)</sup>، فوَقَّعت هذه المباحث تحت اسم حكمة الكهنة لدى المصريين القدماء، واسم الفلسفة عند قدماء اليونان.

إذن قبل بناء الفلسفة على الناحية التنظيمية - عصر فلسفة ما قبل الفلسفة - كانت العلوم غير مقننة، كما أنها لم تكن منتظمة، ولا محددة الهوية في الموضوعات، ونوع ذلك اختلاط في المفاهيم والمسميات<sup>(٦)</sup>، وفي هذه الأثناء كانت الإنعابات والانطلاقات الفلسفية متداخلة تداخلاً تاماً في المفاهيم الأخرى.

#### وبالتالي يمكن بحث العلاقة بين الفلسفة والعلوم الأخرى من خلال ما يلي:-

- (١) يذهب بعض الدارسين إلى تحت هذه النقطة، من خلال العلوم والفنون التي تقع بينها والفلسفة مجالات، كالنفس والتوحيد وغيرها، ولكن أثرت ذكر هذه العلاقات على ناحية القواعد العامة، وليس على ناحية الفروع العلمية، ولكل وجهة.
- (٢) راجع كتابنا: المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية ص ٣١٥ وما بعدها، وكذلك كتابنا ملامح الحكمة الإسلامية في المغرب الإسلامي ص ٧٨ ط ١٩٩٨م.
- (٣) الدكتور رجب محمد ثابت - الفلسفة القديمة ص ٤٧ ط ١٩٦٢م دار المهدي.
- (٤) الدكتور: ثروت السيد الجميل - الميتافيزيقا ص ٧٧ ط ٢ - مكتبة توفيق ١٩٥١م.
- (٥) براد نانضبي هنا ما يبحث فيه من خلال علم الطبيعة، حيث يتمايز عن علم الفلك والرياضة وغيرها من العلوم التي لا تدخل في نطاق العلم الطبيعي من حيث الدراسة أو استخدام الوسائل.
- (٦) الدكتور: محمد عبدالعظيم فايل - الفلسفة والميتافيزيقا ص ١٣ ط ٢ مكتبة عبدالقوي ١٨٥٧م.

### ل في ظل التفكير الفلسفي الغير منظم

ما من شك في أن التفكير الإنساني طبيعة، جبل الله الناس عليها، ولكنها قد تختلف في بعض الناس قوة أو ضعفا، كما تختلف لدى الفرد الواحد في أحيان كثيرة، طبقا لدوره السحيق والاجتماعية والسياسية والثقافية<sup>(١)</sup>، ولا بد لمن يتصدى لمعرفة العلاقة بين الفلسفة والتجالات العلمية الأخرى، أن يعرف على ملامح هذه ومفاهيم تلك.

ومن ثم سأجعل الحديث عن هذه العلاقة في ذات العصر من خلال مرحلتين:-

#### المرحلة الأولى: مرحلة التداخل والاندماج

وهي المرحلة التي كانت العلوم كلها غير عديدة الموضوعات، ولا تنقلها مناهج ثابتة، وإنما كان يحصل فيها نوع من تداخل التأملات الفلسفية مع الأبحاث العملية في رأس الفكر الواحد ذاته، بل وكانت الاتجاهات الأدبية هي الأخرى تنازع كل الاتجاهات في رأس ذات الفكر الواحد<sup>(٢)</sup>.

بيد أن ذلك لم يكن في بلدان العالم كلها، كما لم يكن في التاريخ الفلسفي على الدوام، وإنما كان في الفترة القائمة بين ظهور الحركات الفكرية الأولى على وجه الأرض، حتى عصر التفكير الفلسفي المنظم، الذي كان يشغل الأماكن التي يوجد فيها البشر، متى كانت لديهم إمكانيات البحث الفلسفي أو التفكير العقلي المتمايز.

ومن مظاهر ذلك ورود المسائل اللاهوتية ضمن المباحث الأدبية<sup>(٣)</sup>، وتجي التأملات الفلسفية مطوية بين ثنايا الأدبيات من الشعر والنثر، حيث جاءت الحكمة معلنة عن نفسها في مفردات لغوية. من ذلك قولهم:

قد يدرك المتأمل بعض حاجته . . . وقد يكون مع المستعجل الزلل<sup>(٤)</sup>

(١) راجع كتابا: التفكير (مفهومه ... تاريخه ... مساهمة ...) تأليف: عبد الحليم بن ميمون الخليفة باليعسوف وأثرها على فلسفته، فيه تفاصيل تدعو الخاتمة إليها.

(٢) الدكتور: محمد السيد صقر - الفلسفة والاتجاهات المعاصرة ص ٥٣ - ط دار الهدى ١٩٨١ م. وكذلك للدكتور: صبرى هاشم - الفلسفة والمجتمع ص ٢٥.

(٣) الدكتور: موري محمد جبر - الأدب والفلسفة ص ٧٣ ط ١٩٥٧ م.

(٤) هذا البيت مسوَّب لعدى بن زيد الجاهلي . ومن أمثاله أيضا:

عن المرو لا تمأل وأبصر قرونه . . . فإن القرون بالمقارن يقتسدى  
فإن كان ذا شرف فجابته سرعة . . . وإن كان ذا خير فقارنه تهتدى

فأبقت فيه مبادئ فلسفية واضحة، إنه يهيم في الأذن بالقاعدة الأخلاقية العامة، التي يتسلط بها العرب في جاهليتهم، وهي أن في التأني السلامة، كما في العجلة الندامة، إذ التأني في كل عمله، إما يستخدم التأمل والذكاء، والتعرف على الجوانب الفنية الدقيقة، وبناء عليه تأتي نتائج بعينه على ناحية إيجابية فيها السلامة، أما العجل فإن الزلل يكون طبيعة فيه، وصحة مميزة له.

لحم وكذلك قولهم:

لكل داء دواء يستطب به . : إلا العمالة أعيت من يداويها

وكل داء جعل الله له دواء يتداوى به، إلا داء الحقد والحسد والموت، ففي الحديث الشريف عن أسامة بن شريك<sup>(١)</sup> قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يا رسول الله، أتندأوى؟ فقال: "تندأوا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم"<sup>(٢)</sup>. أما الأحق فلا علاج لمرضه كما أن من يحاول مساعدته يقع له الفضل، باعتبار أن التداوى لابد فيه من مستعد له.

ومن أقوال اليونان: الحكيم هو الذي يكبح جماح شهوته، ولا تستعبده العاطفة، وإنما زين عقله، وترفعه تأملاته، وتدل عليه سلوكياته<sup>(٣)</sup>.

(١) أسامة بن شريك الثعلبي من بني تغلة بن يربوع، له صحبة روى حديثه أصحاب السنن وأحمد وابن حزيمة وابن حبان والحاكم ومن جنيته أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير وفي بعض طرقه جرحت مع أبي مسعود بن علي وسلم في حجة الوداع فجاء قوم فقالوا يا رسول الله إن بين يربوع فتونا ففان لا نأمن من علي أخرى وروى أسامة بن شريك أيضا عن أبي موسى الأشعري وذكر الأزد وابن السكن وغير واحد أن زباد بن علاقة تفرد بالرواية عنه. راجع الإصابة لأبي حنيفة - باب الألف بعدها سين [ص: ٤٨]. الفعيل: ٩٠.

(٢) أخر داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ - سنن أبي داود ج ٣ ص ٣٨٣ - كتاب الطب - باب في الرجل يتداوى. الحديث رقم: ٣٨٥٥ - تحقيق محمد جميل - دار الفكر ١٩٩٤ م. وعن حمير قال: قال رسول الله: «تداوى عباد الله، فإن الذي خلق الداء خلق الدواء، فإذا أصاب الدواء الداء، برأ، فإذا نهى الله: [أخرج عنه] - سلم في كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوى رقم: ٢٢٠٤ [ وعن زباد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال: «وقالت الأعراب: يا رسول الله ألا تستأوى؟ قال: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء، إلا داء واحدا، فقالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: الهرم » (سنن الترمذي وشرح العلل)، للإمام السجستاني - باب ما جاء في استواء واخت عليه - الحديث رقم: ٢١٠٩، وعن أبي الدرداء قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله [تعالى] أنزل الساء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بخرام" » [ سنن أبي داود - الإمام البخاري أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ - دراسة ومفهرسة كتمان يوسف الخزرت، مركز الدراسات والأبحاث الثقافية - باب في الأدوية المكروهة - الحديث رقم: ٣٨٧٤ ] ، وعن أبي سعيد عن رسول الله قال: «بأن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، إلا السام وهو الموت» (الجامع الصغير للسيوطي - [تنمئة باب حرف الألف] - الحديث رقم: ١٧٨٣ ، ورواه الحاكم في المستدرك).

(٣) الدكتور: رجب محمد ثابت - الفلسفة الشنتية ص ٥٣ ط ١٩٦٢ م.

لجئوا للموت وأنشوا للغراب . . . فكلكم يصير إلى تيساب  
ألا يا موت لم أرمك بهذا . . . أتيت وما تعيف وما تعابى  
كأنك قد هجمت على شيبى . . . كما هجم الشيب على شيبائى<sup>(٢)</sup>

ومن يطالع النثر أو الشعر الذى سلف ذكره، يراه قد خلط المباحث الفلسفية بالأدب، حتى صارت الحكمة أدبا، كما كان الأدب حكمة، ويقدر ما حملت اللغة الأدبية من ملامح اختلاط الفلسفة بالأدب، فقد حملت سائر العلوم على بعضها<sup>(٣)</sup>، بحيث يمكن القول بأن اختلاط الفلسفة بالعلوم الأخرى كان سمة عصر فاسفة ما قبل الفلسفة.

### المرحلة الثانية: مرحلة الانفصال البحثي

وهي المرحلة التي وقف العقل البشرى فيها بمحايز بين الموضوعات، ثم يضم منها ذات العلائق المتبادلة فيما بينها إلى بعضها، بمعنى أنه إذا أراد بحث ظاهرة كونية كالخطر، أو الكسوف أو

(١) قس بن ساعدة بن حذافة بن زهر بن اباد بن نزار الایادي البلیغ الخطیب المشهور، عاش ثلاثمائة ومعاين سنة وقد سمع النبي حکمته وهو أول من آمن بالمت من أهل الجاهلیة وأول من توكأ علی عصا فی الخطبة وأول من قال اما بعد فی قول وأول من كتب من فلان إلى فلان وفي رواية بن الكلبي ان في آخر خطبه لو غنى الأرض دين أفضل من دين قد طلکم زمانه وادركکم اوانه فطروا من أدركه فاتبه وويل لمن حالقه وكانت العرب تنظمه وخریت بسه شعرها الأمتال... وقال المزياني ذكر كثير من أهل العلم انه عاش ستمائة سنة وكان خطيبا حكيما عاقلا له نباهة وفنيل، وقد افرد بعض الرواة طريق حديث قس وفيه شعره وخطبه، فمنها ما أخرجه عبد الله بن احمد بن حنبل في زبائد الزهد من طريق حلف بن اعين قال لما قدم بكر بن وائل على رسول الله قال لهم ما فعل قس بن ساعدة الایادي قالوا مات يا رسول الله قال كأي أنظر اليه في سوق عكاظ على حمل امر الحديث وذكر الجاحظ في كتاب البيان والبيان قسا وقومه وقال ان له ولقومه فتيلة ليست لاحد من العرب لان رسول الله روى كلامه وموقفه على جملة عكاظ وموقفه وعجب من حسن كلامه واظهر نصريه وهذا شرف تعجز عنه الأمان وتنقطع دونه الأمال وإنما وفق الله ذلك لقس لاحتجاجة للترديد والظهاره الإخلاص ولإيمانه بابيعة ومن ثم كان قس خطيب العرب قاطبة ومنها ما أخرجه بن شاهين من طريق بن أبي عبيدة المهلب عن الكلبي عن أبي صالح عن بن عباس قال لما قدم أبو ذر على النبي قال له يا أبا ذر ما فعل قس بن ساعدة قال مات يا رسول الله قال رحمه الله قسا كأي أنظر اليه على حمل اورق تكلم بكلام له حلالة لا احفظه فقال أبو بكر انا احفظه قال اذكره فذكره وفيه الشعر وفيه فقال رجل من القوم رأيت مسر قس عسا كنت على حمل بالشام يقال له سحمان في ظل شجرة الى جنبها عين ماء فإذا سباح كثيرة ووردت الماء لتشرب فكلما زار منها سبع على صاحبه فخره فس بعسا وقال كف حتى يشرب الذي سبق قال فتداحلني لذلك رعب فقال لي لا تخف ليس عليك بأس. [ الإمام ابن حجر - الإصابة ج ٥ ص ٥٥١ رقم: ٧٣٤٥ ]

(٢) الدكتور السيد رزق فضل الله - مظاهر الحكمة في الأدب الجاهلي ص ١٨٥ ط ١٩٧٥م.

(٣) الدكتور فوزي محمد ثابت - فلاسفة اليونان الأوائل ص ٢١ ط ١٩٨١م.



الخنسوف، أو ظاهرة البرق، فإنه يضم هذه الظواهر إلى بعضها، ويحاول التعرف على العلاق التي تربط بين هذه الظواهر المبحوثة على ناحية علمية<sup>(١)</sup>.

أما إذا بحث في المسائل المتعلقة بالمادة وعواصها من صلبة إلى غاز وسائل، أو من ناحية كونها نقي كليا، أو نقي على ناحية جزئية، أو ما إذا كان فناؤها عن تدمير، كالحال في الطاقة الإشعاعية، التي هي من نسيج طبيعي لكل من ذرة الهليوم والريديون<sup>(٢)</sup>.

أم كان فناؤها عن طريق تحولها في مدارات أخرى وأشكال جديدة، فإنه يضم هذه المباحث إلى بعضها على ناحية البحث النقي، دون نظر لشيء آخر، وكان ذلك قائما في بواكير التفلسف المنظم بشكل خافت، ثم أخذ البروز والإعلان عن نفسه، حتى استوى على سوقه، فإذا هو علم كامل يدرس تحت اسم مناهج البحث.

وكان الباحثون في العلوم المختلفة ينتلطون مع بعضهم في المكان البحثي، دون أن يحاول أحدهم التأثير في غيره، أو يعمل على التأثير به<sup>(٣)</sup>، إنهم أشبه بالجزر الواقعة في محيط واحد، لكن كل منها له حكومته وقيادته، بجانب اقتصاده، ووسائل دفاعه، وكل يدبر حاله عن طريق الاكتفاء الذاتي، بحيث لا يحتاج إلى أحد أقرب الجيران إليه أو أبعدهم عنه.

بيد أن الفلاسفة لم تكن لهم سمة مميزة، ولم يطلق عليهم من الأسماء ما يقع لهم وحدهم على سبيل الاختصاص، فكانوا يسمون أحيانا بأصحاب التأمل الخيالي<sup>(٤)</sup>، ومن ثم فقد القموا بأنهم أصحاب الخيال، أو العيب واللامعقول، وكانت هذه الاتهامات من أسباب بعضهم في نفوس العامة والقيادة السياسية، التي كانت تفرص على إبراز سطوتها وبطشها مع المفكرين الأحرار، للإعلان عن قبضتها الحديدية، بحيث يخاف الجميع من هذه القيادة، ويرهبونها على كل الأحوال.

أجل كان يطلق على أصحاب المباحث اللاهوتية الكهنة، أو حكماء الدين عند المصريين القدماء، أما لدى اليونان فقد كانوا يعرفون بأنهم أصحاب التطلعات السماوية، من باب السخرية بهم، أو التنذر بأحوالهم، أو محاولة إنقاص دورهم في الحياة<sup>(٥)</sup>، أو التقليل من شأن هذا الدور السذي بمارسونه على أقل تقدير.

(١) الدكتور صابر حسن خليل - مناهج البحث في القديم ص ٧٣ ط ٢ دار الفواد ١٩٧١م.

(٢) الدكتور نجيب السيد زكي - مناهج البحث العلمي ص ١١٢، ولأن الطاقة فيهما إشعاعية، فإن تدهورهما المترابطة تنتهي ما إلى التدمير على ناحية من النواحي الذاتية.

(٣) الدكتور صابر حسن خليل - مناهج البحث في القديم ص ٨١ ط ٢ - مكتب الأوفست ١٩٧١م.

(٤) الدكتور نجيب السيد خليفة - الفلسفة اليونانية ص ١٧٧ ط دار الهدى ١٩٦٧م.

(٥) الدكتور فوزي محمد ثابت - فلاسفة اليونان الأوائل ص ٢٣ ط ٢ - مكتبة مكة ١٩٧٣م.

لكن ذلك لم يمنع من ظهور أفراد متميزين، كونوا فيما بينهم جماعات صغيرة، اتخذت لنفسها نمطا معيناً من التفكير، وطريقاً من طرق المعالجة للمسائل، والبحث عن حلول للمشكلات التي توارق بعض الشباب من أبناء النبلاء، أو التي تعوق الأسر المالكة عن الاستمتاع بمباهج الحياة، وتسببوا بالحكماء<sup>(١)</sup>، يستوى في ذلك ما كان عند المصريين القدماء والبابليين، أو رجال الصين، ومفكرى اليونان، أو الطبقة المتميزة في الهند، وقد شغلت تلك المرحلة فترة زمنية طويلة في بعض البلدان، قصيرة في بعض أخرى، مما يؤكد أن عملية الانفصال البحثي كانت مقصودة من أصحاب العلوم والفنون أنفسهم أول الأمر، ثم صارت عادة يقوم بها غيرهم على سبيل التقليد والمحاكاة، أو على سبيل التنفير منهم والابتعاد عنهم، وبالتالي فلم تكن بين الفلسفة والعلوم الأخرى، سوى علاقة البحث العلمي.

### بداية ظل التفكير الفلسفي المنظم

المعروف أن العقل المنظم يقوم على معطيات صحيحة، ولما كان التفكير الفلسفي قبل عصر الفلسفة المنظم، قد برزت فيه علاقة الفلسفة بالخرافات الأخرى، من خلال مرحلتين التداخل والانفصال البحثي، فإن هذه العلاقة في ظل التفكير الفلسفي المنظم، قد تغيرت إلى شكل منطوق، طبقاً لمقتضيات الظروف وطبيعة العصر<sup>(٢)</sup>، الذي وجد فيه المفكر أو الفيلسوف.

ففي بعض العصور التاريخية كانت الفلسفة هي أم العلوم، ورأس الجميع، حيث كانت الفلاسفة يمثلون الصفوة الممتازة داخل المجتمعات التي يقيمون بها، وفي بعض العصور كانت الفلسفة واحدة من المجموعة التي تمثل أهم العلوم الإنسانية، وكان الفلاسفة على قدم المساواة مع الرياضيين والفقهاء ورجال الدولة<sup>(٣)</sup>، لكن هناك عصور أخرى كانت الفلسفة فيها تنزوي بأضيق ركن،

(١) إذ كانت الأسر الحاكمة في ذلك الوقت تخرس على تدبير وسائل الاستمتاع بمباهج الحياة على أوسع نطاق، وكسائر يستعملون في سبيل تحقيق تلك الغاية المشهورين بالمرح والمكاهة، والمعروفين بالمقدرة على أسعاد الآخرين، باعتبار أن السعادة هدف نبيل، وغاية سامية، وكذلك كانوا يختارون للسحرة، حتى يعدوا عنهم الأرواح الشريرة، والمحتمين لإطلاعهم على الغيب، والكهنة لإجراء طقوس الدين، التي تدخل السرور إلى النفوس، من ثم كان احتياجهم للفلاسفة، أو الحكماء ليحلوا لأنفسهم أكثر قدر من السعادة، على أساس أن الحياة فرصة واحدة، إذا مضت لسن تعود، وأن لحظات السعادة يسعى إليها كل كائن طبقاً لإمكاناته، والظروف المحيطة به، مع عدم الإحلال بالروحانيات التي تناط به، أو الخفوى التي يجب عليه القيام بها. [ راجع كتابنا: نظرية السعادة في الفكر الإنسان وموقف الإسلام منها ص ١٣٥ ]

(٢) الدكتور فوزي عبدالعظيم الدكشة - الفلسفة وظروف العصر ص ١٣ طبعة الدار الجديدة ١٩٦١م.

(٣) الأستاذ صبحي محسن ثروت - الفلسفة ومناهج البحث ص ٦١ طبعة مكتبة الفتح ١٩٥٥م.

وتلوى عنقها في حجرها، فلا مكان للفلسفة، ولا حرر عبيها، كما لا اهتمام بالفلاسفة. إذ كانوا في هذه الآونة محل بعض من العامة، وعده احترام من السلطة القائمة<sup>(١)</sup>.

وطبقاً لتلك الظروف، فقد تغيرت أشكال العلاقة بين الفلسفة ومجالات العلوم المختلفة، وقد نتج عن ذلك كنه برور بعض المشكلات على سطح الأفكار، فأنهى الأمر إلى أن مرت تلك العلاقة بعدة مراحل من أبرزها:-

### المرحلة الأولى: مرحلة التباين والابتعاد

وهي المرحلة التي بدأت مع مطالع عصر التفكير الفلسفي المنظم في بابل ومصر والصين، بل واليونان أيضاً، حيث كانت الفلسفة تبحث في موضوعات مستقلة، يلجأ إليها المفكر مختاراً، لكونها غير خاضعة للثقافة العامة<sup>(٢)</sup>، أو واقعة تحت الغطاء الجماهيري، ومن ثم اهتمت الفلسفة في هذه الآونة بأن قضاياها عويصة، ومسائلها غير واقعية، ومباحثها لا يمكن تطبيقها، كما أقم الفلاسفة بأنهم يعيشون في أبراج عالية عاجية، لا علاقة لها بالواقع.

ففي مصر كان الكهنة الدينيون يمارسون طقوسهم الدينية وحدها، على حين كان الفلاسفة يمارسون تأملاتهم الفكرية، دون نظر لشيء آخر، وكل منهما كان يمثل جانباً من جوانب البحث، من غير التفات إلى أية علاقة بينهما<sup>(٣)</sup>، سوى التباين الطبيعي، والابتعاد الذاتي.

بيد أن البابليين هم الآخرون كانوا ينظرون إلى المسائل اللاهوتية نظرة متعادية قوامها أن ما ينتجه الفكر يمكن الاعتماد عليه، أما مخلفات الواقع المادي، فليس لها شيء من الثبات، أو أدق درجات اليقين<sup>(٤)</sup>، وكذلك الحال مع المباحث المتعلقة بعلم الفلك والرياضيات فكل علم منها كان يمثل واقعا خاصا به، وقلة حسيته ليس من اليسير اجتياز أسوارها.

ولم يكن حال اليونان في هذه الناحية مغالفاً لحال المصريين القدماء، ولا البابليين، وإنما النسل ينظرون إلى جميع العلوم في شيء في التباين الموضوعي، والتباين الغائي، بجانب الاختلاف في النتائج والوسائل<sup>(٥)</sup>، بدليل أن أكسيملر كان يقول: لا علاقة للعلوم ببعضها، والفلسفة تبنى الاختلاف معهم من شأنها<sup>(٦)</sup>.

(١) الدكتور موري عبد العظيم الدكشة - الفلسفة وظروف العصر ص ٢٢/٢١ .

(٢) أ.ب هيلبر - الفلسفة في عصورها الأولى ص ٤٩ ترجمة إسماعيل رزق - ط أولى ١٩٤٧م.

(٣) الدكتور حمدي صالح دلود - الفلسفة ومناهج البحث ص ٧٧ ط ١٩٧٥م.

(٤) أ.ب هيلبر - الفلسفة في عصورها الأولى ص ٥٣ ط دار مختار ١٩٤٧م ترجمة إسماعيل رزق - ط أولى ١٩٤٧م.

(٥) الشيخ مرسى محمد أبو حطب - الفلسفة المسائل والوسائل ص ١٢٤ ط أولى مطبعة المعتمد ١٩٥٣م.

(٦) أ.ب هيلبر - الفلسفة في عصورها الأولى ص ٦١ .



فبدأت الفلسفة في استعمال ألفاظ الرياضيين من حيث الكم المنفصل والمتصل، كما استعارت من الطبيعيين بعض المصطلحات الخاصة بهم، كالألفاظ الخلاء<sup>(١)</sup> والملاءة، والألفاظ الجوهر والعرض، واقتربت من المنطق فاستعملت المقولات الأولى تارة والثانية تارة أخرى<sup>(٢)</sup>، وكان هذا التقارب بمثابة الإعلان عن نوع من الانفتاح الفلسفي على العلوم الأخرى.

كما أن علم الرياضة من حساب وهندسة، كان هو الآخر قد بدأ في استعارة بعض المفاهيم والقوانين، بغرض الاستفادة منها، وإدخالها حيز الاهتمام بها، والاستعمال لها، مع أن الحساب أرقسام ذهنية، تعبر عن الكم المنفصل، والهندسة أحجام وسطوح، تعبر عن الكم المتصل في جانب من جوانبه<sup>(٣)</sup>.

إذن استخدم الحساب مفهوم العلاقات المتبادلة في الطبيعة، وجعلها إحدى العلامات البارزة لديه، بدليل أن هذه العلاقات - الجمع، الطرح، الضرب، القسمة - قائمة في علم الحساب بشكل أساسي، وتمثل عاملاً هاماً رئيسياً فيه.

لم يكن حال العلوم النظرية، إلا كحال العلوم التطبيقية والأخرى السلوكية، من تقارب نسبي مع بعضها البعض الآخر، وكذلك بين هذه العلوم والفلسفة التي باتت تمارس عملية التقارب النسبي مع باقي العلوم في شكل أكثر تسامحاً واتساعاً، وقد أدى ذلك كله إلى فتح قنوات للاتصال

(١) الخلاء: هو البعد المفطور عند أفلاطون والفناء الموهوم عند المتكلمين أي الفناء الذي ينته الوهم ويدركه من الجسم المحيط بجسم آخر كالفضاء المشغول بالماء أو الهواء في داخل الكونز فهذا الفراغ الموهوم هو الذي من شأنه أن يتل فيه الجسم وأن يكون طرفاً له عندهم وهذا الاعتبار يجعلونه حيزاً للجسم وباعتبار فراغه عن شغل الجسم إياه يجعلونه خلاء فاختلاء عندهم هو هذا الفراغ مع قيد إلا يشغله شغل من الأجسام فيكون لا شيئاً محضاً لأن الفراغ الموهوم ليس موجود في الخارج بل هو أمر موهوم عندهم إذ لو وجد لكان بعداً مفطوراً وهم لا يقولون به والحكماء ذاهبون إلى امتناع الخلاء والمتكلمون إلى إمكانه وما وراء أخذد ليس بعد لا لانتفاء الأبعاد بالحدود ولا قابل للزيادة والتقصان لأنه لا شيء محض فلا يكون خلاء بأحد المعين بل الخلاء إنما يلزم من وجود الحاوي مع عدم الخوازي وذا غير ممكن. الإمام الخرجاني - التعريفات ج ١ ص ١٣٥ رقم: ٦٦٣ [ و الخلاء: هو المكان الذي لا سائر فيه من نساء أو غيره، والخلوة محادثة نسيم مع الحق حيث لا أحد ولا ملك، والخلوة خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية. ] العلامة المناوي - التعاريف ج ١ ص ٣٢١ ]

(٢) المقولات الأولى هي أحد أقسام المقولات، فالمقولات قسمان: [١] المقولات الأولى: وهي ما يكون بآرائها موجود في الخارج نحو طبيعة الحيوان والإنسان فإنها يتملان على موجود خارجي كقولنا زيد إنسان وفسر حيسوان. [٢] المقولات الثانية ما لا يكون بآرائها شيء فيه كالنوع والجنس والفعل فإنها لا تعمل على شيء من الموجودات الخارجية. [ العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي المولود ٩٥٢ والمتوفى ١٠٣١ هـ - التوقيف على مهمات التعاريف ج ١ ص ٦٦٦/٦٦٧ - دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق - ١٤١٠ هـ الطبعة الأولى - تحقيق د. محمد رضوان الداية ] .

(٣) الدكتور مناهج حسين خليل - نتائج البحث في التلسم ص ٨٩ طة القاهرة ١٩٦٤ م.

بين العلوم المختلفة<sup>(١)</sup>، كما ساعد على وجود نوع من الامتزاج النسي بين الفلسفة والعلوم التي جرت في محيطها، وكان لها نوع من التعامل المباشر معها.

كان من جراء ذلك وجود انفتاح نسي من الفلاسفة على موضوعات العلوم الأخرى، قابلته انفتاح نسي آخر من العلماء على بعض مباحث الفلسفة، وبات هذا الانفتاح النسي يمثل نفاذة صغيرة، تطل منها العلوم المختلفة على بعضها<sup>(٢)</sup>، دون أن تسمح تلك النفاذة الصغيرة أول الأمر بدخول موضوعات فلسفية متكاملة إلى ميادين العلوم التي يمارسونها.

في نفس الوقت اعتبرت المواد المتسلطة عبر النفاذة نوعاً من الثقافة المتسيرة، وقد حرص كل من هؤلاء العلماء على التعامل مع تلك الثقافة الوافدة في شيء من الحيلة، وبكثير من التأني<sup>(٣)</sup>، دون أن يعمل أحد من أنصار فن ضغينة في صدورهم على أصحاب فن آخر.

إذن هذا التقارب النسي بين الفلسفة والعلوم الأخرى أو جد نوعاً من الثقافة التي أمكن توظيفها لخدمة العلوم المختلفة على أوسع نطاق، بحيث تم إعادة النظر في الأحكام التي صدرت بخصوص بعض العلوم أو بعض المباحث، وكان بعض هذه الأحكام يدين فرعاً من فروع المعرفة، بأنه يسبب الجدل أو يفسد القيم<sup>(٤)</sup>، أو يؤدي إلى الإلحاد بجانب المرطقة، فلما تمت إعادة النظر في الأحكام السابقة، أمكن التعديل في بعضها، والإلغاء في البعض الآخر.

وكانت الفلسفة في الماضي من العلوم التي صدرت بعض الأحكام بإدانتها، واتهام القائمين عليها بالإلحاد تارة، وإفساد عقول الشباب تارة أخرى، كالحال مع سقراط في بلاد اليونان، ومع في تسي في الصين، وكرايسليمز في الهند، وكاهن معبد الغوطة في مصر<sup>(٥)</sup>، وما صدرت ضاهم هذه الأحكام إلا لأنهم أعلنوا تعلقهم بالفلسفة وانخراطهم في سلك الفلاسفة.

فلما أعيد النظر في هذه الأحكام عاد للفلسفة حنفها السليم، وتمكن الفلاسفة من العيش في أمان، بدل الخوف والقلق والاضطراب، وكذلك الحال في باقي العلوم التي صدرت بشأنها أحكام كانت غير مقبولة في ذات، بل من هذه الأحكام أنها تجاوزت كل الحدود<sup>(٦)</sup>.

(١) الدكتور -حمدي صالح داود - الفلسفة ومناهج البحث ص ٩٥ ط مكتبة وفدي ١٩٧١م.

(٢) الدكتور فوزي عبدالمعظم الدكنة - الفلسفة وطروف العصر ص ٤٣ .

(٣) الأستاذ عبدالناصر السيد حاب الله - الفلسفة الحديثة ص ٧٤ ط ١٩٥٧م.

(٤) الدكتور سوسن السيد طه - دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٥٧ ط ١٩٧٦م.

(٥) الدكتور حسن سليم عبدالوارث - الفلسفات القديمة (دراسات تاريخية) ص ٤١ ط دار الهدى ١٩٦٦م.

(٦) راجع للأستاذ رزقي المنزلي - الفلسفة المصرية القديمة ص ٧١ ط ١٩٤٧م.

إذن التقارب النسبي بين الفلسفة والعلوم الأخرى كان المرحلة الهامة، التي أعادت للفكر الإنساني بعضاً من الهيبة السلبية، وأرجعت إليهم بعض الحقوق المقتضية، كما دفعت عن الفلاسفة العوادي، التي ظلت في تربص دائم بينهم.

### المرحلة الثالثة: الاختلاط والتداخل

وهي المرحلة التي تلت عملية التقارب النسبي، بل وتأسست عليها، حيث افتتح الفكر على الثقافات المحيطة به، من خلال النافذة الصغيرة، ثم أخذ في تنمية هذه الثقافات على طريقة مناسبة، مع الاحتفاظ بالأصول العامة<sup>(١)</sup>، يستوى ذلك في بلدان العالم الفكري كله، إذ لم تختلف فيه منطقة عن أخرى؛ لأن الفكر الإنساني يتزاح مع بعضه إلى حد التلقيح، ومن ثم فقد أمكن استنلاذ أفكار وثقافات جديدة، كان لها من الأرضة المعرفية ما جعلها تقف على أرضية ثابتة، أثمرت العديد من الثقافات المستجدة، التي ظهر لها الأثر الكبير في تنامي العلوم المختلفة، وازدياد الأنواع المعرفية<sup>(٢)</sup>.

ثم يبدو أن هذه المرحلة قد كانت لها بعض السمات من أبرزها:

#### ١- تبادل المواقع البحثية

نظراً لهذا التداخل الثقافي بين العلوم، والاختلاط المعرفي، أمكن وقوف الفلاسفة على قمة البحث العلمي الطبيعي. حيث صار الفكر فيلسوفاً في العلم الطبيعي، ويمكن العالم الفيزيائي من ارتياد حقل المعرفة الفلسفية، وناضل في سبيل بلوغه الغاية، حتى أمكن القول بأنه صار فيزيائياً فيلسوفاً، إذن صار الفيلسوف يحل محل غيره من أصحاب التخصصات الأخرى<sup>(٣)</sup>، ويتحدث معه أيضاً نفس ما حدث مع غيره، بالنسبة لأصحاب ذات التخصصات.

فالعالم المسلم الفارابي، كان نموذجاً للفنان الذي تربع على قمة الفلسفة، والفيلسوف الذي أمكنه الوقوف بثقة على أرضية العلوم المختلفة<sup>(٤)</sup>، ومنها علم الفلسفة وعلم الأخلاق، بجانب غلم الموسيقي، وكان له في كل منها الجهد الواضح، والمجهود الكبير، والاتجاهات المتعددة.

والشيخ الرئيس ابن سينا هو الآخر كان صاحب مذهب سياسي ورأساً في الطب، ومع ذلك بلغ القمة في الفلسفة، فصار طبيباً فيلسوفاً، أو فيلسوفاً طبيياً<sup>(٥)</sup>، وله في كل المجالات العنسية المختلفة الجهود الكبيرة، والنتائج المبهرة، التي مازالت تجرى حولها الدراسات المختلفة.

(١) الدكتور علي فهمي الزواملي - البنية وأثرها على ثقافة الجماعة ص ٥٣ ط ١٩٧٦ م.

(٢) الدكتورة هالة اخيبي السهد حيشي - الإنسان والمعرفة (دراسة في العقلية الإنسانية) ص ٥٧ ط ١٩٦٧ م كركوك.

(٣) الدكتور ثروت حسن عبدالمعظم - الفيلسوف والثقافة البنية ص ٧٤ ط ١٩٦٥ م.

(٤) الدكتورة ليلى محمد حسن - الفارابي حياته وفلسفته ص ١٧، والفارابي للأستاذ نعيم محمد طلعت، وراجع الفارابي للأستاذ سعيد زاهد - سلسلة أعلام العرب.

(٥) الدكتور محمد رضوان العلاف - فلاسفة الإسلام ص ٧٦ ط ١٩٤٦ م.

كذلك أبو الوليد بن رشد الحفيد كان قاضى القضاة فى الفقه المالكي<sup>(١)</sup>، وصاحب جهد كبير فى أصول الفقه<sup>(٢)</sup>، ومع هذا كان الرجل المدافع الممتاز عن حياض الفلسفة، بل حمل لواء الدفاع عن الفلسفة والفلاسفة، فصار المحامى الذى يترفع بالدفاع عن متهم بريء، ينتظر الأحمر من الله تعالى، واستطاع أن يحو بعض آثار الحملة الغزالية على الفلسفة والفلاسفة<sup>(٣)</sup>.

#### ٤٤ يد اختلاط العلوم والعلماء:

فى هذه المرحلة - الاختلاط والتداخل - لم يعد العلم للعلماء، والفلسفة للفلاسفة، وإنما صار العالم يملك الاشتغال بالفلسفة، كما يشتغل الفيلسوف بالعلم.

وليس من اليسير حصر العلماء الذين اشتغلوا بالأمرين - الفلسفة ومجال آخر - معاً، بدليل أن الحكماء الأطباء صنف فى مصنفات مستقلة<sup>(٤)</sup>، وكذلك الحال مع الفقهاء والصوفية والمفسرين، بجانب علماء الفلك والرياضيات، مما يؤكد أن هذه المرحلة كانت شاملة، وأن الاختلاط والتداخل فى هذه المرحلة قد غلب على الفكر والمفكرين معاً.

#### ٤٥ العلوم الثقافية والمجاسي:

كما أن معالم هذه المرحلة الفلسفية قد غطت سحابات اليوم فى العالم الفكرى كله، فكانت فى الشرق سارية، كما كانت فى الغرب جارية، غير أنها فى الغرب كانت تمضى فى طريقها، معلنة عن نفسها فى شيء من الحياة المصطنع<sup>(٥)</sup>، أما فى الشرق، فكانت المباحث الفلسفية تمضى فى دلال ونية؛ لأنها صنعة العقول الكبيرة، حتى إن أتراها الكواكب من العلوم الأخرى، كن ينظرون إليها فى شيء من الغبطة، وكثير من الحسد، ويتمنون أن ينلن حظها، أو يتسمن الأيام لمن مثل ما هى باسمه لها.

لكن دوام الحال من المحال، والمستمر بالأمال مكتشف الأحوال، والمستلذ بما يملك فاقد النهى قليل الاحتمال، فما شمس الضحى باقية، ولا كشف ظلام الليل بمحال، بدليل أن هذه المرحلة - الاختلاط والتداخل - لم تكد تستقر حتى أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، وتبدلت الأحوال، فظهرت مرحلة جديدة كان لها أكبر الأثر على مسيرة الفلسفة وعظيم الخطر على الفلاسفة أيضاً.

(١) كانت أسرته تنزل القضاء فى قرطبة، فكان حده قاضياً ومفتياً، وكذلك كان أبوه، ثم جاء هو وكان على نفسه منهجهم يسير. وحديث بالذكر أن المالكية هم أتباع الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى أبو عبد الله المكي، أحد العلماء وسيد الفقهاء، وهو المحدد لأمر الدين على رأس المائتين. تولى سنة ٢٠٤ هـ. [راجع التمهيد ص ٩٢، والتقريب ص ٢٤٣، حلية الأولياء ص ٩٣ ص ٦٣]

(٢) من أشهر كتبه فى هذا المجال بداية المختار ونهاية المنقصد. [راجع أعلام المؤلفين لعمر رضا كحالة، وطبقات الأطباء]

(٣) الدكتور حسن مرسى ثابت - ابن رشد وفلسفته ص ٢٣ طبعة دار مراد ١٩٦٧ م.

(٤) من ذلك عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء، وأخبار الحكماء بأعيان الحكماء والفهرست.

(٥) كان ذلك أثناء العصور المظلمة فى أوروبا، وكان يتم حرقاً من سلطان الكنيسة. [راجع أوروبا والعصور الوسطى]



كما علا نغم الاختلاط والتداخل للفلسفة في المجالات المختلفة، وبرزت الفلسفة في المجتمع يمثلون الصفوة الفكرية، ونظر الناس إليهم نظرة متميزة على ناحية من العلو في القاعدة الاجتماعية والأدبية بجانب الفكرية<sup>(١)</sup>، فقد نظر إليهم بعض العاملين في مجالات أخرى نظرة كراهية. عمادتها التثبيت بالواقع، والمحافظة على مواقع الرئاسة الاجتماعية والأدبية، والسياسية أيضا.

وقد استطاع هؤلاء الخصوم اللدب على أوتار عواطف العامة، وخداع البسطاء، والسذج، كما أمكن لبعضهم الفوز برغبات بعض القادة السياسيين من الأمراء والأغراب، الذين تربسوا في دواوين مغلقة، أو نشأوا في عبايات أفكار لاهوتية، أمكن تلقينهم إياها على أساس أنها غير قابلة للجدل أو المناقشة<sup>(٢)</sup>، فلما ولي هؤلاء عروش بلادهم، كانوا الأمرين الناهين في العلن، بينما هم أراجوزات أو دمي. يقوم بتحريكها أولئك الذين خاصموا الفلسفة والفلاسفة من غير دراسة لها، أو خوفا من انتزاع السلطات التي يتمتعون بها<sup>(٣)</sup>.

بل تمكن هؤلاء من إيقاع بعض المفكرين في شياكهم، حين تمكنوا من دفعهم إلى حليبات الصراع الفكري، وإزاحم أرضية المعارك التي لم يكن لديهم استعداد لها، ولا معرفة جيدة بطرقها، والحيل التي نجيء فيها، فكان الصراع في ظاهره بين فريقين، بينما هو في الحقيقة بين طرف واحد هو الذي أعد له، ويقوم فيه الخصم بدور المارز المتدرب وحده.

وإمعانا في النيل من المفكرين، كان هؤلاء الخصوم يهيمون في أذان أولئك الأمراء، بأن تكون المنازلة بينهم والمفكرين الأحرار علانية جماهيرية، حتى يشهد غالبية المجتمع هزيمة الفلسفة وأقوى رجالها، وانتصار الخصوم بجانب صعود نجم رجال الأمير وحاشيته<sup>(٤)</sup>، الذين نجحوا في مخططاتهم؛ لأنهم تلاعبوا بالألفاظ التي استخدموها كميادين للمبارزة الفكرية، كما لعبوا على أوتار عواطف الجماهير والأمراء الدينية، بجانب إحادة بعضهم علمية التمثيل كالخوافة في سيرك، أو

(١) الدكتور حامد السيد عبدالله - الفلسفة صولة ودولة ص ٥٩ ط ١ - تونس ١٩٥٧م.

(٢) الدكتور خالد محمد عبدالوارث - مشكلات فلسفية - الإنسان ص ٥٣ - طبعة أولى - دار عبدالقيس ١٩٧٦م.

(٣) الدكتور فوزي عبدالعظيم الدكنة - الفلسفة وطروف العصر ص ٦٦ .

(٤) وهذا الموقف يذكر القارئ بما فعله سحره فرعون مع سيدنا موسى كليم الله، حيث أخبر الله تعالى أنه قالوا لموسى الله موسى الكليم: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ بِسُحْرِ مَلِيحٍ فَاحْضَلْ نَبِيًّا وَتَبَيَّنَ مُؤَيَّدًا لَا تُخَلِّفُهُ لَعَنَ وَلَا أَتَى مَكَانًا سَرِيًّا ۚ قَالَ مُؤَيَّدًا كُنتُمْ يَوْمَ الرِّمَّةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ مَضَى ﴾ [سورة طه - آيات ٥٩: ٥٨]

السحرة<sup>(١)</sup> في ميدان خداع عيون الناس وعقولهم<sup>(٢)</sup>، وقد استمر ذلك على العديد من الجهات.

من جراء ما قام به الخصوم ضد الفلسفة والفلاسفة، هب الإغراء من الأمراء والعامة، العوَاء إلى النفرة من الفلسفة، واثام الفلاسفة بالإلحاد والريق عن الدين، واثام الفلسفة بالاعت باللامعقولية، وكان من نتائج ذلك أن أحرقت أغلب المؤلفات الفلسفية في المشرق الإسلامي<sup>(٣)</sup>.

(١) وعن حقيقة السحر يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - : « ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة: إلى أن السحر لا حقيقة له، إما هو تمويه وسين وإيهام لكون الشيء على ما هو به، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة ». هذا وقد بيث السنة النبوية شناعة السحر، وأنه من أعظم الذنوب وأكثر الكاثر، فقد عدده الرسول ﷺ من السبع الموبقات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه : « عن النبي ﷺ قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي بوسم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (أحدث أخرجه البخاري - كتاب الوصايا - باب قوله تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ﴾ حديث رقم: ٤٧٦٦). وبين النبي ﷺ أيضاً أن من اعتقد السحر وعمل به، فقد أشرك بالله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من عقد عقدة، ثم نفث فيها، فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل إليه » (أخرجه السائي - كتاب غررهم الدم - باب الحكم في السحرة - ج ٧ ص ١١٢ - ١٩ باب الحكم في السحرة - رقم: ٤٠٧٩). وعن حكم تعلم السحر وتعليمه: - يقول الإمام الألويسي - رحمه الله - : « واختلف في تعليمه وتعليمه، فقبل كفر هذه الآية، إذ فيها ترتيب الحكم على الوصف المناسب، وهو مشعر بالعقوبة، وأوجب بأن لا نسلم أن فيها ذلك؛ لأن المنع أهم كفراً، وهم مع ذلك يعطون السحر، وقيل: إلهما حرماناً - وبه قطع الجمهور -، وقيل مكروهان - وأنه ذهب البعض - . وقيل: مباحان والتعليم مُسَدَّدٌ للذم هنا عسبر على التعليم؛ للإغراء والإضلال، وأنه مال الرازي » (روح المعاني - الألويسي - ج ١ ص ٣٣٩) قال: الإمام ابن حجر: « وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر، لأحد أمرين: إما لتبسيط ما فيه كفر عن غيره، وإما لإزالة عمن وقع فيه. فأما الأول: فلا محذور فيه، إلا من جهة الاعتقاد. فإذا سلم الاعتقاد بغيره، انتهى محمده، لا تستلزم معاً، كمن به عرف كفاءة عبادة أهل الأوثان للأوثان، لأن كيسة ما يعلمه الناس، إنما هي حكاية قول أو فعل خلاف تعاليمه والعقل به. وأما الثاني: فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم، إلا بوع من أنواع الكفر أو الفسق، فلا يحل أصلاً، وإلا حاز للمعنى المذكور » (فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج ١٠ ص ٢٣٥ - طبعة الريان) وحديث سألذكر أن السحر يختلف عن الشعوذة، فالشعوذة ضيقاً لتعريف الباري بنشارد الكلاسيكي هي: القدرة الكامنة على إسداء الأحرار، باستخدام وسائل فوق طبيعية، ويميزها عن هذه الفترة عن السحر الفناء، الذي يكسب بالتعليم ويتصف بأنه الاستخدام الفناء، أو العدوان للسحر، وقد تبنى هذا التمييز بين الشعوذة والسحر الفناء نفر كبير من الباحثين الأفريقيين. (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى موسوعة علم الإنسان - المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية - تأليف شارلوت سيمور سميث - ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري ص ٤٥٣ المنشورة القومي للترجمة ١٩٩٢م)

(٢) لأن السحر لا يعتبر حقيقة الأشياء، وإنما يعبر نظرة المرء إليها. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَفْقُوا سَعَوْا أَغْنَىٰ النَّاسَ وَأَسْرَهُهُمْ وَجَدُوا بِسِحْرِ عِثَمٍ كَبِيرٍ ﴾ [سورة الأعراف - الآية ١١٦]

(٣) الدكتور عبدالحليم محمد عبدالحليم - الفلسفة الإسلامية في المشرق ص ١٩٧ ط ١٩٦٥م.

وعاش بعض الفلاسفة مقيدى الحرية، وظل بعضهم رهين الاعتقال حتى الموت<sup>(١)</sup>، وبعضهم خرج من الحبس، فلم يمهله القدر حتى يرسم شروخ جداره الفكرى، أو يعيد صياغة علاقته الاجتماعية، بحيث يزيح من عقول العامة الأفكار الباطلة، والاتهامات الفاسدة ضد الفلسفة والفلاسفة.

ولأن الفكر الحر لا يتوقف، والسلطة السياسية لا تسمح به، فقد لجأ المفكرون والفلاسفة إلى ممارسة أنشطتهم العقلية في شيء من الخفاء، والانفصال عن المجتمع بالجدد أو الفكر، وهو ما عرف عند ابن باجة بالعزلة الفكرية<sup>(٢)</sup>، إذ ليس من شأن الفيلسوف مبادلة الخصوم قدحا بقدح، أو قبحا بقيح، وإنما شأن الفيلسوف الحقيقي التعالي عن السفاسف، والتماس الكمالات لنفسه في العقيدة والشرعية والأخلاق<sup>(٣)</sup>.

إذن راح المفكرون يمارسون أفكارهم من خلال العلوم التي يدرسونها من غير إعلان عن كونهم فلاسفة، أو أصحاب فكر حر، فظهرت في أوروبا أبان بواكير عصر النهضة مباحث فلسفية، كان من وصايا القائمين عليها، أن لا يتم نشرها أو الإعلان عنها، إلا بعد موت ذلك المفكر نفسه<sup>(٤)</sup>.

(١) كانخال مع شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث ظل في عيشه بقلمة دمشق حتى مات. وابن تيمية: هو الشيخ الإمام العلامة الخافظ الناقد الفقيه المفسر البارع شيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد بن المنقح شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المختيد شيخ الإسلام محمد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحسراي أحد الأعلام ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وسمع ابن أبي اليسر وابن عبد الدائم، وعني بالحديث وخرج وانتفى وبرخ في الرجال وعمل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك وكان ممن خور العلم ومن الأذكياء المحدثين والزهاد والأفراد ألف ثلاثمائة مجلدة وامتنح وأردي مرارا مات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. [ راجع العلامة عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل المولود ٨٤٩هـ - المتوفى ٩١١هـ - طبقات الحفاظ - ١ ص ٥٢٠ - رقم: ١١٤٢ - الطبعة السادسة - رقم: ٢٢٠ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ - ط١، وراجع فوات الوفيات - العلامة محمد بن شاكركي - تحقيق محمد محيى الدين عبدالحمد ج ١ ص ٨٢/٦٢ - مطبعة السعادة محضر - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١م ]

(٢) لأن حصوم ابن باجة خرجوا في طرفهم معه على الحدود الثلاثة بالتجارين، فلفقوا له القامات عديدة، وأنكهم جمع شهود زور عليه، بل أنه لما وجد منهم استعمالا لألفاظ لا تليق به هجرهم، وانعزل بفكره عنهم، ولم يجارهم في قسوة ألفاظهم، ومع هذا ظلوا به حتى مات بالسسم من خلال طبيب آخر، كان زميلا له في مهنة الطب، كان قد حسده وحقد عليه، ولم يكف بالنسحاب ابن باجة من الحياة الفكرية، وإنما ظل به حتى انتهى من الحياة بالكلية.

(٣) راجع مقالات في أصالة المفكر المسلم للدكتورة فريدة حسين عمود - نشرت بمجلة الأزهر.

(٤) كانخال مع ديكرت وكتاب العالم الطبيعي الذي أوصى بعدم نشره إلا بعد موته، خشية أن يناله من العقاب ما نسال كلا من جاليل وكوبرنيكوس، وخاصة أن الموضوعات التي تناوفاها هو في كتابه تتشابه مع النتائج التي انتهى إليها كل منهما. وكانت نهاية كل منهما بسببها.



بعض البذور الفلسفية بين ثنايا جذور نباتات علوم أخرى، فاختلطت الثمار بين الجميع إلى حد التقارب<sup>(١)</sup>، وكان ذلك من معام التفكير الفلسفي الذي مارس أتباعه نشاطهم الذهني في عبادات بعض العلوم التي لم تعلن عنه في وجه سافر.

﴿ بيد أن هذه المرحلة لم يفت منها علم من العلوم، ولا فن من الفنون. أما لماذا؟ ﴾

﴿ فلأن التفكير العقلي الحر كالهواء يتسلل إلى الرتين طوعاً أو كرهاً، أو كشعاع يلاحق أصحاب الطيف لا يفرق عنهم؛ ولما كانت المباحث الفلسفية بهذا القدر من الانسلاخ داخل العلوم، فقد عمل الفلاسفة على إشباع هواياهم الفلسفية بشكل خال من الاحتراف الذي لو أعلنوا عنه فقد يضر بهم والأبحاث التي يقومون بها أيضاً.

﴿ وفي تقديرى: أن هذه المرحلة هي أكثر المراحل خطورة، على الفكر الإنساني. أما لماذا؟ ﴾

﴿ فلما يلي:-

[أ] أنه كان يمارس دوره في التفلسف على الناحية الفنية، من غير أن يعلن عن نفسه.

[ب] أنها لم تكن تعطى العقل الفرصة الجيدة لممارسة ما يقوم به على وجه صحيح<sup>(٢)</sup>، وإنما كان يمارس ذلك في شيء من العجلة حيناً، أو الغموض والتعقيد حيناً آخر، ولذلك ظهرت الاتجاهات المختلفة، حيث ظهرت الصوفية المتفلسفة، كما ظهرت المدارس الفلسفية المتصوفة، وكذلك كان الحال مع أغلب العلوم ذات الصبغة النظرية والعملية على السواء.

[ج] أنها لم تكن بناءة في الجانب الفلسفي، ولذلك عم الجمود، وكادت الحركة العقلية أن تتوقف تماماً<sup>(٣)</sup>، اللهم ألا بصيص النور الذي كان يتسلل من خلال بعض الاتجاهات الأدبية، والحاكمة اللفظية التي أثرت في الألفاظ، ولم يكن لها أدنى وجود بالنسبة للفكر من الناحية الإيجابية.

[د] أنها كانت أحد عوامل تخلف الشرق، حيث جعلت الغرب يأخذ بركب التقدم فيسبق، رغم أن حضارة الشرق هي الأسبق وجوداً<sup>(٤)</sup>، فلما جاء الإسلام أعلاها قدراً، وأزكاها موضوعات. وأكثرها زينة ورفعة، ولكن ذلك كله قد تخلف فراح المتأخر وجوداً يسبق المتقدم عليه، مما كان له كبر الأثر السلبي على الحياة الفكرية والعلمية

(١) يمكن مطالعة هذه الآثار والمعا لم في المؤلفات الكلامية والأصولية على حد السواء، وبخاصة تلك التي ألفت فيما بعد القرن الخامس الهجري .

(٢) والفكر ما لم تنح له الظروف الطبيعية على سبيل التوافق للإنتاج الذهني الجيد، فإن أبعائه تنسم بالنسب. ونهيء فيها عناصر الرعاية.

(٣) الدكتور السيد حسن مسلم - الفلسفة وعلاقتها بالعلوم ص ١٦١ ط الدار الجديدة ١٩٦٥م.

(٤) الدكتور حبري عدالمعظم - مشكلات فلسفية ص ٧١ - ط دار التوفيق ١٩٧٦م.

### الخاتمة: مرحلة الاستقلال التام:

أجل ضاف الناس من عملية احتباء الفلسفة داخل المباحث الفقهية والأصولية؛ لأن ذلك لا يحقق الفائدة من الفلسفة، وإنما أدى إلى الخلط السيئ بين الفلسفة والعلوم الأخرى، فالتفت منه أصوله فد بدأ الناس يضيفون بدراستهما لاختلاط ألفاظهما بالمصطلحات النسبية<sup>(١)</sup>. حيث ظهر الغموض الشديد، وكثرت المقدمات الطويلة المفرقة في الزناط والمصطلحات الفلسفية الخالصة، مع أن الموضوع في الفقه والأصول.

كذلك ضاق الناس بدراسة التفسير الذي تسلمت إليه المصطلحات الفلسفية، فأفسدت جماله وأذهبت من النفوس ما فيه من روعه. لا لأن الفلسفة سيئة، وإنما لعدم اندماج المصطلحات الفلسفية مع المصطلحات التفسيرية<sup>(٢)</sup>، ولا نستغرب ذلك، فلو أننا حللنا كأنا من التفاح المماز، مع قطعة من النعم المماز في إناء واحد، ثم قدمناه لجائع دواق، فسوف يرفضه مع جوعه الشديد، لا لأن بالتفاح واللحم عيباً، ولا لأن في المتقدم له هذا الخليط عيباً، وإنما العيب في خلط نوعين في كأس واحد وهما لا يلتقيان بهذه الطريقة.

من ثم كانت هناك ضرورة داعية لفصل كل علم من العلوم، أو فن من الفنون عن الآخر، وقد ساعد على ذلك وجود العديد من العوامل أهمها:

- [أ] ظهور بعض القيادات المستنيرة، وتوليها زمام السلطة<sup>(٣)</sup>، فأتاح ذلك للفلاسفة فرصة التسلط الأنفاس من تلاحقها، وانتشار الأفكار الجادة من وهنها، والاستعداد لتعاطي المعارف على طرائقها الطبيعية، ومن خلال المناهج العلمية، دون النفاق حول مسانئها، أو احتزاز لقضاياها.
- [ب] ظهور الثورة العلمية التي واكبت عصر النهضة في أوروبا، وتفرغ العديد من الباحثين للمعارف والعلوم تناوياً ودراسة<sup>(٤)</sup>، والاستخدام لأدوات الطباعة والمطبوعات المستحدثات، ودفع المهتمين بها إلى تثبيت أقدامهم من خلال فرض المكافآت الكثيرة لكل من يتقدم بفكرة جديدة<sup>(٥)</sup>، أو يعمل على تطبيقها في مجال العلوم بما كانت طبيعتها.

(١) بل ما تزال بعض المؤلفات الفقهية حاضرة بالمصطلحات الفلسفية التي جعل عملية التفهم للأصول الفقهية من السهولة بمكان، كإسقاط مع انصاح والمفتاح والإحصاء، وحاشية فليوي وعميرة والورقات، بل الشرح الكسير على حاشية الدسوقي، وأمثال هذه المؤلفات العظيمة في مباحثها، لكنها شديدة الصعوبة، لاحتلاطها كمباحث كلامية أو فقهية أو تفسيرية بالمباحث الفلسفية.

(٢) لما هو معروف من أن كل علم من العلوم له اصطلاحاته الخاصة به، ولا يمكن أن تقوم الاصطلاحات في علم بعينه، ثم تخرج منه لتحل في غيره، كما أن القاعدة قاسية: أنه لا مشاحة في الاصطلاح.

(٣) الدكتور خليل محمد خليل - القيادة وأثرها في توطيد الحكم ص ٥٧ ط دار مراد ١٩٥٦م.

(٤) الدكتور سلوى نصر الدين - الحضارة الحديثة ص ٦١ ط ١٩٨١م.

(٥) الدكتور عبدالمعظم محمد شلباية - عوامل ظهور الحضارات ص ٤٤ طعة الدار الجديدة ١٩٦٧م.

[ج] بروز أهل الخير وشيوع الأوقاف الخيرية في البلاد الإسلامية، وتوزيع ريعها على طلاب العلم، مما مكن لأصحاب السور ذات الإمكانيات العالية على استخدامها بكل طاقاتها<sup>(١)</sup>، وإفراج ذلك كله في عديم متحسنة، طابعها الاستقلال في البحث والموضوعات والغايات، بغض النظر عن تقارها في النتائج أو تباعدها.

[د] تبنى بعض الجهات طائفة معينة، تكون مهستها البحث الجاد في علم واحد على ناحية الذقة والعمق، ولا ممانعة في المشاركة الثقافية لبعض العلوم الأخرى، فظهرت في العالم الإسلامي مدارس الحديث، ومدارس الفقه، وربط الصوفية، ومدارس العلوم العربية، كالحال مع البصر والكونيين، وكان الجامع الأزهر الشريف منارة عالية، يقوم بذلك كله من خلال أسانذته وطلابه، داخل الأروقة المنتشرة بداخله وحلقات الدرس التي تنعقد بجوار أعمدته المباركة، وكذلك معاهده التي كانت منارة، تشع أنوارها في مدن مصر الكبيرة، حتى انجذب إليها طلاب العلم الراغبون في العلم الإلهي، على وجه الخصوص، والعلوم الإسلامية على وجه العموم.

[هـ] الحاجة إلى الإبداع في كل فن على حدة بغرض تطبيق نتائجها في الواقع العملي المعاش، يستوى في ذلك أن تكون نظرية أم تطبيقية.

إذن علاقة الفلسفة بالمحالات المختلفة لم تكن على شاكلة واحدة، أو طريقة ثابتة، وإنما كانت ذات طبيعة لولبية تضيق حيناً وتتسع آخر، أو تنفصل حيناً ثم تتداخل في وقت آخر، لكن الاستقلال كان هو الحلقة الأخيرة من الحلقات، التي صارت محكمة السرد بين الفلسفة والعلوم المختلفة.

(١) الشيخ محمد مرسى العشري - الوقف الخيري ومشرعيه ص ٧٣ طبعة دار الاستقامة، وراجع للشيخ محمد بنيت - محاضرات في غمام الوقف .







# علاقة الفلسفة بالعلم والقيم



مر المؤكد أن الله تعالى قد أمر بالعلم، وحب فيه؛ لأن أهل العلم هم المتميزون على غيرهم عند الله جلّ علاه. قال تعالى: ﴿إِنَّهُنَّ هُوَ قَانَتْ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيُوَظِّرُ رَحْمَةً رَبِّهِ كُلَّ نَفْسٍ يَنْصَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَنْبَاءُ﴾<sup>(١)</sup>

❁ ويقول العلامة الزمخشري: «أراد بالذين يعلمون من سبق ذكرهم، وهم في نفس الوقت القاتنون والذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا العمل كأنه جعل القاتنين هم العلماء، وهو تبييه غلبي أن من لم يعمل فهو غير عالم، وفيه إضرار عظيم بالذين يبتغون العلوم على سبيل المعرفة بها، ثم لا يفتنون ويبتغون فيها، ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهله، رغم أنهم بين الناس في عداد العلماء»<sup>(٤١)</sup>.

(٤) الإمام الزمخشري - الكشف ج ٩ ص ٢٦٥ .

﴿١﴾ **ونكر الإمام القرطبي:** «الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه، ولم يعمل به، فهو مجترلة من لم يعلم»<sup>(١)</sup>، بل إنه صار بما علم مشغولاً عنه، ومن ثم فإنه إذا لم يعمل بما علم، فقد ظلم نفسه، ولا يفعل ذلك إلا الجاهل.

﴿٢﴾ **وقال الإمام الشوكاني:** «وقيل المراد بالذين يعلمون هم العاملون بعلمهم، فإنهم المنتفعون به؛ لأن من لا يعمل مجترلة من لم يعلم، وعلى هذا فكل من علم ولم يعمل؛ يعاقب بالحرمات من نور العلم»<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ وَرِثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»<sup>(٣)</sup>.

﴿٣﴾ **وقال الإمام القاسمي:** «في الآية إشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم، إذ عر عنهم أولاً بالثابت، ثم نفى المساواة بينه وبين غيره؛ ليكون تأكيداً له، وتصريحاً بأن غير العامل كأنه ليس بعالم»<sup>(٤)</sup>، وبالتالي فقد جاء الكلام على سبيل الاستفهام الإنكارى.

كما أن العلماء هم أهل القرب من الله تعالى حبا له، وتعلقاً به، وانصرافاً عن كل ما يفضيه جل علاه. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «العالم بالرحمن من عباده، من لم يشرك به شيئاً، وحل حلاله وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملائقيه، ومحاسبه بعمله. وعن عني رضي الله عنه قال: إن النقيض حق الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرحص لهم في معاصي الله تعالى، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا

(١) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ٩ ص ٥٦٨٤.

(٢) العلامة الشوكاني - فتح القدير - ج ٣ ص ٨١٠، طعة دار الفكر.

(٣) العلامة أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء ج ١٠ ص ١٥، وذكره ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٢٩، وفي الأثر: عن يحيى بن حمدة عن علي قال يا حمة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم وبه أفق علمه عمله، وسيكون أفرام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملهم علمهم، ويخالف سيرهم علميتهم، يجلسون حلقات فيسألني بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جلسائه أن يجلس إلى غيره، ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله. [الدارمي - سنن الدارمي ج ١ ص ١١٨ رقم: ٣٨٢]

(٤) القاسمي: هو جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي. ولد بدمشق سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م، ونشأ وتعلم بها واشتغل فيها بإنشاء الدروس، ثم رحل إلى مصر ودار المدينة وعاد إلى دمشق، وانقطع في منزله للتصنيف، من أشهر مصنفاته: (محاسن التأويل في التفسير الكسريم)، و (إصلاح المناسك من البدع والعوائد). توفي سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م [معجم المؤلفين - دار إحياء التراث العربي - بيروت].

(٥) العلامة القاسمي - تفسير القاسمي ج ١٤ ص ٥١٣١.

(٦) سورة هاطر - من الآية ٢٨. وهذه الآية الكريمة تبين لنا، أن أهل العلم هم أئمة الناس حتىبة لله تعالى؛ لأهم أكثر الناس معرفة به.

قراءة لا تدبر فيها. وعن ابن مسعود قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم بكثرة الخشية من الله تعالى.

وعن سعيد بن جبير<sup>(١)</sup>. قال: الخشية من الله تعالى هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل. وعن الحسن البصري قال: العالم من خشى الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما زهد الله فيه، ثم تلى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾<sup>(٢)</sup>. وقال الربيع بن أنس: من لم يخشى الله، فليس بعالم. وقال مجاهد: إنما الفقيه من يخاف الله عز وجل<sup>(٣)</sup>.

❦ ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب: «فإن هذه الخشية لله، هي التي تقع في القلوب، وتستولى على المشاعر، ولا تبقى إلا عن علم بالله من جلال وقدره وعلم وحكمته، وهذا العلم، لا يحصل إلا بالبحث الجاد، والنظر المتأمل، والعقل الدارس المفكر في خلق السماوات والأرض، وما في السماوات والأرض. فمعرفة الله أولاً، ثم الخشية ثانياً، وأنه لا خشية إلا عن معرفة بالذات السنية تنشى وبخشى سلطانها، ويخاف بأسها. وأنه لا معرفة إلا عن نظر وتفكر وتدبر، وذلك شأن أهل العرفان بالله رب العالمين»<sup>(٤)</sup>.

وبالتالي فقد وردت مادة الكلمة ع ل م في القرآن الكريم حوالي ست ومائة مرة<sup>(٥)</sup>، مما يؤكد عربيتها من ناحية، وعروبته أيضاً، بجانب أن ذلك يكشف عن علاقة بين مادة الكلمة (ع ل م) وبين مادة كلمة الحكمة البديل الطبيعي الوافي في العربية عن الفلسفة للفظ اليوناني، وهذه العلاقة تبني في المحسوسات تارة، إن كان المراد من مادة (ع ل م) السمة المميزة، أو العلامة الفاصلة<sup>(٦)</sup>، كما تبني العلاقة بين الحكمة والعلم في المقولات تارات عديدة غالباً، على معنى الفهم أو معنى الإحساس الكامل، أو ارانه العالية والمعرفة الكاملة الصحيحة.

(١) سعيد بن جبير: هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بن محمود الكوفي إمام فقيه عابد فاضل، ورع حجة الله على المسلمين من التابعين، قتلته الخوارج بن يوسف صبرا سنة ٩٥هـ. التهذيب - ج ٤ ص ٢١١.

(٢) سورة فاطر - من الآية ٢٨.

(٣) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ٥ ص ٥٤٣٦، وابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ٣ ص ٥٥٤.

(٤) الأستاذ عبد الكريم الخطيب - التفسير القرآن للقرآن - ج ٢٢ ص ٨٨١/٨٨٢.

(٥) الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - باب العين ص ٤٨١/٤٦٩ ولا شك أن ورود الكلمة بهذا العدد الكبير حدا في القرآن الكريم، يؤكد على أن الدين الإسلامي مع العلم وتبني فيه، لكن بشرط أن يكون علماً نافعاً.

(٦) ومنه فوهم علم الرجل ابنه بعلامته، حتى لا يضيع منه في الزحام. [لسان العرب ج ١٢ ص ٤١٩] وكان أد بن طائغته اليمن عن علمتهم أمهاتهم بشيء لا يغيب عنها، حيث كانت إذا أرادت الذهاب للجمع فلما تقع صوفة عطسها فقا ولدها، بحيث لم يره عن عمره، ولذا قالوا عليه صوفة، ونسب الصوفية إليها باعتبار التحولة الشديدة. [راجع للإمام ابن عجيبة - الفترحات الإلهية في المباحث الأصلية ص ٤٣] والمعلم هو الأثر الذي يستدل به على الطريق. [قطر المحيط - باب العين]

يبدو أن العلم لدى الدارسين لا يتم التعامل معه على ناحية واحدة، وإنما يجيء على العديد من الاعتبارات والمصور المختلفة من أبرزها:

- ❖ باعتبار الموضوع: وعرفوه بأنه الموجود في الذهن على طريق الكسيات أو البدهيات والفطريات، كالعلم بالله تعالى، فإن معرفة الله عز وجل مستقرة في الفطر النقية، قائمة في العقول الصحيحة<sup>(١)</sup>.
- ❖ باعتبار الملكة المدركة: وعرفوه بأنه ما يكون قاراً في النفس الناطقة والمشاعر على جهة الفعل والانفعال، لا على أنه عرض، وإنما على أنه حقيقة ثابتة، لكن هذا التعريف لم يسلم للفلسفة<sup>(٢)</sup>.

❖ باعتبار التسميات العامة:

❖ ١- العلم الإلهي: وهو «علم باحث عن أحوال الموجودات التي لا تقتصر في وجودها إلى المادة، وقبل هو الذي لا يقتصر في وجوده إلى الميول»<sup>(٣)</sup>، وربما عرف بأنه صفة أزلية قديمة، بما انكشف جميع الموجودات والمعلومات انكشافاً تاماً<sup>(٤)</sup>.

❖ ٢- العلم الإنساني: ويعرف بأنه العلم الحادث على سبيل الاكتساب، أو النظر المرادف للمعرفة والإدراك<sup>(٥)</sup>.

❖ باعتبار الفائدة: وعرفوه بأنه ما يترتب عليه منفعة في الحال والاستقبال، ويدفع عن صاحبه مضرة عاجلة أو آجلة، سواء تعلقت بالدنيا أم بالآخرة.

❖ باعتبار الأنواع<sup>(٦)</sup>:

- (١) راجع كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي، وكتابنا: جيو الوليد في علم الترجيح.
- (٢) العلم النفعي ما لا يوجد من الغير. [التعريفات ص ٢٠١ رقم: ٩٩٧] والعلم الإنفعالي ما أخذ من الغير. [نفس المصدر ص ٢٠٠ رقم: ٩٩٢]
- (٣) المخرجان - التعريفات ج ١ ص ٢٠٠ رقم: ٩٩٠.
- (٤) العلامة الشيخ محمد بن حسن التري - العقيدة الإسلامية ص ٥٣.
- (٥) الشيخ رزق محمد أبو حمزة - حاشية على من السلم ص ١٣.
- (٦) ذكر العلامة المخرجان العديد من أنواع العلم منها: [١] العلم الإطاعي هو حصول العلم بالشئ بعد حصول صورته في الذهن ولذلك يسمى علماً حصولياً. [راجع التعريفات ج ١ ص ٢٠٠ رقم: ٩٩١] [٢] العلم الإنفعالي ما أخذ من الغير. [نفس المصدر رقم: ٩٩٢] [٣] علم البديع: هو علم يعرف به وجود تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لتقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة أي الخلو عن التعقيد المعنوي. [المصدر السابق رقم: ٩٩٣] [٤] علم البيان: علم يعرف به إيضاح المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه. [المصدر السابق رقم: ٩٩٤] [٥] علم الجنس ما وضع لشيء بعينه ذهناً كإسمائه فإنه موضوع للمعهود في الذهن. [نفس المصدر ص ٢٠١ رقم: ٩٩٥] [٦] العلم الحشوري هو حصول العلم بالشئ بدون حصول صورته في الذهن كعلم ربيد نفسه. [السابق رقم: ٩٩٦] [٧] العلم الطبيعي هو العلم الباحث عن الجسم الطبيعي من جهة ما يصحح عليه من الحركة والسكران. [نفسه رقم: ٩٩٨] [٨] علم الكلام علم باحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاء الإسلام. [السابق رقم: ٩٩٩] [٩] علم المعاني هو علم يعرف به أحوال اللفظ العسري السدي بطابق مقتضى الحال. [السابق رقم: ١٠٠٠] [١٠] علم اليقين ما أعطى الدليل بتصور الأمور على ما هي عليه. [المخرجان - التعريفات - ج ١ ص ٢٠١ رقم: ١٠٠١] ولطالبا المزيد مراجعة التعاريف للعلامة المخرجان ج ١ ص ٥٢٣/٥٢٤.

- ☆ ١- البديهي.
  - ☆ ٢- الضروري.
  - ☆ ٣- الفطري.
  - ☆ ٤- الكسبي: « العلم الاكتسابي هو الذي يحصل بمباشرة الأسباب »<sup>(١)</sup>.
  - ☆ ٥- الاستدلالي.
- وكل منها تأتي معه تعريفات عديدة .

❖ و باعتبار القدم والحدوث..

☆ ١- العلم القديم المطلق، وهو علم الله تعالى، وهو قائم بذاته تعالى لا يقع له شيء من التشبيه بالعلوم المحدثه، ويقول الجرجاني: « العلم القديم هو القائم بذاته تعالى ولا يشبه بالعلوم المحدثه للعباد »<sup>(٢)</sup>.

☆ ٢- العلم القديم النسبي: كعلم الملائكة وأبينا آدم عليه السلام.

☆ ٣- العلم المخلوق الحادث، ويسمى العلم المحدث أيضا ومنه العلم التمييزي أو العلم التمييزي. يقول الجرجاني: « العلم المحدث ينقسم إلى ثلاثة أقسام: بديهي وضروري واستدلالي فالبديهي ما لا يحتاج إلى تقدم مقدمة كالعلم بوجود نفسه وإن الكل أعظم من الجزء والضروري ما لا يحتاج فيه إلى تقدم مقدمة كالعلم بتسوية الصانع وحدوث الأغراض والاستدلالي هو الذي يحصل بدون نظر وفكر وقيل هو الذي لا يكون تحصيله مقصورا للبعد »<sup>(٣)</sup>.

غير أني سأبحث هنا مفهوم العلاقة بين العلم والفلسفة، باعتبار أن ذلك هو المقصود في هذه الدراسة، والبادي أن بين العلم والفلسفة علاقة من نوع ما، وهذه العلاقة لم تكن على حال واحدة قديما وحديثا، وإنما كانت تأخذ صورا واشكالا مختلفة، طبقا لظروف كل من العلم والفلسفة، فإذا اضطلع العلم مثلا، كالحال في العصور الوسطى، فإن الفلسفة هي الأخرى يقع لها نفس الشيء،

(١) الجرجاني - التعريفات ج ١ ص ٢٠٠ رقم: ٩٨٩، وراجع التعاريف للمناوي ج ١ ص ٥٢٣.

(٢) الجرجاني - التعريفات ج ١ ص ٢٠٠ رقم: ٩٨٨.

(٣) الجرجاني - التعريفات ج ١ ص ٢٠٠ رقم: ٩٨٨. ويعرف الجرجاني العلم بأنه « الاعتناء بالحازم المطابق للواقع وقال الحكماء هو حصول صورة الشيء في العقل والأول أحسن من الثاني وقيل العلم هو إدراك الشيء على ما هو به وقيل زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه وقيل هو مستغن عن التعريب وقيل العلم صفة راسخة في النفس تدرك بها الكليات والجزئيات وقيل العلم وصول النفس إلى معنى الشيء وقيل عبارة عن إضافة محصورة بين العقائل والمنقول وقيل عبارة عن صفة ذات صفة وقيل ما وضع لشيء وهو العلم التقديدي أو غلب وهو العلم الانشائي الذي يصير علما لا بوضع واضح بل بكثرة الاستعمال مع الإضافة أو اللازم لشيء بعينه خارجا أو دهنسا ولم تتناول السببية » [ التعريفات ج ١ ص ٢٠٠ رقم: ٩٨٨ ]

باعتبار أن العلم هو الذى يقود للفلسفة، أو ألما الذى تدفع للعلم، ومن كانت السيادة لأصحاب فرع من فروع العلم التقليدية، فإنهم يخاصمون الفلسفة والفلاسفة أيضا.

لكن ومن ثم فإن هذه العلاقة تجيء فى الصور الآتية :

#### ١١- الترادف أو تبادل المواقع :-

ومعناه أن العلم والفلسفة شيء واحد من حيث الاستعمال، لا من حيث الإطلاق اللغوى، فمن أطلق لفظ العلم، فهم منه لفظ الفلسفة، أو معناها على طريق التضمن، وكان هذا المعنى سائدا لدى المصريين القدماء، الذين كانوا يطلقون لفظ الحكيم أو الكاهن على المتمكن من العلم بمعناه الشامل<sup>(١)</sup>، وإن كان لفظ الكاهن يطلق كثيرا على أولئك النفر الذين خصوا أنفسهم بالمعابد قياما عليها، ومراعاة لأحكامها، والقيام بالطقوس المفروضة على من يقيمون بها أو يقومون بأعباء الخدمة فيها<sup>(٢)</sup>.

وكان الكهنة من جنس الفلاسفة، كما كان الفلاسفة كهنة يقومون بالقضاء العظائم فى المعابد، أو توجيه الأنظار إلى فوائد العلم، والدفع بمن لديهم قدرات إلى ممارسة ذلك كله فى الميدان النظرى والعملى معا، حتى صار الفيلسوف هو العالم وهو الكاهن، لكن مع استعمال لفظ الحكيم بدل لفظ الفيلسوف، على ما أثيرت به الوثائق التاريخية<sup>(٣)</sup>.

وفى العالم القديم قبل العصور التاريخية، كان كل عالم فى شيء ما هو فيلسوف به حكم فيه، ويتم التعامل معه على الناحيتين فى آن واحد، وبخاصة إذا كان ممن يجيدون عملية الفحص والعلاج، فكان المريض يذهب إلى حلقات العلم قلة العدد، ثم يبحث عن ذلك الحكيم داخل الأماكن التى يتردد تلاميذه فيها عليه، ليقوم بفحصه ووصف العلاج المناسب له، وربما أعطاه الدواء من السدى بموزته<sup>(٤)</sup>، فهو يمارس العلم على الناحية العملية، كما يمارس الفلسفة على الناحية النظرية.

أما فى بلاد اليونان فكان اسم العالم يطلق على الفيلسوف قبل ارسطو، باعتبار أنه الذى يولى القضايا الصحيحة أهمية كبرى، فى الوقت الذى كان يطلق لفظ الراوى أو الخاكي على أصحاب السمر وقصص الأخبار والخرافات أو الأساطير<sup>(٥)</sup>، فكان هذا التمايز علامة على أن العلم والفلسفة شيء واحد فى مقابلة ما لا تجيء الأدلة الصحيحة معه.

(١) توماس هيرز - العلم و الفلسفة ص ٣٤ ترجمة رمزى فخرى ط ١/١٩٦١م.

(٢) الدكتور زين العابدين محمد أبو هدية - التراث المصرى القديم ص ١٣٧ ط ١ المكتبة العلمية - بيروت ١٩٦٧م.

(٣) توماس هيرز - العلم والفلسفة ص ٣٦، وراجع ص ٥٥/٤٧ معها تفاصيل كثيرة عن أعمال الكهنة داخل المعابد انصرية القديمة وخارجها.

(٤) الدكتور فوزى محمد الطحان - معالم الحضارة القديمة ص ١٧١ ط دار الفواد ١٩٨١م.

(٥) توماس هيرز - العلم والفلسفة ص ٤١.



من ثم يمكن القول بأن العلم والفلسفة من الألفاظ التي ينبغي معها التوارد على مفهوم بعينه، بحيث ينطبق على يقع في وضع الشيء في موضعه وهو الحكمة<sup>(١)</sup>، أو يقع في مفهوم الموجود الذهني، الذي تبين عليه الحضارات وهو العلم<sup>(٢)</sup>، وبقدر ما يقع من توارد أو ترادف يقع ذات تبادل المواقع.

أما في بلاد الإسلام فاسم العلم كان يطلق على كل الفنون والعلوم المشروعة من قبل الله تعالى، أو التي توصل إلى العلوم المشروعة، باعتبار أن ما يتوصل به إلى الواجب فهو أيضاً واجب على لسان الشرع<sup>(٣)</sup>، الذي أمر به ونهى إليه.

ودليل ذلك: وجود جملة من الفلاسفة الأفذاذ، كانوا في ذات الوقت من أجلة العلماء، الذين يشار إليهم بالنبان، كأفلاطون وأرسطو في بلاد اليونان، والفارائي وابن سينا والرازي وابن رشد في بلاد الإسلام<sup>(٤)</sup>، وكل واحد منهم كان يطلق عليه لفظ العالم، كما كان يطلق عليه لفظ الفيلسوف.

بل كان أهل الإسلام يطلقون على المشتغل بالعلوم العقلية اسم الحكيم، بينما يطلقون على المشتغل بالتفسير وعلومه: اسم المفسر، والمشتغل بالعلوم الحديثة: محدث، والمشتغل بعلوم الفقه<sup>(٥)</sup>: اسم الفقيه، وعلى المشتغل بأصول الفقه: اسم الأصولي، وهكذا فكل فرع من فروع العلوم الشرعية كان يطلق على المشتغل به الوصف المناسب لطبيعة ذلك العلم<sup>(٦)</sup>.

#### ٣-٤-٤ العموم والخصوص

لما انفتحت الأمصار واتسعت الديار، أو كثرت في الناس العلوم، وتنوعت بهم المعارف، صار لفظ الفلسفة أخص من لفظ العلم، إذ كان لفظ العلم يطلق على ما يفيد من المعارف، ويمكن مراجعته على القواعد الثابتة، التي يعتكف إليها<sup>(٧)</sup>، بينما كان لفظ الفلسفة يطلق على مبحث محدد هو

(١) الشيخ نور الدين الصابون - الكتابة على الهداية ص ٣٣ ط محمد علي صبيح.

(٢) العلامة القاضي أبو بكر الباقلان - الإنصاف ص ١٣ ط المكتبة الأزهرية - تحقيق الشيخ محمد زاهد الكرتي.

(٣) إمام الحرمين الجويني - الورقات في أصول الفقه ص ٢٧.

(٤) الدكتور محمد غلاب - المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٥٣.

(٥) الفقه هو في اللغة عبارة عن فهم غرض التكلم من كلامه وفي الاصطلاح هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويتنازع فيه إلى النظر والتأمل وهذا لا يميز أن يسمى الله تعالى فقهياً لأنه لا يتفنى عليه شيء. [الخرحان - التعريفات ج ١ ص ٢١٦ رقم: ١٠٩٨]

(٦) الدكتور محمود فوزي التروي - دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٣٥ وراجع للدكتور حسن محمد سالم - الفلسفة والتصوف - دراسة مقارنة ص ٥٩.

(٧) توماس هيرز - العلم والفلسفة ص ٧٣.

الوجود، ولما كان العلم أمثل من الوجود، فإن لفظ العلم يكون اعم من الفلسفة أيضاً، باعتبار الموضوع الذى تتناوله الفلسفة، أو يتناوله العلم<sup>(١)</sup>.

ففى بلاد اليونان كان لفظ العلم أعم من لفظ الفلسفة، إذ أن لفظ الفلسفة كان يطلق على تلك الجماعة التى تجوب بعضاً من بلاد الإغريق، يعلمون الناس الجدل، ويصرفونهم إلى أعمال العوғанية، وكيفية التلاعب بالألفاظ والتحاویر بالمعاني<sup>(٢)</sup>، التى ترد على جهات متعددة.

وفى بلاد الصين والمهند كان لفظ الحكمة يرادف لفظ الفلسفة - من حيث المفهوم - لكنهما يختلفان عن لفظ العلم الذى كان يطلق على أخص المباحث المعرفية، بحيث صار أى نوع من أنواع المعرفة - حتى لو كان ذلك متعلقاً بمصدر المعرفة، أو درجتها فى اليقين أو الظن - هو العلم<sup>(٣)</sup>، ومن ثم فقد كانت الفلسفة عندهم أعم من العلم.

إذن وقع لكل من الفلسفة والعلم العموم والخصوص فى بلاد الشرق والغرب، وقد أكدت الدراسات العلمية - التى قامت على أسس صحيحة - أن كلا من الفلسفة والعلم نقي، معه مسألة العموم للفلسفة والخصوص للعلم حيناً، ثم نقي، مسألة العموم للعلم والخصوص للفلسفة فى الحين الآخر، ومثل ذلك يكون الحال مع الخصوص.

أما فى حواضر العالم الإسلامى، فقد بدأت العلوم فى التنوع باعتبار النظرى والعلى، العقلى والنقلى، وهذا التنوع ارتبط به كل من العلوم الضرورية البديهية والكسبية الفعلية والانفعالية<sup>(٤)</sup>، بينما كانت الفلسفة - أول أمرها - تتلزم طرائق البحث النظرى وحده، باعتبارها تفكيراً عقلياً وعملاً ذهنياً مجرداً.

وقد ظهرت المفاهيم المتخالفة بين العلم والفلسفة، على سبيل التمايز لدى مفكرى الإسلام الأوائل، ابتداءً من أصحاب رأى فى المعتزلة<sup>(٥)</sup>، ولدى شيوخ المذهب الحنفى، الذين كانوا يستحبون الوصف بالحكيم متى كان جامعاً بين علوم الدين والدنيا، والوصف بالعالم إذا كان مشتغلاً بالعلوم الدينية وحدها<sup>(٦)</sup>، وكثيراً ما كان يطلق لفظ الحير أو البحر أو الإمام أو العلامة على المتمكن من العلوم الشرعية، وفى نفس الوقت يطلق لفظ الحكيم على الجامع معها العلوم العقلية والدينية من الطب والرياضة والطبيعة وخلافه.

(١) الدكتور محمود فوزى التروى - دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص ٣٧.

(٢) توماس هيرز - العلم والفلسفة ص ٨٦، مع ملاحظة أن الذى يقوم بذلك الدور فى بلاد اليونان قديماً هم السوفسطائيون وحدهم فى الغالب.

(٣) الدكتور حسن محمد عبدالمعظم - الفلسفات القديمة ص ١٨١.

(٤) الدكتور حسن محمود قطب - الفلسفة بين الأنصار والمقصود ص ٩٣.

(٥) الدكتور محمود نصر الدين الحواري - المعتزلة وأنها علم الفكرية ص ٨٥ ط ١٩٥٧م.

(٦) الأستاذ نعيم محمد لطفي - مدرسة الرأى وأثرها فى الفكر الإسلامى ص ١٩.

وكان لفظ الحكيم يطلق على الأطباء والفلاسفة، حتى اشتهر ذلك بين العامة، فمن مرض أحاد الناس وأرادوا علاجه، قالوا: فلنذهب إلى الحكيم؛ لأن لديه دراية بتشخيص الأمراض، بجانب وصف الدواء اللازم، وإجراء الجراحات، التي يكون المريض بحاجة إليها<sup>(١)</sup>، فعرف ابن سينا بالحكيم، كما عرف غيره بذات اللقب أو تسمى به.

إذن يمكن القول بأن الفلسفة والعلم يتبادلان المواقع من العموم والخصوص، دون اعتبار لشيء من المفاهيم الأخرى، التي يعكف عليها البعض ممن يحاولون الرجوع بالأفكار إلى ثلاثة من الماضي الضارب في أحضان الزمن البعيد، أو أولئك الذين يحاولون القفز بالمفاهيم من العصور الوسطى إلى الزمن الذي يعاصرنا أو نتعاصر معه.

#### ٢٤٤. احتياج كل منهما للآخر

لا شك أن الفلسفة يمثلها التأمل كما يصولها التفكير الجاد، ويدفع إلى نتائجها الوضوح في المعاني، وأن العلم يمثلها المجهود الذهني، والاستنتاج للحوادث بجانب التجربة العملية في العلوم التطبيقية، وبالتالي فلا يستغني الفيلسوف المفكر عن المجهود الذهني، ولا يستغني الباحث الجيد عن التأمل الهادف.

وبنفس القدر من الحماس العلمي يمكن القول بأن العالم الفيزيائي يحتاج إلى جهود الفيلسوف المتألفي<sup>(٢)</sup>، فالملاحظة العلمية التي يقوم بها العالم مثلاً تنطوي على تأمل مقصود، وتفكير جاد تقع به الفلسفة، ثم يكشف العالم عناصر هذه الملاحظة على ناحية فيزيقية، فدل ذلك على أن العلم محتاج إلى الفلسفة.

﴿يقول شيخنا: «إن الملاحظة العلمية ليست مجرد تسجيل لما يطرأ على الظواهر، مسن تحول أو تطور، فإن كل ملاحظة تنطوي على عنصر عقلي، كما أنها تعتبر محاولة أولية لتفسير الظواهر وفهمها، كما العقل ليس آلة تسجيل فحسب، بل يتدخل بالفعل، ويقوم بدور إيجابي؛ لأنه يعزل الظاهرة، التي تحت الحواس عما عداها من الظواهر، حتى يمكن وصفها وتحليلها، والوقوف على العلاقات التي تربط العناصر الداخلة في تركيبها»<sup>(٣)</sup>. وهو دور يتواءم فيه العلم والفلسفة، ويكشف احتياج كل منهما للآخر.

(١) الدكتور رمزي محمد المعادي - الطب في البيئة الإسلامية ص ٧٣ .

(٢) الدكتور حسن محمود قطب - الفلسفة بين الأنصار والخسرم ص ٩٨ .

(٣) الدكتور علي محمد جبر - منطق حديث ص ٥٣ - الطاعة الفنية، حيث تعرف الملاحظة العلمية بأنها التدخل الإنساني في الظواهر الكونية، وإحضاعها للسيطرة ثم مراقبة النتيجة التي تأتي بعد ذلك. [المصدر نفسه ص ٥٦]

حيث تعرف الظاهرة<sup>(١)</sup> بأنها « موضوع ذو وجود خارجي حقيقي، بصرف النظر عن صلته بالذهن، ولكل علم ظاهره التي يدور بحثه حولها، ولذلك تسمى كل ظاهرة بموضوعها التي تقع فيه، فيقال: الظاهرة الجوية؛ لأنها متعلقة بآثار الطبيعة، كما يقال: الظاهرة الكونية؛ لأنها متعلقة بالعوامل الكونية<sup>(٢)</sup>».

(١) تأتي الظاهرة في اللغة على عدة معانٍ، منها [١] الوضوح والبيان: تقول العرب: ظهر الشيء الذي كان قد خسر أو أصبح بيا، ومنه العين الجاحظة لوضوحها وبيائها. [٢] العلامة بعد الدين القويروزي آبادي - القاموس المحيط - ج ٢ ص ٨٢ - باب الرء فعل الظاء ط الأول - مطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠ هـ. [٣] ما يقبض أصله: تقول العرب: فلان أظهر فلانا، والقوم أظهروا أماءهم إذا كانوا محبيهم فكل سلف يظهره خلفه وكل فرع يظهر أصله. [٤] عمد مرتضى الزبيدي - تاج العروس - باب الرء فعل الظاء ص ٣٧١ - مطبعة الخيرية بجمالية مصر ج ٣ ص ١٣٠٦ هـ. [٥] ما يحمل عليه غيره: ومنه قول العرب: حمل فلان مناعه على ظهره، وما يذكر أيضا حمل المسألة أحزابها، وظهرت لها ظهورا لا يمكن حفاؤه. [٦] المعلم بطرس البستاني - فطر الحيد ج ٢ ص ١٢٨٢ - طعة مكتبة لبنان بيروت نقلا عن طعة ١٨٦٩ م. [٧] القوة أو الضعف: تقول العرب: هو رجل مظهر يعني قوى الظاهر، حيث يمكن الاعتماد عليه متى كان صحيحا غير سقيم، هذا بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة للحيوان فيمكن لنا استحداث تشبيهه. [٨] العلامة الزعزعي - أساس البلاغة - ج ٢ ص ٦٠٨ - باب الظاء - مادة ظهر - ط الأول - القاهرة - مطبعة دار الشعب ١٩٦١ م. [٩] المعاونة والموازنة: يقال ظاهر فلان أحاد، وظاهر الجيش الآخر بمعنى معاونه في المهمة التي وكلت إليه وأزوره فيها حتى أمضاها على الناحية المنشودة. [١٠] العلامة أبو الحسن بن علي بن الحسن - المنجد في اللغة - باب الظاء - مادة ظهر ص ٣٥٧ - تحقيق د/ أحمد مختار وآخر - الطبعة الثانية - مطبعة عالم الكتب ١٩٨٨ م. [١١] العلو والارتفاع: ومنه ما يقال: أظهرت البيت على الأرض، وعن أقرانه بمعنى أغلته ورفعته فصار ظاهرا على غيره غالبا عنه مرتفعا عليه. [١٢] العلامة ابن منظور - لسان العرب - ج ٤ ص ٢٧٦٩ - باب الظاء - مادة ظهر - طعة دار المعارف ١٩٨٤ م. [١٣] المطابقة بين الشئين: تذكر مصادر العربية قروفا: ظاهر فلان بين التورين، يعني ضائق بينهما، فعرف عن كل منهما ما يعينه على إصدار حكم بشأن كل منهما في موضوعية ودقة. [١٤] عمد مرتضى - تاج العروس ص ٣٧٤ [١٥] الغلبة والانتصار: جاء عن العرب قروفا: ظهر قوم فلان على أعدائهم بعد أن كانوا مستترين خفيين، ويقصد بذلك أنهم غلبوهم وانتصروا عليهم فظهروا حتى كأنهم وجددهم على الساحة، تشهد لهم بذلك أرض المعركة، ويستقر معهم أمر الظهور على الأعداء. [١٦] المعجم الوجيز - باب الظاء مادة (ظ ه ر) ص ٤٠٢ - م. [١٧] الخفية العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٩٨ م. [١٨] الاستخفاف بالنسي: ذكرت مصادر العربية قروفا ظاهر فلان باخاعة نبي نعمة أمرها أو بما إليه شأها، فلم يعرها اهتماما أو يخف لحداثها وتقديم المساعدة لها على سبيل انتقيل من شأها أو الاستهانة بالعواقب المترتبة عليها [إصدار مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - باب الظاء مادة ظهر ص ٥٩٩ - ط ٣ الطبعة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٥ م. [١٩] التثبت: قالت العرب: ظهر فلان بين القوم بمعنى ثبت فصار كسائعين عليهم كما يقال فلان عن ظهر قلب يعني بما ثبت في فزاده واستقر في أذهانه. [٢٠] ربات من النسل عيشه استغفاره ومرامحة ما فيه. [٢١] الأستاذ / الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي - مختار القاموس ص ٣٩٩/٤٠٠ - ج ١ - عيسى الخليلي وشركاؤه ص ١٤٤ سنة ١٩٦٤ م.]

(٢) الدكتور محمد صاخب - الظاهرة تدبها ودلائلها ص ٣٥ طعة دار المنشور. ١٩٧٧ م. وعرف لدى علماء النفس بأنها « أمر عارض لا يمكن أن يستمر، وإنما يبرول إذا زال سببه، باعتباره موقعا نحو شيء ما دافع للعدوانية ». [١] جان بلاشير وج ب نونا ليس - ترجمة الدكتور / مصطفى حماري - المعجم العام لمصطلحات علم النفس والتحليل النفسي ص ٣٢٣ - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ط أول ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. [٢] وعند علماء الفيزياء بأنها « كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التحريية أو على المعطيات التحريية المباشرة من جهة ما هي مشتتة على المدرك ». [٣] الدكتور / جميل صليبا - المعجم الفلسفي ج ٢ من الظاء إلى الباء ص ٣٠ - مطبعة دار الكتب - بيروت عام ١٩٨٢ م. [٤] كما تعرف بأنها حركة متفرقة في الفضاء، تفصل متلفتها كلما كان قريبا منها بدرجة أكبر مما لو كان بعيدا عنها، ويظهر ذلك بوضوح في علم الطبيعة. [٥] لوس دياب وآخرون - الموسوعة العلمية الميسرة ص ١٥١/١٥٠ - مطبعة مكتبة اليونان ١٩٨٥ - طبع في لبنان على مطابع تيررس.]

كما أن الفلسفة تحتاج العلم؛ لأنه الذي يعمل التفكير الفلسفي من صورته الذهنية إلى صورة واقعية، فكل عمل عقلي مجرد، متى أمكن تطبيقه في المجال العملي، فإنه يكشف عن احتياج الفلسفة للعلم، كما بين عن العلاقة التي تربط بين العالم والفيلسوف، مع ضرورة الالتفات إلى أن طريق الفيلسوف هو التأمل العقلي الخالص مماما عن أية عناصر خارجية.

يبد أن الفيلسوف يبدأ طريقه من العمليات العقلية البسيطة، حتى يبلغ قمة التجريد، أما العالم فإن طريقه يبدأ من الحواس الظاهرة، حتى يبلغ التعميم<sup>(١)</sup>، وبما يمكن الالتفات إليه أيضا هو أن كلا منهما - الفلسفة والعلم - في مسألة الاحتياج للآخر، ليسا على قدم واحدة، أو قدر ثابت، وإنما قد يكثر احتياج العلم للفلسفة في بعض الأحيان بأوسع مما تحتاج الفلسفة للعلم، بدليل أن الفلسفة تبحث في الكون كله، من حيث المبدأ والنتهى، ويتعلق بذلك نظرية الوجود أو الانطولوجيا أيضا<sup>(٢)</sup>.

كما تبحث في العقل الإنسان ومعارفه وكيفية اكتسابه لها، أو كيفية الوصول إلى كون بعضها بدهيا في العقل، بينما يكون البعض الآخر فطريا أو كسبيا أو نقليا، وهو ما يتعلق به نظرية المعرفة<sup>(٣)</sup>، كما أن الفلسفة تبذل جهدها في بحث الخير والحق والعدل والجمال، من حيث الحقيقة، وتقوم به نظرية القيم، أما العلم فإنه في الجانب العملي يتعلق بالتجربة والملاحظة، وهما عمليتان حسيّتان، أما في الجانب النظري، فإنه يتعلق بالمعارف التي يقدمها له الفيلسوف، ومن ثم فاحتياج العلم للفلسفة يكون أكثر اتساعا من احتياج الفلسفة للعلم، لكن لا مانع من القول بأن العلم فلسفة جزئية، وأن الفلسفة علم بالمبادئ الكلية والأصولية الأولية<sup>(٤)</sup>.

#### الاستقلال والتمايز

من المؤكد أن الفلسفة أو الحكمة تلتقي مع العلم والمعرفة في شكل من أشكال الترادف والتوارد، وتبادل المواقع، كما يحدث نوع من ذلك في العموم والخصوص، واحتياج كل منهما للآخر<sup>(٥)</sup>.

(١) الدكتور بوهان كالفن - طريق الفيلسوف ص ٥١ - ترجمة هناء صبرى ١٩٥٧م.

(٢) الدكتور فوزى محمد الحوت - الفلسفة والعلم ص ٦٧ طبعة أولى ١٩٦١م.

(٣) الدكتور بوهان كالفن - طريق الفيلسوف ص ٥٧ - ترجمة هناء صبرى ١٩٥٧م.

(٤) وبذهب السيد الشريف الجرجاني إلى أن الفلسفة هي التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق صلى الله عليه وسلم في قوله تخلقوا بأخلاق الله أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلمات والتحرر عن الجسمانيات. [ التعريفات ج ١ ص ٢١٦ رقم: ١٠٩٩ ]

(٥) الدكتور فوزى محمد الحوت - الفلسفة والعلم ص ٧٣ .

لكن ذلك لا يمنع من القول بوجود نوع من الاستقلال والتمايز بينها. يمكن التقاط بعض صورته فيما يلي:

### ١- التسمية:

تختلف الفلسفة أو الحكمة عن العلم في الإطلاق الاسمى، أو كما يقول العلماء: الوصف العنوان، فكل من الحكمة والعلم يطلق على اسم خاص به دلت عليه المفردات اللغوية، ومن ثم فإن أى دارس من نظر إلى مادة الكلمة (ح ل م) أو مادة الكلمة (ف ل س ف)، الدالتين على معنى واحد، ونظر إلى مادة الكلمة (ع ل م) فإنه سيرى فارق لغويًا كبيرًا بينهما في المادة الصرفية، والمعاني التي يحملها اللفظ نفسه، مما يثبت استقلال كل منهما عن الآخر في المنطوق اللغوي، ومما يبرزه عنه في الدلالة الاسمية.

### ٢- الموضوع<sup>(١)</sup>:

موضوع الفلسفة يشمل العالم المشاهد وغير المشاهد، المرئي والمعتق، إنه عام متسع إلى أبعد مدى، فعموم الموضوع في الفلسفة ليس محل جدل بين العلماء، صحيح هي بحث عقلي حر، لكنه غير مقيد بحدود عالم معين، وإنما هو منطلق في كل الأرجاء، حتى ما يمكن تخيله، أو نجيء على سبيل الاحتمال، وبالتالي فموضوع الفلسفة يقع فيه ما هو بالفعل والقوة.

أما موضوع العلم فمهما اتسع، فإنه لا يفرج عن نطاق جزئية مبحوثة، أو واقعة تمت الدراسة، فعلم الفلك مثلاً يبحث الظواهر الفلكية وحدها بالفرض، وإن تعرض لموضوعات أو جزئيات أخرى تخدم علم الفلك، فإنه يكون متوجهاً إليها بالعرض<sup>(٢)</sup>، والفرق بين ما نبيى فيه القصد، وما نبيى فيه الارتجال أو العشوائية كبير لمن تأمله، ونفس الحال مع العالم في مجال البصريات أو الهندسة الوراثية، أو غيرها من العلوم.

### ٣- المنهج<sup>(٣)</sup>:

لما كان المنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة، وللإجابة على الأسئلة والاشتغالات التي يثيرها موضوع البحث، وهو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى تلك الحقائق وطرق اكتشافها<sup>(٤)</sup>.

(١) وضع: الموضوع المكان والمصدر أيضاً وضع الشيء من يده يضعه وضعاً وموضوعاً وموضوعاً، ووضع الرجل في تجارتها وأوضع على ما لم يسم فاعله فيها أي حصر يقال وضع في تجارتها فهو موضوع فيها والتواضع التذلل. [ مختار الصحاح - باب الواو - ص ٧٠٥/٤٠٠ ].

(٢) الدكتور حسن محمد أبو سالم - الفلسفة ومنهج البحث ص ٩٣ ط ١٩٦٥ م.

(٣) المنهج: كلمة منهج مشتقة من نهج، أي سلك طريقاً معيناً، وبالتالي، فكلمة المنهج تعني الطريق، ولذلك كثيراً ما يقال: طرق البحث كمرادف لمنهج البحث - [ راجع البحث العلمي مناهجه وتقنياته ص ٤٨ - الدكتور محمد زيان عيسى

- طبعة دار الشروق - جدة - السعودية ط ٤ عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ]

فما لاشك فيه هو أن الفلسفة غير مفيدة بمنهج ثابت سوى المنهج العقلي التأملي المنسرد الكلي<sup>(١)</sup>، ولو أن منهج الفلسفة وقف عند موضوع بعينه، أو جزئية واقعة في دائرة بحث بذاتها، لما كان منهاجاً فلسفياً؛ لأن طبيعة المنهج الفلسفي تختم عليه ألا يتقيد بموضوع بعينه واحد يظل قائماً فيه، وإلا خرج عن دائرة البحث العقلي الحر.

أما منهج العلم، فإنه جزئي، يخضع لطبيعة كل فرع من فروع المعرفة، بحيث يتناسب مع الموضوع المدروس، فعلم التاريخ مثلاً يستخدم المنهج التاريخي السردى<sup>(٢)</sup>، وعلم الفيزياء يستخدم المنهج التجريبي العملي، وعلم الرياضيات يستخدم المنهج البرهاني، وعلم النفس النظري يستخدم المنهج الحكيوي الاستفراغي الذاتي<sup>(٣)</sup>، وعلم النفس العملي يستخدم المنهج التجريبي المشترك، وهكذا تعدد المناهج في فروع العلم بتعدد موضوعاتها الجزئية.

#### ❖ المعطيات:

الفلسفة تعنى بدراسة أصول الأشياء وعلاقتها ببعضها على الحقيقة الذاتية، بغرض التعرف على العلل القائمة بينها، فهي تكشف طرائق جديدة في البحث العلمي<sup>(٤)</sup>، كما تمهد لاستحداث المزيد، إنها تعطي تصورات صحيحة عن كميّات عديدة، من خلال الاستنباط مختلف الأنواع، وفوق ذلك فهي تتجاوز حدود المقولات، إلى ما هو متخيل على ناحية من النواحي<sup>(٥)</sup>، فتفتح آفاقاً جديدة للعلوم والمعارف المختلفة، كما أن طبيعتها السعي الخيثل للدفع بأسئلة مستعدة، ثم تطلب الإجابة عليها.

أما العلم فإنه يعطي نتائج برهانية في الرياضيات، احتمالية في العلوم التطبيقية، ظنية في العلوم التي لم يتوقف البحث العلمي فيها<sup>(٦)</sup>، إن معطيات العلم التطبيقي يختكم في صحتها للتجربة، ومعطيات العلم النظري يختكم في صحتها للواقع التاريخي، إذن فما يعطيه العلم من نتائج كثير، لكنه يبحث عن غيرها، إذ مازال الطريق أمامه طويلاً، وينتظر منه بذل المزيد.

(١) البحث العلمي - الخطوط النهجية لإعداد البحوث الاجتماعية ص ٨٦ - الدكتور / محمد شفيق - المكتب الجامعي الحديث ١٩٩٤ م.

(٢) الدكتور برهان كالفن - طريق الفيلسوف ص ٦١.

(٣) الدكتور علي محمد فوزي - مناهج البحث العلمي ص ١٥٧ ط ١/١٩٩١ م.

(٤) الدكتور عبدالمعظم محمود طيب - مناهج البحث ص ٦٥ ط ١/١٩٥٧ م.

(٥) الدكتور علي محمد فوزي - مناهج البحث العلمي ص ١٥٨.

(٦) الدكتور عبدالمعظم محمود طيب - مناهج البحث ص ٦٧.

(٧) الدكتور عبدالرحمن حسن المرم - الفلسفة والعلم ص ٧٥ ط دار المدى ١٩٥٧ م.

وفي تقديرى: أن الفلسفة أضبه بالمصباح الذى ينطق فى الغياق والمجاهيل، حتى يشكف عبائها، والعلم هو الذى يسر خلف ذلك المصباح بنقل من تلك المخبات ما أمكه حمله، ثم يعاود السير فى ذات الطريق، عله يعمل مكتشفات أخرى جديدة.

#### ٥. الغاية<sup>(١)</sup>:

الغاية من الفلسفة معرفة حقيقة الحقائق لذاتها، ثم التعرف على الحقائق المختلفة، والكشف عن العلاقات القائمة بين ذوات الحقائق المختلفة<sup>(٢)</sup>، ومعرفة الأصول التى تربط بينها، أما إذا خرجت عن تلك الغايات إلى الجدل والعبث والإلحاد، فإنها لا تكون فلسفة.

أما الغاية من العلم فهى وضع تلك المعرفة موضع التنفيذ العملى، والاستفادة منها على ناحية من النواحي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الغايات تتكامل فيما بينها، ولا تتخالف، إلا إذا خرج العلم عن حقيقته المنوطة به، إلى مجال الخرافات والأساطير<sup>(٣)</sup>، فحينئذ لا يسمى علما، ولا يسمح أن ينسب القائم بها إلى زمرة العلماء.

### بداية علاقة الفلسفة بالقيم

تعتبر مسألة القيم ويبحثها على الناحية الفكرية من الأهمية بمكان. أما لماذا؟

فلأن القيم هى التى تمثل جوهر العمل، وترتبط به من ناحية السلوك، على النحو الذى يتم به، ومن ناحية النتائج المترتبة عليه، والغايات التى يهدف إليها، أو يبحث عنها، ولذلك اعتبرت واحدة من النظريات أو أحد المباحث الفلسفية الثلاثة<sup>(٤)</sup>.

لكن القيمة كمنطوق لغوى، تدل على ما ينبىء فى الماديات، وما ينبىء فى المعنويات، كما أن أصلها إن كان (ق و م) كمادة لغوية، فإنها تكون لفظا يفيد الإصلاح، باعتبار أن المصدر منه

(١) غاية كل شيء: مداه ومنتهاه، فمثلا: «أنه سابق بين الحيل فجعل غاية المضمرة كذا»، الغاية والرأية سواء: ففى حديث أشراط الساعة «يسرون إليهم في ثمانين غاية». ومن رواد البناء الموحدة أراد به الأجمة، فشه كثره رماح العسكر بها. [راجع غريب الحديث والأثر لابن الأثير - مجلد الثالث - حرف العين المعجمة - باب العين مع الباء]. ويقول الجرحاني: الغاية: ما لأحله كان وجود الشيء. [التعريفات ج ١ ص ٢٠٧ - باب العين رقم: ١٠٣٥]

(٢) الدكتور حسن محمد أبو سالم - الفلسفة ومناهج البحث ص ٩٨.

(٣) الدكتور فوزى محمد الخوت - الفلسفة والعلم ص ٨٩.

(٤) نظريات الفلسفة العامة هي: ١- الوجود. ٢- المعرفة. ٣- القيم. وتسمى مباحث أيضا، كما ينظر إليها البعض على أنها موضوعات فلسفية، بينما يعتبرها البعض الآخر ميادين فلسفية، ولكل وجهة أقام تسميته عليها.



التقوم، أما إن كان (ق ي م) فإنما تنيد التثمين والتقدير، بمعنى وضع الشيء موضع قيمته المقدرة، وكل من الإصلاح والتقدير يجري في المحسوسات والمقولات<sup>(١)</sup>.

بيد أنما في الاصطلاح تختلف باختلاف الموضوعات التي تبني فيها، ومن ثم فليس من السهل وضع تعريف واحد يكون جامعا مانعا، بدليل أن علماء القانون يعرفون القيمة بأنها: «المفهوم الداخلي في إطار تقييم العلاقات بين الأفراد الطبيعيين والاعتباريين، وخضوع ذلك لمراقبة القواعد القانونية. بما يضمن الصالح العام لأفراد المجتمع كله»<sup>(٢)</sup>، وهذه النظرة القانونية تقوم على مراقبة العلاقات التي تبعد القانون دورها فيها، مادام ذلك لصالح المجتمع الإنساني، سواء أكان ذلك في مجتمع بعينه، وهو القانون الخاص، أم كان في إطار المجتمع الإنساني كله، وهو القانون الدولي العام.

كما أن علماء الاقتصاد تحدثوا عن نظرية القيمة، باعتبار أن كل ما يقع تحت نظر ع لاء الاقتصاد، لابد أن يخضع للتقييم، فما لا قيمة له لا ينظر إليه علماء الاقتصاد، ومن ثم عرفوا القيمة بأنها: «الإنشاء العام في وضع العقارات والمنقولات والسندات، موضع النقد العام، عند التعامل به» بحيث تظهر أوجه التمايز فيها<sup>(٣)</sup>، وهو تعريف عام، لكنه لا يصلح في العقود التي تقسح موقع المضاربة، ولا كذلك في الأصول التي يمكن إرجاعها إلى صور تجري فيها العمليات النقدية بمزاجها.

أما علماء الأخلاق فكانت نظرتهم للقيمة من ناحية مختلفة عن نظرة كل من علماء القانون وعلماء الاقتصاد، إنهم نظروا إليها من جانب ما يترتب على ما يصدر عن الإنسان العاقل، ويؤدي إلى نتائج يمكن الحكم عليها بأنها حسنة خيرة، أو سيئة شريرة، ومن ثم عرفوها بأنها: «ما يعقب ناتج ما يقوم به الإنسان العاقل من حكم عليه، فإن الناتج مما يحكم عليه بالحسن كانت قيمته حسنة، وإن كان ذلك الناتج مما يحكم عليه بالقيح كان قيمته سيئة»<sup>(٤)</sup>.

وهذا الجانب الأخلاقي ربما كان اعتماده على الظواهر الثقيلة، من مثل قوله تعالى: ﴿فمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(٥)</sup>.

- (١) - الدكتور محمد الله السيد الجعفي - الفلسفة قشبا وعايات ص ٥١ ط ١/١٩٥٧م.
- (٢) - مستشار أنور محسن ثروت ماسا - القاعدة القانونية ودورها في أمن المجتمع - دراسة مقارنة بين فرنسا ومصر ص ١٣ ضعة نهار الجديدة ١٩٤٧م. وراجع للدكتور رزق إسكندو - نظرية القيمة وفلسفة القانون ص ٥٣ ط ١/١٩٥٣.
- (٣) - الدكتور هوري محمد نصر الدين - نظرية القيمة ص ١٥ ط دار المختار ١٩٦١م.
- (٤) - الشيخ نصر الدين محمد الفروان - الأخلاق بين الدين والفلسفة ص ١٧ ط ١ دار الهدى ١٣٣٥هـ.
- (٥) - سورة الزلزلة - الأيات ٨/٧. يقول العلامة الطبري: فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير يرى ثوابه، هالك ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، يقول ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه هالك وقيل ومن يعمل الخير عنها في الآخرة لنهم السابح مع ذلك لما قد تقدم من الدليل قبل على أن معناه فمن عمل ذلك دلالة قوله يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعماخهم على ذلك، ولكن لما كان مفهوما معنى الكلام عند السامعين، وكان في قوله يعمل حت لأهل الدنيا على العمل بطاعة الله والزرع عن معاصيه مع الذي ذكرت من دلالة الكلام قبل ذلك على أن ذلك مراد به الخير عن ماضي فعله وما ضم على ذلك أخرج الخير على وجه الخير عن مستقبل الفعل. [الطبري - حرج البيان ج ٣ ص ٢٦٧]

﴿يقول الإمام محمد عبده<sup>(١)</sup>: «من يعمل من الخير أدى عمل وأصغره؛ فإنه يراه ويتجد جزءه، لا فرق في ذلك بين المؤمن والكافر. غاية الأمر أن حسنات الكفار الجاحدين، لا تصل بهم إلى أن تخلصهم من عذاب الكفر، فهم به خالدون في الشقاء.

ومن يعمل مثقال ذرة شر يره، لا فرقا في ذلك بين المؤمن والكافر، فالمؤمنون يرون جزء ما عملوا من شر، إذا لم يكونوا تابوا عنه، وليس الجزاء منحصرًا في العقاب في دار العذاب، فمنه ما يكون كذلك، وهو الجزاء على الكائن وترك الفرائض، إذا لم تحبها التوبة الصحيحة، ومنه ما يكون بنقص في درجة الكرامة، كجزاء الصغائر، فإنها وإن لم تدخلك النار، ولكنها تريك منزلة أحط منزلة من التي انصرفت عنها، وهذا شر تراه يقابل الشر، الذي صنعت»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال الله: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى تغاد الشاة الجاحدة من الشاة القنائة»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي! إلي حرمتم الظلم على نفسي وجعلت بينكم حرما. فلا تظالموا. يا عبادي! كلتمكم ضل إلا من هديته. فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كنكم جائع إلا من أطعتم. فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلتمكم عار إلا من كسوته. فاستكسوني أكسكم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا. فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني. ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم. كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم. ما زاد ذلك في ملكي شيئا. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم. وإنسكم وجنكم.

(١) الشيخ محمد عبده بن حسن خير لله من آل التركمان - مفتي الديار المصرية، من كبار رجال الإصلاح والتجديد. ولد بمصر، ونشأ في محلة نصر بالبحيرة، توفي سنة ١٩٠٥ م. راجع الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٥٢.

(٢) الشيخ محمد عبده - تفسير جزء عم ص ١٣٨/١٣٩ - مطبعة محمد علي ص ٣٨٧-٣٨٨ هـ/٩٦٧ م.

(٣) الإمام مسلم - صحيح مسلم - باب تحريم الظلم. في الحديث رقم: ٦٠ - (٢٥٨٢). - والحديث ذكره الإمام البيهقي في شرح صحيح مسلم في الحديث رقم: ٦٠ ج ٨ ص ١٦٦، وراجع سنن الترمذي (وشرح العليل) - كتاب صفة القيامة - باب ما جاء في شأن الحساب والقياس - الحديث رقم: ٢٥٣٥. ج ٤ ص ٦١٤، والحديث ذكره الإمام المباركوري في تحفة الأخروي - ص ١٥٦٨ - باب ما جاء في شأن الحساب والقياس في الحديث رقم: ٢٤٦٥، والمراد به: [لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة] هذا تصريح بعشر الهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الأديين. وكما يعاد الأطفال والجائدين ومن لم يبلغه دعوة. وعلى هذا تطاهرت دلالة القرآن والسنة. قال الله تعالى: وإذا الوحوش حشرت. وإذا ورد لفظ الشرع، ولم يمنع من إجراله على ظاهره عسل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره. قال العلماء: وليس من شرط الخسر والإعادة في القيامة، المحازاة والعقاب والتعريب. وأما القصاص من القراء والجلحاء فليس من قصاص التكليف: إذ لا تكليف عليها. بل هو قصاص مقابلة والجلحاء هي الخماء التي لا قرن لها.

كانوا على أفجر قلب رجل واحد. ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم. قاموا في صعيد واحد فسألوني. فأعطيت كل إنسان مسألته. ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم. ثم أوفيكم بإها. فمن وجد خيرا فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»<sup>(١)</sup>.

إذن الحكم على الفعل الإنساني<sup>(٢)</sup> بأنه ذات قيمة إيجابية أو سلبية، كان محل عناية علماء الأخلاق، وبالتالي فحديثهم عن الفعل الإنساني لا من حيث هو، وإنما من ناحية ما يترتب عليه من نتائج، وكل فعل تعقبه قيمة لابد من النظر فيها بمنظور العقل جينا، ومنظور الشرع جينا آخر، على أن منظور الشرع يكون وحده المالك لحق السيطرة والسيادة فوق الجميع.

لكن الفلاسفة نظروا إلى الأفعال الإنسانية باعتبار مخالف للاعتبارات السابقة، إنهم نظروا إليها لا من ناحية كونها جميلة محمودة، أم قبيحة مذمومة، وإنما كان اهتمامهم بها من حيث هي، دون أن يترتب على ذلك حكم شرعي، أو حكم عقلي، وبالتالي ركزوا على الجانب الإيجابي من الأفعال الإنسانية، وخصوا كل مجموعة متناقضة من هذه الأفعال باسم معين، كالخير، والعدل، والخير، والجمال.

من ثم عرفوا القيمة بأنها: « ما يتعلق بالحق والعدل والخير العام، بنعاب الجمال، ولذا تعددت القيمة عندهم وتنوعت، فكان من جراء هذا التعدد والتنوع ظهور نظرية كاملة، تجمع كافة الجوانب، أطلق عليها اصطلاحيا اسم نظرية القيم، أو مبحث القيم العام<sup>(٣)</sup>، وقد شغل هذا المبحث فكر الفلاسفة في الشرق الإسلامي والغرب اللاتين على قدر سواء.

- (١) الإمام مسلم صحيح مسلم. - باب تحريم الظلم. في الحديث رقم: ٥٥ - (٢٥٧٧)، وراجع صحيح مسلم بشرح النووي - الحديث رقم: ٥٥ - ٨٤ ج ١٦ ص ١٣٣، والمراد به: [ (إلا كما ينقص المحيط) قال العلماء: هذا تقريب إلى الإيهام. ومعناه لا ينقص شيئا أصلا. كما قال في الحديث الآخر "لا يفيضها ننته" أي لا ينقصها نفقة. لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص الحدود الفاني. وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان فتيهتان لا ينطرق إليهما نقص. فنضرب المثل بالمحيط في البحر لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة. والمقصود التقريب إلى الإيهام بما شاهده. فإن البحر من أعظم المرتبات عيانا وأكثرها. والإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صغيرة لا يتعلق بها ماء].
- (٢) الفعل الإنساني ينقسم إلى: أ- أفعال اضطرارية كالغري من عالج، ورعشة اليدين من المغموم، وزغلبة العين من مرضهما، وارتفاع ضغط الدم، أو انتفاخه ... إلى غير ذلك مما ينبئ على تلك الناحية وهو لا يسأل عنها، ولا يعصب بها؛ لأنه لا دخل له فيها. ب- أفعال اختيارية كالذاكرة واللعب والأكل والشرب والتصدق والبخل والزواج والزنا، والجهاد والقتل، فكلها أفعال تتم بإرادته، ولذلك تناسب عليها، وتوصف بأنها خيرة حسنة، إن كانت موافقة للشرع الشريف، كما توصف بأنها شريرة سيئة، إذا كانت مخالفة للشرع الشريف. ج- أفعال تتعلق بالاضطرارية من ناحية والاختيارية من ناحية أخرى، كالقتل الخطأ، والسفقة غير المقصودة لذاتها، ومن الأثر بتأب الأمر رغم أنه، فهو قسند جمع بين الأمرين، فالأفعال التي تصدر من الإنسان هي ذاتها الموضوع المحكوم عليه في الدراسات الأخلاقية.
- (٣) الدكتور رشدي محمد صبره - الفلسفة ونظرية القيم ص ١٧ ط ١٩٥٧م.

ولأن أثر المسلمين في التفكير الأوربي كان عظيماً، فمن المناسب التقاط بعض الإشارات التي تمثل نقاط التلاقح بين الفلسفة الإسلامية والأوربية، في دوائر النظريات الفلسفية عموماً، والقيم بوجه خاص، باعتبار أن أوروبا في عصر النهضة لم تعرف تراث فلاسفة المشرق الإسلامي، إلا عن طريق الأندلس، حيث أشرف ريموند أسقف طليطلة<sup>(١)</sup>، على ترجمة أعمال المشاهير، وبخاصة الفارابي وابن سينا والغزالي وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

❖ لكن ما هي علاقة الفلسفة كبحت عقلية حر بالقيم كمبحث سلوكي، يختمكم فيه إلى العسرف الصحيح، والقواعد الثابتة المعمول بها، وبعبارة أخرى: ما هي العلاقة التي تسمح بالحديث عن الفلسفة من خلال القيم، أو تبحث في القيم من خلال الفلسفة؟

❖ والجواب: أن هذه العلاقة تبيء في المظاهر الآتية:-

❖ الأول: العموم والخصوص:-

حيث إن الفلسفة أعم من القيم؛ لأن القيم تمثل نظرية من النظريات الفلسفية، أو مبحثاً من مباحثها، باعتبار أن الفلسفة أعم مطلقاً لشمولها، كلا من الوجود والمعرفة والقيم، بينما تكون نظرية القيم أحص؛ لأنها جزء أو مبحث من مباحث الفلسفة، ولا منازعة في ذلك<sup>(٣)</sup>، اللهم إلا أن يبراد بالقيم ما يتعلق بالنظريات الاقتصادية، أو القواعد القانونية، أو العلاقات السائدة في بعض الأنظمة الاجتماعية.

❖ الثاني: الاشتراك اليعيشي:- أجل: الفلسفة تبحث عقلية حر، والقيم هي الأخرى تبحث عقلية حر، لكن الفلسفة تكون حريتها قائمة في استخدام الوسائل، وكذلك الوصول للنتائج على وجه

(١) طليطلة بضم الطاءين وفتح اللامين وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأول وفتح الثانية: مدينة كبيرة ذات خمسائس عمودة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجاره من أعمال الأندلس وهي غربي نهر الروم وبين الخوف والشرقي من قرطبة وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم وهي على شاطئ نهر تاسه وعليه القنطرة التي يعبر الواسف عن وصفها وقد ذكر قوم أنها مدينة دقياقوس صاحب أهل الكهف فالرا ويقر منها موضع يقال له حنان الورد فيه أحساد أصحاب الكهف لا تبلى إلى الآن والله أعلم، وقد قيل فيهم غير ذلك كما ذكر في الرقيم وهي من أهل المسدن قدرا وأعظمها خطراً ومن خاصيتها أن الغلال تبني في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير وزعفرانها هو الغالبية في المسودة وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للفراس وما زالت في أيدي المسلمين منذ أيام الفتح إلى أن ملكها الأفرنج في سنة ٤٧٧ وكان الذي سلمها إليهم يحيى بن يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر بالله وهي الآن في أيديهم وكانت طليطلة تسمى مدينة الأملاك ملكها اثنان وسبعون لساناً فيما قيل ودخلها سليمان بن داود وعيسى بن مريم وذو القرنين والحفسر عليهم السلام فيما زعم أهلها والله أعلم. [ العلامة ياقوت الحموي - معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠/٣٩ ]

(٢) Pirene: Lacivilisation. Occidentale, P.226

(٣) الدكتور خيري محمد الشهابي - الفلسفة والواقعية والقيم ص ٤٣ ط ١٩٥١ م.

(٤) الدكتور رشدي محمد صبره - الفلسفة ونظرية القيم ص ٢٥.

العموم<sup>(١)</sup>، أما القيم فلها بحث عقلي حرى اصطلياد الحكم على المقدمات التي تبني فيها، لما هو معروف من أن كل قيمة من القيم الثابتة أو المتبادلة، المطلقة أو النسبية، إنما تنهض في انبعاث ذات طبيعة استقلالية عن باقى العلوم الأخرى، بل والقيم الأخرى أيضاً<sup>(٢)</sup>، طبقاً لطبيعتها التي تسمى عليها.

لكن كل قيمة من القيم الثابتة لها طبيعة مستقلة في بحثها، فالخير غير الحق، وكلاهما يغاير الجمال، بل إن نظرية الواجب هي الأخرى تبني في ثنايا أعطاف كل من الخير والحق والعدل، ومع ذلك فلها طبيعة مستقلة في بحثها والتعرف عليها.

بيد أن الفلسفة تشترك مع القيم الثابتة في طريقة البحث، وربما اشتركت معها أيضاً، في عملية الانطلاق نحو النتائج، وإن كانت طبيعة كل من الفلسفة والقيم تختلف باعتبار أن القيم تمثل بحثاً في السلوك الإنساني، وطريقة التعامل معه على ناحية بعينها، بينما تمثل الفلسفة صورة من التقدم الفكرى والانطلاق التأملى الحر<sup>(٣)</sup>، على الجانب النظرى والعملى، متى كان ذلك ممكناً.

#### ★ الثالث: الاحتكام إلى الثوابت الصحيحة:

الفلسفة تقوم على البحث العقلى الحر، وهى نتكم إلى الثوابت الصحيحة من البراهين العقلية، والقيم هي الأخرى نتكم إلى الثوابت الصحيحة من الأعراف المستقرة، والعادات السليمة، وتكم به الفطر الصحيحة، ولذلك فكل من الفلسفة والقيم يتفقان في الاحتكام إلى الثوابت الصحيحة على ناحية أو أخرى.

بيد أن مشكلة القيم قفزت عن إطار الفلسفة التقليدية، وخرجت من عبايقها، وراحت تتساءل ما قيمة الإنسان في هذا الوجود، وما قيمة الحياة بجانب الموت، بل ما قيمة المسادة بجانب الروح<sup>(٤)</sup>؟

والإجابة على هذه التساؤلات تكشف عن حقيقة مهمة، وهى احتكام كل منهما إلى الأصول العامة، والقواعد الثابتة الصحيحة، واتخاذ منهج طرح التساؤلات، بحثاً عن إجابات بعينها.

#### ★ الرابع: اتحاد الغايات:

الغاية في الفلسفة معرفة الحقيقة لذاتها أولاً، والعمل بمقتضى ذلك العلم، والغاية في القيم هي معرفة الجميل الممدوح وممارسته، ومعرفة الجميل في كل ما يصدر عن الإنسان هو نوع من طلب

(١) الدكتور أحمد فتحي عطا الله - الفلسفة الواقعية ص ٤٣ ط ١٩٦٥ م.

(٢) الدكتور رشدى محمد صبره - الفلسفة ونظرية القيم ص ٣٧.

(٣) الدكتورة ليلي محمد فوزى - الفلسفة والقيم (دراسة مقارنة) ص ٥٧ ط مكتبة الرياض ١٩٧٥ م.

(٤) الدكتورة نازلى إسماعيل حسين - الفكر الفلسفى دعوة إلى الفلسفة ص ١١٤ ط ١٩٨٢ م.



الفلسفة تسعى إلى البحث الجاد، وتعمل على صياغة أسبابه في العديد من النواحي، التي تنسم بالمثل العليا، أثناء البحث، أو التعرض للنتائج، وكل الفلاسفة الأحرار يمارسون ذلك السدور، فالمصريون القدماء كانت غايتهم من الفلسفة التكميل المعرفي<sup>(١)</sup>، والعمل على مقتضى ذلك التكميل، وبناء عليه؛ ظهرت الأهرامات والمسلات، والعديد من التماثيل والدمى، التي تعبر كلها عن الفلسفة التي كانت تخرى في أعراف هؤلاء العمالقة من المفكرين الأحرار، حتى قيل: إنها فلسفة المثل العليا.

واليونان كان سعيهم إليها سعيًا إلى التطبيق العملي للمثل أيضًا، والسعي الدؤوب نحوها، حتى إن أفلاطون أقام مذهبه الفلسفي على فكرة المثل وعالم المثل، مستخدما الطريق الرياضي منهجه في الوصول إلى ذلك الذي يسعى إليه<sup>(٢)</sup>، وكان حال أرسطو كحال أستاذه سعيًا نحو المثل، وإن اختلفت المسيمات، أو طريقة التعبير عنها<sup>(٣)</sup>، وجاء من بعد أرسطو ففساروا على نفس المنهج:

والقيم كانت تسعى لتأكيد المثل، لكنها تأخذ من الواقع المعاض دعما يتراد كلما تقسدت السنون، أو قفزت المفاهيم، فمثلا كانت القيم في الماضي تحاول التجاوب مع الواقع في شكل أرقى مما هي عليه، وهي في ذلك تنطلق من عمليات راقية، ترفض الدونية بكل مآنها، فظهرت محاولات كثيرة لأخلاقيين وفلاسفة حول الوجود.

ما قيمة هذا الوجود؟ ما قيمة كل كائن على حده في منظومة الوجود؟ ما قيمة الوجود المتعالي؟ ما قيمة الوجود المتداني؟

وراحت هذه الأسئلة تنتشر في مجال بحث الوجود وتكاثرت، ويسعى كل منها للظفر بعابسة جديدة، عمادها السعي للمثل العليا، والتشبه بالإله في كمالاته<sup>(٤)</sup>.

وفي العصر الإسلامي برزت مشكلة القيم، وراحت تبحث عن المعرفة، ما قيمة المعرفة، ما قيمة مصادر المعرفة، بل ما قيمة كل مصدر على حدة، ما قيمة الإنسان في هذا الوجود؟ ما قيمة الإنسان في العالم الأخرى؟ ما قيمة الحياة كلها لمن اطاع؟ ولمن عصى؟. وبخاصة أن النصوص الدينية قد دعمت البحث النظري في مجال القيم؟ وسارت معه تهديه إليها على كل ناحية ممكنة.

(١) الدكتور السيد علي السيد رمضان - فلسفة قدماء المصريين ص ١٥٣.

(٢) الدكتور عبدالعزیز يوسف - أفلاطون وعالم المثل ص ٥٩ ط ١٩٥٣م.

(٣) الدكتور نصر الدين عبدالعظيم - المثل في فلسفة أرسطو ص ٣٤ ط ١٩٦٤م.

(٤) وكان المصريون القدماء يظنون في مثلهم ألما صعة المثال، عزيرة المائلة، أما اليونان فكانوا يظنون في مثلهم القدرة على الدلول إلى الأفراد والانحزام بهم، أما في الإسلام فالمثل العليا جاءت بما نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، حتى لا يغفل العقل في سعيه نحوها أو يشقى.

﴿١﴾ من ذلك قوله تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾<sup>(١)</sup>. يقول العلامة الطهراني: «يخبر الله جل ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده فقلل وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وما جمع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة إلا متاع قليل وشيء حقير ذاهب، كزاد الراعي بزوده أهله الكف من الثمر أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن»<sup>(٢)</sup>.

﴿٢﴾ وقوله تعالى: ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾<sup>(٣)</sup>. يقول العلامة الطهراني: «يقسول رب العزة فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدها الله لأوليائه وأهل طاعته إلا قليل يسير. فيقول لهم: اطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وتعرف الكرامة التي عند الله لأوليائه بطاعته وتسارعة إلى الإجابة إلى أمره في النغير لجهاد عدوه»<sup>(٤)</sup>.

﴿٣﴾ ويقول الإمام القرطبي: «المتاع ما يتمتع به ويتفنع كالفأس والقدر والقصة، ثم يزول ولا يبقى ملكه. قاله أكثر المفسرين؛ قال الحسن<sup>(٥)</sup>: كخضرة النبات، ولعب البنات وبالنال فلا حاصل له ولا دوام عليه. وقال قتادة<sup>(٦)</sup>: وهي متاع متروك توشك أن تضمحل بأهلها، فينبغي للإنسان أن يأخذ من هذا المتاع بطاعة الله سبحانه ما استطاع»<sup>(٧)</sup>.

﴿٤﴾ وقال تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فيها﴾<sup>(٨)</sup>. يقول العلامة الحافظ ابن كثير: «قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى، إذ أن آخرة المتقي خير من دنياه ولا تظلمون فيها من أعمالكم بل توفوها أتم الجزاء وهذه تسلية لهم عسى الدنيى وترغب لهم في الآخرة وتخريص لهم على الجهاد، وقال الحسن: متاع الدنيا قليل، رحم الله عبدا صحبها على حسب ذلك، وما الدنيا كنفا أولها وآخرها، إلا كرجل نام نومة، فرأى في منامه بعض ما يجب، ثم أتته. وقال ابن معين كان أبو مصهر ينشد:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن : له من الله في دار المقام نصيب

(١) - سورة الرعد - الآية ٢٦.

(٢) - الطهراني - جامع البيان ج: ١٣ ص: ١٤٤.

(٣) - سورة التوبة - من الآية ٣٨.

(٤) - العلامة ابن جرير الطبري - جامع البيان ج: ١٠ ص: ١٣٣.

(٥) - هو أبو سعيد الحسن البصري بن أبي الحسن مولى زيد بن ثابت، ولد في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان إماما في العلم والعمل، توفي سنة ١١٠ هـ. راجع الطبقات للذهاوي ج: ١ ص: ١٥٠.

(٦) - قتادة: هو قتادة بن دعامة بن عذرة السدوسي البصري، من الثقات الأثبات، كان حجة في الحديث مأمورا، توفي سنة ١٢٣ هـ. راجع تهذيب التهذيب ج: ٨ ص: ٣١٥، وتقريب التهذيب ج: ٢ ص: ١٢٣.

(٧) - الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج: ٣ ص: ١٥٤٤.

(٨) - سورة النسا - الآية ٧٧.



فإن تعجب الدنيا رجلاً فإنـ : بها متاع قليل والسؤال قريب»<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاً فمما عسى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾<sup>(٢)</sup>

وفي قوله تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ يقول العلامة الطبري: «كأن الله تعالى ذكره يقول: لا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها فإنما أنتم منها في غرور تمتعون ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون».

وقال عبد الرحمن بن سابط<sup>(٣)</sup> إنما متاع الحياة الدنيا كزاد الراعي تزوده الكف من التمسر أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن، فمعنى الآية وما الحياة الدنيا إلا متاع قليل لا يبلغ من تمتعه ولا يكتفيه لسفره<sup>(٤)</sup>.

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة قال [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها أقرؤوا إن شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور]<sup>(٥)</sup>.

(١) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٢٧ .

(٢) سورة الحديد - الآية ٢٠ .

(٣) عبد الرحمن بن سابط الجمحي ذو مراسيل عن أبي بكر وعمر وله عن سعد وعن عائشة وعنه عمرو بن مرة وعائشة بن مرند واليث بن سعد فقيه ثقة مات بحكة ١١٨ قال بن معين لم يسمع من حار ولا من أبي أمامة . [ راجع الكاشف ج ١ ص ٦٢٨ رقم: ٣١٩٨ ، وحسامع التحصيل ج ١ ص ٢٢٢ رقم: ٤٢٨ ، وتقریب التهذيب ج ١ ص ٣٤٠ رقم: ٣٨٦٧ ، والثقات ج ٧ ص ٦٩ رقم: ٩٠٤١ ، والتاريخ الكبير ج ٥ ص ٢٩٤ - رقم: ٩٦٠ ]

(٤) العلامة ابن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج: ٤ ص: ١٩٩ ، وقال الطبري: « وهذا التأويل وإن كان صحيحاً من وجوه كثيرة ، تأويل فإن نصحيح من أقوال فيه هو ما قلنا لأن الغرور إنما هو الخداع في كلام العرب وإذ كان كذلك فلا وجه لتسرفه إلى معنى القلة لأن الشيء قد يكون قليلاً وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور ، وأما أنسدى هو في غرور فلا القليل يصح له ولا الكثير بما هو منه في غرور ، والغرور مصدر من قول القائل غررت فلان فغير بمسدي غروراً بضم العين وأما إذا صححت العين من الغرور فهو صفة للشيطان الغرور الذي يغرر آدم حين بدله من معصيه الله فيما يستوجب به عقوبته » .

(٥) العلامة أبو عبد الله الحاكم - المستدرک علی الصحيحین ج ٢ ص ٣٢٧ - الحديث: ٣١٧٠ ، وابن حبان - صحيح ابن حبان ج ١٦ ص ٤٣٣ - ذكر الأحبار بأن القليل من الجنة لأهلها حسبي مما طلعت الشمس لأهل الدنيا - الحديث: ٧٤١٧ ، وأخرج الحارثي - صحيح الحارثي ج ٣ ص ١١٨٧ - الحديث: ٣٠٧٨ بلفظ عن أبي هريرة قال [ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ] ، وأخرج الحارثي أيضاً - صحيح الحارثي ج ٥ ص ٢٣٥٨ - الحديث: ٦٠٥٢ بلفظ عن سهل قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم [ يقول موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولغدوة في سبيل الله أو روضة خير من الدنيا وما فيها ]

وفي الحديث الشريف أيضا عن سهل بن سعد<sup>(١)</sup> رضي عنه عن النبي ﷺ قال: [لو أن الدنيا تسرن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا شربة ماء] <sup>(٢)</sup>، وعنه سهل بن سعد قال [كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها فقال أترون هذه ميتة على صاحبها فو الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تسرن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبدا] <sup>(٣)</sup>.

وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم [لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شيئا] <sup>(٤)</sup>، ثم قال سبحانه وتعالى "والآخرة عند ربك للمتقين" أي هي لهم خاصة، لا يشاركهم فيها أحد غيرهم، ولهذا لما [قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد إليه في تلك المشربة لما آل صلى الله عليه وسلم من نسائه فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه فابتدرت عيناه باليكاء وقال يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس وقال أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ثم قال صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا وفي رواية أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة] <sup>(٥)</sup>، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى: [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا لحقارها] <sup>(٦)</sup>.

ومما لا شك فيه أن الفلسفة عملية وعلمية - تجريبية أو نظرية - تسعى إلى بلوغ الغاية، وتستهدف المثل العليا، حتى لا يكون أمام العقل شيء آخر يمكنه التطلع إليه، ولذا قيل: إن الفلسفة أم العلوم، والباحث الدروب عن المثل العليا<sup>(٧)</sup>، والقيم الإيجابية هي الأخرى انطلاقي نحو توظيف المعارف وتحويلها إلى سلوك عملي مثالي، يتحقق به رضوان الله تعالى عندنا نحن المسلمين، أو إشباع رغبة داخلية، وناحية وجدانية في مظاهر عملية، أو قابلة لهذه الممارسة العملية.

(١) سهل بن سعد بن مالك الساعدي كان اسمه حزن فسماه رسول الله ﷺ سهلا كنيته أبو العباس مات بالمدينة سنة ثمان وثمانين وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة: وقيل: إنه رأى النبي وهو من خمس عشرة وقال أبو نعيم: مات سنة ثمان وثمانين بالمدينة وهو ابن مائة سنة وأكثر روى عنه الزهري وأبو حاتم المديني وأبو العباس ونجاشي بن ميمون الحضرمي «[راجع العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم النجاشي السنن المرقوم ٣٥٤ - مشاهير علماء الأمصار ج ١ ص ٢٥ رقم: ١١٤، التاريخ الكبير ج ٤ ص ٩٧ رقم: ٢٠٩٢، الخرح والتعديل ج ٤ ص ١٩٨ رقم: ٨٥٣، التاريخ الصغير (الأوسط) ج ١ ص ١٨١ رقم: ٨٤٦].»

(٢) الطبراني - المعجم الكبير ج ٦ ص ١٥٧ - الحديث: ٥٨٤٠.

(٣) الإمام ابن ماجة - سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٧٦ - [٣] باب مثل الدنيا - الحديث: ٤١١٠.

(٤) العلامة الطبراني - المعجم كبير ج ٦ ص ١٧٨ الحديث: ٥٩٢١.

(٥) الإمام البخاري - صحيح البخاري - الحديث: ٢٤٦٨، وأخرجه مسلم - ج ٢ ص ١١١١ - الحديث رقم: ١٤٧٩.

(٦) الإمام البخاري - صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٠٦٩ الحديث: ٥٤٢٦، وأخرجه مسلم - صحيح مسلم - ج ٣ ص ١٦٣٨ - الحديث: ٢٠٦٧.

(٧) هنري توماس - الفلسفة والمثل ص ١٥ - ترجمة وما. صالح، لو قال الباحث المؤدب عن معرفة حقائق الأشياء، فربما كان ذلك مقبولا على ناحية من النواحي المعرفية.



علاقة الفلسفة  
بالميتافيزيقا وتاريخ الفلسفة



### ١- علاقة الفلسفة بالميتافيزيقا

كان الفهم السائد للفلسفة في العصور الكلاسيكية<sup>(١)</sup>، هو عمومها واشتمالها ككل النظم الثقافية والعلمية في داخل الإطار الأرسطي، وكذلك كل ما وصفه الأدب العربي، بأنه علوم أجنبية إغريقية<sup>(٢)</sup>، وبالتالي فإن الفلسفة على هذا المفهوم تعتبر العلم<sup>(٣)</sup> الشامل الجامع لغيره من العلوم، وظل الحال على ذلك فترات طويلة، حتى صار ذلك الاعتقاد قاعدة شبه مضطردة.

بيد أن هذا الفهم لعلوم الفلسفة وخصوص العلوم الأخرى، جعل الفلسفة تقف بين العلوم كلها، سيدة تعمل وحدها تاج العرف فوق رأسها، بينما العلوم الأخرى تلتف حولها التفاف الوصيفات بالملكة، حتى جاءت أفهام أخرى عاجلت الموقف بنوع من الموضوعية والحيدة، فأنتهى الأمر معها إلى أن علاقة الفلسفة بالعلوم الأخرى بقيت في طريقين:

أ- طريق الإطلاق والعموم.

ب- طريق التقييد والتخصيص.

❖ أما الأول: وهو الإطلاق. فقد ذهب أصحابه إلى اشتغال الفلسفة كل العلوم<sup>(٤)</sup>، بحيث تقسّم بين جنباتها علوم الطب والهندسة والعلوم العملية، بجانب العلوم الإنسانية، حتى اللسانية منها على أسأل الفهم السائد للفلسفة: وأما أم العلوم وأس العلوم<sup>(٥)</sup>.

❖ أما الثاني: وهو التقييد والتخصيص، فمعناه إطلاق الفلسفة على معنى ضيق، بحيث لا يشمل إلا المنطق والأخلاق والميتافيزيقا، وهذا الطريق تنوع إلى نوعين:-

(١) ما يدخل في صميم الفلسفة: وهو الأخلاق والميتافيزيقا، على وجه من العموم.

(١) تطلق الكلاسيكية على معنى التقييد، وعلى معنى القديم، يقال فكرة كلاسيكية، أي قديمة أو تقليدية.

(٢) هردريث روزنتال - التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١٣٨ - تقدم وتحليل د: عبدالله حسن المسلمي - مكتبة سعيد رأفت ١٩٩٣ م.

(٣) العلم هو إدراك الشيء على ما هو به ويقال عليه أنه ملكه يقتدر بها على إدراك الجزئيات. [ العلامة زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى المولود ٨٢٤هـ والمتوفى ٩٢٦هـ - الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة ج ١ ص ٦٦ - دار الفكر المعاصر - بيروت ١٤١١هـ - الطبعة الأولى ] تحقيق د. مازن المبارك

(٤) الدكتور صبحي حسن السامرائي - الفلسفة والتاريخ ص ٧١.

(٥) الشيخ منصور رجب علوية - الفلسفة بين القول والرفض ص ١١ - مطبعة الاستقامة ١٩٣٧ م.

(٢) ما يتحد وسيلة للأبحاث الفلسفية: وهو المنطق، إذ أنه عند الأوائل وسيلة البحث المأمونة، ومن ثم عرفونه بأنه: «آلة قانونية تعصم مراعاته الذهن عن الخطأ في التفكير»<sup>(١)</sup>.

بينما هو عند بعض المسلمين كأبي حامد الغزالي: معيار العلم<sup>(٢)</sup>، وعند بعض آخر أنه يقوم بدور الوسيلة Organon للوصول إلى الفلسفة<sup>(٣)</sup>.

ثم فإذا بلغنا الحديث عن العلاقة بين الفلسفة والميتافيزيقا، وجدنا تيارين متعارضين:

#### التيار الأول: انفصال الميتافيزيقا عن الفلسفة

وذلك الأمر يبدو عند بعض مفكرى المسلمين فقط، والسبب راجع عندهم إلى أن أبحاث الميتافيزيقا لدى المسلمين هي المعبر الوحيد عن الاهتمامات العقديّة، المتمثلة في الأبحاث اللاهوتية<sup>(٤)</sup>، أو بمعنى آخر، فإن هذا البعض يرون الميتافيزيقا تتعلق بعلم الإلهيات فقط، أو بعلم التوحيد أو علم الكلام على العموم - الإلهيات، والنبوت، والسعيات - باعتبار أن هذه المباحث الكلامية تتعلق بأمر عقدي، وترتبط به وحده<sup>(٥)</sup>، مع أنه يقع كنهه في دائرة العبييات، ومن ثم فقد اعتبروا الميتافيزيقا منفصلة عن الفلسفة، بل وأعلى من الفلسفة درجة<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن رحلة هذا التيار قد استمرت فترة طويلة من الزمان كانت السيادة الفكرية لسلأراء التي يتبنوها، وربما استغرقت الوقت الحاضر في أغلب مراحلها، اللهم إلا عند الاعتماد على النقل الشرعي، واعتبار الفلسفة هي الحكمة، والنظر إليها، باعتبار أن المراد من لفظ الحكمة هو الفلسفة بمعناها العام<sup>(٧)</sup>.

كما أن مستند تيار انفصال الميتافيزيقا عن الفلسفة، ربما كان بعض الآثار والفتوى الفكرية، التي جاءت على الناحية الإسلامية، من أمثال قول ابن تيمية: «والله لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا بأكثر الناس صلاة، ولا صياما، ولا حجابا، ولا اعتمارا، ولكنهم عقلوا عن الله تعالى

(١) الدكتور: عوض الله حاد حمادي - أثره السليم في منطق الحديث والقديم ص ١٣.

(٢) كتاب آله الإمام الغزالي، تحدث فيه عن المنطق وأصول منطق، واعتبر أن من ليس عنده شيء من المنطق فليس أهلا للنظر في العلوم.

(٣) فرانز روزنتال - التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١٣٨.

(٤) أ ب هيز - التراث الفلسفي عند المسلمين ص ٣١ - ترجمة الأستاذ فوزي عطا الله.

(٥) الدكتور محمد السيد سليم - محاضرات في الفلسفة الإسلامية ص ٣٥ ط ١٩٨١/٢م.

(٦) فردريك روزنتال - التراث القديم في الحضارة الإسلامية ص ١٣٨.

(٧) الفرق بين معنى الفلسفة الخاص والمعنى العام، هو ذات الفرق بين التيارين المتعارضين لمن تأمل هذه وثائق.

مواظبه، فوجلت منه قلوبهم، واطمأنت إليه النفوس، وخشعت منه الجوارح، ففاقوا الحقيقة بطبيب المثلثة، وحسن الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

على كل؛ فإن هذا التيار الانفصالي كانت له جذور عميقة وفروع باسقة، وبخاصة إذا وضع في الاعتبار تلك القوى الفكرية المناهضة لجعل الفلسفة علما، أو إدخالها ميدان الدراسات الفكرية أخلاقيا أو منطقيًا أو خلافه، كالحال مع موقف شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن نسج على منواله، أو سبقه إلى إعلان هذا الفصل ومهاجمة الفلسفة، وإن كان يتعاطاها في الخفاء، كالحال مع الإمام الغزالي<sup>(٢)</sup>.

لهم لكن أصحاب هذا الانبعاث الانفصال، قدموا أدلة تدعم موقفهم، وتنتهي إلى الحكم بأن الفلسفة تغاير الميتافيزيقا تماما، ومن أبرز أدلتهم على انفصال الفلسفة عن الميتافيزيقا ما يلي:-

#### ١- في الموضوع:-

ذلك أن موضوع الفلسفة التقليدية الكون بما هو عليه، وعلى النحو الذي هو عليه، أما موضوع الميتافيزيقا فكان ما وراء الحس، إنه الأمر الغيبي على نحو ما<sup>(٣)</sup>، سواء أكان هذا الأمر الغيبي هو معرفة الله تعالى وطرق الاستدلال على وجوده حل شأنه، أم هو كان هو السيل والموصول إلى هذه المعرفة، يستوى في ذلك أن يكون الأمر الغيبي مما أشار إليه النقل، وتحدث عنه مباشرة<sup>(٤)</sup>.

#### ٢- في المنهج:-

منهج الفلسفة العامة مرن، يستوعب الكثير من الاتجاهات الفكرية، فإذا تناول جانباً اجتماعياً، استخدم إليه طريقاً موصلة إليه، بحيث تتعامل معه، وتؤدي فيه إلى نتائج مهمة<sup>(٥)</sup>، وإذا تناول جانباً معرفياً في أي ناحية من نواحي المعرفة، فإنه يصطنع ما يوصل إليها، أما المنهج في الميتافيزيقا فقامم على ناحية واحدة هي إثبات ذات الله تعالى، وتبريدها مع التزديد، وكذلك إثبات سائر الكمالات له حل شأنه، وما يستتبع هذه الكمالات الإلهية<sup>(٦)</sup>.

(١) شيخ الإسلام الإمام أحمد بن تيمية - بعية المرتاد في الرد على المتفلسفة والفرامطة والباطنية ص ٦٠ .

(٢) المشهور أن الإمام الغزالي حارب الفلسفة، وهادم الفلاسفة ونال منهم في وقت ما، وإن كان هو في الحقيقة قد مسأل إلى كثير من تلك الأقوال، ورشح لها في كثير من مؤلفاته، بحيث يمكن القول بأنه كان فيلسوفاً على طريقته النقدية.

(٣) راجع للدكتور حسن محمد الشريبي - الميتافيزيقا عند العرب ص ٧٣، حيث أكد أن الميتافيزيقا هي الغيب

(٤) الفرق بينهما هو ذات الفرق بين الوسيلة والغاية، لكن مع الاختلاف في الألفاظ المعبرة. [ راجع في ذلك كتابنا: الإيماء بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي ]

(٥) الدكتور عبدالعاطي السيد خليفة - الفلسفة منهج وعنايات ص ١٣ .

(٦) راجع في ذلك كتابنا: حيو الوليد في علم التوحيد ص ١٤٣، وكتابنا: المدخل التام لعلم الكلام ص ٣٤٥ وما بعدها.

من ثم: فإن المنهج في الفلسفة اقتصر في معظم الأحيان على الدراسة النظرية<sup>(١)</sup>، بينما في الميتافيزيقا استخدم الأدلة العقلية، والتأمل الفكري في الجوانب المثبتة في الكون على نواح مختلفة.

غير أن بعض الباحثين يرون للفلسفة وظيفة، بجانب علم اللاهوت - رغم انفصالهما - وهذه الوظيفة ليست ثانوية، بل هامة جداً، تلخص في دراسة جميع المعاني الأساسية، التي يستخدمها رجال اللاهوت دراسة نقدية تحليلية، مثل مفهومي الله والوحي، ويطلقون على هذه الدراسة المتعلقة بالدين اسم "فلسفة الدين"، ويرون أن فلسفة الدين مهمتها - بجانب ما ذكر - ربط المعاني المتضمنة - باللاهوت - بالعلوم الأخرى، كالفلسفة العامة والأخلاق<sup>(٢)</sup>، ومع هذا فهم كغيرهم ممن يميلون إلى هذا الاتجاه، هو اعتبار الفلسفة أم العلوم، ومهمتها تقديم الخدمات الإنسانية المتعددة في كافة مجالات الحياة.

غير أن تقسيم الفلسفة إلى فلسفة دين، وفلسفة تاريخ، وفلسفة أخلاق، وفلسفة علوم، ليس معناه تقسيم الفلسفة بمعناها عند الإغريق<sup>(٣)</sup>، وإنما الاحتمال القائم هو تقسيم الفلسفة باعتبار المعنى المنقول إلى البيئة الإسلامية، وأعني به محبة الحكمة وممارستها، فإن قبل هذا الاحتمال، فلا شك أن فيه فتحاً جديداً لفكرة ظلت مغلقة، بل استعصت على الحل أمداً بعيدة.

ومن البديهي القول: بأن محبة الحكمة، أو الحكمة، أو حب الحكمة، إنما يمثل بصفاً خالصة معينة، هي محور وضع الشيء موضعاً، بينما مصطلح محبة الحكمة، أو صديق الحكمة، إنما تمثل موصوفاً لها وليس وصفاً، أو بمعنى آخر تمثل الباحث - الفيلسوف - وليس المحبوت - الفلسفة. ومن ثم يصح القول بأنها محبة الحكمة، وأن متعاطيها القائلين على أمورها محبة الحكمة. ولا مشاحة في هذا الفهم<sup>(٤)</sup>، طالما أن الظواهر الثقيلة تزيد ولا تعانده<sup>(٥)</sup>.

بل إن الإمام الحكيم الترمذی<sup>(٦)</sup> مال إلى هذا المعنى، وأكدته في عبارة وجيزة، حيث قال: «أحكمة حكمتان: حكمة من العلم به، وهي الحكمة العليا، وحكمة من العلم بأموره وتدبيره

(١) دكتور: الفيلازي محمود سعد - موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد - ٢٣٠، مطبعة الأمانة.

(٢) دكتور: عزت قرى - مدخل إلى الفلسفة ص ١٣٨/١٣٩ - مكتبة سعيد رافت.

(٣) راجع للدكتور عبدالواحد محمد الطيب - الفلسفة الإغريقية ص ٧٥.

(٤) راجع كتابنا: التفلسف (مفهومه - بواعثه - خصائصه) وفيه تناول لبعض هذه المفاهيم.

(٥) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا: المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية، وفيه تفاصيل تتعلق بهذا الجانب.

(٦) هو الإمام الحكيم: محمد بن علي بن الحسن بن بشير الترمذی المودع المعروف بالحكيم أبو عبد الله، كان إماماً من أئمة المسلمين له المناسبات الكثيرة في أصول الدين ومعاني الحديث وقد لقي الأئمة الكبار وأحد عنهم وفي شيوخه كثرة وله كتاب نوادر الأصول مشهور رواد عنه جماعة بخراسان. وذكر أبو عبد الرحمن في طبقات الصوفية أنه محسب بترمذ في آخر عمره بسبب تصنيفه كتاب حتم الولاية وعلى الشريعة قال فحمل إلى بلخ فأكرموه لموافقة ضم في المذهب بعرضي الرأي، وذكره أبو نعيم في الحلية فقال صاحب أبا تراب السجستاني ولقي يحيى بن الجلاء وصف التصانيف الكثيرة في الحديث وهو مستقيم الطريق تابع للأثر يرد على المرجحة وغيرهم من المخالفين وذكر أشياء من كلامه لم يرد على ذلك سوى سياق أشياء من كلامه منها قوله كفى بالمرء عياض يسره ما يفرد ومنها قوله وقد سئل عن الخلق فقال تنعسف طاهر ودعوى غريبة، وذكره الكلاباذي في كتابه المعروف في مذهب التصوف من أئمة المصنفين في ذلك وعظمه عاش إلى حدود العشرين وثلاث مائة قال الأباري المذكور ذكر أنه سمع منه سنة ثمان عشرة وثلاث مائة نحواً من تسعين سنة. [راجع: لسان الميزان ج ٣ ص ٣٠٨ رقم: ١٠٣٣]



وصنعت، ولم يقف عند هذا الحد»، وإنما أكد أن المقبولين من الله تعالى هم الذين ساروا على طريقه، واحتذوا طريق الأنبياء حتى نالوا منه الحكمة العليا، والسائرون إليه على طريق الأولياء نالوا منه الحكمة الدنيا<sup>(١)</sup>.

والترمذى<sup>(٢)</sup> يذهب إلى أبعد من هذا حين يصرح بأن الحكمة هي: «الصدق والصفاء»<sup>(٣)</sup>، وبالتالي فإن مسألة الفصل بينهما - الميتافيزيقا والفلسفة - أمر ضروري لا محيد عنه، باعتبار الموضوع والمنهج على ما مر ذكره.

### التيار الثالث: امتزاج الميتافيزيقا بالفلسفة

وهذا التيار يميل إلى أن الفلسفة والميتافيزيقا شيء واحد، وأن الاختلاف والتمايز بينهما قد جاء في الاسم فقط، أما المدلول فهو واحد، وإذا كانت الفلسفة بالمفهوم العام تشمل كافة العلوم النظرية؛ فإن الميتافيزيقا كذلك تشكل كافة العلوم بالمعنى الواسع لها، أما إذا قلنا بتحديد الميتافيزيقا وانحصار معناها في مباحث اللاهوت، فقد جعلنا العام خاصا بلا مبرر، وهؤلاء يمثلون جمهرة ممن علماء المسلمين، مفكرين وفلاسفة، بل وزعماء فرق إسلامية وغيرهم.

وهذا التيار الذي يرى ضرورة وجود امتزاج بين الفلسفة والميتافيزيقا، لا يقف عند مجرد التعريف لكل منهما، وإنما يميل إلى ضغط الفلسفة وإدماجها في علوم كثيرة، ومنها الميتافيزيقا، وطبقا لهذا يمكن القول: بوجود علم ميتافيزيقا الفلسفة، كما يقال: كذلك على غيرها من العلوم، حتى ولو كانت علم الموسيقى الذي يعرف بأنه: مجموعة المعارف والنسق الفلسفية والعلمية والتاريخية والنوكلورية المتعلقة بالصوت وفن النغم<sup>(٤)</sup>.

(١) الإمام أبو عبد الله الترمذى - الكلام على معنى لا إله إلا الله أو شفاء العليل ص ٣٣ - تحقيق د: محمد إبراهيم الجيوشى - مطبعة حسان.

(٢) جعفر بن محمد بن ترمذى تلميذ هذا غير الإمام أهدت محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلفي الترمذى. صاحب إتمام العليل القدير الحافظ العلامة، طاف البلاد وجمع حلقا كثيرا من الخراسانيين والعراقيين والخراسانيين وغيرهم، روى عن محمد بن المنذر والخبث بن كليب وأبو العباس الجبوري وخلق، ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان ممن جمع وصف وحفظ وذاكر، وكان أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف كتاب الحساب والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متن كان يضرب به المثل في الحفظ مات بترمذ في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. [ ضيقات الحفاظ ج ١ ص ٢٨٢ رقم: ٦٣٤، وراجع الثقات ج ٩ ص ١٥٣ رقم: ١٥٧٣٥، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ج ٦ ص ٢٨٩ رقم: ٨٠٤١، وراجع تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٤٤ رقم: ٦٣٨ ]

(٣) الإمام أبو عبد الله الترمذى - الكلام على معنى لا إله إلا الله أو شفاء العليل ص ٣٤ - تحقيق د: محمد إبراهيم الجيوشى - مطبعة حسان.

(٤) الفرد أبنشتين - الموسيقى في العصر الرومانيكي ص ٧ - ترجمة الدكتور: أحمد حمدي محمود، وهو غير ألكوت أبشتاين صاحب نظرية النسبية المشهورة في العلوم الطبيعية والرياضية.

على أن هذا الخلط بين الفلسفة والميتافيزيقا، ربما صور على أساس أن الفلسفة إنما هي تفسير شامل للكون ككل، قد يكون لها علاقة بالدين، الذي يبحث هو الآخر في الكون والأشياء، ولكن من حيث إنها مخلوقات صادرة من خالق إله<sup>(١)</sup>، عظيم له من صفات الجلال والكمال ما يتناسب معه سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>، فظن البعض أن أمرهما واحد، وأن كليهما يخدم الآخر في الغاية التي يأملاها..

❖ لكن هناك فرق بين الدين والميتافيزيقا، وهذا الفرق لا يجعل المسألة على النحو السالف سلبية أو مقبولة عندنا نحن أهل السنة والجماعة. أما لماذا؟

❖ فلأن الدين الإسلامي نصوصه مقدسة موثقة؛ لأنها تنزيل من حكيم حميد<sup>(٣)</sup>، بحسب أن الدين الإسلامي يشمل البحث النظري في أمور العقيدة، ففي الحديث الشريف: قال ﷺ: «الإيمان العملى لها في أمور الشريعة، ففي الحديث الشريف عن ابن عمر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَتَمَيْنِ شَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصِيَامِ رَمَضَانَ»<sup>(٤)</sup>، والحفاظ على الآداب الإسلامية من خلال السلوك المستأز.

- (١) الدكتور: الطباطبائي محمود سعد - موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد ص ٢٠١.
- (٢) الدكتور محمد عبد العظيم أبو شريف - الميتافيزيقا التأملية ص ٤٣.
- (٣) قال تعالى: ﴿إِنْ إِلَهُ الْدِّينِ كُفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَأَهُمْ لَكُمْ كَافِرٌ﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَسْجِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٩﴾ سورة فطرت - الأيتان ٤٢/٤١
- (٤) ففي الحديث الشريف عن عمر بن الخطاب: «قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتؤتي الصدقة وتؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال فأنجزني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأنجزني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأنجزني عن العبادة قال ما يتناولون في البيان قال ثم اطلق قلت مليا ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل قال لا. ورسوله أعلم من فإنه جميل أنكم يعينكم دينكم» صحيح مسلم ج ١ ص ٣٦ - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه - رقم: ٨.
- (٥) الإمام البخاري - صحيح البخاري - ج ١ - باب الإيمان، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (رَبَّنَا اإِسْلَامَ عَلَى حَسْبِ) الحديث رقم: ٨. وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم: ١٦. وذكره العلامة المجلوف - كشف الخفاء - حروف الباء الموحدة - الحديث رقم: ٩٢٨. وذكره العلامة السندى - حاشية السندى على السنن - ٢٢٢٩ - باب على كنه بني الإسلام - الحديث رقم: ٤٩٩٩ وقال السندى «[بني الإسلام] يريد أنه لا بد من احتشام هذه الأمور الخمسة ليكون الإسلام سالما عن خطر اللوالب وكلما زال واحد من هذه الأمور ينساف زوال الإسلام بضمائه وللتنبية على هذا المعنى أن يلفظ البناء وفيه تشبيه الإسلام ببيت محصنة زواياه وتلك الزوايا أحراره فهو حدها أجمع يكون البيت سالما وعند زوال واحد ينساف على تمام البيت وإن كان قد بقي معيوباً إماماً والله تعالى أعلم [شهادة] بالقر على الدلية من حسن أو الرقة على أنه خير بخلاف أي هي شهادة الخ والمراد الشهادة بالتوحيد على وجه يعتد به وهو أن تكون مقرونة بالشهادة والله تعالى أعلم»

وقد جاءت السنة النبوية المنظورة موضحة ذلك في قوله ﷺ : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراك»<sup>١</sup>، بينما الميتافيزيقا تبحث نظري في جانب الألوهية فقط.

إذن الدين اعم من الميتافيزيقا؛ لأنه يشمل الجانبين، العملي والنظري، والعقدي والشرعي، بينما الميتافيزيقا لا تمثل إلا جزءاً محدداً هو مسألة الألوهية، ولا تعتبر النبوات والسموعات داخلية فيها، ولهذا ذكرت أن الدين الإسلامي أعم من الميتافيزيقا، ومن كل العلوم أنه الذي يؤسس لها ويحافظ عليها.

وربما توهم أن مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة، التي أحاطها البحث النظري بكثير من الاهتمام والعناية - تعطي مدلولاً بأن كلا منهما في ناحية، والمطلوب جمع شمل الأمرين، وليس الأمر كذلك؛ لأن مسألة التوفيق بين الدين والفلسفة عنت بجانب واحد من الدين، مع الفلسفة، ولنا نسلم بأن الفلسفة هي الميتافيزيقا، وإنما نميل إلى أن هناك فرقاً بين الفلسفة والميتافيزيقا على ما سللت الإشارة إليه.

كما أن مفكرى المسلمين، الذين عتوا بالتوفيق لم يذكروا اسم الفلسفة، وإنما ذكروا الحكمة، فمثلاً ابن رشد كتب: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، واستخدم لفظ الحكمة، ولم يذكر أبداً الفلسفة من هنا صرح القول: بأن المراد من الحكمة عنده، الميتافيزيقا وليس الفلسفة، وبالتالي يكون العمل الأصلي لهم هو التوفيق بين المباحث الميتافيزيقية التي عنت بمباحث الألوهية وبين النصوص الدينية، وليس الفلسفة التي عنت بمباحث الوجود والمعرفة والقيم.

### يد علاقة الفلسفة بتاريخ الفلسفة

هناك مصطلحات لابد من تفهم المتصود لها، يستوى في ذلك العلوم النظرية والتطبيقية، أو النظرية والعملية، من هذه المصطلحات تاريخ وتاريخ، فالتاريخ هو الحقب الزمنية التي تصاحب الأحداث التي جرت فيها، بحيث يكون شاهداً عليها، وبعبارة أخرى: التاريخ هو الوعاء الزمني الذي تجري فيه الأحداث.

(١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ١ ص ٩٨/٣٦ - الحديث رقم: ٩، وأخرجه البخاري في صحيحه ج: ١ ص ٢٧، ج: ٤ ص ١٧٩٣، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه ج: ٤ ص ٥، وابن حبان ج: ١ ص ٣٩١، وصند أبي عوانة ج: ٤ ص ١٩٤، وصن الترمذي ج: ٥ ص ٦، وجمع الزوائد ج: ١ ص ٣٨، وصن البيهقي الكبرى ج: ١ ص ٢٠٣، وصن السائي ج: ٨ ص ٩٩، وص ١٠٢، وصن ابن ماجة ج: ٤ ص ٢٥٠٢، وصن ابن أبي شيبة ج: ٥ ص ١٥٧، وصن أحمد ج: ١ ص ٣١٩، ٥١، ج: ٢ ص ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨،

١- التاريخ السياسي: وهو الذى يتحدث عن أحوال الأمم والدول والملوك والأمراء

٢- قال العماد الأصفيهان: «إن عادة التواريخ الابتداء ببدء الخلق، أو بدء دولة من الدول، فلا توجد دولة ألا ولها تاريخ يرجعون إليه، أو يعولون عليه، ينقله خلفها عن سلفها، وحاضرها عن غابرها، تفيد به شوارد الأيام، وتنصب به معالم الأعلام، ولولا ذلك لانتقطعت الوصل، وجهلت الدول، ومات في أيام الأواخر ذكر الأوائل».

٣- التاريخ الدينى: وهو الذى بين آثار قدره الله في خلقه كقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١). يقول الإمام القرطبي: «توله تعالى: ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أى الذين يستعملون عقولهم في تأمل الدلائل» (٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. يقول العلامة الضري: «يشه الله تعالى عباده على موضع الدلالة على ربوبيته وأنه خالق كل ما دونه إن في اعتقاب الليل والنهار واعتقاب النهار الليل إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب هذا وفيما خلق الله في السماوات من الشمس والقمر والنجوم وفي الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صناعا ليس كمثله شيء لآيات يقول لأدلة وحجج وأعلاما واضحة لقوم يتقون الله فيخافون وعبيده ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم فإن قال قائل أو لا دالة فيما خلق الله في السماوات والأرض على صانعه إلا لمن اتقى الله قيل في ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكل من صحت فطرته وبريء من العاهات قلبه ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تنوى الله وإثما معناه إن في ذلك لآيات لمن اتقى عقاب الله فلم يحمل هواه على خلاف ما وضع له من الحق لأن ذلك يدل كل ذي فطرة صحيحة على أن

(١) العلامة العماد بن محمد حامد الأصبهانى الشافعى - المنهج القدسى ص ٥٣ ط المطبعة المشرقية ١٣٢١ هـ.

(٢) سورة آل عمران - الآية ١٩٠. وثبت في التفسير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران، إذ قام من الليل لتهدده، فند أخرج الإمام البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بت عند خاتني ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فظفر إلى السماء، فقال: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾، ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فملى ركعتين، ثم خرج فملى بالناس المسمع... [الإمام البخارى - صحيح البخارى - كتاب العمل في الصلاة - باب استعانة اليد في الصلاة - إذا كان من أمر الصلاة، حديث رقم: ١١٩٨، وأخرجه مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب صلاة النبي ﷺ بالليل ج ٦ ص ٥١ النوى]

(٣) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ٣ ص ١٥٥٢.

(٤) سورة يونس - الآية ٦.



أ- التاريخ الكلى. ب- التاريخ العملى المراجع.

ج- التاريخ النقدى. د- التاريخ التصورى.

❖ **الخامس: التاريخ التأملى:** وهو الذى يتجاوز الحاضر الحسى، حتى يأخذ بصاحبه إلى بحث الماضى عمل العبرة، والحاضر حتى يستعد لمطالعة ما فيه، وينتقل للمستقبل، حتى يتصور ما يمكن أن يبي فيه.

❖ **السادس: التاريخ الفلسفى:** لا فلسفة التاريخ، وهو الذى يتابع حركة الأحداث الفكرية فى الجانب المتعلق بالأهداف العلمية على ناحية فنية<sup>(١)</sup>.

فإذا قبل تاريخ النحو مثلا، فإن المراد من هذا المصطلح هو الفترة التى ابتدأ فيها البحث حول التفكير فى النحو، وبناء قواعده، وتطبيق تلك القواعد والإضافات أو التعديلات التى تمت منذ بداية التفكير فيه حتى اللحظة التى نحن فيها.

أما التاريخ: فهو تدوين تلك الأحداث، بحيث يسهل تبادلها وتناولها، من خلال الحفظ فى الصدور، أو إبرازها فى الكتابة والسطور، ومن ثم فإن تاريخ النحو هو العلم الذى يقوم برصد الأحداث التى حرت لهذا العلم مدارسه كالبحر والكوفاة وبغداد، ومذاهبه كسيبويه<sup>(٢)</sup>، والراجح<sup>(٣)</sup>، وما يتعلق بذلك كله من خلافا ومعارك ينهض لها علم التاريخ.

(١) الدكتور نازلى إسماعيل حسين - فلسفة الحضارة ص ٢٧٥، وللدكتور رمزي حس عطاش - التاريخ والحضارة ص ٦١، وللدكتور فوزية السيد رجب - التاريخ والفلسفة ص ١٥٣.

(٢) سيبويه: اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمر بن وعل بن خالد بن مالك بن أدد ويكنى أبل بشر ويقال كنيته أبو الحسن وسيبويه بالنارسية ورائحة التفاح وأخذ النحو عن الخليل وهو أستاذة وعن عيسى بن عمير وعن يونس وعن غيرهم وأخذ اللغات عن أبي الخطاب الأحفش الكبير وغيره وعمل كتابه الذى لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلحق به بعده قرأت بخط أبي العباس تطلب اجتماع على صنعة كتاب سيبويه اثنا وأربعون انسانا منهم سيبويه والأصول والمسائل للخليل وقد قدم سيبويه أيام الرشيد إلى العراق وهو بن اثنين وثلاثين سنة وتروى وله نيف وأربعون سنة بفرس وقال غيره كان ورود العراق فاصدا يحيى بن خالد فجمع بينه وبين الكسائي والأخفش فاضربه وحاضبه في مسائل سلاة عنها وحاكاه إلى فتحاء الاعراب وكانوا قد وفدوا على السلطان وهم أبو قفيس وأبو ذناب وأبو الجراح وأبو نروان فكان الكسائي على الصواب وكتب الكسائي يحيى بن خالد فأجازه بعشرة آلاف درهم فأخذها وعاد إلى البصرة ومنها إلى فارس ومات بها سنة سبع وسبعين ومائة ومن غير خط تطلب كان المسند إذا أراد انسان أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له ركب البحر تعظيما له واستعظاما لما فيه وكان المازني يقول من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي. [ العلامة محمد بن إسحاق أبو الفرج الدمى المتوفى ٣٨٥ هـ - الفهرست ج ١ ص ٧٦ - دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ]

(٣) الزجاج: هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج كان فاضلا دينا حين الاعتقاد وله المصنفات الحسنة منها كتاب معاني القرآن وغيره من المصنفات العديدة المفيدة وقد كان أول أمره يخرط الزجاج فأحب علمه النحر فذهب إلى المرد وكان يعطي المرد كل يوم درهما ثم استغنى الزجاج وكثر ماله ولم يقطع عن المرد ذلك الدرهم حتى مات وقد كان الزجاج مودبا للقسام بن عبيد الله فلما ولي الوزارة كان الناس يأتونه بالرقاع ليقدّمها إلى الوزير فحصل له بسبب ذلك ما يزيد على أربعين ألف دينار تروى في جمادى الأولى منها وعنه أخذ أبو علي الفارسي النحوي وأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي نسب إليه لأخذه عنه وهو صاحب كتاب الجمل في النحو. توفي سنة ٣١٠ عشر وثلاثمائة. [ راجع البداية والنهاية لابن كثير . وكشف الظنون لحامى خليفة ٤٢٠/٢ ]

والفلسفة هي الأخرى كما أن لها موضوعا وأهدافا وفوائد مع وظائف، فإن لها أيضا تاريخا قد ابتدأ البحث حولها فيه، وكان شاهدا على الأحداث والتطورات أو الابتكارات التي حدثت للفلسفة أو الفلاسفة، حيث كان المؤرخ الفكري، يرصد ذلك كله في شيء من المتابعة الدقيقة، والتواصل المستمر<sup>(١)</sup>، إنه يرصد حركة الفكر الإنساني في جانب هام من جوانبه الفنية، ولذا فإن علاقته بالفلسفة هي علاقة مصاحبة للأحداث، والتعبير الحقيقي عنها، من غير إضافة إليها، أو نقصان لما هو قائم فيها.

ومن ثم فإن تاريخ الفلسفة يكون بمثابة المصور الفني لأحداثها، وبناء عليه يعتبر التاريخ بالنسبة للفلسفة أهم مصدر معرفي لمن أراد متابعة الأبحاث والنظريات الفلسفية، فإذا أنزلنا هذا التاريخ منزلة المؤرخ، أو استعنا المؤرخ بدل التاريخ، أمكن تشبيه تاريخ الفلسفة بالمعمر العجوز، الذي عاش منذ ظهور بدايات الحركة العقلية الفكرية إلى يومنا<sup>(٢)</sup>، وكان متمتعا بقدرات عقلية عالية، وحواس شديدة التركيز، ومقدرة فائقة على جمع المعلومات، ثم هو يكتفي للأجيال قصة الفلسفة، وهم يصغون إلى ذلك المعمر العاشق للفلسفة الذي كان يتابعها في كل مكان.

إن تاريخ الفلسفة أقرب شيها بالراوى أو القاص للملاحم وذكريات عاشها، وأحداث كلنا مشاركا فيها<sup>(٣)</sup>، ثم هو يتبرع بالحديث عنها في شيء من الاستفاضة التي لا تمل، والإنجاز الذي لا يخل، وبالتالي يضمن الانتباه إلى ما يكتبه ذلك الراوى، والإصغاء الشديد لكل ما يقصه؛ لأنه الشاهد على الأحداث الفلسفية وتطوراتها، وهو المشارك الجاد في نموها.

### ٣ صور العلاقة بين الفلسفة وتاريخ الفلسفة

٣-١ علاقة الفلسفة بتاريخ الفلسفة تبجيء في صوره عديدة. من أبرزها:

#### الأولى: الراوى والرواية

عرفنا أن التاريخ الفلسفى هو الراوى للأحداث والتطورات الفلسفية، وبالتالي فإذا لم يوجد ذلك الراوى ماتت الرواية، إذ من ذا الذى يمكن الإخبار عنها وهو لم يعاصر أحداثها، أو يمكنه الحديث بالتفصيل عن أخبارها، وهو لا علم له بشيء منها<sup>(٤)</sup>، إن العلاقة بينهما على تلك الناحية بارزة، وليس من السهل إنكارها.

(١) الدكتور: فوزية السيد رجب - التاريخ والفلسفة ص ١٧١ .

(٢) هذا المثال على سبيل التقريب، حيث يمكن للدارس التفرقة بين الفلسفة كعلم وبين تاريخ الفلسفة كمتحدث عنها، أو معصور للأحداث التي مرت بها.

(٣) الأستاذ صبرى حسن أبو طريلة - فن الرواية - تصدر الأستاذ محسن سامى ط أولى ١٩٣٥م.

(٤) الدكتور السيد محمد أبو الفتوح - دور القصة في صنع الأحداث ص ٢٣ ط ١٩٦١م، وراجع أيضا للأستاذ التهامى محمد طلعت - فن كتابة القصة ص ٣٥ .

❖ **وبما يقال:** إن الرواية فن أدبي، منها المرتجل والمقتبس، وفيها المترجم والأصيل، وبين جنباتها الواقعي والخيالي والبعث أو اللامعقول<sup>(١)</sup>، فهل تاريخ الفلسفة يكون هو السراوى للأحداث المرتجلة أم المقتبسة أو المترجمة في الفلسفة الواقعي أم الخيالي؟

**والجواب:** أن استعمال لفظ الراوى والرواية في الأدب على سبيل الاستعارة في الفلسفة، أمر وارد، فالكثير من العلوم تستعير من بعضها مفردات أو مصطلحات، يرى الدارسون فيها الحاجة داعية إليها، وليس في ذلك شيء يدعو للتساؤل أو الحيرة<sup>(٢)</sup>، كما أن الفلسفة في نظر التاريخ أحداث نزوى، وأخبار تقص، فالخيال فيها غير موجود، إنها أحداث وقعت وتطورات قاسمت، وتاريخ الفلسفة كان يرصد ذلك، من ثم فهو ينكي ما شاهده على وجه تفصيلي.

### **الثانية: الرصيد الوثائقي:**

ذلك أن مباحث الفلسفة لم تقم كلها في لحظة واحدة، كما أن ميادينها لم تقعد في يوم واحد، إنها ليست كالقوانين التي تصدرها المجالس النيابية في جلسة واحدة، أو المجالس التشريعية في مسودات ومقررات، يمكن النظر فيها، حتى تتم الموافقة عليها، واعتبارها تشريعاً ثابتاً؛ لأن الفلسفة ابتدأت بتأملات عقلية فردية محدودة، لم يعلن عنها في ظل العصور التي سبقت عصر الفيلسوف المنظم<sup>(٣)</sup>.

وكل مفكر يعمل في مجال الفلسفة لابد أن يراجع تاريخ الفلسفة، حتى يتعرف الجوانب التي تركها من سبق، ثم ينظر فيها بنفسه، فما رآه معها يحتاج إصلاحاً قام به إن كان يتمكن من ذلك، وما كان فيها يحتاج إضافة، فإنه لا يتوانى في الإعلان عنه والتأكيد عليها<sup>(٤)</sup>، وإذا رأى فيها من أوجه الإلتقان والإضافة، فإنه ينظر إليها، بحيث يستفيد منها جميعاً، على أية ناحية، إذن تاريخ الفلسفة هو الرصيد الوثائقي، ومستودع الفكر للفيلسوف يرجع إليه، ويأخذ منه، ثم يضيف إليه ما يرى إمكانية إضافته إليه.

### **الثالثة: التجديد والإحياء للأفكار:**

عرفت أن الفلسفة لم تنشأ كلها في لحظة واحدة، كما عرفت أنها مرت بعصور مختلفة، وكان لتاريخ الفلسفة دور هائل في تجديد الأفكار الفلسفية من خلال إعادة النظر المتواصل في

(١) راجع لنوماني هيرز - الأدب الروائي ص ٣٧ - ترجمة حنان فوزي، وراجع للأستاذ صبرت حسب الله - الأدب بين القديم والحديث والمعاصر ص ٣١ طبعة أول ١٩٦٧م.

(٢) الدكتور السيد محمد أبو الفضل - دور الفقه في صنع الأحداث ص ٤١ ط مطبعة الجامعة ١٩٦٥م.

(٣) راجع ملامح هذا العصر في كتابنا الفيلسوف (مفهومه - بواعثه - خصائصه ) ، وكتابنا المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية، ففي كل واحد منهما شيء يكامل مع الآخر.

(٤) راجع للدكتور محمود حسن صبره - الفيلسوف ودوره في البناء الفلسفي ص ٧١ ط مراكش.



المباحث التي تعكف عليها، كما أنه الذي يعمل على إحياء بعض الأفكار والنظريات الفلسفية، التي انطمرت أبان عصور الظلام، أو الاضطهاد الفكري<sup>(١)</sup>، ويظل تاريخ الفلسفة متمسكا بها يعلن عنها في إخفاء مقصود حيناً، أو في شيء من الاستحياء للمتعمد حيناً آخر، حتى يتمكن من الحرب بما بعيدا عن خصومها، الذين رصدوا العيون لاجتثاثها من أصولها.

والتاريخ يعيد للحياة موت الأفكار، ويبحث فيها مباحج الحياة، وفي كتابة التاريخ أحياء كامل للماضي، وانتقال متواصل بالأفكار من عالم النسيان إلى عالم التذكر والتحفير والانطلاق مع المعالجة النامة، لكل أوجه القصور على ناحية مقصودة<sup>(٢)</sup>، وفي الحكم يقولون:

**ومن وعى التاريخ في صدره .. فقد أضاف أعماراً إلى عمره**

ثم إن التاريخ الفلسفي بالنسبة للفلسفة يكون بمثابة الرصيد الذهني التراكمي الذي ينفذ كافة العمليات العقلية التي قام بها الفكر الإنسان في مراحل المختلفة، وزحفت معه هذه العمليات العقلية في شكل متواصل تحكي قصة كفاحه، وتدعم مواقفه العلمية<sup>(٣)</sup>، إنه أشبه بالمهندس السذي يقوم بمتابعة غزوة الأساس في المواد التي يقوم بالعمل فيها، فإذا وجد منه مطمورا، أبرزه ثم دفع به إلى من يظهر أرضيته، ويعيد إليه رونقه، فيكون بذلك قد أعاده للحياة جديداً. أما كيف؟

**الجواب:** أن التاريخ الفكري قد أنبأ عن ميلاد حضارات مختلفة منذ عصر ما قبل التاريخ، حيث وجدت آثار العصر الحجري الأول، الذي يرجع إلى التين وأربعين ألف عام قبل الميلاد، في جبل القرية غرب النيل من نجاد مصر، وكذلك في صحراء العباسية من شمال القاهرة، وكان الإنسان في تلك العصور الغابرة يستخدم الحجر الصوان في صنع الأدوات التي يحتاجها في أعمال الصيد، والدفاع عن نفسه.

وفي هذا العصر كانت تنتشر حضارة ما قبل العصور التاريخية في أفريقيا، والشرق الأدنى، وجنوب غرب أوروبا، أي حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط<sup>(٤)</sup>، ولكن الإنسان المعاصر لم ينقطع عن الماضي، وإنما راح يعيش فيه. ويؤثر جنياته لا رفضاً للذكريات، الماضي، وإنما طلباً لنظرة منه بالأفكار التي كان لها دور كبير في تفعيل الحضارة، حين قامت عليها، أو كان لها دور في إنشائها حضارة مستحددة، تكون لها الريادة، بجانب الأسس القوية، التي يمكن الاعتماد عليها بشكل أكثر دقة، وأوسع انتشاراً، وأعمق تأثيراً<sup>(٥)</sup>.

(١) الدكتور صابر حسن المجلد - تاريخ الفلسفة ص ٣٣ ط دار مراد ١٩٥٧م.

(٢) الدكتور صبحي حسن السامرائي - الفلسفة والتاريخ ص ٤٥ ط ١٩٥٧م.

(٣) الدكتورة ناهد عبد العظيم الخواصر - في تاريخ الفلسفة ص ٢٧.

(٤) الدكتورة نازلي إسماعيل حبيب - فلسفة اختياره ص ٨ مكتبة سعد رافت.

(٥) الدكتور صابر حسن المجلد - تاريخ الفلسفة ص ٥٧ ط مطبعة الهدى ١٩٧٥م.

ولما كانت الحضارة لا تقوم من فراغ، وإنما لابد في إقامتها من قواعد فنية تنهض عليها، فإن عملية التحديد والإحياء لذات الأفكار، يكون من طبيعة العلاقة التي تربط بين الفلسفة وتاريخ الفلسفة.

#### الرابعة : التبادل العضوي

من المؤكد أن الفلسفة بحث عقلى حر، يقوم به كل مفكر أو فيلسوف حسب طاقته. ويبرز فيه مجهوده الذهني، ويكون التاريخ الفلسفي مشاهدا لتلك المحاولات كلها، بحيث تقسم هذه العمليات العقلية في الحجاب الفلسفي، جزءا من التاريخ الذي يرويها، كما يكون التاريخ نفسه جزءا من العمليات الفلسفية. باعتبار أنه منظم مد من فيها<sup>(١)</sup>. ودليل ذلك ظهور علم فلسفة التاريخ الذي يقوم بمهام غاية في الصعق الفلسفي. وعلى جانب كبير من الأهمية المتسعة أيضا.

وهذا التبادل العضوي كائن في جزئيات التاريخ التي تتداخل معها بعض أجزاء الفلسفة. حتى تكون شيئا واحدا، أو عجيبة اختلطت منها المادة والصورة، وتلاقت الميسول مع العليل<sup>(٢)</sup>. في طريق واحد جرى بداخله التألف والتأزر، فصار كل جزء عوضا للآخر، إذا فقد<sup>(٣)</sup>، أو كليا آخرى عليه أحكامه في صورة أقرب الأشياء والنظائر بالقصر الواسع، الذي اختلطت مادته بصورته وتواري حديده مع الأسمت والجص وباقي المواد الخام، التي قام عليها القصر الواسع، بل يمكن القول بأنه لم يعد لشيء من هذه المواد وجود مستقل عن الآخر، حتى لو كان جملة الأحجار التي بنى القصر الواسع بها أو أقيم عليها.

ودليل ذلك ما ذهب إليه البعض، من أن التاريخ الفلسفي ما هو إلا محاولة لتبرير حقيقة التاريخ الكلي، وإذا كانت الفلسفة تهتم بالعناصر القبلية للمعرفة، فإنه يبدو أنه لا وجود لعلم فلسفة التاريخ، الذي يهتم بدراسة الواقع الذي كان، أو الكائن بالفعل<sup>(٤)</sup>، فكل من الفلسفة وتاريخ الفلسفة يتكامل مع الآخر، كأنه نسيجه الذي تكون منه، أو طبيعته المتداخلة مع بنائه الحقيقي.

(١) هذا من الأدلة العقلية على وجود علاقة عضوية بين الفلسفة وتاريخ الفلسفة. ومفهوم العضوية هنا هو فيسالم أجزاء الفلسفة داخل أجزاء تأويخ الفلسفة، وكذلك الحال مع تاريخ الفلسفة بالنسبة للفلسفة أيضا، فمفهوم علاقة العضوية بينهما قائم لا ينقطع.

(٢) العلل تتعدد في الفلسفة. فمنها: أ- العلة التامة. ب- العلة الناقصة. ج- العلة المرحدة. د- العلة الدائرة. هـ- العلة الغائبة. و- العلة المادية. ز- العلة الفاعلة. ح- العلة الصورية. م- العلة المستحقة. [ راجع تفاصيل ذلك في كتابنا: الإلهيات عند ابن سينا ص ٣٧ وما بعدها ]

(٣) الدكتور ناهد عبدالعظيم الخواص - في تاريخ الفلسفة ص ٣١.

(٤) الدكتور نازلي إسماعيل حسين - فلسفة الحضارة ص ٢٨٦.

وفي تقديرى: أن عملية الترابط بين أجزاء التاريخ العام، والفكر الفلسفى تمتد في حركات الزمن الفلكى<sup>(١)</sup>، منذ بداية الوجود الإنسان؛ لأن الحركة العقلية تمر في زمان محدد عيسى ناحية فلكية، وتبقى ذات الحركة في جزء من الزمان، ثم إن هذه الحركات هي الممثل للزمان نفسه، وبالتالي فالعلاقة بينهما أخذت في الامتداد للخلف والأمام معا.

#### الخامسة: الاستمرارية

من البدهى القول بأن تاريخ الفلسفة يساير ذات الحركة الفلسفية، باعتبار أنه ما من حركة فكرية ألا وتبقى في زمان بعينه، فاستمرار الحركة الفكرية يؤاخي استمرار الفترات الزمانية، أو التاريخ الفلسفى<sup>(٢)</sup>، كما أن التناجى الفلسفى أشبه بالنهار المائى، المتدفق بالنهر، والتاريخ الفلسفى يكون بمثابة أرضية النهر وجسوره، أو أشبه صورته بالتيار الهوائى، والتاريخ الفلسفى يكون بمثابة الغلاف الجوى، الذى يحيط بالهواء، ويحفظ عليه حركته، حتى لا يقع بداخله أى نوع من أنواع الانفلات الهوائى..

إذن كلما وجد فكر فلسفى كان التاريخ مصاحبا له، متابعا لخطواته متحدثا عنه، فإذا أراد باحث استرجاع شيء من هذا الفكر، فما عليه إلا أن يعود إلى التاريخ الفلسفى، الذى يعد بمثابة الحافظة والذاكرة الواعية، لكل فكر فلسفى على الخصوص<sup>(٣)</sup>.

ومن البدهى القول بأن الحركة الفكرية تأخذ في الامتداد من كل ناحية، فهو تغدو باحثة في مسألة الوجود لدى الفيلسوف، ثم لا تلبث أن تنتقل منها إلى بحث الوجود ذاته لدى عالم الفيزياء، وفي نفس الغدوة تبحث مسألة الوجود على الناحية التى يقف عندها عالم النفس<sup>(٤)</sup>، إذن الحركة الفكرية في وقت واحد انطلقت في اتجاهات متباينة متباعدة، ومن البدهى أيضا القول بأنما في كل هذه الحالات كانت مرتبطة بالتاريخ ارتباطا وثيقا، وهو المقصود بعلاقة الاستمرار بينهما.

(١) الزمان أنواع: الأول: المقدر في علم الله الأزل، السابق لخلق الكون، واللاحق له، وفي الحديث الشريف: عن عبد الله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله منادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرضه على الماء. [الإمام مسلم - صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٤٤ رقم: ٢٦٥٣]. الثاني: الفلكى وهو المرتبط بحركة الليل والنهار. قال تعالى: (وَحَقَّقْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَنْ حَمَلِ اللَّيْلَ فَحَقَّقْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبِينَةً لِّمَنْ يَشَاءُ فَمَنْ تَبِعَ آيَةَ اللَّيْلِ فَحَقَّقْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبِينَةً لِّمَنْ يَشَاءُ فَمَنْ تَبِعَ آيَةَ النَّهَارِ فَحَقَّقْنَا آيَةَ اللَّيْلِ فَحَقَّقْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبِينَةً لِّمَنْ يَشَاءُ فَمَنْ تَبِعَ آيَةَ اللَّيْلِ فَحَقَّقْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبِينَةً لِّمَنْ يَشَاءُ). [سورة الإسراء - الآية ١٢]، وقال تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَسُومُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَتِمُّ بِهَا أَرْبَعَةٌ حَرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَغْلِبُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا كَفَّ كَيْدًا يُغْلِبُكُمْ كَمَا فَعَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [سورة التوبة - الآية ٣٦] الثالث: البيولوجى وهو المتعلق بالحلية على الحساب الإحيائى. [راجع في كتابنا: الإيمان بالمعيب وأثره على الفكر الإسلامى]

(٢) الدكتور صبحى حسن السامرائى - الفلسفة والتاريخ ص ٤٧ ط تونس ١٩٦١م.

(٣) الدكتورة ناهد عبدالمعظم الخواص - في تاريخ الفلسفة ص ٣١.

(٤) الدكتور صابر حسن المحلان - تاريخ الفلسفة ص ٦٦.

إن الفلسفة والتاريخ الفلسفي أقرب شبيها بالجنين والرباط السري، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وإلا حدث التدمير والفناء لكليهما على السواء، إنه لا توجد حركة مكانية، ألا وهي قائمة في زمان، ولا توجد حركة فكرية ألا وهي مرصودة بتاريخ، فالاستمرارية بينهما تعد من أبرز سمات العلاقة التي تجمعهما<sup>(١)</sup>.

وفي تقديري: أن علاقة الفلسفة بتاريخ الفلسفة، نقيض في صور عديدة عند التفصيل، لكن عند الإجمال يكون من السهل جمع كل هذه الصور في تشبيه الفلسفة والتاريخ الفلسفي بالهواء والريتين، كل منهما يحتاج الآخر ضرورة، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، لأي سبب سوى المسوت، ومن ماتت الفلسفة فقد مات التاريخ الفلسفي، وإن بقي التاريخ بمفهومه الكلي العالم، بيد أنها لما كانت عملاً عقلياً، فإنها قد تنطمر في نفوس أصحابها حيناً من الزمان، لعدم القدرة على الإعلان عنها، لكنها لا تموت، وبالتالي يكون من غير المقبول الإدلاء بتصريحات تبشر بموت الفلسفة، أو انعدام الحركة العقلية على هذا الجانب الإبداعي.

### ثالثاً: دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي

الإسلام هو دين الله رب العالمين، ارتضاه الله جل علاه للمكلفين، وبعث به الأنبياء والمرسلين<sup>(٢)</sup>، وختمهم بسيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وبين جل علاه: أن هذا الدين هو المقبول وحده عند الله تعالى في الدنيا والآخرة، فلا يهودية ولا نصرانية ولا بوذية، ولا كونفوشيوسية، ولا أية ديانة أخرى، كما ذكر جل علاه أن أية اعتقادات من هذا القبيل تكون فاسدة مردودة في وجوه أصحابها. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع كتابنا: رياض الأسرى في الميثاقين والأخلاق ص ٩٩.

(٢) هذه الخصيصة في الدين الإسلامي ثابتة، بل الإسلام هو الدين الوحيد الذي جاء به كل رسل الله تعالى إلى كل المكلفين حين تقوم الساعة.

(٣) راجع كتابنا الدرة البيرة في الدفاع عن السنة النبوية الفصححة المظهرة ج ٢ ص ٨٧.

(٤) سورة التوبة - من الآية ٣. يقول العلامة الرازي: «والمعنى أن الله تعالى أكمل الدين فلا يحتاج الناس إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعث إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء آخر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلاف» [الإمام فخر الدين الرازي - مفاتيح الغيب - ج ٥ ص ٥٦٣ - ط ١ دار الفند العربي بالقاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م].

(٥) سورة آل عمران - الآية ٨٥.

يقول العلامة الحافظ ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ أي من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه، ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" (١). وعن عائشة أم المؤمنين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أخذت في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد» (٢).

ولما كان الإسلام بهذا الكمال والتمام، فقد جعلته نصوص ثابتة في مصادرها مرنة في التعامل معها (٣)، بحيث تكون من الوفاء حتى تلي احتياجات الخلائق في كل ما يتعلق بأمور الدنيا إلى يوم القيامة، وهذه النصوص تقوم على مصدرين:

#### ❖ الأول: القرآن الكريم -

القرآن عند أهل أصول الفقه هو اللفظ المنزل على سيدنا محمد للإعجاز بأقصى بسورة منه، المكروب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة (٤)، والقرآن عند أهل الحق العلم اللبدي الإجمالي الجامع للحقائق كلها (٥).

#### ❖ الثاني: السنة النبوية المظهرة الصحيحة:

السنة في اللغة الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية والعادة وفي الشريعة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض وجوب، كما أنها ما واطب النبي صلى الله عليه وسلم عليها مع الترك أحياناً فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العادة فستن الهدى وإن كانت على سبيل العادة فستن الزوائد، باعتبار أن سنة الهدى ما يكون إقامتها تكميلاً للدين وهي التي تتعلق بتركها كراهة أو إساءة وسنة الزوائد هي التي يكون أخذها هدى أي إقامتها حسنة ولا يتعلق بتركها كراهة ولا إساءة كسير النبي صلى الله عليه وسلم في قيامه وقعوده ولباسه وأكله.

كما تعرف بأنها مشتركة بين ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير وبين ما واطب النبي صلى الله عليه وسلم عليه بلا وجوب وهي بوعان:

(١) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم (٢/٢١٢).

(٢) الإمام محمد بن ماجة القزويني - سنن ابن ماجة - باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفريط عنه من عارضه - الحديث رقم: ١٤ - وأبو داود في سنه - باب في لزوم السنة - الحديث رقم: ٤٦٠٦ | والمراد: [ (ي أمرنا) أي في شأننا، فالأمر واحد الأمور، أو في ما أمرنا به، فالأمر واحد الأوامر. (فهو رد) أي مردود].

(٣) هناك فرق بين ثبات النصوص ومرونتها؛ لأن الثبات قائم في كونها هي المصادر الصحيحة، أما المرونة فهي قائمة في معنى تحول النص لكل الأحداث وقدرته على استيعاب كافة المتطلبات، وإشباع كل الرغبات، وذلك من سمات القرآن الكريم وخصائص حديث النبوي الشريف الصحيح.

(٤) العلامة الخرجاني - التعريفات ج ١ ص ٢٢٣ رقم: ١١٢٩.

(٥) الدررمة المنادي - التعاريف ج ١ ص ٥٧٨.

**الأول: سنة هدي:** ويقال لها السنة المؤكدة كالأذان والإقامة والسنن والرواتب مسن الصلاة والصيام والمضضة والاستنشاق على رأي وحكمها المطالبة بما في دار الدنيا كالتواجب، إلا أن تاركه يعاقب وتاركها لا يعاقب.

**الثاني: سنن الزوائد:** كأذان المنفرد والسواك والأفعال المعهودة في الصلاة وفي خارجها وتاركها غير معاقب<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت هما نصوص القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية المظهرة الصحيحة أيضاً. فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فالنور هو السنة النبوية المظهرة، والكتاب المبين هو القرآن الكريم، كما يطلق النور على الله عز وجل. وعلى النبي ﷺ أيضاً.

يقول الإمام القرطبي: «سمى الله تعالى كتابه نوراً فقال: وَرَبَّمَا إِلَيْكُمْ نُورًا مَبِينًا. وسمى نبيه نوراً فقال: قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول ووجه الإضافة إلى الله تعالى أنه مثبت الدلالة ومبينها ووضعها»<sup>(٣)</sup>.

﴿وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾﴾<sup>(٤)</sup>، فالرسول الكريم ﷺ جاء بالنقل المتزل كله، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المظهرة الصحيحة.

﴿يقول السيوطي: «كان يؤتيهم الغنائم وينهاهم عن الغلول. كما أن الله تعالى قد أمرهم أن يتمسكوا بما آتاهم به الرسول. وعن ابن جريج من طاعني وأمرني (فخذوه وما نهاكم عنه) من معصيتي فانتهوا.

﴿وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ألم يقل الله ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قالوا: بلى، قال: ألم يقل الله: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم شئ من أمرهم﴾﴾<sup>(٥)</sup>، انتهى قال: فإني أشهد أن رسول الله ﷺ نهي عن الدباء»<sup>(٦)</sup>.

(١) السيد الشريف الجرجاني - التعريفات ج ١ ص ١٦١/١٦٢ رقم: ٨٠٥.

(٢) سورة المائدة - من الآية ١٥.

(٣) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص: ٢٥٧.

(٤) سورة المائدة - الآية ٧.

(٥) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

(٦) الدباء: «القرع واحدها دباءة كانوا يشدون فيها فشرع الشدة في الشراب وتحرمت الانتباه في هذه الظروف كان في صدر الإسلام ثم نسخ وهو المذهب وذهب مالك وأحمد إلى بقاء التحريم» [العلامة ابن الأثير - النهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٩٦]، ويقول الرازي: «الدباء: بالنقص والتشديد والمذ القرع الواحدة دباءة» [عناصر الصحاح ج ١ ص ٨٣].



وقوله صلى الله عليه وسلم: «ترك فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ قال: «ترك فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به. كتاب الله. وأنتم تسألون عني. فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت<sup>(٢)</sup>. وعن المقداد عن رسول الله ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(٣)</sup>.

بيد أن هذه النصوص التي هي مصدر الإسلام الأول، قد أخذت الإنسان إلى الأصول الأولى، التي ترضى الله عز وجل، ثم جعلته يتأمل في كل ما يمكن التأمل فيه من النظر حول الملكوت على كل ناحية، والاستدلال بالخالق على خلقه، والاستدلال بالخلق على الخالق أيضا.

يقول الإمام الغزالي: «والأصل هو معرفة الله تعالى، ثم سلوطة الطريق إليه، فأما أسر الآخرة فيكنى فيه الإيمان المطلق، فإن للعارف المطيع معادا مسعدا، وللجاهل العاصي معادا مشقيا، فأما معرفة تفصيل ذلك فليس بشرط في السلوك، لكنه زيادة تكميل للتشويق والتحذير»<sup>(٤)</sup>.

ومن المعلوم أن نصوص القرآن الكريم كلها قطعية في ثبوتها عن الله تعالى، وهو معنى قطعي الورود<sup>(٥)</sup>، لكنها قد تكون قطعية في دلالتها، متى كانت الألفاظ لا تختمل سوى معنى واحد<sup>(٦)</sup>، وقد

(١) الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥/٣٢١هـ) - المستدرک علی الصحیحین - طبعه دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م/١٤١١هـ الأول - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. ج ١ ص ١٧١ - الحديث رقم: ٣١٨

(٢) الإمام مسلم - صحيح الإمام مسلم. - باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث رقم: ١٤٧ - (١٢١٨) من رواية حاتم بن إسماعيل السدي عن جعفر بن محمد، عن أبيه. وأخرجه الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني [٢٠٧هـ/٢٧٥هـ] (ابن ماجه) في سنن ابن ماجه (طبعة دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) - باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم. - الحديث رقم: ٣٠٧٤

(٣) الإمام أبو داود - سنن أبي داود - باب في لزوم شهادته - الحديث رقم: ٤٦٠٤، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج ٤ ص ٢٣٠ - الحديث: ١٧٢١٣، وأخرجه البيهقي - سنن البيهقي الكبرى ج ٩ ص ٣٣٢ - الحديث: ١٩٢٥٣. وعن حابر بن عبد الله قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة يوم عرفة وهو على ناقه الفصاء يخطب فسمعتة يقول: يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» [سنن الترمذي (وشرح المثل)، - مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. في الحديث رقم: ٣٨٧٤]، وأخرج ابن حبان بلفظ عن النبي ﷺ: «إني أوتيت الكتاب وما بعده يوشك سبعان على أركبته أن يقول ببي وبنيكم هذا الكتاب فما كان فيه من حلال أحلناه وما كان فيه من حرام حرماناه ألا وإنه ليس كذلك». [العلامة ابن حبان - صحيح ابن حبان ج ١ ص ١٨٨ - ذكر الخبر (مترج) بأن سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم كلها عن الله لا من تلقاء نفسه الحديث: ١٢]

(٤) الإمام الغزالي - جواهر القرآن ص ١٢ - المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٣٣٥هـ.

(٥) الشيخ محمد الدهشان حبر الله - تحمل الأصول ص ٢٣ - طعة الدار الرحمانية ١٤٣١م.



تكون ظنية في دلالتها، متى كان اللفظ بإمكانه أن يعمل أكثر من معنى، أو أن اللفظ الواحد تتنازع جملة من المعاني، وكلها مرادة<sup>(١)</sup>، وإن اختلفت جهات تلك المعاني، وتنوعت بين المفاهيم اللغوية، أو البلاغية، أو جاءت على ناحية أصولية، أو انطلقت إشاراتها إلى ناحية وجدانية أو فقهية، فضلاً عن كونها علمية، إلى آخر ما نقي عليه المفاهيم.

ثم كما أن النقل المنزل قد جاءت في الفاظه جهتان:

☆ الأولى : جهة المحكم في معناه.

☆ الثانية: جهة التشابه في معناه<sup>(٢)</sup>.

إذن النقل المنزل قطعي في وروده، لكنه يكون ظنياً في دلالاته، فيحتاج بمجهودات عقلية واسعة، تكون غايتها التعرف عليه، بحيث تخرج النتائج الواردة فيه من مجال التأمل المجرد إلى مجال الاجتهاد المنظم، القائم على أسس علمية وإيمانية صحيحة.

كما أن هذا النقل التشابه في معناه، قائم هو الآخر على الاجتهاد في تفهم المعاني الواردة، وذلك مما يفتح الباب واسعاً أمام المفكر المسلم، حتى يبذل جهده الفكري وطاقاته العقلية، خادمة لدين الله تعالى، واتباعاً لأوامره جل شأنه، وهو معنى الإبداع الفكري.

إذن وجود النقل المنزل في جانبه ظني الدلالة متشابه المعنى، قد فتح باب التأمل العقلي في كل أجزاء الكون، ولما كان بعض هذه النصوص قد تحدثت عن العوالم الغيبية، كما تحدث بعض آخر عن عالم الشهادة، فإن عالم الشهادة قد ساق المفكر المسلم سوقاً إلى استعمال قياس الغائب على الشاهد في بعض المعاني، التي يصعب على العقل وحده الوصول إليها، أو الاستدلال عليها.

ولما كانت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ألفاظ عربية، تكتنفها الاحتمالات؛ باعتبار أن دلالتها ليست قطعية في الأعم الأغلب<sup>(٣)</sup>، فمن هنا كانت الضرورة الشرعية قاضية ببذل الجهود العقلية كله فيه، بغية الوصول إلى حلول تكون ذات فعالية بالنسبة للمشكلات التي تعترض مسيرة الحياة الفكرية.

(١) الشيخ محمد نصر الدين - في علوم القرآن ص ١٧١ - ط ١ الدار الوطنية ١٣٣٥ هـ.

(٢) المقصود بالمراد هنا أنها تصلح للانتفاع بها في العلم الذي هو من ناحيته، إذ لا يعقل أن تكون معاني الألفاظ كلها مرادة، ثم يقع لها شيء من الخبس.

(٣) راجع في ذلك الشأن: مناهل العرفان في علوم القرآن للعلامة الزرقاني، والتهيان في علوم القرآن للعلامة الواحدي، والإتقان للعلامة السيوطي، والتهران في علوم القرآن للعلامة الزركشي.

(٤) الدكتور عبدالمعظم شرق الدين - تاريخ التشريع ص ١٢١، ورد المختار على الدر المختار ج ١ ص ٨٩، وراجع شفاء العليل ج ١، وحاشية الديلموني على الشرح الكبير ج ١ ص ٢١٧، وراجع كشف القناع ج ٤ وشرح الأزهري ج ٣.

ولما كانت هذه التأملات العقلية، هي التي يتولد عنها التفكير الفلسفي، فقد أمكن القول بأن النصوص الإسلامية قد دعت إلى ممارسة الحكمة ورعايتها، حتى تسير في كافة الاتجاهات المشروعة، من بحث عالم الشهادة في جانبيه الفيزيقي والميتافيزيقي معاً، كما أن الإسلام قد دعا إلى ممارسة عملية التطور من خلال التأمل العقلي في جوانبه المختلفة<sup>(١)</sup>، وبخاصة الفكر الفلسفي.

(١) سوف أتناول دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي بصورة أوسع في طيفقة مقبلة، إن شاء الله تعالى.

# الباب الرابع

حكم دراستها  
في البيئة الإسلامية



## مَهَيِّدٌ

تعتبر دراسة الفلسفة والاشتغال بها من القضايا التي كانت على خلاف في البيئة الإسلامية، باعتبار أن المفكر المسلم لا يقبل على علم من العلوم، دراسة له أو اشتغالا به، إلا إذا كان في إطار الأحكام الشرعية، وإلا كان الدارس له أو المشتغل به مخالفا للمنهج القرآني في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

غير أن الفلسفة كانت متميزة عن العلوم الأخرى في الهجوم المتواصل عليها، أو الإقبال على وصف المشتغلين بها، بالعديد من الصفات الذميمة، فمنها ما يقع في دائرة الاتهام بالخروج على تعاليم

(١) وهذا أمر من الله تعالى بالترحم ما شرعه تعالى في كتبه، وما جاء على لسان رسله، وفي الأثر: «عن عبد الله بن مسعود قال اتبعوا ولا تتدعوا فقد كفيتم وكل بدعة ضلالة» [الطبراني - المعجم الكبير ج ٩ ص ١٥٤ - رقم: ٨٧٧٠، والدارمي - سنن الدارمي ج ١ ص ٨٠ رقم: ٢٠٥، والهيتمي - مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨١ - باب الإفتاء بالسلف، ورواه المحللون - كشف الخفاء ج ١ ص ٣٤٤] عن أبي مسعود من قوله ولا تستشرفوا البلية فاعلموا مولعة بمن يشرف لها أن البلاد مولع بالكنم فاتبعوا ولا تتدعوا فقد كفيتم». والاتباع غير الابتداع، فقد ذهب العلماء إلى أن البدعة لغة: ما كان مختزعا على غير مثال سابق، وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع. [الشيخ محمد العليدي - الإسلام دين خالد ص ٨١] وتنقسم إلى قسمين، وكل منهما أنواع من حيث الحكم الشرعي والعقلي، فمن ناحية الحكم الشرعي تنوع إلى خمسة أنواع.

الأول: الواجب وهو ما تناوله قواعد الوجوب وأدلته من الشرع، كتدوين القرآن الكريم والشرائع، إذا ضيف عليها الضياع، فإن التبليغ لن يعدنا من القرون واجب إجماعا وإعمال ذلك حرام إجماعا، وما لا يتأتى الواجب المطلق إلا به، فهو واجب.

وثانيها: حرام: وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم، وأدلتها الشرعية كالمكوس، وتقديم الجهال على العلماء، وتولية المنقلب الشرعية من لا يصلح لها بطريق التراتب، وجعل المستند في ذلك كون المنصب كان لايه وليس فيه أهلية له.

وثالثها: مندوب وهو ما تناوله قواعد الندب وأدلتها كصلاة التراويح جماعة، وإقامة صور الأئمة والقضاة وولاية الأمور على خلاف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم... وأحداث الربط والمدارس وكل إحسان لم يعهد في الزمان الأول والكلام في دقائق التصوف.

ورابعها: مكروه وهو ما تناوله أدلة الكراهة من الشريعة وقواعدها كتخصيص الأيام الفاضلة على غيرها بنوع من العبادة، وزخرفة المساجد، وتزويق المساحف.

وخامسها مباح وهو ما تناوله أدلة الإباحة وقواعدها من الشريعة، كاختيار المناهل للدقيق في الآثار أول شيء أحدثه للناس بعد رسول الله أنفاذ المناهل؛ لأن لين العيش وإصلاحه من المباحات فرسانه مباحة أيضا، وكذلك التوسع في لذيق المأكول والمشارب، وتوسيع الأكل من أطراف التميمي. [العلامة الشيخ محمد نوري الشافعي - نور الظلام ص ٦]، وشرف يأتي لذلك تعميل بناسب المنام - إن شاء الله تعالى -.

(٢) سورة الأعراف - الآية ٣.

الدين تارة، ومنها مخالفة القوانين العامة تارة أخرى، ومنها ما يقع في دائرة انتهاك الأعراف المستقرة والقواعد العلمية الثابتة تارة ثالثة.

وكانت هذه المسائل تصاحب الفلسفة في رحلتها الطويلة، فمنذ عصر التفكير الغير منظم إلى يومنا هذا والاتهامات القاسية توجه إلى الفلسفة على كل ناحية، والسهام تحاول النيل منها، وإحداث الفروقة بين موضوعاتها، كما أن رماح الخصوم ما تزال مخضبة بدماء أحرار الفكر<sup>(١)</sup>.

فالمصريون القدماء كانوا ينظرون للفلسفة أول الأمر على أنها ضرب من العبث، وأن المشتغلين بها يمكن وصفهم بفاقدى الأهلية؛ لأنهم يبحثون مسائل أعلى من العقل وقدراته، كما أنهم يمارسون قواعد فكرية، تصعب بخارة الآخرين لهم في فهمها وتقليدهم فيها، أو ممارستها<sup>(٢)</sup>، ولكن تغيرت نظرتهم للفلسفة والفلاسفة فيما بعد، حتى اشتغلوا بها واستفادوا بوظائفها وفوائدها في حياتهم العملية والعلمية، فكانت مخضبتهم التي ما تزال الأهرامات شاهدة عليها.

كما كان الحال في بلاد اليونان، الذين وقفوا للفلاسفة على كل ناحية، حيث تابعوهم بالمطاردة، ولاحقوهم بالأحكام القاسية، وكانوا ينظرون إليهم نظرة بغض وكراهية، أو نظرة احتقار وامتنان<sup>(٣)</sup>، ونظروا إلى أتباعهم على أنهم خارجون على الأنظمة القائمة، وقد بلغ بهم إصدار أحكام النفي أو الإعدام على بعضهم، كرها للفلسفة والمشتغلين بها، والمتحلفين حولهم.

أما العصور الوسطى فقد كان أمر الفلاسفة فيها يوسف له، أكثر من ذي قبل؛ لأنه في عصور الظلام والجهل والاستبداد، لا يمكن الاستماع إلا إلى صوت القيادة السياسية، الذي تدعمه فتاوى وأحكام القيادة الدينية، فكل ما يصدره السياسيون يقننه رجال الدين<sup>(٤)</sup>، بغض النظر عن كونه صحيحاً أم فاسداً، موافقاً للنصوص الدينية التي بأيديهم أم مخالفاً، المهم عندهم أن تأتي تلك الفتاوى داعمة لقرارات السلطة السياسية.

ونظراً لأن الملك يستند في وجوده بالسلطة على الناحية الدينية، فقد كان ممن مصلحته اخفاضة على هذه النوعية من رجال الدين، الذين يثبتون حكمهم، ويصدرون فتاوى تطوعية لتدعيم

(١) تاريخ الفكر الفلسفي من أبرز الشواهد على ذلك، يستوى فيه أن تصدر أحكام الخصوم على الفكر، أو على مؤلفاته، ففي اليونان أعدم سقراط بالسم، وفي أوروبا أعدم جاليليو بالحبس صر، وفي المشرق الإسلامي أحرقت مؤلفات ابن سينا والغاراني بعد حملة الإمام الغرالي، ومات ابن تيمية في سجنه بدمشق، وفي الأندلس أحرقت كتب الإمام الغرالي كرد فعل، واعتقل أبو الوليد بن رشد.

(٢) الدكتورة هلال محمد زعتر - الفلسفة والمصريون القدماء ص ٣٧ ط الدار الجديدة ١٩٧٥م.

(٣) الدكتور محمد حسنين الغرابي - في تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٥ طعة أولى ١٩٦٧م.

(٤) الدكتور رمزي عبدالمعظم قطب - الكنيسة والملك وعلاقته نواف ص ٥٢ ط ١٩٦٩م.

ذلك الملك الاستبدادي، حتى وإن أدى ذلك إلى توريته في أفراد عائلته<sup>(١)</sup>، واعتبار كل من يخالفه أو يفكر في الخروج عليه، أو على السلطة الدينية، مستحق الإعدام الفوري.

ولما كان الفلاسفة هم الممثلون لزمرة الأحرار المفكرين في أوروبا - أبان العصور الوسطى - فقد سارعت الكنيسة إلى إصدار أحكام الكفر والمهرطقة عليهم، بحجة أن ما يمارسونه قد مس السلطة المطلقة للحاكم، الذي يمثل ظل الإله في الأرض<sup>(٢)</sup>، رغم أن عمل الفلاسفة لا علاقة له بالسلطة الحاكمة أو السلطة الدينية، إنهم يبحثون في الميتافيزيقا التأملية حيناً، أو النقدية حيناً آخر، وأغراضهم بعيدة عن القيادتين.

لكن خوف أصحاب التيارات الفاسدة من تحرر الفلاسفة الفكري، إنما قام على حساب تحريك العلم الذي يمارسونه العقول والأفكار فتبصر سوءات هذه القيادات، وأشد ما يؤلم الفاسدين أن تنكشف ألوان فسادهم، وبخاصة إذا كانوا ممن يخططون أنفسهم بمآلات من العظمة، وسجالات من الأوهام.

أما الفكر الإسلامي فهو ما يقوم به المفكرون من أهل الإسلام، حول تفهم النقل المسجل، ومحاولة التوفيق بين النصوص النقلية الصحيحة، والمنتج العقلي السليم في قراءة متواصلة للخطاب الديني، بحيث تقع الملائمة بين ما يهدف إليه النقل، وما تتطلبه ظروف العصر.

ولما كان الفكر الإسلامي بهذا الشمول فقد توسعت دوائر المفكرين المسلمين وتنوعت، بين فقهاء ومفسرين ومحدثين، لغويين وقصاص ومؤرخين، علماء بالأصول وفلاسفة ومتكلمين، بجانب غيرها مما ألفت إليه، أو إشارات ناحية استخراجها نصوص الدين.

ونظراً لهذه التنوعات الكثيرة، فقد تمسك البعض منهم بأفضلية النوع الذي يمارسونه على غيره، وربما اندفع بعضهم، أو من ينتسبون إليهم في ممارسة نوع من الضغط على أصحاب نوع من الأنواع الفكرية الأخرى<sup>(٣)</sup>، بفرض آرائهم، حتى يكونوا جزءاً منهم، أو يضخّموا عدم وقوفهم بجانب اتباع فريق آخر.

(١) كإخالف مع القسيس يوهان، الذي كان ينطرح بتلك الفتاوى لثبت حكم الملكة في بريطانيا أبان تلك العصور، وكان على استعداد لإصدار فتاوى يومية، مادام ذلك يؤدي إلى تثبيتته هو في نفوس القادة السياسيين. [راجع للدكتور نعمان محمد عبدالمعظم - الكنيسة والملك علاقة تبادلية ص ٧٣]

(٢) الدكتور رمضان حسن زكري - توماس هوبز وفلسفته ص ٥٣ - ط ١٩٦٣ م.

(٣) الدكتور صبرى محمد ذكور - التراث الإسلامي ص ١١٢ ط ١٩٧٣ م.

كان من جراء ذلك ظهور بعض الاختلافات الفكرية، التي غذاهها خصوم الإسلام، حتى بلغت الذروة في بعض الأحيان، فصدرت أحكام متعجلة على بعض ممارسي نوع من أنواع التفكير الإسلامي، كالحال بين بعض الفقهاء، وبعض الصوفية أصحاب الإشارات والأحوال والتمائم<sup>(١)</sup>.

والفلسفة عموماً والإسلامية خصوصاً، لم تكن بمعزل عن هذه الاختلافات، بل وقت لها بعض الفقهاء، وبعض أهل الحديث، فضلاً عن البعض من المفسرين، وكان لهم في تنفير الناس - وبخاصة العامة - من هذا النوع الفكري العديد من الجهود، والكثير من النتائج، حتى إذا ما حمل الإمام الغزالي (٤٥٠هـ) على الفلسفة والفلاسفة كانت حملته بمثابة القرار شبه النهائي في الهجوم المتواصل على الفلسفة واستباحة حرمان البحث العقلي والفلاسفة.

ولا أغفل إذا قلت: حتى اليوم ما يزال البعض يقلد السابقين في عداوتهم لهذا النوع من التفكير العقلي، وربما أحمل نتائج ما يمارس، رغم انتشار هذا النوع من الدراسة، وتقنيته من خلال ظهور بعض الأقسام العلمية في الكليات والجامعات، بل والمدارس التي تحمل اسم الفلسفة، ولها

(١) راجع للدكتور: محمد مصطفى حلمي - أين الفارض والحب الإلهي حيث عرض بعض النماذج التي كان الفلاسفة الصوفية يمارسونها، وقد انتهت في بعضها بإصدار أحكام الإعدام التي نفذت بالفعل من الفقهاء على بعض الصوفية، كالحال مع السهروردي والخلاج. وحديث بالذكر هنا أن السهروردي: هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي ابن أخي الشيخ أبي النجيب قدم بغداد بعد وفاة أبي الوقت فسمع من جماعة منهم أبو المظفر هبة الله بن أحمد بن محمد الشبلي ومن أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان وأبي زرعة طاهر بن محمد بن ظاهر وأبي بكر أحمد بن المنرب الصوفي في جماعة آخرين وصحب عمه الشيخ أبا النجيب والشيخ عبد القادر الجيلي وأخسدر إلى البصرة إلى الشيخ أبي محمد بن عبد ورأى غيرهم من الشيوخ وانقطع عن الناس ولازم الخلوة والمجاهدة حتى صار شيخ العراق في وقته يرحب إلى فضل وإتقان ومروءة تامة وأوراد دائمة على كبر سنه ووعظ الناس مدة ببغداد وغيرها فما أخذ عليه شيئاً مما يكره من قول ولا حركة سئل عن مولده فقال في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة « [ راجع العلامة محمد بن عبد الغني البغدادي أبو بكر المولود ٥٧٩هـ، المتوفى ٦٢٩هـ - تكملة الإكمال ج: ٣ ص ٥٥٥ - رقم: ٣٧٠٤ - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤١٠هـ - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء: ٥ - شقش - عبد الغفور نيد ريب ] بينما الخلاج هو: الحسين بن منصور الخلاج يكنى أبا معيت وقيل أبا عبد الله وكان جده عوسياً اسمه عسي - أهل بيشاء فارس نشأ الحسين بواسط وقيل بسنتر وقدم بغداد فحاطب الصوفية وصحب من مشيختهم إنيدي بن محمد وأبا الحسين النوري وعمرو المكي والصوفية وقيل هبة: عالم رباني، وكان حسن عبارة وحلاوة منطق وشعر على طريقة التصوف، ولد بالبشاه في موضع يقال له الطور ونشأ بسنتر وتلمذ لسبل بن عبد الله السنري سنين ثم صعد إلى بغداد، تزوج بنت أبي يعقوب الأقطيع، وقصد أخذ حراسان وبلاذ ما وراء النهر وتركستان وماصين ودعا الخلق إلى الله تعالى وصنف خم كتاباً. ومن أقواله أنه قال: عليك بنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك عن الحق، كن مع الحق تحكم ما أوجب، وقال أيضاً: علم الأولين والآخرين مرجعه إلى أربع كلمات حب الخليل وبعض القليل واتباع التزليل وحرف التحويل. مسات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة « [ راجع للعلامة الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ج ٨ ص ١١٢ - رقم: ٤٢٣٢ ]



العديد من رجالها ومؤرخيهم، بل وجميعاتهم العلمية، التي تعمل ذلك الاسم، وتنفذ بين حناياها العديد من أهل الفكر الإسلامي، الذين لهم وزهم الدين أيضاً<sup>(١)</sup>.

وإذا كان ما مر هو موقف بعض خصوم الفلسفة، ويمثل لونا من ألوان رفض هذا النوع من التفكير في البيئة الإسلامية، فإن أنصار الفلسفة من المفكرين، ومن هم على طريق التفلسف، كان لهم موقف آخر، إنهم لم يسقط في أيديهم، أو وقفوا حيارى مدهوشين، أو مقيدى الفكر، محجوبى الأذى، وإنما عمدوا إلى شبه خصوم الفلسفة فيسقطوها، ثم قاموا بالنظر فيها، على الناحية التي جاءت منها، دون إسراف في العرض، حتى لا يقع القارئ في شيئا من الملل.

فإذا كان اعتماد الشبهة على المنطق العقلي، فندوها من جهة العقل، أما إذا كان مجيء شبهة الخصوم من الناحية الشرعية، فإن أنصار الفلسفة يتناولون أدلة ذلك الحكم الشرعى، بالنظر فيه على قواعد الشرع نفسه، والعلوم التي تقوم في دائرة ذات الأحكام<sup>(٢)</sup>؛ لأن الباحث الفنى الدقيق لا يلجأ إلى الحمل الإنشائية، أو التماس النجاة في المفردات اللغوية، وإنما يلجأ دائما إلى التماس الحق، والسعى إليه في مظانه الحقيقة، وذلك شأن المسلم التقي، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»<sup>(٣)</sup>.

وكان من جراء ذلك انتهاء أنصار الفكر الفلسفى إلى أن تعلم الحكمة ضرورة شرعية، كما أن ممارستها أو الاشتغال بها يدخل في نطاق حكم شرعى أيضاً، بل وربما تجاسر هؤلاء إلى بذل الجهود المتواصل في تقريب مفاهيمها، حتى تكون طليعة في دراستها للجميع، من ثم فإن بيان حكم دراستها في البيئة الإسلامية من الناحية الشرعية، يمكن القيام به في حدود ما تسمح به توفيقات الله تعالى:-

(١) كالأخال مع الشيخ مصطفى عبدالرازق، والشيخ محمد مصطفى المراغى، والدكتور: عبدالحليم محمود، والدكتور محمد عبدالرحمن بيشارة، وكنهم ولى مشيخة الأزهر الشريف، وضل بها حتى ولغاه أحله، والدكتور محمد البهى السدى ولى وزارة الأوقاف، والدكتور محمود حمدي زقزوق، الذى مازال وزيرا لوزارة الأوقاف ذلقا، حتى كتابة هذه السطور، وكثير غيرهم.

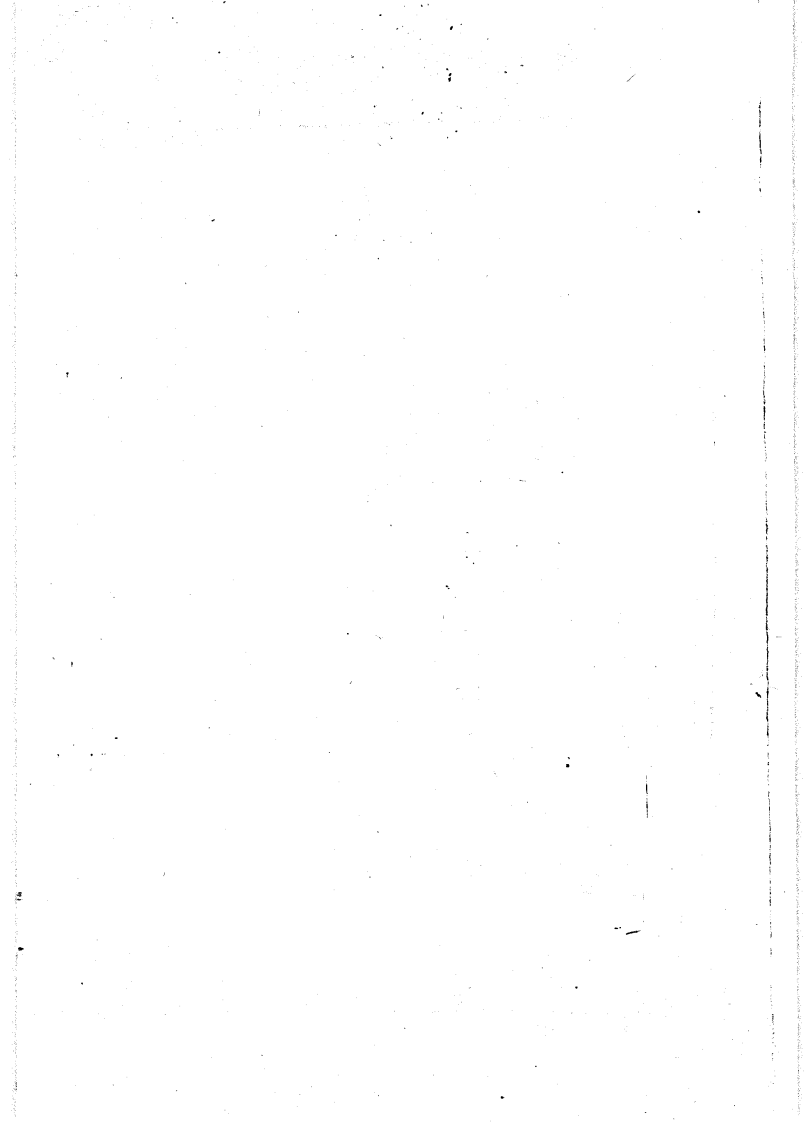
(٢) للدكتور فوزى محمد جمعة - مناهج التفكير الإسلامى ص ٨٣ ط ١٩٦٥م.

(٣) الإمام الترمذى - سنن الترمذى ج: ٥ ص: ٥١ - الحديث: ٢٦٨٧، وأخرجه الإمام ابن ماجة - سنن ابن ماجة ج: ٢ ص: ١٣٩٥ - باب الحكمة - الحديث: ٤١٦٩.





أما رفضها  
على الناحية الشرعية ومناقشتها



رفض جمع من أهل الإسلام الفلسفة ككل، دون اعتبار لكونها يونانية أو عامة أو إسلامية، أو كونها معاصرة أو حديثة، إنها مرفوضة من وجهة نظرهم على كافة أنواعها، لقد أنكروها جملة وتفصيلاً، كما حرموا تعلمها أو تعليمها، ومن ثم فقد حكموا عليها بأنها كفر، وممارستها هو الآخر ينطبق عليه نفس الحكم، وقدموا لذلك أدلة أو شبهات، بعضها جاء على ناحية العقل، وبعضها جاء على ناحية الشرع، وبعبارة أخرى: قدم الراضون للفلسفة وتحرّم دراستها أدلة عقلية، وأخرى شرعية، مما يستدعي الإبانة عن كل مجموعة من الأدلة على حدة، ومناقشتها على نفس العناصر التي جاءت منها:

### ﴿الأدلة الشرعية في رفض الفلسفة﴾

أجل رفض الفكر الفلسفي جمع من سلف الأمة الإسلامية وخلفها، كما ذهب إلى تحريمها كثير من الفقهاء ورجال الدين، وغيرهم ممن هم قدم ثابتة أو باع طويل في الدفاع عن الإسلام عقيدة وشرعية وأخلاق، حتى شاع بين أهل الملة أن تعلم الفلسفة كفر، والاشتغال بالكفر كفر<sup>(١)</sup>، وكان لهم على ذلك أدلة شرعية سألزم بعرضها، ثم مناقشتها منها:

### ﴿الأول: عدم ورودها في النقل المنزل﴾

#### ﴿عرض الدليل﴾

المعلوم عندنا نحن المسلمين، أن النقل المنزل المعصوم هو القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، وهما مصدر العقيدة والشرعية، والأخلاق والمعاملات، وسائر أنماط الحياة، والمنقذ من الهلاك في الآخرة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وقد بحث القائلون بالتحريم في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فلم يجدوا فيها ألفاظ الفلسفة، ولا المادة اللغوية التي تقوم عليها، كما لم يجدوا في النقل المنزل أمراً بتعلم الفلسفة أو الاشتغال بها، أو إباحة النظر فيها، ولو كان في النقل المنزل شيء من ذلك، لتسم التعامل معه، والتمسك به، إذ ليس للمسلم إلا رضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>.

(١) الأستاذ أنور محمد صبري - الفلسفة الإسلامية وموقف الراضين لها ص ٤٣ .

(٢) الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم إسماوي (٤٠٥/٣٢١هـ) - المستدرک علی الصحیحین - طبع دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١/١٩٩٠م الأولى - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ج ١ ص ١٧١ - الحديث رقم: ٣١٨، وراجع سبب البهني انكرى ج: ١ ص: ١١٤ - الحديث رقم: ٢٠١٢٣ ]

(٣) وذلك باعتبار أن الفكر المسلم يلتزم تعاليم الله جل علاه، لا يهرجها إلى غيرها أبداً.



وبالتالى فقد صار علم الجدل وعلم المناظرة وأمثالها من المحرمات الشرعية؛ لعلاقتها بالفلسفة، باعتبار أن علوم الأوائل في اليونان كانت تسمى داخل البيئة الإسلامية بالفلسفة، بل هي في نظر الإمام الغزالي أجزاء من الفلسفة، حيث يقول - رحمه الله - : « أما الفلسفة فليست علما برأسها، بل هو أربعة أجزاء:-

☆ أحدها: الهندسة والجبر.

☆ الثاني: المنطق.

☆ الثالث: الإلهيات.

☆ الرابع: الطبيعيات<sup>(١)</sup>.

وبالتالى فإن اسم الفلسفة لدى الإمام الغزالي واسع يشمل الكموم بنوعيتها في الرياضيات والطبيعة، بدليل أن علم الحساب قد جعله الإمام الغزالي ممثلا للكم المنفصل، والهندسة ممثلا للكم المتصل، كما جعل الفلسفة شاملة للمنطق والفيزياء والميتافيزيقا، طالما كانت من جملة علوم الأوائل<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان الإمام الغزالي يشاع عنه، أنه كان من أشد خصوم الفكر الفلسفى، وأعنفهم هجوما على الفلسفة والفلاسفة، إلا أنه أقر مفاهيم الفلسفات الرياضية والطبيعية، ولم يعترض إلا على الفلسفة الإلهية<sup>(٣)</sup>، وقد أعلن ذلك كله في كتابه مقاصد الفلاسفة، وثقافت الفلاسفة<sup>(٤)</sup>.

إذن عدم ورود لفظ الفلسفة في النقل المتروك، كان هو الباعث الأول والشاغل الأكبر لتحريم دراسة الفلسفة، أو الاشتغال بها لدى القائلين به، ولو ورد ذكرها في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة الصحيحة، لتغيرت صورة الحكم الشرعى، بل ولما كانت هناك حاجة لبحثها من هذه الناحية بعمق ذلك كله.

#### ◀ يد مناقشة الدليل ▶

من المؤكد أن لفظ الفلسفة لم يرد في القرآن الكريم، كما أن مادة الكلمة (ف ل س ف) لم ترد في الأخرى في القرآن الكريم، لكن وردت مادة الكلمة (ح ك م) في القرآن الكريم عشرين

(١) الإمام جلال الدين السيوطي - صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام ج ١ ص ٤٥ تحقيق الدكتور سعاد عبدالرازق - مجمع البحوث الإسلامية ..

(٢) الأستاذ حسين السيد المنتصر بالله - الغزالي والفلسفة ص ٧١ ط دار رضوان ١٩٦٥م.

(٣) الأستاذ أنور الجندي - الإسلام والفلسفات القديمة ص ٧٢ وما بعدها.

(٤) حيث كان في الأول مقاصد الفلاسفة يجمع الأفكار الفلسفية حسب حكاية الفلاسفة لها، أمسا في التسلسل - فحافظت الفلاسفة - فقد كانت غاية هدم الفلسفة، على كل ناحية، وبخاصة في الإلهيات.

ومائتين مرة<sup>(١)</sup>، ولفظ الحكمة عندنا نحن المسلمين هو المساوى لكلمة الفلسفة، وإن كان لفظ الحكمة أعم، لكن العبرة هي بالمفاهيم، باعتبار أن اللغة قد تكون فارقة، لكن الدلالة واحدة، وبالتالي فالعلاقة بين معنى الحكمة ومعنى الفلسفة قائمة، وهو ما ينفي القول بأن الفلسفة حرام لعدم ورودها في القرآن الكريم.

ومن البدهي القول بأن: هذا الدليل - عدم ورود لفظ الفلسفة في النقل المزل - قصد به إنشاء حكم بتحريم دراسة الفلسفة على الناحية الشرعية، بحيث يكون في مقابلة أصحاب الفكر العقلي الحر، بغية إجبارهم على التنازل عنه، أو الاشتغال بغيره، وهو ما يمثل صورة عدائية لنوع من الممارسة العقلية، في علم تشابك الآراء المتصارعة حول الإعلان عن فوائده<sup>(٢)</sup>.

كما أن إصدار حكم بتحريم دراسة الفلسفة والاشتغال بها على ناحية شرعية، من شأنه أن يكون سيفاً مسلطاً على رقاب الأحرار من المفكرين، أو نوعاً من الحجر على قدرات المخالفين في الرأي، وذلك شأنه التقليل من جهود أصحاب التفكير العقلي الحر، كما يمثل نوعاً من الاضطهاد لهم، فأما أن يتنازلوا عن تلك الأفكار التي يرونها صحيحة على ناحية الفكر، وربما هي أيضاً صحيحة على ناحية الدليل الشرعي أيضاً طبقاً لمفاهيمهم الشرعية، وإما أن يواجهوا الاتهام بالضلال والكفر، كما يواجهوا نتائج الاتهام بالنفسق، وهي كلها اتهامات لو صحت نسبتها إليهم؛ فإن عواقبها تكون القتل، بحكم الغوغائية<sup>(٣)</sup>، أو الإعدام في مكان عام، أو التصفية على أي نحو كان، بحيث يؤدي أثر ذلك إلى النهاية.

وتكون النتيجة أن تقع ممارسات شاذة داخل البيئة الإسلامية، بل تسمح لأصحابها بأن يمارسوا عدواناً فكرياً على مخالفيهم في الرأي، كالذي قامت به الكنيسة ومحاكم التفتيش في العصور الوسطى، وتشنق الأحرار على مقاصل أصحاب الأفق الضيق، أو يموت العلماء تحت سياط الحناكم العنوم<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع الأستاذ محمد فواد عبدالباقى - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - مادة (ح ك م) ص ٢١٢/٢١٥ - مكتبة الأنجلو المصرية - مؤسسة مناهل العرفان - بيروت.

(٢) راجع فوائد دراسة الفلسفة، وكذلك وطنيتها فيما سبق ذكره داخل فصول الباب الثاني من هذا الكتاب.

(٣) أحكام العرفانية لا تمثل قيمة في ذاتها، ولكن القيادة السياسية الفاسدة تلتجأ للاستعانة بأمثال هؤلاء، حتى تنفذ ما تريده من تكذيب الأعداء، وقتل الرأي؛ بغية الإمساك بكرسى الحكم، والتمتع عليه أطول فترة ممكنة، وهكذا يفسد الطفلة في كل عصر وحين، كما يمارس ذلك النوع حكومة الفرد الواحد، والحاكم الضاعية المستبد، والمثل الذي نعد انتفاص دماء شعبه، والمستعمر الذي يبتذل جهده في ترسيخ احتلاله بلاد الآخرين، ويتم ذلك كله عن طريق العملاء والدمجوريين.

(٤) راجع محاكم التفتيش في المسيحية، وراجع كتابا: حواطر حنين في الفلسفة الحديثة، وكذلك كتابا: قضايا حبيسة في الفلسفة الحديثة |



**والجواب على ذلك التساؤل:** هو أن أحرار الفكر الإسلامي قد نال بعضهم سوء العاقبة، على أيدي إخوانهم من بعض المسلمين ما نال، متى كان حكم الغزواعة<sup>(١)</sup> والعامة هو السائد ففرق رؤوس الجميع<sup>(٢)</sup>، وكانت السلطة الحاكمة بيد سلطان غشوم<sup>(٣)</sup>، لا برعوى عن ممارسة الإرهاب والعنف مع الآخرين.

بل إنهم أدخلوا كل اجتهاد فكري في دائرة الانهزام، بمخالفة النقل المتزل، حتى تكون المسألة في أيدي بعض الذين اتسبوا للدين، وما هم إلا دمي أجلسها الحاكم الظالم، حتى تكون سنداً له فيستصدر منهم الفتاوى التي يريدها، حتى يقتل الأحرار أو يهدمهم باسم الدين.

(٢) رجع كتابنا: المذهب النام لعلم الكلام ص ٤٤٣ ط آل بسبون ١٩٩٨م.

(٤) سورة الأعراف - الآية ١٢٨. يقول الإمام القرطبي: «ولا يبلغ قوم موسى من فرعون ما ذهب به ونوعدهم إلهاء طالبهم موسى بأن يستعينوا بالله، وأن يصبروا وأطمعهم في أن يورثهم الله أرض مصر، كما أن الجنة تكون لمن اتقى الله في كل شيء، فكذاك الاستعانة والصبر لها أيضا، جزاء من الله تعالى، فهو القادر على كل شيء» | الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - دار علوم القرآن - ج ٧ ص ٨٤

الفرقى - الجامع لأحكام القرآن - دار علوم القرآن - ٧٣ ص ٨٤



باسم الدين، وهو مما نسب إليه براء<sup>(١)</sup>. وقس على ذلك الحال مع كل الفقهاء الذين هموا بما لم تصح نسبة الاتهام به عليهم، كشيخ الإسلام ابن تيمية، الذي ظل في محبة حتى وافاه أجله

❦ وكذلك محنة الشيخ الرئيس ابن سينا، حيث أقيم في عقيدته، ونسب إليه ما لم تقل به صحيح عبارته، وإنما هي لوازم سعى إليها خصومه لم تدر له على بال، والمؤسف له أن يكون هذا الألقام في بعض الأحيان صادرا من شيخ فقهائه له في القلوب حب ورجاء، ولدى الصوفية بناء شامع. وبين متكلمي الأشاعرة المكانة المرموقة، ألا وهو الإمام أبو حامد الغزالي.

غير أن الأيام لا تعطى لواحد كل الأمان<sup>(٢)</sup>، فما هي إلا أيام قلائل. حتى أقيم الإمام الغزالي بما أقيم به الغاراني وابن سينا من قبل. بل واحترفت كنيه كلها أمام جامع قرطبة على مرأى ومسح من العامة والخاصة، وكان ذلك كنه يتم طبقا لتعليمات أمير البلاد الذي استحباب لما أفس به عنساء تلك البلاد<sup>(٣)</sup>، وكان ذلك بمثابة إصدار وتنفيذ الأحكام القاسية في المغرب العربي عسى أحسد أئمة المسلمين في المشرق العربي ذاته.

كما أن هذه المسألة قد وقعت لقاضى القضاة فيلسوف قرطبة أبي الوليد بن رشد، الذى أقيم بما لم تقم له بعده قائمة، حتى إن العامة والخاصة تفرقوا عنه، وكان قبل ذلك فيهم صاحب السراى الراجح، والأمر المطاع، والعقبة الورع، لكن صدرت ضده أحكام قاسية باسم الدين، لجسرد أنه خالف البعض في وجهات النظر<sup>(٤)</sup>، التى تتعلق بالسياسة، أو لها اتصال من بعيد بقضايا دينية، وكان رأيه فيها صورة من صور الاجتهاد الفكرى، باعتباره فقيها مالكيًا، وعالما أصوليا..

(١) الأستاذ صفوت محمد صبرى - فتنة الإمام أحمد ص ١٢. وفى ذلك يقول ابن حزم : « ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة أشياء وفردا مستويا صحيحا منها أربعة مخلوقة وواحد غير مخلوق لم يميز الله لأحد أن يقول أن القرآن مخلوق ولا أن يقال أن كلام الله مخلوق لأن قائل هذا كاذب إذ أوقع صفة الخلق على ما لا يقع عليه مما يقع عليه اسم قرآن واسم كلام الله عز وجل ووجب ضرورة أن يقال إن القرآن لا خالق له ولا مخلوق وأن كلام الله تعالى لا خالق ولا عنون لأن الأربعة المسميات منه ليست خالقة ولا يجوز أن تطلق على القرآن ولا على كلام الله تعالى اسم خالق ولأن المعنى الخامس غير مخلوق ولا يجوز أن توضع صفة البعض على الكل الذى لا تتمتع تلك الصفة بل واجب أن يطلق نفس تلك الصفة التى للبعض على الكل وكذلك لو قال قائل أن الأشياء كلها مخلوقة أو قال للحق مخلوق أو قال كل موجود مخلوق لقال الباطل لأن الله تعالى شيء موجود حق ليس مخلوقا لكن إذا قال الله تعالى خالق كل شيء حاز ذلك لأنه قد أخرج بذكر الله تعالى أن المخلوق في كلامه الأشكال » [ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبوسعيد المولود ٣٨٤هـ والمتوفى ٤٨٨هـ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ص ٧ - مكتبة الخانجي - القاهرة ]

(٢) ففى الحديث : أربعة لا أمان لها: المال ولو كثروا، الدهر وإن صفاء، والمرأة وإن طالت عشرينها، والحاكم لو قرب منك.

(٣) الأستاذ حسن محمد أبو حنيفة - أزمة التفكير والتكفير ص ٨٤ ط ١ دار فارس ١٩٣٧م.

(٤) الدكتور رفقى زاهر - ابن رشد وفلسفته ص ٢٣ ط أولى طبعته غفر ١٩٧٣م.

❖ وفي العصر الحديث أتهم الأستاذ الإمام محمد عبده بالخروج على تعاليم الدين، واستغل خصومه نتائج هذا الموقف إلى أبعد مدى، حتى إن البعض منهم سمحت لهم أنفسهم بنسبة الرجل الإمام العالم المسلم إلى الماسونية<sup>(١)</sup>، بل إن بعضاً من زملائه في نفس الدراسة من علماء الأزهر أوغسروا صدور بعض الطلاب عليه، كما تحزبوا هم الآخرون ضده، وتنادوا عليه متهمين إياه بما لا يليق بعقيدته الدينية الخالصة لله رب العالمين<sup>(٢)</sup>.

❖ كما أتهم الشيخ على عبدالرازق باتهامات، نتج عنها حرمانه من وظائفه العامة، وعضوية كبار العلماء، وسحبت الدرجات العلمية منه، ولكن الله تعالى قد أمّد في عمر الرجل، حتى إذا كان عام ١٩٤٦م وبعد رحيل شقيقه الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبدالسراوق، رد الله

(١) الأستاذ حسن محمد خليل - محمد عبده وخصومه (دراسة وثائقية ص ١١) والماسونيون يطلقون على أنفسهم اسم البنايون الأحرار: وهي جمعية سرية، تخوي حشداً من الناس، ينتمون إلى مذاهب وديانات، وتخل وجنسيات، وأوطان مختلفة، تضم الملحد والشيوعي، والقموي والراشعالي، والعري وغير العري، والعامل ورب العمل، والكادح والمسترف، والأرستقراطي (حكومة، أو طبقة تحت الألفية الشنازة - المعجم الوحي ص ١٢) والديمقراطي (إحدى صور الحكم، التي تكون فيها السيادة للشعب راجع المعجم الوحي ص ٢٤١) تجمعهم غاية واحدة - في الظاهر - يعملون طام، ولا يعلم حقيقتها إلا آحادهم، وسواد أعضائها الجمعية عمن القلوب يظهرها كل الجهل، ويوتئهم عهد تحت الأضرار، وعدم البوح بها، ومن شروطها أن يكون العضو في عون أخيه الماسون لا غيره، حتى وإن ارتبط به دماً ونسباً ووطناً، فالأخوة لا تكون إلا في الماسونية فقط. [أحمد عبدالغفور عطّار - الماسونية ص ٧ - مكة المكرمة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م] ووسع الاختلاف في ثقافتهم، إلا أنهم يحاولون التظاهر بالوحدة في الهدف، وهو القضاء على كل ما يسمى بدّين، وخاصة الدين الإسلامي، ومدعين أنه يجب على كل الأعضاء الاندماج تحت ديانة واحدة هي اللادين، حيث صار الماسون لا ديني كالعلماني تماماً بضماء، وأما ما في الباطن، فلا يجب البقاء على دين إلا دين (يهود)، والإبقاء على تعاليمه، فيقولون: « يجب أن يكون كل محفل ماسون على نمط الهيكل اليهودي، وكل رئيس محفل ملكاً يهودياً، وكل... سوي إنما هو تمسيد للفرد اليهودي ». [أحمد عبدالغفور عطّار - الماسونية ص ٥٧] فالماسونية يهودية، فإذا جردتها من تعاليم اليهودي ومبادئها وطقوسها، لم يبق من الماسونية شيء. [أحمد عبدالغفور عطّار - الماسونية ص ١٠١] وحديث بالذكر أن الحركة الماسونية العالمية: كان لها ركائز قوية في إبراز بين الطبقات العليا، والتي أمدت أساليب بشسعاراتها بساتنغ الكاذب بالإسبابية والإدعاء الباطل بأن الأديان هي سب فرقة البشر، وهم في كل ما زعموا كساديون. [الأستاذ عمن عبدالحميد - حقيقة الباطنية واليهودية ص ١٠٢]، وأن دعاة الماسونية مزحج « بين الألوهية والشيطنانية، ولم يفرقوا بينهما، وإنما أصروا على تقديم ما يظنونه قوياً في إثبات وجهة النظر الذميمة » [الأستاذ أحمد عبدالغفور عطّار - الماسونية ص ٢٢، وما بعدها - بيروت ١٩٧٤م]

(٢) الشيخ نصر بركات - الإمام محمد عبده تاريخ وجهاد ص ١٣ ط أول ١٩٥٧م.

لنرجل حقوقه، فاعترفت هيئة كبار العلماء بحقوق الرجل، بل والأغرب أنه عين وزيراً للأوقاف<sup>(١)</sup>.

﴿٢﴾ ويذكر الأستاذ حامد محمود في ذكرياته تحت عنوان حكاية الشيخ على عبدالرازق، جاء فيها ما يلي: «أثار البرنامج الإذاعي عن ذكرى على عبدالرازق ذكرياتي عنه، ومعه وكل ما يذاع الآن عن حفل هذه الشخصية الكريمة خير، أما وقائع حياته فينبقى العلم بما من يتحدثون عنهم، وإن كانوا مشكورين، وبالنسبة لعلى عبدالرازق يظن كثرة من الناس، وبخاصة من أبناء هذا الجيل، أن علياً ليس له غير موقف واحد، وهو موقفه الذي يتمثل في كتابه "الإسلام وأصول الحكم"<sup>(٣)</sup> وهذا غير صحيح، فإن للرجل مواقف أخرى أرجو أن أذكر بعضها بعد رفع الستار عما لم يذكر، مما دار حول هذا الكتاب.

وأحسب أن الجميع يعلمون عن مشكلة هذا الكتاب: أن الملك فؤاد كان يتطلع إلى أن ينادى به "خليفة" بعد أن ألقى أتارك في تركيا مهام الخلافة الإسلامية، وبعد أن تولى الحكم على النظام الجمهورى العلماني.

وكان من بين ما أثار ثائرة الملك فؤاد على هذا الكتاب، أن مؤلفه "على عبدالرازق" هو أحد أبناء حسن باشا عبدالرازق، أحد اثنين من كبار المصريين عرض عليهما عرش الخديوية المصرية، عقب إقصاء الخديوي عباس من جانب الإنجليز عن مصر سنة ١٩١٤م، وكان الثاني ممن عرض عليهما هذا العرش هو محمود باشا سليمان، وكلاهما لم يقبل هذا العرض؛ لأنه أت من السلطات المختلة آنذاك<sup>(٤)</sup>.

كان هذا التاريخ في ذهن الملك فؤاد عندما صدر كتاب "الإسلام وأصول الحكم" أو ظن الملك فؤاد أن هذه حلقة جديدة من حلقات هذا التاريخ، وكان الملك فؤاد في هذا الظن مخطئاً لأن الإنجليز لم يكونوا مرتاحين إلى هذا الكتاب، بدليل أنهم سطوا توفيق دوس باشا - أحد الوزراء الدستوريين لدى حزب الدستوريين - لتخفيف تأييدهم لكتاب على عبدالرازق، وقد حمى هذا الموقف إلى درجة استقالة دوس باشا من الوزارة.

(١) راجع المقدمة الرائعة التي كتبها الدكتور محمد عمارة لكتاب: الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبدالرازق، وكذلك مقال الأستاذ حامد محمود بجريدة الجمهورية تحت عنوان ذكريات حافظ محمود حكاية الشيخ على عبدالرازق الخميس ٣١ يناير ١٩٩١م العدد الأسبوعي - ص ١١ عمود ٨، ٧، ٨، وكتابنا: عبدالكريم الخطيب وآرائه الكلامية.

(٢) هذا الكتاب أثار ضجة كبيرة، وكانت أسبابها سياسية، لكن البعض سارع واعتبرها مسألة دينية، وما يزال هذا البعض يتهم العالم الفاضل بما لا تمتع نسبه إليه.

(٣) من المؤسف له أن هذا النظام العلماني مازال معمولاً به في دولة تركيا المسلمة، مع أن هذا النظام لا يتطابق لأية دولة مسلمة. [ راجع وجهها لوجه العلمانية والإسلام - دكتور يوسف القرضاوي ]

وأول مرة رأيت فيها الشيخ على الرازي، الذي كان معهما، رغم إقامته بتعليمه بجامعة أكسفورد، بعد تخرجه في الأزهر الشريف، كان ذلك في جمعية الرابطة الشرقية، التي كان مقرها بنى لاطوغلى في العشرينات، وكان الشيخ على عبدالرازق سيلقى هناك محاضرة عن رحلة في بلاد الغرب التي ذهب إليها؛ لعله يرتاح نفسيا مما أصابه من بعض شيوخ الأزهر، الذين حاكموه<sup>(١)</sup>، وقرروا سحب شهادة العالمية منه.

وقد اهتز وجداني كله، وأنا طالب صغير أسمع على عبدالرازق وهو يقول: لقد ذهبت إلى هناك بصفى شرقيا، ثم بصفى مصريا، وإذا أدنى أن أقول وكذلك بصفى مسلما.

وهنا اغرورقت عيناه بالدموع، وكذلك عيون الحاضرين، لكن يبدو أنه قد عالج هذه الأزمة النفسية، بأن خلع العمامة التي كان يلبسها - حتى في لندن - ولبس الزي الأفرنسي...، واتخذ جانباً من القضاء الشرعي، حين تقدم بطلب قيد اسمه محاميا شرعيا بصفته أحد حريثي الأزهر، فقبل طلبه، ثم قبل ترشيحه لمركز النقيب في نقابة المحامين الشرعيين، وكان هذا كله ردا من الرأي العام على المسألة التي خلقها له الملك فؤاد وبعض حواريه من شيوخ الأزهر<sup>(٢)</sup>.

ودارت الأيام وأبكر المجتمع كله، بما فيه من المرشحين ما حدث له، بدليل أن حزبه حسين رشحه للوزارة لم يعترض القصر الملكي في عهد الملك فاروق - إلا قليلا... - فصار وزيرا للأوقاف، وفي مناسبة تالية حصل على رتبة الباشاوية.

ولو أن شخصا غير على عبدالرازق نال هذا كله لسبح بحمد الملك...، لكنه لم يفعل... بل لقد اتخذ موقفا مضادا إذ كان لا يعنيه سوى الحق، ولا يبحث إلا عن الحقيقة.

ف ذات يوم تلقى من القصر الملكي - وهو وزير الأوقاف - إشارة بأن أرض "السوادي" في محافظة الشرقية<sup>(٣)</sup>، هي في أصولها من أطيان الأسرة المالكة، التي آلت إلى الملك فاروق، وأن وزارة الأوقاف قد استولت عليها خطأ!

و درس الأستاذ على عبدالرازق - وزير الأوقاف آنذ - هذه القضية، وأثبتت دراسته إلى ضعف الأسانيد الملكية في استحقاق هذه الأرض، فاعتذر إلى رجل القصر الذي خاطبه برغبة الملك

(١) وكان الشيخ حسن باشا عبدالرازق من أكثر المصريين مالا وسعة، وكان ذلك مما يرشحه لتولي عرش الخديوية، لكنه لم يوافق عليه.

(٢) راجع تفاصيل ذلك في كتاب محنة الشيخ على عبدالرازق للأستاذ سعيد بن بو عزيز ط الدار المغربية ١٩٥١م.

(٣) بعضها في المنطقة الواقعة الآن ما بين إيشاص الرمل وبلبيس وناحية العاشر من رمضان.

في استرداد ما أسماه "أراضيه"... وكان رده على المندوب الملكي: إنه بالبحث تبين أنها ليست "أراضيه"، وإنما هي ملك لأفراد الشعب، وقعت في دائرة نظارة الوقف الخيري<sup>(١)</sup>.

وتفجرت أزمة ضد الوزير على عبدالرازق، وخطوب الوزير في أنه لن يخسر شيئا، ولن تخسر وزارة الأوقاف شيئا كثيرا، إن أعطت هذه الأرض إلى حلالة مولانا، فعرض عيسى عبدالرازق أن يستقيل من منصب الوزارة، بدل أن يوافق على حصول الملك على أرض ليست له<sup>(٢)</sup>، ولما أنفهم أن هذه الاستقالة ستثير أزمة سياسية، استبدل بها اعتكافه طويلا، فظل أكثر من شهر لا يذهب إلى مكتبه بوزارة الأوقاف، ولا يوقع على أى ورق من أوراق الوزارة، والناس يظنون أنه مريض.

وفتوح الأستاذ على عبدالرازق مرة أخرى في هذا الموضوع على أساس أن الملك مقتنع بأن هذه الأرض أرضه وملك له بحكم الوراثة، فكان جواب على عبدالرازق: ليأخذها من غيرى.

وما هي إلا بضعة أيام، حتى قامت أزمة سياسية، كان لابد فيها من تعديل وزارى، وفي هذا التعديل لم يدخل على عبدالرازق الوزارة لا هو ولا حزبه.

وكان عبدالعزيز فهمي باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين فيما مضى وانقضى، قد خرج قبل ذلك من الوزارة لعدم موافقته على "رفت" الشيخ على عبدالرازق من وظيفة القاضي الشرعى قديما، فالتى عبدالعزيز فهمي آنذاك خطبة قال فيها: "لقد كانت الوزارة بالنسبة لى محنة، أحمد الله تعالى أن نجاني وأنتا كرامتي فيها"<sup>(٣)</sup>.

وقس على ذلك الاتهامات التى تقع على ربوس الأبرياء، ويحاول أصحابها النيل من عقائد خصوصهم، كأن العقيدة الإيمانية رخصة تمنح - من هيئة أو أفراد - أو تحجب، مع أن الله تعالى جعل القلوب بين يديه وحده، ففى الحديث الشريف عن عائشة رضى الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من قول: اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك. فقالت له عائشة: إنك تكثر أن تقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك قال وما يؤمنني وإنما فنوب العباد بين أصبعي الرحمن، إنه إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه»<sup>(٤)</sup>.

(١) كان نظام الوقف الخيري شائعا في البلاد الإسلامية، وثققت بسببه مصالح كثيرة لفقراء المسلمين. [راجع للشيخ محمد نبيت المطيعي - محاضرة الوقف]

(٢) وهل الذى ضحى بكل ذلك مقابل احترامه لديه، يمكن أن يتهمه أحد في دبه !!

(٣) جريدة الجمهورية المصرية - العدد الأسبوعي - الخميس ٣١ يناير ١٩٩١م - ص ١١ عمود ٨٥٧.

(٤) الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج ٦ ص ٢٥٠ الحديث: ٢٦١٧٦، وعن مالك بن دينار قال: «قُسرأت في بعض الحكمة إلى أنا الله مالك الملوك قلوب العباد بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشاغلو بسبب الملوك ولكن توبوا إلى أعظمهم عليكم» [أبو نعيم الأصبهان - حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٧٨]

وعن شهر بن حوشب<sup>(١)</sup> قال: «دخلت على أم سلمة<sup>(٢)</sup> فقلت أخيريني بأكثر ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت يا رسول الله إنك تكر أن تدعو بهذا الدعاء، فقال إن قلب بن آدم بين أصبعي الرحمن عز وجل ما شاء أقام وما شاء أراغ»<sup>(٣)</sup>.

ولم يجعل الله تعالى لأحد ولاية على عقل أحد، وإنما جعل ولايته وحده على القلوب والعقول والنوايا، وبين أن سلطانه وحده هو الذي يمارس هيئته على العقول والقلوب، بما له جل جلاله من صفات الجلال والكمال والجمال والإكرام<sup>(٤)</sup>، ولكن البعض ممن تقع لهم مخالفة فكرية، يحاول نسبة ذلك الاختصاص الإلهي لنفسه، وذلك حين يتولى نفسه منزلة الإله حل علاه، وهم في

(١) شهر بن حوشب: «أبو سعيد الأشعري الشامي مولى الصحابة أسماء بنت يزيد الأنصارية كان من كبار علماء التابعين، حدثنا عن مولاه أسماء وعن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وعبد الله بن عمرو وأم سلمة وأبي سعيد اخدي وعدة وقرأ القرآن على ابن عباس وبرد عن بلال وأبي ذر وسلمان وطائفة، وحدث عنه قتادة ومعاوية بن قرة والحكم بن عتيبة وأبو بشر جعفر... وحلق سواهم، وعن حفظة عن شهر قال عرض القرآن على ابن عباس سبع مرات، وعن ابن أبي ليلى قال قرأت القرآن على ابن عباس وابن عمر وجماعة فما رأيت أحدا أقرأ من شهر بن حوشب، وكان مولده في خلافة عثمان رضي الله عنه وطلب العلم بعد الحسين في أيام معاوية، ومات سنة إحدى عشرة ومئة. [راجع سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٧٢ - رقم: ١٥١].

(٢) أم سلمة أم المؤمنين السيدة المحجة الطاهرة هدت بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن بطة بن مرة المخزومية بنت عم خالد بن الوليد سيف الله وبنت عم أبي جهل بن هشام، من المهاجرات الأول كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أبيه من الرضاة أي سلمة بن عبد الأسد المخزومي الرجل الفاضل. دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة أربع وكانت من أجل النساء وأشرفهن نسبا، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجعت لذلك وعشي عليها وجزت عليه كثيرا لم تلبث بعده إلا يسيرا وانتقلت إلى الله، ولها أولاد صحابيون عمر وسلمة وزينب ولها حلة أحاديث، روى عنها سعيد بن المسيب وشقيق بن سلمة والأسود بن يزيد والشعبي وأبو صالح السمان ويحيى بن جابر بن مطعم ونافع مولاها ونافع مولى ابن عمه وعطاء بن أبي رباح وشهر ابن حوشب وابن أبي مليكة وحلق كثير عانت ثورا من تسعين سنة، وأبرها هو زاد الراكب أحد الأجراد قبل اسمه حذيفة. توفيت رضي الله عنها سنة تسع وخمسين في ذي القعدة. [سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٠١ رقم: ٢٠].

(٣) العلامة سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري، الطائفي المروزي ٢٠٤هـ - مسند أبي داود الطيالسي ج ١ ص ٢٢٤ رقم: ١٦٠٨ - دار المعرفة - بيروت (بدون).

(٤) قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْكَدًا ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَيْدِيًّا وَوَعَدْنَا الْمُؤْمِنِينَ الْوَعْدَ الْإِيمَانِيَّ» [سورة ق - الآية ١٦] يقول صاحب الظلال: «إن ابتداء الآية: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» يشير إلى مقتضى الضمير للمعارة، فمصابيح الآلة أدري بتركيبها وأسرارها. وهو ليس مخالفاً لأنه لم ينشئ مادتها، ولم يزد على تشكيكها وتركيبها، فكيف بالمشي الواحد الخالق؟ إن الإنسان خارج من يد الله أصلاً، فهو مكتشف الكنه والوصف والسر خالقه العليم بمحسره ومشتهه وحاله ومسيره. «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مَأْكَدًا ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَيْدِيًّا» وهكذا يجد الإنسان نفسه مكتوفة لا يجيبها ستر، وكل ما فيها من وساوس خافتة وخافية، معلوم لله فليدأ ليرم الحساب الذي ينكره ويتجده، «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مَأْكَدًا ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَيْدِيًّا»... الوريد الذي يجرى فيه دمه، وهو تعبير يمثل ويعبر القصة المألوفة، والرقابة المباشرة، وحسين يتصور الإنسان هذه الحقيقة لا بد أن يرتعش ويخاسب، ولو استحضرت القلب مدلول هذه العبارة وحدها ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها، بل ما جرؤ على حاسه في الضمير لا تنال القول، وإنما وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في حذر دائم وحشية دائمة وبقطة لا تفعل عن الحاسية». [ظلال القرآن - ج ٦ ص ٣٣٦٢]



كل ما زعموا كاذبون؛ لأن الله تعالى لم ينب أحدا من خلقه في مراقبة أعمال العباد، كما لم يجعل لأحد سلطانا على قلب أحد من خلقه.

إذن من المناسب العودة إلى مناقشة الدليل، بملاحظة أن لفظ الحكمة قد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، والمذكور أو المفهوم في لفظ الحكمة والفلسفة واحد، سواء أكان بمعنى الحكمة، أم كان بمعنى حجة الحكمة<sup>(١)</sup>، وبالتالي يمكن القول بأن مفهوم الفلسفة متضمن في لفظ الحكمة، فيكون اللفظ نفسه نقليا، باعتبار المعنى، كالحال مع غيره من العلوم الشرعية، ويطلق عليها جميعا اسم العلوم الأصلية، أو التي تخدم العلوم الشرعية، وتسمى علوما خدمية.

### الدليل الثاني: مخالفة أسلوب الفلسفة لأساليب القرآن

#### عرض الدليل

ذهب إليه أصحاب القول بتحريم الفلسفة، لا من حيث هي لفظ لم يرد في النقل المقر، وإنما باعتبار أن الأسلوب الذي يحملها، أو تكتب به يغاير أساليب القرآن الكريم، كما يخالف أساليب السنة النبوية المطهرة الصحيحة، ومخالفة الأسلوب فيها تدل على أنها مخالفة للنقل المقر<sup>(٢)</sup>، بل ذهبوا إلى إنها حين تعالج موضوعاتها، فإنما تلجأ إلى طريقة غريبة من كل ناحية، مما يترتب عليه ظهور نتائج مخالفة تماما، لكل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة<sup>(٣)</sup>.

كما إن أسلوب الفلسفة يخالف أيضا أسلوب السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - سواء أكان في اللغة المعربة، أم في طريقة استعمال الألفاظ، أم في تناول الموضوعات المطروحة<sup>(٤)</sup>، وبناء عليه: يمكن القول بأن الفلسفة تخالف النقل في طريقة تناول الموضوعات والنتائج المترتبة، وسائر وجوه المخالفة؛ لأنها مفرزات عقول بشرية لأناس لا دين لهم، ومثلها يكون حراما على الناحية الشرعية.

#### مناقشة الدليل

من المؤكد أن أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، هو أعلى الأساليب وأرقاها، وأجملها وأنقاه<sup>(٥)</sup>، بل إن أسلوب القرآن الكريم أحد أوجه إعجازه، وما يظن أحد أن هناك

(١) الاختلاف في إطلاق لفظ الحكمة أو لفظ حجة الحكمة على هذه المباحث لا مشاحة فيها، مادام إطلاقا اصطلاحيا.

(٢) الأستاذ حسين السيد المنصور بالله - العراق والفلسفة ص ٨٥.

(٣) إذن المخالفة في الأسلوب الكلامي عتبر من وجهة نظر جمهور الفلاسفة، أحد أسباب القول بتحريم دراسة الفلسفة فني عن الاشتغال بها. مع أن مخالفة الأسلوب القرائ بالعلوم لكل الأساليب الأخرى، إنما هي طبيعة القرآن الكريم.

(٤) الدكتور موري محمد جمعة - مناهج التفكير الإسلامي ص ١٩٢.

(٥) لا وجه لمقارنة أي أسلوب إنسان الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، وبين غيرها، لأنها - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة - في منبع به من قبل الله تعالى. [راجع في ذلك الشأن كتابا درة اللد بتفسير سورة المسد، وكتابا: السورة النبوية في الدفاع عن السنة المنهارة، وكذلك كتابا: لماذا انتشر الإسلام - ٢]

أسلوباً يمكن أن يبارى أسلوب القرآن الكريم، بل أو يقترب منه، فهذا مما يقع فيه الاستحالة؛ لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى الخالق، وهو خالص تماماً من الماثلة على كل ناحية. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام ابن كثير: «هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا ليس بل هو بيان ووضوح وبرهان وإمّا جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك لعلهم يتقون أي يخشون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد»<sup>(٢)</sup>. ويقول الإمام الطبري: «جعلناه قرآناً عربياً إذ كانوا عرباً ليفهموا ما فيه من المواضع حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسخطه فينبسوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له ويتروّوا من الانداد والآلهة الأخرى»<sup>(٣)</sup>.

وقدما وصف الأعرابي الجاهلي القرآن الكريم في قوله: إن له خللاً. وإن عليه لنسلاوة وإن أصله لمورق وأعلاه لمشمر وما هو بقول بشر، وإنه يعلو ولا يعلو عليه<sup>(٤)</sup>، فمن عكرمة قال: «فسراً النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة إن الله يأمر بالعدل والإحسان إلى أخراها، فقلل والله إن له للخلوة وإن عليه للطلاوة وإن أصله لمورق وأعلاه لمشمر وما هو بقول بشر»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الزمر - الآية ٢٨.

(٢) الخافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٣.

(٣) العلامة الطبري - جامع البيان ج ٢٣ ص ٢١٣.

(٤) الشيخ صديق محمد حسب الله - إعجاز القرآن الكريم ص ٥٧.

(٥) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٦٥ ويقول أيضاً: «في قوله تعالى إنه مكر وفقر يعني الوليد فكسر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وفقر أي هيأ الكلام في نفسه والتعبت تقول قدرت الشيء إذا هيأته وذلك أنه لما نزل حم تجزئ الكتاب من الله العزيز العليم إلى قوله إليه المشير سمع الوليد يقرؤها فقال والله لقد سمعت منه كلاماً ما حر كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له خلوة وإن عليه للطلاوة وإن أعلاه مشمر وإن أصله لمندق وإنه ليعلو ولا يعلو عليه وما يقول هذا بشر سألته فربش صبا الوليد لتسبون فربش كلها وكان يقال للوليد ربخانة فربش فقال أبو جهل أنا أكفيكموه ممضى إليه حربنا فقال له مالي أراك حربنا فقال له ومالي لأحزون وهذه فربش يجمعون لك نفقة يمينونك بها على كبر سنك وبرعمون أنك زيت كلام محمد وتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتسأل من فضل ضاعهما فغضب الوليد وتكلم وقال أنا أحتاج إلى كسر محمد وصاحبه فأنتم تعرفون قسدر مسالي والسات وبمعى ما بي حاجة إلى ذلك وإنما أنتم تزعمون أن محمداً محنون فهل رأيتموه قط يفتق قالوا لا والله قال وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه نطق شعر قط قالوا لا والله قال فزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط قالوا لا والله، فقال فزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط ولقد رأينا للكهنة أسحاجاً وخالجا فهل رأيتموه كذلك قالوا لا والله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الأمين من كثرة صدقه فقالت فربش للوليد فما هو ففكر في نفسه ثم نظس ثم عبس فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه» | الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٧٤/٧٥ |

بل كان العرب الخلفاء، إذا سمعوا القرآن الكريم يملون طرباً، ويهتزون إعجاباً، وكيف لا والجن هم الآخرون قد شهدوا هذا الجمال والإعجاز معاً. تعالى: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا أَحَدًا \* وَأَنَّهُ تَنفَّخَ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا \* وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا \* وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾<sup>(١)</sup>.

يقول العلامة ابن كثير: «يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم إخبار قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشد حيث يقود إلى السداد والنجاح فآمنوا به ولم يشرك بربنا أحداً وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكانت عادة العرب في جاهليتها أن يعوذوا بعظيم ذلك المكان من الجن أن يصيبهم بشيء يسوؤهم<sup>(٣)</sup>، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارتة فلمسا رأت الجن أن الإنس يعوذونهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً خوفاً وإرهاهاً ودعراً حتى بقوا أشد منهم عافية وأكثر تعوداً بهم، وازدادت الجن عليهم بذلك جرأة<sup>(٤)</sup>.

إذن من الطبيعي أن ينجي أسلوب العلوم كلها ومنها الفلسفة دون أسلوب القرآن الكريم بكثير، وأن يكون التلافة أقل شأنًا وأدنى منزلة من الأنبياء والمرسلين، بل ومن السلف الصالح، وذلك لا منازعة فيه، نظراً للفوارق الضرورية القائمة بين طبيعة النقل الملؤل المعجز، وطبيعة الفكر الإنساني الذي تتعاقبه أوجه النقص الإنساني على كل ناحية<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الجن - الآيات ١/٥.

(٢) سورة الأحقاف - الآية ٢٩.

(٣) فعن كردم بن أبي السائب الأسدي قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بمكة فأوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فرتب الراعي فقال يا عامر الراعي حارك فنادى مناد لا تراه يقول يا سرحان أرسله فاني الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة. [الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٣٠] وحديثه بالذكر أن كردم بن سفيان الثقفي والد ميمونة له صحة روت عنه ميمونة. [راجع التاريخ الكبير ج ٧ ص ٢٣٧ - رقم: ١٠١٩، وللعميد راجع الإصابة ج ٥ ص ٥٧٧ رقم: ٧٣٩٤]

(٤) الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص: ٤٢٩.

(٥) راجع للعلامة ابن الوزير العسكان - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان. وإعجاز القرآن للعلامة الرافعي.

أما عن مخالفة أسلوب تأليف الفلاسفة لأسلوب تأليف السلف الصالح، فذلك أمر وارد ومرجع لتسلك السلف الصالح بالنقل المترل، ومن كان ذلك شأنه، فتحتمل سيطرته به، بل كسان السلف الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - يمثلون الصور الحية لتعاليم الله تعالى، الواردة في النقل المترل.

كما أن تمسك الفلاسفة المسلمين بالعقل الصحيح، والاسترشاد بالنقل الصحيح، جعل منطق العقل عندهم في بعض الأحيان، سابقا على منطق غيره، فإذا أضيف إليه محاولاتهم الجادة - وبخاصة من جانب الفلاسفة المسلمين - للتوفيق بين الدين والفلسفة، أو بين العقل والنقل<sup>(١)</sup>، وهى السبيل تفرض عليهم ممارسة تلك المخالفة في التعبير، لما كان عليه السلف الصالح - رضوان الله عليهم - طبقا لموضوعات المعالجة والمناهج المستخدمة، فقد بان أن اختلاف الأسلوبين ضرورة علمية.

بيد أن القول بتحريم الفلسفة بناء على أنها آتية عن غير المسلمين، فأقصى ما يمكن قبوله فيه، أنه حكم يرجع إلى جانب واحد، أو يرتد إلى ناحية واحدة، ألا وهو جانب الفكر المتحرر، أو ناحية الفكر المنطلق في اتجاه مخالف للنقل المترل، البعيد عن هديه، وهو الفلسفة الغير إسلامية؛ لأنها لا تسترشد بالنقل المترل، كما لا علاقة لها به<sup>(٢)</sup>.

أما الفلسفة الإسلامية فعلى العكس من ذلك تماما، إنها تمثل مرحلة النضج الفكرى في جانب هام لدى مجموعة كبيرة من مفكرى أهل الإسلام، الذين اهتموا بإبراز جمال العقيدة الإسلامية، وسيطرتها على النفوس المؤمنة بها، كما عملوا على إيجاد صيغة ملائمة بين المنتج العقلى والنقل المترل، وهو ما عرف باسم التوفيق بين الدين والفلسفة<sup>(٣)</sup>، والتأكيد على أن النقل الصحيح لا يخالف العقل الصحيح مخالفة حقيقية.

بل جعلوا من قضيتهم الأصلية، إثبات مؤاخاة النقل للعقل، وتأزر كل منهما مع الآخر، وفي هذه الحال لا يمكن القول بأن الفلسفة حرام؛ لأن طبيعة ما يقوم به أهل الإسلام من الفلاسفة قد تخالف طبيعة ما يقوم به غيرهم، أما كونها جاءت من عند غير المسلمين، فهذا قول غير صحيح، وإنما يمكن القول بأن الفلسفة من حيث التعلم والدراسة مباحة على لغة الشرح، كما ذهب إلى ذلك ابن رشد وغيره من مفكرى الإسلام<sup>(٤)</sup>.

(١) الدكتور رجب عبد العظيم - دراسات في الفلسفة ص ١٥٢.

(٢) راجع كتابنا: رياض الأشراف في المتأخرين والأخلاق ص ٧٢.

(٣) الدكتور رجب عبد العظيم - دراسات في الفلسفة ص ١٥٧ ط أول ١٩٧٥م.

(٤) وسوف أعرض لذلك إن شاء الله تعالى في الباب الرابع من هذا الكتاب تحت عنوان: حكم دراسة الفلسفة في البيئة الإسلامية.

الجدل طريقة من طرق الحوار، وكلما كان الجدل منهجياً، فإن نتائجه تكون علي غايه الوفاق مع التواعد الصحيحة، وهو الجدل المشروع، لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنَافِقِينَ﴾ (١).

يقول الإمام الطبري: «يخاطب الله تعالى نبيه محمد ﷺ: فيقول ادع يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته إلى سبيل ربك يقول إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقك وهو الإسلام بالحكمة يقول بوحى الله الذي يوحى إليك وكتابه الذي يرثه عليك والموعظة الحسنة يقول وبالعبير الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه وذكرهم بها في تنزيله كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه وذكرهم فيها ما ذكرهم من آياته وجادلهم بالتي هي أحسن يقول وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى ولا تعص في القيام بالواجب عليك من تليفيهم رسالة ربك. وقوله "إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله": إن ربك يد محمد هو أعلم بمن حار عن قصد السبيل من المخالفين في السبت وغيره من خلقه وحساد الله وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومحجة الحق وهو يجاز جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه» (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا فَهُمْ لَكُمْ بَشَرٌ كَقَوْلُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

يقول الإمام القرطبي: «قال مجاهد قوله تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب" هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبية على

(١) الجدل: فيه "ما أوتي قوم الجدل إلا سئلوا الجدل مُتَابِلَةً الْحُجَّةُ بِالْحُجَّةِ، وَالْمُحَادَّةُ: الْمُنَاطَرَةُ وَالْمُحَاسَنَةُ. والمراد به في الحديث الجدل على الباطل، وطلب المغالاة به، فأما الجدل لإظهار الحق فإن ذلك مُشْمُورٌ، لقوله تعالى ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. [النهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٢٤٧/٢٤٨]، وعند العلامة الجرحاني: الجدل دفع المسره خصمه عن إفساد قوله بجملة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة والجدال عبارة عن مسراه يتعلق بإظهار المذهب وتقريرها. [راجع في هذا الشأن للعلامة السيد الشريف الجرحاني - التعريفات ص ٦٦]

(٢) سورة النحل - من الآية ١٢٥

(٣) الإمام الطبري - جامع البيان ج ١٤ ص ١٩٤/١٩٥.

(٤) سورة العنكبوت - الآية ٤٦.

حججه وأياته، رجاء إجابته إلى الإيمان لا على طريق الإغلاظ والمحاينة، وقوله على هذا إلا الذين ظلموا منهم معناه ظلموكم وإلا فكأنهم ظلمة على الإطلاق<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: "وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل (الآية<sup>(٢)</sup>)»<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن سيرين<sup>(٤)</sup>: «إذا قيل لك أنت مؤمن؟ فقل: "آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق" الآية. وكره أكثر السلف أن يقول الرجل: أنا مؤمن حقا»<sup>(٥)</sup>.

يبد أن هناك جدلا آخر فيه الكثير من الابتداع والانحراف<sup>(٦)</sup>، وهو المنهى عنه شسرها

(١) وقيل المعنى لا تخادلوهم من آمن محمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب المؤمنين كعبد الله بن سلام ومن آمن معه إلا بالتي هي أحسن أي بالموافقة فيما حدتوكم به من أخبار أو التلهم وغير ذلك، وقوله على هذا التساويل إلا الذين ظلموا يريد به من بقي على كفره منهم كمن كفر وعذر من قريظة والنضير وغيرهم والآية على هذا أيضا محكمة وقيل هذه الآية منسوخة بآية القتال، وهي قوله تعالى فاتوا الذين لا يؤمنون بالله قاتلوا قتادة إلا الذين ظلموا أي جعلوا الله ندا وقالوا يد الله معلولة وإن الله فقير فيؤذء المشركون الذين نفسوا الحرب ولم يؤذوا الخزية فانتصروا منهم فقال سبحانه وغيره من قال هي مسرحة استخ بأن الآية مكية ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا ظف حربية ولا غير ذلك وقول مجاهد: حسن لأن أحكام الله عز وجل لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخبر يعطى المصدر أو حجة من معقول. وقوله إلا الذين ظلموا منهم معناه إلا الذين نفسوا للمؤمنين الحرب فحادهم بالشيف حتى يؤمروا أو يعطسوا الخزية

(٢) الإمام البخاري - صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٦٣٠ - باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - الحديث رقم: ٤٢١٥ .

(٣) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج: ١٣ ص: ٣٥١/٣٥٠

(٤) هو الإمام شيخ الإسلام محمد بن سيرين أبو بكر مول أنس بن مالك الأنصاري البصري حج زمن ابن الزبير، قال أنس بن سيرين ولد أخي محمد لسنتين بغيثا من حلابة عمر و١٠ رواية عثمان وولدت بعده سنة قاتلة، سمى أبنا هريرة وعمران بن حصين وابن عيسى وعدي بن حاتم وابن عمر وعبيدة السلماني وشريحا القاضي وأنس بن مالك وحلقا سواهم روى عنه قتادة وأبواب ويوس بن عبيد وابن عوف وحالد وغيرهم | راجع العلامة الإمام محمد بن إبراهيم بسن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المولود ١٩٤هـ المتوفى ٢٥٦هـ - التاريخ الصغير (الأوسط) ج: ١ ص: ٢٦٠ - رقم: ١٢٦٤ - دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ٢ - تحقيق محمود إبراهيم زايد - سير أعلام النبلاء ج: ٤ ص: ٦٢٠/٦٠٦، رقم: ٢٤٦، وراجع التاريخ الكبير ج: ١ ص: ٩٠ رقم: ٢٥١ |.

(٥) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج: ٢ ص: ١٣٩ .

(٦) الأستاذ بركات محمد انتهى - الخذل بين القول والبرء ص: ٢٣ ط ١٩٥٤م.

ففي الحديث الشريف عن أبي أمامة الباهلي<sup>(١)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان غنياً وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»<sup>(٢)</sup>.

وذهب خصوم الفلسفة إلى أنها حرام؛ لأنها من علوم الأوائل على وجه الإجمال. وهي تنسب على الجدل المنهني عنه شرعاً، ولا تعتمد في واقع أمرها على إفراز نفع يقع للبشرية، في أي جانب، ويستدلون على ذلك بأن النبي ﷺ يستعيز منه في دعائه.

ففي الحديث الشريف عن زيد بن أرقم<sup>(٣)</sup> قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والحرم وعذاب القبر اللسهم أت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يفصح ومن نفس لا تشيع ومن دعوة لا يستجاب لها»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول اللهم إني أعوذ بك من الأربع من علم لا ينفع وقلب لا يفصح ونفس لا تشيع ودعاء لا يسمع»<sup>(٥)</sup>، ففسد دل ذلك على أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعيز بالله من الفلسفة؛ لأن دعائه إنما قصد عندهم الأوائل<sup>(٦)</sup>، ومنها الفلسفة، وكل ما لا ينفع فهو حرام من حيث هو علم وحرام من حيث استهلاك وقت المسلم وماله في أمور غير نافعة.

كما أن الجدل الباطل يسوق العقل إلى ممارسة ألوان المحالقات، التي لا تخصي. بمثله يحرك في الناس أسباب الاختلافات، التي لا تنقطع، بل ويمزق الأمة، ويفسرق جمعيتها، كما أن هذه

(١) أبو أمامة الباهلي صحابي مشهور سكن الشام، روى عنه محمد بن زيد ومكحول ولقمان بن عامر، ومات سنة ست ومائتين [راجع تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٧٦ رقم: ٢٩٢٣، والكشاف ج ١ ص ٥٠٢ رقم: ٢٣٩٠]

(٢) العلامة أنطوني - تنعيم الأوسط ج ٥ ص ٦٨ رقم: ٤٦٩٣.

(٣) زيد بن أرقم س بن الحارث بن الخزرج الأنصاري سكن الكوفة أبو عمرو نسبة بن إسحاق غرام مع النبي سبع عشرة وغرا النبي تسع عشرة، وكنيته أبو عمرو ويقال أبو سعيد ويقال أبو عامر وقال بعضهم أبو أنيسة سكن الكوفة مئاة سنة خمس وستين وقد قبل سنة ثمان وستين وهو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان. [راجع النشأت ج ٣ ص ١٣٩ - رقم: ٤٦٤، مشاهير علماء الأمصار ج ١ ص ٤٦ رقم: ٢٩٦، والتاريخ الكبير ج ٣ ص ٣٨٥ رقم: ١٢٨٣].

(٤) الإمام مسلم - صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٨ رقم: ٢٧٢٢.

(٥) الحاكم - المستدرک علی الصحيحین ج ١ ص ١٨٥ رقم: ٣٥٤، وأخرج ابن حبان عن حابر بن عبد الله قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أسألك علماً نافعاً وأعوذ بك من علم لا ينفع» [صحيح ابن حبان ج ١ ص ٢٨٢ - ذكر ما يجب على المرء أن يسأل الله جل وعز العلم النافع وزكها الله يسأله وكل مسلم - رقم: ٨٢].

(٦) الدكتور توفيق الطويل - قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ١١٧.

الاختلافات تذهب بقوتها، وذلك حرام كنه، نص عليه الشارع في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِعْكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول العلامة الطبري: «يخاطب الله تعالى المؤمنين به: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به وما نهاكم عنه ولا تخالفوها في شيء ولا تنازعوا فتفشلوا ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا يقول فتضعفوا وتجنّبوا وتذهب رِعْكم واصرروا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنه وتركوه إن الله مع الصابرين يقول اصرروا فإني معكم»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الشريف عن سعد مولى عمرو بن العاص قال: «تناجر رجلان في آية فارتفعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر»<sup>(٣)</sup>. وسن عبد الله بن عمرو قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا المراء في القرآن فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا في القرآن فإن المراء في القرآن كفر»<sup>(٤)</sup>، وعن جندب بن عبد الله قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فيه فتقوموا»<sup>(٥)</sup>؛ حتى لا يقع على أهل الإيمان القول بأنهم تنازعوا فيما يغضب الله تعالى.

ولما كانت الفلسفة لا تقوم إلا على الجدل المنهى عنه شرعاً، ويترتب عليها تفرق الأمة، وانعدام وحدتها، وتعرض قوتها للإهيار، فإنها تكون خراباً قام على الحرام، كما أن تعلمها ودراستها والاستفادة بها، على أية ناحية يكون حراماً كله؛ لأن الشارع قد هي عنه.

#### ﴿بمناقشة الدليل﴾

أجل الجدل المنهى عنه، هو الذي يفرق الأمة؛ لأن الغرض منه يكون غلبة كل طرف للآخر بالحق أو الباطل، وذلك يستدعي تمسك كل طرف من أطراف الجدل، بما هو قائم في ذاكرته مسن معارف، دون نظر إلى صحتها من فسادها، أو إلى حقها من باطلها<sup>(٦)</sup>، ولو نظر كل واحد منهم إلى معلوماته، التي يتمسك بها، أو يدافع عنها نظراً موضوعية محايدة، لبان له أن هناك قدراً من التحالوز قد وقع فيه.

(١) سورة الأنفال - الآية ٤٦.

(٢) الطبري - جامع البيان ج ١٠ ص ١٥٠.

(٣) ابن أبي شبة - معنف ابن أبي شبة ج ٦ ص ١٤٢ - ٤١ من هي عن الثماري في القرآن - رقم: ٣٠١٦٥.

(٤) ابن أبي شبة - معنف ابن أبي شبة ج ٦ ص ١٤٢ - ٤١ من هي عن الثماري في القرآن - رقم: ٣٠١٦٦. وعن أبي هريرة قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدل في القرآن كفر». [معنف ابن أبي شبة ج ٦ ص ١٤٢ - ٤١ من هي عن الثماري في القرآن - رقم: ٣٠١٦٩].

(٥) ابن أبي شبة - معنف ابن أبي شبة ج ٦ ص ١٤٢ - ٤١ من هي عن الثماري في القرآن - رقم: ٣٠١٦٧.

(٦) الأستاذ بركات محمد التهامي - الجدل بين القبول والرد ص ٣١.



❖ أما الفلسفة فإن أول خطوة يقوم بها الفيلسوف نحوها، إنما هي التخلص أولاً عن المعلومات الفاسدة، واختبار صحة ما يتبقى من معلومات، يظن أنها صحيحة. أما لماذا؟  
❖ فلأن الفلسفة العامة تشترط على دارسها شروطاً ثلاثة:

❖ الأول: إن تغيب العقيدة الدينية أثناء بحث المشكلات الفلسفية<sup>(١)</sup>، بحيث لا تجعله خاضعاً إلا لنتائج البحث العلمي المجردة.

❖ الثاني: عدم التعصب لأي رأى ما لم تكن أدلته برهانية؛ لأن كل الآراء قابلة للآخذ والرد، وهي تحمل الحق أو الباطل فعليه جانب على الآخر لابد أن تكون غلبة دليل برهاني<sup>(٢)</sup>، لا غلبة انجساع وجداني، أو جانب لفظي أو كلامي، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

❖ الثالث: أن تكون لديه القدرات الكاملة والملكات المتميزة، حتى لا يقع ضحية متشابه الآراء، فيعتقد صحة رأى مع أنه خطأ، أو يذهب إلى نقطة رأى مع أنه صواب<sup>(٤)</sup>، وذلك يستلزم ضرورة أن تكون الأحكام السابقة التي تمثل رصيده المعرفي يقينية، وهي أبرز الموصفات الفنية التي تتمسك بها الفلسفة العامة، بالنسبة لمن يقوم بالبحث فيها.

ثم أما الفلسفة الإسلامية فإنها تشترط في دارسها:

١- صحة العقيدة.

٢- ممارسة الكتاب والسنة.

٣- صحة الملكات.

٤- سلامة الذهن وصفاء الفريضة.

٥- أن تكون دراسته للفلسفة بغرض الاهتداء إلى الصواب<sup>(٥)</sup>.

وهذه الشروط هي التي جعلها علماء أهل الإسلام ضرورية في كل دارس لعلم المنطق، ولما كانت الفلسفة تشمل المنطق وغيره، فإن نفس الشروط تنطبق عليها من باب أولى.

(١) لأن العقيدة الدينية ليست محلاً للبحث الفلسفي، وإنما على الفلسفة القيام بتدعيم تلك العقيدة في النفوس من خلال استحداث ضرائق جديدة، في كل من الدفاع عنها أو تنبئتها في النفوس.

(٢) الدكتور فوزي محمد جمعة - مناهج التفكير الإسلامي ص ١٩٧.

(٣) سورة النمل - الآية ٦٤.

(٤) الأستاذ خير محمد ضيغ - الفلسفة ومشكلاتها ص ٢٥ ط ١٩٤٧م.

(٥) الدكتور صدى محمد زامرة - التراث الإسلامي ص ١٢١.

ثم قال العلامة الشيخ عبدالرحمن الأحضري:

والقولة المشهورة الصحيحة : جوازها لكامل القريحة  
مبارس السنة والكتاب : يهتدى به إلى الصواب<sup>(١)</sup>

إذن الجدل المنهي عنه هو واحد من أنواع كثيرة، والشروط التي وضعها الفلاسفة تقول بين الجدل المنهي عنه وممارسة التفلسف، وإذا كان لدى أهل الإسلام رغبات عديدة للجدل والسفسطة، كالحال مع السوفسطائيين في اليونان قديماً، والشكاك الفرنسيين من أمثال فونتساي في العصر الحديث، فإن النصوص الشرعية عندنا - نحن المسلمين - كانت العاصمة لأهل الإسلام عن ممارسة هذا الجدل المحرم<sup>(٢)</sup>، ومن ثم فالحكم بأن الفلسفة تقوم على الجدل يكون متعدياً بالنسبة إليهم.

كما أننا إذا فرضنا أن جزءاً من جزئيات التفكير الفلسفي قد حاض فيه البعض على طريقة الجدل المنهي عنه، فليس معنى هذا أن ينصب الحكم على كل أجزاء الفلسفة، وكل أنواعها؛ لأن حكم الخاص لا ينطبق على العام<sup>(٣)</sup>، مادامت القرينة منقطعة.

أضف إلى ما سبق أنه على فرض قيام الجدل المنهي عنه في الفلسفة، أليست الغاية هي الوصول إلى الحق وهو أمر شريف، وبالتالي فكل غاية تؤدي إلى أمر شريف، فإن الوسائل التي تمارس فيها تكون هي الأخرى شريفة، لا من حيث هي، وإنما باعتبار الغاية المترتبة عليه<sup>(٤)</sup>.

ثم أليست نصوص الشرع الشريف قد حرمت الكذب، ومع هذا جاءت قاعدة الاستثناء في النصوص الشرعية، لتحدد ثلاثة مواضع يقع فيها الكذب بالمنطوق اللغوي، ويكون صدقاً على ناحية المفهوم الشرعي، ففي الحديث الشريف: عن أسماء بنت يزيد<sup>(٥)</sup> قالت: « قال رسول الله ﷺ لا

(١) العلامة عبدالرحمن الأحضري - من السلم وهامته شرح الشيخ الأحضري على من السلم ص ٥، وجمع مهمات الثرون - من السلم ص ٣١٢ ط ١ الخلي والشيخ الأحضري هو الشيخ عبدالرحمن بن محمد الصنع الأحضري مسير علماء القرن العاشر الهجري.

(٢) وذلك راسخ في النصوص الإسلامية التي قيدت الجدل بالنفي هي أحسن، وهو بين في القرآن الكريم والسنة النبوية المفطرة الصحيحة.

(٣) الدكتور وفاء محمد السيد السعدن - دراسات في منطق القضايا ص ٧١.

(٤) الدكتور عبدالعظيم محمد الثوري - التفكير ومنطلقاته ص ٥٣.

(٥) أسماء بنت يزيد بن السكن. أم عامر وأم سلمة الأنصارية الأشهلية بنت عمة معاذ بن جبل من المبايعات المهاجرات روت عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة أحاديث، وقتلت بعمود حبانها يوم اليرموك تسعة من الروم، سكنت دمشق وقبر أم سلمة الذي بمقبرة الباب الصغير هو قبرها إن شاء الله، حدث عنها مولاها مهاجر وشهر بن حوشب وبجهاهد وإسحاق ابن راشد وابن أخيها محمود بن عمرو وآخرون، وعاشت إلى دولة يزيد بن معاوية. [سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٩٦ رقم: ٥٣].

يحل الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس»<sup>(١)</sup>.

وعن أم كلثوم بنت عقبة<sup>(٢)</sup> قالت: «ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحص في شيء من الكذب إلا في ثلاث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أعده كادبا الرجل يصلح بين الناس يقول القول لا يريد به إلا الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها»<sup>(٣)</sup>.

إذن لا يمكن قياس الجدل في الفلسفة هنا على الكذب بجامع استعمال المفهوم الشرعي بسدل المنطوق النفي، وتحقيق الغاية المنشودة في كل منهما، وهي تعريف المتحاورين بأوجه الخطأ، بغية إيقافهم على صحيح العقيدة الإلهية، وكيفية تعييدهم للحائق العظيم جل علاه، وضرورة أن يكون ذلك كله من خلال اتباعهم للنبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ، ويكون الجدل معهم بالحسين<sup>(٤)</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالْيَاسِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَلِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

إذن الفلسفة عنى هذه الناحية لم تكن داخلية في نطاق العلم، الذي استعاض منه الرسول ﷺ؛ لأنها علم نافع، من جاء على الطريقة المشروعة، ومن يتعرف وظائف الفلسفة ويقف على فوائدها، حتما سيجد أنها تقدم منافع كثيرة، تخرى في كل أبنائها، وتشيع بين ثايا جناها، وكلما أمكن لمفكر مسلم القيام بها، فإنه حتما سيحقق أعلى قدر من الأمان.

ولا أسافر مع الريح أو أغرب في الخيال، إذا قلت: إن العكس صحيح؛ لأن الفلسفة في أصلها تقوم على التأمل المتواصل مع التحقيق الدقيق، والفحص الفني، ومن أراد دليلا فليعد إلى تعريفات الفلسفة، أو تقسيماتها لدى مفكرى المسلمين، فسرى ذلك جليا.

(١) الإمام الترمذى - سنن الترمذى ج ٤ ص ٣٣١ - ٢٦ باب ما جاء في إصلاح ذات البين رقم: ١٩٣٩، وأخرجه ابن أبي شيبة - مصنف ابن أبي شيبة ج ٥ ص ٣٢٧ رقم: ٢٦٥٦٥.

(٢) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كانت تحت زيد بن حارثة ثم تزوجها عبد الرحمن بن عوف وهي أم إبراهيم وحفيد ابن عبد الرحمن بن عوف ثم تزوجها الزبير بن العوام ثم تزوجها عمرو بن العاص. [الثقات ج ٣ ص ٤٥٨ رقم: ١٥٣٢]

(٣) البيهقي - سنن البيهقي الكبرى ج ١٠ ص ١٩٧ - رقم: ٢٠٦٢٢، وأخرجه الطبراني - المعجم الكبير ج ١ ص ١٢٧ رقم: ١٨٩١.

(٤) راجع كتابنا: لماذا انتشر الإسلام ج ١ ص ٩٧.

(٥) سورة النحل - من الآية ١٢٥.

فالشيخ الرئيس ابن سينا مثلاً يعرفها بأنها: استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور، والتصديق بالحقائق النظرية والعملية، على قدر الطاقة الإنسانية، وهذا التعريف واضح في إفادة الفلسفة أمورا قد لا تقوم بهذه الأمور علوم غيرها، حتى وإن كثرت، كما أنه عند تقسيمه لما ذكرها:

❖ **حكمة نظرية:** وهي المتعلقة بالأمور التي لنا أن نعلمها، وليس لنا أن نعمل بها، وتسمى حكمة عنمية أيضاً، وهي أنواع ثلاث:

- ١- طبيعية.
- ٢- رياضية.
- ٣- إلهية.

❖ **حكمة عملية:** وهي المتعلقة بالأمور التي لنا أن نعلمها ونعمل بها، وهي أنواع ثلاثة:

- ١- مدنية.
- ٢- منزلية.
- ٣- خلقية.

ثم ينتهي القول إلى أن أنواع الحكمة العملية مستفاد مبدؤ هذه الثلاثة من جهة الشريعة الإلهية<sup>(١)</sup>.

بناء على ما سلف ذكره يمكن القول بأن الفلسفة - الإسلامية على الأقل - تقوم على الأسس الشرعية، فتكون دراستها والاشتغال بها أمراً شرعياً أيضاً.

#### الدليل الرابع: أنها بدعة تلتصق بصاحبها في النار

❖ **عرض الدليل:**

ذهب القائلون بتحريم الفلسفة إلى أنها محدثة إذ لم يكن لها وجود في عهد الرسول ﷺ، ولا في عهد الصحابة والتابعين، وبالتالي فتكون بدعة، وكل بدعة منتهى عنها شرعاً، لما ورد في الحديث الشريف عن العرياض بن سارية<sup>(٢)</sup> قال: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة العداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال: رجل إن هذه موعظة مسودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال: أوصيكم بتقوى الله، والسبع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد

(١) الشيخ الرئيس ابن سينا - تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ج ٢ ط دار العرب للكتاب.

(٢) العرياض بن سارية السلمي يكنى أبا نجيح، والعرياض أبو الحارث، من البكائين ومن أهل الضفة سكن الشام ومات هـ ٤٠ سنة خمس وسبعين وقيل بل مات في فنة ابن الزبير روى عنه من الصحابة أبو رهم وأبو أمامة وروى عنه جماعة من تابعي أهل الشام، وهو ممن نزل فيه "ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم" الآية

راجع الاستيعاب ج: ٣ ص: ١٢٣٨ رقم: ٢٠٢٦، والكاشف ج ٢ ص ١٧ رقم: ٣٧٦٦، والفتاوى ج ٣ ص ٣٢١ رقم: ١٠٤٦، ومشاهير علماء الأمصار ج ١ ص ٥١ رقم: ٣٣١.]

حيثي، فإنه من يعيش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم وعذبات الأمور، فلما ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما هما انتتان الكلام والمهدي فأحسن الكلام كلام الله وأحسن المهدي هدي محمد ألا وإياكم وعذبات الأمور فإن شر الأمور عذباتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الأمد فتفسوا قلوبكم ألا إن ما هو آت قريب وإنما البعيد ما ليس بآت ألا إنما الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره ألا إن قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح بالجحد ولا بالهزل ولا يعد الرجل صبيه ثم لا يفي له فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإنه يقال للصادق صدق وبر ويقال للكاذب كذب وفجر ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا»<sup>(٢)</sup>.

ومن الثابت: أن أهل الإسلام الأوائل، كانوا يمارسون الاتباع للسلف الصالح وأهل العرفان بالله تعالى مع التفكير العقلي، ثم الاستسلام لما نهي به النقل المتزل المعصوم، وفي نفس الوقت كانوا يرفضون الابتداع للفرق المائل بين معاني كل منهما، كما أن الابتداع ينتهي بأصحابه إلى الخروج التام عن الإسلام، ففي الأثر: «عن عبد الله بن مسعود قال اتبعوا ولا تتدعوا فقد كفيتم وكل بدعة ضلالة»<sup>(٣)</sup>.

وكان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يرفضون البدعة، كما يجارون المبتدعين؛ لأن أصحاب البدعة كالنار التي تأكل من يقترب منها في الحال، وتال من يتعامل معها في مستقبل الأيام، ومن ثم تكون مقاومة البدعة والتنفير من أصحابها ضرورة شرعية، جاءت بها النصوص الإسلامية.

بيد أن التابعين هم الآخرون كانوا ينظرون إلى أصحاب البدع على أنهم فسقة، فإذا أسروا على ممارستها، اعتبروهم مرتدين، فلما الاستتابة في الأيام الثلاثة والإعلان عن عدم العودة، وإمالا حذا، ولا تقبل فيهم شفاعة أبدا، لقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُتِلَ وَهُوَ كَافِرٌ

(١) الإمام الترمذي - سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٤ - ١٦ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واحتساب البدع - رقم: ٢٦٧٦، وأحمد - مسند أحمد ج ٤ ص ١٢٦ رقم: ١٧١٨٤، وأخرجه الطبراني - المعجم الكبير ج ١٨ ص ٢٤٥ رقم: ٦١٧، والحاكم - المستدرک علی الصحیحین ج ١ ص ١٧٤ رقم: ٣٢٩، وابن حبان - صحيح ابن حبان ج ١ ص ١٧٨ - ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفرق عليها أمة المهديين صلى الله عليه وسلم رقم: ٥.

(٢) الإمام محمد بن يزيد بن ماجة القزويني - سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٨ رقم: ٤٦.

(٣) الإمام الطبراني - المعجم الكبير ج ٩ ص ١٥٤ - رقم: ٨٧٧٠، والدارمي - سنن الدارمي ج ١ ص ٨٠ رقم: ٢٠٥، والهيثمي - مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨١ - باب الإقتداء بالسلف، ورواه المعطلون - كشف الخفاء ج ١ ص ٣٤٤.

فَأُولَئِكَ خَطَبَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(١)</sup>،  
فبدخل المرتد ضمن المشركين . في هذه الآية خطاب للنبي ﷺ، والمراد منه أمته؛ لأنه ﷺ يستحيل  
منه الردة شرعاً<sup>(٢)</sup> . وعن ابن عباس رضي الله عنهما . قال: « إن رسول الله ﷺ قال: من بدل دينه  
فاقتلوه »<sup>(٣)</sup>.

ثم جاء من بعد السلف والتابعين الأئمة الأعلام، فكان أمرهم بالنسبة للفلسفة كالحال مع  
السابقين، فإبراهيم بن رستم<sup>(٤)</sup> قال: قلت لأبي حنيفة<sup>(٥)</sup>: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في  
الأعراض والأجسام؟ فقال أبو حنيفة: عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة<sup>(٦)</sup>.

إذن السؤال منصرف إلى الفلسفة والفلاسفة عموماً، وما يتردد على الألسنة منسوباً إلى كل  
ما يجارسه الفلاسفة، دون تخصيص لنوع من الفلسفة، وبالتالي حكم الإمام الأعظم على أنها جميعاً  
بدعة، يستوى في ذلك كل الفلاسفة، كما يستوى كل عملهم العقلي، على أنها كلها بدعة، وكل

(١) سورة البقرة الآية ٢١٧ .

(٢) الإمام ابن العربي أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦٥٨ .

(٣) ابن ماجه - سنن ابن ماجه - كتاب الحدود - باب المرتد عن دينه ٨٤٨/٢ - حديث رقم: ٢٥٣٥ - حاشية  
السدي على السنن - للإمام السدي - ص: ١٨٩ - باب الحكم في المرتد - الحديث رقم: ٤٠٥٩ - مكتبة جامعة  
الدول العربية . وأخرجه الإمام الترمذي - باب ما جاء في المرتد - الحديث رقم: ١٤٨٣ - ١٠ . ورواه أبو داود -  
باب الحكم بين ارتد - الحديث رقم: ٤٣٥١ ، ورواه الإمام البخاري - ١٤٧ - باب: لا يعذب بغير الله -  
الحديث رقم: ٢٨٥٤ ورواه أيضاً في: ٢ - باب: حكم المرتد والمردة واستتابتهم - الحديث رقم: ٦٥٢٤ .

(٤) إبراهيم بن رستم بن مهران بن رستم أبو بكر الفقيه المروزي روى عن أبي حمزة السكري والحسين بن واقد وإسماعيل  
بن زكريا وحماد بن سلمة وعبد بن عمرو زنيح وحماد بن زيد وأبي غوبة روى عنه رواد بن الخراش ومعاذ بن أسد  
المروزي وعبد بن عمرو زنيح وعبد بن عيسى أنقري، الأصبهاني، وقدم بغداد غير مرة وحدث بها فروى عنه مسن  
العراقيين سعيد بن سليمان سعدويه وأحمد بن حنبل وزهير بن حرب، وكان إبراهيم بن رستم من أهل كرمان ثم نزل  
مرو في سكة الديباغين وكان إبراهيم أولاً من أصحاب الحديث مسقط الحديث، وخرج إلى محمد بن الحسن وغيره من  
أهل الرأي فكتب كتبهم وحفظ كلامهم فاختلف الناس إليه وعرض عليه القضاء فلم يقبله فدعا المأمون فترسه منه  
وحذنه وأتاه ذو الرياستين إلى منزله مسلماً فلم يتحرك له ولا فرق أصحابه عنه فقال له أنشكبا وكان رجلاً متكلماً  
عجلاً لك بأيتك وزير الخليفة فلا تقرب من أهل هؤلاء الديباغين عندك فقال رجل من أولئك انتفضة عن من ديساغي  
الدين الذي رفع إبراهيم بن رستم حتى حانته وروى - خليفة فسكت أنشكبا . مات إبراهيم بن رستم المروزي ببغداد  
قدمها حاجاً وقد مرض سرحل ففنيها تسعة أيام وهو غلب ومات اليوم العاشر وهو يوم الأربعاء لعشر بقين مسن  
حمادي الآخرة سنة إحدى عشرة ومائتين في دار إسماعيل الصوسي في سكة حفص وصلى عليه الأمير محمد بن محمد بن  
حميد الظاهري ودفن باب معمر . [ راجع تاريخ بغداد - ٦ ص ٧٢ رقم: ٣١٠٧ ، والجرح والتعديل ج ٢ ص ٩٩ ]

(٥) هو الإمام أبو حنيفة، وأسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي، فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام، والسادة الأعلام،  
وأحد أركان العلماء وأحد الأئمة أصحاب المذاهب المتبعة، وهو أقدمهم وفاة لأنه أدرك عصر الصحابة، ورأى أنس  
بن مالك، وروى عن سبعة من الصحابة ما لا أعلم، وروى عن جماعة من التابعين . وقال الشافعي من أراد عيال على مالك فهو  
عيال على أبي حنيفة، ومن أراد السير فهو عيال على محمد بن إسحاق ومن أراد الحديث فهو عيال على مالك ومسن  
وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين، وكان مولده في سنة ثمانين فتم له من العمر سبعون سنة وصلى عليه ببغداد ست  
مرات لكثرة الزحام وقبره هناك رحمه الله . [ راجع البداية والنهاية ، للإمام ابن كثير - ذكر ترجمة . ، وراجع معجم  
المؤلفين ١٠٤/١٣ ، الجواهر المضية ص ٣٠/٢٦ ]

(٦) الإمام حلال الدين السيوطي - صور المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ج ١ ص ٦٦ .

بدعة بلا شك ضلالة، وبالتالي فتعلم الفلسفة والنظر في كتبها أو مصاحبة أصحابها يعتبر بدعة وضلالة في آن واحد، ومن ثم فهي حرام على كل ناحية.

وقد استطال المتكبرون للفلسفة فوق أسوار البدعة، وأعلنوا إنكار الفلسفة من حلال مفهوم البدعة، وبناء عليه استطاعوا وصف القائلين بالفلسفة أو عليها بالنقص والسفه والجهالة<sup>(١)</sup>، وكل الأوصاف التي تحمل المذمة من أية ناحية ألصقوها بالفلسفة والفلاسفة.

بيد أن هؤلاء الخصوم سحلوا ذلك في كتبهم؛ لأنهم ظنوا أن الاتهامات الشفوية لن تؤدي وحدها إلى زعزعة الناس عن الفلسفة، والنفرة من الفلاسفة، وإنما لابد من اتهامات أخرى تتعلق بالدين، ومن ثم فقد سجلت هذه الاتهامات في بعض كتب علماء الأصول، كما تلاقيك في مؤلفات بعض الفقهاء أو علماء الحديث.

وقد خص بعضهم مؤلفات بعينها للظلمين في الفلسفة، والذم في الفلاسفة والإنشاء بتكثيرهم<sup>(٢)</sup>، وبعضهم خص مباحث بذاتها بعلن تحريم الفلسفة، نظراً فيها أو اشتغالها بها، وتكسبها من ورائتها<sup>(٣)</sup>، وتعلن الفلاسفة على كل ناحية.

غير أني لا أغالى إذا قلت: إن بعض هؤلاء الخصوم توسع في استخدام لفظ البدعة على الناحية التي رأها تروق له، فاعتبر أن الموصل إلى البدعة هو بعينه بدعة، من ثم ذهبوا أيضاً إلى أن النظر في علم الكلام بدعة، لأنه يخشى منه، إثارة الفتنة، والانصرار إلى البدع، فحرمه الإمام الشافعي<sup>(٤)</sup> قياساً على تحريم النظر في التشابه<sup>(٥)</sup>، ولم ينظر أصحابه من بعده، إلى أن التحريم بالقياس

(١) الدكتور فوزي محمد مصباح - الفلسفة الإسلامية وقضية التفكير ص ١٩٥ ط ١٩٧١/٢ م.

(٢) من مظاهر ذلك أن شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبدالله محمد الأنصاري السهروردي المتوفى ٤٨١هـ ألف كتاباً في ذم الكلام وأهله واستبهم بدم الفلاسفة.

(٣) كالتدلي عليه الإمام العزالي النقيض الأشعري الصوفي (٥٠٠/٥٠هـ) وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن قبله الإمام ابن الصلاح ومن بعدهم الإمام جلال الدين السيوطي وغيرهم ممن يصب حصرهم على هذا الوجه.

(٤) الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، يلتقي نسيه مع التي في عهد مناف. ولد سنة ١٥٠هـ أخذ العلم عن مسلم بن خالد بمكة، وعن الإمام مالك بالمدينة، وقرأ عليه الموطأ حفظاً فأعجبه قراءته وكان يستزيد، ورحل إلى العراق وأخذ في الاشتغال بالعلم والمناظرة ونشر الحديث وإقامة السنة، ورحل إلى مصر بعد أن علا ذكره في الأفاق، وابتكر كتاباً لم يسبق إليها منها الرسالة في أصول الفقه، وكتاب القسامة، وكتاب الجزية. توفى رحمه الله سنة ٢٠٤هـ « . [ راجع طبقات الشافعية للإمام تاج الدين السبكي ١/١٠٠ وما بعدها - طبعة دار المعارف - بيروت لبنان ] .

(٥) الإمام جلال الدين السيوطي - صون المنطق والكلام على فن المنطق والكلام ج ١ ص ٥٢ .

لا بد فيه من جماع الشروط، إذ لا يكفى في التحريم بالقياس مجرد وقوع شيء من التشابه، وإنما لابد فيه من العلة والجامع، وتحقيق الشرط، وانتقاء المانع على ما هو مدون في كتب الأصول<sup>(١)</sup>.

وحتى يضمن خصوم الفلاسفة سلامة إجراءاتهم في إصدار الأحكام بالكفر على مخالفيتهم الرأى ذهبوا إلى أن علم الكلام يؤدى إلى البدعة، والفلسفة هي الأخرى تؤدى إلى البدعة، من حيث إن كلا منهما محدث في الملة، وقد جاء الحديث الصحيح بالحكم الشرعى في المسألة، فمن عائشة قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»<sup>(٢)</sup>، وفسروا الرد على أنه البدعة، مستشهدين ببعض التفسيرات، منها ما ذكره الإمام السيوطى أن أبسا مروان العثمان<sup>(٣)</sup> قال فهو رد يعنى البدع<sup>(٤)</sup>.

ورغم أن كل العلوم الموجودة في محيط النبوة الإسلامية، لم تكن لها صورة من الصور، لكن عليها الآن، لا في صدر الإسلام عهد الرسول ﷺ، ولا في عهد الخلفاء الراشدين، فهي محدثة، ولكن لم يقع عليها شيء من الأحكام، التي أنشئت على الفلسفة والفلاسفة، أو علم الكلام والمتكلمين، ولم يقع الهام بالكفر أو الفسق على أى منها.

#### ٤٤ مناقشة الدليل:

في كل عصر من العصور يظهر البعض ممن تخلعون على أنفسهم صفات لا وجود لها على الحقيقة، فيعضهم يزعم إنايته عن الله جل علاه في مراقبة خلقه ومخاسبتهم<sup>(٥)</sup>، وبعضهم يدعى ولايته على الناس، بحق يمنحه لنفسه، أو يحاول دفع البعض للإقرار به، وما هو بمحقق شيئا منه، ويتملدى في ذلك، فيخاصم من يخالفه الرأى<sup>(٦)</sup>.

(١) يراجع في ذلك على سبيل المثال: الورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني، والمواقفات للإمام الشافعي، والأحكام في الاحكام لابن حزم الظاهري، والمنتهاج، وحاشية القليوبي، إلى غير ذلك مما هو مدون لدى علماء الأصول.

(٢) الإمام البخارى - صحيح البخارى ج ٢ ص ٩٥٩ - ٥ باب إذا اصطلحوا على صلح حرم فالصلح مبررود - الحديث: ٢٥٥٠، وأخرجه مسلم - صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣٤٣ - ٨ باب نفق الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور - رقم: ١٧١٨.

(٣) هو محمد بن عثمان بن خالد أبو مروان العثمانى القرشى بروى عن إبراهيم بن سعد حدثنا عنه شيوخنا محمد بن أحمد بن أبي عرون وغيره مات بمكة في آخر سنة أربعين ومائتين أو أول سنة إحدى وأربعين ومائتين بطنى، ونفسالف وهو محمد بن عثمان بن خالد بن عمر بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان. [راجع التفات ج ٩ ص ٩٤ رقم: ١٥٣٧٦، والتاريخ الصغير (الأوسط) ج ٢ ص ٣٧٦ رقم: ٢٩٤٠، والتاريخ الكبير ج ١ ص ١٨١ رقم: ٥٥٨، والجرح والتعديل ج ٨ ص ٢٥ رقم: ١١١].

(٤) الإمام جلال الدين السيوطى - صون المطق والكلام على فنى المطق والكلام ج ١ ص ٦٩.

(٥) الشيخ محمد حشمت نور الدين - الإنسان في القرآن ص ١٩ ط أول ١٩٢٣ م.

(٦) الدكتور على عبدالله عبدالشكور - في التيارات الفكرية ص ٧٧٠ ط مكتبة النصر ١٩٥٧ م.



ومثل هؤلاء يستخدمون الدين وسيلة لقهر خصومهم في الرأي وتنفيذ عخططهم في إنزال الهزيمة بأولئك الخصوم وإذلالهم، حتى لا يكون على الساحة الفكرية أحد سواهم، وهم في ذلك يطلقون على خصومهم الألفاظ التي تنال منهم<sup>(١)</sup>.

ولفظ البدعة في الأمة الإسلامية صار يطلق من غير ضابط لغوي أو شرعي، كما يستعمل على أية ناحية، فمن يخالف غيره الرأي سارخ أحدهما إلى وصف الثاني بأنه مبتدع، واتسع ذلك الاستعمال الغريب في البيئة الإسلامية، حتى صار يطلق على المخالط لغيره في الرأي أو الوطن، بـ «اللباس والرياش»<sup>(٢)</sup>، متى اختلفا في وجهة نظر، ولو كانت في أمور سطحية.

كما أن هذا الإطلاق والاستعمال للفظ البدعة صار يتردد على أطراف الألسنة، بغرض الوصف بالابتداع، فقامت البدعة الناس سلوكهم ومشاكل حياتهم، وراحت تطلق من غير هدف، وبلا قاعدة، أو دافع يقود إليها<sup>(٣)</sup>، أو حقيقة علمية أو شرعية تنصرف نحوها.

لكن الدراسة العلمية تأتي الانقياد للأراء العجلى، أو التي تعبر عن خصوصيات شخصية، كما تسقط من حسابها كل النتائج التي تعبر عن توجهات ذاتية في تناول الخلافات بالرأي، إنما لابد من الاعتماد على الأدلة الصحيحة، والنظر في مسائل الخلاف على ذات الوضع، وبفهم المقياس العلمي<sup>(٤)</sup>، ومن ثم فإن مناقشة ذلك الدليل تكون على النواحي التالية:

#### ١- مفهوم البدعة.

##### ١- في اللغة:

ذكرت المصادر العربية أن البدعة هي الشيء الذي لم يكن ثم كان، وذهب العلماء إلى أن البدعة لغة: ما كان مخترعاً على غير مثال سابق<sup>(٥)</sup>.

ويقول العلامة الجرجاني: «البدعة هي الفعل المخالفة للسنّة أو سميت البدعة؛ لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام وهي في ذات الوقت الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي»<sup>(٦)</sup>.

(١) الدكتور حسن محمد سالم - الجماعات الإسلامية وتطوراتها ص ٧١ ط دار الهدى ١٩٧٥م.

(٢) الرياش بمعنى وهو اللباس الفاخر ومنه قوله تعالى وربنا ولباس الثفوي وقيل الريش والرياش المسال والخشب والمعاش. [ مختار الصحاح ج ١ ص ١١١ ]

(٣) راجع كتابنا: أوراق متناثرة في التيارات المعارضة ص ٧٩ ط ١ دار مراد ١٩٩٦م.

(٤) العلامة الشيخ محمد بنووي الشافعي - نور الظلام ص ٦، ويقول ابن مطور: «بدع الشيء بدعه بدعاً وابتدعه أنشأه وبدأه، وبدع الركة استنطها وأحدثها وركي بدع حديثه أحمر و البدع» [ لسان العرب - ج ٨ ص ٦ مادة ب د ع ]

(٥) أخرجاه - الشريعة ج: ١ ص: ٦٢ مادة (بدع) رقم ٢٧٤.

❦ ويقول العلامة المناوي: « البدعة الفعلية المحالفة للسنة ففي الحديث كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، لكن قد يكون منها ما ليس بمكروه فيسمى بدعة مباحة، وهو ما تشهد لجنته أصل في الشرع أو اقتضته مصلحة تدفع بها مفسدة»<sup>(١)</sup>.

والبدع الشيء الذي يكون أولاً وفي التبريل ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾<sup>(٢)</sup>، أي ما كنت أول من أرسل إذ قد أرسل قبلي رسول كثير، والبدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلال فمما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهو في حيز المدح والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندد الله إليه وحض عليه أو ورسوله فهو في حيز المدح وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجسود واستخاء وفعل المعروف فهو من الأعمال المحسودة ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به.

ففي الحديث الشريف عن المنذر بن جرير<sup>(٣)</sup> عن أبيه قال: « قال رسول الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(٤)</sup>.

وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله قال ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه لما كانت من أفعال الخير ودخلته في حيز المدح سماها بدعة ومدحها لأن النبي لم يسمئها

(١) المناوي - التعاريف ج ١ ص ١١٨ مادة (بدع).

(٢) سورة الأحقاف - من الآية ٩.

(٣) المنذر بن جرير بن عبد الله البجلي من أهل الكوفة، روى عن أبيه في الزكاة والعلم، وروى عنه عون بن أبي جحيفة في الزكاة وعبد الله بن عمر، والضحك بن المنذر، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو حيان التميمي. [راجع رجال مسلم ج ٢ ص ٢٤٩ رقم: ١٦١٥، والفتاوى ج ٥ ص ٤٢٠ رقم: ٥٤٩٨، وغريب الكمال ج ٢٧ ص ٥٠١].

(٤) الإمام مسلم - صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٠٤ رقم: ١٠١٧، وأخرجه أبو حاتم - صحيح ابن حبان ج ٨ ص ١٠١ - ٩ باب صدقة التطوع رقم: ٣٣٠٨، وقال أبو حاتم: « هذا الخبر دال على أن قول الله جل وعلا لا تنسروا وزارة ووزر أخرى أراد به بعض الأوزار لا الكل إذ أخبر المين عن مراد الله جل وعلا في كتابه أن من سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده فكان الله جل وعلا قال لا تنسروا وزارة ووزر أخرى إلا ما أحرمتكم رسولي صلى الله عليه وسلم ألها تزر والمسطفي صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك ولا حض عموم الخطاب بهذا القول إلا من الله شهد الله له بذلك حيث قال وما يطلق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى صلى الله عليه وسلم ونظير هذا قوله جل وعلا واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله حصه فهذا خطاب على العموم كقول تعالى لا تنسروا وزارة أخرى ثم قال صلى الله عليه وسلم من قتل فتيلاً ماله سلمه فأشهر صلى الله عليه وسلم أن السلب لا ينمى وأن القتل يكون منفرداً به فهذا تخصيص بيان لذلك العموم المطلق » [صحيح ابن حبان ج ٨ ص ١٠٢].

لهم وإنما صلاحها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا جمع الناس، لها ولا كانت في زمن أبي بكر وإنما عمر رضي الله عنهما جمع الناس عليها وندموا إليها فهذا سماها بدعة<sup>(١)</sup>.

كما يذكر اللغويون أن البدعة إنشاء على غير مثال سابق، يستوى في ذلك أن يكون الشيء معتزلاً من الأصل، أو مؤلفاً من أشياء لها علاقة ببعضها الأصولية، لكن على صورة معدنة، لم يكن لها امتداد في الماضي<sup>(٢)</sup>.

وهذا المفهوم اللغوي قد أكد على أن لفظ البدعة لا يخرج عن كونه استحداثاً على غير مثال سبق، ولم يتعرض للحكم الشرعي الحكم على لفظ البدعة، فكل محدث لما لم يكن له وجود سابق فقد سمي مبدعاً، والمحدث نفسه يسمى مبدعاً، يستوى في ذلك أن يكون المبتدع داخلًا في نطاق الفعل الحلال أم غيره:

## ٢. في اصطلاح علماء الشريعة:-

علماء الشريعة الإسلامية الفراء قد أفرعهم استعمال العوام والجهال، وبعض الخصوم الذين تغلبهم نزاعهم الشخصية لفظ البدعة على المخالفين لهم في الرأي، حتى صارت حديث تكفير، ودليل إمام، وحكما على بعض الأئمة، لذا فقد بينوا أن البدعة بالمفهوم الشرعي هي كل ما أحدث على خلاف أمر الشارع<sup>(٣)</sup>، والمبتدع هو من خرج عن الحق الخروج المذموم<sup>(٤)</sup>، لكن البدعة من الناحية الشرعية تقع بين الأحكام الشرعية<sup>(٥)</sup> خمسة أنواع.

**ج الأول: البدعة الحلال على سبيل الوجوب:-** سواء أكان الوجوب من فروض العين أم من فروض الكفاية، ويعرفونه أيضاً بأنه: ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع، كتدوين القرآن الكريم بالخطوط العربية المختلفة، وطبع في مصاحف صغيرة الحجم أو كبيرة، والشرائع إذا خيف عليها الضياع، فإن تبليغها لمن بعدنا من القرون يكون واجبا إجماعاً وإهمال ذلك حرام إجماعاً<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن منقور - لسان العرب ج ٨ ص ٦ مادة ب د ع .

(٢) الشيخ مرشد عبد العظيم الأسنوي - اللغة وأصولها الشرعية ص ١٨ ط الإسناوي ١٣١٥ هـ .

(٣) راجع التوائد السننوية ص ١٣ ، وحاشية القرى ص ٧، وعمدة الفارض وعليها العذب الفائق ج ١ ص ١٧ .

(٤) العلامة أبو منصور فضل الله الحنفي - شرح الحنفى على الورقات ص ٧ ط ١٣١٥ هـ .

(٥) الأحكام أنواع : الأول:- الأحكام العقلية، وهي ثلاثة: الواجب، المحاذر، المستحيل. الثان:- الأحكام الشرعية، وهي خمسة: الحلال، الحرام، المندوب، المكروه، المباح. الثالث: الأحكام العادية. الرابع: الأحكام العرفية، وكل منها له تفاصيل دقيقة توسع أهل الاختصاص في بيانها ومن أراد تفاصيلها فليرجع إليه من شاء في موطنه.

(٦) العلامة الشيخ محمد نوري الشافعي - نور الظلام شرح عقيدة العوام ص ٦ ط الخليلي ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م.

وزاد بعض المتأخرين من البدع الواجبة على الكفاية الاشتغال بعلوم العربية المتوقف عليها، فهم الكتاب والسنة، كالتحقيق والصرف والمعاني والبيان واللغة<sup>(١)</sup>، بخلاف العروض والقوافي ونحوها، وتميز صحيح الأحاديث من سقيمها، وتدوين علم الفقه وأصوله وأدلتها والرد على القدرية والجبرية والمرجئة والخمسة، إذا دعت إلى ذلك حاجة شرعية؛ لأن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على التبعين<sup>(٢)</sup>، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك، وما لا يتأتى الواجب إلا به، فهو واجب<sup>(٣)</sup>.

إذن هذه العلوم الشرعية لم تكن في عهد رسول الله ﷺ بالشكل المعروف الآن، ومن ثم ينطبق عليها الوصف بأنها مستحدثة، أو أنها لم تكن ثم كانت، ومع ذلك فلا اشتغال بها وتعلمها خلال على سبيل الوجوب العيني أو الكفائي، وإلا فكيف يتمكن الناشئة من حفظ القرآن الكريم في الصدور، واستظهاره في الأفتدة ومدارسه على الدوام.

وكذلك الحال مع العلوم التي تقدم القرآن الكريم، كعلوم القرآن ناسخ ومنسوخة، مطلقية ومقيدة، عامة وخاصة، محكمة ومتشابهة، كتابية، رسنة، نقطة، مكبة ومدنية، طوالة وفصارة، ما يتعلق بالعقيدة وما يتعلق بالأحكام، أو القصص<sup>(٤)</sup>، والأخبار، إلى غير ذلك من الوجوه التي ينطوى عليها مفهوم علوم القرآن الكريم.

كما أن السنة النبوية المطهرة الصحيحة هي الأخرى من حيث الكتابة، والشرح عليها، أو التفسيرات والتأويلات، وما يتعلق بها من الأحكام التي تعني بالسنة المطهرة الصحيحة - متنا وسندا - وهو ما يعرف لدى أصحاب التخصص باسم علم الرواية وعلم الدراية، أو علم السند والمتن<sup>(٥)</sup>، وطرائق الاستدلال بها وكيفية ذلك وما يتعلق بالسنة النبوية المطهرة الصحيحة على هذا الجانب، لم يكن لشيء من هذه العلوم وجود بهذا الشكل، أو ذات المفاهيم في عصر سيدنا محمد ﷺ، وبالتالي فهي بدعة خلال واجبة على الناحية الشرعية.

- (١) تسمى هذه العلوم الخدمية لأن مهمتها منحصرة في خدمة الكتاب والسنة، وهذا أصل التشريع الإسلامي المبني على (٢) الشيخ محمد علوان البيلالي - أحكام الشريعة الإسلامية ص ٣ ط ١، والعلامة الشيخ محمد نوري الشافعي - نور الظلام شرح عقيدة العوام ص ٦.
- (٣) العلامة الشيخ محمد نوري الشافعي - نور الظلام شرح عقيدة العوام ص ٦.
- (٤) وكذلك الحال مع المؤلفات في الفقه والأصول والسير والتاريخ والنحو والصرف والأدب واللغة، إلى غير ذلك من العلوم الإسلامية التي تقدم القرآن الكريم وينطلق عليها أنها علوم خدمية.
- (٥) راجع للدكتور مصطفى التازي - محاضرات في علم الحديث ص ١٣.

### ج الثاني: البدعة العرام على سبيل التحريم المطلق:-

وهي كل أمر مستحدث تناولته قواعد التحريم وأدلته الشرعية كالمكوس<sup>(١)</sup>، وتقدم الجهال على العلماء في الإمامة وغيرها وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح لها بطريق التواتر، وجعل المستند في ذلك كون المنصب كان لأبيه وليس فيه أهلية له<sup>(٢)</sup>.

أو كون ذلك المنصب ينال البركة بولاية هذا الفرد بذاته؛ لأن ما كان للأب من بركات ينال في ابنه، باعتبار أن صلاح الآباء ينفع الأبناء<sup>(٣)</sup>، مع أن هذا الابن قد يكون ظالماً أو جاهلاً، وليس عنده ما كان عند أمه من ورع وعلم وتقوى، بل إنه لما كان من أهل الولاية، فقد صار المنصب.

### ج الثالث: البدعة المنفوية:-

وهو كل ما تناولته قواعد النذب وأدلته، كصلاة التراويح جماعة، وإقامة صور الأئمة والقضاة وولاية الأمور، على خلاف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، بسبب أن المضال

(١) المكس: الجباية، الماكس - العشار، والمكس: ما يأخذه العشار. راجع مختار الصحاح ص ٦٥٥. والمكس: النقص والظلم، ودراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق أيام الجاهلية. راجع القاموس المحيط ٧٨٦/١ - ٧٨٧. ويعرف العشور في اللغة: العشر: الجزء من عشرة أجزاء. يقال عشراً: عشراً وعشراً، أخذ عشرة، ومنه العاشر، الذي يأخذ عشر الأموال، فالعشور مشتقة من عشرات القوم، إذا أخذت عشر أموالهم، فهي تسمية للنبي، باعتبار بعض أحواله (القاموس المحيط ج ١ ص ٦١٥/٦١٦، المصباح المنير ص ٦٠ طبعه الحلبي، مختار الصحاح ص ٤٥٨). ويعرف العشور عند الفقهاء: العشور عند الفقهاء يقصد بها أمرين: - الأول: عشر الزكاة، ويؤخذ من المسلمين فقط. - الثاني: عشر التجارة، ويؤخذ من أهل الذمة والمستأمنين من أهل الحرب، فيطلق العشر على ما يؤخذ من التجار الذين يجرمون بأموال تجارهم على العاشر، سواء آتوا مسلمين أم مستأمنين أم أهل ذمة. فالقصد بالعشور إذا: ما تفرضه الدولة الإسلامية من ضرائب تجارية على أموال التجارة القادمة إليها، أو التي ينتقل بها التجار داخل الدولة الإسلامية. (شرح السير الكبير ٢١٣٩/٥، شرح فتح القدير ٢٢٣/٢). وقد وردت عن النبي ﷺ روايات عديدة في ذم صاحب المكس ودم العشار. منها: ما روي عن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة صاحب مكس» (سنن أبي داود، باب في السعاية على الصدقة - الحديث رقم: ٢٩٣٧ - رواه عن عبد الله بن محمد الثعلبي عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شماس، عن عقبة بن عامر. وراجع أيضاً الأموال لأبي عبيد رقم ١٦٢٦ ص ٦٣٢). وما روي عن يزيد بن حبيب عن أبي الخير قال: «سمعت ربيعة بن ثابت يقول: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن صاحب المكس في النار) فقال: بئس العاشر» (الأموال لأبي عبيد رقم ١٦٢٧ ص ٦٣٢). وما روي عن يزيد بن حبيب عن محمد بن طه عن عبد الرحمن بن حسان. قال: «أخبرني رجل من حزام، قال: سمع فلان بن عتاهية يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا لقيتم عاصراً فاقتلوه) يعني بذلك الصدقة يأخذها على غير حقها» (الأموال لأبي عبيد رقم ١٦٣٢ ص ٦٣٤).

(٢) العلامة الشيخ محمد بن أبي بكر - نور الظلام شرح عقيدة العام ص ٦

(٣) الشيخ محمد بن أبي الدمياطي - الولي وكراماته ص ١٩٣ - ط دار عداخس ١٩٣٧م.

والمناصد الشرعية لا تحصل إلا بعظمة تكون للولادة في نفوس الناس، وكان الناس في زمن الصحابة - رضوان الله عليهم - إنما يعظمون بالدين وسابق المحبرة والإسلام.

ثم اختفى النظام، حتى صاروا لا يعظمون إلا بالصور<sup>(١)</sup>، بينما الأصول الثابتة أن العظمة لا تكون إلا لله، وأن إقامة قواعد الدين لا تتم إلا من خلال المتابعة للشرعية الغراء، المأخوذة عن النبي الحاتم سيدنا محمد ﷺ.

ومن البدع المندوبة أيضا: أحداث الربط والمدارس، وكل إحسان لم يعهد في الزمان الأول والكلام في دقائق التصوف من حيث قضاياه الثابتة، وحقائق الذاتية<sup>(٢)</sup>.

فإن هذه البدع يندب القيام بها على سبيل المباشرة لأفعالها؛ لأن ذلك مما وردت به إشارات في النصوص الشرعية، من ذلك ما جاء في الحديث الشريف عن سهل بن سعد الساعدي<sup>(٣)</sup> ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»<sup>(٤)</sup>.

والكلام في التصوف من حيث هو علاقة قائمة بين الإنسان وخالفه العظيم جل علاه، أو بين الإنسان وباقي أفراد الإنسانية، وكذلك كرامات الأولياء والفراسة<sup>(٥)</sup>. ثم الإرهاس والمعونة والمغفرة، وما يجيء مع الأولياء والصالحين من عباد الله، فذلك كله لم يكن له وجود في عهد سيدنا محمد ﷺ، وبالتالي فهو محدث، لكنه من البدع المندوبة خرقا للعادة، وسعيا نحو إظهار فضل الله تعالى.

(١) الشيخ محمد نوري الشافعي - نور الظلام شرح عقيدة العوام ص ٦

(٢) الشيخ محمد طلعت الحسيني - القواعد الشرعية وأسوها من الكتاب والسنة ص ٧ ط ١ دار الانتقام ١٣٣٤هـ.

(٣) الشيخ محمد نوري الشافعي - نور الظلام شرح عقيدة العوام ص ٦

(٤) سهل بن سعد بن مالك الساعدي كان من أئمة فقهنا وهو من أئمة نفعنا مات بالمدينة سنة ثمانين ومائة وهو آخر من مات من أتباعه بالمدينة، وقال: إنه رأى النبي وهو ابن خمس عشرة وقال أبو نعيم: مات سنة ثمان ومائة بالمدينة وهو ابن مائة سنة وأكثر روى عنه الزهري وأبو حازم المديني وأبو العباس ونحوهم بن ميمون الحضرمي «راجع العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي السني المتوفى ٣٥٤ - مشاهير علماء الأمصار ج ١ ص ٢٥٥ رقم: ١١٤، التاريخ الكبير ج ٤ ص ١٧ رقم: ٢٠٩٢، الفرج والتعديل ج ٤ ص ١٩٨ رقم: ٨٥٣، التاريخ الصغير (الأوسط) ج ١ ص ١٨١ رقم: ٨٤٦».

(٥) الإمام البخاري - صحيح البخاري ج ٣ ص ١٠٥٩ - ٧٢ باب فضل رباط يوم في سبيل الله وقول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا إلى آخر الآية - الحديث: ٢٧٣٥

(٦) راجع كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي، أثناء الحديث عن الكرامة والفراسة.

### ج الرابع: البدعة المكروهة..

وهو ما تناولته أدلة الكراهة من الشريعة وقواعدها كتخصيص الأيام الفاضلة على غيرها بنوع من العبادة التي لم يرد فيها نص صريح، وزخرفة المساجد، وتزيين المصاحف<sup>(١)</sup>، وما كان من هذا القبيل، فإن الأدلة الشرعية على كراهة ذلك قد جاءت في نصوص احتمالية في دلالتها<sup>(٢)</sup>، ولذا كان للنظر فيها آراء عديدة انتهت كلها إلى أنها لم تكن موجودة في عهد سيدنا رسول الله، وبالتالي فهي بدع يكره القيام بها..

### ج الخامس: البدعة المباحة..

وهي ما تناولته أدلة الإباحة وقواعدها من الشريعة، كاتخاذ المناهل للذيق، وطهي اللحم بغير الشواء، والسلق، ففي الآثار أول شيء أحدثه للناس بعد رسول الله اتخاذ المناهل؛ لأن لسين العيش وإصلاحه من المباحات فوسائله مباحة أيضاً، وهو الذي ذهب إليه الشيخ إبراهيم اللقاني<sup>(٣)</sup>.  
 (٤) وذهب العلامة ابن حجر<sup>(٤)</sup> إلى أن من البدع المباحات التوسع في لذيق المأكول والمشرب، وما تدعو إليه الحاجة<sup>(٥)</sup>، مما يسد الجوع، ويسكن الظمأ، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الخواص

(١) الشيخ محمد نوري الشافعي - نور الظلام شرح عقيدة العوام ص ٦.

(٢) الشيخ محمد علوان السلاوي - أحكام الشريعة الإسلامية ص ١٤ ط ١٩٤٣م.

(٣) الشيخ محمد نوري الشافعي - نور الظلام شرح عقيدة العوام ص ٦. وحديث بالذکر أن الشيخ إبراهيم اللقاني توفي سنة ١٠٤٠. [كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٣]

(٤) ابن حجر: هو الإمام الحافظ الشهير أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده بمصر سنة ٧٧٢هـ، ومن أشهر مؤلفاته: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، توفي سنة ٨٥٢. [الأعلام ج ١ ص ١٧٨]

(٥) الترسه في الطعام والشراب الحلال على سبيل الإباحة، بشرط أن لا يقع فيه إسراف أو تذير، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا كُنَّا بُرُجًا فَأَنزَلْنَاهُ فِي نَجْمٍ﴾ [سورة الأعراف آية ٣١] يقول العلامة أبو السعود: «رأى أن ابن عامر كانوا في أيام حجه، لا يأكلون الطعام إلا قوتا، ولا يأكلون دسما، يعظمون بذلك حجه، فهم المسلمون مثله، فولدت: ﴿فَإِذَا كُنَّا بُرُجًا فَأَنزَلْنَاهُ فِي نَجْمٍ﴾، بتحريم الحلال، أو بسلطنة إلى احترام، أو بالإفراط في الطعام». [أبو السعود - ج ٢ ص ١٦٤ - ط على صحيح] ويقول الإمام القرطبي: «قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفا، أو محلة، فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سد الجوع، وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلا وشرعا. لما فيه من حفظ النفس، وحراسة الخواص، ولذلك ورد الشروع بالتهيء عن الوصال. لأنه ينصف الجسد، ويحيي النفس، وينصف عن العبادة» [تفسير القرطبي - ج ٣ ص ٢٧٠] ويعلق الشيخ محمد عبده على هذه المفاهيم فيقول: «فإذا يكون حظ صاحب الاعتقاد لهذا الأصل، من النظر في أي علم، والعلم لا دخل له في شئون الآخرة، والدنيا قد حُرمت عليه». [الإسلام والبيروتية مع العلم والمذنية - الشيخ محمد عبده - ص ٢٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّلِينَ كَانُوا فِي السَّيِّئَاتِ وَمَكَانَ الشَّيْطَانِ يَرْبُؤُهُ كُنُوزًا﴾ [سورة الإسراء - الآية ٢٧].

﴿١﴾ ويقول العلامة أبو حامد الغزالي - رحمه الله - موضحاً لتلك النظرة بمنظار أوسع وأتم ؛ يقول : «إن مقصد ذوى الألباب ؛ لقاء الله تعالى في دار النواب ، ولا طريق إلى الوصول للقائه الله إلا بالعلم والعمل ، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة ، والأقوات ، ومن هنا قال بعض السلف : إن الأكل من الدين ، وعليه نبه رب العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين ﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحا...﴾»<sup>(١)</sup>. وكذلك من البدع المدبوبة توسيع الأكام، وهي أطراف يد القميص<sup>(٢)</sup>.

كما ذهب بعض آخر من العلماء إلى أن من البدع المباحات المصافحة عقب صلاة العصر وصلاة الصبح على ما قاله شيخ الإسلام العز ابن عبد السلام<sup>(٣)</sup> متى كان نلصافح مصاحباً لمن صافحه، قبل أداء ذات الصلاة، بحيث يكون كل منهما قد أداها معاً<sup>(٤)</sup>، أما متصافحة من لم يكن معه قبل الصلاة، فبدعه مندوبة؛ لأنها عند اللقاء سنة إجماعاً، وكونه خصها ببعض الأحوال، وفسرط في أكثرها لا يفرج ذلك البعض عن كونها مندوبة<sup>(٥)</sup>.

وخالف بعض العلماء الإمام ابن حجر في اعتباره التوسع في لذية المأكّل والمشارب، وتوسيع الأكام من يد القميص داخلية في البدعة المباحة، وانتهوا إلى أنها بدعة مكروهة، والبعض الآخر يرى أنها بدعة مندوبة<sup>(٦)</sup>، وكل أقام رأيه على أدلة صحيحة عنده.

إذن البدعة ليست حكماً شرعياً<sup>(٧)</sup>، وإنما هي فعل يقع في دائرة الأحكام الشرعية الخمسة، والفلسفة الإسلامية على الخصوص من العلوم التي يتأق بها تحصيل الواجب، ومن ثم فإن تعليلها وتعليلها، والنظر في كتبها على سبيل الاشتغال بما لمن كملت قدراته العقلية، وسلمت عقيدته

(١) أبو حامد الغزالي - إحياء علوم الدين - ج ٣ ص ٢ - ط دار الصابون .

(٢) كما يشترط في التوسع بالنسبة لللبس ألا يقع به كبر أو بظر أو خيلاء؛ لأنه لو وقع به شيء من ذلك حرج عن الغرض المباح إلى الفعل الحرام.

(٣) هو العز ابن عبد السلام بن أحمد القفيلوي البغدادي المتوفى سنة ٦٥٩ هـ بحسين وستمانية . [ كشف الظنون ج ٢ ص ١٣٣٩ ]

(٤) الشيخ منصور محمد الرحي - أحكام الإسلام في الصلاة والصيام ص ٧٣ ط دار الهدى ١٣١٩ هـ.

(٥) لما هو معروف من أن الحكم الشرعي يقف عليه المسلم بأحسن ودليله الشرعي، ولما كان الأصل الشرعي في المصافحة هو مباشرتها للرجال مع بعضهم من باب ما أمرت به السنة المطهرة، فإن احتصاص بعض الأوقات لا يخرج الأصل ولا يقدح فيه.

(٦) الشيخ محمد نوري الشامي - نور الظلام شرح عقيدة النور ص ٦

(٧) رأى الأحكام الشرعية خمسة: حلال - حرام - مكروه - مندوب - مباح. ليست البدعة من الأحكام الشرعية.



الدينية، وكان غرضه الاهتداء إلى الصواب، يكون من باب البدع الآتية عن طريق الواجب الشرعي<sup>(١)</sup>.

والواجب المتأني بالفلسفة هو الاستدلال على الخالق العظيم جل علاه، وإثبات النبوة والإيمان باليوم الآخر، بالدلائل العقلية المختلفة والطرائق المتنوعة، وبناء عليه يكون أمر تعلم الفلسفة واجبا على الناحية الشرعية، وليس بدعة على ما ذهب إليه المانعون.

بل إن القياس المعتبر في الأحكام الشرعية، يقضى بوجوب تعلم الفلسفة بشروطها، أما كونها لم يكن لها من وجود سابق في المصدر الأول، فالعلوم الإسلامية الأخرى كلها تقع في هذه الدائرة، إذ لم يكن لأى منها وجود سابق<sup>(٢)</sup>، ولم يقل أحد بتحريمها، ولا بكونها بدعة، وإنما ذهبوا إلى أنها علوم واجبة على لسان الشرع، وكذلك الحال مع الفلسفة لاستجماع شروط القياس في كل منها.

#### الدليل الخامس: إهمالها للنقل المثلل واعتمادها على العقل وحده

﴿عرض الدليل﴾

القائلون بتحريم الفلسفة على الناحية الشرعية ذهبوا إلى أنها تعتمد في دراستها واستخراج نتائجها على العقل وحده، ولا تعتمد بالنقل المثلل أو شيء منه، مع أن الأحكام الشرعية بلة العقيدة الإسلامية إنما تقوم على النقل المثلل<sup>(٣)</sup>، وكذلك الحال في الأخلاق والقيم، لكن الفلسفة تقوم على العقل وحده، ضاربة عرض الحائط بالنصوص الشرعية<sup>(٤)</sup>. أما لماذا؟

فلأن الفكر الفلسفي إنما يعتمد على العقل وحده، في كل ما يعترضه من مشكلات، أو قضايا على سبيل البحث<sup>(٥)</sup>، أو إيجاد حلول، فالفلاسفة بالعقل وحده يبحثون، وعليه يعتمدون، وعنه يتحدثون، إنه السلطان المتوج في أعلى القمة التي تمثل الوجود الطبيعي لكل الفلاسفة.

مع أن العقل مهما علت مداركه، فليس له ذلك السلطان الذي يزعمون؛ لأنه لا يملك أسباب ذلك التعالي المستطاني الذي يذكره الفلاسفة له في كل وقت وحين، إن العقل في حده ذاته هبة من هبات الله تعالى، ومنحة أو عطية من عطاياه جل علاه، يعطيها لمن يشاء من عباده<sup>(٦)</sup>، ومع

(١) راجع كتابنا: رياض الأشراف في الميافيريقا والأخلاق ص ٧٧، وكتابنا المذلل لدراسة الحكمة الإسلامية.

(٢) الشيخ محمد طلعت ثابت - الفلسفة بين التحريم والإباحة ص ٩٣ ط دار المختار ١٣٢٢هـ.

(٣) الشيخ رزق الله السيد فتح الله الإنطاكي - أصول العقيدة الإسلامية ومصادرها ص ٢٧ ط دار مراد بالأسنانة ١٣١٣هـ.

(٤) الشيخ محمد رزق التروى - الحلال والحرام ص ٨٥ ط أولى ١٣٣٥هـ.

(٥) الشيخ محمد طلعت ثابت - الفلسفة بين التحريم والإباحة ص ١٠٥.

(٦) الشيخ عبدالحمد فاضل - من ملامح الفكر الإسلامي ص ١٣ ط ١٣٤٥هـ.

هذا الضعف الذي يتجاوز العقل من كل ناحية، إلا أن الفلاسفة تمسكوا به، إلى حد العبادة فأنسلهم ذلك التزام النقل المزل، أو محاولة التمسك بتعاليمه<sup>(١)</sup>.

وفوق ذلك فالفلاسفة جعلوا العقل حجة على الله تعالى، ولم ينظروا إلى أن العقل حجة الله على عباده، فعكسوا الأمور وقلبوا المفاهيم الشرعية، بدليل أنهم أسسوا دينهم على المعقول<sup>(٢)</sup>، وجعلوا التزام المأثور نجيء تبعاً للمعقول، وهذا حرام، ولو كان أساس الدين قائماً على المعقول الذي عنوه لاستغنى الخلق عن الوحي والأنبياء - صلوات الله عليهم - ولبطل الأمر والنهي<sup>(٣)</sup>.

وقد ترتب على تمسك الفلاسفة بالعقل وحده، وقوعهم في المخطورات الشرعية، ومنها اعتقادهم أن استناد العالم إلى الله تعالى، إنما هو على طريق استناد المعلول إلى العلة، حتى قالوا بقدوم العالم<sup>(٤)</sup>، ونفوا عنهم الله<sup>(٥)</sup> جميع الصفات الواجبة لمولانا حل وعز من القدرة والإرادة وغيرهما، وذلك كفر صريح<sup>(٦)</sup>.

ثم وتناسى هؤلاء أن الفاعل بالاختيار يتناق مع الفاعل بالعلة أو الطبع، وذلك لأن الفاعل بحسب الحكم العقلي نجيء على صور:

❖ **الأول: الفاعل بالاختيار:** وهو الذي يتأتى منه الفعل والترك، كالكتاب بالنسبة لكتابه، والمتحرك غير المرتعش<sup>(٧)</sup>، ويدخل فيه الفاعل الذي يؤثر في الأسباب بقوة أودعها الله عز وجل في الأسباب، من حيث إن موضع القوة فاعل بالاختيار<sup>(٨)</sup>.

(١) الشيخ محمد زرق التروى - الحلال والحرام ص ٩١ ط أول ١٣٣٥هـ.

(٢) الشيخ نور الدين حبيب التروى - الفلاسفة وخطاياهم ص ٥٤ ط ١٣٣٥هـ.

(٣) الشيخ محمد نووى الشافعى - نور الظلام ص ٦ ط الخلى الثانية ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

(٤) هذه دعوى أدلتها متنازع حولها ومفاهيمها كذلك، فارجع إلى كتابنا: أوراق منسية في التصور الفلسفية.

(٥) لست أوافق على خروج تلك الألفاظ من أفواه عثمانيين، فإن من نطق بالشهادتين غير مقبول على الناحية الشيعية، كما أن المختلف فيه ليس من المعلوم من الدين بالضرورة، بحيث يكون قطعاً في دلالته، وإنما هو من المعلوم من الدين بالنظر ومثله لا يؤدي إلى الكفر، ولا إلى الفسق، مادام صاحب النظر لم يلعنه. [راجع للإمام الفخر الرازى - المطلب العالية ج ٧]

(٦) الشيخ محمد بن يوسف السوسى الحسى - شرح أم الرايين نحاشية على شرح أم الرايين للشيخ محمد بن أحمد الدسوقي ص ١٣٨/١٣٩.

(٧) الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي - حاشية الدسوقي على شرح أم الرايين ص ١٤.

(٨) وإلى هذا ذهب الكثير من العلماء، وحالف في ذلك العلامة ابن دهاق، حيث اعترضه من قسم التأثير بالطبيعة، نظراً لمدى الفترة فالتأثير بالطبيعة عنده قسمان؛ لأن الطبيعة كالتار مثلاً مؤثرة بذاتها إما بذاتها هي أو بقوة فيها. [راجع حاشية الدسوقي ص ١٤٠]

❖ **الثانية: الفاعل بالتعليل:** وهو الذى يتأتى منه الفعل دون الترك، ولا يتوقف فعله على وجود شرط ولا انتفاء مانع<sup>(١)</sup>.

❖ **الثالثة: الفاعل بالطبيع:** وهو الذى يتأتى منه الفعل دون الترك، ويتوقف فعله على وجود الشرط وانتفاء المانع، أما بحسب الواقع، فإن الفاعل واحد، وهو الله عز وجل الفاعل المختار، وهو الموجد بالاختيار، ثم أن هذا الاختيار المطلق خاص بواحد، وهو مولانا جل وعز، ولا موجد سواه تبارك وتعالى، ومما جرى لفظ التعليل في عبارات أهل السنة والجماعة، فليس مرادهم به إلا ثبوت التلازم بين أمر وأمر، إما عقلا أو شرعا، من غير تأثير العلة في معلولها البتة، فأعترف بذلك، ولا تغتر بظواهر الجبارات فتلهك مع المالكين<sup>(٢)</sup>.

بل واصل خصوم الفلاسفة اتهامهم لهم بأنهم أفرغوا النقل المتزل من مفاهيمه المقدسة، إلى مفاهيم لا علاقة لها بالوحي، فأدى بهم ذلك إلى إنكار النقل المتزل، إذ ما قيمة استعمال ألفاظ النقل على سبيل الحفظ لها، ما لم يكن للاعتقاد فيها، والعمل بها<sup>(٣)</sup>، وهو مطابقة العلم للعمل والاعتقاد.

كما أن النقل المتزل جاء لهداية الخلق، وتعريفهم بالخالق العظيم جل علاه، والأخذ بهم إلى طريق الجادة في العبادة والسلوك، وعلى النحو الذى يرضى الله جل علاه، كما يدلهم على طرائق ممارسة العلاقات العامة بين الناس بعضهم لبعض، وبين الخلائق على وجه العموم.

وفوق ذلك فإن النقل المتزل يعرف المكلنين بكل ما ينفعهم في دينهم ويهدئهم إلى ما فيه صلاح آخرتهم، بحيث تكون حياتهم على أعلى مستوى من النقاء والطهر، وتكون آخرتهم في جنات النعيم، ورضوان من الله أكبر ذلك الفوز العظيم<sup>(٤)</sup>.

لكن اعتماد الفلاسفة على العقل وحده، وإهمال النقل المتزل، إنما هو اعتراف منهم بالخروج على قواعد الشرع الشريف، وهو في حد ذاته كفر بواح، ومثله لا يحكم على فاعله بأنه متبذخ فقط، وإنما يحكم عليه بالكفر الصراح، والفلسفة هي أصل الكفر، فتعليمها أو دراستها والاشتغال بها كفر على هذه الناحية<sup>(٥)</sup>.

(١) الشيخ محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي - حاشية على شرح أم البراهين ص ١٤٠.

(٢) الشيخ عميد بن يوسف السنوسى الحسى - شرح أم البراهين ص ١٤١.

(٣) الشيخ محمد طلعت ثابت - الفلسفة بين التحريم والإباحة ص ١١٦، وراجع للشيخ نور الدين الثوري - الفلاسفة وخطابهم ص ٥٦.

(٤) الشيخ عبدالمجيد فاضل - من ملاح الفكر الإسلامى ص ١٩.

(٥) راجع للشيخ مبرى محمد الخواص - الفلاسفة والتكفير ص ٤٩، وللدكتور رفقى زاهر - قضية التكفير عند الإمام الغزالي، وللدكتور محسن محمد طسم - التفكير والتكفير في البيئة الإسلامية.

في تقديرى أن فحوى هذا الدليل قصد به الفلاسفة والفلسفة الغير إسلامية، وإلا كان الكلام على غير بابه مطلقاً، وكان كمن يدل بشهادة غير صحيحة في مواجهة من لا علاقة له بهم فكرياً، أو علماً، ومثله يكون من أشباه أحكام الشاهد، لم ير شيئاً، أو شاهداً على ما لا وجود له<sup>(١)</sup>. أما هنا؟

فلما يلي:

[أ] أن دعوى اعتماد الخصوم على إهمال الفلاسفة للنقل المنقول، وإعلانهم لشأن العقل، دعوى صحيحة في شأن الفلاسفة غير المسلمين؛ لأنه لا معرفة لهم بالنقل المنقول، كما لا علاقة لهم به، لكنها بالنسبة للفلاسفة المسلمين غير صحيحة<sup>(٢)</sup>؛ لأن أهم عناصر الفلسفة الإسلامية هو النقل المنقول، الذى تكونت منه عقلية ذلك الفيلسوف، إذ ما من واحد منهم إلا وهو أمام في الدين الإسلامى علم به، حافظ للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة<sup>(٣)</sup>، وهل يمكن تفريغ عقلية متميزة من الأصول التى قامت عليها.

[ب] أن التعريف بالخالف العقليم جل علاه، وما له من صفات الجلال والكمال من وظائف الفلسفة الإسلامية، كما أن الدفاع عن هذه العقيدة الإسلامية الصافية، على ناحية العقل المدغم بالنقل المنقول، إنما هو من فوائد الفلسفة<sup>(٤)</sup>، وما أظن الاستدلال على العقيدة الإسلامية أو الدفاع عنها بأصول نفليسة، ثم عرضها على ناحية عقلية يمثل خروجاً على النقل المنقول، وإنما يمثل تدعيماً لمركز الدلائل المأخوذة من النقل المنقول في النفوس.

[ج] أن التوفيق بين الدين والفلسفة، أو بين العقل والنقل، إنما هو أحد شمار الفلسفة الإسلامية، فإذا قيل: إن الفلاسفة المسلمين يهملون النقل المنقول، ألا يكون القائل لهذه المفردات المتبني لتلك الدعاوى، قد أغفل عن قصد وجود النقل المنقول في فكرهم وحذفه المسألة كلها<sup>(٥)</sup>.

(١) وقد تندر الأدب من مثل هذه الشهادة التي لم يسمع عنها بما في العمل الفنى السياسي، الذى ظهر في مفرع مع نمايات القرن العشرين، بعنوان: شاهد ما شفى حاحة، وما زال هذا العمل يعرض على الشاشة الصغيرة الفنية حيناً بعد الآخر.

(٢) راجع لابن رشد - مناهج الأدلة في الكشف عن قواعد عقائد أهل الملة، وكذلك كتابه فصل المقال فيما بين الحكمة الشريعة من الاتصال، فالعالمين كاشفة عن علاقة الفلاسفة المسلمين بالنقل المنقول. وأما علاقة اعتماد على النقل المنقول ونحوه.

(٣) الشيخ محمد نعيم الدين ثروت - الفلسفة الإسلامية والتراث الإسلامى ص ١٥٧.

(٤) راجع كتابنا: المدخل التام لعلم الكلام ص ١٨٠.

(٥) الدكتور فوزى محمد الجميل - بضررات في الفلسفة الإسلامية ص ١٤٢.

إذن علام تقوم علمية التوفيق؟ هل تكون بين العقل والعقل يقيق الشيء الواحد نفسه فتكون طرفا من الخيال؟ أم تكون بين العقل والنقل وهما شيان، يمكن أن يقع بينهما الاختلاف السدى يستلزن التوفيق؟!

وبلغة أخرى: إن البنية تحتاج شيئين فأكثر، حتى تكون بينهما أو بينهم، أما بين الشيء ونفسه فلا وجود لها، والقاتل لما يلزمه بذل مجهود جدل، ليقنع به من ليسوا أصحاب قدرات عقلية واسعة<sup>(١)</sup>، ولن يتمكن من إقناعهم أيضا.

[د] إن مفكرى أهل الإسلام الأوائل وبخاصة الفارابى وابن سينا، اللذين خصهما الإمام الغزالي بالانتهاج، وسار خلفه كل من قلده في المحوم عليهم، تراهم يحيلون أدلتهم العقلية على النقل المنزل، ويبدلون قصارى جهودهم في إثبات أن قضايهم إنما هي في طبيعتهم تقوم على النقل المنزل<sup>(٢)</sup>، ويتلصسون لمباحثهم العقلية الدلائل الشرعية المختلفة، فكيف يتهمون بأنهم أهملوا النقل وأمسكوا بالعقل وحده.

[هـ] إن أبا الوليد بن رشد فيلسوف قرطبة كان قتيها بالكلية. وكان قاضى القضاة فيها، وأحد علماء الأصول البزرين، الذين لهم نتاجات فقهية متميزة، ودافع عن فلسفته بالطرق الشرعية المختلفة، واستعمل الأدلة الفقهية والأصولية لتوضيح تلك الأفكار الفلسفية<sup>(٣)</sup>، ومن يطالع مؤلفاته في ذلك الشأن يراها ناطقة شاهدة بأن الرجل كان يمسك بالنقل المنزل، ويطوع العقل إليه، بل يخفض جناحه له.

إذن الفلسفة الغير إسلامية، ربما كانت هي المقصودة بأن فلاستها لا يتمسكون بالنقل المنزل، لعدم معرفتهم به، أو عدم إيمانهم والتزامهم بأحكامه، لكن هذه الفلسفة إذا دخلت البيئة الإسلامية، فإن الذين يلتقطونها ويتعاملون معها هم الفلاسفة المسلمون، الذين امتلأت أفئدتهم بالنصوص الشرعية، وحيث سوف ينظرون فيها، فإن كان فيها شيء من خير قبلوه على ناحية صحيحة<sup>(٤)</sup>، وإن كان فيها شيء من شر رفضوه على ناحية صحيحة أيضا، فمقياس القبول لها، أو الرفض، إنما هو المقياس الشرعى، وهو الحكم الصحيح على القبول أو الرفض، لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَرْسُورُ فَأُصْغِرْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) إذن ليست الدعوى صحيحة، كما أن إمام الفلاسفة بأهم أهملوا النقل ليس سائلا عن النقد أو مسلما للحصوم.

(٢) راجع كتابنا: أوراق منتسبة في النصوص الفلسفية، فقد عرضت بعض نماذج تمسك فلاسفة الإسلام بالنقل المنزل.

(٣) الدكتور رمزي حسن الطويلة - ابن رشد وفلسفته ص ٢٥٣، والدكتور رفقي زاهر - ابن رشد وفلسوف قرطبة ص ٣٨.

(٤) راجع كتابنا: ملامح الحكمة الإسلامية في الغرب ص ١٩ وما بعدها.

(٥) سورة النساء - الآية ٥٩.

﴿١٠﴾ يقول الإمام الشافعي: «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله يعني إن اختلفتم في شيء - أنتم وأمرؤكم الذين أمرتم بطاعتهم - فردوه إلى ما قال الله والرسول إن عرفتموه، وإن لم تعرفوه سألتكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه إذا وصلتم إليه أو من وصل إليه؛ لأن ذلك هو النرض الذي لا منازعة لكم فيه لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾» (١)، ومن تنازع ممن بعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد الأمر إلى قضاء الله ثم إلى قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن لم يكن فيما تنازعوا فيه قضاء نصا فيهما ولا في واحد منهما ردوه قياسا على أحدكم» (٢). وعن مجاهد قال: «فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول قال إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيا فليأذا قبض فإلى سته» (٣).

أضف إلى ما سبق أن مستند القضية لدى خصوم الفلسفة في الفكر الإسلامي، إنما هو النصوص الشرعية، وهي في ذات الوقت الأصول العامة، والأسس الثابتة التي يقوم عليها أمر الفلسفة عند أهل الإسلام، دراسة لها واستغالتها لها، وبعبارة أخرى: فإن الداعي للفلسف والباعث عليه، لدى علماء أهل الإسلام، إنما هو النصوص الشرعية القطعية في ورودها، الظنية في دلالتها، وبالتالي فاستمساك الفكر المسلم بالفلسف بالنقل الملر، أمر تفرضه عليه طبيعة التفكير الفلسفي المنظم في البيئة الإسلامية.

والذي أنتهى إليه؛ هو أن الفلسفة الإسلامية على الخصوص، لم تحمل النقل الملر، وأن تمسكها به من المعالم الواضحة فيها، كما أن تغليبها جانب العقل، إنما هو ترجيح ناحية فكرية على أخرى، لا ترجيح عقل على نقل، باعتبار أن النصوص الظنية في طبيعتها ودلالاتها، تسمح بهذا النوع من الترجيح، ونفس الحال يمارسه أصحاب المذاهب الفقهية في الفروع (٤)، ولا يجرؤ أحد على اتهم أصحاب المذاهب بإهمال النقل، مع أنه في تغليب جانب على آخر لا يخرج عن دائرة توظيف الدليل الذي ساقه على الفكرة التي يعتنقها، وهو داخل في دائرة الاجتهاد على الناحية الشرعية.

(١) سورة الأحزاب - من الآية ٣٦.

(٢) الإمام محمد بن إدريس الشافعي - أحكام القرآن ج: ١ ص: ٣٠/٢٩.

(٣) أبو نعيم الأصبهان - حلية الأولياء ج: ٣ ص: ٢٩٣.

(٤) راجع مباحث قطيعة النصوص من ظنيها في الفكر الإسلامي من خلال كتب أصول الفقه كالتوافقات للإمام الشافعي، والورقات لإمام الحرمين، والمحصل والمنهاج، والأحكام في الأحكام، والأحكام في أصول الأحكام، وبداية المختص والمختص، ومن خلال كتاب علماء التفسير كالتفسير والمفسرون للإمام الذهبي، ومناهل العرفان للزرقاني، والإنتقان للسيوطي، والمزهران للزركشي وغيرها، وراجع كتابنا: أوراق منسية في النصوص الفلسفية، حيث أشرت إلى بعض تلك المفاهيم هناك.

(٥) الدكتور محمد الأدهم حسن الغليان - المذاهب الفقهية والحركة العقلية الإسلامية ص ١٣ ط دار مرزوق ١٩٦٥م.

كما أقر أن طبيعة التهاور في البيئة الإسلامية، يجب أن تكون بالحسن، بناء على توجيهات النقل المتزل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة؛ لأن التهاور بالمعنى الفني يخرج صاحبه عن دائرة الرمي للخصوم بالسفاهة والجهالة، كما لا يسمح لصاحبه بالهجم الآخرين، أو الطعن على عقيدتهم الدينية، فضلاً عن الدعاء عليهم باللعن؛ لأن ذلك كله منتهى عنه، ففى الحديث الشريف: عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباعدوا ولا تذايروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»<sup>(١)</sup>. وعن عبد الله بن مسعود قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يمل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والريب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة)»<sup>(٢)</sup>. وعن عبد الله بن مسعود أيضاً قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا الفاحش البذيء وقال بن سابق مرة بالطعان ولا باللعان»<sup>(٣)</sup>.

(١) الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ٤ ص: ١٩٨٦ - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله - حديث رقم: ٢٥٩٤، رواه أحمد مسند أحمد ج: ٢ ص: ٢٧٧ - الحديث رقم: ٧٧١٣، وعن أبي هريرة قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يفرقه ولا يكذبه ولا يخذله كل مسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ههنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» [الإمام الترمذى - سنن الترمذى ج: ٤ ص: ٣٢٥ - باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم حديث رقم: ١٩٢٧، رواه أحمد مسند أحمد ج: ٣ ص: ٤٩١ الحديث رقم: ١٦٠٦٢].

(٢) الإمام البخارى - صحيح البخارى - ج: ٥ - باب: قول الله تعالى: الحديث رقم: ٦٤٨٤ - وأخرجه مسلم في القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم، رقم: ١٦٧٦، وأخرجه الترمذى بسننه - ١٠ - باب ما جاء لا يمل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث. الحديث رقم: ١٤٢٣ - وأخرجه ابن القيم - تهذيب سنن أبي داود - ص: ١٥٩٧ - باب الحكم فيما ارتد - الحديث رقم: ٤٣٤٣، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج: ١ ص: ٤٦٥ - الحديث رقم: ٤٤٢٩، العلامة ابن حبان - صحيح ابن حبان ج: ١٣ ص: ٣١٦ - الحديث رقم: ٥٩٧٧، الإمام النسائي - سنن النسائي (المجتبى) ج: ٨ ص: ١٣ - باب الفرد الحديث رقم: ٤٧٢١، والمراد به: [لا يمل دم امرئ] لا يباح قتله. (النفس بالنفس) يزهق نفس القاتل عمداً بغير حق، بمقابلة النفس التي أزهقها. (الريب الزاني) الريب من سبق له زواج، ذكرها أم أنثى، فيح دم إذا زن. (المفارق) التارك المبتعد، وهو المرتد. وفي رواية (والمفارق من الدين) وهو الخارج منه خروجاً سريعاً. (التارك للجماعة) المفارق لجماعة المسلمين [.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج: ١ ص: ٤٠٤ رقم: ٣٨٣٩.

ذهب القائلون بتحريم الفلسفة على الناحية الشرعية إلى أن بها من الآفات الكثير<sup>(١)</sup>، وبها من العلل<sup>(٢)</sup> الأكثر، وهذه العلل متى تمكنت من صاحبها، فلما تلقى به إلى التهلكة، وكل ما يلقي بصاحبه إلى التهلكة فهو حرام؛ لأن الله تعالى قد هي عنه نهيًا قاطعًا، فدل الأمر على أن تعلم الفلسفة حرام<sup>(٣)</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

⑥ يقول الطبري: « وأنفقوا في إعزاز ديني الذي شرعته لكم بجهاد عدوكم الناصبين لكم الحروب على الكفر، ولما هم أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة فقالوا لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تستسلموا للتهلكة فتعطوها أزمتمكم فتهلكوا والناظر النفقة في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه مستسلم للتهلكة بتركه أداء فرض الله عليه في ماله، وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سهام الصدقات المفروضة الثمانية في سبيله فقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين إلى قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله على ما لزمه كان للتهلكة مستسلمًا ويديه للتهلكة ملقيا، وكذلك الآيس من رحمة الله للذنوب سلف منه ملق بيديه إلى التهلكة لأن الله قد هي عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا

(١) الآفات جمع مفردة آفة، وهي ما يصيب الإنسان في مزاجه أو عقله وعواطفه، وتكون الآفة غالبًا في المعنويات، أما في المحسوسات، فلما تكون آفة حسية. [راجع في ذلك القاموس المحيط وأساس البلاغة].

(٢) العلة: المرض وحدث يشغل صاحبه عن وجهه كأن تلك العلة صارت شغلًا ثانياً منعه عن شغله الأول واعتل أي مرض فهو عليل ولا أعلت الله أي لا أصابك بعله واعتل عليه بعله واعتله اعتاقه عن أمر واعتله نهي عليه وعلله بالشئ تعليلاً أي ناد به كما يعلل الصبي بشئ من الطعام يتحرراً به عن اللبن يقال فلان يعلل نفسه بعله وتعلل به أي تلجى به ونجراً والمعلل يوم من أيام المحروز لأنه يعلل الناس بشيء من تخفيف البرد والعدالة بالضم ما تعللت به والعلة بالكسر العرفة والجمع العلال وقد ذكر أيضاً في المثل، [ختار الصحاح ج ١ ص ١٨٩] وتخصيها العلة هو تخلف الحكم عن الوصف المدعى عليه في بعض السور لماع فقال الاستحسان ليس من باب حصر العلة يعني ليس بدليل محقق للقياس بل عدم حكم القياس لعدم العلة. [التعريفات ج ١ ص ٧٦ رقم: ٣٣٨]

(٣) الشيخ محمد عبد العظيم الغيبي - الفلسفة وحكم دراستها ص ٤٥ ط دار فواز ١٣٢٥ هـ.

(٤) سورة البقرة - الآية ١٩٥.



القوم الكافرون<sup>(١)</sup>، وكذلك التارك غزو المشركين وجهادهم في حال وجوب ذلك عليه، وحاجة المسلمين إليه مضيق فرضا ملق بيده إلى التهلكة<sup>(٢)</sup>.

فإذا كانت هذه المعاني كلها تحتلها قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولم يكن الله عز وجل حص منها شيئا دون شيء فالصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله لم يحرّم بالإلقاء بأيديكم لما فيه هلاكنا والاستسلام للهلكة وهي العذاب بترك ما لزمنا من فرائضه فغير جائز لأحد منّا الدخول في شيء يكره الله منّا مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه. غير أن الأمر وإن كان كذلك فإن الأغلب من تأويل الآية وأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل الله ولا تتركوا النفقة فيها فتهلكوا باستحقاقكم بترككم ذلك عذابي<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ يعني جل ثناؤه بقوله وأحسنوا معناه أحسنوا أيها المؤمنون في أداء ما ألزمتكم من فرائض وتجنب ما أمرتكم بتجنبه من معاصي ومن الإنفاق في سبيلي، وعود القوي منكم على الضعيف ذي الحلة فإن أحب المحسنين في ذلك<sup>(٤)</sup>.

كما أن هذه الآفات التي تأتي من الفلسفة متعددة، بعضها مما يصيب العقل مباشرة، كالجنون الذي يذهب بالعقل، ويعل صاحبه فاقدًا لأبسط معالم الحياة، إذ المجنون لا يمكنه التمييز بين الأشياء<sup>(٥)</sup>، وتاريخ الفلسفة شاهد بأن أغلب من تعاطى هذه الأفكار قد أصيب بالجنون، وبالتالي فدراستها حرام شرعًا.

وفيها آفات تنال النفس الإنسانية، ومن أكثرها زيوعًا وانتشارًا انقسام الشخصية، وهو ما يعبر عنه بالشخصية الازدواجية<sup>(٦)</sup>، وهي حالة ذات مستويين متناقضين، يعيشان في داخل الإنسان

(١) سورة يوسف - الآية ٨٧.

(٢) فالتهلكة كما ستحيي في معنى الوقوف عند المهلكات، حتى لا يهلكها، فإنما أيضا تحيي في معنى القيام بالواجبات، حتى لا تنسح الحقوق، وذلك من أوجه إعجاز القرآن الكريم.

(٣) ليس ذلك على سبيل الترهيب، وإنما على سبيل بيان الحقيقة؛ لأن وعد الله تعالى حق لا يخلف. قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم - الآية ٦]

(٤) الطبري - جامع البيان ج ٢ ص ٢٠٤/٢٠٦. ويقول القرطبي: «والتهلكة بضم اللام مصدر من هلك بسبب هلاكها وهلكا وهلكة أي لا تأخذوا فيما يهلككم. ويقال لا تنفروا بأيديكم إلى التهلكة يعني لا تنفروا من حرام ففرد عليكم فتهلكوا وغره عن عكرمة قال لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال لا تيمموا الخبيث منه تنفقون». [القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص: ٣٦٣]

(٥) الشيخ العزاني بن العبد أندلسي - الفلسفة عمل حرام ص ١٥ دار العويزان - حبران بالسعودية ١٣٨٤هـ.

(٦) الدكتور بتيوم هايدى - مريض الازدواجية ص ٧ ترجمة حسن تات - طعة دمشق ١٩٦٥م.

نفسه، إحداهما وديعة حانية، و الثانية شرسة متتمة، أو إحداهما هادئة مريضة، والثانية عنيفة متعبسة، أو إحداهما متواضعة إلى حد الاستسلام، والثانية متعالية على قمة الكبر<sup>(١)</sup>.

وهذه الحال إذا استولت على صاحبها، فإنها تحول بينه والحياة الطبيعية؛ لأنه لا يسدى أى الحالتين بممارس، أو بأيهما يتعايش، فتحاول إحداهما أن تجذبه إليها؛ بغية السيطرة عليه، بينما تحاول الثانية ممارسة ذات الدور معه، فيتمزق بينهما، حتى يصاب بالعقد النفسية، التي تنتهي به إلى الانتحار في بعض الأحيان<sup>(٢)</sup>، ومن ثم فتكون دراستها والنظر فيها أو الاشتغال بها حرام شرعا.

ومنها آفات وعلل، تصيب الروح أو النفس الإنسانية، فتغلب فيها نزعة الشر على نزعة الخير، وتجعل الطمع هو السائد، كالحال مع أصحاب الانفلات الأخلاقي، الذين تجرى في مفاهيمهم رغبات تحقيق الأوهام، ولو على أكتاف الآخرين، فيؤدى ذلك هم إلى التنازع المستمر والنقائل الدائم الذي لا ينقطع<sup>(٣)</sup>، وهي أمور محرمة شرعا، وما يؤدى إلى الحرام، فإن وسائله هي الأخرى تكون حراما.

وفيها أيضا آفات وعلل تصيب العقل والاعتقاد معا، كالحال مع أصحاب الأفكار السوداء من الوجوديين والعلمانيين والماركسيين وغيرهم من الملحددين على السواء، ومن قالوا بقدوم العالم الطبيعي، وقدم عناصره لذاته وعدم احتياجه إلى صانع قادر حكيم<sup>(٤)</sup>، فتقع لأصحاب تلك الأفكار السوداء لوثات العقل، فتجعله يصاب في اعتقاداته نفس إصابته في قواه العقلية، كأصحاب الأمراض العصبية أو العصائية، باعتبار أن العقل هو محل المعرفة، بينما القلب هو محل الاعتقاد<sup>(٥)</sup>، وكلاهما يصاب لدى الفلاسفة بآفات وعلل كثيرة، وهي كلها آتية إليهم من تعاطيهم الفلسفة واشتغالهم بها ولا يمكن تلاشي هذه الأمراض بالنسبة لمن ينظر في كتب الفلسفة.

بل إن تاريخ الفكر الإنساني قد أنبأ بأن كثرة العلل والأمراض التي تلاحق الفلاسفة من جراء اشتغالهم بالفلسفة، وهو دليل على أن الفلسفة حرام، لكثرة ما يرد عنها من آفات وعلل وأمراض<sup>(٦)</sup>، ومن ثم كان تعلمها أو دراستها والاشتغال بها تحراما على الناحية الشرعية.

(١) ألبرت حاييم - النوازع الشخصية ص ١٤ - ترجمة حامد زرشدي .

(٢) الدكتور سنسر كولر - اعرف نفسك ص ٧٤ - ترجمة ناهد صبرى .

(٣) الأستاذ صابر عبداللهم ثروت - علم النفس العام ص ١١٩ ط دار الغرب ١٩٧٣م.

(٤) راسع في المسألة التفكير الفلسفي الإسلامى للدكتور سليمان دنيا، وكتابا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى

(٥) الدكتور لطفى حسن الحميل - الإيمان والمعرفة ص ٩٥ طعة أولى ١٩٦٧م.

(٦) الشيخ الفوزان بن عبد الله الدحيش - الفلسفة عمل حرام ص ١٩ .

نما شك فيه أن كل كائن يتعرض رحلة حياته مجموعة من المشكلات، بعضها يتعلق به على ناحية موضوعية، وبعضها الآخر يقوم على ما يحيط به، وربما كانت هناك مشكلات تنشأ عن ذات الكائن، وطبيعته التي قد ينحرف بها، أو يحاول حتى لا تستمر في طريقها السوي<sup>(١)</sup>.

وكذلك العلوم والفنون؛ لأنها في الأغلب الأعم نتاجات عقول أفرزتها، وتصارف قسامت عليها، وكل العقول - غير عقول الأنبياء والمرسلين - فيها من الضعف بقدر ما فيها من القوة؛ لأنها غالباً ما تخضع لبعض المؤثرات، والكثير من الرغبة في الاحتفاظ بالموثوثات<sup>(٢)</sup>، وليس ذلك بأمر خاص في الفلسفة وحدها، وإنما هو قاسم مشترك، تجرى في كل العلوم على السواء. إذن وجود آفات وعلل في العلوم التي يصنعها الإنسان لا عاراة فيها.

فمثلاً العلوم التطبيقية التي أنتجت بفضل الله تعالى الدواء لأغلب الأمراض<sup>(٣)</sup>، هي ذاتها التي أنتجت وسائل التدمير العالية والواسعة، التي تهلك الذرع والفرع، كالحال مع القنابل المتفجرة والجرثومية والبيولوجية، فضلاً عن الرعوس النووية، وبالتالي فأفاتها كثيرة، وعللها متنوعة.

والمهندسة الوراثية التي قدمت أنماطاً جديدة من الحلول لمشكلات كانت عصبية في الحساب البيولوجي الإحيائي، هي ذاتها التي أنتجت آفات اختلاط الإنسان، أو استنساخ كائنات من بعضها، فقد نشرت جريدة الأهرام المصرية تحت عنوان "ولادة ثاق طفلة عن طريق الاستنساخ في هولندا - عالم مصري يطالب بعدم التسرع في إصدار أحكام على الاستنساخ" جاء فيه: «أعلنت شركة

(١) وهذا الانحراف التقديري داخل في نطاق الأفعال الإنسانية الشريرة، باعتبار أن الأفعال الإنسانية منها ما هو خير مطلقاً، ومنها ما هو شر مطلقاً، ومنها ما هو واقع في نطاق الحيوة من جهة والشرية من جهة أخرى. [راجع للزميلة ستر عبد الرحمن عبده - النقل الإنسان بين المتكلمين والأخلاقيين والفلاسفة، فقد تعرضت لبيان ذلك على ناحية تفصيلية]

(٢) الشيخ محمد نعيم الدين ثروت - الفلسفة الإسلامية والتراث الإسلامي ص ١٦٢.

(٣) وفي الحديث الشريف عن جابر قال: قال رسول الله: «تداووا عباد الله، فإن الذي خلق الداء خلق الدواء، فإذا أصاب الدواء الداء، برأ بإذن الله» (أخرجه مسلم في كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي رقم ٢٢٠٤). وعن أبي الدرداء قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله [تعالى] أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بغيره» (سنن أبي داود - الإمام البخاري أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ - دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - باب في الأدوية المكروهة - الحديث رقم: ٣٨٧٤)، وعن أبي سعيد عن رسول الله قال: «إن الله تعالى لم يزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، إلا السام وهو الموت» (أخبرنا الصغير للسيوطي - [تنمية باب حرف الألف] - الحديث رقم: ١٧٨٣، ورواه الحاكم في المستدرک).

كلونيد التابعة لجماعة الرائيين أن طفلة ثانية ولدت عن طريق الاستساخ امس في إحدى الدول الأوروبية، ومن المرجح أن تكون هولندا<sup>(١)</sup>.

وقالت بريجيت بواسيلية رئيسة الشركة: إن عملية الولادة تمت بطريقة طبيعية، وأن أم الطفلة من الشواذ، وكذلك الطرف الآخر، وهو سيدة أيضا<sup>(٢)</sup>، وكانت بواسيلية وهي كيميائية فرنسية، قد أعلنت في أواخر الشهر الماضي عن ولادة أول طفلة مستنسخة في التاريخ، ومن المقرر أن تستمر شركة كلون بأخذ عينة من حمض (دي - إن - إيه) الخاص بالطفلة المستنسخة للتأكد من مطابقته للحمض نفسه الخاص بالأم.

ومما يذكر أن إجراء عمليات الاستساخ البشرى ممنوعة قانونيا في هولندا، إلا أنه لا يوجد نص قانوني يمنع ولادة أطفال مستنسخين<sup>(٣)</sup>، وفي لندن أعلن العالم البريطاني المصري الأصل محمد الطراينسي، أنه يصدق ما أعلنته شركة كلونيد بنجاحها في استساخ أول إنسان، وقال في تصريحات للأهرام: إن التقنية الطبية المستخدمة في عملية الاستساخ ليست صعبة، وطالب بعدم التسرع بإصدار أحكام عاطفية على الاستساخ، ودعا علماء الدين لدراسة القضية بوعي وتفصيل شاملين للوقوف على الجوانب الإيجابية، التي يمكن إفادة الإنسان بها<sup>(٤)</sup>، وأعرب عن اعتقاده بأن الأوساط الطبية في الغرب كانت تتوقع قدوم الاستساخ، ولذلك فإنه يجب المصادرة عليه، حتى تتاح فرصة ضبطه وتطويعه للأغراض الطبية المقبولة.

وتجدر الإشارة إلى أن بريطانيا أقرت منذ نحو عامين مبدأ استخدام الاستساخ للأغراض البحثية الطبية في إطار قيود صارمة، ويأتي إعلان شركة كلونيد عن استساخ ثاني طفل بعد نحو أسبوع واحد من الإعلان عن ولادة أول طفل مستنسخ وهي أنثى، سميت (أيف) وقالت رئيسة الشركة: إنه تم إرجاء اختبار حمض الـ (DNA) الخاص بالطفلة، لتعرض والديها<sup>(٥)</sup> في الولايات المتحدة لضغوط بسبب طلب أحد المحامين في ولاية فلوريدا تعيين حارس قضائي على الطفلة، وطلبت بوبيلية مهلة ٤٨ ساعة لإعلان قرار والدي الطفلة، وتوقعت أن ولادة الطفل الثاني ستكون في ظروف أكثر تسامحا؛ لأنه سيكون في أوروبا، وبالتحديد في بلد قد يكون أقل حساسية.

(١) جماعة الرائيين في الغرب تقرم على ممارسة الإلحاد عن طريق استخدام العلم المعلن، وبخاصة في الجانب البيولوجي، وزعموا هذه الجماعة يهودية الجنسية، علمانية الترجمة النفاق.

(٢) بناء على أن المعلن البيولوجي شغل على حلبة جسدية لها ٤٦ كروموسوم، من إحدى السيدتين الشاذتين، ثم أفرغها من البواقي المتكاملة، ثم قام بتلقيح هذه البواقي الجسدية المتكاملة، ثم وضعها في رحم الأم الشاذة أيضا.

(٣) هذا من عبور القوانين الوضعية، التي يقوم البشر بإنشائها، حتى تسمح بالاستنساخ الواسعة، وفيها العبور المتنوعة.

(٤) وهذه الجوانب الإيجابية التي يزعمها المتحدث بجريرة الأهرام، إنما هي في حيله، والمعامل التي تقوم بذلك الدور، لكنها سليمة حرام؛ لأنها تقوم بدور تدميري في المجتمع الإنسان كله.

(٥) أم والديها، إنما امرأتان شاذتان، فلا يقال عليهما أنهما والدا ولدان ولا اعتبارات القرابة.

وقال زعيم جماعة الرائيين: إنه طلب من بواسيلية عدم إجراء الاختبارات على الطفلة (أيف) خوفاً من تحفظ السلطات الأمريكية عليها<sup>(١)</sup>، ولكن هل تم تقديم صور عملية عن هذه الطفلة مثلاً.

وكان المحامي برنارد شيجل في ولاية فلوريدا قد تقدم بطلب لتعيين حراسة قضائية على الطفلة، وقال: إنه سيتم استدعاء والدي الطفلة المجهولين للمثول أمام المحكمة في ٢٢ من يناير المقبل وقال: إن عدم حضورهما معناه نقل الوصاية الطبيعية على الطفلة إلى حارس قضائي، وكان زعيم جماعة الرائيين قد أعلن أمس الأول أنه سيتجاهل استدعاء محكمة فلوريدا له في جلسة خاصة، لاتخاذ قرار وضع الطفلة تحت حماية المحكمة<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن مثل ذلك العمل، سيؤدي إلى مزيد من هدم القيم، وتدهور الأخلاق، وتسدى المستويات العقلية والدينية، إلى حد الدعوة في أن مارس بعض بين الإنسان الشذوذ مع أقرب الناس إليهم، دون إقامة حدود شرع، أو استمساك بسليم عرف.

ولأن أغلب الناس يتسوقون أفكارهم من العامة، كما يتسوقون طعامهم وشراهم من المخلات العامة، فإنهم ينظرون إلى العلم نظرة خاطئة بعين واحدة، فنسبوا كل الآفات إليه، ولم ينسبوا للجهل سوى آفة واحدة<sup>(٣)</sup>، فمثلاً وسائل الدمار للبشرية على كل النواحي والمهلك للحياة والإحياء، فبيان كل الناس ينسبون هذا إلى العلم؛ لأن بالعلم تفقت هذه الوسائل التدميرية<sup>(٤)</sup>، ولولاه ما كانت.

وفي ذات الوقت يتجاهل الناس أو يتناسون التقدم الصناعي الهائل، الذي أمكنه - بفضل الله تعالى - تحويل الصحراء القاحلة الجرداء، إلى زراعات واسعة، وجنات من نخيل وأعناب<sup>(٥)</sup>، ببيان توفير الأسس العامة للأغذية والأدوية، وما يسمح بالحركة السكانية، حتى تنطلق إلى الأمام.

كما أمكنه احتزان مياه الأمطار والفيضانات، حتى تحولت من ثروات مهددة إلى طاقات كاملة من الكهرباء، تقدم الخدمات المختلفة، فصار الليل الظلم ينشئ عن نهار مبيّن، ونش عن ذلك سرعة انتقال الإنسان والحيوان، وإمكانية الإقامة في الأماكن المتعددة الأجواء.

(١) وما يمنع أن يكون ذلك كله لم يقع، بدليل أنهم لم يقدموا صورة للطفلة.

(٢) جريدة الأهرام المصرية - العدد ٥ يناير ٢٠٠٣ م - ص ٥ من العمود الثالث والرابع والخامس من أسفل (بروكسل - وكالات الأنباء - لندن: عامر سلطان).

(٣) أرنولد هاف لامين - العلم ومشكلاته ص ٥٣ ترجمة صابر السيد ط ١٩٧٥ م.

(٤) راجع كتابنا: بهاض الأشواق في الدنيا بيننا والأخلاق ص ٨١.

(٥) وهناك العديد من المشروعات التي تمت في الماضي، وتنم في الحاضر، كالحال مع توشكي في بلدنا المسلمة المحيية.

وكذلك لا يذكرون للعلم أنه غزا أرجاء المعمورة، وجاب فيانها<sup>(١)</sup>، وحلف في محيطها، حتى نقل إلينا ما يحدث في أبعد طرف منها لحظة وقوعه، عن طريق احتساب سرعة الصوت<sup>(٢)</sup>، والتعامل مع سرعة الضوء، وعلى أثرها تم التركيز على استخدام الموجات الصوتية وأطوالها والاستفادة منها في الأغراض السليمة والحربية أيضا.

في نفس الوقت، فإن خصوم العلم لا يذكرون عنه إلا آفات وعلا ولا يتحدثون عن معاملته التي أنبأت عن استخدام الموجات الإشعاعية المختلفة، وقد باتت قادرة على إعطاء مذكره كاملة عن صحة الإنسان من كافة النواحي، بحيث يتم ذلك خلال دقائق معدودة<sup>(٣)</sup>.

أضف إلى ذلك ما يقدمه العلم ويضعبه حصره من خدمات في مجال العلوم الطبيعية والبيو كيميائية والبيولوجية، بل والكيميائية والفيزيائية، وعلوم الفلك التي قدمت للبشرية مسن المنافع ما لا يمكن إغفاله في الأرض والبحر والجو، علاجا ووقاية، هندسة ونظام حياة، بل أمكن استخدام العلم في تحويل باطن الأرض المختبئ، واكتشاف ما فيه، حتى تحدث عن داخله من خلال ما عرف بالذهب الأسود وغيره من أنواع المعادن المختلفة التي مصدرها الطبيعي باطن الأرض.

فهل رأيت عاقلا نادى بالغاء العلم؛ لأنه به أضرار كما فيه من منافع؟! وهل لو نادى بـه سوف يستجيب له أحاد من الناس العقلاء، هل استحباب الناس لمثل هذا المطلب لو صبح، أو أصغوا السمع لمثل هذا الصباح لو وقع؟! حتى لو كانت دعواه قائمة على أن أضرار العلم وأخطاره لا تنقطع<sup>(٤)</sup>، وأنها تبدو لكل ذي عينين، حتى لو حمل بين يديه ضحايا حارب عالمية بأكملها؟ إن ذلك لم يحدث وما أظنه سيحدث على المستوى الرسمي أو الشخصي.

إذن في الفلسفة آفات وعلل، وفي دراستها فوائد ومنافع، وفي النظر إلى مباحثها قلق وترقب، وبين حناياها اضطراب وشكوك، لكن كل هذا لا يقلل من شأن الحاجة إليها، أو شدة الإقبال عليها، طالما كانت كلها في حدود ما سلف القول به من ضرورة كونها فلسفة على شرع الله تقيم أسسها، وتبني خيامها، وعلى نور عقل وتحرل، وينصه المنزل تقيم أو تظعن<sup>(٥)</sup>.

وفي تقديري: أن دراسة الفلسفة طالما أغرت الكثيرين، حتى ألقت عليهم شباك حبيها، كما دفعت البعض إلى إعلان بغضها والتشفي فيها، ومن أبرز مظاهر بغض الفلسفة ما نقله العلماء عن

(١) الفيحاء الصحراء الملساء والجمع الفيافي. [مختار الصحاح ج: ١ ص ٢١٦]

(٢) الدكتور فانتوم أوريلي - الرمان وحطواته المستقبلية ص ٤٥ - ترجمة عبدالقوى ومفتان.

(٣) أرنولد هاف لامين - العلم ومشكلاته ص ٦٦.

(٤) هذا كله على سبيل الفرض؛ لأنه لم يحصل أن فعل واحد من الناس ذلك، ولو فعل لسارع الآخرون بنقله.

(٥) رابع كتابنا: رياض الأشواق في الميادين والأخلاق ص ٨٢.

الموقف الداخلي للإمام أبي حامد الغزالي، حيث عبر عنه الإمام ابن العربي<sup>(١)</sup> بقوله: «إن الغزالي دخل بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر...، إذ أن أبا حامد لم يكن يترعرع، حتى كشفت له الفلسفة النقاب عن جمالها الفاتن، وابتناساتها الخلوة، فهوى في شباك غرامها القهاهرة، ثم حاول بعد ذلك - لإرهاق العوامل المخدقة به إحدائق السوار بالمعصم - أن يسسلوا هواها، أو أن يتخلص من حبالها، فلم يقو على هذا السلوان»<sup>(٢)</sup>.

أجل: أحب الغزالي الفلسفة بعنف وغيرة، وبذل جهوده في مطارحتها الغرام، وأعلن التسرع لها بكل ما يملك من حب في سبيل استرضائها، والظفر بجيها، لكنها قابلته بصدد، تجاوز كل حد، واستعصت على ملاينته، ولم تستجب لمهادته، أعلنت له أنها ستظل عذراء عليه، متمنعة منه<sup>(٣)</sup>.

فلما أدرك أن حيله معها نفذت، وتنازلاته لها هوت، أعلن أن دراستها حرام، والاشتغال بها كفر، وكانت غاية من ذلك أن تظل عذراء له تنشد اقترابا، أو ترجوه إحسانا وأحسانا، أو يدفعها لينال منها أنسابا، ولكنها لم تعره التفاتة، وزادت في الثأب عليه والتمنع منه.

بل إنما قلبت ما يديها وعن عصامة تخلت، ثم أمطرته بوابل من الأخواق الدفينة وتولست، وفي دلال الغانية اللعوب أردفت وتدلّت، فلم يطق هجرها له، وعاش على أمل اللقاء لها، ولكن الأمد طال<sup>(٤)</sup>، ويبدو أنه كم أشواقه متشلا الأثر عن ابن عباس: «من عشق فعف فكم فصير فمات فهو شهيد»<sup>(٥)</sup>.

(١) أبو بكر بن العربي هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافى الأشيلي المالكي أبو بكر بن العربي قاضي من حناط الحديث. ولد في أشيلة سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م، ورحل إلى المشرق وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وله مصنفات كثيرة. منها أحكام القرآن، والمسالك على موطأ مالك، والمحصل في أصول الفقه وغيرها. ترقى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م. (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٣٠).

(٢) الدكتور محمد غلاب - المعرفة عند مفكرى المسلمين ص ٣٣٦/٣٣٧ طبعة الدار المعاصرة للناليف والترجمة.

(٣) هذا التصوير اقتبسه من أدبيات الدكتور محمد غلاب، ومن تصورات العلامة ابن العربي، وكل منهما له دوره البارز في المسألة.

(٤) راجع بعض هذا في كتابنا: رياض الأشواق في المينافيق والأخلاق ص ٨٣.

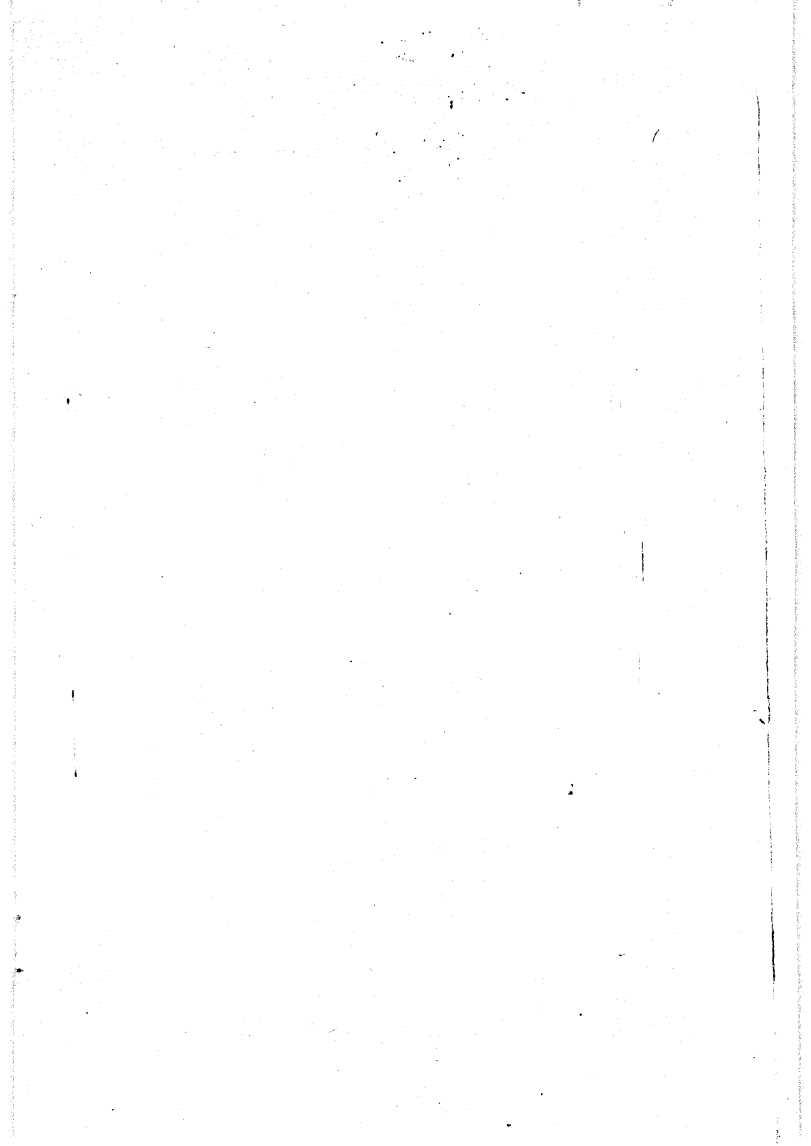
(٥) العلامة المجلون - كشف الخفاء ج ٢ ص ٣٤٥ رقم: ٢٥٣٨، وأخرج الطبراني عن ابن عباس أن النبي بعث سرية فغنموا وفيهم رجل فقال إنني لست منهم عشقت امرأة فلعقتها فدمعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم فنظروا فإذا امرأة طويلة أدماء فقال ما أسلمى حببي قبل نفاذ العيش أرايت لو اتعتكم فلعقتكم بخلصة أو ألبتكم بالخوانق أما كان حقا أن ينزل عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق قالت نعم فديتك فقدموه فضربوا عنقه فحاصت المرأة فوقت عليه فشبهت شهقة أو شهنتين ثم ماتت فلما قدموا على رسول الله أخبروه ذلك فقال رسول الله أما كان فيكم رجل رحيم. [الطبراني - المعجم الأوسط ج ٢ ص ١٩٦ رقم: ١٩٩٧] وأخرجه الخرائطي والديلمي وغيرهما ولعن بعضهم من عشق فعف فكم فهو شهيد. [كشف الخفاء ج ٢ ص ٢٤٦ رقم: ٢٥٣٩]

لكن الإمام الغزالي لما لم تقيه الحيلة، ولم ينفعه الكتمان، لجأ إلى من عشقتهم الفلسفة، فوَّاح  
 يرميهم بالكفر، كما رماها وبتعتهم بالفسق، لعلهم ينصرفون عنها، ويسمهم بكل منقصة، وما كان  
 في ذلك يقصدهم لذواتهم، وإنما كان كل همد أن يصرفهم عنها، فرمما رجعت إليه واستجابت  
 لرجاءاته، أو ارتضت مشاركته غرامياته، بيد أن ما بقي له من عمر لم يسعه في القيام بذلك الدور  
 كما أن وضعه الاحتساعي والأدبي بعد تلك المحنة العنيفة لم يكن أحدهما يسمح له بذلك.



## الفصل الثاني

أصله، رفضها عقلا  
ومناقشتها



أُخْتُ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ لِأَدْلَةِ الْقَائِلِينَ بِتَحْرِيمِ الْفَلَسَفَةِ ، دَرَسَةِ وَاشْتِغَالِهَا ، عَلَى النَّاحِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَقَدْ عَرَضْتُ أَدْلَتَهُمْ وَنَاقَشْتُهَا عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يَسِرُّ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَسْبَابِهِ ، وَلَكِنَّ مِنَ الضَّرُورِيِّ التَّعَرُّضُ لِأَدْلَتِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ أَيْضًا ، حَتَّى لَا يَقَالَ : إِنَّ الدَّرْسَةَ قَدْ انْقَضَتْ عَلَى جَانِبٍ مِنَ الْأَدْلَةِ فِي الْمَسْأَلَةِ وَأَهْمَلْتُ الثَّانِي .

وَمَا كَانَتْ طَبِيعَةُ تِلْكَ الدَّرْسَةِ تَقُومُ عَلَى عَرْضِ الْأَدْلَةِ ، الَّتِي يَتِمُّسِكُ بِهَا أَصْحَابُهَا ، ثُمَّ مَنَاقَشَتِهَا عَلَى الْجَوَانِبِ الْمُمْكِنَةِ ، فَإِنَّ سَاسِرَ فِي ذَاتِ الْمَنْهَجِ (١) ، وَهَذَا الْجَانِبُ أَيْضًا .

#### الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ : إِنَّهَا لَا تَقْدُمُ نَفْعًا

« عَرَضُ الدَّلِيلِ »

خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَاءَ ، كُلُّ يَسْعَى لِمَا فِيهِ النِّفْعُ ، قُلُ ذَلِكَ النِّفْعُ أَوْ كَثُرَ ، سِوَاهُ تَوْسِيعٍ فِي ذَلِكَ السَّعْيِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَقْصَى طَاقَةِ الْإِنْسَانِ فِيهِ ، أَمْ أَكْفَى بِذَلِكَ حِزْءٍ مِنَ الْيَهُودِ ، وَمَا كَانَتْ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ قَدْ جَلَبَتْ عَلَى السَّعْيِ لِمَا فِيهِ مَنَافِعُهَا وَالتَّخَلَّى عَنْ مَا فِيهِ مَفَاسِدُهَا ، فَإِنَّ الْفَلَسَفَةَ لَا تَقْدُمُ نَفْعًا (٢) ، وَمَنْ ثُمَّ يَجِبُ عَدَمُ السَّعْيِ إِلَيْهَا بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ .

كَمَا أَنَّ الْفَلَسَفَةَ عَلِمَ نَفْسُهُ مِنَ أَوَائِلِ الْيُونَانِ ، وَكُلُّ الْعُلُومِ الَّتِي جَاءَتْ مِنْ طَرِيقِ أَوَائِلِ الْيُونَانِ لَا تَقْدُمُ نَفْعًا ، بَلْ هِيَ مُضِيعَةٌ لِلزَّمَنِ ، وَمُسْتَهْلِكَةٌ لِلْمَالِ ، وَمَلْهِيَةٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، إِذْ مَا مِنْ فِكْرَةٍ يَتِمُّ عَرْضُهَا ، إِلَّا وَتَأْتِي الْآخِرَةُ نَاسِفَةً لَهَا أَوْ عَاصِفَةً بِهَا (٣) ، وَمَهْمَا قِيلَ عَنْ فَوَائِدِهَا ، فَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْجَدَلِ السُّوفِسْطَانِ ، الَّذِي لَا يَقْدُمُ دَلِيلًا وَاحِدًا عَلَى صِدْقِهِ .

أَضْفُفْ إِلَى مَا سَبَقَ أَنَّ مَنَافِعَ الْفَلَسَفَةِ تَنْحَصِرُ فِي تَمْزِيقِ أَوَاصِرِ الْحَيَةِ ، وَفَقْصِ عَمْرِى الْمُسَوَّدَةِ ، وَتَحْوِيلِ الْجَمْعَاتِ الْمَادَّةِ إِلَى تَجْمِيعِ ثَوَرَاتٍ لَا تَنْقَطِعُ ، وَفُورَانِ لِبَرَكَاتٍ فِكْرِيَّةٍ مَدْمُورَةٍ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ لَا يَحْقُقُ أَى نَفْعٍ عَلَى آيَةٍ جِهَةٍ ، بَلْ قُلْ إِنَّهَا تَعْقِبُ كُلَّ الشَّرِّ وَالْآثَامِ .

وَإِذَا كَانَتْ عُلُومٌ هُؤُلَاءِ نَفْسُهُمْ لَمْ يَبْتَهِتْهُمْ الَّتِي دَرَجُوا عَلَى تَرَاهُهَا ، وَفِي أَحْضَانِهَا تَرَعَّرَعُوا وَيَبْنُونَ وَدِيَانِهَا شَبَّوْا ، بَلْ كَانَتْ عَوَاقِبُهَا بِالنِّسْبَةِ لِمَا أَلِيمَةٍ ، بِدَلِيلِ أَنَّ نَارْسِيْسَ (٤) الْغَنَى الْيُونَانِيَّ النَّسَاعِمَ

(١) وَهَذَا يَقْتَضِي تَعَدُّدَ الْمَنَافِعِ الَّتِي لِحْتَاجِهَا هَذِهِ الدَّرْسَةُ مِنْ ابْتِدَاءِ الْمَنْهَجِ السَّرْدِيِّ التَّارِيخِيِّ إِلَى الْوَصْفِيِّ وَالتَّحْلِيلِيِّ ، وَرَعَدَ الْمَنْهَجِ الْمَقَارِنِ أَيْضًا .

(٢) الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَظِيمِ مُحَمَّدُ الْحَلَالُ - الْفَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ص ١٥٧ ط الدَّارُ الْجَدِيدَةُ ١٩٧١ م .

(٣) الْأُسْتَاذُ أَحْمَدُ رِضْوَانُ الْمُحَمَّمِي - الْفَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي مَرَاكِهَا الْأَوَّلَى ص ١٢٩ الطَّعْمَةُ الثَّانِيَّةُ ١٩٦٥ م .

(٤) نَارْسِيْسُ شَابُ بَرْنَانٍ كَانَ جَمِيلَ الطَّلْعَةِ ، حَسَنَ الْمَظْهَرِ ، وَمِنْ شِدَّةِ جَمَالِهِ أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ يَتَأَمَّلُ جَمَالَهُ ، وَذَاتَ يَوْمٍ اسْتَفْرَفَ فِي تَأَمُّلِ جَمَالِهِ فَرَلَتْ قَدَمُهُ وَسَقَطَ فِي الْمَاءِ فَمَاتَ ، وَمَنْ ثُمَّ أَطْلَقُوا عَلَى مَنْ يَقُومُ بِهَذَا الدَّوَرِ اسْمَ التَّرْجِسَةِ ، وَمَعْنَاهَا التَّأَمُّلُ الْمُتَوَاصِلُ فِي قَوَى الطَّبِيعَةِ حَتَّى الْفَنَاءِ فِيهَا [ رَاجِعْ لِلْأُسْتَاذِ ذِكْرِي نَسِيمٍ - تَارِيخُ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ ص ١٤٣ ]

لقى مصرعه من جراء تلك الفلسفة، ولو لم يكن قد لجأ إليها من قبل، أو قصد تعلمها، ربما تغيرت أحواله، وكان له شأن آخر فهي من ثم حرام.

فإذا أضفت إلى السابق ذكره، أن علوم اليونان ظلت محل مواخذة، وشك وريبة في مصادرها، كما ظلت محل التهام في النتائج المترتبة عليها، فقد بان لك أن الفلسفة لا تأتي بخير، ولا يعقبها خير، بل ولا تقدم أي لون من ألوان النفع، لمن يقوم بدراساتها، والنظر في كتبها، ولا في البلاد التي يهتم أهلها بدراسة الفلسفة<sup>(١)</sup>.

ولما كان وقت المؤمن ملكاً لله تعالى على كل ناحية، فيجب أن يملأه بما يرضى مولاه، ويشغفه بما ينفع في الدنيا والآخرة، وإلا كان مضيعاً له، محاسباً عليه، ففي الحديث الشريف عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن شيابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق»<sup>(٢)</sup>. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن جسده فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق وعن علمه كيف عمل فيه»<sup>(٣)</sup>.

إذن دراسة علوم أوائل اليونان ومنها الفلسفة، لا تقدم نفعاً في جانب من الجوانب، وبناء عليه، فإن دراستها تمثل استهلاكاً للوقت، يجب أن يرشد. وطاقة من الواجب إدخارها وتوجيهها الوجهة السليمة بل والصحيحة معاً.

#### ب- مناقشة الدليل

من المؤكد أن كل كائن يسعى لغايته، وأغراضه المشروعة<sup>(٤)</sup> من جهته على الأقل، لكن

(١) الشيخ عبد العظيم محمد اخلاص - الفلسفة الإسلامية ص ١٦١.

(٢) الطبراني - المعجم الأوسط ج ٥ ص ٧٤ رقم ٥٧١٠ وأخرجه المنذرى - مجمع الرواة ج ١٠ ص ٣٤٦، وأخرج البراء عن عبد الله بن مسعود قال: «قال رسول الله لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن شيابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق وعن علمه ماذا عمل فيه». [مسند السراج ج ٤ ص ٢٦٦ رقم: ١٤٣٥]

(٣) معاذ بن جبل هو أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي سلمى شهد بدراً مع النبي نزل وهو ابن ثمان وعشرين سنة، نزل الشام، له صحبة، روى عنه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن العباس وعبد الله بن أبي أوفى وأبى بن مالك... وغيرهم. [راجع المرح والتعديل ج ٨ ص ٢٤٤ - باب تسعة من روى عنه العليم محمد بن معاذ رقم: ١١١]

(٤) ابن أبي شيبه - منصف ابن أبي شيبه ج ٧ ص ١٢٥ - ٢٠ كلام معاذ بن جبل رضي الله عنه رقم: ٣٤٦٩٤. (٥) الشرع حية واحدة وبالتالي فلا تكون السبية فيها قائمة، وإنما لابد من سيادة أحكام الشرع على حياة المسلم وكل أنطقه الفكرية والعقلية والوجدانية، فإذا تغلبت عن شيء من ذلك، فلا يكون ملتزماً بالأحكام الشرعية.

الإنسان أعلى الكائنات الأرضية عقلاً<sup>(١)</sup>، لقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام الزمخشري<sup>(٣)</sup>: «قيل في تكريم ابن آدم: إن الله قد كرمه بالعقل والنطق، والتمييز والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، وقيل: بتسليطهم على ما في الأرض، وتسخيرهم لهم»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام القرطبي: «إن التفضيل إما كان بالعقل، الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه، وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعث الرسل، وأنزل الكتب، فمثال الشرع للشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس، وأدركت تفاصيل الأشياء»<sup>(٥)</sup>.

والإنسان العاقل المدرك عواقب الأمور يسعى لما فيه المنفعة، ويتعدى عن كل ما فيه المضرة، متى كان إنساناً سويًا، أما غير الأسوياء فلا اعتداد بهم.

(١) العقل في اللغة: هو «الإسكاف والكف، ومنه قيل للحصن معقل، وجمعه معقل» [المفردات للراغب الأصفهاني - ص ٣٤٢]. وفي اللسان: «رجل عاقل» وهو الجامع لرأيه وأمره، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه، ويردها عن هواها. أخذنا من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومع الكلام، وتسمى العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في الميالك، أي ينصحه «[لسان العرب - باب اللام - مادة (عقل) ج ١١ ص ٤٥٨/٤٥٩]. وفي المعجم الوجيز: «العقل: ما يكون به التفكير والاستدلال، وتركيب التصورات، والتدقيقات، ويتميز به الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل» [المعجم الوجيز ص ٤٢٩].

(٢) سورة الإسراء - الآية ٧٠، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَفَضَّلْنَاهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا، فَجَعَلْنَاهُ فِي أَحْسَنِ تَقْسِيمٍ، وَصَوَّرْنَاهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَسَجَرْنَا لَهُ مَاءَ السَّمَاوَاتِ وَمَاءَ الْأَرْضِ، وَأَسْبَغْنَا عَلَيْهِ نَعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَجَعَلْنَا خَلِيفَةً لَّهُ فِي الْأَرْضِ. وَلَمْ يَجْعَلِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ذَلِيلًا، وَلَمْ يَجْعَلْ كُلَّ حَرْفٍ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّهِ، الَّذِي اسْتَمَعَهُ اللَّهُ بِهِ، وَبَيَّنَّاهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ، فَالْإِنْسَانُ أَكْثَرُ ظُلْمًا، لَمْ يَفْهَمْ الْإِنْسَانُ فِي أَمْرِ صُورَةٍ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا سَخَّرَهُ اللَّهُ لَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَوْجِبًا لِلْعِلَافَةِ الْأَرْضِ. [دكتور عبد الوهاب محمد عبدالله سليم - بناء الإنسان في القرآن الكريم - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م].

(٣) الإمام الزمخشري هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، العلامة النحوي اللغوي، المفسر شيخ شيوخ المعتزلة. وصاحب التصانيف الكثيرة، وله في تفسير القرآن الكريم مؤلفات من أشهرها (الكشاف عن غوامض التنزيل وغيوب الأقباب في وجوه التأويل) ولد سنة ٤٦٧هـ. توفي سنة ٥٣٨هـ، [سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ١٥١، طبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ٣١٤، وراجع مناهل العرفان في علوم القرآن للعلامة الزرقان ج ٢ ص ٧٠ - طبعة دار الفكر ١٤١٦هـ - بيروت لبنان وهاشم الكشاف الإنصاف للشيخ أحمد السكندري، والكافي لابن حجر العسقلاني].

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري - ج ٢ ص ٤٥٨ - طبعة دار المعرفة بيروت.

(٥) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج ٦ ص ٣٩١.

إما اتهام الفلسفة بأنها لا تقدم نفعاً، أو أن غيرها من العلوم قد يظهر فوائد عالية، ومنافع عظيمة، فذلك أمر ليس جديداً على التاريخ الإنساني؛ لأن من جهل شيئاً عاداه<sup>(١)</sup>، وكذلك ممن بعض شيئاً، ولم يكن موضوعياً - فإنه يصب عليه اللعنات من كل ناحية، ويسلب عنه منفعة كلها من غير اعتبار لشيء آخر.

لكن الفلسفة علم من العلوم القائمة في جانب كبير منها على الدقة العلمية، وهي تؤسس لعلوم قائمة أيضاً في ذاتها على جانب من الأهمية، بجانب الدقة العلمية مع الموضوعية كمنطق الاستقراء العلمي<sup>(٢)</sup>، الذي قدم نفعاً كبيراً للبشرية في العديد من المجالات العلمية المختلفة.

ثم إن العلوم التطبيقية والعلوم الطبيعية كلها في تقدم مستمر، وتطور لا ينقطع، ويخلف هذا التطور خدمات واسعة النطاق للمجتمع بشكل أو آخر، ابتداءً من استحداث وسائل مواصلات

(١) هذه حكمة أخرى بين الناس بجرأها، ولذلك يهتم بها أصحاب الحكمة، وأيضاً يفترون بها الأمثال، فكأنهم يخشون من أن يورد مثل ثم يضره بعد ذلك.

(٢) يعرف الاستقراء العلمي بعدة تعريفات منها: [١] تتبع الجزئيات كلها أو بعضها، للوصول إلى حكم عام ينسبها جميعاً. [الدكتور عبدالمعطي محمد الأسمر - منطق الاستقراء ص ٩٣ - ط ١ - أول ١٩٦٧ م] [٢] انتقال الفكر من المطلق إلى الجزئي إلى الحكم على الكل الداخلي تحت هذا الجزئي. [الدكتورة وفاء حسن شفيق - دراسات في المنطق العلمي ص ٦٢ - طبعة مكتبة الأسدفاه ١٩٨٥ م] [٣] حركة عقلية مضادة لنتيجة عملية في اتجاه واحد، هادفة لتحقيق العموم والشمول. [بوهان جاسبريرج - معالم الفكر الحديث ص ٣٢ - ترجمة وحيد رمسيس ١٩٤٧ م] [٤] مراقبة نتائج الجزئيات المتشابهة، وتطبيقها على الكليات التي تنتمي إليها. [الدكتور: حسن حكمت الله تروت - مقاييس القبول في الاتجاهات العلمية ص ٧٨ - طبعة دار فوسزان ١٩٥٣ م] وأقسامه: الأول: الاستقراء التام: ويعرف لدى الأقدمين بأنه الذي يتم فيه تتبع وفحص جميع الجزئيات، التي هي موضوع البحث على سبيل الحصر الدقيق لها، بحيث لا يند واحد من تلك الجزئيات عن مجال البحث أبداً. [الدكتور محسن محمد طريف - المنطق بين القديم والحديث ص ١٨٣ - طبعة أول - دار الأندلس ١٩٦١ م] بينما يعرف عند المحدثين بأنه: تتبع جمع الجزئيات المجزأة واحدة بعد الأخرى من خلال الملاحظة والتجربة، حتى ينصل إلى حكم عام يشملها جميعاً، بحيث يؤدي ذلك إلى تقدم العلوم وإثباتها، وإشادة الحضارة عليها. [الدكتور: فوزي بسن المحمد - المنطق العلمي ص ٧٤ - ط ١ - مراكش ١٩٤٧ م]. القسم الثاني الاستقراء الناقص: ويعرف بأنه: مجموعة من الأساليب والطرق العلمية والفكرية التي يستخدمها الباحث في الانتقال من عدد محدود من الحالات الخاصة، إلى قانون أو قضية عامة، يمكن التحقق من صحتها، بتطبيقها على عدد آخر من الحالات الأخرى، التي تشترك مع الأولى في خواصها النوعية. [الدكتور علي محمد حير - منطق حديث ص ٤٢] كما يعرف بأنه - عبارة عن تعميم ما يمكن الوقوف عليه من الجزئيات النوعية، وتطبيق التجربة العملية بخصوصه، حتى يعطى حكماً يمكن تطبيقه على الكل الشامل لجميع ما تصفح وما لم يتم تصفحه، أو ما أمكن الوقوف عليه، وما لم يمكن الوقوف عليه، لمحيز في المدارس أو الآلة التي تؤدي لها مهمة البحث العلمي. [الدكتور يوسف محمود يعقوب - دراسات في منطق الحديث ص ٥٧] ويعرف أيضاً بأنه حركة عقلية ينتقل فيها الإنسان بواسطة عمليات عقلية أكثر تطوراً وانتقاء، عمادها فحص بعض الجزئيات دون إجراء التعارض على غيرها؛ لأنه إذا تم إجراء التجربة على غير موضوع المنطق العلمي التحري، فإنه يعد مستبعداً نفسه من دائرة البحث العلمي. [الدكتور خيرية عبدالحسيد فاضل - المنطق الحديث دراسة موضوعية ص ١٢٣ ط ثانية ١٩٥٧ م]

مختلفة في أنواعها وفوائدها، والخدمات التي تقوم بها<sup>(١)</sup>، وما تزال الشبكة المعلوماتية تقدم المنافع العديدة في هذا الجانب الواحدة تلو الأخرى في غير ملل.

كما أن التقويم الفلكي الذي مسح كافة أرجاء المعمورة مما يتعلق بمطالع الشهور، والتنبؤ العلمي بالزلازل والبراكين، تبعاً لطبيعة كل منها، والعوامل التي تساعد على ظهوره<sup>(٢)</sup>، بل كشف للمرء المسلم عن إمكانية معرفة مواعيت العبادة، من خلال معرفة الساعات والدقائق والثواني بشكل أدق، كالحال مع أوقات الصلاة والصيام والحج، فكان ذلك من المنافع التي تحت عن التفكير الفلسفي.

ولا يمكن لعاقول تناسي أوجه النشاط العلمي البارز في استنساخ نباتات من أخرى، أو تمجين البعض، بحيث يحصل إنتاج أنواع جديدة - فيها الكثرة مع الوفرة - تؤدي كلها خدمات للإنسانية، وتقدم المنافع في أشكالها المختلفة<sup>(٣)</sup>، ولا يبعد ذلك إلا من لم يطالع التقدم العلمي، ويتعرف أشكاله المختلفة.

أضف إلى ما سبق إلى إنسلاخ المتأخرين عن الفلسفة كان له هو الآخر نفع عظيم، إذ أنه مكن العقل من الوقوف مع ذاته في مواجهة تامة، فأما أن ينتهي الأمر بالعقل الصحيح إلى الإيمان بالخلائق العظيم، طبقاً للأدلة التي أمكنه الوقوف عليها، وهي النابعة عن التأمل المستمر في أرجاء الكون المختلفة<sup>(٤)</sup>، وإما ينتهي به الأمر إلى الإلحاد، فيغالب إمكانياته ستقف منه حيناً بعد آخر، آخذة به إلى الإيمان طوعاً أو كرهاً<sup>(٥)</sup>.

❖ **وبما يقال:** إن الوقت الذي يستهلك في دراسة الفلسفة أو الاشتغال بما يمكن ادخاره لدراسة علم آخر أكثر نفعاً، وأعظم فائدة، فلماذا ترك الأعظم فائدة، والأكثر نفعاً في مقابلة الاشتغال ودراسة الأقل والأدنى، أليس من الحكمة أن يستفيد العاقل بالأكثر نفعاً ويترك الأدنى؟

**والجواب:** أن الوقت الذي قد يظن أنه مستهلك في دراستها، إنما هو وقت مدخر مستمر معطى أعلى الدرجات. أما كيف؟ فلأن المفكر قد وطن نفسه لخدمة المجتمع الذي يعيش بين أفراده، وكل فرد من أفراد ذلك المجتمع منوط به بذل كل ما لديه من طاقة، بحيث يتعاون الجميع في

(١) جورج يعقوب - أثر الشرق في الحضارات ص ٨١ ترجمة حنان زهدى ط ١٩٦١م.

(٢) المستشرق جون باركر كالفن - نراث الإسلام ص ١١٢ ترجمة أمينة صقر ط دار القلوة تونس.

(٣) الدكتور يوهان جورج - الاستنساخ ضرورة حياتية ص ١٢٧ ترجمة السيد أبو دغدة ط مكتبة زهدى ..

(٤) كريسي موريسون - العلم بدعوى الإيمان ص ١٤٨.

(٥) الدكتور فوزي حسن شليانة - العلم والدين ص ١٣ ط الدار الجديدة ١٩٥٧م.

تفريق أعلى قدر من الرفاهية كل أفراد المجتمع<sup>(١)</sup>، وذلك كله مما يؤكد على أن الإنسان المفكر إنما يستثمر ذهنه ويستثمر ملكاته لخدمة الفلسفة التي هي الأخرى مسخرة لخدمة المجتمع كله<sup>(٢)</sup>.

كما أن الفرد المستول عن تصرفه هو القادر على الإبداع، وهو عماد المجتمع، وأحد أسسه القوية، باعتبار أن المجتمع الإنساني إنما هو جملة الأفراد الذين يتعايشون معا على طريقة من الطرق التي يتواضعون عليها<sup>(٣)</sup>، وبالتالي فالوقت المبذول في الفلسفة يجب النظر إليه على أنه ادخار لصالح الجميع، لا استهلاك مقصود مادامت الفلسفة تهدف إلى تحقيق غايات بعينها، تترتب عليها منافع كثيرة لكل أفراد المجتمع الإنساني.

أما إذا تحولت المباحث الفلسفية إلى مجرد أحلام وردية، غير قابلة للتطبيق في الواقع، أو صارت مجرد نظريات يجرى فيها العيش واللامعقول، على أية ناحية، أو انقلبت نظرياتها إلى مجرد تعبير عن خيالات الخاملين، فإنها حينئذ تكون فاقدة القيمة، ومن ثم يكون من الواجب رفضها، وعدم استهلاك الوقت فيها<sup>(٤)</sup>، لأنها فلسفة، لا تقدم نفعاً، وإنما لأنها أفكار غير ناضجة، لم تقسم على أسس صحيحة، كما تعبر عن كونها من الأمور البعيدة عن الفلسفة التأملية والقدية أينسلا؛ لأن المهابط في مجال الفكر لا يعتبر ذا قيمة، كما أن الساقط في الأخلاق لا حساب له، وكذلك المستردى في المهادى لا يعتبر فيلسوفاً.

كالحال مع السوفسطائيين قديماً في اليونان<sup>(٥)</sup>، وفي الغرب أبان عصر النهضة الحديثة، وبخاصة مع شكاك فرنسا ومنهم فونتان الذي كان يتول سألل أشك حتى في أن أشك، فالشك

(١) وبدعم ذلك القاعدة الاجتماعية القاضية بأن الإنسان مدن بطبعه، لا يستطيع الحياة بدون آخرين يشتركونه آماله ويقاسمهم الأعمال والمنافع.

(٢) راجع كتابنا: رياض الأشراف في التثاقيفيقا والأخلاق ص ٨٤.

(٣) الدكتور حسن صبرى - الجماعة الإنسانية لإدارة مقارنته من ٨٤ : ، وذلك كله يرنو إلى الفلسفة كمنهج عقلى فسرته آثاره إلى الحياة الاجتماعية داخل المجتمع نفسه، وكل جماعة إنسانية توجد بين أفرادها قواسم مشتركة، تمثل هذه القواسم المشتركة أعلى درجات التعاون الإنجابى البناء بين أفراد الجماعة ذاتها، وكل علم إنما يقدم خدمات للمجتمع في أفراد على سبيل الاستقلال، كما يقدم لهم منافع محددة وفوائد متعددة، طبقاً لما تمليه عليه الضرورات والاحتياجات في آن واحد. [ ولزبد من التفاصيل راجع: الإنسان والبيئة للدكتور رمزي إسكندر، والفرد والجماعة للدكتور هساء النصر، والجماعة دراسة في الأنثروبولوجيا لهام مرسى، وصبرى حسن - مراجعة الدكتور على طلبة ]

(٤) الدكتور منى الله على النحرى - الفلسفة والمجتمع ص ٧٤ ط ١/٩٥٧م.

(٥) الدكتور ليلي عبدالحمد - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٧١ .



عندهم كان هو المنهج والغاية معا، وعرفوا في التاريخ الفكري باسم أصحاب الشك للشك<sup>(١)</sup>، وهم أصحاب الشك المطلق الهدام أيضا.

وكذلك فعل المنحرفون في كل مجتمع كأصحاب الإلحاد العلمي، والإلحاد الثقافي والديني. ومن أمثاله الوضعية المنطقية والماركسية والوجودية، بل والبراهمية وغيرها مما ظهر دعائنه في العصر الحديث والظروف المعاصرة.

بيد أن ما أميل إليه هو أن التيار العلمي الدقيق، إنما يسجل خواطر جيدة، ويقدم أوجه نفع متعددة، إنه أقرب شيئا بشركة عملاقة، تنتج العديد من الصناعات المختلفة، كل من يتعرف على ما يفيد من إنتاج هذه الشركة، فإنه يتقدم إليها طواعية أملا النفع الذي يرتبه<sup>(٢)</sup>.

وحسب الفلسفة الإسلامية نفعا، إنما استخدمت طرائق جديدة في مجال الاستدلال على وجود الله تعالى، وهو ما يعرف بالأدلة البيولوجية، والأدلة التشريعية، كما قدمت أدلة مستجدة على إثبات النبوات من خلال ما عرف باسم التلثائي<sup>(٣)</sup>، وفي نفس الوقت قدمت طرائق عديدة لإثبات حقيقة الآخرة، والاستدلال عليها، كالحال مع طرائق الخلق المتكرر، وربما نستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾<sup>(٤)</sup>، يعني أن آدم خلق من الأرض وأولاده منه، وأن كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه الأول، ثم تصيرون في الأرض بالمولوت، فتعودون إليها، كما ابتدأنا أصل خلقتهم منها<sup>(٥)</sup>.

❖ ويقول القاضي البيضاوي<sup>(٦)</sup>: «﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ فإن التراب أصل خلقة أول آباءكم، وأول مواد أبدانكم، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بالمولوت وتفكيك الأجزاء. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب، مع الصور السابقة، ورد الأرواح إليها»<sup>(٧)</sup>.

(١) هذه التسمية تطلق عليهم في مقابلة أصحاب الشك المنهجي؛ لأن أصحاب الشك للشك يقوم غرضهم على الهدم وبناء، ولا مجال فيه للبناء، بأي حال من الأحوال. (راجع تاريخ الفلسفة اليونانية، وأسس الفلسفة وللدكتور صبي السيد العقار، والشكوك والفلسفة ص ٩٣).

(٢) هذا التصوير قصدت به التقريب، إذ ليس من اليسر تقريب المفاهيم دون ضرب الأمثال على سبيل ملوغة العاية. (راجع للدكتور توفيق الطويل - أسس الفلسفة ص ١٨٥، وللدكتور وفاء صبيح - الحركة السوفسطائية وأثرها على الفلسفة ص ١٣٥).

(٣) سورة طه - الآية ٥٥.

(٤) الإمام صديق بن حسين بن علي الحسبي الفروحي الحباري - فتح السالك في مقاصد القرآن ج ٨ ص ٢٤٣ - المكتبة المعاصرة - بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

(٥) البيضاوي: الإمام القاضي أبو الفتح عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوي الفارسي البغدادي الشافعي أجاز فقه القضاء أبي القاسم الزبيدي، جمع أبا جعفر بن المسلمة وأبا القاسم بن المأمون وأبا محمد الصيرفيين وطائفة، وروى عنه السمعاني وأبو عساكر وأبو الخوري والحدي وأخرون. قال السمعاني شيخ صاخب متراسع منحصر في فضائه خير منتقى نوي في نصف جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وخمسة مئة | سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص: ١٨٢ رقم: ١١٧.

(٦) الإمام القاضي البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ص ٣٤٤.

ودلت الآية على أن ما كان من التراب وهو - أجسد - فهو يترنل إلى التراب، ويظل فيه يستوى في ذلك جسد الإنسان، وباقي الحيوانات، أما الروح فإنها تصعد إلى عالم الأرواح. حسن تفيد فيه راحة إليه، كما قبدت هابطة منه، يدلنا على ذلك قول رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم الروح فإن الرجل منكم يعمل سنة أو سبعين سنة أو سبعين سنة ثم ينفخ فيه عمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسقى عليه الكباب فيعمل بعمل أهل الجنة» (١).

وقوله تعالى: «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» (٢)، «يوم القيامة يطع الله تعالى على أفواه المشركين، وتكلم أيديهم بما عملوا في الدنيا من معاصي الله، وتشهد أرجلهم فينطق من أرجلهم أفخاذهم من الرجل اليسرى بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام» (٣).

#### «عرض الدليل: اثباتي: أنها مصدر الشك» (١) والرب (٢)

ذلك أن الفلسفة عمل عقلي لا يقوم على أسس منضبطة، وبالتالي فكل من عرف رأياً

(١) الإمام البخاري صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٧٤ - الحديث رقم: ٣٠٣٦، ج ٣ ص ١٢١٢ - الحديث رقم: ٣١٥٤، ج ٦ ص ٢٤٣٣ - ٨٥ كتاب القدر - الحديث: ٦٢٢١.

(٢) سورة يس - الآية ٦٥.

(٣) الإمام الطبري - جامع البيان ج: ٢٣ ص: ٢٤.

(٤) قال المناوي الشك هو: «أن يتردد بين التيقين، لأنه ينفذ بذلك الشك بين جهتي ذكره الحزالي وقال غيره وفرف بين المعنى وتيقنه وضده الاعتقاد فإنه فقط بصحة المعنى دون تيقنه وقيل الشك التردد بين تيقنه وبين ترجيح أحدهما عند الشك وقال الراغب اعتدال التيقين عند الإنسان وتساويهما قد يكسبون لوجوه أسارتين متساويتين عنده في التيقين أو لعدم الأمانة والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أم لا وربما كان في حسنة من أي جنس هو وربما كان في الغرض الذي لأجله وجد والشك ضرب من الخيال وهو أحسن منه لأن الخيال قد يكون عدم العلم بالتيقين رأساً فكل شك جهل ولا عكس والشك حرق الشيء وشكته حرقته وكأنه تيقنه، لا شك إلا أن مستقر الشيء في نفسه، فلو لم يكن في شيء من الأشياء شيء، لا سيما يعرفه العلامة الجرجاني بأنفسه: «هو التردد بين التيقين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشك وقيل الشك ما استوى طرفاه وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل الشك إلى أحدهما فإذا ترجع أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن فإذا طرعه فهو غالب الظن وهو محولة اليقين» [التعريفات ج ١ ص ١٦٨ رقم: ٨٣٥].

(٥) الرب: هو التردد بين موقفين حيث يمتنع من الضمانية على كل منهما وأصله قلب النفس واضطرابها. [التعريفات ج ١ ص ٨٠] كما يعرف بأنه: حوادث الدهر لأنه يرتاب فيها أي يشك في الخلاص منها. [التعريفات ج ١ ص ٣٨٥]، وعبد أخلاص من الشك والرب يأتي اليقين، فاليقين في اللغة هو: «العلم الذي لا شك معه. وفي الاصطلاح اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن أن يكون إلا كذا مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال واليقين الأول حسن يشتمل على الظن أيضاً والثاني يحر - الظن والثالث يخرج الخجل والرائع يحر - اعتقاد المفلسه المريب وملاحظة الأسرار بمحاطة الأفكار وقيل هو طمانينة القلب على حقيقة الشيء يقال يقن الماء في الحوض إذا استقر فيه وقيل اليقين رؤية العيان وقيل تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك ورب وقيل اليقين تيقن الشك وقيل اليقين رؤية العيان بنور الإيمان وقيل اليقين ارتقاء الرب في مشهد العيب وقيل اليقين العلم الحاصل بعد الشك» [التعريفات ج ١ ص ٢٣٢ رقم: ١٦٤٤].

حولها لا يمكنه الإمساك به، وإنما لابد له من التنازل الموقت عنه، حتى تثبت لديه صحة هذا الرأي، أو يقع على فساد، وذلك يتطلب التنازل عن معلومات كثيرة، كما يستلزم إنفاق وقت طويل<sup>(١)</sup>، وفي ذات الوقت فإن النتائج المترتبة عليها لا تكون يقينية، وإنما تساقط في دائرة الظنيات أو الاحتمالات، وقد يقع لها تعارض مع اليقينية أو البراهين أو المسلمات، ومن ثم يقع الشك وتزداد الرية، ويقف الناس حيارى أيصدقون البراهين القطعية، أم يسلمون بالأراء الاحتمالية، ومثل ذلك الموقف يدفع للقلق، وينتهي بالناس إلى الاختلاف.

كما أن علوم أوائل اليونان - الرياضة والطبيعة - يطلق عليها في البيئة الإسلامية اسم علوم الأوائل<sup>(٢)</sup>، ويعنون بها أوائل من قعدوا للبحث النظري والعمل، وضبطوا تلك القواعد، ثم دونوها وأحاطوها بالكثير من الأمور التي يمكن من قراءتها ومراجعتها والانتفاع بها، كما يطلقون عليها اسم علوم القدماء، بمعنى أن قدماء اليونان هم الذين وضعوها.

وهذه العلوم اليونانية التي دوها أوائلهم من كل مذهب وشلة وملة، أمكنهم الوقوف عليها، وبالتالي فيها الكثير من التضارب<sup>(٣)</sup>، وقد أدت دورها في الماضي، وبأنها لم تنجح في تحقيق التوازن التام بين متطلبات الحياة المعاصرة في بلاد اليونان، وما يشهد: لغد القريب؛ ولأدما لم تحقق ذلك النجاح بالنسبة للمستقبل، فقد اعتبرت عديمة الفائدة<sup>(٤)</sup>، ولا قيمة لها من الناحية العملية أو العلمية، فوقع الشك، وازدادت الرية.

بل صارت العلوم الحديثة افضل منها، كما أن مستنداتها في الماضي قد فقدت بريقه في الوقت الحاضر، كما فقد مع مرور الزمان وتوالي الحداث صلابته، وطبقا لهذا، فإن العلوم التي دوها اليونان ومنها الفلسفة لا يمكن النظر فيها على وجه الإجمال؛ لأنها مثار الشكوك والريب<sup>(٥)</sup>، على ناحية الفكر والواقع معا.

وكل من نظر في هذه العلوم لا يمكنه الانفلات من خيوطها التي تحيط به إحاطة العناكب بفرسيتها، فلا هو بالقادر على الحرب من سيطرتها، ولا هو مقتنع بأنها علوم صحيحة تقدم نفعاً، أو تحقق أي شيء من فائدة، بقدر ما تجعل صاحبها يغفل بالكثير من الخرافات والأوهام<sup>(٦)</sup>، ينساب الشكوك المتزايدة والرية المتواصلة.

(١) راجع كتابنا رياض الأخلاق في الميثافيزيقا والأخلاق ص ٨٣.

(٢) ليس المراد علوم أوائل الخليفة، ولا أوائل أهل الإسلام، وإنما المراد هم أوائل أهل اليونان، الذين ظهروا في اليونان بعد الحركة الفصحى التي قام بها السرفسطانية، وكان لها خطرها الكبير على عقائد الناس وأخلاقيهم.

(٣) الدكتور صبحي السيد أبو العيط - الفلسفة اليونانية ص ١١٤ ط ١٩٦٤م.

(٤) الدكتور حسن محمود الرواوي - الفلسفة والحياة ص ٧٣ ط ١٩٤١م.

(٥) الدكتور توفيق الطويل - قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ١١٦ ط ١٩٧٩م دار النهضة العربية.

(٦) الدكتور رزق عبدالباقى رزق - الفلسفة بين الماضي والحاضر ص ٤٩ ط ١٩٦٧م.

بيد أن هذه العلوم قد دخلت إلى بلاد المسلمين في القرن الأول الهجري، لما فتح المسلمون بلاد الأعاجم، ولكنها لم تكثر فيهم، ولم تشتهر بينهم؛ لأن السلف الصالح يمتنعون من الخوض فيها<sup>(١)</sup>، وكانت هذه العلوم في البيئة الإسلامية محل شك في أساسيتها، وريب في مضامينها، وعدم ثقة في نتائجها العلمية، وحينئذ رفضت الفلسفة، لكونها من هذه العلوم التي وردت للمسلمين من اليونان، وتحمل الشك والريبة.

في نفس الوقت، فإن هذه الأفكار الواردة من بلاد اليونان عبرت عن حملة من الآلهة كإله المطر، وإله البرق، وإله النبات، وإله الحر، وإله البرد، وإله النور، وإله الظلام، وكلها آلهة عبدها اليونان، وقدموا لها القرابين تقرباً إليها، وفلسفتهم لا تخرج عن اعتقادهم<sup>(٢)</sup>، ولما كانت اعتقاداتهم تحمل الشك والريبة، فإن فلسفتهم مثلها تحمل الشك والريب، ولذلك فهي حرام أيضاً.

#### ٤٤. بيد مناقشة الدليل:-

لأشك أن هذا الدليل يثبت كل من صدره وعجزه عن رغبة أصحابه، في إثبات أن دراسة الفلسفة حرام، لكن لا باعتبار أنها لا تقدم نفعاً، وإنما لأنها تنير الرب والشكوك، وهو رفض إجمالي قائم على مجرد احتمال أن تكون هذه العلوم الواردة من اليونان، ومنها الفلسفة مثاراً للريبة والشكوك<sup>(٣)</sup>، غير أن هذا الاحتمال على فرض القول به أو تصديقه فلا يخرج عن إطار الحكم على السوفسطائيين، أو لا ينصب إلا عليهم وحدهم؛ لأنهم الذين كانت معارفهم وعلومهم قائمة على الجدل والسفسطة<sup>(٤)</sup>، كما كانت المعارف الإنسانية لديهم أمراً غير ممكن، باعتبار أسسهم الثلاثة التي أقاموا عليها أنماطهم الفكرية. وهي:-

أ- لا شيء موجود.

ب- إذا وجد لا يمكن معرفته.

ج- إذا عرف لا يمكن إبلاغه للآخرين<sup>(٥)</sup>.

وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الفكر العابت الذي تبناه أهل السفسطة هو الذي يمكن وصفه بأنه مجال الشك، ومثار الجدل، وموطن الريبة، كما أنهم في الفكر الإنساني المستقيم لا

(١) الإمام جلال الدين السيوطي - سرور المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ج ١ ص ٤٤/٤٥ - تحقيق الدكتور

النشار، ود: سعاد عبدالرازق - د مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٠م.

(٢) الدكتور صالح محمد السيد - آله اليونان ص ٥٤ - ط ١/١٩٥٧م.

(٣) فريد من التفاصيل راجع أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل، و اعلمة والحياة للدكتور حسن محمود الزوراري.

(٤) الدكتور وفاء صبحي - الحركة السوفسطائية وأثرها على الفلسفة ص ١٤١.

(٥) الدكتور على محمد الشورى - الفلسفة والسفسطة ص ١٧ ط الدار الجديدة ١٩٦١م.

يُتلو أو صوتاً شاذاً لا حساب له في الثقافة اليونانية على وجه الخصوص<sup>(١)</sup>، والشاذ لا يتصل قاعدة، كما لا ينقاس عليه.

كما أن هذا الدليل إن صح فإنما ينصب على رفض الفلسفة، لكونها من علوم الأوائل وكفى، ويكون مقامه على ناحية المصدر، لا على ناحية الموضوع، وهو حكم لم تدعسه أسس صحيحة، بل يكون حال صاحبه كحال من رفض الدواء الجيد، مجرد أن بلاداً أجنبية هي التي قامت بتصنيعه، أو يرفض الدواء؛ لأنه وارد من بلاد غير إسلامية، ومثله إنما يحرم ما أحس الله تعالى؛ لأن علوم الأوائل يجب النظر إليها باعتبار الموضوع أو المحتوى فما كان منها مطابقاً للشرع قبل؛ لأن الشرع يكون هو الحاكم عليه بالقبول، وما كان مخالفاً للشرع رفض؛ لأن الشرع يكون هو الحاكم عليه بالرفض أيضاً<sup>(٢)</sup>.

كما أن مسألة العلوم التي أنشأها الأوائل، إنما هي مسألة نسبية، وكذلك لفظ القديمة هو الآخر لفظ نسبي، فقد يدخل فيه كل ما تركه المصريون والهنود والصينيون وغيرهم من القدماء، وبالتالي فرد الفلسفة، لكونها واردة من اليونان وحدهم فيه نوع من التخلية لفكر محدّد يشترك مع غيره في أهم خصائصه.

بل إن ردها مجرد كونها آتية من أهل اليونان، إنما يكشف عن حكم المسوى والعداوة الشخصية، فيدخل في دائرة تصفية الحسابات، ولا علاقة له بشيء من الموضوعية، وهذا ليس مقبولاً عندنا نحن أهل الإسلام؛ لأن الله تعالى أمرنا بالعدل في كل شيء مستطاع، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَيْئًا﴾<sup>(٣)</sup> قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون<sup>(٤)</sup>.

❖ يقول العلامة ابن كثير: «لا يملككم بغض قوم على ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدواً، فإن عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه. واتقوا الله إن الله خير بما تعملون أي وسيجزيكم على ما علم من أفعالكم التي عملتموها إن حسيراً فخير وإن شراً فشر»<sup>(٥)</sup>.

(١) الأستاذ زينهم محمد تليوب - في الفلسفة اليونانية ص ٣٤ ط ١٩٣٣ م.

(٢) الدكتور حيزي محمد رمضان - الفكر الإنسان قواعده وقضاه ص ٤٥ ط ١٩٦١ م.

(٣) الشئان هو البغض قاله ابن عباس وغيره وهو مصدر من شئته أشنوه شئاناً بالتحريك مثل فرغم جمران ودرحسان ورفلان من حمز ودرج ورفل. [الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٧]

(٤) سورة المائدة - الآية ٨.

(٥) الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣١/٣٠.

ثم إن تداخل الثقافات وتلقيح الأفكار سمة غالبية على التاج الفكري في بين الإنسان؛ لأنه ما من عقل يعمل معارف إنسانية<sup>(١)</sup>، إلا وهي وليد طبيعي أفروزته ثقافات متعددة، فتكون هذه المعارف هي القاسم المشترك بين الثقافات التي يقع بينها التزاوج والتلقيح بعضها مع بعض.

كما أن مسألة استقلال عقل ما بمعرفته وحده، ربما لا تتوفر إلا في الأنبياء والمرسلين ممن قبل الله تعالى، باعتبار أنهم صفوة خلق الله تعالى<sup>(٢)</sup>، وبالتالي فمعارفهم الدينية مصدرها الوحي الإلهي المعصوم، أما غيرهم فالثقافة<sup>(٣)</sup> قاسم مشترك بين الجميع<sup>(٤)</sup>.

وبما يقال: إن السلف الصالح - رضوان الله عليهم - قد منعوا من الخوض في الفلسفة، وبالتالي فهذا المنع دليل على أن دراسة الفلسفة حرام؟

والجواب: أن منع السلف الخوض فيها، أمر وارد، لكون السلف كانوا أحرص على القرآن والسنة بنصوصهما، وحتى لا يقع خلط في عقليته المسلم حديث عهد بالإسلام<sup>(٥)</sup>، كما يعمل

(١) معارف التي لا تدخل في هذا؛ لأن المعارف المتعلقة بالدين، إما هي وحى إلهي، أما ما يتعلق بالأمور الدنيوية فيعنيها بالنسبة له مكسب، لقوله ﷺ: «... إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وإذا شئ أحدكم في صلاته فليتحل الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين» [البخاري - صحيح البخاري ج ١ ص ١٥٦ رقم: ٣٩٢، وأخرجه مسلم - صحيح مسلم ج ١ ص ٤٠١ رقم: ٥٧٢. والطائسي - مسند الطائسي ج ١ ص ٣٦ رقم: ٢٧١، وأبو يعلى - مسند أبي يعلى ج ٩ ص ٧٦ رقم: ٥١٤٢] وقوله ﷺ أيضا: «... أنتم أعلم بأمر دينكم» [الإمام مسلم - صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٣٦ رقم: ٢٣٦٣]

(٢) قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. [سورة الحج - الآية ٧٥] يقول الإمام السيوطي: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ رُسُلًا كَذَلِكَ وَقَدْ نَزَلَتِ الْآيَةُ لَمَّا قَالَ الْمُشْرِكُونَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِقَاتِهِمْ خَيْرٌ مِمَّنْ يَتَّخِذُهُ رُسُلًا كَحَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» [العلامة السيوطي، والعلامة جلال الدين أبلخي - تفسير الجلالين ج: ١ ص ٤٤٥] كاستفتاء حبريل الأمين للوحي، وميكائيل للأطهار، وإبراهيم، والأزواق، وإسراييل للروح المحفوظ والنفس في الصور، وعبرائيل لتبليغ الأرواح؛ ومكبر ومكبر نفسون في الفجر، والمخفون الذين يحفظون العيد من المضار، ومسا مصدر عنه من قول أو فعل. قال تعالى ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة الانفطار - الآيات ١٢/١٠)، واستفتاء مالك للبرهان، ورضوان للحنان. [الشيخ محمد نوري الشافعي - نور الطلام ص ١٦، وما بعدها حتى ص ١٩، الطبعة الثانية - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م]

(٣) ثقافت الرجل ثقافة أي صار ساذقا فطنا، فهو ثقاف [لسان العرب ج ٩ ص ١٩]، والثقاف الخذف في إدراك الشيء وفعله ومنه قولهم رجل ثقيف أي حاذق في إدراك الشيء وفعله وعنه استعير الثقافة ويقال ثقفت كذا أي ادركت بعمرك الخذف في النظر ثم يجوز به فاستعمل في الإدراك وإن لم يكن معه ثقافة نحو واقتلهم حيث تقتلهم. [العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي المولد ٩٥٢هـ والمتوفى ١٠٣١هـ - التوقيف على مهمات التصانيف - ج ١ ص ٢٢١ - دار الفكر بيروت، دمشق ١٤١٠هـ - ط ١ - عدد الأجزاء ١ - تحقيق: د. محمد رضوان الداية]

(٤) الشيخ حسن عبدالعاطي سلام - معالم الفكر الإسلامي ص ٧١ ط ١/١٩٢٤م.

رفض السلف - إن صح - على أنهم لم تكن لديهم رغبة في تعاطي هذه العلوم العقلية لخدائنة العهد بالإسلام في نفوس البعض، وكثرة دخول غير المسلمين إلى دين الإسلام، وخشية ازدياد الحركة العقلية في اتجاه الأحكام المتعلقة بالشريعة الإسلامية.

من ثم كان تمسك السلف الصالح بالرفض للعلوم العقلية ومنها الفلسفة بغية إفساح المجال الفكرى كله لنصوص النقل المنزل - القرآن الكريم والسنة النبوية المظهرة الصحيحة - الدين الإسلامى الخنيف، حتى يتمكن كل الناس من التعرف عليه مباشرة، من خلال ما هو عليه فقط، وبغير أن تتدخل فيه أفكار أو فلسفات أو ثقافات تحاول منازعة النقل المنزل في المساحة العقلية التي يمتلكها وحده<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن هذا المنع من الخوض في الفلسفة على عهد السلف الصالح أمر محمود شرعا وعقلا وعرفا، لكن ليس معنى هذا المنع التحريم، وإنما من باب الأولى، لما هو مقرر في المصادر المؤتفة من أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله عنه، والخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والفاروق رضي الله عنه.

(١) راجع كتابنا : منهج السلف في إثبات وجود الله تعالى ص ٥٧ وما بعدها.

(٢) الدكتور وفيق محمد صاخب - السلف الصالح (دراسة موضوعية) ص ٤١ ش ١٩٥٧م.

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان اسمه في جاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله أبيه أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي التيمي، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة واجتها سلمى، شهد بدرًا بعد هجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، ولم يكن رفيقه من أصحابه في هجرته غيره كان هو مؤنسه في الغار إلى أن خرج معه مهاجرين، وهو أول من أسلم من الرجال. وأول من صلى مع رسول الله ﷺ، وصلى الصديق لينارده إلى تصديق رسول الله ﷺ في كل ما جاء به صلى الله عليه وسلم وقيل بل قيل له الصديق لتصديقه له في خبر الإسراء، وأسلم على يد أبي بكر الزبير وعثمان وطهحة وعبد الرحمن بن عوف، وعن هشام بن عروة عن أبيه قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألفًا أنفقها كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال أبى بكر وأعتز أبو بكر سبعة كانوا بعدن في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من آمن الناس على في صحبة وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً. استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته من بعده عما أظهر من الدلائل البينة على عبته في ذلك وبالغريض الذي يقرم مقام التصريح ولم يصرح بذلك لأنه لم يؤمر فيه بشيء وكان لا يصنع شيئاً في دين الله إلا يوحى والخلافة ركن من أركان الدين، ويوقع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة ثم يوسع الشيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم، ومكث أبو بكر في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليالٍ وقيل سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليالٍ، قام بقتال أهل الردة وطهر من فضل رأيه في ذلك وشدته مع لئمه ما لم يختصب فأظهر الله به دينه وقتل على يديه وببركته كل من ارتد عن دين الله حتى ظهر أسمر الله وهم كارهون. [الاستيعاب ج ٣ ص ٩٦٣ رقم: ١٦٣٣]

قد ألف كل منهما في الرد على أصحاب الفكر المخالف للمعاهدة العامة كالحال مع القدرية وغيرهم<sup>(١)</sup>، على أن السلف الصالح لم يمنعوا الخوض في الفلسفة - إن صح - على سبيل التحريم، وإنما يعمل على سبيل خوفهم من أن يفتروا بها من لا يدرك حقيقتها فيقتن لها<sup>(٢)</sup>، ويعتقد صحتها، فيقع له نوع من المقارنة بين النقل المثل والنسج الفكري.

﴿ربما يقال أيضاً: إن الفلسفة مثار الشك والريبة، باعتبار السند والمتن؟﴾

والجواب: أنه إذا تعلق الأمر بصحة السند وسلامة المتن، أو الدقة في المضمون والمحتوى العلمى بالنسبة للفلسفة، فذلك أمر لا يعنى الباحث في النظريات الفلسفية؛ لأنه لا يهتم بها من ناحية السند أو المتن، وإنما يهتم فقط بمدى سلامة هذه المباحث العقلية من عدمه على الناحية العقلية والنتائج المترتبة عليها<sup>(٣)</sup>.

كما أن الفوائد المترتبة على الفلسفة هي المحك الرئيس لصحة هذه الأفكار أو خطئها، سلامتها أو فسادها، ويكفى الفلسفة أن يتوفر فيها هذا الجانب، بل هو الأهم من الناحية العقلية، ولا ينزع في ذلك من له إلمام بالمباحث والنظريات الفلسفية.

أما البحث في تاريخ الفلسفة والبحث في العصور والأزمات الفلسفية، فهو السدى يحتاج العناية بأمر السند والمتن بالنسبة للأفكار الفلسفية، وهذا التخصص في الدراسة لا يعنى القسح في نظريات الفلسفة الصحيحة<sup>(٤)</sup>، وكونها من العلوم العقلية التي تفيد في تقدم العلوم والمعارف، وبالتالي فدراسة الفلسفة لا ينتج عنها الشك والريبة، وإنما قد تؤدي إلى اليقين في النتائج، والصدق في المباحث، والتوجه الثنى إلى الإصلاح من جديد تعلمنا وتعلينا دراسة واشتغالا، طالما تحققت الشروط والاعتبارات المؤدية إلى ذلك.

(١) عمر بن الخطاب: هو عمر بن نبل بن رباح بن عبدالله بن قرط بن زراح بن كعب بن لبيس القرشي العدوي أبو جعفر. ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان عمر بعد إعلان البصرة وقبل إسلامه شديدا غلبت على الرسول وأنسلمين، ثم أسلم بعد رجاء سيفه، وهاجر عذانية، وغدى كفار فريش وهو مهاجر إلى المدينة، وقال عنه أبو بكر: ما على ظهر الأرض رجل أحب إلى من عمر. وتولى الخلافة بعده من أبي بكر في حمادى الأخرى سنة ثلاث عشرة هجرية، وقته أبو لؤلؤة غلام المعيرة بن شعبة بن نجر له، وحمد الله أن لم يقتله رجل سجد لله سجدة واحدة. وتوفى ليلة الأربعاء ثلاث ليال بقرن من ذى الحجة عام ثلاث وعشرين هجرية. [راجع العلامة ابن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٤ ص ١٣٧/١٣٨]

(٢) راجع كتابنا: المدخل التام لعلم الكلام ص ١٥٨ وما بعدها.

(٣) والقاعدة الأصولية قاضية بأن دفع الماسد مقدم على جلب المصالح، وعليه يحتل خوف السلف الصالح من السماح بدراسة الفلسفة.

(٤) الدكتور محمد علي الجابري - الفلسفة العلم والدين ص ٥٣ ط ١٩٣٥ م.

(٥) الدكتورة هان محمد عبدالحق - الفلسفة ومشكلاتها ص ١٤٥.



## لإعريض الدليل

ذهب خصوم الفكر الفلسفي، إلى أن الفلسفة أمر لا يتحمل، باعتبار أنها متخالفة النتائج، ومتخالفة المقدمات أيضاً، فما من دارس للفلسفة في أي مبحث من مباحثها<sup>(١)</sup>، إلا وهو مدرك أن المقدمات التي تعتمد عليها في التناول متخالفة في حد ذاتها، بدليل أن الفلسفة في العصور الوسطى قد ارتبطت بالعلوم البحتة، حتى اعتبرت جزءاً من أجزائها أو فرعاً من فروعها، وفقاً لما كان عليه الحال عند اليونان القدماء، ولكنها في القرن التاسع عشر أعادت أمورها إلى فلسفة أرسطو وأفلاطون بالذات، رغبة في إحياء الفلسفة، والانتصار للمنطق على الأدب<sup>(٢)</sup>، وهذا في حد ذاته يؤكد أن الفلسفة لا تسير في اتجاه واحد، وإنما تسير في اتجاهات متعاكسة.

ثم إن قضايا الفلسفة ومباحثها ومصطلحاتها ذات طبيعة جدلية، وكل متجادل يلجأ إنساً إلى طريقته الخاصة، يستوى في ذلك أن يكون موضوع الجدل قضية أو مبحث من مباحث الفلسفة أو مصطلحاً من مصطلحاتها، بدليل أن مسألة الكليات ظلت المشكلة الرئيسية في الفلسفة المدرسية. ودارت الخلافات مقدمها مع اللاحق، أو صدرها مع العجز، وراح السؤال التقليدي يطل برأسه من جديد: هل الاصطلاحات العامة والمدرجات الكلية مثل لفظ إنسان، ومنزل وشجرة وحديقة، مجرد أصوات وألفاظ لا وجود لها على الناحية العقلية، كما ذهب إليه الأسميون *Nominalists*.

أم هي حقائق واقعية لها وجود فعلي وكيان مستقل عن الجزئيات، التي تقوم عليها، أو تمثلها كأفراد، وهو الذي ذهب إليه الواقعيون *Realists*<sup>(٣)</sup>. والفرق بين المذهبين هو أننا عند الأسميين يمكننا أن نتكلم عن المصطلح الكلي دون أن نتصور كل فرد من أفراده، فالإنسانية لا يمكننا أن نتحدث عنها إلا إذا تصورنا: حازم مثلاً، أو هبة الله كل واحد منهما على أنه فرد مستقل في ذاته. وكذلك الحال في كل من المنزل والشجرة والحديقة لا يمكن تصور واحد منها إلا إذا كان في فرد معين من أفراده متحدد في صفاته.

أما عند الواقعيين فيمكن اعتبار هذه المفاهيم الكلية إنسان، منزل، حديقة، شجرة، ذات كيان قائم بذاته مستقل تماماً عن الجزئيات، بمعنى أنه من الممكن الحديث عن الإنسانية من غير أن

(١) لأن المباحث تكون في الفلسفة: إسلامية هي الله - العالم - الإنسان - الطبيعيات، أما نظريات الفلسفة العامة فهي الوجود والمعرفة ثم النعيم.

(٢) الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور - أوروبا والعصور الوسطى ج ٢ النهضة والحضارات والنظم ص ١٦٠/١٦١ ط الأجل المصرية ١٩٨٦ م.

(٣) Pirenne: Tacivilication Occidentale; p. 203 (٣)

تتصور إنسانا بعينه، وكذلك الحال في كل مصطلح أو لفظ كلي<sup>(١)</sup>، فكل من المذهبين يعطى نتائج وتصورات متخالفة مع مقدمات أو نتائج وتصورات الآخر.

وكيف لا وقد نظرت بعض المدارس المسيحية في مراحلها الأولى إلى الفلسفة اليونانية نظرية فيها الشك وعدم الثقة، بل فيها القلق والاضطراب أيضا؛ لأن المسيحية اعتبرت هذه الفلسفة مظهرا من مظاهر التفكير الوثني، الذي من شأنه أن يعنى بصورة الإنسان<sup>(٢)</sup>، فإذا كانت هذه النظرة للفلسفة من مفكرى بعض المسيحية، أفلا يكون من الأولى اتخاذ مثل ذلك الموقف من ناحية مفكرى الإسلام.

كما أن المذاهب الفلسفية تجمع بين اليونانية والمائوية والديصانية، بل والفيثاغورية والمسيحية وعقائد المصريين القدماء، والمذاهب الشرقية المختلفة في الهند وفارس<sup>(٣)</sup>، وذلك من شأنه

(١) Maurice De. Wulf: Op.cit. : Tomel: p.p.152-156

(٢) لم يدم هذا الحال إلا فترة قليلة، ثم خأت النسبة إلى الفلسفة اليونانية، فاعتبرها أهم دعائنها التي تقدم عليها، في حدود الاعتماد على آراء أرسطو وأفلاطون بصفة خاصة لأنشأت المعتقدات الكنسية المتعلقة بالكون بوجود الله، بل ظهرت قبل ذلك في القرن الثالث الميلادي نفس المحاولات على أيدي كلمينت ٢١٥/١٥٠ وأوريجين ٢٥٤/١٨٥ الذي قال عنه فروي الصوري ٣٠٤/٢٣٢ إنه... يحيى في أسلوب حياته ولكنه يوناني في عقيدته وتفكيره، وهما اللذان اعتمدا على هذه الآراء اليونانية في بناء العقيدة المسيحية والدفاع عنها. [راجع لارستاند يوسف كرم - تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ص ٥١، وللدكتور مرسى محمد البكري - أوروبا الكنيسة والفلسفة ص ٧٢]

(٣) فارس ولاية واسعة وإقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيرااف ومن جهة السند مكران، وفارس اسم البلد وليس باسم الرجل ليس أصله يعني بل هو معرب أصله بارس وهو غير مرتضى فعرب فليل فارس قال بطليموس في "كتاب ملحة البلاد" مدينة فارس طرعا ثلاث وستون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة طالعها الحوت تسع درجات من تحت عشر درج من السرطان من الإقليم الرابع كما شركة في سره الجوزاء يقابلها عشر درج من الجدي بيت عامتها مثلها من الميزان بيت ملكها مثلها من الحمل وهي في هذه الولاية من أمهات المدن المشهورة غير قليل وقد ذكرت في مواضعها وقصبتها الآن شيرااف بيت مس الخليل بن علم بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل بل سميت بفارمز بن طهسورث وإليه نسب تنفوس: لأدم من ولده وكذلك ملكا عادلا قديما قريب العهد من الظوران وقد روي في فارس فضائل كثيرة منها قول ابن خيعة "فارس الروم فريسي العم"، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أبعد الناس إلى الإسلام الرزم ولو كان الإسلام معلقا بالزينة لتأثرته فارس، وكانت أرض فارس قديما قبل الإسلام ما بين بحر بلخ إلى منقطع أدرميحان وأرمينية الفارسية إلى الفرات إلى برية العرب إلى عمان ومكران: إلى كابل وطحارستان وهي صفوة الأرض وأغنىها فيما زعموا وفارس خمس كور اصطخر وسابور وأردشير حره ودارابند وأرجان قالوا: وهي مائة وخمسون فرسخا صرلا ومنها عرسا وفارس وبغراس من الأتجار الكبار التي تحمل السفن بحر طاب وهر سيرين وهر الشاذكان وهر درخيد وهر الحارسندان وهر سكان وهر جرسق وهر الإحشيتين وهر كز وهر فرواب وهر بيرده، ولها من البحار بحر فارس وبحيرة السحكان وبحيرة ألاف قلعة مفرقة في الشمال، وبغرب المدن وفي المدن ولا يتبعها نفسها: إلا من الدولتين ومنها قلاع لا يمكن فتحها البتة بوجه من الوجوه منها قلعة ابن عمارة وهي قلعة الديكندان وقلعة الكاريان وقلعة سعيداباد وقلعة جردوز وقلعة الجص. [معجم البلدان ج ٤ ص ٢٢٦/٢٢٨].

الاختلاف والتناقض على كل ناحية، وبالتالي فإن الناتج عنه يكون على ذات القدر من التحالف<sup>(١)</sup>، ومثله لا يقدم معرفة صحيحة بقدر ما يقدم من ظنون وأوهام، وببست في نفس الوقت اختلاف المقدمات مع النتائج، ومن ثم فإن تعلمه أو الاشتغال به يكون حراما.

#### « يد مناقشة الدليل »

❖ يبدو أن صناعة هذا الدليل قد شأها شيء من الفصور، كما أن صياغته فيها الكثير من أوجه التباين، وبالتالي فالنتائج المترتبة عليه متهاكة، إنما صارت أقرب ما يكون إلى القضايا المستهلكة، أو الأطعمة التي سبق مضغها<sup>(٢)</sup>. أما لماذا؟

ثم قلنا يلي:-

[١] أنه ركز على قضية تتخالف مقدمات الفلسفة مع نتائجها، ولم يؤكد مظهرها من مظاهر ذلك، حتى يكون بمثابة الدليل على مضمون ما ذهب إليه، أو ما يعرف لدى علماء الجدل والمناظرة باسم الدليل على الدليل<sup>(٣)</sup>، فثبت أن دليله عبارة عن جملة ألفاظ إنشائية في مفرداتها، خيرية في معانيها، ومثتها يكون أمرها بين الصدق والكذب مشاعا.

[٢] أنه استدل بظواهر اختلاف في العصور الوسطى، مع أن الاختلاف في الزمن الواحد، في الفكرة الواحدة، متى تناوفا شحسان أو أكثر، يكون أمرا طبيعيا إلى أبعد مدى، وإلا فما قيمة الفكر إن كان كل منهما أو منهم نسخة طبق الأصل من الثاني، لأن حدث ذلك فهو التقليد المذموم بعينه، أما اختلاف كل منهما على ناحية الاجتهاد، فمنطلق طبيعي وحركة سيادية<sup>(٤)</sup>، ومثلها يكون مشار للقطعة وعلامة للتقدم وحرية الرأي، ولا تكون مظهرها من مظاهر الضعف أو الاحلاف المؤدى إلى إنقاص الفلسفة أو التقليل من شأنها في الحياة الفكرية.

[٣] إن هناك جهودا كبيرة جاءت على نواح مختلفة، قد بذلها المفكرون والفلاسفة، لإعادة صياغة المفاهيم الفلسفية، بحيث تستوعب معارف جديدة، وتجارب جديدة، وتشحذ من أدوات اللغة

(١) الدكتور هان محمد عبدالحق - الفلسفة ومشكلاتها ص ١٨٧.

(٢) هذا التصريح من وجهة نظري باعتباريات مختلفة، يدركها من له إلمام بالناحية الأدبية والجمال اللغوي، وبخاصة في المجال العقلي واللغوي أيضا.

(٣) راجع للدكتور محمد حسن عوض الله - في أدب البحث والمناظرة ص ٥٧، وراجع الولاية للإمام الغزالي - والرشيدة لنحو موري.

(٤) التقليد المذموم هو تقليد العالم آخر بدليله، فكانه اجتهد وليس تقليدا، لكن التقليد المذموم هو تقليد العوام والجهال؛ لأن ماقد الشيء لا يعطيه.

والمنطق<sup>(١)</sup>، وبالتالي فلا يكون الاختلاف بين المفاهيم عاملا من عوامل انقسام الفلسفة بأن مقدماتها متخالفة مع نتائجها.

كما أن الناظر في تاريخ أديان البشر قديما أو حديثا يجدها قائمة في الشرك، نتيجة لبسدها أحدثها الناس، فعددوا الآلهة ونوعوها، وأقام المبتدعون أنفسهم قواما على الآلهة وسدنة وحراسا، بل وكلاء ونوابا، واتخذوا سلطان هذه الآلهة سلطانا لهم، ثم تأمر ذوو الأغراض فتساندوا على تضليل العامة، وانتهاوا بوضعهم في أسر مجموعة من الخرافات والسخافات، وكان الكهنة وأضرارهم من القوام والكلاء والمرشدين خزنة الأسرار الدينية، هم في الواقع الآلهة المتصرفون في المجموعات البشرية المأسورة<sup>(٢)</sup>، فلو كانت الفلسفة دينيا بشريا لوقع لها ما وقع لهذه الأديان، ولكنها فكر يقوم على خدمة المجتمع وقضاياه، كما يحقق التوازن بين متطلبات العقل والوجدان، أو متطلبات المعرفة والعقيدة.

[٤] أن هذا الدليل قد أقيم على خلفية عداوة سابقة للفكر الفلسفي، ولذا لم يسمح لجريته بأن تدل بشيء لصالح الفلسفة، بل اعتبرها كلها خطايا، أو على الأقل نظر إليها على أنها مجموعة من السبلات قامت بما عقول فيها التضارب والتخالف إلى الحد الذي يفقدها أبسط أمور الفكر المستقيم<sup>(٣)</sup>، كما يبعدها عن أي مظهر له.

غير أن الدراسة المتأنية تستلزم القول بضرورة نفي الاختلاف بين المقدمات والنتائج في الفلسفة، من كانت قائمة على أصول صحيحة؛ لأن الأفكار المتداخلة والعجلى هي التي تتعامل مع المقدمات والنتائج بطرق معكوسة، أو ينجيء فيها التخالف من كل ناحية ومثله لا يعمل على الفكر الفلسفي، كما لا تصح نسبته إليه على نحو تام.

#### الرابع: أنها غير مأمونة العواقب

#### ٤٤ عرض الدليل

ذهب خصوم الفكر الفلسفي إلى أن نواحيات رفضهم للفلسفة قائمة على أنها غير مأمونة العواقب، بالنسبة لدارسها والمستغل لها، كما أنها غير مأمونة العواقب بالنسبة لمن يستعمل نتائجها. أما لماذا؟

- (١) اللجنة الدولية - تاريخ البشرية - المجلد السادس - القرن العشرون التطور العلمي والثقافي ج ٢ - تطور المجتمعات ص ٢٥ - ترجمة ومراجعة د: عثمان نوبة وآخرين - الطبعة المصرية ١٩٧١ م.
- (٢) الدكتور أدولف هيرز - الفلسفة الحديثة ص ٦٧ - ترجمة الدكتور هان بشري - ط ١٩٥٧ م.
- (٣) النوفوع في المحالقات الشرعية لا يوافق النواحيات الثلاثة عندما يخبر أهل الإسلام

فلأنها علوم ظهرت في بيئات لها طابع خاص، تختلف في هذا الطابع عن البيئة الإسلامية في كل المناحي، ومن أبرزها إمكانية التطبيق على العلوم في الواقع المعاش<sup>(١)</sup>.

وبعبارة أخرى فإن الفلسفة تبحث في المصطلحات الخاصة، كالجوهر والعرض مثلا، والجزء الذي لا يتجزأ والمادة والصورة، كما يبحث في الاسطوانات الأربعة، وغير ذلك مما يؤدي إلى الجدل والاختلاف، ويدفع إلى الانفلات من القيم الراقية والأخلاق العالية، بل ويسوق إلى العواقب الوخيمة، سواء أكان منها ما يتعلق بسقراط وفلسفته، أم أفلاطون وآرائه، أم أرسطو ونظرياته، وسواء أكان فيها ما يتعلق بالعالم الطبيعي، أم ما يتعلق بالعالم الغير فيزيائي، يستوى كذلك البحث في إلهيات أرسطو، ومثل أفلاطون وما كان من هذا القبيل<sup>(٢)</sup>، من ثم فمن المؤكد أنها غير مأمونة العاقبة، وعلى حكم العقل يجيء أمر هجرها.

ثم إن الفلسفة في أعلى درجاتها تدع الحكيم حيرانا، والحليم مترددا، والفقيه متشككا، والصوفي الزاهد متأرجحا، والعالم الطبيعي نائما، بعد أن كان يقظا متألعا، بل إن «العابد من وقف على مباحث الفلسفة ونظرياتها، فإنه ينقلب من العبادة الصحيحة إلى الشك المطلق، ومن الصلاح إلى غيره»<sup>(٣)</sup>، وذلك كله مما يؤكد أنها غير مأمونة العواقب.

كما أن كل عمل حسن يأتي بعد فعل من الأفعال، فإنه يكون مأمون النتيجة سليم العاقبة، يقبل عليه الناس، ولا يتدبرون، ويتمسكون به ولا ينفلتون، ويقومون عليه ممن كل ناحية يتواصلون؛ لأن العقل الصحيح والفطرة السليمة فر فيها أن العمل الصالح يركو ويمسك به صاحبه، بينما العمل الفاسد يهبط وينصرف عن الأقربون منه<sup>(٤)</sup>، وبناء عليه فكل فكر فلسفي ينتهي إلى صرف الناس عنه أو هكذا يجب لأن عواقبه غير مأمونة.

ثم إن الفقهاء والمحدثين بجانب علماء الأصول وعلماء الباطن قد انتهوا إلى أن الفلسفة غير مأمونة العواقب، وأن أصحاب الاتجاه الفكري فيهم من يعادي علوم اليونان، وينفرون منها، لا لأنها. وإنما تأتي بعدها العواقب الوخيمة<sup>(٥)</sup>، وكم من الدراسات الفقهية أصدرت أحكاما متأنية على الدراسات الفلسفية، وانتهت جميعا إلى تحريم النظر فيها، فضلا عن الاشتغال بها.

(١) الأستاذ عبدالرحمن عزام - الرسالة الخالدة ص ٢٥ - لجنة التعريف بالإسلام - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) الدكتور ناهد حسن الصيوطي - في تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦٥ ط ١٩٥٧م.

(٣) الأستاذ نصر حسن متولى - الفلسفة والمجتمع دراسة مقارنة ص ٧١ ط ١٩٤٦م.

(٤) راجع كتابنا: التفكير (مفهومه - بواعثه - خصائصه) وكذلك كتابنا رياض الأشراف في الميتافيزيقا والأخلاق.

(٥) الأستاذ نصر حسن متولى - الفلسفة والمجتمع ص ٨٤.

أضف إلى ما سبق أن هذه المحاولات الفكرية الواردة من بلاد اليونان وغيرهم، إنما تنقل ثقافتهم واعتقاداتهم الوثنية، ومن يتعرض لهذه المباحث الفلسفية، فإنه يقف عليها ويعتقد صحة ما فيها، فينتهي الأمر معه إلى الكفران بدل الإيمان، وهو ما يخشى على المؤمن بالله تعالى عاقبته<sup>(١)</sup>، وقد حذر من ذلك سيدنا رسول الله ﷺ فعن أبي موسى الأشعري<sup>(٢)</sup> قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بين يدي الساعة لفتنة كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيما مؤمنا ويمسى كافرا ويسمى مؤمنا ويصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي كسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة فإن دخل على أحد بيته فليكن كيخبر ابن آدم»<sup>(٣)</sup>.

بيد أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، وإنما قد يعقب الفلسفة خروج كامل على العقيدة، متى اعتقد دارس الفلسفة أو المشتغل بها أقوال أصحاب التنبيه<sup>(٤)</sup>، أو التائوية أو اعتقد شيئا من ذلك<sup>(٥)</sup> التلث بأنواعه المختلفة<sup>(٦)</sup>، واعتقد الآلهة المتعددة فوق الثلاثة، واعتقد ما طور في اعتقادات أصحاب التنبيه، الذين لهم انتماء فلسفي واضح، مع أن الله تعالى حذر منهم، ولهم عن تقليدهم؛ لأن التوحيد لله رب العالمين هو الأصل الصحيح، بل هو أصل الأصول العقدية، ثم يبيء بعده بأقيمتها. قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهِينَ إِنِّي أَنَا إِلَهُ أَحَدٍ فَإِذَا يُنَادِي فَأَرْهَبُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) الشيخ طه السيد رزق - الدين والحياة ص ٨٧.

(٢) أبو موسى الأشعري: هو عبدالله بن قيس بن سلب بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذرة بن وائل بن ناضية بن الحناجر بن الأشعر أبو موسى الأشعري مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عسلت أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو قد سكن الرملة، وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحيرة. وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الأربعة وسعد وابن مسعود وأبي بن كعب وعمار، وروى عنه أئله موسى وإبراهيم وأبو بردة وأبو بكر وأمه الله أم عبدالله بن النخاعة أبو سعيد وأنس وطارق بن شهاب ومسن كسار الثابطين ميم بعدهم زيد بن وهب وأبو عبد الرحمن السلمي وعبيد بن عمير وقيس بن أبي حازم وأبو الأسود ومسعود بن المسيب وزر بن حبيش وأبو عثمان النهدي وأبو رافع الصائغ وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود وروعي بن حمران وحطان الرقاشي وأبو وائل وصفران بن عمرز وأخرون قال بمجاهد عن النبي كتب عمر في وصيته لا يفسر لي عمالي أكثر من سنة وأمروا الأشعري أربعة سنين. وقال حسن الصوت بالقرآن وفي الصحيح المرفوع لقد أوتي مرمرات من أمم من أمم آل داود. عن ابن تين وسنن وأحفظوا هل مات بالكوفة أو بمكة. [راجع الإصباة لأن حجر - باب ذكر من اسمه عبدالله واسم أبيه عمرو يفتح أوله وسكون الميم رقم: ٤٩٠١ ص: ٢١٢/٢١٣]

(٣) ابن حبان - صحيح ابن حبان ج ١٣ ص ٢٩٧ - ذكر الشبان بأن على المرء عند الفتن أن يكون مقتولا لا فاسدا - رقم: ٥٩٦٢، وأخرجه ابن ماجة - سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣١٠ رقم: ٣٩٦١.

(٤) الذين يذهبون إلى أن الأصول التي يقوم عليها الكون أنشأ أحدهما الله والنور وثانيهما الله الظلمة أو أحدهما الله الحسب وثانيهما الله الشر [راجع في تفاصيل ذلك اعتقاد فرق المسلمين والمشركون للفكر الرازي]

(٥) راجع فيهم الملل والنحل للشهرستان وكذلك التبصير في الدين وبيان الفرق الناحية للإمام الأسفرايين

(٦) أصحاب التلث في الآلهة منهم أتباع اليهودية وأتباع المسيحية وأصحاب العقيدة الأشتارية وغيرهم.

(٧) سورة البحل الآية ٥١.

﴿يقول العلامة القرطبي: « لا تتخذوا اثنين إلهين، ولما كان الإله الحق لا يتعدد وأن كل من يتعدد فليس بإله اقتصر على ذكر الاثنين لأنه قصد نفي التعدد، إنما هو إله واحد يعني ذاته المقدسة وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته»﴾<sup>(١)</sup>.

كما نرى جل شأنه عن اعتقادات أصحاب التثليث في العقيدة كالحال مع المردخية والعشترية، ثم قدماء المصريين وأتباع اليهود ودعاة المسيحية الذين امتصوا أغلب أفكارهم من الغنوصية في مراحلها المتقدمة، وبين جل جلاله أنهم جميعاً على الكفر يقيمون. قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا الله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسك الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا القول كان وهذا قول كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق البعقوبية والملكانية والنسطورية كانوا فيما بلغنا يقولون الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم أباً والداً غير مولود وابناً مولوداً غير والد وزوجاً متبعية بينهما، يقول الله تعالى ذكره مكذباً لهم فيسا قالوا من ذلك وما من إله إلا إله واحد يقول ما لكم معبود أبها الناس إلا معبود واحد وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود بل هو خالق كل والد ومولود، وإن لم ينتهوا عما يقولون من قولهم الله ثالث ثلاثة ليمسك الذين كفروا منهم عذاب أليم.

وكذلك الذين يقولون المقالة الأخرى هي أن الله هو المسيح ابن مريم لأن الفريقين كلاهما كفره مشتركون فلذلك رجع في الوعيد بالعذاب إلى العموم، فعم بالوعيد تعالى ذكره كل كافر ليعلم المخاطبون هذه الآيات أن وعيد الله وقد شمل كلا الفريقين من بين إسرائيل ومن كان من الكفار على مثل الذي هم عليه.

فإن قال قائل وإن كان الأمر على ما وصفت فعلى من عادت الهاء والميم اللتان في قوله منهن قيل على بني إسرائيل، فتأويل الكلام إذ أن الأمر على ما وصفتنا وإن لم ينته هؤلاء الإسرائيليون عما يقولون في الله من عظيم القول ليمسك الذين يقولون منهم إن المسيح هو الله

(١) تفسير القرطبي ج: ١٠ ص: ١١٣. ويقول العلامة: « يقول تعالى ذكره وقال الله لعباده لا تتخذوا لي شركاً أبها الناس ولا تعبدوا معبودين فإنكم إذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شركاً ولا شريك لي إنما هو إله واحد ومعبود واحد وأنا ذلك فأبهاى فارهبون يقول فأبهاى فاتقوا وسافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتوني وعبدتم غيري أو أشركتم في عبادتكم لي شركاً» [ تفسير الطبري ج: ١٤ ص: ١١٨ ]

والذين يقولون إن الله ثالث ثلاثة وكل كافر سلك سبيلهم عذاب أليم يكفرهم بالله»<sup>(١)</sup>.  
وقد بين جل شأنه أن الآلهة المتعددة فوق الثلاثة باطلة هي الأخرى ولا بد أن يتركوا الأمر كله لله الواحد الأحد. قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغُوا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يقول الظنري:﴾ «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر لو كان الأمر كما تقولون من أن معه آلهة وليس ذلك كما تقولون إذن لا تبغ تلك الآلهة القرى من الله ذي العرش العظيم والتمست الزلفى إليه والمرتبة منه»<sup>(٣)</sup>.  
كما أن هذه الأفكار غير مأمونة العواقب بالنسبة للعبادة التي شرعها الله تعالى، إذ فيها عبادات معقولة المعنى<sup>(٤)</sup>، وأخرى تعليلية، وكيف تدرك هذه الفلسفات حقيقة العبادة التعليلية من العبادة المعقولة المعنى التي ابتلاها الله بها إيماناً بانغيث الوارد في قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾<sup>(٥)</sup> والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) العلامة الظنري - جامع البيان ج ٦ ص ٣١٤/٣١٣. ويقول ابن كثير: «قوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، والصحيح أنها نزلت في النصارى خاصة فإنه عااهد وغير واحد تم اختلفوا في ذلك فتيل المراد بذلك كفارهم في فوضم بالأفانيم الثلاثة وهو أقوم الأب، وأقوم الأم، وأقوم الكلمة المبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كثيرا قال ابن حزم وغيره وانطوائت الثلاثة من الملكية واليعقوبية والسطورية تقول هذه الأفانيم وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً، وكس مرة منهم تكبر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة وقال السدي وغيره نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة هذا الاعتبار قال السدي وهي كقولته تعالى في آخر السورة وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه الآية وهذا القول هو الأطهر والله أعلم قال الله تعالى وما من إله إلا إله واحد أي ليس متعدد بل هو وحده لا شريك له إله جميع الكائنات وسلطان الموجودات ثم قال تعالى متروكاً هم ومتنهددا وإن لم يستندوا عما يقولون من هذا الافتراء والكذب ليمس الذين كذبوا منهم عذاب أليم أي في الآخرة من الأغلل والشكائ ثم قال أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وهذا من كرمه تعالى وحده وخطفه ورحمته يخلفه مع هذا. سلب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإمات يدعوهم إلى التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه وقرنه تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أي له مسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وإنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبي إسرائيلين» [ تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٢ ]

(٢) سورة الإسراء - الآية ٤٢.

(٣) العلامة الظنري - جامع البيان ج ١٥ ص ٩١.

(٤) التكاليف غير المعقولة المعنى هي التي لا يتمكن العقل من التعرف عليها من حيث الغاية والفائدة، إنما يؤمن بها على مسأ هي عليه ويفرض الأمر في الباقي إلى الله تعالى على سبيل التفويض.

(٥) سورة البقرة - الآية ١٧٧.



﴿يقول العلامة ابن كثير: «اختلفت عبارات السلف فيه، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجسيع مراد، فمن أي العالية<sup>(١)</sup> قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته ونساره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت، وبالبعث، فهذا كله إيمان بالغيب. وعن ابن مسعود ونسب أصحاب رسول الله ﷺ: أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار. وما ذكر في القرآن، فكل هذه الأمور من الغيب الذي يجب الإيمان به»<sup>(٢)</sup>﴾.

وكذلك ما يتعلق بأحكام الأسرة كالطلاق والزواج والميراث والعدة والحضانة والرضاعة وغيرهما من الأمور التي جاءت بها الشريعة الإسلامية الغرامس فإذا تركت هذه الأحكام للأفكار الإنسانية، حتى تحكم عليها فإنها لابد أن تضل فيها وتشقى، وبالتالي فالفلسفة حرام على هذه الناحية.

ثم إن كل عبادة أو تكليف شرعي يجيء فيه جانبان:-

☆ الأول: جانب أداء الفعل.

☆ الثاني: جانب الثواب<sup>(٣)</sup>.

لما هو معروف عندنا نحن المسلمين أن الله تعالى لم يكلفنا عبادة إلا وجعل لها الجانب الذي يقوم به العبد، وهو جانب الأداء، ثم الجانب الثاني وهو الذي يتم عليه الأجر والثواب الذي يرد من الله تعالى، فالصلاة مثلاً فيها جانب القيام بها وجانب الثواب من الله تعالى عليها، فمن صلى على جانب الكمال والتمام<sup>(٤)</sup>، وأداها كاملة غير منقوصة، فإنه يكون أدى عليه الفرض الذي جعله الله تعالى عليه لقوله تعالى: ﴿فإذا أطمأنتم فاقموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً<sup>(٥)</sup>﴾.

(١) أبو العالية: ربيع بن مهران الإمام المقرئ الحافظ المفسر أبو العالية الرباعي البصري أحد الأعلام كان مولاً لامرأة سبي. يابح من يربح ثم من بني ثعلبة، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب وأنتم في حرمة أبي بكر الصديق ودخل عليه، وسمع من عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود وعائشة وأبي موسى وأبي أيوب وابن عباس وزيد بن ثابت وعدة، وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب وتصدر لإفادة العلم وبعد صيته قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء فيما قبل وما ذلك بعيد فإنه يقيم، وكان معه ببلدة وأدرك من حياة أبي العالية ثيفاً وعشرين سنة، روى عنه القسراة عرضا شعب بن الحبحاب وآخرون. مات رحمه الله سنة ثلاث وتسعين. [راجع سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٠٧/٢١٣ رقم: ٨٥]

(٢) العلامة ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤١ مكتبة زهران.

(٣) الشيخ محمد السيد أبو أشرف - المقاصد الشرعية ص ٤٧ ط دار الوفاء ١٩٣٤م.

(٤) الشيخ صبيح محمد رجب العمري - أصول الشريعة الإسلامية ص ٥١ ط دار الهدى ١٩٣٥م.

(٥) سورة النساء - الآية ١٠٣. ويقول الإمام القرطبي: «قوله تعالى: "فإذا أطمأنتم" أي أتمتم. والطمأنينة سكن من الخوف. "فاقيموا الصلاة" أي فأتوها بأركانها وبكامل هيئتها في السر، وبكامل عددها في الخسر. "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً" أي موقوفة مبرورة. وقال زيد بن أسلم: "موقوتاً" منحصراً، أي تؤدونها في أنصافها. وهذا قول زيد بن أسلم بعينه. وقال: "كتاباً" والمصدر مذكرة، فلهذا قال: "موقوتاً". [الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ٢ ص ٣٤٥]

﴿ويقول العلامة السيوطي : « إن للصلاة وقتا كوقت الحج، كلما مضى وقت جاء وقت آخر. وعن ابن عباس قال : [ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمني جبريل عند البيت مرتين، فصلى في الظهر حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك، وصلى في العصر حين كان ظل كل شيء مثله، وصلى في المغرب حين أفطر الصائم وصلى في العشاء حين غاب الشفق، وصلى في الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم، وصلى في من الغد الظهر حين كان ظل كل شيء مثله، وصلى في العصر حين كان ظل كل شيء مثله، وصلى في المغرب حين أفطر الصائم، وصلى في العشاء ثلث الليل، وصلى في الفجر فأسفر، ثم التفت إلي فقال: يا محمد هذا الوقت وقت النبيين قبلك: الوقت ما بين هذين الوقتين <sup>(١)</sup>، فالحافظة على الصلاة التي شرعها الله في أوقاتها السنن فرضها الله تعالى، هو سلوك أهل الله <sup>(٢)</sup>. »

كما أنه لما أداها المسلم ابتغاء مرضاة الله تعالى، فقد كتب الله له أجرها عنده جل علاه لقوله جل شأنه في الحديث القدسي، فعن ابن عباس قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تبارك وتعالى: إنما أتقبل الصلاة من تواضع لها لعظمي ولم يستطل على خلقي ولم يست مضرا عني معصيتي، وقطع لها ره في ذكرتي. ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب. ذلك نوره كنور الشمس أكلاؤه بعزتي وأستحفظه ملائكتي أجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حسا ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة <sup>(٣)</sup>. »

(١) الإمام ترمذي - سنن الترمذي - ج: ١ - ص: ٢٧٨ - [٢] كتاب أبواب الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - [١١٣] باب ما جاء في موافقة الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم - رقم: ١٤٩٩، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن للصلاة أولًا وآخرًا، وإن أول وقت الظهر حين تزول الشمس، وإن آخر وقتها حين يدخل وقت العصر، وإن أول وقت العصر حين يدخل وقت المغرب، وإن آخر وقتها حين تغرب الشمس، وإن أول وقت المغرب حين يغيب الشفق، وإن آخر وقتها حين ينصف الليل، وإن أول وقت الفجر حين يطلع الفجر، وإن آخر وقتها حين تطلع الشمس <sup>(١)</sup> » [الإمام السبكي - سنن السبكي (مختار) - ج: ١ - ص: ٢٤٦ - [٢] باب أول وقت الظهر - رقم: ٤٩٥، مسند أحمد - ج: ٢ - ص: ٢٣٢ - رقم: ٧١٧٢ ]

(٢) العلامة ابن تيمية - معارج السالكين - نشر منشور في النشر بالمأثور - الطبعة الثانية - طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) العلامة حافظ نور الدين الغيثي - مجمع الزوائد - ومع الفوائد - باب علامة قبول الصلاة - الحديث رقم: ٢٨٨٩ - ص: ٣٤٥ - وقال: رواه الترمذي ورواه أحمد. وفي الحديث الشريف: عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الوضوء شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأان أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يعدون، فبلغ نفسه فمعتنقا أو موافقا <sup>(١)</sup> » [الإمام مسلم - صحيح مسلم - ج: ١ - ص: ٢٠٣ - كتاب الطهارة - باب فصل الوضوء - الحديث: ٢٢٣. والمراد به: [ وشرط الإيمان ] قال في النهاية: لأن الإيمان يظهر بخاسة الباطن، والظهور بغير نخاسة الظاهر. (برهان) أي دليل على صدق صاحبه في دعوى الإيمان. إذ الإقدام على بذله خالصا لله لا يكون إلا من صادق في إيمانه. (والصبر ضياء) أي نور قوي. فقد قرأ تعالى: هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا (١٠٠/سورة يونس/ الآية ٥). ولعل المراد بالصبر الصوم. وهو لكونه فترا على النفس، قامعا لشهواتها، له تأثير عادة فسي تنوير القلب بآية وجه. وكل الناس بمنزلة مائة نفسه فمعتنقا أو موافقا قال النووي: معناه كل إنسان يسعى نفسه فمعتنقا من يبعثها لله تعالى بطاعته فمعتنقا من العباد. ومنهم من يبعثها للشيطان والخرى باتباعها فمعتنقا، أي يهلكها]

يبد أن هذه المسائل قد جاءت في الشريعة الإسلامية على جانب تفصيلي، ولا يستطيع العقل وحده القيام بها، كما أن الأفكار الواردة من اليونان أو غيرهم إذا اقترنت من هذه الأحكام الشرعية، فإنها تضل أصحابها، وكم من أناس أعمالوا عقولهم فيها فانهت بهم أحوالهم المرضية إلى تركها تماماً، وكانت النتيجة أن تحولوا من الإيمان إلى الإلحاد خسروا الدنيا والآخرة، وقس على ذلك الحال في باقي التكاليف أو الأحكام الشرعية، من ثم فإن الفلسفة حرام لأنها غير مأمونة العواقب.

#### « بد مناقشة الدليل »

من البادى أن هذا الدليل قد قام على أساس افتقاد كل مباحث الفلسفة للنتائج السليمة، وكل فلسفة من هذا القبيل تكون نتائجها غير صحيحة، لكن هذا الدليل يمكن مناقشته في حدود ما يلي :-

١. أن هذا الدليل قد ركز على الفلسفة ذات الاتجاهات التي لا تستقيم مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهو قائم على الفلسفة اليونانية أو المصرية القديمة<sup>(١)</sup>، لكن لا علاقة له بالفلسفة الإسلامية؛ لأنها تنوم على النقل المزل، ومحاولة تفهم أغراضه ومراجعته، ثم التوفيق بين النصصوص الإسلامية والنقول العقلية السليمة، ومن ثم فلا يتوجه هذا الدليل عليها.

٢. أنه قد نظر إلى الجوانب العرضية في التفكير الفلسفي لأن المصنفين الفكري مسألة واقعة في كل العلوم الإنسانية، باعتبار أن أصحاب أى فن يقومون بوضع اصطلاحات فيه تكون خاصة بهم والقاعدة أنه لا مشاحة في الاصطلاح<sup>(٢)</sup>.

٣. أننا لا ننتظر من سقراط أو أفلاطون فضلاً عن أرسطو أو أية فلسفة أخرى تقديم وسائل هداية للإنسان؛ لأن الوحي الإلهي قد أغنى عن ذلك تماماً، أما بالنسبة لنا نحن المسلمين فإن الأمر عندنا قائم على النقل المزل - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة - وأتباع سيدنا محمد ﷺ الذين الخاتم هو الذي تقع به الهداية، لقوله صلى الله عليه وسلم: « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ »<sup>(٣)</sup>. وقوله عليه الصلاة والسلام: « عليكم بسنيي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي »<sup>(٤)</sup>.

(١) لأن هذه الفلسفات لا عماد لها، إنما لا تقوم على أسس يمكنها أن تحاكي بعض الأصول الثابتة في الفلسفة الإسلامية فالفرق بينها كبير.

(٢) راجع كتابنا: التفلسف (مفهومه - بواعثه - خصائصه) ص ٨٥ ط ١ آل بسير ١٤٤٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

(٣) الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥/٣٢١ هـ - المستدرك على الصحيحين - ضبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١/١٩٩٠ م الأول - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ج ١ ص ١٧١ - الحديث رقم: ٣١٨، وراجع سنن البيهقي الكبرى ج: ١٠ ص: ١١٤ - الحديث رقم: ٢٠١٢٣ ]

(٤) المعلقون - كشف الحفاء ج ٢ ص ٢٧٠.

ثم إن هذا الدليل كان من الضروري فيه التفرقة بين عمل الفلسفة وهو عمل معرفي، وبين عمل الوحي الإلهي وهو الهداية لكل من أمور الدين في الدنيا والآخرة، وأعني به عمل العقيدة، وهو أمر يتعلق بالقلب الخالي عن الهوى<sup>(١)</sup>.

ثم إن تعيير الفقهاء والمحدثين وغيرهم من علماء الأصول للفلسفة منسب على ما لا علاقة له بشرع الله، وهى الفلسفة ذات الاتجاهات العينية واللامعقولة، أو التى تقوم على ناحية الفكر المنحصر<sup>(٢)</sup>، أما الفكر الصحيح، فإن الجميع من أهل الإسلام لا يختلفون في فوائده، ولكنهم يختلفون في حجم تلك الفوائد، بحيث تظهر ضعفا أو قوّة، اتساعا أو ضيقا.

والذى تطمئن إليه النفس؛ أن كل عمل عقلى بشرى، قد يكون مأمون النتائج، صحيح العواقب، وقد يكون غير مأمون النتائج، ولا سليم العواقب، فلا يلحق هذا الحكم الفلسفة وحدها، وإنما يلحقها وغيرها، والعبرة في نتائج الأغلب الأعم، والفلسفة لا تقع في نطاق العلوم غير مأمونة العواقب، فإذا قامت على النقل المتزل، فإن صحتها تكون هي الغالبة وعواقبها تكون صحيحة. كذلك يمكن القول بأن هذا الدليل يشبه أن يكون نوعا من الجسد غير المكافئ، أو غير المقبول<sup>(٣)</sup>. أما لماذا؟

فلأن الفلسفة ليست ميدانا مفتوحا، يلجأه كل الأناسي، وإنما هو محيط لا قرار له، تعتمد شواطئه، وتضطرب أمواجه، كما تلاطم خججه، ولما كان المعروف أن قشور العلم تضل، فإن شواطئ الفلسفة لا يثبت عليها، إلا من كانت لديه ملكات يقينية، ونجارها لا يتزل إليها من لم يكن قادرا على السباحة فيها مسافات طويلة، وكذلك يكون بإمكانه الغوص إلى الأعماق.

فإذا تعاطى الفلسفة من كمل عقنه، وتدرت ملكاته، واتسعت مداركه، وسلت عقيدته، حيث قامت على النقل المتزل، وتأكد لديه أن أقوال الفلاسفة لا تخرج عن كونها آراء فيها بعض القبول، من كانت صحيحة، ولم يتزل منه انزعاب للرأى، حتى تكون أحكامه سليمة على الناحية الموجزة<sup>(٤)</sup>.

فلا شك أنه سوف يتخطى الجواجر، ويكون بإمكانه القيام بالفلسفة قومة الناصح الأمين، الذى بدلف إلى بواطن الأمور، فيبحث قضايا استافيزيقا بتعقل وروية، وتأتى نتائج مأمونة

(١) الشيخ صبحى محمد رجب المحمى - أصول الشريعة الإسلامية ص ٥٧.

(٢) ومثل هذا لا يقال عليه فلسفة إلا من باب اللفظ. من باب التوسع في الاستعمال اللغوى، أما من ناحية الحقيقة فالأمر مختلف تماما.

(٣) الدكتور هدى محمد المياوى - دراسات في الفلسفة ص ٢١ ط ١٩٨٧ م.

(٤) هذه الشروط ضرورية لمن يتناول الإمسك بالفلسفة واصطلاح ذلك النمط من التفكير العقلى الحر.

العواقب، فيها من جودة الصنعة والأناة ما يجعلها تفور عند السبق<sup>(١)</sup>، وتبقى عند المغالبة. وتنشأ من حدثت المقارعة<sup>(٢)</sup>.

بل إن تاريخ الفكر الإنساني مليء بالشواهد المتكررة، فقد ذهب بارميندس اليوناني إلى أن الوجود لا ينقضه شيء، فما هو موجود لا يتصور عليه الفساد في العالم، إذن أن العالم لا ينفسى<sup>(٣)</sup>. وإذا فهم من العبارة أن استحالة تصور الفساد بالنسبة للعالم تكون من ذاته، فقد انتهى إلى القول بأن المادة خالقة نفسها، وهو الكفر، أما إذا فهم القول ذاته على أن المنفى هو القسائم في النفس الإضافي كان نوعا من الإحالة إلى مسبب الأسباب كلها، وهو الله تعالى رب العالمين. أما لماذا؟

فلأنه وحده الذي خلق الوجود على جهة التقدير في علمه وقدرته، كما جعل العدم أيضا على ذات الجهة<sup>(٤)</sup> التقدير، وجعل كليهما - الوجود والعدم - من المخلوقات أيضا التي لا يعلمها إلا الله جل علاه، إذن العاقبة مأمونة، متى جاءت على قواعد الإسلام ونصوصه المحكمة. قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿يقول الحافظ ابن كثير: «الذي خلق الموت والحياة» بمعنى أنه أوجد الخلاق من العدم ليختبرهم أيهم أحسن عملا، وهو العزيز العظيم المتبع الجناب، وهو غفور لمن تاب إليه وأنساب بعدما عصاه، وخالف أمره، فهو مع ذلك برحم ويصفح ويتجاوز»<sup>(٦)</sup>.

غير أن فكرة بقاء المادة واستحالة فنائها بناء على قاعدة أن المادة لا تنفى ولا تسحدر من العدم<sup>(٧)</sup>، ظلت مضطربة مسيطرة على عقول أصحاب القول بها، وظل أمرها قائما حتى العصر الحاضر، لكنها غير مقبولة على جهة الشرع، وإن كان قد دخلها بعض التعديل على ما ذهب إليه علماء الفيزياء، لكن هذا الاضطراب العلمي كانت له بعض نتائج إيجابية في أغلب الأحوال،

(١) الدكتور صبرى حسن محمود - التراث الإسلامي ص ١٥ ط. فواد الجديدة ١٩٦٦م.

(٢) ذلك هو المفروض الذي يسمى إليه أصحاب الفكر الصحيح، أما غيرهم فلا اعتداد بهم، ولا التفات لما يعتبرونه آراء، وما هي إلا نوع من سيالات المرضي وأعلام التائبين.

(٣) الدكتور عبدالمعطي محمد بيومي - جذور الفكر أمادي ص ٢٠.

(٤) ويذهب علماء الفكر إلى أن الأعوام مفردة، وبالتالي فهي مخلوقة لقوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (سورة الملك - الآية ٢). [راجع حاشية العلامة الصاوي على الخلالين]

(٥) سورة الملك - الآية ٢.

(٦) الشيخ محمد علي الصابون - مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٢٧ - دار الصابون للطباعة والنشر ١٩٨٨م.

(٧) هذه القاعدة صارت المعنى بعرضها كمثل لكتب لست برهانية. وإنسان ومعه الأعداد. ه حصار هو التاعدة العلمية التي ثبت اضطرابها.

ونسأخ تحت العمى بفتيل نمد - ممارما العمية في شكل التقدم العلمى المؤهل الذى مثل كل مناحى الحياة؛ وجواب العمى عن عرضت لها.

وقد يقال: لماذا كان هذا الموقف؟

**والجواب:** أن الفرياء تردود - معرفة دقيقة، لأنها مبنية على قياسات دقيقة<sup>(١)</sup>، وأنها قدمت خدمات دلت على أنها مأمونة. عواقب في أغلب النواحي، وكلما اهتمت بشرح الله جاءت نتائجها ممتازة، أما إذا جاءت عن ناحية العقل وحده، فمن المؤكد أن نتائجها ستأتى متخالفة تماماً إلى أبعد حد.

كما أننا إذا حشأ إلى فلسفة أن يعقوب الكندى وعداولانه العنمية الجادة في إثبات تنسأهى الأجسام المادية والموجودات الضعيفة المفترضة<sup>(٢)</sup>، بغية الانتهاء إلى إبطال القول بتعدد القدماء، ثم يبلغ غايته في القول بالثبات وحرب وجود واجب الوجود الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو الله تعالى بما له من صفات الجمال وحرمان الكمال والإكرام، أدر كنا أن الفلسفة ذات غايات نبيلة، وأنها مأمونة العواقب فيما يتيسر عيب من نتائج، متى كانت مهندبة بشرح الله تعالى، كما أنها الحكمة في حد ذاتها، أو الطريق حوسر إلى الحكمة؛ لأنها تطلق على طريق البحث العقلى، كما تطلق على طريق التنصيف<sup>(٣)</sup>، وكتب جوانب مأمونة العواقب.

كما يعمل احتراش الإمام عبرى من الفلسفة، حتى لا يدخل العوام إلى حلبة صراع المتكلمين<sup>(٤)</sup>، التى كانت متأججة بمرها. أو هو الذى حدا به إلى إشعال نيران العنف، التى كانت كامنة في صدر هذه الفلسفة والعلامة معا، كدافع دينى قاده إلى إعلان النصح القوى المركز، والتوجيه المتواصل والتحذير المتواتر من تعاطى الفلسفة للعوام، ومن يخشى عليهم الوقوع في الضلال، بدليل أنه ذاته سبغ بتعصيب من كانت لديه القدرات العالية، وأمس جانبى العشرات، ومؤلفات الإمام الغزالي ومن تلاه من رفعوا راية الخصومة على الفلسفة والفلاسفة، خير شاهد على ما ادعته، إذن الفلسفة مأمونة بمرقب، متى كانت قائمة على التوجيه الإسلامى. «الخطبات»

(١) جيمس جيز - الفرياء والفلسفة ص ٨٠.

(٢) الدكتور محمد حمري - الكندى ومبسته ص ٨٨.

(٣) الدكتور عبدالحليم محمود - التفكير المنطقي في الإسلام ص ١٧٣ ط دار المعارف مصر ط ١٩٨٩ م.

(٤) ولا يمكن استبعاد ذلك الاحتمال. لأن بمرها الغزالي نفسه نه إلى ذلك، حين ألف كتابه: إلهام العوام عن علم الكلام وكذلك كتابه المفسنون به عنى غيرهم. برهنا على إلهام العوام عن الفلسفة من وجهة نظره يكون من باب أول.

ذكر خصوم الفلسفة أنها حرام؛ لأنها تعجز عن مواكبة حركة الحياة، فيكون كل من قام بها اشتغالا أو دراسة، إنما هو ممارس للحرام، أما كيف؟  
ثم فلما يأتي:-

١- أن حركة الحياة في اضطراب دائم، فهي لا ترتد للخلف، وإنما تندفع للأمام، فآدم المخلوق وحواء<sup>(١)</sup> كانا فردين ثم تطورت أفراد البشرية منهما، حتى صارت المليارات<sup>(٢)</sup>، العديدة التي انتضت نسب بعضها بالموت، وبقي البعض الآخر حاضرا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي أعداد متكاثرة قام على أحسن واحد. قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول الحافظ ابن كثير: «يقول تعالى أمرا خلقه بتقواه وعبادته وحدد لا شريك له، ومبينها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام، وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام، حيث خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم فاستيقظ فرأها فأعجبته فأنس إليها وأنست إليه.

وقال ابن عباس: خلقت المرأة من الرجل فجعلت لهمتها في الرجل وخلق الرجل من الأرض فجعلت لهمته في الأرض فاحبسا نساءكم. وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ أي واتقوا الله بطاعتكم إياه

(١) يقول قاموس الكتاب المقدس: حواء... هي، معناه: حواء، الاسم الذي أعطاه آدم للمرأة الأولى؛ لأنها أم لكل حي حالي بعد خلقه، أحضرت إليه لكي تكون ممينا له، وقد تكررت حواء من جنب آدم، مع أنه يسود عليها وهي تفتن له، ولكن يمتحن طاعتها منعهما من أن يذوقا ثمرة الشجرة، لكن الحيلة ثبت تأثير شيطان قادت حواء في التمسك في صلاح الله، ثم إلى الأكل من الشجرة المحرمة، ثم النهي على آدم أن يأكل هو الآخر، فأكل منها وشابركها ذنبها، وكانت النتيجة سقوط الإنسان، وطرد الزوجين المذنبين من الجنة. (قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٨). وهذا ما لا اتفق معهم عليه فيه، ولا يتفق معهم أي مفكر مسلم يستمد أفكاره من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، وصارت حواء على التوالي أم قايين وشيث وهابيل ويبي وبنات آخرين. [راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٨].

(٢) الأستاذ صفوت حسن شلي - آدم وفلسفة التطور ص ٤٧ ط ١٩٤٢/٢ دار فؤاد.

(٣) سورة النساء - الآية ١.

قال الحسن<sup>(١)</sup>: الذي تساءلون به أي كما يقال أسألك بالله وبالرحم، وقال الضحالة<sup>(٢)</sup>:  
وانتوا الله الذي تعاهدون وتعاهدون به وانتوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بروهها وصلوها، وقال  
مجاهد<sup>(٣)</sup>: قوله: «إن الله كان عليكم رقيبا» أي هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم  
كما قال والله على كل شيء شهيد<sup>(٤)</sup>.

ويقول العلامة السيوطي: «أي خلقكم من نفس واحدة، خلقها أولا هي آدم الطين، ثم  
خلق منها تلك النفس التي هي عبارة عن زوجها، وهي حواء ونشر منهما رجلا كثيرا ونساء في  
الأرض، فانتوا الله وصلوا أرحامكم؛ لأن الله عليكم حفيظ»<sup>(٥)</sup>.

٢٠: أن حركة الحياة في الطبيعيات هي الأخرى ابتدأت بنقطة صغيرة تجمدت فيها نقطة الماء. ثم اندمجت. قال  
تعالى: «لأولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء  
كل شيء حي أفلا يؤمنون»<sup>(٦)</sup>.

(١) هو «الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام أبو سعيد مولد زيد بن ثابت وقيل مولد جميل بن صفحة حالية قطة وقيل  
غير ذلك وأبوه يسار من بني ميسان أعفقه الربيع بنت النضر ولد الحسن زمن عمر وسبع عثمان وشهد السدار سن  
أربع عشرة سنة وروى عن عمران بن حصين وأبي موسى وابن عباس وحند بن غطفان وروى عن عوف وبكر وأبى  
الشنان وروى الذكر وأما في العلم والعمل مات في رجب سنة عشرة ومائة وقد قارب التسعين» [راجع العلامة حمد  
بن أحمد أبو عبد الله الذهبي المديني المولود ٦٧٣هـ. المتوفى ٧٤٨هـ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب  
السنة - ج ١ ص ٣٢٢ رقم: ١٠٢٢ - دار النسخة للنقابة الإسلامية، مؤسسة علم - جدة - ١٤١٣هـ/١٩٩٣م -  
الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ٢ - تحقيق محمد عروبة، تقريب التهذيب ج ١ ص ١٦٠ رقم: ١٢٢٧، جامع التحصيل  
ج ١ ص ١٦٢ رقم: ١٣٥، سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٦٣ رقم: ٢٢٣، انطبقات للداودي ج ١ ص ١٥٠].

(٢) الضحالك: هو الضحالك بن مزاحم الغدلي الخراساني أبو شند، وقيل: أبو القاسم صاحب التفسير وكان من أربعة  
العلم وهو صدوق في نفسه وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. توفى سنة ١٠٢هـ. وقيل ١٠٥هـ.

(٣) حماد: هو حماد بن حمز مولى السائب بن أبي السائب المخزومي. مات ساجدا سنة ١٠٣هـ. راجع سير أعلام  
النبلاء - ج ٤ ص ٤٤٩.

(٤) العلامة الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير المديني أبو الفداء المتوفى ٧٧٤هـ - تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٤٩ -  
دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ - عدد الأجزاء ٤.

(٥) راجع في هذا الشأن: الإمام حلال الدين بن أبي بكر السيوطي - الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٣ ص ٢٠٧ - دار  
الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤١١هـ/١٩٩٠م - الطبعة الأولى.

(٦) سورة الأنبياء - الآية ٣٠. يقول صاحبها تفسير الخليلين: «أو لم يعلم الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا  
رتقا سدا بمعنى مسدودة ففتقناهما جعلنا السماء سماء والأرض سبعا أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت وفتق  
الأرض أن كانت لا تنبت فأنبت وجعلنا من الماء النازل من السماء والنابع من الأرض كل شيء حي ميسر نسات  
وعبره أي ففأله سب حياته أولا يؤمنون بتوحيدي» [تفسير الخليلين ج ١ ص ٤٢٣]



﴿٢٩٥﴾ يقول الحافظ ابن كثير : « يقول تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وفهره لجميع المخلوقات. أو لم ير الذين كفروا الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره، فالله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه ألم يروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا حيث كان الجميع متصلا ببعضه ببعض متلاصقا متراكما بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السماوات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمرت السماء وأنبئت الأرض ولهذا قال وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون أي وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء، ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد. وسئل ابن عباس الليل كان قبل أو النهار فقال أرايتم السماوات والأرض حين كانتا رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار »<sup>(١)</sup>.

وقال أيضا: «والأرض بعد ذلك دحاهة»<sup>(٢)</sup>، لكن حركة الأرض ما تزال قائمة على الدوام<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: «أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب»<sup>(٤)</sup>. فحركة الطبيعيات لم تتوقف. قال تعالى: «ثم سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا»<sup>(٥)</sup>. «فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون»<sup>(٦)</sup>.

يقول الطبري : «ترك الله تبارك وتعالى إقالتهم وقبول التوبة منهم ومراجعتهم الإيمان بالله وتصديق رسوله بعد معابيتهم بأسه قد نزل بهم سته التي قد مضت في خلقه فلذلك لم يقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال، وكان فتادة يقول كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل إذا عابوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك .

(١) ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج: ٣ ص: ١٢٧/١٢٨. وعن ابن عباس : « كانت السماوات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تبت فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات » [ أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء ج ١ ص ٣٢٠ ]

(٢) سورة النازعات - الآية ٣٠ .

(٣) الشيخ حسن محمد التروى - الدليل الشرعي ص ٤٥ ط دار الإمام .

(٤) سورة الرعد - الآية ٤١ .

(٥) سورة الفتح - الآية ٢٣ .

(٦) سورة غافر - الآية ٨٥ .

وقوله وخسر هنالك الكافرون يقول وهلك عند يحيى بأس الله فغبت صفته ووضع في بيعة الآخرة بالدنيا والمغفرة بالعذاب والإيمان بالكفر الكافرون برهم الجاحدون توحيد خالقهم المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم»<sup>(١)</sup>.

❦ ٢٥. أن حركة الحياة في النبات والحيوان ما تزال قائمة على أوسع نطاق بالرغم من أن الأصول واحدة جاء بها الذكر الحكيم في الروحية التي تشمل كل المخلوقات من ذلك قوله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾<sup>(٢)</sup>.

❦ ٢٥. أن حركة الحياة في الجماد كما هي في النبات والحيوان فيها الانقسام والاستمرار، وذلك كله يحتاج حركة فيها السرعة والمرونة، لا يقوى بها إلا النقل المتزلزل، أما الأحكام العقلية أو الاجتهادات الفكرية أو المحاولات الفلسفية فإنما مقضى عليها جميعا بالفشل، بل هي حرام على كل ناحية<sup>(٣)</sup>.

❦ ٢٥. أن ما يقوم به الفلاسفة موقف في العسية. والله تعالى يذكر عباده بمثل ما ذكر، وحال التحريم بمثل ما منه العقاب جزاء وفاقا، كما أن حر التحريم فيه أغراض عن رضا الله تعالى وملابسة لما يكرهه والعقاب إبعاد للعبد، وإيضاح ما يكرهه إليه، وقد روى أن الله تعالى قال يا داود: قل للظالمين لا يذكرون، فإنهم إن ذكروا ذكرهم، وإن ذكروهم مقتهم<sup>(٤)</sup>، ولما كان أمر الفلاسفة على النحو المذكور، فقد صار أمر دارستها حراما، وكذلك الاشتغال بها أو النظر في كتبها.

❦ ٢٦. إن الاشتغال بالفلسفة يجعل صاحبه ينتقل للخلف؛ لأنه يعيش في الماضي على الدوام، باعتبار أن الفلسفة ضيقة الأفق، ثم هي تنظر إلى الماضي تستمد منه عطره لتعيش فيه، ولكنها لا تستطيع الانطلاق للأمام في شيء من الإتقان. بل إنها إذا انطلقت للأمام فإنما تكون انطلاقات خالية

(١) القرطبي - جامع البيان ج: ٢٤ ص: ٩٠.

(٢) سورة الفاريات - الآية ٤٩. يقول القرطبي: «قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين أي اثنين وبرعين مختلفين قائلين زيد أي ذكر وأنثى - والبر: حميم، بحر ذلك جاهد يعني الذكر والأنثى والبراء والشمس والشمس والليل والنهار والنور والظلام والسهل والجبل والحق والانس والخم والشر والبكرة والعنسي وكألأشياء المختلفة الأنواع من الطعوم والأصوات أي جعلا هذا كهذا دلالة على قدرتنا ومن قدر على هذا فليقدر على إرساده وقيل ومن كل شيء خلقنا زوجين تبيين لتعلموا أن خالق الأرواح فرد فلا يقدر في صفته سرقة ولا سكون ولا ضياء ولا ظلام ولا قعود ولا قيام ولا ابتداء ولا انتهاء إذ هو عز وجل وتر ليس كمثل شئ منكم لعلكم تذكرون» [القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج: ١٧ ص: ٥٣]

(٣) الشيخ منصور محمد منصور - العقيدة والأسكاه الشرعية ص: ٧١ ط ١٩٥٧م.

(٤) العلامة أبو البركات سيدي أحمد الدردير - الشرح الكبير ج: ١ ص: ٣ ط عيسى الباب الخليلي نجاشية الدسوقي على الشرح الكبير للعلامة شمس الدين محمد عرفة الدسوقي وبالهامش تقريرات العلامة الشيخ محمد عيش شيخ السادة المالكية.

غير قابلة للتطبيق<sup>(١)</sup>، كما لا تقدم نفعاً: لأن المعتلاء قد أجمعوا على أن الفلسفة غير واقعية ويعيش أصحابها في أبراج عاجية منعزلة تماماً عن الواقع المعاش.

٧- إن فيها تزييداً لبعض القضايا اللاهوتية الناشئة عن التأمّلات النيقاوية. يقول روز « بعد بضعة قرون من التأمل بلاهوت العقيدة النيقاوية صارت العقائد المسيحية مفلسفة، أمّا اللاهوت الناتج فكان يونانياً في تعاليمه، يونانياً في الجزء الأكبر من مضمونه »<sup>(٢)</sup>.

وفوق ذلك فإن الفلسفة تكفي بالقشور دون أن تحاول الدخول إلى الأعماق، إنما فلسفة نظرية انطلقت من محاولة علاج مشكلة الشر في العالم، وحرية الإنسانية، والتوفيق بين الله وقدرته المطلقة من ناحية، وبين الشر القائم في الكون من ناحية ثانية<sup>(٣)</sup>، ومثلها لا يكون قادراً على اجتياز العقبات، أو الانطلاق نحو البحث عن حلول لما وراءها من مشكلات.

كما أن أي علم يثبت عجزه عن مواجهة المشكلات التي لابد من البحث لها عن حلول، إنما هو بعيد كل البعد عن مسيرة حوادث الدهر، فكيف يكون علماً، ومثله لا يكون له في الأندة مكان<sup>(٤)</sup>.

في نفس الوقت فإن الفلسفة إنما تقوم على أفكار أفراد يخالفون في التركيبة العقلية والمعارف الذهنية، إنهم أشبه ما يكونون بجزر المنعزلة المتفرقة التي لا يربط بينها رابط، ومهما بلغ كل فرد فيهم من معارف، فإن هذه المعارف تكون غير متواصلة، ومثل ذلك لا يحقق أية مواكبة لظروف العصر، فضلاً عن إيجاد حلول لمشكلاته.

أضف إلى ما سبق أن كل فيلسوف مستجد، إنما يحاول هدم ما بناه سابقه، ولا يحاول أبداً الإبقاء عليه، حتى يكون ركيزة يعلى بناءه عليها، ومثل ذلك العمل بعد عينا، كما أنه لا يمكن من وضع لبنة فكرية بحيث تقوم عليها أخرى<sup>(٥)</sup>. فأفلاطون نفى عن أغلب آراء أستاذه سقراط، كما أن أرسطو نفسه أعلن ذلك حين قال أفلاطون صديق، والحق صديق، لكن الحق أصدق من أفلاطون<sup>(٦)</sup>، فأى حق أو صدق يمكنه الحديث عنه، وقد هدم ما بناه سابقه فسبح ربهم، وسيأتي من بعده فيفعل به ما فعل هو بغيره، كلما دخلت أمة لعنت أختها.

#### ② بين مناقشة الدليل:

- (١) الدكتور مصطفي محمد شمس الدين - دراسات في الفكر المعاصر ص ١٤٣ - طبعة الدار الجديدة ١٩٨٧ م.
- (٢) هـ - روز - الديانة اليونانية ص ١٧٧ - ترجمة خالد نصار ط ٢ / ١٨٥٧ م.
- (٣) الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور - أوربا والعصور الوسطى ج ٢ ص ٣٦٠.
- (٤) الشيخ منصور محمد منصور - العقيدة والأحكام الشرعية ص ٩٣.
- (٥) الدكتور فوزي محمد أبو حجاج - معالم الفكر الفلسفي ص ٥٣.
- (٦) Cilson: op. Cit, P.243 وراجع ليطرس أبيلاز ١١٤٢/١٠٧٩ كتاب نعم ولا Sie et Non الذي يعتبره بعض اللاهوتيين التبرجج الأمثل، وكذلك نظر إليه فلاسفة القرن الثاني عشر في غرب أوربا، إذ عرض فيه حوالي مائة وخمسين مسألة لاهوتية وتناوبها من الناحية الجدلية، معتمداً فيها على الأدلة الفلسفية ولكنه لم يترم فيها رأياً سائساً، أو حلولا مقبولة.

يبدو لي أن نشأة هذا الدليل - تكن نشأة طبيعية، ذلك أنه أقيم على جدليات منظونة، وأدخل غرضيات في بعثتها بغرض التعمية على القارئ، وكأني به قد انتصب على بعض فوائس مستعارة كافياكل التي تنام في الزراعات لتصد جماعات الطيور الغازية<sup>(١)</sup>، عمن تمار البسات الصغرة التي لم تنضج بعد. أما لماذا؟

لقد قلنا يلي:-

❖ ١- أن أبا البشر سيدنا آدم **الْكَلْبُ** وأما حواء **كانا** فردين، ثم أراد الله تعالى خلق هذه البشرية منهما، وتكاثرت البشرية إلى الحد الذي نراه، لكن أ. يبذل الفلاسفة جهودهم للتعرف على طبيعة هذا التكاثر البشري، وكيفية إيجاد حلول لمشكلات سكنه وملبس وتنقلاته، إلى غير ذلك مما يتعلق به<sup>(٢)</sup>، ويعمل على تلبية احتياجاته الضرورية والترفيهية.

حين تطورت الأفكار بغية تلبية الاحتياجات الضرورية للبشرية في المسكن والملابس والملبس الوافي، وكذلك ما يتعلق بالإنسانية على الأوجه التي أشار إليها الوحي المعصوم، وقام العقل المفكر لتحقيقها في دنيا الواقع. إذن فلماذا آتتهم الفلسفة بعجزها عن مواكبة حركة الحياة، مع أنها التي تعمل على تطورها؟

❖ ٢- إن حركة الطبيعيات من اتساع الكون، أو ضيقه وتآكله إنما هي من أمور الخلق الإلهي، وعمل القدرة الإلهية، وماذا تفعل الفلسفة في أمر مرده إلى الله تعالى وحده، ولم يجعله سبحانه وتعالى ميدانا يمارس فيه الكائن حيلة من الحيل<sup>(٣)</sup>، لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءَ بَنَاهَا \* رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا \* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا \* وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا \* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا \* وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا \* مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

❖ ٣- أن الحياة ليست حركة يمكن مراقبتها، وإنما هي مجموعة من العوامل المشتركة، يطلق عليها اسم الحياة؛ لأنها مادتها أو المظاهر الدالة عليها، ولكن ليست الفلسفة هي التي دفعت بأصحابها إلى عمليات التعميق في البسات، توفيقا من الله تعالى، حتى تم غنمية الاكتفاء في الأنسواء، ولا تحدث انخباكات<sup>(٥)</sup>، أليست الفلسفة هي التي أهدت حماس العقل، فبحث في ملوحة مياه البحر، حتى تصير محلاة تصلح بها الزراعة حيناً والشرب منها آخر، أو هما معا عن طريق معالجتها على

(١) نطلق عليها في أتراب المصري اسم حيال المقانة، أو زوال العول أو الخيال، ومثله ما يوضع في أرض الفصح الأخضر قبل تمام نموه، حتى يتعد لعنصور.

(٢) توماس هيرز - الإنسان والبيئة ص ٥٣ - ترجمة حسان زكريا - طبعة ١٩٧١م.

(٣) الشيخ نصر الدين محمد سرحان - الكون والقدرة الإلهية ص ٥٣.

(٤) سورة النازعات - الآيات ٣٣/٢٧.

(٥) الدكتور فوزي محمد أبو حجاج - معالم الفكر الفلسفي ص ٧١ ط أول ١٩٥١م.

النواحي المختلفة<sup>(١)</sup>، ألا يدل ذلك كله على أن الفلسفة لم تنعزل عن الحياة، وإنما كانت الأسرع إلى مواكبة الأحداث والعمل على تطورها.

❖ إن النصوص الشرعية منزلة من قبل الله تعالى، لكن لا بد من تفهم مرايتها على النواحي المختلفة. فالتفهم يفهم منها ما يتعلق بالأحكام الشرعية، باعتبار أن الفقه هو العلم بالحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها الشرعية التفصيلية<sup>(٢)</sup>، والنحو يفهم منها ما يتعلق بهذا الجانب اللغوي، وقس على ذلك الحال في كل العلوم المتعلقة بالجوانب الاعتقادية أو الجوانب الشرعية والأخلاقية، أو تقوم على خدمة أي منها.

أما الفلسفة فإنما تتعلق بكل هذه الجوانب على ناحية العموم، ثم تسارع إلى ما هو قلتم في أنماط الحياة فتركيه، وتعمل على توظيفه بأعلى قدر، يستوى في ذلك أمر العلوم العملية والتطبيقية على أساس أن ذلك من خصوصياتنا التي أخذت على عاتقها القيام بها، أو هي من الواجبات الطبيعية للعمل الفلسفي<sup>(٣)</sup>، ومن ثم فلا يمكن القول بأن الفلسفة خارج نطاق الخدمة أو عاجزة عن تقديم خدمات ينجي فيها التطور، وتقف حركة الحياة على مفرق رأسها.

ثم إن القول بارتداد الفيلسوف للحلف كطبيعة للفلسفة أمر قائم في كل العلوم الإنسانية، بغية التعرف على الأصول التي يمكن الوقوف عليها، لكن ليس معنى هذا أن المفكر أو الفيلسوف يتنحى عما ينظر إليه خلفاً، وإنما يأخذ من الماضي بعض الإشارات والتلميحات حين يستفيد مما فيها<sup>(٤)</sup>، إنه يبحث عن الجوانب التي تركها السابقون من غير أن يقدموا لها حلولاً، ثم يقوم هو بتقديم تلك الحلول على أسرع وجه.

إنه حكم لا يرضى بالوقوف على أرض ملعنة، وإنما يحاول أن تكون الأرض التي يضيء أقدامه الفكرية عليها ثابتة الأصول، وبالتالي فلا يستهلك الوقت في بحث ما سبق أن قام به غيره، وإنما يسارع إلى القواعد الثابتة، فينظر إليها نظرة الجنيان لثباتها فقط، وذلك لا يستغرق منه سوى إنشاعة قصيرة، ثم يسارع بالبناء الفكري عليها<sup>(٥)</sup>، إنه أقرب شيها بالمهندس المتخصص في التشييد،

(١) الدكتور علي محمد فضل الله - الإنسان والتقنية الحديثة ص ١١ ط ١٩٧١/١ التي أكدت على إمكانية العقل الإنسان في فهم العديد من المشكلات التي كانت تمثل عبء كبيرة في سبيل تقدمه على النواحي المختلفة، حيث أمكن للإنسان أن يشق الصحراء فيتحول طرقاً معددة أو أجواز الفضاء من خلال وسائل النقل الجوي التي تستخدم في الأعراض السلبية والعسكرية أو العلمية، وكان له في البحار والمحيطات العديد من الإنجازات.

(٢) الشيخ محمد عليش - تقريرات الشيخ عليش على حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج ١ ص ١.

(٣) توماس هيرز - الإنسان والبيئة ص ٦١ - ترجمة حسان زكريا - طبعة ١٩٧١م.

(٤) الدكتور فوزي محمد أبو حجاج - معالم الفكر الفلسفي ص ٨٣.

(٥) الدكتور فوزية حسن أبو هاشم - الفلسفة في عصر النهضة الحديثة ص ١٧٧.

الذي لا يضع أسس بنائه إلا إذا اختار التربة التي يريد إقامة البناء فوقها، ومثله في صنيعه لا يكون مرتدا للحرف، حتى يقع فيه، وإنما ليأخذ منه العبرة، ويعالج ما يراه من ثغرات.

❖. وربما ذهب خصوم الفلسفة إلى أن ما يقوم به بعض الفلاسفة موقع في المعصية، ولكن ليس بعض ما يقوم به الفلاسفة أيضا مؤد إلى الطاعات، كالبحت عن الدواء للداء<sup>(١)</sup>، وتقديم الخدمات المدنية، بل والاستدلال على عقيدة الألوهية، والدفاع أيضا عن العقيدة الإسلامية، فلتن كان في دراسة الفلسفة أو الاشتغال بها، بعض المعاصي وبعض الطاعات، فإن الشرح الشريف يأمرنا بالفصل بين هذه وتلك، حتى تنتهي إلى أن ما يؤدي إلى الطاعات، فهو طاعة، وعمل حلال، وما يؤدي إلى المعصية فهو معصية، وعمل حرام<sup>(٢)</sup>، ويكون ذلك الحكم الشرعي قاسما مشتركا في كسل العلوم وليس الفلسفة وحدها، حتى ينال منها أو توسم هي به.

❖. أن الفلسفة ليست ضيقة الأفق، وإنما ضيق الأفق هو الذي يغمض عين عقله<sup>(٣)</sup>، فلا يسمح لها بأن تسرى الأشياء على ما هي عليه، حتى يحكم فيبحثها أو فسادها حقا أو باطلها، ومثل ذلك الموقف لا يكون من الفلاسفة الذين يلتزمون النفس المنزل وتعاليمه، وإنما يمكن أن يكون من نصيب الذين لا علاقة لهم بالشرع الشريف، يستوى في ذلك من يشتغلون بالفلسفة أو يشتغلون بغيره لأن العبرة هنا بسعة الأفق أو ضيقه.

(١) وفي الحديث الشريف عن جابر قال: قال رسول الله: «تداووا عباد الله، فإن الذي خلق الداء خلق الدواء، فإذا أصاب الدواء الداء؛ برأ بآية الله» [أخرجه مسلم في كتاب السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي رقم (٢٢٠٤)]. وعنه زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال: «(فانت أعراب: يا رسول الله ألا تستداوي؟ قال: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء، إلا داء واحدا، فقاروا: يا رسول الله وما هو؟ قال: الهرم)» (سنن الترمذي (وشرح العلل)، للإمام الترمذي - باب ما جاء في الدواء وأخت عليه - الحديث رقم: ٢١٠٩)، وعن أبي السرداء قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله [تعالى] أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا: حرام"» (سنن أبي داود - الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الموفى سنة ٢٧٥ هـ - دراسة وفهرسة كمال يوسف الخوت، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - دار: في البصرة المكرمة - : نذير رقم: ٣٨٧٤)، وعن أسامة بن شريك قال: «قال: رسول الله تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم» (ذكر العمال للعلامة علاء الدين المنقي الحنفي - طبعة عام ١٩٨٩ مؤسسة الرسالة، - دمشق، في شهر جموز، ١٩٩٣م - الحديث رقم: ٨٠١٨). وعن أبي سعيد عن رسول الله قال: «(إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من جهله، وحيله من جهله، إلا السام وهو الموت)» (الجامع الصغير للسيوطي - [تتمه باب حرف الألف] - الحديث رقم: ١٧٨٣).

(٢) راجع كتابنا الحديث في المطلق الحديث ص ٢٣٨.

(٣) عين العقل من الألفاظ التي تحرى في أعراف المدنية وألفهامهم، كما أنها تضيء في مصطلحاتهم، ومن ثم يمكن التعامل معها على أنها لفظ أو مصطلح صوري، بجانب كونه مستخدما على ألفهام الفلاسفة أيضا.

﴿ربما يقال: إنك تدافع عن الفلسفة والفلاسفة، كأنك واحد منهم، حتى ليظن ظان أنك قد انتدبت من جهتهم لتكون المخاصم غير الموكل منهم في الدفاع عنهم﴾<sup>(١)</sup>

**والجواب:** أن الإسلام ديننا الحنيف، أمرنا بالعدل ولم يوكل هذا العدل إلى طلب من أصحابه، وإنما جعله أمانة في أعناقنا، يستوى في ذلك أن يكون العدل في القسمة بين الفقهاء، كما يكون بين الأصدقاء، أو يكون في القول المباشر، أو في الحكم على رأى من الآراء، إنه العدل بمفهومه العام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿يقول الإمام الطبري: «إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل وهو الإنصاف ومن الإنصاف الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته والشكر له على إفضاله وتولي الحمد لأهله وإذا كان ذلك هو العدل ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها كان جهلا بنا حمدها وعبادتها وهي لا تنعم فتشكر ولا تنفع فتعبد فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولذلك قال من قال العدل في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله.

وأما الإحسان فإن الذي أمر به تعالى ذكره مع العدل الذي وصفنا صفته الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى في الشدة والرخاء والمكره والمنشط وذلك هو أداء فرائضه، وإعطاء ذي القربى الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم، وينهى عن الفحشاء التي هي الزنا، والبغى هو الكبر والظلم، يعظكم لعلكم تذكرون يقول يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنبهوا إلى أمره ونهيه وتعرفوا الحق لأهله﴾<sup>(٣)</sup>

وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك «عن النبي ﷺ قال: ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه من الخيلاء وثلاث منجيات العدل في الرضا والغضب والقصد في العنى والفاقة وخافة الله في السر والعلانية»<sup>(٤)</sup>

وقد روي عن نبينا محمد ﷺ أنه قال «أمرني ربي بتسع أمركم بها: الإخلاص»<sup>(٥)</sup> في السر

(١) هذا الاستشعار يرد كثيرا لدى بعض الأفراد، كما نطره بعض العقول، لكن ليست العبرة بعرض الفكرة أو حكاية الرأى، إنما العبرة بالنتائج المترتبة على ذلك الرأى

(٢) سورة النحل - الآية ٩٠

(٣) العلامة الطبري - جامع البيان ج ١٤ ص ١٦٢/١٦٣

(٤) الطبري - المعجم الأوسط ج ٥ ص ٣٢٨ رقم: ٥٤٥٢

(٥) وعن أبي ثمامة قال: «قال الخوارزمي يا عيسى ما الإخلاص لله قال أن يعمل الرجل العمل لا يخب أن يحمده عليه أحد من الناس، والمناصح لله الذي يبدأ حق الله قبل حق الناس، يؤثر حق الله على حق الناس، وإذا عرض أمران أحدهما للدنيا والآخرة بدأ بأمر الآخرة قبل أمر الدنيا». [العلامة ابن أبي شيبه - معصف ابن أبي شيبه ج: ٧ ص: ٦٦ - رقم: ٣٤٢٣٤]

والعلاية والعدل في الرضا والعصب وانتقد في الغنى والفقر وأن أعفو عن ظلمي وأصل من قطعني وأعطي من حرمي وأن يكون بطني ذكرا وصمي فكرا ونظري عيرة»<sup>(١)</sup>.

وعن قتادة رحمه الله قال: «أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل فعديل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه، والعدل ميزان الله في الأرض به يأخذ للمظلوم من الظالم وللضعيف من الشديد وبالعدل يصدق الله الصادق ويكذب الكاذب وبالعدل يرد المعتدي ويؤننه»<sup>(٢)</sup>.

وعن سعد بن عباد رحمه الله قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أمير عشرة إلا يؤتي به يوم القيامة مغلول لا يفكه من ذلك النعل إلا العدل، وما من رجل قرأ القرآن فنسيه إلا لقي الله يوم يلقاه وهو أجدم»<sup>(٣)</sup>.

من جماع تلك النصوص فقد رأيت أن العدل الشرعي هو الذي يستلزم قولية الحق، ولا يتصرف عن قول الحق والاستمسك به مسم، يجد الدفاع عنه أمرا شرعيا، بل إنه سيجد نفسه ملزما بالعدل، أيا كان موقعه، بل أيا كان متوجه إليه.

٧. أن خلط القضايا الفلسفية بالقضايا اللاهوتية الميتافيزيقية مردد إلى قدرات القائلين عليه، وبالتالي فإنه يجب ألا ينظر إليه على أنه موجه للفلسفة والدلالة. وإنما منصب على أولئك الذين خلطوا بينه وبين غيره، ومثلهم لا يتحمل الفلسفة أو الفلاسفة نتائج ما هو صادر عنهم<sup>(٤)</sup>، لأن كل علم من العلوم أو فن من الفنون يوجد فيه أمثال ذلك ولا يعاب بهم.

(١) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٤٦، وعن مالك بن الحارث قال: «كان من دعاء عمار بن ياسر قوله: اللهم إني أسألك بعلم الغيب وقدرتك على خلق أن تحيي ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني ما علمت الوفاة خيرا لي اللهم أسألك حشيتك في الغيب والشهادة وأسألك التقصد في الغنى والفقر وأسألك العدل في الرضا والعصب اللهم حبب إلي لقاءك وشوقا إليك في غير فئة مضلة ولا ضراء مضرة» [ابن أبي شيبة - مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ ص ٤٥ رقم: ٢٩٣٤٨]

(٢) الظهري - جامع البيان ج ٣٥ ص ١٨/١٧.

(٣) سعد بن عباد بن دليم الأنصاري ثم شهيد العقيد بن دليم وكان نفيًا وهو الذي يقال له سعد الخرورج كان سيدهم غير مدافع وله ثلاث كتي أنو ثابت وأمر قيس وأمر الحباب مات لستين ونصف مضي من خلافة عمر بن الخطاب رحمه الله بالخوارج من أرض الشام، روى عنه ابن عباس وأبو إسحاق بن سعد بن عباد. [راجع: مشاهير علمه الأمصار ج ١ ص ١٠ - رقم: ٢٠، والخروج وتبعين ج ٤ ص ٨٨ رقم: ٣٨٢]

(٤) الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج ٥ ص ٢٨٥ - الحديث: ٢٢٥١٦.

(٥) لقوله تعالى: «كل نفس بما كسبت رهينة» [سورة المذثر - الآية ٣٨]



### الدليل السادس: غير قابلة للتطبيق في الواقع العملي

أعرض الدليل:

﴿ ذكر خصوم الفلسفة أنها عمل فكري غير متكامل فنيا، أو على الأقل لا جدوى من ورائه <sup>(١)</sup>، أما لماذا؟ فلأن الموضوعات التي تبحثها والتائج التي تأتي بعدها، لا تخرج عن كونها مجرد أطروحات خيالية، غير قابلة للتطبيق في الواقع العملي <sup>(٢)</sup>، فالأحكام الفقهية مثلا عملية يلبس الممارس لها نتائج ما يقوم به. »

وكذلك الحال مع التصوف الذي يقوم في بعض أموره على الربط والزوايا، وممارسة الصوم، وتغذيب النفس، وتطهير الجوارح، بجانب أن الذكر يطمئن القلوب المؤمنة، لقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ <sup>(٣)</sup>. « قيل المطمئنة بالإيمان المصدقة بالبعث والتواب. وقال ابن زيد <sup>(٤)</sup>: المطمئنة؛ لأنها بشرت بالجنة عند الموت، وعند البعث، ويوم الجمع <sup>(٥)</sup>. »

﴿ وقال الإمام ابن القيم <sup>(٦)</sup>: « تسمى النفس بالنفس المطمئنة باعتبار طمأننتها إلى رحمتها بعبوديته ومحبتها، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والرضا به، والسكون إليه، فإن حمة محبته وخوفه ورجائه منها قطع النظر عن حبة غيره ورجائه، فيستغنى بمحبته عن حب سائر ما سواه، فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده، تجمععه عليه، وترد قلبه الشارد إليه، حتى كأنه جالس بين يديه، يسمع به ويصبر به، ويتحرك به ويبطش به، فتسرى تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه، ولا يمكن حصول الطمأنينة إلا بالله وبذكره، وهو كلامه الذي أنزله الله على رسوله <sup>(٧)</sup>. »

(١) الدكتور - - - شهود قطب - - - الفلسفة بين الأديان والخصوم ص ١٣.

(٢) الدكتور هبة محمد حسن أبو مسلم - الفلسفة الإسلامية في المشرق ص ٣٧ ط دار نصار ١٩٧٥م.

(٣) سورة الرعد - الآية ٢٨.

(٤) ابن زيد: هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني، صاحب قرآن وتفسير. توفي سنة ١٨٢هـ. سمر أعلام النبلاء ج ٧ ص ٥٨١.

(٥) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ١٠ ص ٧١٤٨.

(٦) ابن قيم الجوزية: هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي. من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته بدمشق. ولد سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م، وتوفي سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م. تعلم على شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، له تصنيفات كثيرة من أشهرها: السروح، الفوائد، طب القلوب، أعلام الموقعين، زاد المعاد، وغيرها. الأعلام للزركلي ٥٦/٦.

(٧) العلامة ابن القيم - الروح - ص ٢٩٢.

﴿وقال الإمام القرطبي: «يهدي الله الذين آمنوا، وتطمئن قلوبهم بذكر الله حيث تسكن وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن، على الدوام بذكر الله باللسان والجنان، حتى يطغى ذلك على البيان أيضاً، وذلك بذكر فضله وإنعامه كما يذكر عدله وانتقامه وقضائه، منهم الذين يذكرون الله ويتأملون آياته فيعرفون كمال قدرته عن بصيرة، ألا بذكر الله تطمئن القلوب»<sup>(١)</sup>، أي قلوب المؤمنين فتعال ابن عباس هذا في الحلف فإذا حلف حصمه بالله سكن قلبه، فهم الذين يطمئنون بذكر الله ومطاعته، حيث يقع لهم ثواب الله»<sup>(٢)</sup>.

كما أن الله تعالى الخالق يهيئ بين الإنسان والمعاصي. قال تعالى: ﴿فأذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم، إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده»<sup>(٤)</sup>.

وعلم النحو والصرف كل منهما يلبس الممارس له نتائج عملية في النطق باللسان على الناحية السليمة والصحيحة، القائمة في المفردات اللغوية بما يحقق للمتكلم والسامع لذة يشعر بها

(١) الشيخ مختار بن نصار الساماني - ذكر الله ص ٥٩ - طبعة دار المنصر بالله - تركيا ١٣٣٧هـ.

(٢) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج ١ ص ٣١٥.

(٣) سورة الفرقة - الآية ١٥٢.

(٤) أخرجه مسلم - كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاحتجاج على تلاوة القرآن وعلى الذكر - ج ٦ ص ١٧ - الحديث بشرح الإمام النووي. وأخرجه العلامة ابن القيم - مغذبة سنن أبي داود - باب في ثواب قراءة القرآن - الحديث رقم: ١٤٥٤، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة. ومن اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده. ومن أبغض به عمله لم يسرع به نسبه). [الإمام ابن ماجه - سنن ابن ماجه - باب فضل العلماء وأخت عن عقب العلم بالحديث رقم: ٢٢٥٠] وقوله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى ملائكة سيارة، فمسلا. يتعرون محاليس الذكر. فإذا تفرقا عرجوا ومعدوا إلى معهم. وحف بعضهم بعضاً بأحبتهم. حين يمشون من بينهم وبين السماء الدنيا. فإذا تفرقا عرجوا ومعدوا إلى السماء. قال فيسألهم الله عز وجل: وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جني؟ قالوا: لا. أي رب! قال: فكيف لو رأوا جني؟ قالوا: ويستحيونك. قال: ومن يستحيونني؟ قالوا: من نارك. يا رب! قال: وهل رأوا نارتي؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا نارتي؟ قالوا: ويستغفرونك. قال فيقول: قد غفرت لهم. فأعطيهم ما سألوا وأحرقهم بما استجاروا. قال فيقولون: رب! فيهم فلان. عد خطاء. إنا بر فعلنا معهم. قال فيقول: وله غفرت. هم القوم لا يشقى لهم جليسه». [الإمام مسلم - صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل محاليس الذكر الحديث رقم: ٢٥ - (٢٦٨٩) وذكره العلامة النووي في شرحه لمصحيح مسلم ج ٦ ص ١٧/١٥١]

كل منهما، متى كان صحيح العربية، سليم الملكة، يستوى في ذلك التعرف على أصول الكلمة إعراباً وبناءاً<sup>(١)</sup>، أو بنية وسلامة وإعلالاً<sup>(٢)</sup>.

كما أن علم التفسير وعلم الأصول كل منهما يطلع القارئ على جمال ما يقوم به، فعلم التفسير يتحدث عن الدقائق المتعلقة بالقرآن الكريم، من أسباب النزول إلى قصص القرآن وأحكام الشريعة، وقبل ذلك التعرف على أجزاء العقيدة<sup>(٣)</sup>، وعلم الأصول يكشف عن القواعد الكلية التي تطبق على الجزئيات في الفروع<sup>(٤)</sup>، وكل مطلع على ذلك يلمس هذه النتائج بشكل أو آخر، وعلم الحديث الشريف كذلك.

ولا يفرج علم الحساب والهندسة، أو علم الكيمياء والميكانيكا عن هذه المسائل، فكل علم منها يمكن تطبيق نتائجه في الواقع العملي، ويدرك الناس نتائج ذلك في أشكال مختلفة، تحقق كلها نتائج إيجابية لصالح الفرد والمجتمع الذي يعيشون فيه.

لكن الفلسفة أبحاث خيالية، وتحرك في أنحاء الوجود محاولة التعرف على المادة الأولى التي نشأ عنها الكون، مع أن ذلك ليس بإمكان أحد أن يقول فيه شيئاً<sup>(٥)</sup>، للنهي الوارد عن ذلك في قوله تعالى: ﴿إِذَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالُوا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنَّا بِمُتَذَكِّرِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

❖ **يقول العلامة ابن كثير:** « يقول الله تعالى مخاطباً إياهم: هؤلاء الذين إنخذعواهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم لا يملكون شيئاً ولا أشهدهم خلق السماوات والأرض ولا كانوا إذ ذاك موجودين يقول تعالى أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحدي ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير

(١) الإعراب والبناء من موضوعات علم النحو؛ لأنه الذي بهتم بمعرفة أواخر الكلمات العربية المستعملة من ناحية ضبط أواخرها .

(٢) ذلك دور علم الصرف؛ لأنه الذي يعنى بالكلمة العربية من حيث السلامة والإعلال، ولا شك أن علم النحو والصرف يحسك كل منهما بطرف قميص الآخر، حتى يسيرا معاً في اتجاه واحد، يؤدي للعربية خدمات جليلة.

(٣) الدكتور صابر محمد أبو صيرة - علم التفسير ومدارسه ص ٣٥ - طبعة دار الطباعة ١٩٦٧ م .

(٤) الشيخ نصر الدين محمد أبو اليسر - دراسات في أصول الفقه ص ٥١ ط أولي ١٩٥٧ م .

(٥) الدكتور هبة محمد حسن أبو مسلم - الفلسفة الإسلامية في المشرق ص ٥٤ .

(٦) سورة الكهف - الآية ٥١ . وراجع تفسير الآية للإمام ابن جرير الطبري - جامع البيان ج ١٥ ص ٢٦٣ .

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له الآية ولهذا قال وما كنت متخذ المضلين عضداً قال ملك أعواناً»<sup>(١)</sup>.

كما أنها في نظرية أو مبحث المعرفة تحول الفقر على الفطرة، فتجادل بغير حق، ويحاول أصحابها تنصيب أنفسهم فوق النقل المنزل<sup>(٢)</sup>، مع أن الله تعالى قطع ذلك كله بقوله عز وجل: ﴿والله أخرجكم من بطون أهباتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام الفخر الرازي: «أن ذكرها هنا تنبيهاً على دققة لطيفة، كأنه تعالى قال: أعطيتكم هذه الإعطاءات الثلاثة - السمع والأبصار والأفئدة - مع ما فيها من هذه القوى الشريفة، لكنكم ضيعتموها، فلم تقبلوها ما سمعتموها، ولا اعتدتم بما أبصرتهم، ولا تأملتم في عاقبة ما عفتتموها، فكأنكم ضيعتم هذه النعم، ونسيتهم هذه المواهب. فلهذا قال: ﴿فليلا ما تشكرون﴾ وذلك لأن شكر الله تعالى هو أن تصرف هذه النعمة إلى وجه رضاء، وأنتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل، لا إلى سب مرضاته، فأنتم ما شكرتم نعمه البتة»<sup>(٤)</sup>.

أما بحث الفلسفة عن القيم فهو أسوأ من سابقه؛ لأن القيم التي تدعو إليها الفلسفة من الخير والجمال والعدل والحق مثلاً، لا تفرج عن كونها أنشطة ذهنية في اتجاهات شخصية ذاتية، فهذا قد نشأ عنها لذاته، من ثم فهو يعتبر أن الحق ما يكون معه وحده، كما يعتقد أن الحق هو ما ينطلق به، بغض النظر عن كونه صحيحاً أو باطلاً. حقاً في واقعه، أم زور ومختار؛ لأن النسبية في المنافع تكون هي السائدة، وذلك لا يمثل قاعدة عامة<sup>(٥)</sup>.

ولا يختلف الحق عندهم عن الجمال من حيث النسبية والذاتية، فالدمانة مثلاً قد تكون لدى بعضهم مذمومة، بينما تكون الدناءة عند البعض محمودة على جهة القصد، وقس على ذلك كل ما يقال عن الجمال بالمعنى الفني عندهم، أو المعنى المنطقي لدى غيرهم، فإذا انحرفوا هذه النظريات، ثم أصدروا فيها نتائج فأناك لا تجد واحداً منهم يتفق مع الثاني فيما انتهى إليه<sup>(٦)</sup>، ومن ثم فكل قضايا الفلسفة ونتائجها غير قابلة للتطبيق في الواقع العسلي، ولا يثبتك مثل خبير.

(١) الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ٣ ص ٩٠.

(٢) الدكتور حسن محمود قطب - الفلسفة بين الأنصار والمحسوم ص ٣٥ ط أول ١٩٧٣ م.

(٣) سورة النحل - الآية ٧٨.

(٤) الإمام الفخر الرازي - مفاتيح الغيب - ج ١ ص ٦٧.

(٥) الدكتور هنية محمد حسن أبو مسلم - الفلسفة الإسلامية في المشرق ص ٥٧.

(٦) الدكتور حسن محمود قطب - الفلسفة بين الأنصار والمحسوم ص ٤٣.

أجل هذا الدليل قد جاء ظاهره على ناحية فنية مستوفية جوانبها، لكن طبيعته ترتد إلى ظواهر أدلة سبق عرضها ومناقشتها، أو بعبارة أخرى مضمون هذا الدليل قد سبق ذكر مضمونه في بعض أدلة القائلين بالتحريم، باعتبار أن تعلم الفلسفة حرام؛ لأنها لا تقدم نفعاً، ومن ثم يمكن اعتبار مناقشة دليhle هناك كافية هنا أيضاً<sup>(١)</sup>.

لكن لما كانت أجزاء الدليل الذي معنا قد ركزت على النظريات الفلسفية، فقد صار من الضروري مناقشته على النحو التالي:

❖ الفلسفة أبحاث، كالحال مع كل علم من العلوم لما طبيعتها وخصائصها، وبالتسالي فتطبق نتائجها لا يكون إلا من ناحية تلك الخصوصية، بمعنى أنه كما لا يمكن تطبيق قواعد النحو على علم البلاغة مثلاً، ولا قواعد البلاغة على علم الصرف، ولا الصرف على الفقه أو الأصول، فلا يمكن كذلك تطبيق قواعد علم أى منها على الفلسفة ولا العكس<sup>(٢)</sup>؛ لاختلاف موضوعات كل علم عن الآخر، واختلاف النتائج أيضاً.

❖ بد أن الفلسفة مهمتها ليست منعصرة في إبراز النتائج العلمية. وإنما تبذل جهودها في وضع الأسس الصحيحة التي تبرز بعدها النتائج السليمة، إذ ليس من المعتقد أن تظهر نتائج سليمة من غير أن تقوم على أسس صحيحة<sup>(٣)</sup>، وبالتالي فالنتائج العملية هي الدالة على كونها قائمة على أسس فلسفية. وليس العكس.

❖ جد أن الفلسفة في بعض الأحيان تكون مهمتها وضع العلامات الإرشادية للسانرين في طريق الأبحاث العلمية، حتى لا يضل الباحث في الضياع، أو يغرب في المهاوى. إنها حينئذ تكون أقرب شبيهاً بعلامات المرور، التي نعرفها في وقتنا الحاضر، وهي تصدر ألواناً مختلفة لكن لون منها ميزة خاصة وطبيعة متفق عليها<sup>(٤)</sup>، بل هي متواضع من الناس حول فوائدها، فاللون الأخضر للسماح بالسير، نظراً لخلو الطريق من الموانع. والأصفر للاستعداد في ابتداء السير؛ لأن الطريق يوشك أن يكون مسهياً لذلك. أما الأحمر فإنه لا يسمح بالمرور أه السير، بل إنه يؤكد وجود خطر في الطريق مسن أى نوع كان.

(١) راجع هذا الدليل فيما سبق دراسته على ناحية من النواحي.

(٢) راجع كتابنا: رياض الأشراف في الميافيريس والأدراك ص ٨٥.

(٣) راجع كتابنا: الخنث في منطق الحديث ص ٢٨٣.

(٤) راجع كتابنا: الغراليات و منطق التصورات أنها. الحديث عن الأعلام وعلاقتها بالنوع. وكذلك أثناء الحديث عن الدلالة وأنواعها.

والفلسفة في رحلتها الطويلة كانت مهامها متعددة، فهي إن وضعت الإشارات التحذيرية، فقد قعدت لنتائج أفادت منها البشرية؛ لأنها تفصل بين ما فيه الخطر، وما فيه السلامة، بين ما فيه المسلحة لأفراد المجتمع، وما فيه المفسدة، وذلك مما يؤكد ارتباطها بالواقع العملي على ناحية من النواحي المأمونة<sup>(١)</sup>.

ثم إن نظريات الفلسفة كالوجود مثلاً، إنما يحاول بحث مسألة نشأة الكون في الفلسفة على ناحية الفكر الإسلامي، للتعرف على الخالق العظيم جل علاه، إذ ليس من المعقول أن يخلق الكون نفسه<sup>(٢)</sup>، وأن يخلق الخالق العظيم ثم يتحلى عنه. كما ذهب إليه أرسطو ومن يوافقه<sup>(٣)</sup>.

وبالتالي فيبحث الوجود ينتهي إلى نتائج إيمانية، وهي أن الكون مخلوق لله تعالى، وأن العناية والمحافظة على ذات الكون لا تكون إلا من قبل الله تعالى<sup>(٤)</sup>، ولذا عرف الجزء الأول من هذا البحث بأنه دليل الاختراع<sup>(٥)</sup>. بينما التالى عرف باسم دليل العناية<sup>(٦)</sup>، ولما كان الكون يهدف إلى غاية بعينها، فقد عرف باسم دليل الغاية<sup>(٧)</sup>.

والأدلة الثلاثة هي من أروع أدلة المنسلفة الإسلامية لإثبات وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وإرادته، وقد أفاض في بيانها علماء أهل الإسلام، وبخاصة قاضى القضاة ابن رشد في كتابه مناهج الأدلة، وكذلك فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال.

❖ أما نظرية المعرفة، فإن الفيلسوف لا ينظر إليها على أنها فتر فوق نصوص الشرع، أو محاولة التسلط عليه. أما لماذا؟

فلأن المفكر أثناء بحثه في نظرية المعرفة، إنما يتحدث عن مصادرها:

- (١) الدكتور عبدالسلام محمد سلامة - الفلسفة وخدمة المجتمع ص ٥٣ ط أول.
- (٢) هذا الفرض باطل بالضرورة العقلية أو إلا لزم أن يكون الفاعل هو المفعول في ذات الوقت، وذلك قول غير مستقيم، وانتهى غير - لهم.
- (٣) ذهب إلى ذلك فلاسفة اليونان القدماء، كما مال إليه أرسطو الذى انتهى إلى أن العالم هو الذى يتحرك غير الله تعالى من خلال الحركة الشوقية، التى يقوم بها العالم ناحية الله جل علاه.
- (٤) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّه كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة فاطر - الآية ٤١]
- (٥) راجع ما كتبه فيلسوف فرقة الأغر ابو الوليد بن رشد، بخصوص دليل الاختراع، فتستد ذلك من علامات المنسج الفلسفى لدى المفكر المسلم.
- (٦) دليل العناية من الأدلة العلمية التى ذهب إليها الفلاسفة من أهل الإسلام.
- (٧) دليل العناية أو الدليل العائى من أبرز الأدلة التى تخص إليها فلاسفة الإسلام، وأثبتوا بذلك أهم أهل السن والخبرة مع الابتكار في القضايا الفكرية التى عاينوها.

وبقدم تصوراتها لكل مصدر أو وسيلة للمعرفة، ونصوص القرآن الكريم ذخيرة بالحديث عن هذه المصادر، فلا يعتبر الحديث عنها من الفيلسوف، خروجاً على المؤلف، ولا قفراً فوق المعروف الشرعية، بل يمكن القول بأن الفلسفة في هذا الجانب، تنفذ تعليمات الله رب العالمين في التأمل الدائم للملكوت كله بقدر الطاقة البشرية (٢).

وكذلك نظرية القيم، فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد تحدثت عنها من كل ناحية الحق (٣)، الخير (٤)، الجمال (٥)، فالحق اسم من أسماء الله الحسنى. قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (٦). وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧). وقال أيضاً: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقَّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِ اصْرَفْتُمْ عَنْهُ﴾ (٨).

(١) راجع في هذا الشأن كتابنا: نظرية المعرفة عند ابن رشد ص ٩٨، وكذلك للدكتور فؤاد عبدالباقى - مقالات في أصالة الفكر المسلم.

(٢) الدكتور حسن محمود قطب - الفلسفة بين الأنصار والمخسوم ص ٧٣.

(٣) وردت مادة الكلمة ح في في القرآن الكريم ثلاثاً مرة، وقد تكلل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ببيان مواضعها في السور والآيات القرآنية. [ راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ص ٢٠٨/٢١٢ ].

(٤) وردت مادة الكلمة ح ي ر في القرآن الكريم ثلاث مرات ومائتين. [ راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ص ٢٥١/٢٤٩ ].

(٥) وردت مادة الكلمة ح م ل في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة. [ راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ص ١٧٧ ].

(٦) سورة الأنعام - الآية ٦٢ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَفْوَاهُ يَتَّبِعُونَ مَا نَزَّلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَخَلْفَهُمْ سَوَاءٌ مِمَّا نُزِّلُ لَهُ الْحُكْمُ فَقُولُ لَهُ الْحُكْمُ وَتَقِضْ دُونَ مِنْ سَوَاءٍ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ يَقُولُ وَهُوَ أَسْرَعُ مِنْ حَسَبِ عِدَّتِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَأَحَالِكُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِكُمْ أَنَّهُ السَّامِعُ وَأَحْصَاها وعرف مقاديرها ومآلها لأنه لا يحسب بعقد يد ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه حافية ولا يمسزب عنه متفائل ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين. [ الطبري - جامع البيان ج ٧ ص ٢١٨ ]

(٧) سورة يونس - من الآية ٣٠.

(٨) سورة يونس - الآية ٣٢. يقول الحافظ ابن كثير: «فماذا بعد الحق إلا الضلال أي فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له فإن تصرفون أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه السرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء» [ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤١٧ ]

ولما كان الحق من أسماء الله الحسنى وصفاته العظمى، فإن التعرف عليه من الناحية الفكرية أو العقلية، لا يعيب الفلسفة، بل كان الأول أن يكون هذا الاهتمام مثار تقدير، ثم إن الحق الذى تبحثه الفلسفة كقيمة من القيم الإيجابية هو الذى أشارت إليه النصوص الشرعية من اعتبار الحق أحد البهيات، التى لا يختلف عليها اثنان من العقلاء، وليس الحق النسبى الذى يمسك بظرف منه كل خصم زاعما أنه له<sup>(١)</sup>. لأن ذلك ليس من طبيعة الفلسفة التى تشترط على دارسها عدم التعصب للرأى، وضرورة التخلّى عن الموروث انفاً.

ثم ولا يخرج بحث الخير لدى الفلاسفة عن الفعل الإنسانى الذى يمارسه الإنسان طوعاً<sup>(٢)</sup>، لما هو معروف من أن الفعل الإنسانى يأتى على صور ثلاثة:

❖ **أفعال إرادية:** وهى التى تصدر عن الإنسان بإرادة منه واختيار لها ويكون مسئولاً عنها مسئولة كاملة كالأكل والشرب والجماع<sup>(٣)</sup>، وما كان من هذا القبيل.

❖ **أفعال لا إرادية:** وهى التى تصدر عن الإنسان، أو فى داخله من غير إرادة لها، ولا اختيار كسريان الدم فى جسمه، والرعشة من الخوف، وحركات النائم والجنون، وما كان داخلها فيه<sup>(٤)</sup>.

❖ **جد أفعال بينهما:** وهى أفعال تصدر عن الإنسان، فيكون فيها جانب من الإرادة، كحال من هو بين النوم واليقظة، وهو أعيد ذهناً. ومن يصارع دوامة المرض، كارتفاع درجات الحرارة العال والضعف المرتفع ومريض الإجهاد الخلى<sup>(٥)</sup>.

فالفلسفة حين تبحث عن الخير، إنما تعمل على توجيه الإنسان فى أفعاله الإدارية إلى ما هو خير له كفرد داخل المجتمع الإنسانى، وإن ما هو خير له، كعضو من أعضاء المجتمع الذى يعيش فيه ككل نباته وجماده وحيواناته، ولأنك أن هذا الخير مما دعا إليه الشرع الشريف وحسب فيه، وطالب به<sup>(٦)</sup>، إذن الفلسفة لا تنفرد على أكف النقل المنزل، وإنما تسعى للاسترشاد به.

(١) راجع كتابنا: زياض الأخلاق والمجاهدين والأخلاق ص ٩٣.

(٢) راجع تفاصيل ذلك فى الفعل الإنسانى بين المتكلمين والفلاسفة والأخلاقين (رسالة ماجستير) للزميلة ستر عبد الرحمن عبده.

(٣) انذكتورة هان محمد رزق - الفعل الإنسانى بين الخير والاختيار ص ٩٧ ط ١/٩٨١ م.

(٤) الدكتور وفين عمود تروت - الإنسان فى الكتب السماوية ص ٤٥.

(٥) هذه الصورة مما قد يجعلها بعض الدارسين عرض عن التنوع، بينما ينظر إليها البعض الآخر على أنها أمر ضرورى، حتى يكون التنوع معتدلاً، وقد ساءت أصحاح الأخلاق التى نطى أن الأرحم.

(٦) راجع كتابنا: لماذا انتشر الإسلام ص ٢٠٧.



أضف إلى ما سبق أن الفلسفة الإسلامية لما كانت عملاً عقلياً، و صورة من صور الاجتهاد الفكري على ناحية من النواحي المشروعة، فإن الاختلاف بين المفكرين - بحكم تكويناتهم الذهنية ومعارفهم العلمية - يعتبر ضرورة من الضرورات التي تفرضها العوامل المختلفة، ولا يعتبر ذلك عيباً في الفلسفة ولا قدحاً في الفلاسفة<sup>(١)</sup>، أو عائقاً عن تطبيق نتائجها في الواقع العملي.

### الدليل السابع: صناعة يعجز عنها الكثيرون

#### لـ عرض الدليل

ادعى خصوم الفلسفة أنها لا تخرج عن كونها صناعة عقلية، فيها التزجر الفكري، على ناحية تبدأ من البحث في المحسوسات القريبة أو البعيدة، ثم تخطو سلم البحث من الأكبر إلى الأقل أو الأصغر، حتى تنتهي إلى أقل المحسوسات تركيياً وبناءً<sup>(٢)</sup>.

ثم تبدأ في بحث العقولات، آخذة في حسابها العقولات الأولى والمقولات الثانية، وذلك يستلزم ضرورة الانتقال من الجوانب الفيزيائية إلى المعارف الميتافيزيقية، أو الانتقال من عالم الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة بسرعة فائقة، يقع فيها الاضطراب المستمر مع التوالى<sup>(٣)</sup>.

بناء على ذلك فهي صناعة نظر وعقل، كما هي صناعة فن وتأليف لقضايا فارغة، فيها الكلفة والعسر، بقدر ما يميلان فيها من المشقة والعسر، وهو مما يحكم عليها بأنها أمور غير ممكنة، ولا مكان لها في كل العقول.

بل إن الفلسفة لذلك تعتبر من التكليف بما لا يطاق؛ لأنها لا تستوى أمام كل الناس، ومحاولة إلزام كل الناس بها، يدخل في دائرة التكليف المرفوضة، ولما لم يجعل الله تعالى دراسة الفلسفة من التكاليف الشرعية، فقد باتت أمراً حراماً؛ لأن التكليف بما لا يطاق محرم في شرع الله تعالى<sup>(٤)</sup>. أما لماذا؟

فلأن المؤمن بالله تعالى - لو كلف بما لا طاقة له في تنفيذه - فإنه يشعر بخيبة أمل ناشئة عن العجز المطبق عليه<sup>(٥)</sup>، وبالتالي تلعب به خواطره، وتهزم بداخله عواطفه، فيعيش داخل جملة من الأحلام والكوابيس القاسية، بل وتداعب طيف خيالاته المفاهيم العرجاء الشهواء، وقد يؤثر ذلك كله على فهمه لبعض النصوص الشرعية على ناحية بعينها.

(١) راجع كتابنا: رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق ص ٩٨.

(٢) الدكتور حسن محمود قطب - الفلسفة بين الأنصار والمخسوم ص ٣٨.

(٣) الدكتورة هنية محمد حسن أبو مسلم - الفلسفة الإسلامية في المشرق ص ٧١.

(٤) الشيخ منصور محمد منصور - العقيدة والأحكام الشرعية ص ٩٧.

(٥) الدكتور فوزي محمد حسن أبو حجاج - معالم الفكر الفلسفي ص ٩٧.

وربما أصابه النظر في الفلسفة بالشك في النقل المزل أو بعض نصوصه، إذ كيف يستوى تكليفه بما لا يطاق - متى كان صاحب عقل لا يدرك المفاهيم العالية - مع قول الله تعالى: ﴿لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم إن هناك فروقا فردية تنمي بين الأفراد والجماعات، كما تنمي بين الأجناس البشرية والمستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية<sup>(٢)</sup>، أو تقع داخل الفرد الواحد، وكلها تمنع أن تكون الفلسفة صناعة مشتركة بين الجميع. أما كيف؟

#### فلان الفروق الفردية أنواع:-

١- الأول: ما يكون بين الأفراد: ويعرف بأنه ما ينتج به كل فرد، من مواهب واستعدادات ذهنية وميول، ودوافع وعادات وأساليب استجابة، وحاجات انفعالية، تتعلق كلها بميول شخصية<sup>(٣)</sup>، وهي ظاهرة عامة؛ لأن كل إنسان إنما هو كائن فريد، متميز بذاته، فهو إن تشابه مع الآخرين في بعض النواحي، إلا أنه يختلف عنهم فيسا يميزه عن غيره، كما أن الشخصية هي البنية الكلية الفريدة للسمات، التي تميز الشخص عن غيره من الأفراد، والمتشاكلين معه في بعض الخصائص<sup>(٤)</sup>.

٢- الثاني: ما يكون بين الجماعات: ويعرف بأنه ما يقع في بعض الأفراد على سبيل التشابه والتشارك، بحيث يميزهم عن غيرهم من الجماعات الأخرى، كالحال في الفروق التي تقع بين الجنسين، والفروق التي تقع بين الأعمار، والفروق بين الأجناس البشرية والمستويات الاجتماعية<sup>(٥)</sup>، فهي

(١) سورة البقرة - من الآية ٢٦٨. يقول العلامة ابن كثير - رحمه الله - : «قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي لا يكفل أحدا فوق طاقته، وحد من لطفه تعالى خلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم، وهذه هي الناحية الراقية، لما كان أشق منه الضحاية في قوله: ﴿وإن تدبوا ما في أنفسكم أو تحفوه بحاسبكم به الله﴾ (سورة البقرة - من الآية ٢٨٤)؛ أي هو وإن حاسب وسأل لئلا يعذب إلا بما تملك الشخص دفعه، فأما ما لا تملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها، فهذا لا يكفل به إلا الله - وكراهة البرسوسة السيئة من اللسان». [العلامة ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٤٢ - المكتبة التوفيقية]

(٢) راجع كتابنا: رياض الأخلاق في المنهاجيين والأحرار ص ٩٧ وكنا غدوة المشتاق في ربوع الأخلاق ص ٨١.

(٣) الدكتور جورج بوسان - الفروق الفردية ص ١٣ - ترجمة ناصر فريد - ط ١٩٧١ م.

(٤) الدكتور فؤاد أبو حطب - القدرات العقلية ص ٣٧ ط ٢ - الأجلو المصرية ١٩٩٦ م.

(٥) يذهب البعض إلى أن الفروق بين الأجناس البشرية، إنما تدخل في إطار الفروق بين الجماعات، بحيث يكون صورة صوره، بينما يذهب آخرون إلى أن الفروق بين الأجناس البشرية، كالفروق بين المستويات الاقتصادية والاجتماعية، تعبر عن نفسها كظواهر مستقلة، ويرى غيره أن هذه الفروق لابد أن تستغل كل مجموعة منها بنسبها، بحيث تمثل وحدة ذات كيان نفسي خاص، أو كيان اجتماعي ونفساني ذات طبيعة متعصبة عن غيرها، ولكل وجهة. [راجع تفاصيل ذلك في: الجماعة الإنسانية، والفروق الفردية لوليم هارفي - ترجمة وفاء صبحي، والقدرات العقلية للدكتور فؤاد أبو حطب، والاتجاهات النفسية في دراسة التجمعية السوية للدكتور مايرز مارس وآخرين ترجمة نظمي مسواد وغيرهم]

فروق فردية، باعتبار أن هذه الجماعات ما هي إلا أفراد تلاقت على ما يجمع بينها جميعا في أغلب الخصائص والسمات.

❖ **الثالث: الفروق داخل الفرد الواحد:** ويعبر عنه بأنه ما يكون داخل الفرد الواحد من قدرات تتمايز بعضها عن بعض، كالذكاء والمهارات، من خلال التخطيط النفسي للقدرات، حيث تظهر تلك الفروق بين ضعاف العقول، الذين قد يظهرون أنماطا من التوافق الاجتماعي تثير الدهشة، كما تظهر في العبارة الذين تبرز فيهم القدرات العقلية في جانب منها، على أعلى مستوى، أما في جانب تذكر الأشكال البصرية، فإنها تكون متوسطة<sup>(١)</sup>.

إذن وجود الفروق الفردية يؤكد أن الفلسفة صنعة يتمكن منها البعض، ولا يتسكن منها آخرون، ومثلها لا يكون مقبولا، بحيث تصدر أحكام شرعية تسمح بممارسة ذلك النوع من التفكير، على المستوى الإنساني، حيث كان من نتائج التعامل معها بالنسبة لمن لديهم قدرات عقلية متوسطة وقوعهم في الضلال، كالحال مع أصحاب الوجودية الملحدة، وأصحاب الوضعية الاجتماعية والمنطقية، بل والوضعية الطبيعية أيضا، الذين وقعوا جميعا في الإلحاد، وهم يظنون أنهم في أعلى درجات الإيمان.

#### ١٠ مناقشة الدليل

أجل الفلسفة صناعة فيها الكثير من المهارة، إن لم يكن أعلى درجات المهارة، ولذا لم يمارسها إلا أصحاب التفكير العقلي العالي القادر على الإبداع، والقدرات المتميزة؛ لأهم المنوط بهم تحريك المياه الفكرية الراكدة من المحيط الثقافي والعلمي الواسع، بحيث يظهر الأصداف والآلئ، وكان مفكر الإسلام أول من مارس هذا النوع من التفكير في أعلى مستوياته، مخاطبا سياج من الشرع الشريف، وهو الذي شهد به الخصوم قبل الأنصار، يقول ترنند: «إن أعظم ما خلفه المسلمون للفكر الأوربي هو أعمال فلاسفتهم»<sup>(٢)</sup>.

حتى إن الأوروبيين جأوا إلى العلوم والمعارف بجانب الآداب الإسلامية ينهلون منها؛ لأن الفلسفة أبانت لهم عن شيء من جلالها الفاتن، فانتقلوا إلى كل ما هو إسلامي، بغية الظفر بما فيه من معارف تضيء فيها الميتافيزيقا التأملية على استحياء، أو النقدية في شيء من السفور، والفلسفة الإسلامية بوجه عام، ولكن تحت ستار خفيف.

❖ **يقول المستشرق جيب:** «لا يستطيع أحد إنكار ما يمتاز به آداب الجنوب الأوربي من انبساط وخيال خصب، يرجع إلى تأثير تلك الآداب بالمؤثرات العربية، كما يرجع إلى ما خلفته الثقافة

(١) الدكتور فؤاد أبو حطب - القدرات العقلية ص ٤١/٤٠.

(٢) المستشرق ترنند - نرات الإسلام ص ٥٥ ترجمة خالد عبدالمعظم ١٩٦٧م.

العربية من أثار في أهل الأندلس»<sup>(١)</sup>، وقد انتقلت منهم إلى باقي أوروبا على أيدي الرواد الأوائل، الذين كان لهم ولع بها، ورغبة شديدة في الاستفادة منها.

● **ويقدر المشتشرق لويون:** «أن العرب هم الذين ابتدعوا روايات الفروسية في الأدب»<sup>(٢)</sup>، وقد تأثر بهم الأدب الأوربي إلى حد تجاوز فيه الحكاكة إلى النقل المباشر عن طريق الترجمة، وقد أدى ذلك كله إلى مولد النهضة الحديثة في الغرب، مما يدل على مدى تأثير الثقافة العربية الإسلامية على الثقافة الغربية<sup>(٣)</sup>.

ولما كانت الفلسفة صنعة خاصة، فم يطلب من كل الناس أن يكونوا فلاسفة، وكيف تعاب به الفلسفة، وكل العبارة في العلوم المختلفة كانت الفروق الفردية عندهم شيء لصالح أغلب الفنون والعلوم، لكنها كانت شيء في فن واحد. ضعيفة لا تكاد تبين عن نفسها<sup>(٤)</sup>. فالإمام السيوطي الذي ضرب في كل فن بيد قوية وحظاً فيه بخطوات الثقة، تحدث هو نفسه فقال: «من علم إلا وكانت له معه تداخلات، إلا غم الحساب، فإذا دخلت إلى مسأله ولو في أبسطها وجدتها على عسيرة كأنني فيها أقل جيلًا»<sup>(٥)</sup>.

وهناك الكثير من العلوم والفنون قد برع في بعضها البعض، إلى حد التميز الواضح، ولكنهم في نفس الوقت لم يبرعوا في غيرها. كما أن بعض الأفراد يتمايزون في بعض المصالح، ولا يتمكن من بعضها الآخر في حدوده الدنيا، ولم ينهم العلم بأنه صنعة يعجز الكثيرون عنها فيعاب به<sup>(٦)</sup>، كما لا يتهم العلماء بأنهم أخفون في علم غير العلوم التي أتقنوها، ألا تكون الفلسفة هي الأخرى داخلية في هذا النطاق، ولا تعاب به. أم أن الخصومة فرضت على أصحابها التبرص للفلسفة وحدها، والرغبة في الكيد لمباحثتها عنى وجه الحفصوص؟!

(١) المشتشرق جب - تراث الإسلام ص ١٩٢.

(٢) جوستاف لويون - حجارة العرب ص ٧٤ ترجمة الأستاذ محمد عبد الوهاب.

(٣) راجع كتابنا: خواطر حثينة في الفلسفة الحديثة ص ٣١٥ وكتابنا: قضايا حسنة في الفلسفة الحديثة ص ٣٧.

(٤) مرع ذلك إلى طبيعة الفروق الفردية داخل الفرد الواحد، وهذا من الشواهد على قدرة الله تعالى، ولم تأمله باحث منصف، لأدرك نعمة الله تعالى في خلقه.

(٥) الشيخ محمد نصر الله - السيوطي وثقافته ص ٥٣ - ١٩٥٧م. وراجع للإمام السيوطي: صون المنطق والكلام عن من المنطق والكلام - مقدمة الجزء الأول - تحقيق د: هشام والدكتور سعاد عبدالرازق.

(٦) راجع كتابنا: رياض الأشراف في المنهاج بين الأخرى ص ٨٧.

ثم إن الفلسفة من أوائل عهدها، سواء أكانت لدى اليونان في الماضي، أم عند المسلمين قد اشترطت على من يحاول التفلسف أن تكون لديه ملكات واسعة، وقدرات عقلية متميزة، وكان فيثاغورث قد كتب على باب أكاديميته: لا يدخل عندنا من لم يكن رياضياً<sup>(١)</sup>.

﴿ربما يقال: إن في الفلسفة تكليفاً بما لا يطاق، وهو قول في غير موضعه. أما لماذا؟﴾

فلأن الفلسفة ليست نوعاً من التكليف، حتى تقع في دائرة الحكم عليها بما يطابق أو لا يطابق<sup>(٢)</sup>، ولكنها عمل عقلي، وصناعة فنية يمارسها من يجد لديه القدرة على ذات الممارسة، وينطبق ذلك على كل العلوم النظرية والتطبيقية، إذ ليس كل الناس فقهاء أو شاعراً، أو علماء قراءات، وإنما يمتاز بعضهم عن غيرهم في بعضها، بينما يكون في البعض الآخر أقل إنتاجاً أو تنهما وإبداعاً<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الحال في كل العلوم التطبيقية، وهي كلها من العلوم التي أبدع فيها العقل الإنسان، على سبيل الإقبال والاهتمام، لا على سبيل التكليف الشرعي، وإلا ما ظهرت مسألة حرية الإرادة، التي برزت في الفكر الإسلامي، ومذهب حرية الإرادة الذي ظهر في الفلسفة الخلقية بعد ذلك<sup>(٤)</sup>.

كما أن طبيعة الفلسفة ليست كطبيعة السلع التي يلجأ إليها كل من يجد لديه القدرة على امتلاكها، أما أقرب ما يكون شبهها بالعملة النقدية المرتفعة القيمة، التي تمثل نوعاً من الامتياز بالنسبة لمن يمتلكها، لا على الناحية الأدبية فقط، وإنما على الناحية العلمية أيضاً، وذلك لا يقدح فيها، وإنما يجعلها موضع التقدير.

أما الزعم بأن الفلسفة قد توقع بصاحبها في حبات الشك المتعلق ببعض النصوص الشرعية، فذلك أمر لا جدال في إنكاره، ولا يمكن قبوله؛ لأنهم قد يودى البحث الفلسفي إلى تقدم وجهات

(١) الدكتور مرزى محمد التماري - الفلسفة الفيثاغورية ص ٥٣ / ١٩٤٥ م راجع للدكتور حسن محمد حسن - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٧.

(٢) راجع كتاب: رياض الأشراف في المتافيزيقا والأخلاق ص ٨١، وكتابنا: المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية ص ٣٥١.

(٣) الدكتور حسن محمود قطب - الفلسفة بين الأنصار والخسوم ص ٨١.

(٤) Egre: Op. Cit, P 809 وراجع كذلك De Wuif: Op.Cit.T.L.P.113، وكان القديس أوغسطين من أكثر الفلاسفة المسيحيين، الذين كانت لأرائهم حول حرية الإرادة والمذهب الإرادي في الفلسفة المسيحية وعلاج مشكلة الشر أهمية في الفكر المسيحي، لأنه قام على أساس حرية الإرادة الإنسانية في تمييزه، وعلى أساس تمسك المسيحية بقدر الإله العظيم، ومحاولة التوفيق بين الله تعالى وقدرته المطلقة من ناحية، وبين الشر القلبي في العالم من ناحية أخرى، حيث أمكن لأوغسطين أن يقدم وجهة نظره في حل هذه المشكلة عن طريق التفرقة بين الطبيعة التي زود بها الله الفرد نفسه، وإرادة هذا الفرد، فطبيعة المخلوقات كلهم طبيعة طيبة وخيرة، ولكن إرادتهم فقط هي التي يمكن أن تكون شريرة. [ راجع Egre: Op. Cit. P.809 ]

نظر مدعومة في تفهم النقل المثل، وذلك لا يمثل إلا نوعاً من الاجتهاد الفكري في تفهم النقل المثل، وهو مما تمدح به الفلسفة لا تدم؛ لأنها حولت أصحابها من مقلدين تابعين إلى مجتهدين مبرزين.

وفي تقديرى: أن الفلسفة لم تدفع أحداً إلى ممارستها على ناحية شرعية، حتى يقال: إنها تمثل تكليفاً بما لا يطاق، وإنما ينحذب إلى الفلسفة الإسلامية من يرى فيها رغبته، ويجسد في مباحثها إشباعاً لقدراته العقلية، ومسيرة لأحكام الشريعة الإسلامية، أما انطلاقه إلى الفلسفات الأخرى، فليس إلا من باب المعرفة التي لا تضر بناء على أن المفكر المسلم لا يخرج على ما رسمته الشرعية الإسلامية القراء.

على أن ما أورد الالتفات إليه هو أن القائلين بتحريم دراسة الفلسفة على ناحية الأدلة العقلية أو الشرعية، إنما كانوا ينظرون إلى المنتج الفلسفي، الذي يحمل الشبه والضلالات، كالتى نفسي، في الفلسفة الباحثة عن الله تعالى، وليس على الفلسفة المستدلة على وجود الله تعالى.

# الفصل الثالث

أمانة تعلمها  
وجوبا أو إباحة ومناقشتها

1

[illegible]



سلف الحديث عن أدلة رفض تعلم الفلسفة والاشتغال بها على الناحية الشرعية والناحية العقلية<sup>(١)</sup>، وبالتالي فقد ذلك ممثلاً لانتحاء جبهة الرفض لدراسة الفلسفة والنظر في كتبها، وكذلك تفرغ الاشتغال بها، ولكن من الموضوعية ذكر أدلة القائلين بإباحتها، ومناقشتها، حتى تستوى المسألة على الجانب البحثي. أما لماذا؟

فلأنه مادام الأمر قد تعرض لحكم دراسة الفلسفة في البيئة الإسلامية على وجه العموم، وتم تناول جهة الرفض وأدلتهم، فمن الطبيعي تناول جهة القبول لدراسة الفلسفة والاشتغال بها وأدلتهم أيضاً؛ لأنهم المشجعون عليها في البيئة الإسلامية، ثم هم المدافعون عنها<sup>(٢)</sup>، المطالبون بالتفلسف في أوسع معانيه.

وبما يقال: إن مناقشة أدلة المانعين للفلسفة على النحو الذي انتهى إلى ضرورة اعتقاد صحة دراسة الفلسفة، لما هو معروف من أنه من سقطت الأدلة التي يقوم عليها الحكم بالتحريم، فإن الموضوع يعود إلى الأصل، وهو الإباحة<sup>(٣)</sup>، وبخاصة أن أدلة المانعين قد عرضت على شكل فيه شيء من التفصيل، ومناقشتها أيضاً قد استوفت ذلك الجانب.

وبما يقال أيضاً: ألا يكفي الواقع المعاش شاهداً على إباحة تعلم الفلسفة ودراساتها، والاشتغال بها، وبخاصة أن الدراسات الأكاديمية في الجامعات الإسلامية وغيرها قد خصصت لدراسة الفلسفة قسماً له أساتذته وطلابه ومؤلفاته<sup>(٤)</sup>، وترصد الدول الإسلامية لهذا القسم المبالغ الكبيرة لعلمائه وطلابه، بل وفي كليات أصول الدين بالأزهر الشريف قسم جاء تحت هذا الاسم - العقيدة والفلسفة - وأن العطف بينهما يقتضي المغايرة؟

والجواب: أن فيما ذكر كفاية لإثبات أن الفلسفة علم مباح دراسة له، واشتغاله به، لكن عدم التعرض لأدلة أصحاب القول به فيه غمط لشأنهم، وإهدار لنوع من الأدلة التي قامت عليها قضيتهم، كما أن فيه إهمالاً لأسس عقلية وقواعد قامت على أصول عقلية. أما لماذا؟

فلأن الفلسفة نوع من الفكر، لكنه يبيء على ناحية التحرر من القيود، التي تلف أعناق غيره، كما أنها تمثل ميداناً من ميادين البحث العقلي القائم، على تفهم إشارات النقل المتزل عندنا

(١) كان ذلك شاغل الفاعلين لأول والثاني من هذا الباب الرابع، ولطالب التعرف على محتوياتهما الرجوع إليهما في مظاننا من هذا الكتاب.

(٢) راجع كتابنا: التفكير الإنسان (أسرله ومستوياته) ص ٣٥ وما بعدها.

(٣) الدكتور فوزي محمد صقر - الفلسفة الإسلامية ص ٣٥ ط ١٩٩٧ م.

(٤) في كل كليات الآداب على مستوى جامعات جمهوريه مصر العربية، يوجد قسم الفلسفة، وكذلك في كليات التربية من التعليم الأساسي، وهو من الأدلة على أن هذا القسم صار ضرورة، وبالتالي فتعلم الفلسفة يكون ضرورة الأخر.

نحن المنسبين، وهذا التفهم للنقل المتزل هو الآخر لا يخرج عن كونه لونا من ألوان الفكر الإسـلـمـي في تفهم الجانب العقلي<sup>(١)</sup>، وهو ما يستدعي ضرورة التصديق بأن الإنتاج الذهني في العلوم العقلية يتساوى مع الإنتاج الذهني في فهم النقل المتزل.

لا يقال بانعدام التساوى بينهما من حيث إن النتاج الذهني في العلوم العقلية بشرى خالص، بينما هو في فهم النقل المتزل يستند إلى أصول عقلية؛ لأن العبرة عندنا بالجهود الذهنية والتفكير العقلي التأملية، فهما من هذه الناحية يتساويان؛ لأن الذي يقوم بهما معا هو العقل التأملي<sup>(٢)</sup>، وإن كان في العلوم العقلية يمثل إنتاجا وابتكارا، بينما هو في النقل المتزل يمثل توفيقا بين النصوص، أو تأليفا بين المتشابه؛ لتحكم، أو موازنة بين صحيح العقل وصريح النقل، أو احتداد في تفهم بعض نواحي الشرع الشريف.

بيد أن الدراسة المتأنية تنتهي إلى وجود فرق مختلفة تمثل كلها جانب الإباحة لتعلم الفلسفة والاشتغال بها، وإن كان بعضها يعنى الإباحة لها على سبيل الفلسفة بالمعنى العام، بينما يلتزم بعض آخر القول بإباحتها في الفلسفة الإسلامية على وجه الخصوص<sup>(٣)</sup>.

ولكل أدلة أعرض عنها فيما يلي:

### أولا: أدلة القول بالوجوب العقل للدراسة الفلسفة والاشتغال بها

ذهب هؤلاء إلى أن الفلسفة العامة والإسلامية أو غيرها لا تخرج عن كونها تأملات عقلية واتجاهات فكرية، ومثل ذلك لا يصح إصدار أحكام دينية عليه، تتعلق بالتحريم، وإلا كان الحكم الشرعي بالتحريم منطبقا على القدرات العقلية كلها، باعتبار أنها التي تصدر عنها تأملات عقلية، وربما غالى أصحاب هذا الاتجاه، فذهبوا إلى بناء مجموعة من الأدلة تؤيد ما ذهبوا إليه.

#### أ- عرض الأدلة

#### الأول: ضرورة التفرقة بين القدرات العقلية والتوجهات العقلية

لما كانت الفلسفة تمثل نوعا من التأملات العقلية، فإن مجالها هو العقل، ومن ثم فإن الحكم عليها يكون بالنظر إلى الصادر عنها، بأنه صحيح معرفيا، أو فاسد معرفيا، إذ جهة الصحة أو الفساد، هي التي ترد على القدرات العقلية من تلك الناحية، أما الإيمان أو الكفر فذلك محله القلب،

(١) الدكتور محمد حسن عبدالعظيم - دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٥١ ط أول ١٩٦٧م.

(٢) الدكتور السيد محمد سليم - دراسات في أصول الفكر الإسلامي ص ٤٣.

(٣) راجع للدكتور محمد حسن عبدالعظيم - دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٥٧.

والفلسفة لا تتعلق بالقلب، بحيث تكون محل الإيمان أو الكفر، الاعتقاد الصحيح أو الفاسد<sup>(١)</sup>، ولما كانت الفلسفة بهذه الخصوصية، فإن العقل يوجب الاشتغال بها، فضلا عن دراستها والاهتمام بها.

#### الثاني: إنها الداعية للبحث والتأمل:

ذلك أن طبيعة الفلسفة هي الانطلاقات نحو الرموز والطلاسم المغلفة لفك شفرات الرموز، والتعرف على ما تحته مفاتيح تلك الطلاسم، بغرض الاستفادة منها، إنها تجوب أجواء الفضاء، ععلقة بمنح الأمل في بلوغ الغايات، وتحقيق الأحلام والأهداف المعلقة عليها<sup>(٢)</sup>.

فالانطلاق الفكري والتحرر من قيود النظريات البائدة، والموروثات الفاسدة، يسوق العقل إلى ممارسة البحث المتواصل، مع تكرار هذه العملية، ربما في الوقت الواحد عدة مرات، فمرة يكون الانطلاق ناحية جانب من جوانب الفيزياء، وثانية يكون الانطلاق نحو الميتافيزيقا النقدية في جلب تطبيقي أو سلوكي<sup>(٣)</sup>، ومرة أخرى تكون جهة الميتافيزيقا التأملية في الجوانب المتعلقة بقضايا العقيدة الإلهية، من ناحية ذات الباري جل علاه، وكل ذلك ينبئ على ناحية التساميل الجساد والبحث المتواصل.

ثم إن الفلسفة - في أي جانب منها - بندر ما هي داعية للبحث النظري، فهي أيضا باعثة على البحث التحريبي العملي، وهي تقدم للإنسانية فوائد جليلة ومنافع عظيمة، تبدو مظاهرها في كل أنماط الحياة سلما أو حربا، استصلاحا للأرض وإعمارا، إقامة للحضارة وإثراء<sup>(٤)</sup>، وهذه المصالح لا تبني إلا من ناحية الفلسفة، وبالتالي فالعقل يوجبها ويتمسك بها، بل ويدافع عنها.

أضف إلى ما سبق أن اتجاهات الفلسفة - بصفة عامة - لا علاقة لها بالبحث في قضايا سبق الحكم فيها على ناحية برهانية، ونصوص الدين لما كانت برهانية، فإن الفلسفة لا تنح إليها، ولا تلوى على ناحيتها، وبالتالي فليس من واجب الأحكام الشرعية التسلط على الفلسفة، أو التصدي لمباحثها؛ لأن اختلاف طبيعة المنهج والموضوعات في كل منهما لا تسمح بمسدا أو ذلك، وكما لا يقبل المتدينون أن تكون الفلسفة حاكما على سنوكياتهم أو مباحثهم الدينية، فإن الفلسفة هي الأخرى ترفض هذه الوصاية على نتائجها باسم الدين أو أي اسم آخر<sup>(٥)</sup>.

إن الفلسفة من حيث الغايات المرتبطة بها لا تعارض الدين، فإذا كان حديث الفلسفة عن الجانب المشاهد أو الغائب من الكون، إلا أنها لا تزعم أن قضاياها قد انتهى فيها القول أو أن

(١) جورج بوس - الفلسفة والدين (دراسة مقارنة) ص ٩٥ - ترجمة ناهد صبري ١٩٧١م.

(٢) الدكتور عبدالعظيم محمد توفيق - الفلسفة نظريات ومباحث ص ٨١ - طبعة أولى ١٩٧٧م.

(٣) جورج بوس - الفلسفة والدين ص ٩٧.

(٤) الدكتور حسن محمد قطب - الفيزياء والفلسفة ص ٤٣ ط ١٩٦٥م.

(٥) آرثر فنهارى - أثر الوجودية في الفلسفة ص ٦٥ ط ١٩٨٧م ترجمة عبدالعظيم قطب.

قضايها لم تعد تسمح بالاجتهاد، أو إعادة العرض، فضلا عن أن تكون يقينية<sup>(١)</sup>، إنما تسمح بكل شيء ما دام واقعا في نطاق التأمل العقلي الهادف، والبحث المتميز للخلاق<sup>(٢)</sup>، أو يعطى انطبعا حقيقيا عن ملكات عقلية واعية، وهذه الامتيازات التي للفلسفة تدفع العقل إلى إعلان ضرورة ممارستها، والاشتغال بأبحاثها، حتى لو أدى ذلك إلى التكسب من وراثتها.

### الثالث: أنها تفصل بين الواقع والخيال:

من شأن الفلسفة أن تبحث موضوعات ميتافيزيقية، كما تبحث موضوعات فيزيقية على السواء، فإذا بحثت في جانب ميتافيزيقي، فإنما تقرب المفاهيم التي قال بها الأقدمون من أصحاب الاتجاهات العقلية المتباينة، ويطلق عليهم وصف الرسل<sup>(٣)</sup>، لكن هؤلاء الرسل قد مضت عهودهم وتدرست آثارهم، وصاروا ذكرى لا أثر لها<sup>(٤)</sup>، وبالتالي فالفلسفة ذات طبيعة متميزة، إنما تفصل بين الواقع المعاش - حتى لو كان مرا - والخيال العارم - حتى لو كان ورديا -.

ولذلك لا تدخل الفلسفة في حساباتها الأساطير والخرافات، كما لا تعتقد في صحة الماثورات، إن لم تكن مقدسة أو متعالية عن الأنا الذاتي، وغير خاضعة لسيطرة الأنا الآخر، إنما تقيم حواجز متينة وأسوارا عالية بين ما يمكن إنجته، وبين ما يمكن تدبير الوقت والجهد، بجانب توفير الطاقة بحيث يقع في دائرة الإهمال<sup>(٥)</sup>.

فمثلا كان الأقدمون من المصريين والهنود يكتفون بالقصص، ويعتبرونها الأسس الصحيحة، ظانين أنها سليمة من أوجه الخطأ، ناسين أنها مجرد توهمات لم تبلغ الحد الذي يسمح بالحكم عليها كحاجة فكرية، فلما بحثوها على الناحية الفلسفية، بان لهم أنها أساطير نسختها عقول اعتقدت الخرافات، واستسلمت لها<sup>(٦)</sup>.

(١) الدكتور حسن محمد فليفل - الفلسفة والأحكام المسبقة ص ١٥٧ ط ١ أول ١٩٦٧م.

(٢) جورج بوس - الفلسفة والدين ص ١١٢.

(٣) آرثر فحمارى - أثر الوجودية في فلسفة ص ٦٧ ط ١/١٩٨٧م ترجمة عبدالمعظم طيب.

(٤) جورج بوس - الفلسفة والدين ص ١١٥ ولست أوافقهم على أن هذه الألفاظ يمكن النظر إليها باعتبار وجودها في الأفكار البشرية، وإنما لابد من النظر فيها باعتبار أنها منقول شرعى، وبالتالي فلا بد أن يكون التعامل مع هذه الألفاظ على الناحية الشرعية؛ لأنه إذا جاز اضافتها على الرسائل السابقة، فإنها لا تنطبق على الدين الإسلامى الحامى بسأى حال من الأحوال.

(٥) الدكتور محمد السيد طلبة - الفلسفة فسايا واجتهادات ص ٤١ ط ١/١٩٦٥م.

(٦) آرثر فحمارى - أثر الوجودية في الفلسفة ص ٨٣.

إذن الفلسفة هي التي خلصت العقول من الأوهام، وأعادتها إلى النقطة الأولى، حيث ترقى الأفكار النظرية منتظرة من يوقفها من سبيلها العميق<sup>(١)</sup>، أو ينبهها من غفلتها الطويلة، وهذه وحدها كافية للقول بأن دراسة الفلسفة واجب على الناحية العقلية، كما أن الفلسفة لا تنكر وجود الله، ولكنها تعتقد أن ميدان الاستدلال عليه قائم في الميتافيزيقا، بدليل أن عمانويل كانت كان يقول: «علم الميتافيزيقا له ثلاثة أقطار كبرى هي الله وحرية الإرادة والخلود»<sup>(٢)</sup>.

ولأن الفلسفة ذات طبيعة متميزة، فإنها تعنى بالفصل الثام بين الواقع المعاش بالفعل أو بالقوة، إنه الواقع الذي يمكن للفيلسوف إجراء أبحاثه بداخله، وبين الخيال مهما كان حصصاً؛ لأن العبرة بالنتائج، فالفلسفة تقدم خدمات للمجتمع على الناحية العملية والعلمية دون استثناء<sup>(٣)</sup>.

إنما مثلاً أنتجت أجهزة التعرف على فصائل الدم المختلفة، وهذه الأجهزة لا تعرف سوى الموضوعية، بحال من الأحوال، إنما تعطى إشارات تناسب مع كل اللغات، لا تفرق بين يوناني ومصري، ولا بوذي ومسلم، لقد تمت برمجتها على الفصل في نوعية فصيلة الدم من غير أن يحدث لها نوع من النظر في حسنة صاحب الفصيلة<sup>(٤)</sup>.

وكذلك أنتجت أجهزة الكشف عن نوعية الفيروسات وكيميائها، فإذا وضعت فيها العينة المطلوبة، فإنها تعلن عن دورتها، ثم تقدم النتائج التي توصلت إليها، بغض النظر عن كون صاحب العينة هو الذي صنع ذات الجهاز، أم هو أحد أقاربه<sup>(٥)</sup>، ومن ثم فإن العقل يوجب ممارستها والاشتغال بها.

#### الرابع: اشتغالها بالعلوم كلها

الفلسفة هي أم العلوم وأساسها، وكيف لا وهي مجموعة المعلومات في عصر من العصور، كما أن الفيلسوف هو من أحاط بمعارف عصره<sup>(٦)</sup>، حتى صار هو المجمع لها، المعبر عنها، وذلك يعطيه الفرصة للانطلاق بأفكاره نحو العلوم كلها، حتى يغذيها بثقافته ويؤثر فيها بمعارفه، فيصير ذلك الفيلسوف هو الرصيد الثابت أو المخزون الدائم<sup>(٧)</sup>، الذي يمد كل العلماء بما يحتاجونه من أفكار تخدم العلوم والمعارف، التي يعكفون على دراستها، والتخصص فيها.

(١) جيمس جير - للفيزياء والفلسفة ص ٤٠ - ترجمة جعفر رجب طبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٨١م.

(٢) الدكتور على أبو راقية - الدين والفلسفة ص ٨ ط ١/١٩٥٧م.

(٣) آرثر فنجاري - أثر الوجودية في الفلسفة ص ٨٧.

(٤) الدكتور يوهان جورجي - الفلسفة والعلم ص ٧٣ ترجمة حنان عبدالمعظم ط أولى ١٩٦٥م.

(٥) الدكتور عبدالمعظم السيد كزير - العلم واتجاهاته العملية ص ٦٥ ط أولى ١٩٧١م.

(٦) الدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفي في الإسلام ص ١٦٥.

(٧) الدكتور محمد على أبو راقية - الدين والفلسفة ص ١٢.

فإذا كانت العلوم المتميزة يحدث لها نوع من التخصص والتمايز النوعي فيما بينها، فإن الفلسفة تكون من طبيعتها الشمول والعوم، الذي يغطي كل العلوم، بغض النظر عن اختلافاتها إنما كالشجرة، والعلوم كلها كالفصوص التي تنفرع عنها، ومن ثم فلا مناص من القول بضرورة احتيلج الغصون إلى الجذور التي تنفرع منها<sup>(١)</sup>، وتقوم عليها على ناحية الوجه العقلي.

ثم إن الفلسفة بالمعنى العام، أو الفلسفة العامة تشتمل على الرياضيات والطبيعات والإلهيات، كما تشتمل على السياسة والأخلاق<sup>(٢)</sup>، ولا مانع أيضا من اشتغالها على فلسفة الدين، لا على نصوص الدين، وهي بذلك يدخل في نطاقها التاريخ والجغرافيا والعلوم الإنسانية، كما يدخل فيها علم الجمال<sup>(٣)</sup>، إنما تشتمل على كل العلوم، وهذا الشمول على الناحية الفنية يؤكد ضرورة الاحتياج إلى دراستها والاشتغال بها.

#### الخامس: أنها تقدم المناهج البحثية المختلفة:

من طبيعة الفلسفة التأمل المتواصل، بل هي تقوم على البحث العقلي المتميز، والتأمل المتواصل في العالم المشاهد والغائب، وتصطنع لكل ذلك مناهج بحثية تتناسب مع طبيعة العالم المبحوث نفسه على وجه كلي، باعتبارها تنهض في المبادئ الكلية والأصول الأولية، وكلما تقدمت خطواتها في بحث الأصول والمبادئ الكلية، فإنها تقدم للعلوم الأخرى حزرا من تلك البحوث<sup>(٤)</sup>، حتى يلتزم كل باحث في فرع معرفي هذا الأصول، ثم يقوم بتطويرها ومعالجة الفرعيات الناهضة فيها، ومضى تنفرعت هي الأخرى، فقد صارت منهجا متكاملًا، يُخدم فرعًا بذاته<sup>(٥)</sup>، ومن هنا تعددت مناهج البحث في العلوم بتعدد موضوعاتها الفرعية.

إن الفلسفة تقدم أصول البحث المنهجي للعلماء في شكل كلي، ثم يأخذ علماء كل فرع من هذه الأصول - التي قدمتها الفلسفة - ما يتناسب مع إمكانياتهم، ومحددات لغايات التي تنهض في وجدانهم، وحسب الفلسفة شرفا أن تكون هي التي تقدم للعلوم والفنون والآداب طرائق بحثية، تقض بها إلى نتائج إيجابية<sup>(٦)</sup>، وذلك مما يؤكد ضرورة البحث في الفلسفة، والاشتغال بها، فضلا عن استمرار الدفع بالنتائج الفلسفية إلى ميادين الحياة المختلفة.

(١) الدكتور عبدالمعظم السيد كزير - العلم وأماهاته العملية ص ٦٧.

(٢) الدكتور عبدالحليم محمود - التفكير الفلسفي في الإسلام ص ١٦٥.

(٣) الدكتور محمد علي أبو راقية - الدين والفلسفة ص ١٥.

(٤) الدكتور عبدالمعظم السيد كزير - العلم وأماهاته العملية ص ٨١.

(٥) الدكتور فوزي محمد عزت - الفيلسوف وفلسفته ص ٥١ ط ٢/١٩٥٧م.

(٦) الدكتور رمزي السيد حبيب - مناهج البحث العلمي ص ٣٧ ط ١ دار منتصر ١٩٦١م.

### بـ مناقشتها

« ما من شك في أن العمليات العقلية من تذكر وتأمل واسترجاع وغيرها، تختلف في طبيعتها العمليات القلبية من حب وبغض وحقد وكراهية، لكن هناك قواسم مشتركة تجمع بين العمليات العقلية والقلبية، بحيث تكون القليات هي الأصل، ثم تأتي تبعاً لها العليات والعمليات<sup>(١)</sup>، فسكون القلب من المؤمن في الصلاة يتبعه تركيز ذهن على مستوى عال، يجيء بعده سكون تام للجوارح التي تقوم بالعمليات من صلاة وزكاة وحج.

ولعل هذا ما أفلت من أنباء الفلاسفة، ودلت عليه نصوص الدين الإسلامي الحنيف، من ذلك ما ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»<sup>(٢)</sup>. وعن سعيد بن المسيب<sup>(٣)</sup> أنه رأى رجلاً يعبت بلحيته في الصلاة فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»<sup>(٤)</sup>.

ثم إن العمليات القلبية أكثر نشاطاً واتساعاً من العمليات العقلية، وبالتالي فالعلاقة بينهما هي عموم القليات، وخصوص العليات والعمليات من هذه الناحية، دليل ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ فَبِغْضٍ مِنَ الدَّمْعِ حَرْجًا أَلَا يَجِدُوا مَا يُفْقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الدكتور فوزي محمد عرت - الفيلسوف ومفكره ص ٥٧.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء ج: ١٠ ص: ٢٣٠.

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة الإمام العليم أبو محمد القرشي المخزومي عالم أهل المدينة سيد التابعين في زمانه، ولد لستين مضتاً من خلافة عمر رضي الله عنه وقبل أربع مضين منها بالمدينة. رأى عمر وسمع عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وأبا موسى وسعداً وعائشة وأبا هريرة وابن عباس ومحمد بن سلمة وأم سلمة وحلفاء سواهم وقيل أنه سمع من عمر، وروى عن أبي بن كعب ومرسلات وسلال كذلك وسعد بن عباد كذلك وأبي ذر وأبي الدرداء كذلك ورواه عن علي وسعد وعثمان وأبي موسى وعائشة وأم شريك وابن عمر وأبي هريرة وابن عباس وحكيم بن حزام وعبد الله بن عمرو وأبيه المسيب وأبي سعيد، وكان رأساً من المدينة في دهره المقدم عليهم في الفتن. سعيد ويقال فقيه الفقهاء، وقال قتادة ما رأيت أحداً قط أعلم بالخلال والحرام منه وكذا قال مكحول والزهري وسليمان بن موسى وعنه إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد، وقال أحمد بن حنبل أفضل التابعين سعيد بن المسيب قبل له فعلقمة والأسود قال سعيد وعلقمة والأسود، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر وأفضله. مات سنة أربع وتسعين وقيل ثلاث. [راجع طبقات الخصائص ج ١ ص ٢٥ رقم: ٣٧، وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢١٧ رقم: ٨٨]

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة - مصنف ابن أبي شيبة ج ٢ ص ٨٦ رقم: ١٧٨٧، وسنن البيهقي الكبرى ج ٢ ص ٢٨٥ رقم: ٣٣٦٥، ومصنف عبد الرزاق ج ٢ ص ٢٦٦ - باب الغبت في الصلاة - رقم: ٣٣٠٨.

(٥) سورة التوبة - الآية ٩٢.

❁ يقول العلامة الطبري: « لا سبيل أيضا على الثفر الذين إذا ما جاءوا لتحملهم ليلفوا الـ  
مغازم، لجهاد أعداء الله معك يا محمد فلم لا أجد حولة أحلكم عليها، تولوا وقد أدبوا  
عنك وأعينهم نقيض من الدعم حرنا وهم يكون من حزن على أحم لا تجدون ما يتفقون  
ويتحملون للجهاد في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

فهم قد اطمانت نفوسهم بذكر الله تعالى، وهجعت افئدتهم في حبه جل علاه، ومن ثم فمضى نادى منادى الجهاد، هربوا يا لدينهم من رصيد إيمان قلبي متكاملاً إلى رسول الله ﷺ حتى يظفروا بشاذى الانحراف في صفوف المجاهدين، بالرغم من أنهم من أصحاب الأعداء، إذ ليس لديهم من مال على الإطلاق، أو وسيلة، وذلك كله عمل قلبي، غير أنهم لما هجوتوا بعدم إمكانية الرسول في تدبير وسائل نقل وأدوات قتال لهم، انقلبوا إلى وجدانهم المرهقة، فإذا هي فقد غلبها الحزن والغضب، لفوقهم عزراً عن الاشتراك في الجهاد، حتى عرفوا بالكاثرين<sup>(4)</sup>.

وبنفس القدر من الحماس المعنى يمكن القول بأن الفلسفة، وإن كانت هي ثلة العقليات، إلا أن الفصل الثام بينها والثوجهات العقلية لا تدعمه أدلة صحيحة واقعية؛ لأن العقليات هي أساس العقليات، ومن ثم فالقول بأن الفلسفة لا تنضج للأحكام الشرعية غير سليم، بل هو بحاجة إلى تصحيح الأوضاع وتصويب المناهج؛ لأن الأحكام الشرعية هي الحاكم على سلوكيات المؤمن بالله رب العالمين<sup>(١)</sup>.

❖ ٢- إن الفلسفة من مهامها - في الوظائف أو الوظائف - إيجاد صفة ملائمة بين المتقنع والعقل والرصيد القلبي، وبالتالي فهي خاضعة للتوجهات العقلية التي تدفع الفلاسفة أنفسهم إلى هذه العملية على ناحية قلبية أيضاً، وهو اعتراف منهم بأن القليات التي يحملها الإيمان هي أصل ثابت، وحكم قائم في

(١) العلامة الطبري - جامع البيان ج ١٠ ص ٢١٢ .

(٢) وهذه الصفة غلبت عليهم، وقد عبر عن ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا تَتُوبُوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجُوبُوا مَا يُفْعَلُونَ﴾.

(٣) دليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَرَعَ رَبُّكُمْ لَا تَلْجَأُوا فِيهِمْ مُنْجًى مُنْجًى قَبِيلَتْ وَيُحْلِلُوا فِيهِمْ بِمَا احْبَنُوا وَشَرَعُوا فِيهِمْ مَنَافِعَ﴾ (سورة النساء - الآية ٦٥) يعني نحن نلناه بقوله فلا تلبس الأمر كما يبرعون أنفسهم يؤمنون أن امرأ إليك وهم يتحكمون إلى الطغوت ويصدون عنك إذا دعوا إليك بأمر وعمل واستأنف القسم حل ذكرهم فقال وربك بأمر لا يفترون أي لا يصدون في ذلك وأمر إليك حتى يتحكموا فيما شرع بينهم يقول حسن بعلزلك أحسنهم فيما احبنتهم من أمورهم فالنيل عليهم فقال شرع شرع شعوروا وشعرا وتشارعوا انقوم إذا احتفلوا في الكلام والأمر مشاعرة، وشارعوا في الجدوا أنفسهم حرا بما نصبت يقول لا يصدوا في أنفسهم فيما ما نصبت وإما معادهم لا شرح أنفسهم مما يفتون أي لا يأم بأمرها كما نصبت وشكها في طاعتك وأن الذي نصبت به بينهم حتى لا يجوز فيه حلاله. (الطبري - جامع البيان - ٥/ ١٥٨)



كافة العمليات العقلية<sup>(١)</sup>، ومن ثم فلا بد من تطويع كل الاستنتاجات الفلسفية في الحكم عليها إلى القواعد الإيمانية، حتى يكون الدين هو الحاكم على الاشتغال بالفلسفة قبولاً أو رفضاً، ولا منازعة في ذلك.

٣- إن الفلسفة داعية للبحث والتأمل والنصوص الدينية الإسلامية هي التي وجهت إلى ذات الدعوة والموجهة إلى شيء يسبق الداعي إليه في الأصول العامة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبدالله بن سلام رحمه الله<sup>(٣)</sup> «قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه وهم يتفكرون في خلق الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم تتفكرون قالوا نتفكر في الله قال لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله فإن ربنا خلق ملكاً قدماه في الأرض السابعة السفلى ورأسه قد جاوز السماء العليا ما بين قدميه إلى ركبتيه مسيرة ستمائة عام وما بين كعبيه إلى أخمص قدميه مسيرة ستمائة عام والخالق أعظم من المخلوق»<sup>(٤)</sup>. وعن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) راجع كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي، وكذلك كتابنا: المدخل لدراسة الحكمة الإسلامية.

(٢) الإمام الطبراني - المعجم الأوسط ج: ٦ ص: ٢٥٠ - رقم: ٦٣١٩ عن سالم عن ابن عمر، وأخرجه الميثمي - مجمع الزوائد ج: ١ ص: ٨١ - باب في التفكير في الله تعالى والكلام.

(٣) هو «عبد الله بن سلام ابن الحارث الإمام أخير المشهود له بالجنة أبو الحارث الإسراييلي حليف الأنصار من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حدث عنه أبو هريرة وأنس بن مالك وعبد الله بن معقل....، وأخرون، وهو ممن شهد فتح بيت المقدس، وعن إسلامه يقول أنس إن عبد الله بن سلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه إلى المدينة فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي ما أول أشراف الساعة وما أول ما يأكل أهل الجنة ومن أين يشبه الولد أمه، فقال: أخبرني من جمل أنفا قال ذلك عدو اليهود من الملائكة قال إما أول أشراف الساعة فإني أخرج من المشرق فحضرت الناس إلى المغرب وأما أول ما يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الشيء فإذا سبق ماء الرحيل نزع إليه الولد وإذا سبق ماء المرأة نزع إليها قال أشهد أنك رسول الله. وقال يا رسول الله إن اليهود قوم مت وإهم إن يعلموا بإسلامي يمتروني فأرسل إليهم فسلمهم عنى. فأرسل إليهم فقال: أي رجل ابن سلام فيكم قالوا حبرنا وابن حبرنا وعالمنا وابن عالمنا قال أرايتم إن أسلم تسلمون قالوا أعاده الله من ذلك قال فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقالوا شربنا وابن شربنا وجاهلنا وابن جاهلنا فقال يا رسول الله أم أخيرك أمهم قوم مت، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه عاشر عشرة في الجنة، ومساب ابن سلام رضي الله عنه في سنة ثلاث وأربعين بالمدينة «[راجع سير أعلام النبلاء ج: ٢ ص: ٤٢٦/٤١٣ - رقم: ٨٤]

(٤) العلامة أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء ج: ٦ ص: ٦٧. وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أيضاً «أنه صلى الله عليه وسلم خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم تتفكرون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن لهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها باضها أو يابضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً فما خلق من خلق الله لم يعصوا طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان عنهم مال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا أم لا قالوا من ولد آدم هم قال لا يا ربي خلق آدم أم لا». [المعجم - كشف الخفاء ج: ١ ص: ٣٧١ - رقم: ١٠٠٤]

« أنه صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال ما جمعكم فقالوا اجتمعنا نذكر ربنا ونفكر في عظمته فقال تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره»<sup>(١)</sup>.

بل جاء الأثر أيضا على المقارنة بين أداء الجانب المادى والجانب الروحاني وبين أن أنصار الروحاني أعلى بكثير من أنصار المادى، ففي الأثر: «عن العلاء عن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة»<sup>(٢)</sup>. وعن حبيب بن عبد الله «أن رجلا أتى أباه الدرداء وهو يريد الغزو فقال يا أبا الدرداء أوصني فقال اذكر الله في السراء يذكرك في الضراء وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فلتنظر إلى ما يصير»<sup>(٣)</sup>. وعن ابن عباس قال: «تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة»<sup>(٤)</sup>.

وبالتالى فالدين الإسلامى لا بد أن تكون نصوصه هى الحاكمة على التوجهات الفلسفية قبولاً لها أو رفضاً، حرمة في الاشتغال بها أو إباحة، فإذا تعارضت غايات الفلسفة أو نتائجها مع أصول الدين أو نص من نصوصه، فإنها تكون حراماً على الناحية الشرعية بنصوصها، وعلى الناحية العقلية باتخاذها التى ترفض عائلة الفرع الأصل الذى قام عليه.

ثم إن اتجاه الفلسفة إلى أمشاط الحياة المختلفة على الأوجه الممكنة، لا يزيد عن كونه نوعاً من تفهم الأصول التى قامت عليها الدعوة الأولى<sup>(٥)</sup>، بالنظر المستمر في الكون والتأمل الدائم لبحث جزئياته مشاهداً أو غائبا على أى نحو كان التفهم، وذلك مدعاه لأن تلتزم الفلسفة الأحكام الشرعية، بحيث تكون خاضعة لها، قائمة في رحابها، غير خارجة على قواعدها.

ثم إن قيام الفلسفة بالفصل بين الواقع والخيال، ليس مبرراً لخروجها عن دائرة الاحتكام في دراستها إلى القواعد الشرعية، بل على العكس هو مسوغ لخضوعها التام، والانصياع للأحكام الشرعية<sup>(٦)</sup>؛ لأن الدين الإسلامى قد نبه إلى ذلك الفصل، وأمر به في كثير من نصوصه، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُفْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) العلامة المحلول كشف الحفاء ج: ١ ص: ٣٧١ - رقم ١٠٠٥. وقال: الحديث للطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعاً.

(٢) العلامة ابن أبي شبة - مصنف ابن أبي شبة ج: ٧ ص: ١٩٠ - رقم: ٣٥٢٢٣، وذكره أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء ج: ١ ص: ٢٠٩ عن أبي الدرداء.

(٣) العلامة أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء ج: ١ ص: ٢٠٩.

(٤) المحلول كشف الحفاء ج: ١ ص: ٣٧٠ رقم: ١٠٠٤.

(٥) الدكتور محمد عثمان الدهيش - دراسات في الفلسفة الإسلامية ص: ٥٧ ط ١٩٦٨م.

(٦) هذا الذى أراد وأحاول التأكيد عليه؛ لأن النقل المثل والأحكام الشرعية الإسلامية هما وحدهما أصحاب السيادة على كل المفاهيم.

(٧) سورة النجم - الآية ٢٨.

يقول العلامة الطبري : « وما هم يقولون من تسميتهم الملائكة تسمية الأئمة من حقيقة علم إن يتبعون فيها إلا الظن يعني أنهم إما يقولون ذلك ظنا بغير علم. وإن الظن لا ينفع من الحق شيئا فيقوم مقامه. فأعرض عن تولى عن ذكرنا يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فدع من أدبر يا محمد عن ذكر الله ولم يؤمن به فيوحده، ولم يطلب ما عند الله في الدار الآخرة ولكنه طلب زينة الحياة الدنيا والتمس البقاء فيها »<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول العلامة أبو السعود: « إن الله تعالى يخبر فيها عن حال أكثر أهل الأرض من بسى آدم، وما هم فيه من ضلال آت عليهم من ضلال غيرهم الأولين، إذ اتبعوهم بغير يقين من أمرهم، إنما هم في ظنون كاذبة، وحسبان باطل، وذلك كله على قدر الله »<sup>(٣)</sup>.

ومن الحديث الشريف: عن حذيفة عن رسول الله ﷺ قال: « لا تكونوا إمعة »<sup>(٤)</sup>، تقولون إن أحسن الناس حسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وظنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسبوا، وإن أساءوا فلا تظلموا »<sup>(٥)</sup>.

فالإسلام الدين الخفيف قد فصل بين الواقع الصحيح والخيال الباطل، وبين أن الأول محل النظر والبحث، أما الثاني فهو محل الشك والتخمين، وكل ما جاء عن طريق الواقع الصحيح، فإنه يقبل بشروطه، أما ما جاء عن طريق الظن والشك، فإنه لا يزيد عن كونه صورة من صور الحكاية التي ينصرف المسلم عنها لغايات أعلى منها، وذلك يستلزم وقوع الفلسفة وأبحاثها في دائرة الاحتياج إلى التوجيه التي تكون مهمة من مهام الأحكام الشرعية.

(١) الطبري - جامع البيان - ج: ٢٧ - ص: ٦٣.

(٢) سورة الأنعام - الآية ١١٦.

(٣) راجع في هذا الشأن للعلامة أبي السعود - تفسير أبو السعود ج: ٤ ص: ٣٣٤ - طبعة دار المعصور للطبع والنشر ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م. ويقول صاحب الجلالين: « وإن تطع أكثر من في الأرض أي الكفار بضلوك عن سبيل الله دبه إن ما يتبعون إلا الظن في مجادلته لك في أمر المينة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما نأكلهم وإن ما هم إلا يخروصون بكذبون في ذلك » [تفسير الجلالين ج: ١ ص: ١٨٢].

(٤) الإمعة بكسر المعزة وتشديد الميم: الذي لا رأي له. فهو يتابع كل أحد على رأيه، والمغاة فيه للمالعة. ويقال فيه إتبع أبعثا. ولا يقال للمرأة إمعة، ومهرته أصلية؛ لأنه لا يكون أمثلا وصفه. وقيل هو الذي يقول لكل أحد أنا معك. [راجع النهاية في علوم الحديث لابن الأثير - المجلد الأول - حرف المعزة - باب المعزة مع الميم]

(٥) سنن الترمذي (وشرح العلل)، للإمام الترمذي - باب ما جاء في الإحسان والعفو - الحديث رقم: ٢٠٧٥.

٥. إن القول باشتغال الفلسفة على العلوم، كنا دعوى عريضة يعلنها الفلاسفة والمولعون بهم، لكنها لا تنهض في مقابلة المتكرين للفلسفة على الأكل، بل فيه انزلاق خطير نحو حصر المناهج العلمية في إطار فلسفى خالص، بحيث يدخل فيها العلوم الفلسفية، وهذا ما لا يقره عليهم واحد من علماء الدين الإسلامى أبداً؛ لأن العلوم الثقلية غير المفاهيم الفلسفية تماماً<sup>(١)</sup>، وهذه المغايرة تنسف تماماً فكرة اشتغال الفلسفة على العلوم كلها، ولو كانت العبارة قائمة على التخصيص، بحيث تكون الفلسفة شاملة للعلوم التى تنفرع عنها، ربما كان لها الكثير من القبول.

ومثل ذلك يقال فى الزعم بأن الفلسفة تقدم مناهج بحثية لكل العلوم، فمن أين للفلسفة بعلم الدراية والرواية، بل من أين لها بمفاهيم السند والمتن أو علم الرجال فى الحديث الشريف مثلاً<sup>(٢)</sup>، ومن أين لها بالناسخ والمنسوخ، المحكم والمشابه، والتفسير بالمأثور، أو بالرأى، إلى آخر هذه المباحث التى جاءت فى علوم القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

إذن يمكن القول بأن الفلسفة تقدم مناهج بحثية، فى العلوم التى تصلح لها، أو التى تقوم على أسس معرفية إنسانية، أما العلوم التى تقوم على النقل المتل فشيء آخر، ولا تصلح لها مناهج البحث الفلسفى بحال من الأحوال<sup>(٤)</sup>.

وفى تقديرى: أن أصحاب هذا رأى قد غلبهم حماس متزايد للفلسفة، واندفع بهم حُب متواصل للفلاسفة، فانطلقوا من قاعدة الحماس والحب - رغم أنهما عمليتان قلبيتان - إلى التحليق فى أجواء العلوم والمعارف، كلها مطالبين بارغامها على الخوض للفلسفة، أو الإعلان عن عدم قابلية الفلسفة، لسيطرة أى شيء آخر عليها<sup>(٥)</sup>، حتى لو كان ذلك الشيء هو نصوص الدين ذاته، وهم قد خالفهم الصواب فى ذلك الفهم.

كما أنهم تشبعوا بروح الخيال فى مستوياتهم المختلفة، فأدى لهم ذلك التشبع الخيالى إلى افتراض وجود أمور بعينها، ثم كما قادهم ذلك إلى ضرورة التمسك بهذه الأمور، حتى صارت المسائل المفترضة - عندهم - تمثل قواعد ثابتة، وذلك هو بعينه الذى أبعدهم عن الموضوعية فى التبادل والحيدة فى إصدار الأحكام.

(١) الدكتور محمد خليل أبو هدية - الفلسفة والعلم ص ٨٣.

(٢) راجع فى هذا الشأن: الأحكام فى أصول الأحكام، والأحكام فى الأحكام.

(٣) راجع التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الدهى ص ٢/١، ومناهل العرفان للشيخ الرزقان ج ١، ص ٢.

(٤) الدكتور محمد خليل أبو هدية - فلسفة والعلم ص ٩١.

(٥) الدكتور محمد عنتار الدهيش - دراسات فى الفلسفة الإسلامية ص ٨٩.

## الجزء الثاني: أدلة انتزاع الفلسفة عن الناحية الشرعية

### ١- عرض الأدلة

لما كان هناك من رفض الفلسفة دراسة لها واشتغالاً بها على الناحية الشرعية<sup>(١)</sup>، فقد جساء هنا من يطالب بدراستها والاشتغال بها على الناحية الشرعية أيضاً، كأنه يقابله حكماً شرعياً بأخر شرعياً وكما يقال على نفس باب الأدلة التي جاء فيها قول أصحاب التحريم، جاء قول أصحاب الاحتياج على قاعدة الإباحة<sup>(٢)</sup>.

ومثل ذلك الموقف يعرف في الدراسات الفنية باسم الموقف المضاد تارة، كما يعرف باسم رد الفعل الموقفي تارة أخرى، ويمكن التعرف على ذلك في سهولة ويسر، إذ أنه لما ظهر في البيئة الإسلامية من مفكرى الإسلام من يقول بتحريم الفلسفة على الناحية الشرعية، فقد كان الأمر يستلزم قيام مفكرين من أهل الإسلام أيضاً بالرد على الفريق الأول ومن جنسهم<sup>(٣)</sup>، وعلى نفس أدلتهم، حتى انتهى الأمر عندهم إلى إباحة الفلسفة عموماً والإسلامية على وجه الخصوص، واضعين أحكامهم في مجموعة من الأدلة أبرزها:

#### الأول: أنها قائمة على التأمل للأمر به شرعاً

ذلك أن الحكمة الإسلامية، إنما تقوم على التأمل في الكون علويه وسفليه، ظاهره وباطنه، حاضره وغائبه، وكل هذه الأمور وردت بها النصوص الشرعية، بغية التعرف على الخالق العظيم جل علاه، وتفرده بالوحدانية المطلقة، والقدرة التامة والإرادة الشاملة، والعلم الكامل. من ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَلِيلٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) تعرضت لأدلة أصحاب هذا الاتجاه في الفصل الثاني من هذا الباب، وناقشتها على البحر الذي وفقى الله تعالى إليه، فليرجع إليها من شاء.

(٢) الدكتور محمد خليل أبو هنية - الفلسفة والعلم ص ٩٧.

(٣) يراد بالخس هنا التنوع الفرعي في المعرفة، فما كان من جنس الفقهاء أو المحدثين أو علماء الأصول أو غيرهم وانفصل للفلسفة على الناحية الشرعية، فقد وجد من جنس الفقهاء والمحدثين وعلماء الأصول وغيرهم، ممن طالع بدراسة الفلسفة والاشتغال بها على الناحية الشرعية أيضاً.

(٤) سورة العنكبوت - الآية ٢٠.

﴿يَقُولُ الْإِمَامُ الطُّبْرِيُّ: «أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَسْتَأْنِفُ اللَّهُ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ طِفْلاً صَغِيراً ثُمَّ غَلاماً يافعاً ثُمَّ رجلاً مجتسماً ثُمَّ كهلاً، ثُمَّ يعيده يقول ثُمَّ هو يعيده من بعد فاته وبلاءه كما بدأه أول مرة خلقها جديداً لا يتعذر عليه ذلك إن ذلك على الله يسير سهلاً كما كان يسيراً عليه إبداءه»﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَهُمْ أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾﴾<sup>(٢)</sup> وقوله عز وجل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿قال الإمام الفخر الرازي: «فإن قيل: ما الفرق بين قوله تعالى ﴿فانظروا﴾ وبين قوله تعالى: ﴿ثم انظروا﴾. قلنا: قوله تعالى ﴿فانظروا﴾ يدل على أنه تعالى جعل النظر سبباً عن السير فكانه قيل: سيروا لأجل النظر لا تسيروا سير العافلين. وأما قوله تعالى: ﴿سيروا في الأرض ثم انظروا﴾ فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإنباب النظر في آثار المالكين، ثم ينه الله تعالى على هذا الفرق بكلمة (ثم) لتباعد ما بين الواجب والمباح. والله أعلم»﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْجِسِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿يقول العلامة الطُّبْرِيُّ: «إذن فانظر يا محمد إلى آثار الغيث الذي يرز الله من السحاب كيف يحيي بها الأرض الميتة فينبثها ويعششها من بعد موتها ودثورها، إن ذلك لمحبي الموتى» فإن الذي يحيي

(١) الطُّبْرِيُّ - جامع البيان ج: ٢٠ ص: ١٣٨، ويقول القرطبي: «قوله تعالى قل سيروا في الأرض أي قل ضم يا محمد سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق على كثرهم وتفاوت هبتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطائعتهم وانظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم كيف أهلكتهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة» [تفسير القرطبي ج: ١٣ ص: ٢٢٧]

(٢) سورة الأعراف - الآية ١١.

(٣) سورة النمل - الآية ٦٩.

(٤) مفاتيح الغيب - ج ٦ ص ٢٣٥. فالآيات الكرمات تحت الإنسان على السير في الأرض؛ لاستطلاع التاريخ ومشاهدة الآثار والتدبر فيها والاعتبار. ونلاحظ في الآيات القرآنية أن الحق ﷻ يقول في آية ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ وفي أخرى: ﴿ثم انظروا﴾ وذلك ليبين أن السير قد يكون للاعتبار، وقد يكون للاستثمار، فإن كان السير للاعتبار، فلا تسيروا سير العافلين، ولذا قال: ﴿فانظروا﴾. وإن كان للتجارة ونحوها فاعتصموا هذه الفرصة وانظروا في أحوال السابقين، ولذا قال: ﴿ثم انظروا﴾.

(٥) سورة الروم - الآية ٥٠.

(٤٢٢)

هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث يحيى الموتى من بعد موتهم وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير لا يعجز عليه شيء أراده ولا يمتنع عليه فعل شيء شاء سبحانه»<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٢)</sup>﴾.

﴿قَالَ الشَّيْخُ الْمُرَاغِي: «أَيُّ أَفْلَمَ يَسِرْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْجَاهِدُونَ لِقُدْرَتِهِ - فِي الْبِلَادِ فَيَنْظُرُوا إِلَى مَصَارِعِ ضَرَبَاتِهِمْ مِنْ مَكْنَى رَسْلِ اللَّهِ، الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ كَعَادٍ وَعَمُودٍ وَقَوْمٍ لَوِطَ وَشَعِيبٍ، وَبُرُودٍ أَوْ طَائِفَةٍ وَمَسَاكِنِهِمْ، وَيَسْمَعُونَ بِأَفْئِدَتِهِمْ أَخْبَارَهُمْ فَيَتَفَكَّرُوا وَيَعْتَبِرُوا بِهَا وَيَعْلَمُوا أَمْرَهَا وَأَمْرَ أَهْلِهَا، وَكَيْفَ نَائِبَتِهِمْ النَّوَائِبَ وَغَائِلَتِهِمْ غَوَائِلَ الدَّهْرِ؟ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ مَعْتَبَرٌ لَهُمْ لِمَا أَرَادُوا، فَيَنْبِئُوا إِلَى رَحْمَتِهِ، وَيَعْقِلُوا حُجْجَهُ الَّتِي بَيْنَهَا فِي الْأَقَايِقِ»<sup>(٣)</sup>﴾.

﴿وَقَالَ صَاحِبُ الظَّلَالِ: «إِنَّ مَصَارِعَ الْغَائِبِينَ حَيَاتِهِمْ لَشَاخِصَةٌ مُوحِيَةٌ تَحْدِثُ بِالْعَمْرِ وَتَنْطَلِقُ بِالْعِظَاتِ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فَيَرَوْهَا تُوْحِي لَهُمْ بِالْعِبَرَةِ؟ وَتَنْطَلِقُ لَهُمْ بِالسَّائِمِ الْبَلِيغِ؟ وَتَعْدُنُهُمْ بِمَا تَنْطَلِقُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَرٍ؟ ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ حَيْثُ تَدْرِكُ مَا وَرَاءَ هَذِهِ الْأَثَارِ الدُّوَارِسِ مِنْ سُنَّةٍ لَا تَتَخَلَّفُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فَتَسْمَعُ أَحَادِيثَ الْأَحْيَاءِ عَنْ تِلْكَ الدُّوَرِ الْمُهْدَمَةِ، وَالْأَبْيَارِ الْمُعْطَلَةِ وَالْقُصُورِ الْمُوَحَّشَةِ؟ أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُلُوبٌ؟ فَإِنْهُمْ يَرَوْنَ وَلَا يَدْرِكُونَ، وَيَسْمَعُونَ وَلَا يَتَعَبَّرُونَ، ﴿فَالْأَبْصَارُ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾»<sup>(٤)</sup>﴾.

﴿وَقَوْلُهُ حَلَّ شَأْنِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ يُفْعِلُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ قَدِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>﴾.

﴿يَقُولُ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ: «أَوْ لَمْ يَرَوْا مَا أَنْزَلْنَا بِعَادٍ وَعَمُودٍ وَأَمْتَانِمْ لِمَا كَذَّبُوا الرِّسْلَ فَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ يَنْظُرُهُمْ إِلَى مَسَاكِنِهِمْ وَدُورِهِمْ وَمَا جَمَعُوا عَلَى النَّوَاتِرِ بِمَا حَلَّ بِهِمْ أَفْلَيسَ فِيهِ عِبْرَةٌ وَبَيَانٌ لَهُمْ لَيْسُوا خَيْرًا مِنْ أَوْلَئِكَ وَلَا أَقْوَى بَلْ كَانَ أَوْلَئِكَ أَقْوَى دَلِيلُهُ قَوْلُهُ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ

(١) الطبري - جامع البيان ج ٢١ ص ٥٥ . ويقول ابن كثير - «قال تعالى فانظر إلى آثار رحمة الله بعن المطر كيف يحيى الأرض بعد موتها ثم نه بذلك على إحياء الأحياء بعد موتها وتفرقها وخرقها فقال تعالى أن ذلك يحيى الموتى أي إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات أنه على كل شيء قدير» [ تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٣٨ ]

(٢) سورة الحج - الآية ٤٦ .

(٣) تفسير الميراثي - ج ١٧ ص ١٢٣ .

(٤) ظلال القرآن - ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٥) سورة فاطر - الآية ٤٤ .

الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض أي إذا أراد عذاب بقوم لم يعجزه ذلك إنه كان عليما قدير<sup>(١)</sup>.

﴿وقوله عز وجل: «أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُ فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُلُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ»﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُ الْأَرْضِ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وقوله عز نناؤه: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»<sup>(٤)</sup>.

﴿يقول العاقل ابن كثير: «يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر، وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم، وما أنزوه في الأرض وجموعه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئا، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله؛ وذلك لأنهم لما جاءهم الرسول بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءهم به الرسول»﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿وقوله تعالى: قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾»<sup>(٦)</sup>. ويقول العلامة الطبري: «يقول تعالى ذكره: "إن الله يمسك السماوات والأرض لئلا تزولا من أماكنهما يقول ولو زالتا ما أمسكهما أحد سواء»<sup>(٧)</sup>.

(١) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٣٦١. ويقول صاحبنا تفسر الحلالين: «أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة فأهلكهم الله بتكذيبهم رسوله وما كان الله ليعجزه من شيء بسفه ويفوته في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما أي بالأشياء كلها قديرا عليها» [تفسير الحلالين ج ١ ص ٥٧٨]

(٢) سورة غافر - الآية ٢١.

(٣) سورة الروم - الآية ٩.

(٤) سورة غافر - الآية ٨٢.

(٥) ابن كثير - تفسير العظيم - ج ٤ ص ٨٩.

(٦) سورة فاطر - الآية ٤١.

(٧) العلامة الطبري - جامع البيان ج ٢٢ ص ١٤٤.



﴿وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخْصِي الْمَوْتَى إِلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(١)</sup>. وهذا أمر يدل على قدرة الله عَلَى الْبَعثِ «إِنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ فَاحِلَةً يَابَسَةً، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ، دَبَّتْ فِيهَا الْحَيَاةُ وَتَحَرَّكَتْ، وَزَادَتْ وَارْتَفَعَتْ سَطْحُهَا، بِمَا تَخْطُلُهَا مِنَ الْمَاءِ وَالْمَوَاءِ، وَأُظْهِرَتْ مِنْ أَصْنَافِ النَّبَاتِ، مَا يَبْرُقُ مِنْظَرُهُ، وَيَبْهَرُ حَسَنُهُ، وَيَتَهَجَّجُ لِمَرَّاهُ»<sup>(٢)</sup>، فَاهْتَزَّازَ الْأَرْضُ، هُوَ تَغْيِيرُ صَوَرِهَا الْيَابَسَةِ الْقَاحِلَةِ، إِلَى حَرَكَةٍ دَائِمَةٍ فِيهَا صُورَةُ الْاهْتِزَّازِ، الَّتِي نَرَاهَا وَنَشَاهِدُهَا، فِي إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنْهَا، حَيْثُ نَرَى مَعَالِمَ الزَّرْعِ فِيهَا، وَمَعَالِمَ الرِّبَةِ وَالبَهْجَةِ، بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، الَّذِي سَخَّرَ هَذَا الْمَخْلُوقَ الْعَجِيبَ "الماء"، وَالَّذِي بَسَّرَ لَهُ تَكُونُ الْأَرْضِ قَدْ أَخَذَتْ زَيْتَهَا، وَلَبَسَتْ حَتَفَهَا بِحُجَّةٍ وَرُوعَةٍ لِلنَّاطِرِينَ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي الْأَثَرِ: عَنِ الْعَلَاءِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ»<sup>(٤)</sup>. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِينَ سَنَةً»<sup>(٥)</sup>. وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ وَلا تَنْتَفِكُوا فِي اللَّهِ»<sup>(٦)</sup>.

إِذْ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ، وَفَعَلَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعِينَ، كُلُّ ذَلِكَ يَدْعُو إِلَى التَّأَمُّلِ الْعَقْلِيِّ، بِفَرْضِ التَّعَرُّفِ عَلَى الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى النِّيَّاتِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بِسَالِدَاتِ الْعَقْلِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى التَّأَمُّلِ فِي الْكَوْنِ تَارَةً، وَالنَّصُوصِ الْعَقْلِيَّةِ تَارَةً أُخْرَى، وَلَمَّا كَانَتِ الْحِكْمَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَوْ الْفَلَسَفَةُ تَقُومُ عَلَى ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ الْإِسْتِخْدَامِ لِلْقُدْرَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، فَقَدْ دَلَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنَّ الْفَلَسَفَةَ مَأْمُورٌ بِهَا شَرْعًا.

#### الثَّانِي: قِيَامُهَا عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ:

مَنْ الْمُؤَكَّدُ أَنَّ كُلَّ نَتَاجٍ عَقْلِيٍّ يَخْتَضِعُ لِقَاعِدَةِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِالْقَبُولِ أَوْ الرِّفْضِ عَلَى النَّاحِيَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَوْ النَّاحِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَقَدْ نَبَّيْءَ الْحُكْمُ عَلَيْهِ فِيهِمَا مَعًا<sup>(٧)</sup>، وَلَمَّا كَانَتِ الْحِكْمَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَنْطَلِقُ

(١) سورة فصلت - الآية ٣٩.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن ص ٤٨٨.

(٣) دكتور: إبراهيم عطية - الطعام في القرآن الكريم - رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة ٢٠٠١م.

(٤) العلامة ابن أبي شبة - مصنف ابن أبي شبة ج ٧ ص ١٩٠ - رقم: ٣٥٢٢٣، وذكره أبو نعيم الأصبهاني - حلية الأولياء ج ١ ص ٣٠٩ عن أبي الدرداء.

(٥) الإمام المجلد كشف الحفاء ج ١ ص ٣٧٠ رقم: ١٠٠٤.

(٦) الإمام الضمير - المعجم الأوسط ج ٦ ص ٢٥٠ - رقم: ٦٣١٩ عن سالم عن ابن عمر، وأخرجه الفقيه - مجمع الروايد ج ١ ص ٨١ - باب في التنكير في الله تعالى والكلام.

(٧) وهذا مما يؤكد اتفاق النقل الصريح مع العقل الصحيح، لأن كلا منهما يؤيد الثاني ولا يعاند.

من إشارات النصوص العقلية في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، فإنها خاضعة لأحكام الشريعة، وتكون نتائجها صحيحة، لقيامها على التأمل في النصوص الشرعية، ولا يعيها أنها فهم عقلي في غايات النقل المتزل، بل على العكس من ذلك تماماً، إن قيامها على الأحكام الشرعية ينتهي بها إلى القبول على ناحية الوجوب الشرعي أو الإباحة على أقل تقدير.

ثم إن كل حكم شرعي إنما يقوم على مصدر تشريعي من المصادر التي تلتزم بها الشرعية الإسلامية الفراء<sup>(١)</sup>، وذلك مما يدفع عن الفلسفة الاتهام بخروجها على الشرع، إذ كيف تقوم على الحكم الشرعي، وفي نفس الوقت يتحكم عليها بأنها تخالف الحكم الشرعي<sup>(٢)</sup>، أليس القائل بخروجها على الحكم الشرعي قد أنساه هواه وجود هذه الفواصل الطبيعية بين ما يقوم على الحكم الشرعي، وبين ما يقوم على غيره.

### الثالث: نتائجها المشروعة

لما كانت الفلسفة الخالية عن أوجه الحلل الفكرى والاضطراب العقدي، قد نشأت عنها علوم شرعية، كلها قد خصصت لخدمة العقيدة الإسلامية، أما تثبيتها في القلوب، وتمكينها في النفوس، أو التزامها بأحكامها، والقيام على تكاليفها من الناحية المشروعة، أو تحية لاستخراج أحكام تتعلق بالقيم والأخلاق الفاضلة، أو تمهيدا للعقول، حتى تستوعب أمور الآخرة<sup>(٣)</sup>.

وهذه العلوم التي تخدم النقل المتزل دفاعاً عنه، أو عرضاً للعقيدة الإلهية، أو تنفيذاً للشبهات خصوم الإسلام، لا تخرج عن كونها نتائج داخلية في نطاق الأحكام الشرعية من ناحية القبول لها فتكون مشروعة على جهة الوجوب أو الإباحة.

بيد أن العقلية الناضجة لا تلتزم بنتاج الآخرين، من غير نظر فيها أو ابتلاء لها، وإنما تمسارس عليها عملية التقييم، فإذا بان أن فيها ما يحتاج التقويم، قامت به طبقاً لما أمر الله تعالى، وهو دور العقلية الإسلامية التي اندفعت لممارسة ذلك كله، تنفيذاً لتوجيهات النقل المتزل<sup>(٤)</sup>، وبالتالي فما ينتج عن هذه العقلية القائمة على أصول شرعية، يكون هو الآخر مشروعا.

(١) ذهب البعض إلى أن مصادر الشريعة الإسلامية هي: ١- القرآن الكريم. ٢- السنة النبوية. ٣- القياس. ٤- الإجماع. ٥- الاستحسان. ٦- المصالح المرحلة، وقد يذهب بعض العلماء لربادها، وقد يذهب بعض آخر لنقصها. [راجع للدكتور محمد رمزي - مصادر التشريع ص ٤٠/٣٥ ط ١/١٩٤٥ م]

(٢) الدكتور رمزي محمد فوزي - الفلسفة وفنائها العامة ص ١٧ ط دار المهندس ١٩٨٧ م.

(٣) الشيخ عبدالعاطي السيد بسري - الفلسفة بين الأضمار والخصوم ص ٣٥.

(٤) الدكتور رمزي محمد فوزي - الفلسفة وفنائها العامة ص ٧٣.

المعروف أن العالم عن الله، يلتزم ما أمر به الله؛ لأهم أهل الخشية منه، بجانب الحب له<sup>(١)</sup>، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وفي الحديث الشريف عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ). وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَسْبَابَهَا رِجَالِ طَالِبِ الْعِلْمِ، رِجَالًا بِمَا صَنَعَ. وَإِنْ طَالِبُ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْمَاءِ. وَإِنْ قُتِلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَّلَ الْقَمَرُ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يَمُوتُوا دِينًا وَلَا دَرَاهِمًا. إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ. فَمَنْ أَخَذَهُ، أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»<sup>(٣)</sup>.

❖ ويقول ابن حبان: «في هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا هم الذين يعلمون علم النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من سائر العلوم ألا تراه يقول العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا إلا العلم وعلم نبينا صلى الله عليه وسلم ستة فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء»<sup>(٤)</sup>.

❖ ويقول الإمام الغزالي: «ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة، وعلق على استغفار من في السماوات والأرض لطالب العلم، فقال: وأى منصب يربد على منصب من تشغل ملائكة السماوات والأرض بالاستغفار له؟ فهو مشغول بنفسه (أى بعلمه) وهم مشغولون بالاستغفار له»<sup>(٥)</sup>.

وفوق ذلك كله فإن فضل العلماء بالله كبير، وهذا واضح في قوله ﷺ: «وإن قُتِلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَّلَ الْقَمَرُ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير الخشية على أفعال الحب الإلهي، أو على أفعال الخوف من الله تعالى أمر تسمح به قواعد اللغة، ولا منافية في ذلك، وكل من الدين. مراد على الناحية العلمية.

(٢) سورة فاطر - من الآية ٢٨.

(٣) رواه الإمام ابن ماجة في سننه - باب قُتِلَ الْعُلَمَاءُ وَالْحَبْثُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ. في الحديث رقم: ٢٢٣ - وأخرجه أبو داود في سننه - باب الحب على طلب العلم. في الحديث رقم: ٣٦٤١، وأحمد - مسند أحمد ج ٥ ص ١٩٩ رقم: ٢١٧٦٣، والترمذي - سنن الترمذي ج ٥ ص ٤٨ - ١٩ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة - رقم: ٢٦٨١.

(٤) أبو حاتم ابن حبان - صحيح ابن حبان ج ١ ص ٢٩٠ - ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل - في التعليق على الحديث رقم: ٨٨.

(٥) الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين - ج ١ ص ١٦.

(٦) الحديث سبق تخرجه.

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام الفخر الرازي: «لا شبهة أن العالم يقتضى لطاعته، من المترلة مالا يحصل للسومر، ولذلك فإنه يقتضى بالعالم في كل أفعاله، ولا يقتضى بغير العالم؛ لأنه يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات، ومحاسبة النفس ما لا يعرفه الغير، ويعلم من كيفية الخشوع والتذلل في العبادة، ما لا يعرفه غيره، ويعرف من كيفية التوبة وأوقاتها وصفاتها ما لا يعرفه غيره، ويحفظ فيما يلزمه من الحقوق، ما لا يتحفظ منه غيره، لكنه كما تعظم مترلة أفعاله من الطاعات ودرجة الثواب، فكذلك يعظم عقابه فيما يأتيه من الذنوب، لمكان علمه، حتى لا يتمتع في كثير من صفاته غيره، أن يكون كبيراً منه»<sup>(٢)</sup>.

وحت الإسلام على طلب العلم حيث قال رسول الله ﷺ «اطلبوا العلم ولو في الصين»<sup>(٣)</sup>، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع»<sup>(٤)</sup>. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال «ما سلك رجل طريقاً يلتمس فيها العلم إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة المجادلة - الآية ١١، هذه الآية الكريمة تدل على أن الله يرفع برفق المؤمنين بآمالهم، ويرفع الذين أوتوا العلم من درجات؛ لأهم أهل العلم، الذين يقتدى بهم، وهم الذين يعرفون الله حق معرفته، فيتقونه حتى تفاته. ورفعة العنصاء تكون في الدنيا والآخرة. كما قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في بيانه لقوله تعالى: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» «أي في الثواب في الآخرة، والكرامة في الدنيا، ويرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم» | الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأنصار القرطبي (ت: ٦٧١هـ) - الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي ج ٩ ص ٦٤٦٩ - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة تحقيق: أحمد عبدالمعطي البردوني طبعة دار الشعب بالقاهرة (الطبعة الثانية) ١٣٧٢هـ -

(٢) العلامة الإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) - معاني الغيب (التفسير الكبير) - ١٥٥٣ ص ٤٥٣ - المطبعة النورية المدريسة - الشريعة الأولى ١٩٩١م، وطبعة دار إحياء التراث العرب، طبعة دار الفد العربي ١٩٩٣م.

(٣) الشيخ إسماعيل محمد المحلولي (ت: ١١٦٢هـ) - كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على أسنن الناس ج ٢ ص ٥٦ رقم: ١٦٦٥ - مكتبة الفرائد - دمشق.

(٤) الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩ - الحديث: ٢٦٤٧. وروى الإمام ابن ماجة عن أنس بن مالك قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمفقد الخنازير الخوهر واللؤلؤ والذهب» | الإمام محمد بن يزيد بن ماجة القرويني - سنن ابن ماجة ج ١ ص ٨١، الحديث: ٢٢٤٤.

(٥) الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شبة الكوفي (١٥٩هـ-٢٣٥هـ) - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصحف ابن أبي شبة) - ج ٥ ص ٢٨٤ - ١١٧ ما جاء في طلب العلم وتعليمه رقم: ٢٦١١٤ - مكتبة الرشيد - الرياض ١٤٠٩هـ ط الأولى - تحقيق كمال يوسف الحوت.

ثم إن تقليد العالم بدليله أمر تقرره الشريعة الإسلامية الغراء، وهو مأمور به، فنى الأمر عن عبد الله بن مسعود قال « اتبعوا ولا تتدعوا فقد كفيتم وكل بدعة ضلالة »<sup>(١)</sup>، وعن أبي مسعود<sup>(٢)</sup> قال: « ولا تستشرفوا البلية فإنها مولعة بمن يشرف لها ان البلاء مولع بالسالكين ما اتبعوا ولا تتدعوا فقد كفيتم »<sup>(٣)</sup>.

بل قامت المذاهب الفقهية الأساسية عند أصحابها على أسس من اتباع العلماء وتقليدهم جيلا بعد جيل، وهو ما عرف باسم سلسلة الأسانيد<sup>(٤)</sup>، فالإمام أبو حنيفة النعمان حينما أسس مذهبه الفقهي إنما كان يقوم على النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، ثم يتابع أقوال العلماء وجهودهم في ذات الحكم الشرعي، ثم يقوم هو مرة أخرى بالنظر في الأدلة التي ساقها العلماء، تدعيما لكل مسألة أو رأى فقهي، فإذا وجده راجحا؛ التزم به، أما إذا رأى فيه بعض القصور؛ فإنه قد توجه إليه بالإصلاح الذي يجده مناسبا للحكم الشرعي، أو يتنازل عن الاستدلال به، ويلجأ إلى دليل آخر يكون تحالفا من أوجه القصور التي ظهرت له.

وكان الإمام الشافعي يحرص على ممارسة ذلك سماعا أو تلقيا، حتى إذا استقرت الأحكام الشرعية عنده نادى إلى تأسيس مذهبه الفقه في العراق، لكنه لما نزل مصر، وأمكنه مراجعة الأحكام التي وقف عليها من الناحية الاستدلالية، أعاد النظر في القواعد التي سبق له التسول بها، وسماه الجديد، بالتالي فقد صار ما كان موجودا بالعراق هو الممثل للمذهب القديم<sup>(٥)</sup>، وما مرجع ذلك إلى كثرة المعتدين واختلاف أدلتهم العملية التي تعتبر أحد المصادر في الأحكام العملية، وقس على ذلك الحال مع شيوخ المالكية والحنابلة.

(١) الإمام الطبراني - المعجم الكبير ج ٩ ص ١٥٤ - رقم: ٨٧٧٠، والدارمي - سنن الدارمي ج ١ ص ٨٠ رقم: ٢٠٥، والهيتمي - مجمع الزوائد ج ١ ص ١٨١ - باب الإفتاء بالسلف.

(٢) هو الإمام المحدث الثقة أبو مسعود سعيد بن إياس الجريفي البصري من كبار العلماء، روى عن أبي الفضل عامر بن واثلة وأبي عثمان النهدي رعد الله بن شقيق وأبي نصر؛ وابن زبيدة وإخلاق سواهم، وحدث عنه ابن المبارك وبشر بن الفضل وإسماعيل بن علية وبريد ابن هارون وعيسى بن يونس وبني القطان وعبد بن عبد الله الأنصاري وعدد كثير، وقال عنه أحمد بن حنبل: هو محدث البصرة، وقال ابن معين وجماعة: ثقة. مات رحمه الله سنة أربع وأربعين ومئنة.

[ سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ١٥٣ رقم: ٦٨ ]

(٣) العلامة المجلد - كشف الخفاء ج ١ ص ٣٤٤.

(٤) الدكتور محمد فرج عبدالكريم - دراسات في أصول الفقه ص ٣٧ وما بعدها ١٩٦٦م.

(٥) الشيخ محمد علي أبو سديرة - الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية ص ٥٣ ط أول ١٩٣٧م.

إذن تقليد العالم بدليله يعتبر أمراً مشروعاً، ولما كانت الفلسفة الإسلامية تقوم على الأدلة الشرعية التي اقتبسها المفكرون عن جملة من العلماء المعتبرين، فقد صارت قاعدة شرعية، بناء على ممارسة العلماء لها، ولا شيء في ذلك<sup>(١)</sup>.

وحيث إن الفلسفة الإسلامية مهمتها تثبيت العقيدة في النفوس المؤمنين، والدفاع عنها في مواجهة أصحاب التيارات المنحرفة، وإبراز جمال العقيدة الإسلامية لأصحاب النفوس الكارهة المومة، حتى تصير إليها النفوس الهادئة في خطوات وثقة<sup>(٢)</sup>، فقد صار القول بدراستها أمراً مشروعاً على ناحية الوجوب، أو ناحية الإباحة، لكن متى تقبل الفلسفة على إنها إسلامية .

والجواب: أن الفلسفة تكون مقبولة، إذا كانت في حدود ما أمر الله تعالى به، من التزام بالقواعد الشرعية، حتى لو كان الناقل لها أو المتبني لأفكارها، أو القائم على قواعدها غير مسلم؛ لأن العبرة عندنا بالالتزام الشرعي، باعتبار أننا أهل الإسلام نعتقد في معرفة الرجال بالحق، لا معرفة الحق بالرجال، والفرق بين الأمرين كبير.

من ثم فإذا قام بالأبحاث الفلسفية مسلمون، لكن مباحثهم خارجة عن نطاق الالتزام بما شرع الله تعالى، وممارستها تدعو إلى الخروج على شريعة الله جل علاه، فإن هذه الفلسفة تكون مرفوضة؛ لأنها غير ملتزمة بأحكام الشرع، كما تكون حراماً لمخالفتها القواعد الشرعية<sup>(٣)</sup>، بل ولا يمكن اعتبارها فلسفة إسلامية ملتزمة، حتى لو قام بها مسلمون.

فمثلاً الذين ذهبوا إلى تحديد عمر الكون بداية أو نهاية به، متأثرين بالفكر الأسطوري، حتى أصدروا أحكاماً انتهت لدى بعضهم إلى أن عمر الكون ستة ملايين سنة، أو أن عمره عشرة ملايين سنة مضى منها الكثير وبقى القليل<sup>(٤)</sup>، حتى صاروا يعددون نهاية الكون بالسنة والشهر واليوم، وهم في كل ذلك قد خضعوا لتصورات ساذجة، وأفكار خيالية، وفلسفات إلحادية، وكل ما انتهوا إليه لا يمثل صورة فكرية بقدر ما يمثل صورة من العبث واللامعقول. أملاً ماذا؟

فلأن الله تعالى بين أن أمر الكون كله من غيوباته جل علاه، فمن البداية قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مَتَّحِدِينَ غُصَّةً﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الأستاذ محمى السيد رزق - الفلسفة والفيلسوف ص ٨٧ ط ١ ١٩٦٣ م.

(٢) راجع كتابنا: الذرة البيرة في الدفاع عن السنة المطهرة ج ١ ص ٢٣ .

(٣) الدكتور محمد خليل أبو هديبة - الفلسفة والعلم ص ٩٨ .

(٤) الدكتور محسن السيد صبرى - النهاية حقائق وحيالات ص ١٣ ط ١ ١٩٧٦ م.

(٥) سورة الكهف - الآية ٥١ . راجع كتب التفسير : الإمام ابن جرير الطبرى - جامع البيان ج ١٥ ص ٢٦٣، والإمام القرطبي - تفسير القرطبي ج: ١١ ص: ٢/١ . والإمام ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج ٣ ص ٩٠ .

وبالنسبة لم يكن واحد من البشر حاضرا قبل خلق السماوات والأرض، حتى يكتب كما نلربخ ميلاد على أية ناحية كانت.

وكذلك أمر النهاية غيب عند حلا علاه. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿يقول الطبري: « يقول تعالى ذكره والله أبها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم في السماوات والأرض دون أمتكم التي تدعون من دونه ودون كل ما سواه لا يملك ذلك أحد سواه وما أمر الساعة إلا كلمح البصر، يقول وما أمر قيام القيامة والساعة التي تنشر فيها الخلق للوقوف في موقف القيامة إلا كنظرة من البصر لأن ذلك إنما هو أن يقال له كن فيكون. وقوله إن الله على كل شيء قدير يقول إن الله على إقامة الساعة في أقرب من لمح البصر قادر وعلى ما يشاء من الأشياء كلها لا يمتنع عليه شيء أراده »﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ويقول ابن كثير: « يخبر تعالى عن كمال علمه وقدرته على الأشياء في علمه غيب السماوات والأرض واختصاصه بعلم الغيب فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه تعالى على ما يشاء وفي قدرته التامة التي لا تخالف ولا تمنع وأنه إذا أراد شيئا قلما يقول له كن فيكون، كما قال وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر أي فيكون ما يريد كطرف العين وهكذا قال هاهنا: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، كما قال: "ملا خلقكم ولا بعنكم إلا كنفس واحدة"<sup>(٤)</sup>، ثم ذكر تعالى منته على عباده في إخراجهم إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون به الأصوات والأبصار التي بها يحسون المرئيات والأفئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل على التدريس قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جراحة وعضو وقوة على طاعة مولاه »﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾<sup>(٦)</sup>، « ففعله تعالى وما أمرنا إلا واحدة أي إلا مرة واحدة كلمح بالبصر أي قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر واللحم النظر

(١) سورة النحل - الآية ٧٧.

(٢) الطبري - جامع البيان ج ١٤ ص ١٥١/١٥٢.

(٣) سورة النحل - الآية ٧٧.

(٤) سورة لقمان - من الآية ٢٨.

(٥) الإمام ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج: ٢ ص: ٥٨٠.

(٦) سورة النمر - الآية ٥١.

بالعجلة يقال لمح البرق ببصره<sup>(١)</sup>. ويقول ابن كثير: «أي لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكيده»<sup>(٢)</sup>.

### يد مناقشتها

في تقديرى أن هذه الأدلة فيها من الضعف بقدر ما فيها من القوة، فترجيح جانب على آخر يمثل صورة من العنف الغير مقبول متى قصد بها البحث الفلسفى بوجه عام<sup>(٣)</sup>، أما إذا كان المقصود هو الفلسفة الإسلامية، فإن جانب الترجيح لما فيه قوة الأدلة يكون هو الغالب، وذلك غاية ما يمكن الاحتكام فيه، أما إذا كان المقصود بهذه الأدلة هو التأكيد على أن الفلسفة العامة مباحة، فذلك أمر آخر يحتاج نوعاً من البحث الجاد، أو البحث عن أدلة جديدة، تدعم بعض الجوانب من الأدلة القائمة. أما لماذا؟

فلما يلي:-

١- أن الفلسفة الإسلامية تنهض في مباحث خاصة هي:

- ١- الله.
- ٢- العالم.
- ٣- الإنسان<sup>(٤)</sup>.

وكل واحد منها قد جاءت به النصوص الشرعية دالة عليه. مؤكدة البحث في إثبات وجود الله تعالى، وإثبات الكمالات له جل علاه، ونفس التسلييات عنه جل وعلا وعن العالم باعتبار المبادئ التي قام عليها، والمواد التي كانت تمثل البذور الأولى لكل من السماء والأرض والماء وغيرها، وعن الإنسان من البداية حتى النهاية.

أو بعبارة أخرى: منذ أن كان فكرة في ضمير الغيب، إلى أن صار طفلاً في رحم الزمان، ثم ذكرى بعد أثر في عالم البرزخ، حيث تنعدم فيه أمارات الزمان وتلاشى تعبيرات المكان، ويحل بدلا منها الجنة أو النار.

ففي الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاً فرأى ناساً كأنهم يكتشرون قال أما إنكم لو أكثرتم ذكر هازم اللذات لشغلكم عمل أرى الموت فأكثرتم من ذكر هازم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر

(١) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ١٧ ص ١٤٩.

(٢) الإمام ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٥٣.

(٣) الدكتور عبدالعزيز محمد توفيق - النسفة نظريات ومباحث ص ٩٣.

(٤) هذه الموضوعات الثلاثة تقع حوزها الاتفاق بين الدارسين للفلسفة الإسلامية غالباً، ولكن ذلك لا يمنع من وقوف بعض آخر هذه الموضوعات، حتى إنه ربما هجر في وجه بعضها مؤكداً الاحتياج إلى مباحث سم الكلام. معتمداً موضوعاً شياً واحداً.



مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلى فإذ وليتك اليوم وصرت إلى فسئري صنيعي بك قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلى فإذ وليتك اليوم وصرت إلى فسئري صنيعي بك قال فيلتزم عليه حتى تلقى عليه وتختلف أضلاعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابه فأدخل بعضها في جوف بعض قال ويقض الله له سبعين تينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشته وتجدشته حتى يفضي به الحساب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما القمر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار<sup>(١)</sup>.

❦ ٢. أن الفلسفة العامة تقوم في نظريات تقبيل الترجيع والرجعان، وهي في مجملها ثلاث:

١- الوجود.

٢- المعرفة.

٣- القيم.

وما من شك في أن نظريات الفلسفة العامة ليست هي بعينها مباحث الفلسفة الإسلامية<sup>(٢)</sup>، وإن بدا للبعض ظهور وجه للتشابه أو التقارب بينهما، إلا أن هذا الوجه من التشابه يتلاشى عند النظرة المتأنية، وبالتالي فالأحكام التي تطبق على الفلسفة الإسلامية من ناحية دراستها أو الاشتغال بها، لا تطبق على الفلسفة العامة، وبخاصة إذا تعلقت مباحثها بالإلحاد واللامعقول.

أما الحكمة الإسلامية فهي من أعمال أهل الإسلام الحقيقية، التي تقوم على تفهم النقل الملز، مع الالتزام بكل ما يأمر به النقل إتيانا له، وما هي انصرافا عنه، وبالتالي فهي التي تدخل في إطار العلوم الشرعية المأمور بها على جهة الوجوب أو الإباحة، كما أن مباحثها لا تفسر عن الأسس التي تحدت عنها النصوص الشرعية، وذلك مما يجعل التمسك بها أمرا شرعيا<sup>(٣)</sup>.

لكن تبقى نقطة جوهرية، وهي أنه كلما كانت الأبحاث العقلية قائمة في نطاق الشرع الإسلامي، فإن أمر قبولها لا تقع فيه المنازعة على ناحية قوية، كما أنه إلى أن اختلاف العلماء في فهم النقل الملز ليس مدعاة لانهام فريق منهم غيره بالخروج على الدين؛ لأن الاختلاف في فهم النقل وليس في إثبات النقل، كما أنه لا ولاية لمفكر على غيره، حتى وإن خالفوه النمط الفكري،

(١) الإمام الترمذي - سنن الترمذي ج ٤ ص ٦٣٩ - رقم: ٢٤٦٠، وأخرجه العلامة المنذرى - الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١١٨ رقم: ٥٠٥١.

(٢) الدكتور محمد مختار الدهيش - دراسات في الفلسفة الإسلامية ص ٦٣.

(٣) هذا الباب الرابع لم يكتمل بعد، وإنما يحتاج المزيد من العرض، وبخاصة ما يتعلق بالفصل الثالث، وأمل أن أمكن من إصلاح ذلك في مستقبل الأيام، إن أمد الله في العمر، ويسر في الأسباب، وكل شيء عنده بمقدار.

﴿٤٤﴾

فلا يقدح فقيه في نتاج متكلم، كما لا يقدح نحوي في نتاج بلاغي؛ لأنها علوم مختلفة في موضوعاتها، ومن شأنها أن تتلاقى في بعض الموضوعات، وتختلف في البعض الآخر، على سبيل الاتفاق، لا على سبيل الضرورة.

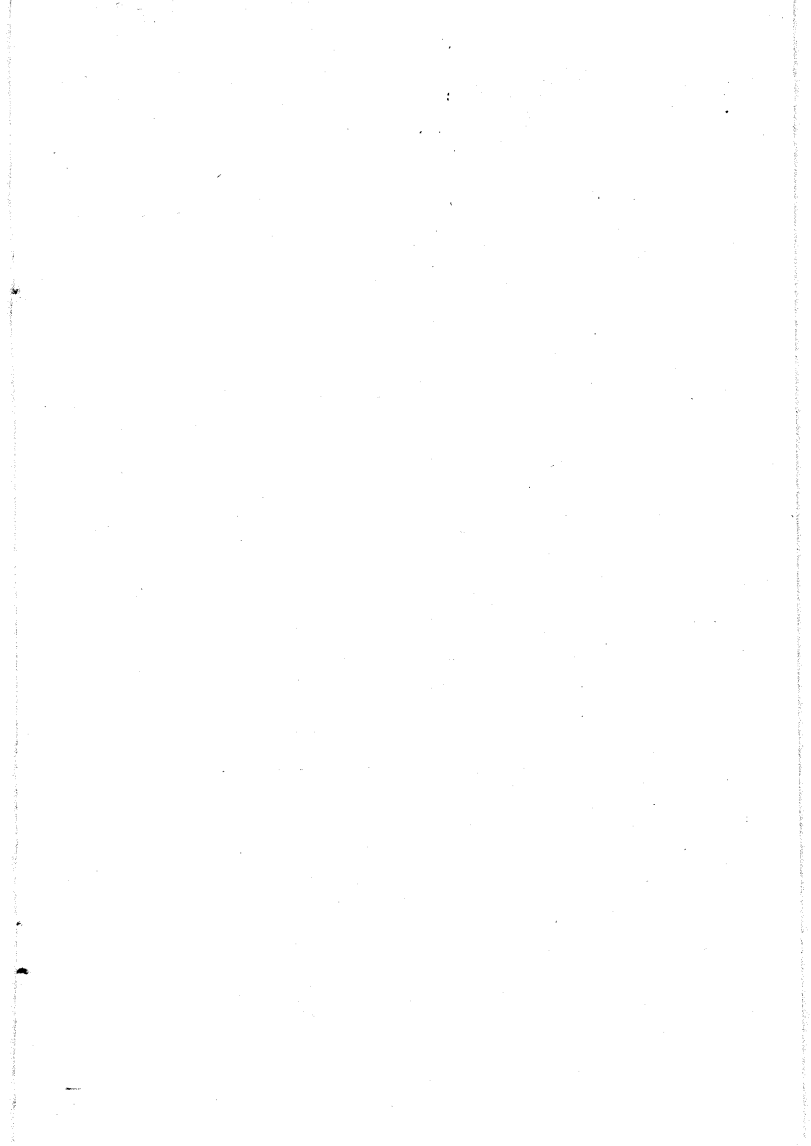
## الخاتمة

عزيزي القارئ المفضل: لعلك قد طفت معي بين جنبات البحث العلمي الذي مررنا به سويا، ولعلك قد لاحظتني أغالب الأمواج المادرة، والرياح المندفعة الطائفة، غمر هباب لرعد الرعود، ولا برق البرق، وإذا كانت إحدى أمنياني أن أقدم بين يديك بضاعة كم تمنيت أن يكون لها عندك شيء من الحظوة، أو تبلغ في صدرك مبلغ القبول.

بيد أني ألفت انتباهك إلى أن هذه المباحث قد حوت بين ثناياها خطرات وخواطر، وجمعت بين يديها ثلة من النتائج التي كنت أعدو خلفها عدو الموجة مع أختها، وأقتر بممة ويسرة أحيط بهم، فما تمكنت منه أسرعت بقيده، وما انفلت مني حاولت إعادته، واسترجاع جماله وهيبته، أما مما تمكن من الانفلات فيعلم الله تعالى أني كنت أسبح فوق لجأت محيط الأفكار، نعدوني أمل كبير في توفيق الله الواحد القهار، وأمل أن نلتقي في الجزء الثاني من هذا الكتاب، حول ميادين الفلسفة، إن شاء الله تعالى.

وأود الإلفات إلى إن هذه المسائل التي طرحتها لك في هذا الجزء، جاءت كمروس غائبة بجسائها عن كل زينة طبيعية، لكن ألتمس منك التعامل معها برفق، والاقتراب منها بالحنو، إذ فيها من الوهن بقدر ما في صاحبها من الظروف الصحية، فلا تعتبرها معترفة تطلب منها إغراءك بكل ما لديها من طاقة أو إمكانيات، وإنما أود منك أن تنظر إليها بعين كريمة تصلح أخطاءها، وتبصر كسرهما، وتقبلها من عنائها، فلكل جواد كيوه، ولكل سيف نيوه، ولكل عالم هفوه.

كما ألتمس منك الدعاء بأن يتعمد الله بفضل منه ورحمة، وأن يمشق علسي أعتاب شفاعة سيدنا محمد ﷺ ويكرم نرلي في دار الدنيا والآخرة، ويجعل الجنة مستقرى، ويخلفني في أهلي وولدي، ويجعل جزاء ذلك عنده جل علاه موصولا، وما ذلك على الله بعزيز. وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## المصادر

\* راعيت ترتيب هذه المصادر طبقاً للطريقة العلمية الحديثة، وهي ذكر اسم الشهرة للمؤلف أولاً بعد تفريده من حرف أل إن كان فيه، ثم ذكر اللقب، ثم الاسم وسنة الميلاد والوفاته متى أمكن الوقوف على ذلك، وبخاصة إذا كان من انتقلوا للدار الآخرة، ثم اسم الكتاب والمطبعة والسنة إن وجدت، مبتدئاً بالقرآن الكريم وعلومه، ثم السنة النبوية المطهرة الصحيحة وعلومها، ثم المعاجم العربية والتراجم، وأخيراً المصادر العامة، وهي التي أتت فيها الترتيب العلمي طبقاً للطريقة الحديثة.

### أولاً: القرآن الكريم وعلومه

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) أحكام القرآن - الإمام محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله (ت: ٢٠٤هـ) - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠هـ - تحقيق عبد القادر عبد الحفيظ.
- (٣) الأساس في التفسير - الأستاذ: سعيد حوى - طبعة دار السلام - بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- (٤) الإيمان في علوم القرآن - العلامة جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) طبعة المطابع الأزهرية.
- (٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الإمام الشيخ / القاضي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي (المتوفى ٧٩١هـ) - طبعة دار المعارف بمصر ١٣١٦هـ.
- (٦) البحر المحيط - العلامة أنور الدين أبو عبد الملك محمد بن يوسف بن حسان الأندلسي القرناطي - دار إحياء التراث العربي بيروت ط ١٤١١/٢هـ/١٩٩٠م.
- (٧) التحرير والتنوير - العلامة محمد الطاهر بن عاشور. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس ١٩٩٧م.
- (٨) تفسير الجلالين - جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي - دار الحديث بالقاهرة ط ١.
- (٩) تفسير الشعراوي - الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوي - مؤسسة أخبار اليوم.
- (١٠) تفسير القرآن الحكيم، المسمى تفسير المنار - الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا - دار المعرفة بيروت، دار المنار بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٣٥٠هـ.
- (١١) تفسير القرآن العظيم - الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي (٧٧٤هـ) - مكتبة الإرشاد ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- (١٢) التفسير القرآن للقرآن - للأستاذ عبد الكريم الخطيب - طبعة دار الفكر العربي.
- (١٣) تفسير المراغي - الشيخ الأستاذ أحمد مصطفى المراغي - طبعة دار الفكر.
- (١٤) جامع البيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الطبري - العلامة الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤/٣١٠هـ) - دار الجيل - الطبعة الثالثة - طبعة مصطفى البوابي الحلبي ١٩٥٤م وطبعة دار الغد العربي بالقاهرة ١٩٩٥م، وطبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥.
- (١٥) الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي - الإمام / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ) - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وطبعة دار الغد العربي ١٩٨٨م، وطبعة دار الشعب بالقاهرة (الطبعة الثانية) ١٣٧٢هـ - تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.
- (١٦) حاشية العلامة الصاوي على الجلالين - للعلامة الشيخ أحمد الصاوي - طبعة دار الفكر

- (١٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) - طبعة دار الفكر - ط الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .
- (١٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الإمام / أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت: ١٢٧٠هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ٤ / ١٩٨٥م .
- (١٩) صفوة التفسير - الشيخ محمد علي الصابوني - مكتبة الغزالي - بيروت .
- (٢٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان - العلامة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (٧٢٨هـ) - مامش تفسير الطبري - دار الجليل - بيروت .
- (٢١) فتح القدير - الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (توفي ١٢٥٥هـ) - طبعة دار الحديث بالقاهرة - ط ١٩٩٧/٣م .
- (٢٢) في ظلال القرآن الكريم - الأستاذ سيد قطب - الطبعة السادسة - دار الشروق ١٩٧٨م .
- (٢٣) الكشف عن حقائق التزويل وغيوب الأتوايل في وجوه التأويل - الإمام / أبو القاسم جلال الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٢٨هـ) - تحقيق مصطفى حسين - مطبعة مصطفى البسلي الحلبي ١٩٦٦م . وطبعة دار المعرفة - بيروت / لبنان .
- (٢٤) لباب التأويل في معاني التنزيل - العلامة علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت: ٧٢٥هـ) - دار الفكر - بيروت .
- (٢٥) لطائف الإشارات - الإمام القشيري - تحقيق الدكتور إبراهيم بسيون - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م .
- (٢٦) مختصر تفسير ابن كثير - الإمام الحليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - اختصار وتحقيق الأستاذ / محمد علي الصابوني دار التراث العربي - القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، وطبعة دار الصابوني للطباعة والنشر ١٩٨٨م .
- (٢٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي - مكتبة دار الحديث - الطبعة الأولى - طبعة الشعب ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- (٢٨) انحر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - العلامة ابن عطية - دار الكلب العلمية .
- (٢٩) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي) - العلامة الإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) - المطبعة البهية المصرية - الطبعة الأولى ١٩٩١م .
- (٣٠) المفردات في غريب القرآن - العلامة أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهاني - دار المعرفة بيروت - لبنان .

#### ثانياً: السنة النبوية المظهرية وعلومها

- (٣١) إرشاد الساري إلى صحيح البخاري - المطبعة الكبرى الأميرية ١٣٢٣هـ .
- (٣٢) السير الزخار - العلامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق الزمار المولود ٢١٥هـ - المتوفى ٢٩٢هـ - مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم - بيروت ، المدينة ١٤٠٩هـ - الطبعة الأولى - تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله .
- (٣٣) تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي - الإمام الحافظ أبو العلي محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ) المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - ط ١٩٦٧/٣م .

- (٣٤) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - العلامة عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - محمد المولود ٥٨١هـ والمتوفى ٦٥٦هـ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ - الطبعة الأولى - تحقيق إبراهيم شمس الدين، وطبعة دار الحديث - القاهرة.
- (٣٥) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة - العلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المولود ٧٧٣هـ المتوفى ٨٥٢هـ - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - تحقيق د. إكرام الله إمداد الحق (بدون).
- (٣٦) تهذيب سنن أبي داود، الإصدار لابن القيم - طبعة مجمع أبي النور
- (٣٧) الجامع الصغير للسيوطي - العلامة عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الحضيري - (٩١١/٨٤٩هـ) - تحقيق محمد بن عبد الرووف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين المناوي - طبعة دار العلم نجدة - بدون.
- (٣٨) المرحم والتعديل - العلامة عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي المتوفى ٣٢٧هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٢٧١هـ / ١٩٥٢م - الطبعة الأولى - عدد الأجزاء ٩.
- (٣٩) حاشية السندی على النسائي للإمام السندی - طبعة مجمع أبي النور.
- (٤٠) حلية الأولياء - أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) - طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ - الطبعة الرابعة.
- (٤١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - الإمام المحدث الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) طبعة الحلبي.
- (٤٢) سنن أبي داود - الإمام الحافظ / أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٤٣) سنن ابن ماجه - للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه - طبعة دار إحياء التراث العربي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- (٤٤) سنن البيهقي الكبرى - أحمد بن حسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي - (٤٥٨/٣٨٤هـ) - مكتبة دار البار بمكة المكرمة - ١٤١٤/١٩٩٤م - تحقيق محمد عبدالقادر عطا.
- (٤٥) سنن الترمذي - الإمام / محمد الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة (٢٧٩/٢٠٩هـ) - مطبعة مصطفى الحلبي.
- (٤٦) سنن الدار قطنی - العلامة علي بن عمر أبو الحسن الدار قطنی البغدادي (٣٨٥/٣٠٦هـ) - طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م - تحقيق السيد عبدالله هاشم بماني المدني.
- (٤٧) سنن الدارمی - الإمام الكبير أبو محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن مرام الدارمی المولود ١٨١هـ والمتوفى ٢٥٥هـ - دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧هـ - الطبعة الأولى - تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.
- (٤٨) سنن النسائي - الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن عمر النسائي (ت: ٣٠٢هـ) دار الحديث ١٩٨٧م.

- (٤٩) سنن سعيد بن منصور - العلامة سعيد بن منصور المتوفى ٢٢٧هـ - دار العيصي - الرياض ١٤١٤هـ - الطبعة الأولى - تحقيق د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد.
- (٥٠) شرح مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه، مع شرحه للإمام الهمام ناصر السنة وقامع البدعة الملا علي القاري الحنفي، (مع تعليق الشيخ خليل محي الدين ليس مدير أزهر لبنان) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- (٥١) صحيح الإمام البخاري - الإمام / محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ) - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط ١٩٩٨م.
- (٥٢) صحيح مسلم - الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) - ط الحلبي
- (٥٣) صحيح ابن حبان - العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي - (ت: ٣٥٤هـ) - ط مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٣م الثانية - تحقيق شعيب الأرنؤوط.
- (٥٤) صحيح مسلم بشرح النووي - الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - الطبعة الأولى - تعليق الأستاذ محمد محمد تامر - دار الفجر للتراث ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، وطبعة المطبعة المصرية ومكتبتها.
- (٥٥) عون المعبود - شرح سنن أبي داود - العلامة شمس الحق أبو الطيب - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ - الطبعة الثانية.
- (٥٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للعلامة ابن حجر العسقلاني - تحقيق عبد الونيس الخطيب وقصى الدين الخطيب - طبعة دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- (٥٧) فتح القدير - الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى ١٢٥٥هـ) - دار الحديث بالقاهرة - ط ١٩٩٧/٣م.
- (٥٨) كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - الشيخ إسماعيل محمد العجلوني (ت: ١١٦٢هـ) مكتبة الغزالي - دمشق.
- (٥٩) كثر العمال - للعلامة علاء الدين المتقي الهندي - ١٩٨٩م مؤسسة الرسالة - دمشق.
- (٦٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الميمني - بتحريه الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر - دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- (٦١) المستدرک على الصحيحين - الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥/٣٢١هـ) - طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١/ ١٩٩٠م الأولى - تميمي مصطفى عبدالقادر عطا.
- (٦٢) مسند أبي داود الطيالسي - العلامة سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي المتوفى ٢٠٤هـ - دار المعرفة - بيروت (بدون).
- (٦٣) مسند الإمام أحمد - الإمام / أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى - دار كعب الفقه.
- (٦٤) مسند أبي عوانة - العلامة أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الأسفرائيني المولود في ٣١٦هـ - دار المعرفة - بيروت ١٩٩٨م - الطبعة الأولى -:



- (٦٥) مسند أبي يعلى - العلامة أحمد بن علي بن الحسن أبي يعلى الموصلى التميمي (٣٠٧/٢١٠هـ) - طبعة دار المأمون للتراث بدمشق (ط) - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م - تحقيق حسين سليم أسد.
- (٦٦) مصنف ابن أبي شيبة - العلامة أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥/١٥٩هـ) - طبعة مكتبة الرشد بالرياض ١٤٠٩هـ - الأولى - تحقيق كمال يوسف الحوت.
- (٦٧) المعجم الأوسط - العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٣٦٠/٢٦٠هـ) - طبعة دار الحرمين بالقاهرة - طبعة ١٤١٥هـ - تحقيق طارق بن عوض الله الحسين.
- (٦٨) المعجم الكبير - العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٣٦٠/٢٦٠هـ) - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ط ٢ - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م - تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- (٦٩) الموطأ للإمام مالك، برواية الإمام محمد بن الحسن - طبعة دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩١م.

### ثالثاً: المعاجم العربية والتراجم وكتب الرجال

- (٧٠) أنجد العلوم - العلامة صديق بن حسن الفنوجي - طبعة دار الريان للتراث ١٤٠١هـ.
- (٧١) أساس البلاغة - العلامة محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) - طبعة دار الشعب ١٩٦٠م، طبعة دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- (٧٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة - العلامة ابن الأثير - مكتبة دار السرايا - حلب ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- (٧٣) الإصابة في تمييز الصحابة - العلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢/٧٧٣هـ) - ط ١ - تحقيق علي محمد البهاوي - طبعة دار الجليل بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- (٧٤) الأعلام للزركلي - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين - تأليف خير الدين الزركلي - الطبعة الثالثة ١٣٦٧هـ.
- (٧٥) الإكمال في ذكر من له رواية في تصدق الإمام أحمد من الرجال - العلامة محمد بن علي بن الحسن أبو المحاسن الحسيني المولود ٧١٥هـ - المتوفى ٧٦٥هـ - جامعة الدراسات الإسلامية - كراتشي ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م - تحقيق د. عبدالمعطي أمين قلعي.
- (٧٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (ت: ٤٦٣هـ) - ط ١ - تحقيق علي محمد البهاوي - طبعة دار الجليل بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- (٧٧) البداية والنهاية - الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - طبعة دار الفهد العربي.
- (٧٨) تاج العروس من جواهر القاموس - العلامة محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ١٢٠٥هـ - ١٣٠٧هـ.
- (٧٩) تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام - الإمام الذهبي - طبعة القاهرة.
- (٨٠) تاريخ الخلفاء الراشدين - العلامة حلال الدين السيوطي - طبعة بيروت.

- (٨١) التاريخ الصغير (الأوسط) - العلامة الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المولود ١٩٤هـ المتوفى ٢٥٦هـ - دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م - الطبعة الأولى - تحقيق محمود إبراهيم زايد
- (٨٢) التاريخ الكبير - العلامة محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي المولود ١٩٤هـ - المتوفى ٢٥٦هـ - دار الفكر - تحقيق السيد هاشم الندوي.
- (٨٣) تاريخ بغداد - العلامة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) - طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩هـ.
- (٨٤) التعريفات - السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد زين أبي الحسن والحسين الجرجاني (٨١٣/٧٤٠هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م. وطبعة دار الريان للتراث ١٤٠٣هـ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإياري، وتحقيق الدكتور عبدالمنعم الحنفي - طبعة دار الرشد ١٩٩١م
- (٨٥) تقريب التهذيب - العلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - المولود ٧٧٣هـ - المتوفى ٨٥٢هـ - دار الرشيد - بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٦م - الطبعة الأولى - تحقيق محمد عوامة.
- (٨٦) تهذيب الأسماء واللغات - العلامة أبو زكريا يحيى الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام - دار الفكر - بيروت ١٩٩٦م - الطبعة الأولى
- (٨٧) تهذيب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المولود ٧٧٣هـ والمتوفى ٨٥٢هـ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م - الطبعة الأولى -
- (٨٨) تهذيب الكمال - العلامة يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الخجاج المزني المولود ٦٥٤هـ والمتوفى ٧٤٢هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م - الطبعة الأولى - تحقيق د. بشار عواد معروف،
- (٨٩) الثقات - العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى ٣٥٤هـ - دار الفكر ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م - الطبعة الأولى - تحقيق: السيد شرف الدين أحمد
- (٩٠) رجال صحيح مسلم - العلامة أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر - المولود ٣٤٧هـ المتوفى ٤٢٨هـ - دار المعرفة - بيروت ١٤٠٧هـ - الطبعة الأولى - تحقيق عبد الله اللبني.
- (٩١) سير أعلام النبلاء - العلامة محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله المولود ٦٧٣هـ المتوفى ٧٤٨هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٣هـ - الطبعة التاسعة - تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- (٩٢) طبقات الحفاظ - العلامة عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل المولود ٨٤٩هـ المتوفى ٩١١هـ - الطبعة السادسة - رقم: ٢٢٠ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ - ط ١.
- (٩٣) الطبقات الكبرى - العلامة ابن سعد - ط بيروت ١٣٧٦هـ.
- (٩٤) الغريب - العلامة ابن سلام - طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٨٨م.
- (٩٥) الغريب - العلامة ابن قتيبة - طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٨٦م.

- (٩٦) الفهرست - العلامة محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم المتوفى ٣٨٥ هـ - - دار المعرفة - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م [
- (٩٧) القاموس المحيط - الإمام محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي - طبعة دار الجليل - بيروت، وطبعة المطبعة الحسينية المصرية - ١٣٣٠ هـ، وطبعة الهيئة المصرية للكتاب - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- (٩٨) القطر المحيط - المعلم بطرس البستاني ط دار لبنان ١٩٦٩ م.
- (٩٩) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة - العلامة حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي المولود ٦٧٣ هـ، المتوفى ٧٤٨ هـ - دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم - جدة - ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م - الطبعة الأولى - تحقيق محمد عوامة
- (١٠٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - العلامة مصطفى بن عبداللّٰه القسطنطيني الرومي الحنفي - المولود ١٠١٧ هـ / المتوفى ١٠٦٧ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م -.
- (١٠١) لسان العرب - العلامة / أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت: ٧١١ هـ) - تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرون - الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٥ م - دار المعارف .
- (١٠٢) لسان الميزان - العلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م - الطبعة الثالثة - تحقيق دائرة المعارف النظامية - الهند .
- (١٠٣) محيط المحيط - المعلم بطرس البستاني - طبعة بيروت ١٨٧٠ م.
- (١٠٤) مختار القاموس - الطاهر أحمد الزاوي (طبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤ م).
- (١٠٥) مشاهير علماء الأمصار - العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي المتوفى ٣٥٤ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٥٩ م - تحقيق م. فلابشهر
- (١٠٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت: ٧٧٠ هـ) الطبعة الأولى - حققه الأستاذ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية وطبعة المطبعة الخيرية ١٣٠٥ هـ.
- (١٠٧) المعجم الفلسفي - الدكتور يوسف كرم وآخرين - القاهرة ١٩٦٦ م.
- (١٠٨) المعجم الفلسفي - دكتور جميل صليبا - دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ م.
- (١٠٩) المعجم للمؤلفين - العلامة عمر رضا كحالة - طبعة بيروت .
- (١١٠) المعجم الوسيط - الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون - القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
- (١١١) معرفة النقات - العلامة أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي المولود ١٨٢ هـ، المتوفى ٢٦١ هـ - مكتبة الدار - المدينة المنورة - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م الطبعة الأولى - تحقيق عبد العظيم البستوي
- (١١٢) المنجد في اللغة والآداب والعلوم - الأب لويس معلوف اليسوي - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣ م.

- (١١٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال - العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المولود ٧٤٨هـ - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٥م - الطبعة الأولى - تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.
- (١١٤) النهاية في غريب الحديث والأثر - للعلامة ابن الأثير - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٢هـ.

#### رابطا المصادر العامة

#### حرف الألف

- \* أبو العلا - الأستاذ صبحي محمد
- (١١٥) محاضرات في الثقافة العامة - الطبعة الأولى - الدار القومية ١٩٥٧م
- \* أبو بكر - أحمد بن سلمان النجار - المولود ٢٥٢هـ والمتوفى ٣٤٨هـ
- (١١٦) الرد علي من يقول القرآن مخلوق - مكتبة الصحابة الإسلامية بالكويت ١٤٠٠هـ تحقيق رضا الله محمد إدريس
- \* أبو علي - الدكتور صابر محمد علي حسين
- (١١٧) الفلسفة في مراحلها الأولى ط ١٩٢٤م.
- \* أبو سديرة - الدكتور صبري محمد
- (١١٨) الحضارة اليونانية ط أولى ١٩٦٥م.
- \* الأسود - الشيخ محمد أبو علي
- (١١٩) فرعون مصر في القرآن الكريم ط أولى ١٩٤٥م.
- \* أبو عوف - الدكتورة سامية محمد
- (١٢٠) الفلسفة والتراث الشرقي - ط أولى ض ٩٧٥م.
- \* أبو شامة - الدكتور حسن محمد
- (١٢١) القدرات العقلية والفروق الفردية - مكتبة النهر الخالد ١٩٨٧م.
- \* أندرسون - المستشرق يوهان.
- (١٢٢) ما قبل الفلسفة - ترجمة رمزي عبدالمسيح ط دار الفؤاد ١٩٤٦م.
- \* أبو علي - الأستاذ ناصر محمد
- (١٢٣) الإنسان والخرافة ط أولى ١٩٣٧م.
- \* أبو قرن - الدكتور حسنين السيد
- (١٢٤) الفلسفة اليونانية ورجالها ١٩٥٣م.
- \* الأهوازي - الدكتور أحمد فؤاد
- (١٢٥) المدارس الفلسفية - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م.
- \* ابن سينا - الشيخ الرئيس أبو الحسين
- (١٢٦) تسع رسائل في الحكمة والطبيعات
- \* أبو هاشم - الدكتور صبري محمد
- (١٢٧) العلم عند العرب - ط أولى ١٩٧٣م.
- \* إسكندر - الأستاذ صبحي محمد
- (١٢٨) الفلسفة القديمة ط أولى ١٩٣٧م.

- ✽ الأنور - الدكتور عبد الواضى محمد  
(١٢٩) الفلسفة النظرية والعملية ط ٣ كركوك ١٩٤١ م.
- ✽ اشتاينيك - الدكتور جون  
(١٣٠) الفلسفة النقدية والعملية - ترجمة ناصر محمد - الدار الأهلية ١٩٥٧ م.
- ✽ أريشناخ - الدكتور  
(١٣١) الفلسفة الوضعية طبعة أولى - ترجمة حنان صبرى ١٩٦٣ م.
- ✽ أبو نعمة - الأستاذ حكمت الله محمد  
(١٣٢) أساطير اليونان ط دار حكمت بالأستانة ١٣٢٥ هـ.
- جورج إيلياء**
- ✽ بياالورى - المستشرق توماس  
(١٣٣) الحضارة الأوربية القديمة ط ١ / ١٩٧١ م ترجمة هناء رمزى .
- ✽ باول - المستشرق مارتين جونسون  
(١٣٤) الحضارة الغربية وأثرها فى العلوم الإنسانية - ترجمة حنان مرقس ١٩٦١ م.
- ✽ القس بللورى - المستشرق  
(١٣٥) الحضارة والعالم القديم - ترجمة الأستاذ فوزى إسكندر ١٩٥٧ م.
- ✽ بريبييه - المستشرق إميل  
(١٣٦) اتجاهات الفلسفة
- ✽ الأراء الدينية والفلسفية لنيلسون - ترجمة د: محمد يوسف موسى - ط الحلبي .
- ✽ بيتال - أ. ب. جورج  
(١٣٨) الفلسفة الفرعونية - ترجمة حنان صبحى ١٩٥٧ م.
- ✽ البسيونى - الدكتور مرسى حسن  
(١٣٩) خطرات فى الفلسفة اليونانية ط ٢ الدار البيضاء ١٩٥٦ م.
- ✽ بيصار - الدكتور محمد عبد الرحمن  
(١٤٠) العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ط الأنجلو ١٤١١ هـ.
- ✽ بيرى - رالف يارتون  
(١٤١) إنسانية الإنسان - ترجمة سلمى الحضراء - دار مكتبة المعارف - بيروت ١٩٦١ م.
- ✽ بانفرد - هيلموت  
(١٤٢) الفلسفة والإنسان المعاصر ترجمة هناء صبرى ط ٣ / ١٩٦٥ م.
- ✽ البنان - الدكتور فوزى السيد  
(١٤٣) الفلسفة والمجتمع ص ٤٧ طبعة دار منصور ١٩٥٤ م.
- ✽ بايرين - المستشرق تيرى  
(١٤٤) الأنا وهو (دراسة سيكولوجية) - ترجمة يوسف مرقص
- جورج إيلياء**
- ✽ توكاريف - أ. ب. سيرغى  
(١٤٥) الأديان فى تاريخ شعوب العالم - ترجمة درم أحمد فاضل ١٩٨١ م.
- ✽ تزومان - المستشرق جوهان  
(١٤٦) الفلسفة الإيلية وأثرها على الميتافيزيقا اليونانية - ترجمة صبحى حسن .

- \* توفيق - الدكتور رمضان حسنى .
- (١٤٧) الفلسفة اليونانية ط أولى ١٩٥١م.
- \* تيرى - المستشرق وليم
- (١٤٨) المناهج الفلسفية - ترجمة فؤاد نصار - أم درمان ١٩٦١م.
- \* تعقيب - الدكتور محسن السيد
- (١٤٩) الفلسفة اليونانية ط دار المغرب الجديدة - مراكش ١٩٦٧م.
- \* قاتيهوم - الدكتور أ. ب
- (١٥٠) المنهج العلمى - ترجمة حنان فخرى ط الثانية - مكتبة رزق ١٩٦٧م.

#### حرف الشاء

- \* ثروت - الشيخ حسن محمد
- (١٥١) أوروبا والخصارة ط دار الهجرة ١٩٦٧م.
- \* ثابت - الشيخ حمدان السيد
- (١٥٢) العلوم العقلية فى البيئة الإسلامية - الطبعة الرابعة ١٣٨٥هـ.
- \* ثابت - الدكتور فوزى محمد
- (١٥٣) الفلسفة اليونانية ط أولى ١٩٦١م.
- \* ثروت - الدكتور حسين مرسى
- (١٥٤) دراسات فى الفلسفة الإسلامية ط أولى ١٩٦٥م.
- \* الثروى - الدكتور صبرى على حسن
- (١٥٥) الفلسفة موضوعات ومشكلات ط أولى ١٩٥٧م.
- \* ثابت - الدكتور فوزى محمد
- (١٥٦) الفيلسوف والفلسفة ط أولى ١٩٨٨م.

#### حرف الجيم

- \* الجبيلى - الدكتور حسن محمد
- (١٥٧) سقراط وفلسفته ط ٢ / ١٩٦٧م.
- \* جينز - الدكتور جيمس
- (١٥٨) الغزياء والفلسفة - ترجمة جعفر رجب - دار المعارف
- \* جاد - الدكتور بشينة محمد
- (١٥٩) المنهج العلمى ط أولى دار الوفاء ١٩٩٧م.
- \* جمعة - الدكتور رمزي محمد
- (١٦٠) المدخل للفلسفة ط دار الفؤاد ١٩٦٥م
- \* الجندى - الأستاذ أنور
- (١٦١) الإسلام والفلسفات القديمة ط دار الاعتصام .
- \* جميل - الدكتور حسن خيرى
- (١٦٢) الفلسفة والحركة الفكرية ط دار البستان ١٩٥٦م.
- \* الجمل - الدكتور أحمد عبده جمودة
- (١٦٣) مفهوم الفكر المادى - حولى كلية أصول الدين بالقاهرة - العدد الثانى عشر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

جرب الخلاء

- \* حسين - الدكتور فوزي إسماعيل
- (١٦٤) فلسفة الحضارة - ط سيد رأفت ١٩٨١ م.
- \* حكيم - الأستاذ نعمت الله
- (١٦٥) تاريخ الفلسفة اليونانية ط الدار الجديدة ١٣٣٥ هـ.
- \* حجازي - الدكتور عوض الله جاد والدكتور محمد السيد نعيم
- (١٦٦) في تاريخ الفلسفة اليونانية ط دار الطباعة المحمدية
- \* حامد - الأستاذ عبد الخالق سيد
- (١٦٧) الفلسفة والواقع المعاش ط ١٩٦١/١ م.
- \* حسن - الدكتور فوزي محمد
- (١٦٨) الأخلاق عند فلاسفة الإسلام - ط أولى دار الثقافة - بيروت ١٩٥١ م.

جرب الخلاء

- \* عبد الخالق - الدكتور تهاى محمد
- (١٦٩) الفلسفة ومشكلاتها ط ١٩٨٧ م.
- \* الخواص - الأستاذ التهاى محمد
- (١٧٠) العقل وغروره ط ١ دار برهان ١٩٥٣ م.

جرب الخلاء

- \* دوكنز - ريتشارد
- (١٧١) الجديد في الانتخاب الطبيعي بيولوجيا - ترجمة د: مصطفى فهمي - الهيئة المصرية ٢٠٠٢ م.
- \* دقدق - الدكتور فوزي السيد
- (١٧٢) المنطق الحديث ومشكلات الدراسة ط ١٩٥٧ م.
- \* الدمشقي - العلامة نور الدين صبحي
- (١٧٣) الفلسفة بين الحقيقة والخيال ط الدار الإسلامية ٣٣٧ هـ.
- \* دوي - جون
- (١٧٤) المنطق نظرية البحث مع مقدمة الدكتور زكي نجيب محمود .
- \* الديباوى - الشيخ محمد أحمد
- (١٧٥) الروح وأثارها الكونية ط أولى ١٩٣١ م.
- \* الدنياوى - الشيخ عبد العظيم منصور
- (١٧٦) دراسات في الفكر الإسلامى ط دار نصرت بالأستانة ١٣١٥ هـ.
- \* الدهيش - الشيخ محمد السيد
- (١٧٧) القرآن والعمل ط أولى ١٩٨٧ م.
- \* الدينورى - الشيخ أحمد عبد الصمد
- (١٧٨) قضية الفلسفة من منظور إسلامي ط دار حكمت الله ط أولى ١٣١٥ هـ.

جرب الخلاء

- \* الذاكى - الدكتور محمد السيد
- (١٧٩) اتجاهات الفلسفة في العصور الوسطى - دار مختار ١٩٣٥ م.

جريد الزاوي

- \* الريحاني - الشيخ محمد (١٨٠) مصطلحات المنطق القديم ط دار شفيق ١٣٣٥ هـ .
- \* رزق - الدكتور محسن السيد (١٨١) الفلسفة وأنهاها - ط أولى ١٩٥٧ م.
- \* رفقى - الدكتور محمد حسن (١٨٢) الفلسفة القديمة ط ١ ، ٢ / ١٩٤٦ م ، ١٩٥١ م.
- \* رزق - الدكتور جابر محمد (١٨٣) الفلسفة الطبيعية ط أولى ١٩٣٧ م.
- \* راشد - الدكتور صبيح محمد (١٨٤) الكندي فيلسوف العرب دار المروة ١٩٧٧ م.
- \* راسل - يوتواند (١٨٥) حكمة الغرب ج ٢ ترجمة الدكتور فؤاد زكريا - سلسلة عالم الكتب.
- \* رجب - الدكتور محمود (١٨٦) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين - دار المعارف بمصر ١٩٨٧ م.
- \* رضوان - الدكتور حامد المتولي (١٨٧) الفلسفة بين الخصوم والأنصار - ط دار الهدى ١٩٨٣ م.
- \* رزق - الأستاذ محسن عبد الحميد (١٨٨) الفلسفة الإسلامية وقضاياها ط أولى ١٩٦٥ م.
- \* رزق - الدكتور فوزي حسن (١٨٩) مدخل إلى الفلسفة - ط الدار الجديدة ١٩٦٠ م.
- \* روزنتال - فردريك (١٩٠) التراث القديم في الحضارة الإسلامية - تقديم وتعليق الدكتور عبدالله حسن المسلمي - ط سعيد رأفت ١٩٩٣ م.

جريد الزاوي

- \* زاهر - الدكتور فوزي محمد (١٩١) دراسات في الفلسفة الحديثة ط دار مراد ١٩٧٣ م.
- \* زعرب - الدكتور حسن محمد (١٩٢) اليونان وثقافتهم القديمة ط ٢ / ١٩٥٧ م.
- \* زكريا - الدكتور محسن السيد (١٩٣) المنطق القديم - ط در فؤاد ١٩٥٧ م.
- \* الزاوي - الدكتور محمد أحمد (١٩٤) الفلسفة اليونانية ط ٢ الدار القومية ١٩٧١ م.
- \* زكريا - الدكتور فوزي الثروي (١٩٥) الفلسفة والمنطق ط أولى ١٩٥١ م.



حرف السين

- ✽ السلاوي - الشيخ عبدالمعطي بن سالم .  
 (١٩٦) البهجة السنية لشرح القصيدة الزينية ط ١ المطبعة المحمودية بمصر المحمية ١٣١٨ هـ .  
 ✽ السعيد - الدكتور علي منسى .  
 (١٩٧) فلاسفة اليونان المتقدمين ط دار الأمتى ١٩٦١ م .  
 ✽ سارتر - جان بول  
 (١٩٨) نظرية في الانفعالات - ترجمة سامي عبد الله علي وآخر - الهيئة المصرية ٢٠٠١ م .  
 ✽ السريطي - الدكتور رمضان حسن  
 (١٩٩) الفلسفة اليونانية ط ٢ / ١٩٥٧ م .

حرف الشين

- ✽ الشهرستاني - العلامة عبدالكريم  
 (٢٠٠) الملل والنحل - تحقيق الأستاذ محمد سيد كيلاني .  
 ✽ الأشعري - العلامة علي بن إسماعيل بن أبي بشر أبو الحسن المولود ٢٦٠ هـ والمتوفى ٣٢٤ هـ .  
 (٢٠١) الإبانة عن أصول الديانة - دار الأنصار - القاهرة ١٣٩٧ هـ - الطبعة الأولى - تحقيق د. فؤاد حسين محمود  
 ✽ شقير - الشيخ محمد زكي عبدالباقى  
 (٢٠٢) الحضارة المصرية القديمة ط ١ / ١٩٣١ م .  
 ✽ شعيب - الدكتور صبيح محمد سلامة  
 (٢٠٣) أثر الفيثاغورية على الفلسفة اليونانية ط الدار الجديدة ١٩٦١ م .  
 ✽ الشيخ - الدكتور فوزية مرسى  
 (٢٠٤) دراسات في فلسفة العصور الوسطى ط ٢ / ١٩٩١ م .  
 ✽ شراية - الدكتور مرسى محمد  
 (٢٠٥) الفلسفة والمجتمع نظرة واقعية ١٩٦٥ م .

حرف الصاد

- ✽ صبرى - الأستاذ نصر محمد السيد  
 (٢٠٦) الفلسفة والأخلاق ط أولى ١٩٦١ م .  
 ✽ الصعدي - الشيخ عبدالفتاح حسن .  
 (٢٠٧) السعادة الإنسانية ط دار هدى ١٩٨٥ م .  
 ✽ صابر - الأستاذ صبرى حسن  
 (٢٠٨) ميادين الفلسفة - ط دار المعرفة ١٩٧٥ م .

حرف الضاد

- ✽ ضبيح - الأستاذ صالح محمد  
 (٢٠٩) فلاسفة الإسلام ط أولى ١٩٤٧ م .

حرف الظاد

- ✽ الظويل - الدكتور توفيق  
 (٢١٠) قصة الصراع بين الدين والفلسفة ط دار النهضة ١٩٧٩ م .  
 (٢١١) أسس الفلسفة - ط النهضة المدرية - الطبعة الرابعة .  
 (٢١٢) مدخل إلى الفلسفة

- \* الطرهوني - العلامة محمد بن حسن  
(٢١٢) العلاقات والكميات - دار الاستقامة ١٣٣٤هـ.  
\* طليل - الأستاذ فوزي عبده  
(٢١٤) دراسات في الفلسفة اليونانية ط أولى ١٩٤١م.  
\* طلعت - الأستاذ رمزي السيد  
(٢١٥) دراسات في الفلسفة ط أولى دار الهداية تونس ١٩٦٥م.

#### عزها الفناء

- \* ظافر - الدكتور عبد العظيم حسين  
(٢١٦) الفلسفة اليونانية قبل سقراط ط أولى ١٩٧١م المغرب  
\* الظهران - الدكتور محمد صبري  
(٢١٧) الجغرافيا الطبيعية ط أولى ١٩٦١م.  
\* ظهير - الدكتور عبد الخالق عبد العظيم  
(٢١٨) دراسات في الميتافيزيقا ط دار الأمل ١٩٧٧م وطبعة الدار الجديدة دمشق ١٩٢٧م.  
\* ظهران - الدكتور وفاء محمد  
(٢١٩) الفلسفة الحقيقة والخيال ط أولى ١٩٥٧م مراكش .

#### عزها العين

- \* عبد الوارث - الدكتور صبري ممد  
(٢٢٠) أوروبا بين الماضي والحاضر ط أولى ١٩٦٧م كركوك.  
\* عبد الكافي - الدكتور هاشم علي  
(٢٢١) إنسانية الفلسفة ط أولى دار الجبل ١٩٥٦م.  
\* عبد العظيم - الشيخ مرسى حسن  
(٢٢٢) المصور الفلسفية لدى القدماء ط ٢ ١٩٣٧م.  
\* عبد الرزاق - الإمام الأكبر الشيخ مصطفى  
(٢٢٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة  
\* العبد - الدكتور عبد الطيف محمد  
(٢٢٤) دراسات في الفكر الإسلامي ط الأختلو المصرية ١٩٧٧م.  
\* عديلة - الدكتور لطفي محمد  
(٢٢٥) الفلسفة اليونانية ط أولى ١٩٧١م.  
\* عبد العظيم - الدكتور فوزي محمد  
(٢٢٦) اتجاهات الفلسفة القديمة والمعاصرة ط الأولى ١٩٦٢م.

#### عزها العين

- \* الفزالي - الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد المولود ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م والمتوفي ٥٠٥هـ.  
(٢٢٧) إحياء علوم الدين ج ٣ - ط دار الصابون .  
(٢٢٨) جواهر القرآن - المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٣٣٥هـ .  
\* الفزالي - الشيخ محمد  
(٢٢٩) عقيدة المسلم - دار الدعوة - الطبعة الثالثة ١٤١١هـ .

- ✽ الغزالي - الدكتور محمد حسيني موسى محمد
- (٢٣٠) الغزاليات في النبوات - طبعة آل بسبون ٢٠٠٠م
- (٢٣١) أوراق منسية في النصوص الفلسفية - مطبعة صبحى - الطبعة الأولى ١٩٩٨م
- (٢٣٢) رياض الأشواق في الميتافيزيقا والأخلاق.
- (٢٣٣) قضايا حييصة في الفلسفة الحديثة .
- ✽ الغزالي - الدكتور فوزى محمد
- (٢٣٤) الفلسفة اليونانية ومدارسها ط أولى ١٩٧١م
- ✽ غلاب - الدكتور محمد
- (٢٣٥) المعرفة عند مفكرى المسلمين - الدار المصرية - للتأليف والترجمة.
- ✽ الفيلاني - الدكتور محمود محمد
- (٢٣٦) المنطق الرمزي - ط دار المعرفة ١٩٨٧م .

#### ✽ في الفقه

- ✽ فريدك - المستشرق دوهان
- (٢٣٧) فلسفة مصر القديمة - ترجمة هناء محمد ط أولى ١٩٦٧م.
- ✽ فاروق - الدكتور ليلى محمد
- ✽ محاسرات في الفلسفة اليونانية ط أولى ١٩٨١م.
- ✽ فاروق - الدكتور محسن صالح
- (٢٣٨) قضية المفاهيم والمصطلحات ط دار الإنتاج بالعراق ١٩٥١م.
- ✽ الفيضاني - الشيخ محمد عبد العظيم
- (٢٣٩) أسرار النفس الإنسانية ط ٢ / ١٩٥١م.
- ✽ الفكهاني - الشيخ منصور بن محمد
- (٢٤٠) بين الدين والفلسفة ط الأولى بالأساتذة ١٣٣٥هـ .
- ✽ في - الدكتور مصطفى
- (٢٤١) الدوافع النفسية ط الخامسة - مكتبة مصر للطباعة ١٩٦٠م.

#### ✽ في الفقه

- ✽ قطب - الأستاذ محمد
- (٢٤٢) مذاهب فكرية معاصرة - مطبعة النهضة.
- ✽ قاعود - الدكتور محمود حسن
- (٢٤٣) الاتجاهات الفكرية المعاصرة ط دار منار ١٩٧٥م.
- ✽ قرني - الدكتور عزت
- (٢٤٤) مدخل إلى الفلسفة ط سعيد رأفت ١٩٨١م.
- ✽ قطب - الدكتور عبد العظيم محمد
- (٢٤٥) الفلسفة ومناهج البحث ط دار مراد ١٩٧٣م.
- ✽ قاسم - الدكتور محمود
- (٢٤٦) نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى ط ٣ الأنجلو المصرية.

**حرف الكاف**

- \* الكاشف - الشيخ علي بن محمد (٢٤٧) الأساطير القديمة وأخطارها - الدار الجديدة ١٣٣٥ هـ .
- \* كويليه - أزفولند (٢٤٨) مدخل إلى الفلسفة - ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي .
- \* كرم - الأستاذ يوسف (٢٤٩) تاريخ الفلسفة اليونانية ط دار العلم - بيروت .
- \* كوندراسيه - بيتر (٢٥٠) أرسطو حكيم اليونان - ترجمة وفاء خيري ١٩٦٧ م دمشق .
- \* كولر - المستشرق جون (٢٥١) الفكر الشرقي القديم ط ٢ / ١٩٦٧ م
- \* كالمان - المستشرق جون (٢٥٢) الحضارة المصرية القديمة - ترجمة وفاء صبرى ١٩٨٢ م .

**حرف اللام**

- \* لوفتانا - المستشرق جورج (٢٥٣) الحكمة والفلسفة - ترجمة رزق مبيحي ط ١٩٦٥ م .
- \* لطف الله - الدكتور عبداللطيف صلاح (٢٥٤) القضايا الإيمانية ط ٢ / ١٩٥٦ م
- \* ليونانييل - (٢٥٥) الزمان حركة متدفقة - ترجمة رمضان سعد ١٩٥١ م بالكويت .

**حرف الميم**

- \* محمود - الدكتور عبدالحليم (٢٥٦) الفكر الفلسفي في الإسلام - ج ١ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٥ م .
- \* مع العقيدة والحركة والمنهج، في خير أمة أخرجت للناس ص ٢٠ - دار الوفاء - ط الأولى ١٩٩٢ م
- \* مذكور - الدكتور إبراهيم (٢٥٨) الفلسفة الإسلامية - الطبعة الأولى .
- \* المقدوح - الدكتورة هنية بنت محمد (٢٥٩) الحضارة في مراحلها الأولى - دار الهدى ١٩٨٦ م تونس .
- \* محمد - الدكتور زكريا حسين (٢٦٠) البيئة ودورها في الثقافة ط أولى ١٩٧١ م .
- \* منتصر - الدكتور عبدالحليم (٢٦١) السياسة بين اللغة والمفهوم - ط دار الوفاء ١٩٦٧ م .
- \* موسى - الأستاذ سلامة (٢٦٢) ما هي النهضة - طبعة دار المستقبل بالقاهرة
- \* مرسى - الدكتور حسن محمد (٢٦٣) أحرار الفكر الإنسان ط دار وفاء ١٩٦٥ م .

- ✽ مصطفى - الدكتور تهاى لطفى .  
(٢٦٤) الذكاء والقدرات العقلية ط ١٩٧١/٢ م.  
✽ مoady - أنوار دوج  
(٢٦٥) الدافعية والانفعال ط أولى - دار الشروق ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .  
✽ مقار - القس إلياس  
(٢٦٦) إيمان - أو قضايا المسيحية  
✽ مشرقى - القس صموئيل  
(٢٦٧) الإلهيات  
✽ منصور - الدكتور صبرى حسن  
(٢٦٨) الفلسفة الطبيعية - ط دار الثقافة ١٩٦٥ م

#### جرفا النور

- ✽ نبوى - الدكتور صبرى السيد  
(٢٦٩) محاضرات في الفكر الفيثاغورسى ط الثانية ١٩٥٧ م.  
✽ ناصر - الدكتور فؤاد محمد .  
(٢٧٠) ما الدبلوماسية ط كركوك ١٩٥٣ م.  
✽ نصر الله - الأستاذ محسن عبيد العظيم  
(٢٧١) دراسات في الفلسفة ط أولى ١٩٥١ م.  
✽ الألبانوس - الشيخ نور الدين بن محمد  
(٢٧٢) الفخر الرازى وفلسفته ط الدار القومية ١٣١٥ هـ .  
✽ النويرى - الدكتور فوزى محمد .  
(٢٧٣) سقراط وفلسفته ط الثالثة ١٩٩٣ م.

#### جرفا الهاء

- ✽ هير - أ. ه. توماس  
(٢٧٤) الفلسفة الإغريقية - ترجمة عثمان عبدالمقصود ١٩٧٣ م.  
✽ هير - أ. ه. توماس جورج  
(٢٧٥) الفلسفة والختم - ترجمة الأستاذ فرج أنسى ١٩٥١ م.  
✽ هينلر - بارتملى  
(٢٧٦) الفلسفة اليونانية في مراحلها الأولى - ترجمة صبحى رزق - الدار المصرية ١٩٥٧ م.  
✽ هويدي - الدكتور يحيى  
(٢٧٧) مقدمة في الفلسفة العامة  
(٢٧٨) أضواء على الفلسفة المعاصرة - مكتبة القاهرة الحديثة .  
✽ الهندي - الشيخ رحمت الله  
(٢٧٩) إظهار الحق - تحقيق د : محمد أحمد ملكاوى - ط المملكة العربية السعودية .  
✽ هيرماس - المستشرق أنطونى  
(٢٨٠) الديمورج اليونان - ترجمة هناء فاضل - طبعة بيروت ١٩٦١ م.  
✽ هافى - أرنولد  
(٢٨١) الحضارة الشرقية - بلاد الصين ط أولى ١٩٤٧ م.

## جزء الواء

\* ويتز - المستشرق

(٢٨٢) الحضارة في مراحلها الأولى - ترجمة رزق صبرى ط ١٩٤٧م.

## جزء الياء

\* يسرى - الدكتور: متولى السيد

(٢٨٣) الفلسفة اليونانية ط دار المهند تركيا ١٩٤٧م.

\* يسرى - الشيخ عبدالعاطى السيد

(٢٨٤) الفلسفة بين الأنصار والخصوم ط الدار القومية ١٩٢٤م.

\* اليعقوبى - الدكتور صبرى ياسين

(٢٨٥) نناء الفلسفة الطبيعية طبعة دار الأناضول - تركيا ١٩٥١م

\* يعقوب - الدكتور: سامى لطف الله

(٢٨٦) القضايا الكلامية والفلسفية طبعة ثالثة ١٩٤٧م.

\* يعقوب - جورج

(٢٨٧) أثر الشرق في الحضارات ترجمة حنان زهدى ط ١٩٦١م.

\* يوسف - الدكتور يوسف محمد

(٢٨٨) العصور الوسطى - ط دار حيدر ١٩٥٩م<sup>(١)</sup>.

(١) هذا مما أمكنى التقاطه من حملة المصادر حتى ص ٢٢٠ من هذا الكتاب، نظرا لطرق الصحبة، ولك أنها القارى العزيز مراجعة باقى المصادر أسفل الصفحات، ولك خالص شكرى وتقديرى، وأسألك الدعاء لى بالقرول عند الله تعالى والتوفيق فى الدنيا والآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير .

### فهرست الاعلام المترجم لها

م	العلم المترجم له	الصفحة
(١)	إبراهيم بن رستم	٣٣٦
(٢)	أبو أمامة الباهلي	٣٢٩
(٣)	أبو الحسن البصري	١٨٢، ٨٥
(٤)	أبو العالية	٣٨٧
(٥)	أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٣٧٧
(٦)	أبو بكر بن العري	٣٦١
(٧)	أبو حامد القرظي (الإمام)	١٢٥
(٨)	أبو حنيفة النعمان (الإمام)	٣٣٦
(٩)	أبو مروان العنماني	٣٣٨
(١٠)	أبو مسعود	٤٣٩
(١١)	أبو موسى الأشعري	٣٨٤
(١٢)	أبو هريرة	٨٢
(١٣)	أحمد بن حنبل (الإمام)	٣١٦
(١٤)	أرسطو طاليس	٦٠
(١٥)	أسامة بن شريك	٢٣٣
(١٦)	أسماء بنت زيد	٣٣٢
(١٧)	أفلاطون	١٩١
(١٨)	أكسا نوفان	٦٦
(١٩)	أم سلمة (أم المؤمنين)	٣٢٢
(٢٠)	أنس بن مالك	١٣٣
(٢١)	ابن النفيس	١٢٦
(٢٢)	ابن باجة	٩٢
(٢٣)	ابن تيمية	٢٤٥
(٢٤)	ابن خلدون	٢٨٧
(٢٥)	ابن رشد	٩٣
(٢٦)	ابن سترين	٣٢٨

الصفحة	العلم المترجم له	٢
٩٣	ابن طفيل	(٢٧)
٣٧١	البيضاوي	(٢٨)
٢٨٢	الترمذى (الحكيم)	(٢٩)
٢٨٣	الترمذى (المحدث)	(٣٠)
١٥٧	الحارث الأعور	(٣١)
٨٤	الحافظ ابن كثير	(٣٢)
٣٠٦	الحلاج	(٣٣)
٢٢٧	الخوارزمي	(٣٤)
٢٨٨	الزجاج	(٣٥)
١٥٧	الزركشي (الإمام)	(٣٦)
٣٦٧	الزغشري	(٣٧)
٣٠٦	السهروردي	(٣٨)
٣٣٧	الشافعي (الإمام)	(٣٩)
٣٩٤، ١٨٢	الضحاك بن مزاحم	(٤٠)
٦	العرباض بن سارية	(٤١)
٨٨	القاراي	(٤٢)
١٤٠	الفخر الرازي	(٤٣)
٢٥٤	القاسمي	(٤٤)
١٤٠	القرطبي (الإمام)	(٤٥)
٨٧	الكندي	(٤٦)
٧٨	المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام	(٤٧)
٨٣	المقداد بن معد يكر	(٤٨)
٣٤٠	المنذر بن جرير	(٤٩)
٨٠	برونو	(٥٠)
١٨٣	جابر بن عبد الله	(٥١)
٨١	جاليليو	(٥٢)
٣٩٣	حواء (أم البشر)	(٥٣)
٣٢٩	زيد بن أرقم	(٥٤)



م	العلم المترجم له	الصفحة
(٥٥)	زيد بن عمرو بن نفيل	١٥٤
(٥٦)	سعد بن عباد	٤٠٢
(٥٧)	سعيد بن المسيب	٤٢٥
(٥٨)	سعيد بن جبير	٢٥٥
(٥٩)	سقراط	٥٩
(٦٠)	سهل بن سعد	٣٤٤، ٢٧٦
(٦١)	سيبويه	٢٨٨
(٦٢)	سيد قطب	٤٧
(٦٣)	سيدنا موسى بن عمران عليه السلام	٩٥
(٦٤)	شهر بن حوشب	٣٢٢
(٦٥)	عائشة (أم المؤمنين)	١٧٦
(٦٦)	عبد الرحمن بن سابط	٢٧٥
(٦٧)	عبد الله بن مسعود	١٧٦
(٦٨)	عبد الكريم الخطيب	٤٧
(٦٩)	عبد الله بن سلام	٤٢٧
(٧٠)	عبد الله بن عباس	١٨١
(٧١)	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٣٧٨
(٧٢)	فرنسيس بيكون	١٢٥
(٧٣)	فضالة بن عبيد	١٨٣
(٧٤)	قتادة	٢٩٧، ١٤٤
(٧٥)	قس بن ساعدة	٢٣٤
(٧٦)	كوبرنيقوس	٨١
(٧٧)	مجاهد بن جبير	١٨٢
(٧٨)	محمد عبده	٢٦٨
(٧٩)	معاذ بن جبل	٣٦٦
(٨٠)	نارسييس	٣٦٥
(٨١)	ويليام هارفي	١٢٧

# فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع	٢
٣	إهداء	(١)
٥	مقدمة	(٢)
١٧	الباب الأول : الفلسفة بين النشأة والمفهوم	(٣)
٢٣	الفصل الأول : نشأة الفلسفة	(٤)
٢٣	الأول : أصحاب النزعة العرقية الغربية	(٥)
٢٥	أ- عرض أدلتهم	(٦)
٢٥	ب- مناقشتها	(٧)
٢٩	الثاني : أصحاب النزعة الشرقية	(٨)
٣٢	أ- عرض أدلتهم	(٩)
٣٢	ب- مناقشتها	(١٠)
٤١	الثالث : أصحاب التوفيق وأدلتهم	(١١)
٤٣	١- إنسانية الفكر	(١٢)
٤٣	٢- إنسانية المعالجة للموضوعات	(١٣)
٤٤	٣- الاعتراف بالفروق الفردية	(١٤)
٤٤	٤- اقتصران النشأة في الشرق والغرب	(١٥)
٤٥	٥- رد الملامح لأصحابها	(١٦)
٤٥	الفصل الثاني : مفهوم الفلسفة في العصور المختلفة	(١٧)
٥١	تمهيد	(١٨)
٥٣	أولاً : في عصر التفكير الغير منظم	(١٩)
٥٥	ثانياً : في عصر التفكير المنظم	(٢٠)
٥٦	أ- عصر الفلسفة الطبيعية	(٢١)
٥٨	ب- عصر فلسفة ما قبل سقراط	(٢٢)
٥٨	☆ المدرسة الأيونية ذات الاتجاه الطبيعي	(٢٣)
٥٩	١- طاليس الأيوني	(٢٤)
٦٠	٢- أنكسمنديس الملطي	(٢٥)
٦٢		

الصفحة	الموضوع	٢
٦٦	☆ المدرسة الإبلية ذات الاتجاه المتأخري	(٢٦)
٦٩	ج- من عصر سقراط إلى العصور الوسطى	(٢٧)
٦٩	☆ سقراط	(٢٨)
٧١	☆ أفلاطون	(٢٩)
٧٣	☆ أرسطو طاليس	(٣٠)
٧٦	د- في العصور الوسطى	(٣١)
٧٦	☆ مفهوم العصور الوسطى	(٣٢)
٧٦	- الأول: القائلون بالتحديد الزمان	(٣٣)
٧٧	- الثاني: القائلون بالتحديد الإحداثي	(٣٤)
٧٨	- الثالث: القائلون بالتحديد التقليدي	(٣٥)
٨١	هـ- تعريفات الفلسفة في ظل الإسلام	(٣٦)
٨٧	١- الكندي فيلسوف العرب	(٣٧)
٨٨	٢- الفارابي المعلم الثاني	(٣٨)
٨٩	٣- الشيخ الرئيس ابن سينا	(٣٩)
٩٥	و- تعريفات الفلسفة في العصر الحديث	(٤٠)
٩٧	ل- عوامل تطور تعريف الفلسفة في العصر الحديث	(٤١)
١٠٣	ي- عوامل انعدام التعريف الحديث للفلسفة	(٤٢)
١٠٣	١- طبيعة الفلسفة الذاتية والعرضية	(٤٣)
١٠٥	٢- تعدد الموضوعات الفلسفية	(٤٤)
١٠٦	٣- اختلاف العصور الفلسفية	(٤٥)
١٠٨	٤- الرعة العاطفية والعقلية للفيلسوف	(٤٦)
١١١	٥- الظروف المحيطة بالفيلسوف نفسه	(٤٧)
١١٥	الباب الثاني: الفلسفة بين الوظائف والفوائد	(٤٨)
١٢١	☆ الفصل الأول: وظيفة الفلسفة	(٤٩)
١٢٣	١- التصنيف الدقيق للعلوم والمعارف	(٥٠)
١٢٨	٢- تقدم خدمات عامة للمجتمع	(٥١)
١٣٤	٣- إعداد قادة متجدي الفكر	(٥٢)

الصفحة	الموضوع	م
١٤٥	٤- دراسة النظم الاجتماعية وتأثيرها بالمذاهب الفلسفية	(٥٢)
١٥١	٥- معرفة النفس البشرية والعالم الذي نعيش فيه	(٥٤)
١٥٥	٦- التوفيق بين الدين والعقل	(٥٥)
١٦١	٧- إقامة الأدلة المستجدة على وجود الله تعالى وصفاته	(٥٦)
١٦٩	<b>الفصل الثاني: فوائد الفلسفة</b>	(٥٧)
١٧٢	١- معرفة الحقيقة لذاتها	(٥٨)
١٧٨	٢- بلوغ السعادة	(٥٩)
١٨٥	٣- ربط التفكير النظري بالحياة العملية	(٦٠)
١٨٨	٤- المساهمة في استحداث أنماط فكرية جديدة	(٦١)
١٩١	٥- الدفاع عن العقيدة الإلهية	(٦٢)
١٩٧	٦- تبعية المصطلحات الفلسفية بنصوص شرعية	(٦٣)
٢٠١	<b>الباب الثالث: الفلسفة بين الموضوع والمجالات</b>	(٦٤)
٢٠٥	<b>الفصل الأول: موضوع الفلسفة وميادينها</b>	(٦٥)
٢٠٧	أ- موضوع الفلسفة	(٦٦)
٢١٦	ب- ميادين الفلسفة	(٦٧)
٢١٦	- الأول : أصحاب عمومية الميادين	(٦٨)
٢١٦	- الثاني : أصحاب خصوصية الميادين	(٦٩)
٢٢٢	ج- نماذج من تصنيفات العلوم	(٧٠)
٢٢٣	- التصنيف الأول : باعتبار الموضوعات	(٧١)
٢٢٤	- التصنيف الثاني : باعتبار الوسائل	(٧٢)
٢٢٥	- التصنيف الثالث : باعتبار اللغة	(٧٣)
٢٢٥	- التصنيف الرابع : باعتبار النظري والعملی	(٧٤)
٢٢٦	- التصنيف الخامس : باعتبار الدين والدنيوي	(٧٥)
٢٢٧	<b>الفصل الثاني: علاقة الفلسفة بغيرها من المجالات</b>	(٧٦)
٢٢٩	أ- في ظل التفكير الغير منظم	(٧٧)
٢٣٢	- المرحلة الأولى : التداخل والاندماج	(٧٨)
٢٣٢	- المرحلة الثانية : الانفصال البحثي	(٧٩)
٢٣٤		

الصفحة	الموضوع	٢
٢٣٦	ب- في ظل التفكير الفلسفي المنظم	(٨٧)
٢٣٧	- الأولى : مرحلة التباين والابتعاد	(٨٨)
٢٣٨	- الثانية: مرحلة التقارب النسي	(٨٩)
٢٤١	- الثالثة: مرحلة الاختلاط والتداخل	(٩٠)
٢٤٣	- الرابعة: مرحلة الاختباء والانفصال	(٩١)
٣٤٨	- الخامسة: مرحلة الاستقلال التام	(٩٢)
٢٥١	❖ الفصل الثالث: علاقة النسنة بالعلم والقيم	(٩٣)
٢٥٣	أ- علاقتها بالعلم	(٩٤)
٢٥٣	- تمهيد	(٩٥)
٢٥٨	- صور العلاقة	(٩٦)
٢٥٨	١- الترادف	(٩٧)
٢٥٩	٢- العموم والخصوص	(٩٨)
٢٦١	٣- احتياج كل منهما للآخر	(٩٩)
٢٦٣	٤- الاستقلال والتمايز	(١٠٠)
٢٦٤	- التسمية	(١٠١)
٢٦٤	- الموضوع	(١٠٢)
٢٦٤	- المنهج	(١٠٣)
٢٦٥	- المعطيات	(١٠٤)
٢٦٦	- الغاية	(١٠٥)
٢٦٦	ب- علاقة الفلسفة بالقيم	(١٠٦)
٢٧٠	- الأول: العموم والخصوص	(١٠٧)
٢٧٠	- الثاني: الاشتراك البحثي	(١٠٨)
٢٧١	- الثالث: الاختكام إلى القواعد الصحيحة	(١٠٩)
٢٧١	- الرابع: اتحاد الغايات	(١١٠)
٢٧٣	- الخامس: تأكيد المثل العليا	(١١١)
٢٧٧	❖ الفصل الرابع: علاقة الفلسفة بالميتافيزيقا وتاريخ العلم	(١١٢)
٢٧٩	أ- علاقة الفلسفة بالميتافيزيقا	(١١٣)

الصفحة	الموضوع	م
٢٨٠	- التيار الأول: امعمال المتأثيرين عن الفلسفة	(١٠٧)
٢٨١	١- في الموضوع	(١٠٨)
٢٨١	٢- في المنهج	(١٠٩)
٢٨٣	- التيار الثاني: امترح المتأثيرين بالفلسفة	(١١٠)
٢٨٥	ب- علاقة الفلسفة بتاريخ الفلسفة	(١١١)
٢٨٦	- أولا : أقسام التاريخ	(١١٢)
٢٨٦	١- التاريخ الطبيعي	(١١٣)
٢٨٦	٢- التاريخ السبي	(١١٤)
٢٨٧	٣- التاريخ الإنساني	(١١٥)
٢٨٧	٤- التاريخ الأمسي	(١١٦)
٢٨٨	٥- التاريخ التأمسي	(١١٧)
٢٨٨	٦- فلسفة التاريخ	(١١٨)
٢٨٩	- صور العلاقة بين فلسفة وتاريخ الفلسفة	(١١٩)
٢٨٩	الأولى : الراوى والرواية	(١٢٠)
٢٩٠	الثانية: الرصيد الوثائقي	(١٢١)
٢٩٠	الثالثة: التحديد وإحياء للأفكار	(١٢٢)
٢٩٢	الرابعة: التبادل معنوي	(١٢٣)
٢٩٣	الخامسة: الاستمرارية	(١٢٤)
٢٩٤	ثالثا: دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي	(١٢٥)
٣٠١	الباب الرابع: حكم دراسة الفلسفة في البيئة الإسلامية	(١٢٦)
٣٠٩	الفصل الأول: أدلة رفضها شرعا ومناقشتها	(١٢٧)
٣١١	الدليل الأول: عدم ورودها في النقل المتزل	(١٢٨)
٣١١	أ- عرض الدليل	(١٢٩)
٣١١	ب- مناقشة الدليل	(١٣٠)
٣٢٣	الدليل الثاني : أسلوب الفلسفة مخالف لأساليب القرآن الكريم	(١٣١)
٣٢٣	أ- عرض الدليل	(١٣٢)
٣٢٣	ب- مناقشة الدليل	(١٣٣)

الصفحة	الموضوع	٨
٣٢٧	الدليل الثالث: قيامها على الجدل المنهى عنه شرعا	(١٢٤)
٣٢٧	أ- عرض الدليل	(١٢٥)
٣٣٠	ب- مناقشة الدليل	(١٢٦)
٣٣٤	الدليل الرابع: أنها بدعة تلقى بصاحبها في النار	(١٢٧)
٣٣٤	أ- عرض الدليل	(١٢٨)
٣٣٨	ب- مناقشة الدليل	(١٢٩)
٣٤١	أنواع البدعة باعتبار الحكم الشرعي	(١٣٠)
٣٤١	النوع الأول: البدعة الحلال على سبيل الوجوب	(١٤١)
٣٤٣	النوع الثاني: البدعة الحرام على سبيل التحريم المطلق	(١٤٢)
٣٤٣	النوع الثالث: البدعة المندوبة	(١٤٣)
٣٤٥	النوع الرابع: البدعة المكروهة	(١٤٤)
٣٤٥	النوع الخامس: البدعة المباحة	(١٤٥)
٣٤٥	الدليل الخامس: إجماعها النقل المنزل واعتقادها على العقل وحده	(١٤٦)
	أ- عرض الدليل	(١٤٧)
	ب- مناقشة الدليل	(١٤٨)
٣٥٠	الدليل السادس: بما آفات وعلل مهلكة	(١٤٩)
٣٥٤	أ- عرض الدليل	(١٥٠)
٣٥٤	ب- مناقشة الدليل	(١٥١)
٣٥٧	المبحث الثاني: أدلة رفضها عقلًا ومناقشتها	(١٥٢)
٣٦٣	الدليل الأول: أنها لا تقدم نفعا	(١٥٣)
٣٦٥	أ- عرض الدليل	(١٥٤)
٣٦٥	ب- مناقشة الدليل	(١٥٥)
٣٦٦	الدليل الثاني: أنها مصدر الشك والريبة	(١٥٦)
٣٧٢	أ- عرض الدليل	(١٥٧)
٣٧٢	ب- مناقشة الدليل	(١٥٨)
٣٧٤	الدليل الثالث: أنها متخالفة للنتائج والمقدمات	(١٥٩)
٣٧٩	أ- عرض الدليل	(١٦٠)

الموضوع	المصنعة	٢
ب- مناقشة الدليل	٣٨١	(١٦١)
الدليل الرابع: أنما غير مأمونة العواقب	٣٨٢	(١٦٢)
أ- عرض الدليل	٣٨٢	(١٦٣)
ب- مناقشة الدليل	٣٨٩	(١٦٤)
الدليل الخامس: عجزها عن مواكبة حركة الحياة	٣٩٣	(١٦٥)
أ- عرض الدليل	٣٩٣	(١٦٦)
ب- مناقشة الدليل	٣٩٧	(١٦٧)
الدليل السادس: أنما غير قابلة للتطبيق في الواقع العملي	٤٠٣	(١٦٨)
أ- عرض الدليل	٤٠٣	(١٦٩)
ب- مناقشة الدليل	٤٠٧	(١٧٠)
الدليل السابع: صناعة يعجز عنها الكثيرون	٤١١	(١٧١)
أ- عرض الدليل	٤١١	(١٧٢)
ب- مناقشة الدليل	٤١٣	(١٧٣)
<b>الفصل الثامن: أدلة تبطلها وجوباً أو إباحة ومناقشتها</b>	٤١٧	(١٧٤)
أولاً: أدلة القول بالوجوب العقل ومناقشتها	٤٢٠	(١٧٥)
أ- عرض الأدلة	٤٢٠	(١٧٦)
الدليل الأول: ضرورة التفرقة بين القدرات العقلية والتوجهات القلبية	٤٢٠	(١٧٧)
الدليل الثاني: أنما الداعية للبحث والتأمل	٤٢١	(١٧٨)
الدليل الثالث: أنما تفصيل بين الواقع والحياة	٤٢٢	(١٧٩)
الدليل الرابع: اشتغالها العلوم كلها	٤٢٣	(١٨٠)
الدليل الخامس: أنما تقدم المناهج البحثية المختلفة	٤٢٤	(١٨١)
ب- مناقشتها	٤٢٥	(١٨٢)
ثانياً: أدلة القول بالإباحة الشرعية	٤٣١	(١٨٣)
أ- عرض الأدلة	٤٣١	(١٨٤)
الأول: أنما قامت على التأمل للأمور به شرعا	٤٣١	(١٨٥)
الثاني: قيامها على الأحكام الشرعية	٤٣٥	(١٨٦)
الثالث: نتائجها المشروع	٤٣٦	(١٨٧)



الصفحة	الموضوع	م
٤٣٧	الرابع: ممارسة العلماء لها	(١٨٨)
٤٤٢	ب- مناقشتها	(١٨٩)
٤٤٥	الخاتمة	(١٩٠)
٤٤٧	المصادر	(١٩١)
٤٦٥	فهرس الأعلام	(١٩٢)
٤٦٨	فهرس الموضوعات	(١٩٣)

# كتب صدرت



## أولاً: في علم التوحيد

- [١] الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي - أطروحة علمية - ط ٧ - الأصدقاء ١٩٩٩م
- [٢] حبو الوليد في علم التوحيد - شرح منقوب الخامس للأئمة ط ١ صبحي ١٩٩٨م
- [٣] عبد الكريم الخطيب وآراءه الكلامية - أطروحة ١٩٩٢ عليه طه آل بسويي بالزقازيق
- [٤] منهج السلف الصالح في إثبات وجود الله تعالى ط ١ آل بسويي ١٩٩٨م
- [٥] الغزاليات في الإلهيات ط ١ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م
- [٦] الغزاليات في النبوات - الطبعة الأولى - آل بسويي للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م
- [٧] الغزاليات في السمعات ط ٣ - آل بسويي ١٩٩٨م
- [٨] الغزاليات في المعاد وأمر الآخرة ط ٢ مطبعة نصر الله ١٩٩١م
- [٩] المدخل التام لعلم الكلام - أولى آل مخزنجي ١٩٩٨م
- [١٠] حصاد الاقتصاد في الاعتقاد - ج ١ - إثبات الذات الإلهية ط ١ آل مخزنجي ١٩٩٨م
- [١١] حصاد الاقتصاد في الاعتقاد - ج ٢ - الأفعال الإلهية ط ١ آل مخزنجي ١٩٩٩م
- [١٢] حصاد الاقتصاد في الاعتقاد - ج ٣ - إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ط ١ صبحي ١٩٩٩م
- [١٣] مطاعن أعداء الإسلام في القرآن الكريم - بإيداعها - ط ١ آل بسويي ١٩٩٩م
- [١٤] التاملات على ما في شرح المفاهيم من سمعات ج ١ ط ١ نور الهدى ١٩٩٤م
- [١٥] القضاء والقدر وأثرهما على المسلم ط ٣ - آل بسويي ١٩٩٨م
- [١٦] الإلهيات عند ابن سينا ط ٢ - آل بسويي ١٩٩٨م
- [١٧] ذكر الله تعالى في القرآن والسنة ط ١ - مطبعة الشروق ١٩٩٢م
- [١٨] القسمة والنصيب وعلاقتها بالقضاء والقدر ط ٢ مطبعة الشروق ١٩٩٢م

## ثانياً: في الفلسفة والمنطق والتصريف والأخلاق

- [١٩] رياض الأشواق في المصانيف والأخلاق - ط ١ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م
- [٢٠] غدوة المشتاق في ربوع الأخلاق - ط ١ مطبعة حبيب الزقازيق ١٩٩٨م
- [٢١] خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة - ط ١ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م

- [٢٢] أوراق منسية في النصوص الفلسفية - ط ٣ صبحي بالقازين ١٩٩٨ م.
- [٢٣] مباحث البحث بين التقليد والتجديد ط ٣ الوطنية ١٩٩٢ م.
- [٢٤] أوراق مطوية في التصوف والصوفية ط ٥ - آل بسبوني ١٩٩٨ م.
- [٢٥] انشام حية في الأفكار الصوفية ط ٤ الشروق ١٩٩٨ م.
- [٢٦] مقدمات في التصوف الإسلامي - مطبعة آل بسبوني.
- [٢٧] الموسوعة الفرائدية في التصوف والصوفية - الكتاب الأول - المقدمات ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- [٢٨] الولاية في الفكر الصوفي وأصولها الشرعية - ط ٢ مطبعة زاهر ١٩٩٥ م.
- [٢٩] قضايا التصوف بين الأنصار والمخضرم ط ١ مطبعة نصر الله ١٩٨٨ م.
- [٣٠] التصوف المفترى عليه ط ٢ مطبعة المنيرة ١٩٨٩ م.
- [٣١] قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ط ٤ - آل بسبوني ١٩٩٨ م.
- [٣٢] قضايا حيية في الفلسفة الحديثة ط ٣ الشروق بالقازين ١٩٩٨ م.
- [٣٣] المنطق بين التنظيم والتقنين ط ١ الوطنية ١٩٩١ م.
- [٣٤] التديم في المنطق القديم - ط ٤ مطبعة آل بسبوني ١٩٩٩ م.
- [٣٥] الوليد المنطق في علم المنطق - التصورات - ط دار حبيب ١٩٩٨ م.
- [٣٦] الحشيت في المنطق الحديث - ط الأولى - آل بسبوني ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- [٣٧] الخطاب بين الأصوليين ودعاة الهداية مفهوم وقراءاته - ط ١ آل بسبوني ١٩٩٩ م.
- [٣٨] الفرائيات في منطق الصدقات - ط ١ - آل بسبوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠ م.
- [٣٩] الفرائيات في منطق التصورات - ط ١ - آل بسبوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩ م.
- [٤٠] مدخل لدراسة الحكمة الإسلامية - ط ١ - آل بسبوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠ م.
- [٤١] ملامح الحكمة الإسلامية في المغرب.
- [٤٢] التفكير الإنساني ومستوياته ط ٢ - آل بسبوني ١٩٩٩ م.
- [٤٣] الشك في الفكر الإنساني مفهوم ودلالاته ط ٣ آل بسبوني ١٩٩٩ م.
- [٤٤] طاهرة الفلق الإنساني بين الدين والعلم ط ٣ - رضوان ١٩٩٦ م.
- [٤٥] نظرية المعرفة عند ابن رشد - بحث محكم.
- [٤٦] آراء واتجاهات في الدين والفلسفة - ط ٢ آل بسبوني ١٩٩٧ م.
- [٤٧] العلاقة بين أرسطو وأفلاطون - ط ٢ مطبعة باسر ١٩٩٥ القاهرة.
- [٤٨] الدلالة بين الأصوليين والمحدثين والمناطق - ط ١ حري ١٩٩٤ م.
- [٤٩] في الوجود وعمله - شرح النقط الرابع لابن سينا - ط ٢ مطبعة الهدى ١٩٩٢ م.
- [٥٠] ابن باجة مفكرا - ط ١ - آل بسبوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠ م.
- [٥١] آراء عبد الكريم الخطيب الفلسفة - أطروحة علمية ١٩٩٣ م.
- [٥٢] ابن باجة ومذهبه في الأخلاق - أطروحة علمية ١٩٨٧ م.

- [٥٣] أثر الحب عند الصوفية على إبداع الرومانسية ط١ مطبعة رزق ١٩٨٨ م.
- [٥٤] نظرية السعادة في الفكر الإنساني - ط١ - آل بسيني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠ م.
- [٥٥] الفيلسوف (مفهومه - بواعثه - خصائصه) - ط١ - آل بسيني ٢٠٠٢ م.
- [٥٦] الموسوعة الغزالية في المباحث الفلسفية - الفلسفة العامة (نشأة مفاهيم - وثلاثين فوائد - موضوعات - ومجالات - قبول - ورفض) - الكتاب الخامس عشر - الجزء الأول - آل بسيني ٢٠٠٣ م/١٤٢٣ هـ.

### ثالثاً: التيارات الفكرية والفرق والمذاهب المخارفة

- [٥٧] أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ط٤ القدس الشريف ١٩٩٨ م.
- [٥٨] عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية - أطروحة علمية ط٢ آل بسيني ١٩٩٨ م.
- [٥٩] من وحى البيان في جماعة الشيطان ط٤ آل بسيني ١٩٩٨ م.
- [٦٠] صدع البرهان في جمهوري السودان ط٣ باسر ١٩٩٧ م.
- [٦١] وبيض النصرانية بين غيوم المسيحية ط٤ حبيب ١٩٩٨ م.
- [٦٢] حفيف الأفنان في التعريف بالملل والنحل والأديان - ط٤ دار غرب ١٩٩٨ م.
- [٦٣] مقدمة ضرورية في نشأة الفرق الإسلامية ط١ آل بسيني ١٩٩٩ م.
- [٦٤] رؤية نقدية في الفرق الإسلامية ط٢ الشروق ١٩٩٦ م.
- [٦٥] قضا المسحبة وموقف الإسلام منها - ط٢ مطبعة طارق ١٩٩٣ م.
- [٦٦] بين المسيحية والإسلام في القيم والأحكام ط٢ مطبعة حسنى ١٩٨٣ م.
- [٦٧] علاقة اليهودية الدينية بالعهد القديم ط٢ مطبعة بسري ١٩٩٤ م.
- [٦٨] اليهودية من الأرض إلى الاعتقاد ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٧ م.
- [٦٩] العهد القديم بين المفهوم والدلالة ط٢ مطبعة الشرق ١٩٩٣ م.
- [٧٠] الرد الجميل على شبهات صموئيل ط٢ دار منصور ١٩٩٥ م.
- [٧١] الرد المنجار على قول النجار ط١ مطبعة ناصر ١٩٨٢ م.
- [٧٢] في التيارات الفكرية - ط١ - آل بسيني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠ م.
- [٧٣] التطور الإحيائي بين النقل والعقل - ط١ - آل بسيني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠١ م.
- [٧٤] البابية قراءة جديدة - ط١ - آل بسيني للطباعة والكمبيوتر ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م.

### رابعاً: فنون متفرقات

- [٧٥] الإسلام وتعبئة الشعور العام - ط١ مطبعة محروس ١٩٩١ م.
- [٧٦] لماذا انتشر الإسلام ؟ ط٤ الأصدقاء ١٩٩٩ م.
- [٧٧] الدرة النيرة في الدفاع عن البنية المظهرة ج١ مضبعة غرب أولى ١٩٩٢ م.
- [٧٨] حلف الفضول عند العرب وأثره في العصر الحديث ط٢ صنعاء ١٩٩٧ م.

- [٧٩] دورة المدد بتفسير سورة المسد طء الأنوار ١٩٩٧م.  
 [٨٠] لماذا ينكسر أبناء الإسلام ج١ - ط٣ القدس ١٩٩٥م.  
 [٨١] دور الأعلام المصري ما بين ١٩٦٥م إلى ١٩٧٣م - أطروحة علمية ١٩٧٩م.

### ملخصاً: الأدبيات

#### أ) المسرح

- [٨٢] وهذا مذهبي: مسرحية جادة مرثجة طء آل بسوى ١٩٩٩م.  
 [٨٣] أطلعوا الحائزين: مسرحية تراجيدية - طء آل بسوى ١٩٩٨م.  
 [٨٤] المدرس الكشكول: مسرحية كوميدية هادفة - مطبعة غرب ١٩٩٤م.  
 [٨٥] ثورة الضمير: مسرحية في اللاعنقول - طء مطبعة ضحى ١٩٩٣م.  
 [٨٦] يا بني: أحفظ آثار الشهيد - مسرحية جادة مرثجة طء عفت ١٩٩١م.  
 [٨٧] صرخة أم: مسرحية هادفة - طء - الشرقية ١٩٩٠م.  
 [٨٨] أم وابتاؤها في معركة: مسرحية تراجيدية - طء - الوطنية ١٩٨٧م.  
 [٨٩] مراحل الحقد احترقت: مسرحية ملهه - طء مطبعة ناسر ١٩٨٤م.  
 [٩٠] الحوار الداخلي والمنولوج النفس: مسرحية رومانسية طء - غرب ١٩٩٠م.

#### ب) الشعر العربي

- [٩١] الثانه الغرب: ديوان في الشعر العمودي طء الأصدقاء ١٩٩٨م.  
 [٩٢] طلال من الفكر: ديوان في الشعر المرسل - طء آل بسوى ١٩٩٩م.  
 [٩٣] خواطر شاعر: ديوان في الشعر العمودي طء غرب ١٩٩٣م.  
 [٩٤] بثنة مهموم ودعوة مظلوم: ديوان في الشعر المنثور طء - توفيق ١٩٩١م.  
 [٩٥] أحلام الشباب: ديوان في الشعر المرسل طء مطبعة نور ١٩٧٦م.  
 [٩٦] مسافر عبر الأشواق: الطبعة الخامسة طء الأصدقاء ١٩٩٩م.  
 [٩٧] بين وحى الصبا: الطبعة الرابعة ١٩٩٨م.  
 [٩٨] أحلام الفجر: الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.  
 [٩٩] مسافر عنى جناح الأشواق: الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.  
 [١٠٠] مؤذن الفجر: الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.  
 [١٠١] عواطف نسلة: الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.  
 [١٠٢] فتوحات إلمية: الطبعة الأولى - آل بسوى للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.  
 [١٠٣] الهامات ربانية: الطبعة الأولى - آل بسوى للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.

#### ج) الرواية

- [١٠٤] الوداع الأخير: رواية اجتماعية - طء آل بسوى ١٩٩٨م.  
 [١٠٥] امرأة المعلم قرني: رواية اجتماعية طء الشرق ١٩٩٧م.  
 [١٠٦] الجاهل مستظلاً: رواية نقدية طء مطبعة مرسى ١٩٩١م.  
 [١٠٧] سائلة: رواية اجتماعية طء دار منصور ١٩٩٠م.

- [١٠٨] لا تدعى إلى ... رواية اجتماعية ط٣ مطبعة نصر ١٩٨٩ م.
- [١٠٩] سياسة ... رواية اجتماعية ط٤ ط٥ ط٦ ١٩٨٧ م.
- [١١٠] وداعا لها الياس - رواية نقدية ط٢ مطبعة مهيب ١٩٨٥ م.
- [١١١] سلطان الغريزة - رواية من الخيال العلمي - ط٢ - مطبعة الهدى ١٩٨٧ م.
- [١١٢] الوجدان المحترق - رواية نقدية - ط١ ١٩٨٢ م.
- [١١٣] صراع العقل مع العاطفة - رواية من الخيال العلمي - ط١ مطبعة زهران ١٩٨٣ م.
- [١١٤] شئ من الحقيقة - رواية واقعية ط٣ دار ناصر ١٩٨١ م.
- [١١٥] منصور البطل - رواية واقعية ط٣ مطبعة زاهر ١٩٨١ م.
- [١١٦] الشاب الرزين - رواية خيالية أدبية ط٤ دار ناصر ١٩٨٢ م.
- [١١٧] الفيلق الأزرق - رواية نقدية أخلاقية ط٥ دار خيري ١٩٨٩ م.
- [١١٨] سومات في مدارس البنات - رواية نقدية اجتماعية في أنظمة التعليم ط٣ دار ناصر ١٩٧٩ م.
- [١١٩] إفراح وإفراح رواية رومانسية ط٦ هشام ١٩٩٠ م.
- [١٢٠] أقسمت إن أروي - رواية نقدية - ط٤ مطبعة محسن ١٩٨٧ م.
- [١٢١] أشواق وأطواق - ط٣ مطبعة ١٩٧٨ م.
- [١٢٢] الأخلاق أرزاق ط٣ - مطبعة بسري ١٩٨٨ م.
- [١٢٣] إغابر عزة - ط٤ مطبعة الحاج وحيد ١٩٩١ م.
- [١٢٤] أحلام السحر ط٤ مطبعة خالد ١٩٨٩ م.
- [١٢٥] لحات من حياتي - ط٤ مطبعة مهيب ١٩٧٨ م.
- [١٢٦] ششرق الشمس ذات صبح - رواية رومانسية - ط٥ اشرف ١٩٨٢ م.
- [١٢٧] الأدب الرومانسي بين الأصالة والحداثة - ط١ مطبعة منصر ١٩٨٦ م.
- [١٢٨] أثر الأغراب على الأداء المعاصر - ط٣ مطبعة شروق ١٩٨٧ م.
- [١٢٩] فن كتابة المسرح النثري ط٤ صبحي ١٩٩٥ م.
- [١٣٠] بوميات في سنوات - ط٦ الكرنشال ١٩٩٨ م.
- [١٣١] أناث حانز : الطبعة الرابعة - الشروق ١٩٩٨ م.
- [١٣٢] بين روايات الحكم والأمثال - ط٣ باسر ١٩٩٠ م.
- [١٣٣] أنعام زجلية - ديوان في زجل العامية ط٤ دار توفيق ١٩٨٥ م.

رقم الإيداع

٢٦٨٩٠ / ٢٠٠٠٢ م

